

المتوفى ٩٨١ هـ

تأليف

الشيخ عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني النابلسي
المتوفى ١١٤٣ هـ

خرج أحاديثه وعلق عليه

محمود محمد محمود حسن نصار

الجزء الأول



أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com sales@al-ilmiyah.com baydoun@al-ilmiyah.com

Title : **Al-Hadiqah Al-Nadiyyah Šarḥ Al-Ṭariqa Al-Muḥammadiyyah wa Al-Sira Al-Aḥmadiyyah**

Classification: Prophetic virtues

Author : Abdul Ghani Annabulsi

Editor : Mahmoud Mohammed Nasser

Publisher : Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah - Beirut

Pages : 2632 (5 volumes)

Size : 17*24

Year : 2011 A.D -1432 H.

Printed in : Lebanon

Edition : 1st

الكتاب : الحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية والسيرة الأحمدية

التصنيف : مناقب نبوية

المؤلف : الشيخ عبد الغني النابلسي

المحقق : محمود محمد محمود حسن نصار

الناشر : دار الكتب العلميـة - بيـروت

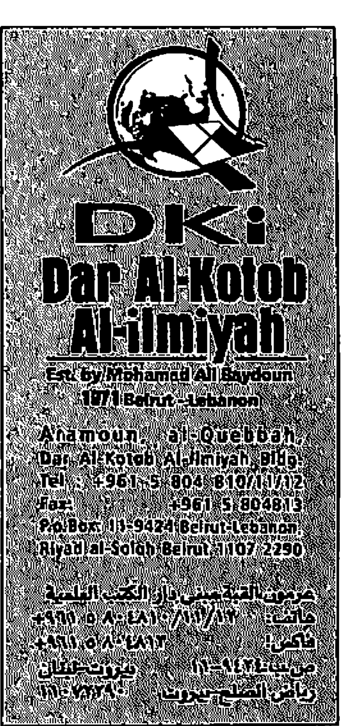
عدد الصفحات : 2632 (5 أجزاء)

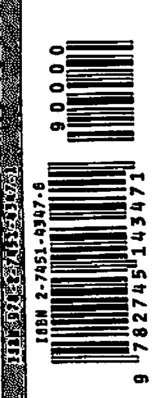
قياس الصفحات: 24*17

سنة الطباعة : 2011 م - 1432هـ

بلد الطباعة : لبنـان

الطبعة : الأولى





بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ، إلى الله أتقدم بهذه الأسفار وأرجو منه سبحانه أن يتقبل عملي فيكون خالصًا لوجهه الكريم ....

وإلى سيدنا رسول الله ﷺ وفقنا الله إلى اتباع سنتك والعمل بها ونشرها وتعليمها فالشوق إليك كبير والحنين إليك دفين ، والله سبحانه الموفق والمعين ، وإلى طلاب العلم الذين يؤمون مكتبة المصطفى ﷺ [١٧ ش وحدة الدمرداش] للاطلاع العام التى أسسها شيخنا الجليل حامد إبراهيم فهي وقف عام .

والذين سهرت معهم وجالستهم ولا زلت أجلس بينهم تحقيقًا للكتب وتصنيفًا .

وإلى أمة الإسلام قاطبة ولا سيما طلاب العلم الذين يبحثون عن مصنفات الشيخ عبد الغني النابلسي- رحمه الله -

وإلى أخوي الأستاذ المهندس العالم القدير الوفي الذي له عليَّ أياد بيضاء : طه محمد محمود حسن نصار أبو علاء وشيماء وأسماء ، والمهندسة ريمان وزوجته الحاجة الأستاذة فاطمة محمد عبد اللطيف المدرسة بوزارة التربية والتعليم .

وإلى أخي الذي له الفضل الكبير في إكمال تعليمي إسماعيل محمد محمود حسن أبو عمر وعزة وهناء وأميرة ، وبسمة .

وإلى زوجتي الوفية أم محمد إيمان الباز جزاها الله عني خيرًا .

وإلى ابنيَّ الصغيرين محمد محمود محمد محمود حسن نصار ، والآنسة مروة محمود محمد محمود حسن نصار ، جزاهما الله عني خير الجزاء بصبرهم ومؤازرتي في السعي والاجتهاد والبحث والتحقيق . أهدي كل هؤلاء جميعًا كتابي

الحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية للشيخ عبد الغني النابلسي تحقيقًا

الشيخ/ محمود محمد محمود حسن نصار

ترجمة الشيخ عبد الغني النابلسي

شيوخه :

قال ابن منظور في لسان العرب [٢٣٧٣/٤شيخ]

الشيخ : الذي استبانت فيه السِّمن ، وظهر عليه الشيب .

وقيل : هو شيخ من خمسين إلى آخره .

وقيل : هو من إحدى وخمسين إلى آخر عمره .

وقيل : هو من الخمسين إلى الثمانين .

والجمع : أشياخ وشيخان وشيوخ ومشيوخاء ومشايخ ، وأنكره ابن دريد .

وفي الحديث : «ذكر شيخان قريش» . جمع شيخ كضيف وضيفان ، والأنثى شيخة .

إن الإنسان - لا سيما المسلم - لا يصل إلى هذا السن بعد تعلم ودراسة وفهم لكتاب الله إلا وقد حصل قدرًا عظيمًا من علوم الشرع الحنيف كالتفسير والحديث والفقه والأصول والنحو والصرف والمعاني والبيان والبديع وهو إذ تتلمذ على يد جلة من العلماء ليس بالأمر الضروري استقصاء أسماء ، نعم لا سيما وأن كل منهم قد وصل إلى مكانة مرموقة وعالية في مجال العلوم الشرعية .

أذكرها هنا - أو أذكر بعضهم - على سبيل الإجمال لا التفصيل أخذًا في الاعتبار تحديد سنة الوفاة ، وقد ذكرتهم مرتبين ترتيبًا هجائيًا وهم :

١- الشيخ : إبراهيم بن منصور الدمشقي الحنفي المتوفى سنة ١٠٩٨هـ .

٢- الشيخ : أحمد بن محمد المعروف بالقلعي الحمصي ، ولازمه في ذلك ملازمة كلية ، قرأ عليه الفقه وأصوله توفي سنة ١٠٦٧هـ .

٣- والده : إسماعيل بن عبد الغني بن أحمد بن إبراهيم ، فقد شغله والده بقراءة القرآن ، ثم بطلب العلم ، وأخذ عنه التفسير بالمدرسة العلمية في شرح الدرر بالجامع الأموي ، ودخل في عموم إجازته ، وتوفي والده - هذا - في سنه ١٠٦٢هـ .

٤- الشيخ : حسن بن إسكندر الرومي ، نزيل مدرسة الكلاسة بدمشق المتوفى سنه ١٠٨٤هـ .

٥- الشيخ : سعيد البلخي ، أخذ عنه الطريقة النقشبندية .

٦- الشيخ : عبد الباقي بن عبد الباقي بن عبد القادر بن عبد الباقي بن إبراهيم الحنبلي الدمشقي ، الشهير بابن البدر المتوفى سنه ١٠٧١هـ ، أخذ عنه الحديث ومصطلحه .

٧- الشيخ : عبد القادر بن مصطفى بن يوسف بن سليان الدمشقي ، المتوفى سنه ١٠٨١هـ .

٨- الشيخ : على الشبراملسي أجازه في مصر .

٩- الشيخ : السيد عبد الرزاق الحموي الكيلاني ، أخذ عنه طريق القادرية .

١٠- الشيخ : كمال الدين العرضي الحلبي الأصل الدمشقي .

١١- الشيخ : كمال الدين بن محمد المعروف بابن حمزة نقيب الأشراف بدمشق .

١٢- الشيخ : محمد بن أحمد حسين بن سليان المعروف بالأسطواني الدمشقي الحنفي الفقيه المتوفى سنه ١٠٧٢هـ .

١٣- الشيخ : محمد بن بركات الكوفي الحمصي ثم الدمشقي .

١٤- الشيخ : محمد بن تاج الدين بن أحمد المحاسني الدمشقي المتوفى سنة ١٠٧٢هـ

١٥- حضر درس النجم محمد بن رضي الدين الغزي المتوفى سنة ١٠٧١هـ ، ذكر المترجمون له أن النابلسي قرأ عليه عدة كتب ، ولازمه مدة طويلة .

١٦- الشيخ : محمد بن محمد بن أحمد الفيشاوي الدمشقي الشافعي .

١٧ - الشيخ : محمد بن مفرج الحمصي الأصل الدمشقي الشهير بالكوافي المتوفى سنة ١٠٦٦هـ . ذكر المترجمون أن النابلسي داوم على صحبة هذا الشيخ مدة طويلة ، وقرأ عليه العلوم .

١٨ - الشيخ : محمد بن يحيى بن تقي الدين بن عبادة بن هبة الله ، الملقب كمال الدين الشافعي المقرئ المتوفى سنة ١٠٩٤هـ أخذ عنه النحو والمعاني والبيان ، والمنطق، والصرف ، وانتفع به في فنون أخرى .

***

تلامذته :

لقد كان وما زال وسيظل كل علم بارز محط الرحال ، ومنار السبيل يؤمه طلاب العلم والمعرفة في كل أنحاء العالم الإسلامي .

إذا كنا الآن نفتقد الرحلة في طلب العلم بمعناها القديم بالذهاب إلى أحد المشايخ فإن شهرة الأستاذ ، والدكتور في الجامعة الآن النابه والنابغ في عصرنا الحديث ، الذي يشار إليه بالبنان ، ويحفظ عنه العلم يدفع بالطلاب إلى الشهادة لنبوغه ومعرفته، إن النابلسي كان يتمتع بشهرة واسعة ، وعلم غزير ، قصده مئات بالرحلة في بلده طلبًا العلم .

ومن الفوائد الجليلة العظيمة في تلقي طلبة العلم أنهم متفاوتون في الفهم والتحصيل والحفظ والمذاكرة ، وهذه الفروق الفردية توسع من قاعدة الرؤية للشيخ ويسهل لهم تناوله كل من زاوية محددة تكون إحداهما علمية والأخرى نفسية وثالثة خطابية ورابعة قدرة على مواجهة المحن والشدائد التى تواجه هؤلاء الأئمة الكبار .

لم يكن الإمام موجهًا فقط للطلاب في التحصيل العلمي يبين لهم ما ينبغون فيه ويتفوقون فإنه يساعد في نفس الوقت على حل مشاكل الناس وبالأخص مشاكل الطلاب المغتربين ، لهذا لازمه كثير من الطلاب فترة طويلة ، لقد بلغ تلامذته ما يربو على مائة وعشرين تلميذًا نجيبًا منهم : -

١- إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن أحمد الدمشقي ، المعروف بابن الحكيم المتوفى سنة ١١٩٢هـ .

٢- إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن محمد الدمشقي الحنفي ، والمعروف بالدكدجي ، والمتوفى سنة ١١٣٢هـ .

٣- أحمد بن سليمان بن إسماعيل بن تاج الدين الدمشقي ، المحاسنى ، المتوفى سنة ١١٤٦هـ .

٤- أسعد بن محمد بن عبد الكريم بن حمد الدمشقي ، المعروف بالعبادي المتوفى سنة ١١٢٥هـ .

٥- أسعد بن حمد بن علي بن حمد ، المعروف بابن الطويلة كان من أدباء دمشق ، المتوفى سنة ١١٤٩هـ .

٦- إسماعيل بن عبد الغني بن إسماعيل النابلسي ، ولده .

٧- حسين بن مصطفى البغدادي المولد ، الدمشقي القادري النقشبندي .

٨- حسين بن طعمة بن حمد الشافعي الدمشقي ، الشهير بالبيتماني .

٩- خليل بن أسعد بن أحمد بن كمال الدين الصديقي الدمشقي الحنفي المتوفى سنة ١١٧٣هـ .

١٠- رحمة الله بن عبد المحسن بن يوسف بن أحمد الشهير بالأيوبي .

١١- عبد الرحمن بن حسين بن موسى بن عبد الله الكردي .

١٢- محمد بن أحمد بن سالم بن عبد القادر الدمشقي الشهير بالكفيري .

١٣- محمد بن عبد الرحمن بن زين العابدين بن زكريا الشهير بابن الغزي .

١٤- الشيخ محمد بن كمال الدين عمر بن علي بن سليمان السفاريني النابلسي الحنبلي .

١٥- مصطفى بن كمال الدين بن علي بن كمال الدين بن عبد القادر الصديقي الحنفي البكري المتوفى سنة ١١٦٢هـ .

١٦- يحيى بن عبدالرحمن بن تاج الدين بن محمد بن أبي بكر بن موسى الحنفي المعروف بالتاجي .

١٧- يوسف بن إسماعيل بن عبد الغني بن إسماعيل الدمشقي الحنفي النابلسي .

صفاته الخِلقية والخُلقية

اتسم الشيخ عبدالغني النابلسي بصفات طيبة ورد ذكر بعضها في رسالة لحسين ابن طعمة البيتماني تعرف باسم : المشرب الهني المقدسي في ترجمة الشيخ عبد الغني النابلسي ورقة [٨] تحت رقم [٣٩٨٣ تاريخ] دار الكتب المصرية ، وهي :

- كان الشيخ عبد الغني النابلسي - رحمه الله - طويل القامة .
- معتدل الجسم ، أبيض اللون ، كامل الخلقة .
- بشوشًا متواضعًا ، نير الوجه .
- مصون اللسان عن اللهو والرفث والشتم .
- لا يخوض فيما لا يعنيه ، ولا يحق على أحد .
- يحب الصالحين والفقراء ، وطلبة العلم ، ويكرمهم ، ويجلهم .
- يبذل جاهه بالشفاعات الحسنة .

- يقضي حوائج الفقراء والمحتاجين عند الحكام بإرسال كلامه ولا يمن عليهم .
- محافظته على الفرائض ، والسنن .
- قيامه بآداب الشريعة ، وأحكامها ، والتزام حدودها .
- يقبل الهدية من غير الحكام .
- يفرح بالفقراء إذا قدموا إليه .

ثناء العلماء عليه :

أثنى على الشيخ عبد الغني النابلسي كل مَنْ ترجم له ، وهـذه بعض كلمات مما قالوا :

١- قال المحبي في ريحانة الأدب [٣/٢٩٨] عنه : في تراجم بعض أعيان دمشق في سعة ثقافة النابلسي بعد هذا أطال في وصفه :

«لم يَجُلْ في وهم عاقل وجودُ مثله ، ولا في علم كامل كفضله وعقله ، أخذ ظواهر العلوم عن أربابها ، وتمسك من البواطن بأنسابها ، وله في كل فن تأليف كادت أن لا يدركها الحصر ، وتصانيف لم يبلغها أحد من أهل العصر ، ولطائف أشعار لو رامت جمعها الأقلام ، لغرقت في أبحرها ، ولم تنل منها المرام» .

٢- ويقول جرجي زيدان عنه في تاريخ آداب اللغة العربية [٣/٣٤٨] :

الرحالة المتصوف الشهير ، تيتم صغيرًا ، ودخل في الطريقة القادرية والنقشبندية وأخذ في درس علوم القوم ، وخصوصًا ابن عربي ، وعفيف الدين التلمساني ... .

وكان له اطلاع واسع على علوم تلك الأيام ، ويلقبونه بأستاذ الأساتذة ، وأكثر من التأليف حتى ناهزت كتبه تسعين كتابًا في التصوف والرحلة والآداب واللغة والشعر والمنطق» .

مصادر ترجمته :

تنوعت المصادر التي ترجمت للشيخ عبد الغني النابلسي على الرغم من أنه من المتأخرين فقد توفى سنة ١١٤٣هـ ومع ذلك فقد ورد ذكر اسمه في العديد من هذه المراجع مما يؤكد رسوخه عند القوم ، وشهرته الواسعة وهـذه بعض المصادر التى ترجمت له :

١- الأعلام لخير الدين الزركلي ٤/١٥٨

٢ ـ إيضاح المكنون ٨/١، ١١/٢
٣ ـ تاريخ آداب اللغة العربية جرجي زيدان ٣٤٨/٣
٤ ـ تراجم بعض أعيان دمشق ص ٦٧
٥ ـ جامع كرامات الأولياء ٨٥/٢
٦ ـ الخزانة التيمورية ٢٩٨/٣
٧ ـ ريحانة الأدب ٨٩/٦
٨ ـ سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ٣٠/٣
٩ ـ عجائب الآثار ١٥/١
١٠ ـ العقد السني في مزايا الشيخ عبد الغني لوحة ٣ تحت رقم ٣٩٨٥ تاريخ
١١ ـ معجم المطبوعات فؤاد سركيس ١٨٣٢/٢
١٢ ـ معجم المؤلفين رضا كحالة ٢٧١/٥ـ٢٧٣
١٣ ـ الفتح الجني في بعض مآثر الشيخ عبد الغني لوحة ٢ رقم ٣٩٨٧ تاريخ
١٤ ـ فهرس المكتبة الأزهرية ٤٦٩/١ـ ٥٤٤، ٧٦/٢
١٥ ـ فهرس الخديوية ٢٣٨٩/١، /٥
١٦ ـ فوائد الارتحال لوحة ٢٨٢/٣ تحت رقم ١٠٩٣ تاريخ دار الكتب المصرية
١٧ ـ لطائف المنة لوحة ٢٨ تحت رقم ٣٧٨ مصطلح الحديث
١٨ ـ المشرب الهني القدسي لوحة (٢) تحت رقم ٣٩٨٣ تاريخ
١٩ ـ نفحة الريحانة ٧٢/٢
٢٠ ـ هدية العارفين ٥٩٠/١ـ٥٩٤
٢١ ـ الوارد الأنسي والوارد القدسي لوحة ١٢ تحت رقم ١٩٨٢ تاريخ دار الكتب المصرية

مؤلفات الشيخ عبد الغني النابلسي «مرتبة أبجديا»

- إتحاف الساري في زيارة الشيخ مدرك الغزالي . «خ»
- إتحاف من بادر إلى حكم النوشادر. خ
- إزالة الخفى عن حلية المصطفى ﷺ . «خ»
- إسباغ المنة في أنهار الجنة. «خ»

- اشتباك الأسنة في الجواب عن الفرض والسنة. - خ - .
- إشراف المعالم في أحكام المظالم. - خ - .
- إطلاق القيود في شرح مرآة الحدود. - خ - . (٢٧٥ تصوف) د.
- أنس الخاطر في معنى «من قال : أنا مؤمن فهو كافر». - خ - .
- إيضاح الدلالات في سماع الآلآت طبع في دمشق سنة ١٣٠٢ وطبع مع كتاب المقامات لأبي حيان التوحيدي.
- إيضاح المقصود من معنى وحدة الوجود. - خ - . (٦٨٧ علم الكلام). د.
- الابتهاج في مناسك الحجاج. - خ - .
- الأبحاث المخلصة في حكم المخمصة. - خ - .
- الأبيات النورانية في ملوك الدولة العثمانية. - خ - .
- الأجوبة الأنسية عن الأسئلة القدسية. - خ - .
- الاقتصاد في النطق بالضاد. - خ - .
- الأنوار الإلهية شرح مقدمة السنوسية - خ - (١- علم الكلام) - د - .
- الأوراد الشريفة المجموعة من الكتاب والسنة - ط - دمشق ١٩٨٣ .
- بداية المريد ونهاية السعيد. - خ - .
- بذل الإحسان في تحقيق معنى الإنسان. - خ - .
- بذل معنى الصلاة في مسائل الطهارة والصلاة. - خ - .
- برهان الثبوت في تبرئة هاروت وماروت. - خ - .
- بسط الذراعين بالوصيد في بيان الحقيقة والمجاز. - خ - .
- بغية المكتفي في جواز المسح على الخف الحفي. - خ - .
- بواطن القرآن ومواطن الفرقان . نظم على قافية الثاء ، ووصل في ذلك إلى سورة براءة ، ويزيد هذا النظم المذكور على خمسة آلاف بيت .
- تثبيت القدمين في سؤال الملكين. - خ - .
- تحريك الإقليد في فتح باب التوحيد (٢٦٣ تصوف) - د - .
- تحريك سلسلة الوداد في مسألة خلق أفعال العباد - خ - .
- تحصيل الأجر في أذان الفجر. - خ - .
- تحفة الذوق والرشف في معنى المخالفة الواقعة بين أهل الكشف. - خ - .

ـ تحفة ذوي العرفان في مولد سيد بني عدنان - ط - الفيحاء دمشق . ٣٢١ـ
ـ تحفة الراكع والساجد في جواز الاعتكاف في فناء المساجد - خ - .
ـ التحفة النابلسية في الرحلة الطرابلسية - خ - .
ـ تحفة الناسك في بيان المناسك - خ - .
ـ تحقيق الانتصار في اتفاق الماتريدي والأشعري على خلق الاختيار - خ - .
ـ تحقيق معنى العبود في صورة كل معبود . - خ- .
- تحقيق النظر - خ- .
- تشحيذ الأذهان في تطهير الأدهان - خ- .
- تطييب النفوس في حكم المقام والرءوس خ . ٢٤٠- فقه تيمور - د - .
- تعطير الأنام في تعبير المنام ، فرغ من تأليفه سنة ١٠٩٦ هـ ، طبع بمصر ١٢٧٥هـ وله عدة طبعات .
- تقريب الكلام على الأفهام في معنى وحدة الوجود - خ - .
- تكميل النعوت في لزوم البيوت - خ - .
- التنبيه من النوم في حكم مواجيد القوم - خ - .
- تنبيه من يلهو عن علمية اسم الله - خ - .
- توفيق الرتبة في تحقيق الخطبة - خ-
- جمع الأسوار ومنع الأشرار في الطعن في الصوفية الأخيار أهل التواجد في الأفكار - خ- [٤٠٨] - د- .
- جمع الأشكال ومنع الإشكال - خ- .
- الجواب الشريف للحضرة الشريفة في أن مذهب أبي يوسف ومحمد هو مذهب أبي حنيفة رحمهم الله تعالى - خ- .
- الجواب الكلي عن حال الولي - خ- .
- جواهر النصوص في حل كلمات الفصوص - ط- بالقاهرة سنة ١٣٢٣هـ .
- الجوهر الكلي في شرح عمدة المصلي المعروف بالكيدانية - خ- .
- الحاصل في الملك والمحمول في الفلك في أخلاق النبوة والرسالة والخلافة - خ- .
- الحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية [وهو هذا والذي تم لي بحمد الله

تحقيقة وسوف نفرد له دراسة]

- الحضرة الإنسية في الرحلة القدسية . وصف بها رحلته من دمشق إلى القدس .

- حق اليقين وهداية اليقين - خ- .

- الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز - خ- . [٧٣٢- تاريخ تيمور].

- حلية الذهب الإبريز في رحلة بعلبك والبقاع العزيز - خ- .

- حلاوة اللؤلؤ في التعبير إجمالاً - خ- .

- الحوض المورود في زيارة الشيخ يوسف والشيخ محمود- خ- [ب ٢٣١٨٦] .

- خمرة بابل وغنية بلابل في الغزليات - خ- مكتوبة بخط معتاد سنة ١٣٢٠ ، ٢٢٣ ق .

- خمرة الحان ورنة الألحان شرح رسالة الشيخ أرسلان - ط- مطبعة التضامن الأخوين - القاهرة سنة ١٩٣٢م .

- خلاصة التحقيق في حكم التقليد والتلفيق - خ- [ب ٣٢٦٠٤] - د- .

- الدر الثمين في إبطال أقوال الملحدين - خ- [١٥٥٧علم الكلام] - د- .

- رفع الإيام ورفع الإبهام - خ- [٧٠ تصوف حليم] - د- .

- ديوان الحقائق ومجموع الرقائق في صريح المواجيد الإلهية والتجليات الربانية والفتوحات القدسية . وهو الباب الأول من ديوان الدواوين وريحان الرياحين في تجليات الحق المبين . بولاق ١٢٧٠ ، مطبعة الشرف ١٣٠٦هـ بالقاهرة سنة ١٣٣٠ ، ودار الطباعة بالقاهرة سنة ١٢٧٠هـ .

*ولقد أهدى إلي فضيلة مولانا الشيخ الجليل المرحوم المهند حامد إبراهيم أحمد مؤسس مكتبة المصطفى ﷺ ١٧ ش وحدة الدمرداش بالعباسية - القاهرة للاطلاع العام فقط- بعض قصائد هذا الديوان المطبوع في دار الجيل ببيروت لبنان سنة ١٩٨٦م وأثبتها تبركًا في كتابي تحقيق كتاب [الغرائب والأفراد للدارقطني لابن القيسراني ت ٥٠٧] طبع [١/٢١٨، ٢١٩ ، ٢٢٠] طبعة دار الكتب العلمية ببيروت .

- ديوان الإلهيات - خ- [٧٩٠ الزكية] - د- .

- ذخائر المواريث في الدلالة على موضع الأحاديث وله عدة طبقات وهو

وتعطير الأنام أشهر كتبه على الإطلاق .
- رائحة الجنة شرح إضاءة الدجنة - ط- القاهرة مطبعة مصطفى البابي الحلبي
- الرحلة الحجازية والرياضة الأنسية في الحوادث والمسائل العلمية طبع بالقاهرة
- رد الجاهل إلى الصواب في جواز إضافة التأثير إلى الأسباب - خ- .
- الرد المتين على منتقص العارف محيي الدين - خ- [٤١٦٧ تصوف] - د-
- رد المفترى عمن طعن في التسترى - خ- .
- الرد الوفي على جواز الحصكفي في الخف - خ- .
- رشحات الأقلام شرح كفاية الغلام ط القاهرة سنة ١٣٢٢هـ .
- رفع الريب عن حضيرة الغيب - خ- .
- رفع الاشتباه عن علمية اسم الله - خ- .
- روض الأنام في بيان الإجازة في المنام - خ- .
- الروض المعطار بروائق الأشعار - خ- .
- زبدة الفائدة في الجواب عن الأسئلة الواردة - خ- .
- زهرة الحديقة في ترجمة رجال الطريقة - خ- .
- زيادة البسطة في بيان العلم نقطة - خ- .
- السر المختبى في ضريح ابن العربي - خ- .
- سرعة الانتباه لمسألة الاشتباه - خ- .
- شرح منظومة المفرية - خ- .
- الشمس على جناح الطائر في مقام الواقف السائر - خ- .
- الصراط السوي شرح ديباج المثنوي .
- مدح الجماعة في شروط الإمامة - خ- .
- صرف الأعنة إلى عقائد أهل السنة - خ- .
- صرف العنان إلى قراءة حفص بن سليمان - خ- .
- صفوة الأصفياء في بيان الفضيلة من الأنبياء - خ- .
- الصلح بين الإخوان في حكم إباحة الدخان ط المكتبة السلفية ١٣٤٣ هـ .
- الطلعة البدرية في شرح العقيدة المصرية . ط القاهرة سنة ١٢٩٧ هـ .
- طلوع الصباح على خطبة ضوء الصباح - خ- .

- الظل الممدود في معنى وحدة الوجود - خ- . [١٣٦- تصوف تيمور] - خ- .
- العقود اللؤلؤية في الطريق المولوية ط مطبعة المقتبس بدمشق سنة ١٣٢٩هـ .
- عيون الأمثال لقديم الأمثال - خ- .
- غاية الوجازة في تكرار الصلاة على الجنازة - خ- .
- الغيث المنجس في حكم المصبوغ بالنجس - خ- .
- فتح الأغلاق في مسألة عليَّ الطلاق - خ- .
- الفتح الرباني - ط المطبعة الكاثولوكية ببيروت سنة ١٩٦٠ .
- فتح القدير في الجمع لكتب السنة وموطأ مالك - خ- .
- الفتح الكبير - بفتح راء التكبير - خ- .
- الفتح المدني والنفس اليمني - خ- [١٣٩٧ تصوف - طلعت] - د- .
- فتح المعيد المبدئ شرح منظومة سعدي أفندي - خ- [١٤٦٦- علم الكلام] .
- قلائد الفرائد في موائد الفوائد - خ- .
- قلائد المرجان في عقائد الإيمان - خ- .
- القول السديد في جواز خلف الوعيد والرد على الرجل العنيد - خ- .
- القول العاصم في قراءة حفص بن عاصم - خ- .
- القول المتين في بيان توحيد العارفين مطبعة الشرف سنة ١٣٤٤هـ .
- القول المعتبر في بيان النظر - خ- .
- كشف الستر عن فريضة الوتر ط . مطبعة السعادة القاهرة سنة ١٩٥١م .
- كشف السر الغامض شرح ديوان ابن الفارض - ط مطبعة الشرف سنة ١٣٠٦هـ ، وطبع بولاق سنة ١٢٨٩هـ ، وفي المطبعة الخيرية سنة ١٣٢٠هـ ، والمطبعة الأزهرية سنة ١٣٢٩ هـ .
- كشف النور عن أصحاب القبور - خ- .
- الكشف والبيان عن أسرار الأديان - خ- .
- الكشف والبيان عما يتعلق بالنسيان - خ- .
- كفاية الغلام في أركان الإسلام على مذهب أبي حنيفة النعمان مطبوع .

- كفاية المستفيد في علم التجويد - خ- .

- كنز الحق المبين في أحاديث سيد المرسلين [٣٨٨٠] حديثًا اختصرها من كنوز الحقائق للمناوي ، فرغ من تأليفه ١٠٧٧ هـ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم [١٨٥٧ حديث] .

- الكواكب المشرقة في حكم استعمال المنطقة من الفضة - خ- .

- الكوكب الساري في حقيقة الجزء الاختياري ط المطبعة العلمية سنة ١٩٣١هـ.

- كوكب المباني وموكب المعاني في شرح صلوات الشيخ عبد القادر الجيلاني - خ- [١٦٠٣- تصوف] - د- .

- الكوكب المتلالي شرح قصيدة الغزالي - ط- حلب مطبعة ربيع ١٩٦٢ م .

- الكوكب الوقاد في حسن الاعتقاد - خ - .

- لطائف الأنسية في شرح نظم السوسية - خ - [١٣٦٧ علم الكلام] - د- .

- لمعان الأنوار في المقطوع لهم بالجنة والمقطوع لهم بالنار - ط- مطبعة السعادة بالقاهرة سنة ١٣٧٢ هـ .

- لمعان البرق النجدي ، وهو شرح على التجليات الإلهية - خ - [١١٩١ تصوف طلعت] - د- .

- المطالب الوفية شرح الفوائد السنية - خ - [١٤٦٣ علم الكلام] - د- .

- معارف الغيبية - خ - [١٣٩٧ تصوف طلعت] - د- .

- مفتاح المعية في الطريقة النقشبندية - خ - [٣٢٣٨ تصوف] - د- .

- المقاصد الممحصة في بيان كي الحمصة - خ - [١١٧٤ فقه حنفي] - د- .

- مليح البديع في مدح الشفيع - خ- .

- نخبة المسألة شرح التحفة المرسلة - ط مطبعة الشرف القاهرة ١٣٤٢هـ .

- نزهة الواجد في الصلاة على الجنازة في المساجد - خ- .

- نسمات الأسحار في مدح النبي المختار بولاق ١٢٩٩هـ ص٣٤٨ - دمشق ١٢٩٩هـ - ١٨٨٣م ص ٥٠٦ .

- النسيم الربيعي في التجاذب البديعي طبع بولاق ١٤٩٩هـ .

- الفحم السوابغ في إحرام المدني من رابغ - خ- .

- نفحة البتول في مدحة الرسول - خ- .[ت٤١٢٢٤٧ / - د-] .

- نقود الشرر شرح عقود الدرر فيما يفتى به من أقوال الإمام زفر - خ- [١٣٠٦- فقه حنفي]- ح .
- نهاية السول في حلية الرسول ﷺ - خ- .
- نهاية المراد شرح هداية ابن العماد - خ- [٢١٢٢ فقه حنفي] - د- .
- النوافح الفائحة بروائح الرؤيا الصالحة - خ- .
- نور الأفئدة في شرح المرشدة لأبي الليث - خ- .
- يوانع الرطب في بدائع الخطب شرح منظومة القاضي محب الدين - خ- [٣١٤٠] - د- .
- اللؤلؤ المكنون في أخبار ما سيكون .

ترجمة الشيخ محمد بركلي :

اكتفيت بما ذكره المصنف في أول كتاب الحديقة الندية عنه .

توثيق الشيخ عبد الغني النابلسي لنصوص الكتاب :

اختار الشيخ عبد الغني النابلسي المنهج العلمي القائم على التأصيل والتوثيق فهو لا ينقل حرفًا من كتاب يذكره حتى يحرر ما يقول ، ويوثق النصوص ، بمصادرها ، وهو بذلك يتحرى الأمانة العلمية ، ويدفع بقارئه إلى ضرورة الرجوع إلى هذه المصادر .

ولقد كانت مصادر الشيخ كثيرة ومتنوعة .

[١] فأول ما يطالعنا في الشرح المعجم اللغوي بمذخوره من الألفاظ والمعاني ، وضبط الكلمات فهو يقول مثلاً :

الفتوة : هي الكرم كذا في مختصر القاموس ، والفتي ، وهو الشخص الكريم يقال هو فتي بين الفتوة ، وقد تفتى وتفاتى ، والجمع فتيان ، وفتية ، وفتو على فعول وفتى مثل عصى . كذا في الصحاح .

فهذا الشرح يتبين منه :

١- ذكر مصادر نقل الضبط والمعنى وهما : مختصر القاموس والصحاح .
٢- اهتم بضبط عين الكلمة وفائها .
٣- يأتي بجميع مشتقات الكلمة من اسم الفاعل والمصدر والوزن ....إلخ .

٤- الاهتمام بالمعنى لأن مدار البحث عليه .

[٢] عند إيراد الحديث النبوي الشريف غالبًا ما يرجع إلى المصادر غير الأساسية مثل الجامع الكبير أو الصغير للسيوطي والحيوان للدميري وإن كان هذا ليس الغالب على منهجه فإنه رجع إلى البخاري ومسلم وأبي داود والترمذي .

(ج) أمدنا الشيخ في ثنايا شرحه بالعديد من أسماء كتبه .فهو يقول مثلاً : وقد صنفت رسالة في حكم التكلم بالعلوم والإشارات الحرفية سميتها اللؤلؤ المكنون في حكم الإخبار عما سيكون» .

[٣] النقل عن شيوخ الصوفية مثل الجنيد وذي النون المصري والبسطامي ، وهو لا يتورع في النقل عن الحلاج ، ومحي الدين بن عربي الذين يبثون سمومهم العقدية في كتبهم . ولقد سمعت الشيخ عبد الحميد كشك الداعية الإسلامي المعروف - رحمه الله - يقول : «إن محي الدين بن عربي أخطر على الإسلام من أمريكا وروسيا» .

- وبتوفيق من الله عز وجل قد رددت على هذه المواضع التي تحط من قدر العقيدة وتنأى بالمسلم عن صفاء الإسلام .

- وحديثه في بعض المواضع مثل التوسل والزيارة والتقرب من الأولياء لدي الشيخ رحمه الله مزالق كنا نربأ به أن يخوض فيها .

[٤] النقل عن كتب الفقه والشروح ، فهو ينقل عن منية المفتي ، والخانية ، والبزازية ، وفصول ابن العماد ، والخلاصة ، وجامع الفتاوى ، وهذه المصادر الفقهية الكثيرة تدل على باع الشيخ في الفقه الإسلامي ، وسعة اطلاعه على تلك الروافد .

[٥] النقل من كتب التفاسير :

احتفل الشيخ بالنقل عن البيضاوي في أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، والخازن ، والقرطبي ، وأبو حيان في البحر المحيط ، والطبري في تفسيره والألوسي ، ومصادر التفسير ذاخرة وعامرة وجمة .

***

منهج الشيخ عبد الغني النابلسي في كتاب الحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية

بعد ديباجة مليئة بالألفاظ الجميلة الدالة على صفاء الروح من الثناء على الله بما هو أهله ، وبيان آلائه ، وجزيل منحه ومواهبه وعطاياه ، وقدرته على العطاء ، ورحمته بالخلق جميعًا . ثم الصلاة والتسليم على سيد المرسلين ، وإمام الأنبياء ، القدوة والمثل الأعلى ، حبيب الحق ، وإمام الهدى ، وصفوة الخلق أجمعين ، الذي أحرز وسام «وإنك لعلى خلق عظيم» قام المصنف بالآتي :

١- التعريف بمؤلف كتاب «الطريقة المحمدية والسيرة الأحمدية».

الشيخ الإمام ، والمولى الهمام ، العالم العامل ، والفاضل الكامل محمد أفندي الرومي البركلي تغمده الله تعالى برحمته ، وأنزل عليه سحائب رضوانه ، وأسكنه فسيح جناته ، ثم ذكر والده . ومؤلفات الشيخ بركلي .

٢- وصف كتاب الشيخ بركلي فقال «وكتابه هذا ياله من كتاب لطيف ، وتأليف شريف ، مزج فيه المسائل الفقهيات بالمقامات الزهديات ، وجمع بين الفوائد العلميات ، والفوائد الاعتقاديات ، واتفق تحريره ، وأوضح تقريره .

ونصح فيه الأمة ، وأزال به عن القلوب الغمة».

٣- سبب شرحه

أ- ثم بين سبب شرحه فقال :

«وقد دعاني إلى شرحه بعض الأصحاب ولم يذكر اسمهم جعلني الله تعالى وإياه من المؤيدين بالعناية والصواب» .

ب- عدم وقوف الشيخ عبد الغني النابلسي على «شرح يكشف عباراته ، ويوضح ما أشكل عند القاصرين من إشارته».

جـ - وكان شرحه مبنيًا على أنه «شرح مختصر المباني ، مستجمع المعاني ، يجذب إلى محاسنه قلوب أهل الكمال ، ويصرف عن التطفل على موائد فوائد أهل التعصب من الجهال» .

٤- قام الشيخ عبدالغني النابلسي بذكر نص الرجل الشيخ محمد بركلي مسبوقًا بحرف (ص) ، وإذا شرحه سبق كلامه بحرف « ش ».

٥- الاستدلال على آرائه بآيات القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والشواهد الشعرية وكلام أئمة التصوف .

قسم الشيخ عبد الغني النابلسي كتابه إلى :

١- ثلاثة أبواب .

٢- قسم الأبواب إلى فصول .

٣- ثم قسم الفصول إلى أنواع .

الباب الأول :

قسمه النابلسي إلى ثلاثة فصول ، وفي الفصل الأول نوعان :

النوع الأول : في الاعتصام بالكتاب ثم ذكر اثنتى عشرة آية في هذا الموضوع ثم ذكر الآثار من أحاديث نبوية شريفة .

- استخدم المصنف في كتابه ثمانية وثلاثين رمزًا لمصادر كتب الحديث مثل البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه ، والبيهقي ، والدارقطني ، وابن الجارود ، وابن سعد ، وأبو نعيم في الحلية .

- **أما النوع الثاني :** فقد تحدث فيه عن الاعتصام بالسنة ، ثم ذكر في الدليل على الاعتصام بالسنة عشرين حديثًا .

- **الفصل الثاني :** في أقسام البدع .

استدل بستة أحاديث كأدلة على قبح البدع والنهي عنها ثم أجاب عن سؤال مؤداه أن ترك الواجب هل هو أشد من فعل البدعة ، ثم ذكر في كتاب الخلاصة مسألة تدل على خلافه .

- وبين أن مرجع الأحكام ومثبتها الكتاب والسنة ثم تكلم عن بدعية بعض المتصوفة وذكر أقوال العلماء في الإلهام .

ونقل أقوال السري السقطي وأبو يزيد البسطامي ، وأبو سليمان الداراني ، وذو النون المصري ، وبشر الحافي ، وأبو سعيد الخزاز ، ومحمد بن الفضل البلخي .

وكتب في الفصل الثالث عن الاقتصاد في العمل وذكر سبع آيات من القرآن الكريم وأحاديث من السنة النبوية .

الباب الثاني

اشتمل على الأمور المهمة في الشريعة .

وكان الفصل الأول في تصحيح الاعتقاد .

- وبيان معنى القديم
- وصفات المعاني والحياة

والقرآن الكريم كلام الله تعالى وغير مخلوق ، وجواز رؤية الله تعالى في اليقظة بالإبصار عقلاً ، وأن العالم في جميع صفاته حادث . وأن للعباد المكلفين بالأمر والنهي اختيارات ، والثواب يوم القيامة للمؤمنين المطيعين فضل من الله تعالى له وبينت أن عذاب القبر حق ، وتنعيم أهل الطاعة من المؤمنين ..إلخ ، وسؤال منكر ونكير ....إلخ ، والبعث والوزن ... إلخ ، ثم تكلم عن الحوض ، والصراط ، وشفاعة الرسل عليهم الصلاة والسلام ، والجنة ، والمعراج لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجميع ما أخبر به صلى الله عليه وسلم ، من أشراط الساعة ، وخروج الدابة من الأرض ، وخروج يأجوج ومأجوج ، ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام ، وطلوع الشمس من مغربها ، والكبيرة من الذنوب ، والله لا يغفر أن يشرك به ، والله يجيب الدعوات لعباده ، والإيمان والإسلام واحد ، والإيمان بهذا المعنى مخلوق ، وإيمان المقلد صحيح ، وفي إرسال الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام حكمة ، وأولهم آدم أبو البشر ، وهم أفضل من الملائكة ، ورسل الملائكة أفضل من عامة البشر ، وكرامات الأولياء الأحياء والأموات، وأفضلهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ونشهد بالجنة للعشرة المبشرة ، والمسلمون لابد لهم من إمام أي سلطان ، وتجوز الصلاة من الفرض والنفل خلف كل بر وفاجر ، وفي دعاء الأحياء للأموات نفع ، وأطفال المشركين ، وإصابة العين جائزة ، وكل مجتهد مصيب ، والاستخفاف بالشريعة كفر أي ردة .

الفصل الثاني :

في العلوم المقصودة لغيرها . الصنف الثاني : من الصنفين في العلوم هي فروض الكفاية .

النوع الثاني : من الأنواع الثلاثة في العلوم المنهي عنها ، أما السحر والينرنجات وهو نوع من السحر .

النوع الثالث : تمام الفصول الثلاثة في بيان النفوس ، وهو ثلاثة أنواع: الأول : في فضلها ، والثاني : في تفسيرها أي التقوى ، والنوع الثالث : في مجاري التقوى ، ومنكرات القلب وهي قسمان ، ومعنى الخلق .

ثم تكلم عن الأخلاق الذميمة وهى ستون خلقًا :

١- الكفر بالله . ٢- حب الرياسة الدنيوية .

٣- أمراض القلوب . ٤- الكفر الجحودي .

٥- خوف الذم والتعيير . ٦- حب المدح والثناء .

٧- اتباع الهوى . ٨- التقليد .

٩- الرياء . وفيه مباحث سبعة وهي :

- تعريفه ، فيما به الرياء - في بيان الرياء الخفي ، في بيان أحكام الرياء .

- في بيان أمور مترددة بين الرياء والإخلاص .

- أبحاث الرياء السبعة ومداواة الرياء .

١٢- آفات القلب ، وفيه خمسة أبحاث :

- في أقسام الكبر .

١٣- في أسباب وجود الكبر - في علامات الكبر والتكبر - الكبر والتكبر في بيان أسباب الضعة .

١٤- العجب

١٥- الحسد وفيه مباحث :

- بيان غوائل الحسد ، العلاج أي المداواة للحسد بيان العلاج القلعي .

١٦- الحقد ١٧- الشماتة .

١٨- هجر المؤمن وعداوته ١٩- الجبن .

٢٠- التهور ٢١- الغدر

٢٢- الخيانة . ٢٣- خلف الوعد .

- المقام الخامس في الغضب ، وفي بيان الحلم وفيه ثلاثة مقاصد - في فوائد الحلم ، في ثمراته ، في بيان طريق تحصيل الحلم .

٢٤- سوء الظن ٢٥- الجبن

٢٦-الإسراف والتبذير ٢٧- البخل ، غوائل البخل

٢٨- طول الأمل مع حب الدنيا ، ذم حب الدنيا ، ثمرات حب الدنيا وذمها .

٣٠- الحرص ٣٢- البطالة

٣٣- الخلف ٣٤- التسويف

٣٥- الفظاظة
٣٦- الوقاحة
٣٧- الجزع
٣٨- كفران النعمة
٣٩- السخط
٤٠- تعليق الخاطر بما عند الله تعالى
٤١- حب الفسقة .
٤٢- بغض العلماء
٤٣- الجراءة المذمومة
٤٤- اليأس
٤٥- الحزن في فوات الدنيا
٤٦- الخوف في فوات أمر الدنيا
٤٧- الغش
٤٨- الفتنة
٤٩- المداهنة
٥٠- الأنس بالناس
٥١- الطيش والخفة .
٥٢- العناد
٥٣- التمرد
٥٤- الصلف
٥٥- النفاق
٥٦- الجربزة
٥٧- البلادة
٥٨- الشره
٥٩- الخمود
٦٠- الإصرار على المعاصي .

- ثم ذكر منظومة ذكر فيها هذه الأخلاق المذمومة ثم ذكر منظومة فيها الأخلاق المحمودة .

الصنف الثاني : في بيان آفات اللسان

١- في وجوب حفظه
٢- في آفات اللسان

المبحث الأول من المباحث الستة في بيان الكلام الذي الأصل فيه الحظر ، وهو ستون نوعًا .

١- كلمة الكفر والعياذ بالله
٢- ما فيه خوف الكفر
٣- الخطأ
٤- الكذب
٥- من آفات اللسان
٦- الغيبة
٧- النميمة
٨- السخرية
٩- اللعن
١٠- السب وهو الشتم
١١- الفحش
١٢- الطعن والتعيير
١٣- النياحة
١٤- المراء
١٥- الجدال
١٦- الخصومة
١٧- الغناء
١٨- الإفشاء أي نشر وإظهار السر
١٩- الخوض في الباطل

٢٠- السؤال أي طلب المال ٢١- سؤال أي بحث وتفتيش العوام
٢٢- السؤال من الناس عن المسائل المشكلات ٢٣- الخطأ ضد الصواب
٢٤- النفاق القولي ٢٥- مصائب اللسانين ٢٦- الشفاعة السيئة
٢٧- الأمر بالمنكر من الأقوال والأعمال والأحوال ٢٨- غلظة الكلام
٢٩- التفتيش عن عيوب الناس
٣٠- افتتاح الجاهل من الناس الكلام في علم أو غيره .
٣١- التكلم عند الأذان والإقامة ٣٢- الكلام في الصلاة
٣٣- الكلام في حال الخطبة . ٣٤- كلام الدنيا بعد طلوع الفجر
٣٥- الكلام في الخلاء .
٣٦- الكلام بخير أو شر عند الجماع ٣٧- الدعاء بالشر لإنسان مسلم .
٣٨- الدعاء للكافر والظالم ٣٩- الكلام عند قراءة القرآن .
٤٠- كلام الدنيا في المساجد بلا عذر . ٤١- وضع لقب سوء لمسلم .
٤٢- اليمين الغموس ٤٣- اليمين أي الحلف بغير الله .
٤٤- كثرة الحلف على الأشياء ، ولو كان على الصدق .
٤٥- سؤال أي طلب الإمارة ٤٦- طلب تولية الأوقاف
٤٧- طلب الإنسان الوصاية ٤٨- وصاية الإنسان على نفسه .
٤٩- رد الإنسان عذر أخيه وعدم قبوله . ٥٠- تفسر آيات القرآن برأيه .
٥١- إخافة المؤمن بالله تعالى . ٥٢- قطع كلام الغير ، وقطع حديثه .
٥٣- رد التابع كلام متبوعه . ٥٤- السؤال عن حل الشئ وعن حرمته
٥٥- تناجي اثنين عن الثالث . ٥٦- التكلم مع المرأة الشابة .
٥٧- السلام على الذمي ٥٨- السلام على من يتغوط أو يبول .
٥٩- الدلالة على الطريق ونحوه لمن يريد المعصية .
٦٠- تمام الأنواع كلها الإذن والإجازة فيما هو معصية .

المبحث الثاني : من المباحث الستة فيما الأصل فيه من العادات التي لا يتعلق بها نظام المعاش ، وهو ستة أشياء .

المبحث الثالث : من المباحث الستة التي هي في آفات اللسان تفصيلا فيما الأصل فيه الإذن من العادات التي يتعلق بها النظام ، المبحث الرابع : في آفات

اللسان تفصيلاً ، ....إلخ .

مصادره اللغوية :

تعريف اللغة : هي أصوات ، يعبر بها كل قوم عن أغراضهم .

حد هذا الفن : فهو علم يبحث فيه عن مفردات الألفاظ الموضوعة من حيث دلالتها على معانيها بالمطابقة .

موضوع علم اللغة : إن موضوع علم اللغة المقرر الحقيقي ، ولذلك حده بعض المحققين فقال : «علم اللغة هو علم الأوضاع الشخصية للمفردات» .

غايته : الاحتراز عن الخطأ في حقائق الموضوعات اللغوية ، والتمييز بينها ، وبين المجازات ،والمنقولات العرفية .

قال بعض المحدثين : معرفة مفردات اللغة نصف العلم ، لأن كل علم تتوقف إفادته ، واستفادته عليها .

حكمه : أنه من فروض الكفايات كما ذكر السيوطي في المزهر أول النوع الحادي والأربعين ، قال : «لأن به تُعرف معاني ألفاظ القرآن الكريم والسنة ، ولا سبيل إلى إدراك معانيهما إلا بالتبحر في علم هذه اللغة ، كان رضي الله عنه يقول : «لا يقرئ القرآن إلا عالم باللغة» .

ولذا قال بعض العلماء :

حفظ اللغات علينا ... فرض كحفظ الصلاة

فليس يحفظ دين ... إلا بحفظ اللغات

منافع في اللغة :

قال المناوي في شرحه على القاموس : «من منافع فن اللغة التوسع في المخاطبات والتمكن من إنشاء الرسائل بالنظم والنثر» .

ومن عجائبه : التصرف في تسمية الشيء الواحد بأسماء مختلفة لاختلاف الأحوال كتسمية الصغير من بنى آدم : ولدًا وطفلاً ، ومن الخيل : فوًا ومهرًا ، ومن الإبل : حوارًا وفصيلاً ، ومن البقر : عجلاً ، ومن الغنم : سخلة ، ومن الكلاب : جروًا ، ومن السباع : شبْلا ، ومن الحمير : جحشًا وتولبًا وهنبرًا [1]

---

(١) القاموس المحيط (٧/١)

اعتمد الشيخ عبد الغني النابلسي في كتابه «الحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية» على مصادر لغوية جمة منها :

١- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، للعلامة أحمد بن محمد بن علي ابن المقري الفيومي المتوفى سنة ٧٧٠ .

واعتمدت في توثيقه على طبعة ١٩٢١م ، ١٩٢٢م ، ١٩٢٥م ، بالمطبعة الأميرية بالقاهرة .

٢- القاموس المحيط لمجد الدين الفيروزآبادي

وهو مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي الطبعة الثانية سنة ١٣٧١هـ ، ١٩٥٣م بشركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .

٣- مختصر القاموس المحيط

٤- الصحاح للجوهري إسماعيل بن حماد طبع دار العلم للملايين .

٥- وكتاب : العين للخليل بن أحمد .

٦- وكتاب : الجمهرة لابن دريد ، والجمل لابن فارس ، ونقل عن اللغويين ، الأصمعي ، وأبو العباس ، يحيى بن ثعلب ، وابن خالويه ، والزجاج ......الخ .

علاقة الكتاب بعلم التربية

التربية هي تهذيب الأخلاق وتدريب للسلوك ، وحفظ اللسان والفرج ، والنظر واليد ، والأذن عن المعاصي .

وإذا كان الخلق هو تلك السجية التي يكون عليها الإنسان وهو قابل للتعديل ، بل وقابل للقياس التربوي .

والمؤلف تكلم عن ستين خلقًا من الأخلاق الذميمة واهتم بالسلوكيات مثل : خلف الوعد ، والعجلة ، والرياء والمدح والثناء والكبر ، والعجب والحسد ، والبخل ، والسخط ، وهذه أخلاق مذمومه لا سيما أن الشخص يكون حريصًا على ذلك .

فالنابلسي قد بين كيفية مقاومة الأخلاق السيئة بالتحلي بالفضائل والسلوك القويم المستمد من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ .

- وتكلم عن آفات اللسان ووجوب حفظه .

- وتكلم عما فيه من خطر وهو الكفر ، والغيبة ، والنميمة ، والسخرية ، واللعن ، والشتم ، والفحش ، والتعيير ، والنياحة ، والمراء ، والجدال ، والخصومة، والباطل ، وهي كلها أخلاق مذمومة .

كان الهدف منها تهذيب الأخلاق ورفع الهمة بالسلوك القويم ، والعمل الصالح ، والرجوع إلى الله ، والكتاب يفيد علماء التربية إفادة جادة في بيان السلوكيات الحسنة والسلوكيات السيئة .

أهمية الكتاب الحديثية :

احتفل الشيخ عبد الغني النابلسي بذكر المئات من الأحاديث النبوية في كتابه : كان يشير إلى مراجع هذه الأحاديث ، وبضرورة كان ينقل من كتاب بدون أسانيد والشيخ لم يحفل ببيان درجة الحديث إلا قليلاً وهو غارق إلى أذقانه في بحار الصوفية وأعني بذلك الاحتفال بالأحاديث الضعيفة وللأسف فإن الشيخ لم يتورع عن ذكر الأحاديث الموضوعة ، وكنا نتمنى أن يبعد عن ذلك فهو لم يذكر الأحاديث الموضوعة بل ذكر الأكاذيب والأباطيل من أقوال الصوفية بل المتخبطين منهم في غياهب البعد عن الحق ، كالحلاج وابن عربي .... وغيرهم الكثير .

ومع هذا فكمّ الأحاديث الصحيحة كثير ، لذا بينت ذلك جيدًا وقمت بتخريجه ، والشيخ استخدم الرموز التي لدى علماء الحديث سواء في الإسناد أو في الرمز للكتب فرمز لما لا يقل عن ثلاثين كتابا في الحديث النبوي برموز اختصارًا ، كما جرى العرف بذلك عند رجال الحديث .

وهو يذكر الحديث منسوبًا لمن أخرجه مع ذكر الصحابي الجليل الذي روى هذا الحديث .

وترجع أهمية معرفة النابلسي بالحديث إذ إنه مصنف ذخائر المواريث وبه أكثر من خمسة آلاف حديث نبوي برموز الكتب التي أخرجت هذه الأحاديث .

عملي في الكتاب :

بعد أن قمت بنسخ الكتاب ومقابلته على النسخة المطبوعة ببولاق منذ أكثر من مائة وخمسين سنة . والمودعة بمكتبة المصطفى ﷺ قمت بالآتي :

١ ـ عزو الآيات القرآنية بذكر السورة والآية ورقمها .

٢ ـ تخريج الأحاديث النبوية التي ذكرها المصنف والحكم عليها ؛ لمعرفة درجة الحديث .

٣ ـ التوثيق من المعاجم اللغوية مثل المصباح المنير والقاموس المحيط ... إلخ

٤ ـ التوثيق للنصوص المنقولة من كتب التفسير وكتب الفقه .

٥ ـ التعريف بالأعلام تعريفًا موجزًا

٦ ـ شرحت بعض المفردات الغريبة

٧ ـ خرجت الأشعار من مصادرها ما أمكن إلي ذلك سبيلاً

٨ ـ أعددت مقدمة متضمنة لترجمة الشيخ عبد الغني النابلسي والتعريف في الترجمة للشيخ محمد بركلي إلى ما ذكره النابلسي في مقدمة الكتاب وبينت قيمة الكتاب وأهميته في الدراسات الأخلاقية والحديثية والتربوية .

المحقق

محمود نصار

الجهاد في الإسلام

لم يدفعني للكتابة عن هذا الموضوع إلا ما يحدث للمسلمين في فلسطين وفي الشيشان وفي الفلبين وكوسوفو ، والبوسنة والهرسك ، وفي أريتريا وفي العديد من أنحاء العالم

لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها .

ليت أكون معكم في خندق مواجهة أعداء الله ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ إن اليهود قتلة الأنبياء ، أياديهم ملطخة بالدماء وهم جبناء .

قلت في كتابي فضائل مصر «فقد وقع القحط مع يعقوب وبنيه مما دفعهم إلى دخول مصر في عهد الملوك الرعاة فأقاموا بالدلتا واستعبدهم المصريون فسئم أبناؤهم من بؤسهم فاغتنموا فرصة فتن اشتغلت ففروا من بلاد العبودية بعد عهد سيرو ستربس الكبير بزمن قليل»[1].

لقد كان بنو إسرائيل ظلمة قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ (البقرة : الآية ٩٢)، وكانوا لا عهد لهم ﴿أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ (البقرة : الآية ١٠).

وأيضًا جعلوا كتاب الله وراء ظهورهم فلم يعملوا بما فيه من أوامر ونواهي ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنَ عِنْدَ اللهِ مُصَدِّق لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُون﴾ (البقرة : ١٠١) ، هذه بعض صفات اليهود كما ذكرها القرآن الكريم ، ومن يقرأ كتاب الدكتور غوستاف لوبون: «اليهودية في تاريخ الحضارات الأولى ، يجد أنه لم يكن لليهود فنون ولا علوم ولا صناعة ولا أي شئ تقوم به حضارة ، واليهود لم يأتوا قط بأية مساعدة مهما صغرت في تشييد المعارف البشرية ، واليهود لم يجاوزوا قط مرحلة الأمم شبة المتوحشة التي ليست لها تاريخ».

* * *

١ اليهودية ص ٣٣ د / غوستاف لوبون

أثر مكتبة المصطفى ﷺ في العالم الإسلامي

مكتبة المصطفى ﷺ ليست لطبع أو نشر أو توزيع كتب ، ولا استعارة ، ولا تبديل بل هي للاطلاع العام ، وهي عمل خيري ، وقف عام على الجمعية الشرعية للعاملين بالكتاب والسنة بمصر ، أكرر هنا ما قلته في مقدمة سنن ابن ماجه (٦/١) الذي حققته وطبعته دار الكتب العلمية ببيروت :

١- أنشأ وأسس هذه المكتبة الشيخ الجليل المهندس حامد إبراهيم أحمد رحمة الله تعالى عليه . خريج مدرسة الهندسة سنة ١٩٢٨ جامعة القاهرة .

٢- وهو من الذين استفدت بعلمه بل وببركته رضي الله عنه فقد بشرني بالحج وحمدت الله تعالى على أن تم بعد بشارته لي بفترة قليلة ، إن سيدنا الشيخ حامد أسس هذه المكتبة التي بها ما يقرب من مائة ألف كتاب .

٣- وتقع في «١٧» شارع وحدة الدمرداش بالعباسية القاهرة ، انتقل سيدنا الشيخ حامد إلى جوار ربه صباح يوم الأحد ١٨ من شعبان سنة ١٤١٧هـ ، الموافق ٢٩ من ديسمبر سنة ١٩٩٦م .

٤- صنف الشيخ حامد موسوعة رجال الحديث وهي عمل موسوعي ضخم تقع في أكثر من ستين مجلدًا ويبلغ عدد الأعلام بها ما يقرب من ١٠٠ مائة ألف علم ، وبالرجوع إلى هذه المصادر يمكن لك أن تعرف مولده ووفاته وطبقته ، وشيوخه وتلاميذه ، وأقرانه ، ومصنفاته ، وأقوال العلماء فيه جرحًا وتعديلاً ، ومن أخرج لهذا العَلَم من رجال الكتب الستة وغيرهم .

٥- قلت : لا شك أن مكتبة المصطفى ﷺ لها دور إيجابي في حياة ما يقرب من خمسة آلاف عالم من علماء المسلمين بعد حصولهم فيها على درجتي الماجستير والدكتوراه وأبحاث ترقية ومؤلفات درسوها في الجامعات .

٦- إن أهم ما يميز مكتبة المصطفى ﷺ التى أحقق فيها وأعد أبحاثي بها - أنها بالمجان وتشمل على آلاف الكتب في العلوم الدينية والشرعية واللغوية .

وهي مصباح يضئ ، وشمس تنير لطلاب المعرفة .

٧- إن المكتبة ما زالت في حاجة إلى كمبيوتر فهي تناشد خريجيها من العلماء ،

وأصحاب القلوب الرحيمة لإمدادها بالمكان الواسع لها ، والمراجع الحديثة التي تصدر عن دور النشر .

٨- إن المكتبة تتيح لروادها الاطلاع على هذه المراجع دون مليم واحد يدفعه الباحث فهي وقف لله تعالى .

٩- نسأل الله عز وجل أن يوفق أبناء شيخي حامد إبراهيم الدروي رحمه الله تعالى الأستاذ المهندس محمد حسام الدين حامد إبراهيم أحمد الدروي ، والأستاذ محمد حمدي حامد إبراهيم أحمد الدروي في الاستمرار في هذا المشروع الخيري ، بالسهر عليه ورعايته والاهتمام به .

١٠- ندعو الله سبحانه وتعالى أن يوفق أهل الخير ، بإمداد المكتبة بالمخترعات الحديثة من كمبيوتر وغيره .

المحقق

محمود بن محمد بن محمود بن حسن نصار

الشهير بـ «محمود نصار»

الحديقة الندية

شرح

الطريقة المحمدية والسيرة الأحمدية

للشيخ زين الدين محمد بن بير علي الرومي البركلي
المتوفى ٩٨١ هـ

تأليف

الشيخ عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني النابلسي
المتوفى ١١٤٣ هـ

خرّج أحاديثه وعلّق عليه

محمود محمد محمود حسن نصّار

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي شرح بالطريقة المحمدية صدور عباده الأبرار حتى سرح طرف قلوبهم في الحدائق اليانعة . من تلك المعارف والأسرار ، وإذا قمم حلاوات مناجاته في خلوات عباداته ، وكشف عن جوههم أستار الأخيار . فتسابقوا في ميدان التوحيد . على خيل التجريد مسرجة بالتفريد . فلم يدرك لهم غبار ، وجعلهم حجة على أهل الغفلة المكبلين في قيود الاغترار ، ومحجة واضحة إلى عناية المالك الجليل . وحماية الملك الجبار والصلاة والسلام على سيدنا وسندنا محمد النبيّ المختار ، الذي اهتدى بأنوار شرائعه . وارتوى بأنواء ذرائعه ذو الغواية المختار . صاحب اللواء المعقود والمقام المحمود ، الموصّل كلّ من اتبعه إلى رؤية الله تعالى في دار القرار وعلى آله السادة الأطهار الطالعين في سموات السلالة الشريفة طلوع الشموس والأقمار وعلى أصحابه الأئمة الكاملين في جميع الأطوار أهل الزّهد ، والتوكّل والاستقامة ، والإيثار . خصوصًا الخلفاء الأربعة منهم والمهاجرين ، والأنصار ، وعلى التّابعين لهم بإحسان ما تعاقب الليل والنهار .

أما بعد : فيقول الفقير الحقير ، المعترف بالعجز ، والتقصير . عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني بن إسماعيل بن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن سعد الدين بن جماعة النابلسي الدمشقي الحنفي . أخذ الله تعالى بيده وأمدّه بمدده ورحم أجداده وأسلافه وسقاهم من الرحيق المختوم ، في الجنان سُلافه . لمّا أرسل الله تعالى محمدًا ﷺ بالهدى ودين الحق ، وأظهره على الدين كلّه (1) ما جلّ منه ، وما دقّ كانت الشريعة ما ظهر للمجتهدين من أقواله وأفعاله ، والطريقة ما تبين للسّالكين من أخلاقه ، وأحواله ، والحقيقة ما انكشف للواصلين من مكاشفاته في معاملاته وخطر على باله . وللشريعة فقهٌ وكتب لهم مؤلفة في ذلك وللطريقة فضلٌ وكتب لهم مصنفة للسالك ، وللحقيقة علماء وكتب لهم مشيرة إلى ما هنالك .

---

(1) اقتباس من قوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [سورة التوبة : ٣٣] .

وإن من أجل المصنفات في علم الطريقة التي هي البرزخ المتوسط بين الشريعة والحقيقة كتاب «الطريقة المحمدية والسيرة الأحمدية» التي صنفها ، الشيخ الإمام ، والمولى الهمام ، العالم العامل والفاضل الكامل : «محمد أفندي الرومي البركلي» تغمده الله تعالى برحمته ، ورضوانه ، وأسكنه ، فسيح جناته ، كان أبوه رحمه الله تعالى رجلاً عالمًا من أصحاب الزوايا ، ونشأ هو في طلب العلوم ، والمعارف حتى برع فيها . واشتغل على المولى محيي الدين أخي زاده وصار ملازمًا من المولى عبد الرحمن ، أحد قضاة العساكر في زمن السلطان سليمان . ثم غلب عليه الزهد والصلاح واتصل بخدمة الشيخ المرشد . عبد الله القرماني البيرامي ، ثم أمره شيخه بالعودة إلى الاشتغال بمدارسة العلوم ، وإفادة الطلبة . فانتفع به خلق كثير . وحصل بينه وبين عطاء ، معلم السلطان سليم محبة ، ومودة فبنى عطاء ، المذكور مدرسة «بقصبة بركل» وجعله مدرسًا فيها . وعين له في كل يوم ستين درهمًا .

له من المصنفات : هذا الكتاب الذي سماه :

١- الطريقة المحمدية والسِّيرة الأحمدية .

٢- وشرح مختصر الكافية للبيضاوي في النحو .

٣- وله متن لطيف في علم الفرائض .

وله في الحديث ، والقرآن ، والفقه تعاليق ورسائل .

صفاته : كان قائمًا بالحق . لا تأخذه في الله لومة لائم . ينصر الشريعة ، ولا يهاب كبيرًا ولا صغيرًا ، مع كمال الزهد ، والصيانة ، والورع ، والديانة ، توفي في جمادى الأولى سنة إحدى وثمانين وتسعمائة . رحمه الله تعالى .

قيمة كتاب الطريقة المحمدية العلمية : وكتابه هذا يا له من كتاب لطيف ، وتأليف شريف ، مزج فيه المسائل الفقهيّات بالمقامات الزّهديّات . وجمع بين الفوائد العلميّات ، والفوائد الإعتقاديات ، وأتقن تحريره وأوضح تقريره ، ونصح فيه الأمة وأزال به عن القلوب الغُمّة .

الدافع إلى شرحه : وقد دعاني إلى شرحه بعض الأصحاب جعلني الله تعالى وإيّاه من المؤيّدين بالعناية والصواب . ولم أكن وقفت له على شرح يكشف عن عباراته ويوضح ما أشكل عند القاصرين من إشاراته فشرعت في شرح له مختصر المباني مستجمع

المعاني . يجذب إلى محاسنه قلوب أهل الكمال . ويصرف عن التطفل على موائد فوائده أهل التعصب من الجهال . وقد سميته «الحديقة النَّدِيَّة ، شرح الطريقة المُحَمَّدِية» . ومن الله تعالى أستمد الهداية والتوفيق وأسأله أن يقيني مواضع الزلل ويؤيدني بالتحقيق . وأن ينفع بكتابي هذا أمة محمد ﷺ . ويوفقهم لعلمه . والعمل به . ويمنحني وإياهم حُسن الختام . وحسبنا الله ونعم الوكيل . والله يقول الحق وهو يهدي السَّبيل .

ص : (قال المصنف رحمه الله تعالى : بسم الله الرحمن الرحيم) . ش : الاسم كلمة وضعتها العرب بإزاء مسمّى . متى أطلقت فهم منها ذلك المسمّى . فعلى هذا لا بد من مراعاة أربعة أشياء : ١- الاسم ٢- والمسمَّى بفتح الميم ، ٣- والمسمى بكسرها ، ٤- والتسمية .

تعريف الاسم : فالاسم : هو اللفظ الموضوع على الذات لتعريفها ، أو تخصيصها عن غيرها ، كلفظ زيد .

والمسمى : هو الذات المقصود تمييزها بالاسم ، كشخص زيدٍ .

والمسمِّى : هو الواضع لذلك اللفظ .

والتسمية : هي اختصاص ذلك اللفظ بتلك الذات .

والوضع : تخصيص لفظ بمعنى إذا أطلق أو أحس به فُهِم ذلك المعنى ، واختلفوا هل الاسم عين المسمَّى ؟ أو غيره ؟ وهي مسألة طويلة [1] تكلم الناس فيها قديمًا ، وحديثًا . فذهب قوم إلى أن الاسم عين المسمَّى . واستدلوا عليه بقوله تعالى : ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ . والتسبيح إنما هو للرب جلّ وعلا ، فدل على أن اسمه هو هو .

وأجيب بأنه أُشربَ معنى «سبح» «اذكر» فكأنه قال : اذكر اسم ربك كقوله تعالى : ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [2] . وقد أشرب معنى اذكر سبح عكس الأول قال تعالى : ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ﴾ [3] . أي سبح ربك . والإشراب جار في لغتهم يشربون ، معنى فعل فعلاً واستشكل على معنى كونه هو المسمَّى إضافته إليه فإنه يلزم

(١) انظر مثلاً : أول مسألة في كتاب : «الأنصاف في مسائل الخلاف» لابن الأنباري .
(٢) [الإنسان : ٢٥] .
(٣) [الأعراف : ٢٠٥]

منه ، إضافة الشيء إلى نفسه . وأجيب بأن الاسم هو بمعنى التسمية . والتسمية غير الاسم ، لأن التسمية هي اللفظ بالاسم ، والاسم هو اللازم للمسمى ، فتغايرا واحتج من قال بأن الاسم عين المسمى أيضًا بقوله تعالى : ﴿بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى﴾ (١) ثم قال : ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ (٢) . فنادى الاسم فدل على أنه المسمى وجوابه أن المعنى يا أيها الغلام الذي اسمه يحيى ، ولو كان الاسم عين المسمّى لكان من قال : النار احترق لسانه . ومن قال : العسل ذاق حلاوته . كذا قاله القسطلاني في «مواهبه» . وذكرنا في كتابنا «المطالب الوافية» ، اختلاف العلماء في الاسم ، والمسمَّى والتسمية ، على اثنين وأربعين قولاً وحرّرنا هذه المسالة هناك أكمل تحرير . بأوضح تقرير .

وفي «حاشية تفسير البيضاوي» لشيخي زاده . ذهب جمهور أهل اللغة في اسم الله إلى أنه عربيّ مشتقّ صار علمًا بالغلبة . لأن أسماء الله تعالى كلها صفات مشتقة ليعرف المكلف معناها . فيتوسل بها إليه . فإن قدماء الفلاسفة أنكروا أن يكون لله تعالى بحسب ذاته المخصوصة اسم بناءً على أن المراد من وضع ذلك الاسم ، أن يذكر عند أحد لتعريف ذلك المسمى به . وقد ثبت أن أحدًا من خلقه لا يعرف ذاته المخصوصة البتة . فكيف يشار إليه بذكر اسم ؟ ، وإذا لم يصح أن يشار إليه بذكر اسم لم يبقَ لوضع الاسم لذاته المخصوصة فائدة . فثبت أن هذا النوع من الاسم مفقود . وأن جميع أسمائه صفات مشتقة . وهي ما تدل على ذات مبهمة باعتبار معنى معين .

أمور أربعة لموقف العقل من معرفة الله : وإنما قلنا إن ذاته المخصوصة ، ليس معقولاً لأحد ؛ لأنا إذا رجعنا إلى عقولنا لا نجد عند عقولنا من معرفة الله تعالى إلا أحد أمور أربعة :

١- إما العلم بكونه موجودًا .

٢- وإما العلم بدوام وجوده .

٣- وإما العلم بصفات الجلال ، وهي الاعتبارات السلبية .

٤- وإما العلم بصفات الإكرام . وهي الاعتبارات الإضافية .

---

(١) [مريم : ٧] .
(٢) [مريم : ١٢] .

وقد ثبت بالدليل أن ذاته المخصوصة مغايرة لكل واحد من هذه الأربعة ، فإنه ثبت أن حقيقته غير وجوده . وإذا كان كذلك كانت حقيقته أيضًا مغايرة لدوام وجوده ، وثبت أيضًا أن حقيقته مغايرة للاعتبارات السلبية ، والإضافية .

وإذ قد تحقق أنه ليس في عقولنا من معرفته تعالى إلا هذه الأمور الأربعة ، وإنها مغايرة لحقيقته المخصوصة . ثبت أن حقيقته المخصوصة غير معقولة للبشر . وأنه لا سبيل إلى إدراكه من حيث هو هو وهو المسمى بالمعرفة الذاتية . وإنما نعرفُه بالأمور الخارجية عنه ، وهي المعرفة العرضيّة وهي كما إذا رأينا بناء علمنا بطريق الإبصار ، بأنه لابد له من بانٍ . فالمعلوم بالذات هو البناء . وأما الباني فهو معلوم بالعرض في هذه الصورة . وعلم الباني بكونه بانيًا له لا يستلزم علمه بخصوصيته ، وخصوصية حقيقته ، وإنما من أي نوع الماهيات والمعرفة الذاتية ! كما إذا عرفنا اللون المعيّن ببصرنا ، وعرفنا الحرارة بلمسنا ، وعرفنا الصوت بسمعنا ، فإنه لا حقيقة للحرارة والبرودة إلا هذه الكيفية الملموسة . ولا حقيقة للبياض ، والسواد إلا هذه الكيفية المرئية . وكذا الحال إذا رأينا المحدثات . وعلمنا احتياجها إلى محدث وخالق ، فقد عرفنا الله معرفة عرضية . وهي التي في وسع البشر في الدنيا .

وأجاب بعضهم ، أنه لا يمتنع في قدرة الله تعالى أن يشرف بعض المقربين من عباده ، بأن يجعله عارفًا بتلك الحقيقة المخصوصة . ومن العلماء من تورع في لفظ الجلالة عن طلب مأخذه ، وذكر معناه . ومنهم من قال : لعله مشتق ، لا يُعرف المشتق منه . ولم نكلف بمعرفته ، وقال بعضهم : هو اسم عربيّ علَم غير مشتق . كما ذهب إليه الخليل والزجّاج . وقال بعضهم : إنه سرياني مُعرب ، ثم ذكر اشتقاقه ، وأطال الكلام في ذلك .

«والرحمن الرحيم» : اسمان بنيا للمبالغة من رَحم ، كالغضبان من غضب ، والعليم من علم بأن جُعل الفعل المتعدّي لازمًا ، بمنزلة الغرائز ليفيد المبالغة . فنقل إلى فَعُل بضم العين فاشتق منه الصفة المشبهة . وإنما ابتدأ بالبسملة اقتفاء لأثر القرآن العظيم واحترازًا عما حذر منه الرسول الرحيم بقوله عليه الصلاة والتسليم : «كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ» [1] . يعني حالا يهتم به شرعًا ، فيخرج المحرّم والمكروه . وفي المباح كلام

---

(١) أخرجه أبو داود (١٧٢/٥) ٣٥- كتاب (الأدب) ٢١- باب (الهدى في الكلام) رقم (٤٨٤٠) =

«ولا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أجذم» ، أي أقطع بمعنى مقطوع البركة .

ص : (الحمد لله) . ش : وهو لغة الثناء الجميل . ولو ادَّعا الاختياريّ ولوما لا على جهة التعظيم وعُرفًا فِعل ينبئ ، عن تعظيم المنعم ، من حيث أنه منعم على الحامد ، أو غيره . فمورده عام لشمول الفعل ومتعلقه خاصّ وهو النعمة . والمدح لغة الثناء باللسان على الجميل مطلقًا اختياريًا كان أو غيره على جهة التعظيم . وعُرفًا فِعل ينبئ عن تعظيم الممدوح ، والشكر لغة فعل ينبئ عن تعظيم المُنعم من حيث إنه منعم على الشاكر ، أو غيره . وعرفًا صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه من السمع وغيره إلى ما خلق لأجله وتمامه في كتاب «الأحكام» للشيخ الوالد رحمه الله تعالى . وأعقب التسمية بالتحميد اقتداءً بأسلوب الكتاب المجيد ، وعملاً بقوله عليه السلام : «كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لا يُبْدأُ فِيهِ بِحمْدِ اللهِ فَهُوَ أَقْطع» .

رواه أبو داود [(١)] ، وغيره من حديث أبي هريرة ، ولا تعارض بين حديثي : البدأة بالتسمية ، والتحميد لإرادة الحمد العرفي ، وهو أعم من فعل اللسان فإنه يحصل بالقلب ، فيمكن البداءة معا في وقت واحد بالتسمية باللسان ، وبالحمدلة بالقلب كما حررته في كتابتي على أوائل «تفسير البيضاوي» . فيكون ذكره باللسان أيضًا ، إخبارًا عما في القلب وتأكيدًا له .

ص : (الذي جعلنا) . ش : معاشر أمة محمد ﷺ ، أمة الإجابة وهم المؤمنون . ويحتمل أن يراد جميع من أرسل إليهم محمد ﷺ ، وهم أمّة الدعوة أيضًا على تقدير إيمانهم لو كانوا مؤمنين .

ص : (أمة وسطا) . ش : بالتحريك أي خيارًا عدولاً مزكين بالعلم ، والعمل ولهذا أعقبه في الآية بقوله تعالى : ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [(٢)] . لأن منصب الشهادة مفتقر لوصف العدالة ، وبهذا يقوى دليل أبي حنيفة رضي الله عنه ، في جعله كلّ مسلم عدلاً . وقال الشافعية هذا باعتبار الكلّ المجموع لا باعتبار الأفراد ،

= النسائي - عمل اليوم والليلة (ص ٣٤٥) رقم (٤٩٤) - ابن ماجة (٤٤٢/٢) ٩- كتاب (النكاح) ١٩- باب : (خطبة النكاح) رقم (١٨٩٤) . - الدارقطني (٢٢٩/١) كتاب : (الصلاة) ، البيهقي (٢٠٨/٣ ، ٢٠٩) . - أحمد (٣٥٩/٢) . - ابن حبان (١٧٣/١ الإحسان) . رقم (١) .

(١) انظر تخريج الحديث المتقدم .

(٢) سورة [البقرة : ١٤٣] .

ولصحة هذا الاعتبار قال تعالى : ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنكُمْ﴾ (١) . ولما كانت الأطراف مما يتسارع إليها الخلل والأغوار والأوساط محمية محفوظة . فُسر الوسط بالعدل ؛ لأنه عدل بين الأطراف . ليس إلى بعضها بأقرب من بعض . ذكره ابن أقبرس في «فتح الصفا شرح الشفا» .

وقال «البيضاوي» (٢) : الوسط في الأصل اسم للمكان الذي تستوي فيه المساحة من الجوانب . ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفي إفراط وتفريط ، كالجود بين الإسراف ، والبخل ؛ والشجاعة بين التهور والجبن . ثم أطلق على المتصف بها مستويًا فيه الواحد ، والجمع والمذكر ، والمؤنث كسائر الأسماء التي يوصف بها .

ص : (خير أمم) . ش : الأول اقتباس من قوله تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (٣) . وهذا اقتباس أيضًا من قوله تعالى : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (٤) . فإنّ الاقتباس : تضمين الكلام من القرآن ، أو الحديث لا على أنّه منه ، كما ذكره علماء البديع . فلا يضرّ الحذف والتغيير قال : الكاذروني في «حاشية البيضاوي» : ولا يجب في الاقتباس إلا الإتيان ببعض ألفاظ القرآن أو الحديث ، وأما إيراده من غير زيادة ولا نقصان فلا يجب . انتهى ، فتأمل قوله : «كنتم» . أي في اللوح المحفوظ ، أو في علم الله أو فيما بين الأمم المتقدمين . وهو دليل على خيريتهم فيما مضى ولا يدل على انقطاع طرأ كقوله تعالى : ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (٥) .

قال ابن أقبرس : خير أمة ، أي أفضل أمة ، لأن دينه ﷺ خير الأديان ، لقوله تعالى : ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ (٦) . وهو شهادة الله ، والملائكة ، وأولي العلم ، وكفى بالله شهيدًا . وهذه منّة عظيمة من الله تعالى على عباده بهذا النبي ﷺ

---

(١) سورة [الطلاق : ٢] .
(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل تفسير البيضاوي (ص ٢٩) . ط . دار الجيل بيروت .
(٣) سورة [البقرة : ١٤٣] .
(٤) سورة [آل عمران : ١١٠] .
(٥) سورة [النساء : ٩٦ ، ١٠٠ ، ١٥٢] ، [سورة الفرقان : ٧٠] ، [سورة الأحزاب : ٧٣] ، [سورة الفتح : ١٤] .
(٦) سورة [آل عمران : ١٩] .

وقال السلمي في «حقائقه» [١] : ، قال يحيى بن معاذ : هذه مدحة لهم ولم يكن الله تعالى ليمدح قومًا ثم يعذبهم . وقال جعفر الصادق : يأمرون بالمعروف ، وهو موافقة الكتاب والسنة . وفي «مواهب القسطلاني» قال مجاهد : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ ، إذا كنتم على الشرائط المذكورة أي تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر . وقيل إنما صارت أمة محمد عليه السلام خير أمة ، لأن المسلمين منهم أكثروا الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر فيهم فشى فقيل هذا لأصحاب محمد ﷺ : «خَيْرُ النَّاسِ قَرْني ثُمَّ الذَّين يلونهم ثُمَّ الذينَ يَلُونَهُم» [٢] . وهذا يدل على أن أول هذه الأمة أفضل ممن بعدها . وإلى هذا ذهب بعض العلماء وأن من صحبه ﷺ ورآه ولو مرة من عمره أفضل من كل من يأتي بعده وأن فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل ، وهذا مذهب الجمهور ، وذهب أبو عمر بن عبد البر إلى أنه قد يكون فيمن يأتي بعد الصحابة أفضل ممّن كان في جملة الصحابة ، وأن قوله عليه السلام : «خَيْر النَّاس قَرْني» . ليس على عمومه بدليل ما يجمع القرن بين الفاضل ، والمفضول . وقد جمع قرنه عليه السلام جماعة من المنافقين المظهرين الإيمان وأهل الكبائر الذين أقام عليهم ، وعلى بعضهم الحدود . وقد روى أبو أُمَامة أنه ﷺ قال : «طوبى لمن رآني وآمن بي مرة ، وطوبى لمن لم يرني وآمن بي سبع مرات» [٣] . وفي مسند أبي داود الطيالسي عن محمد بن أبي

---

(١) الحقائق في التفسير للشيخ أبي عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي النيسابوري المتوفى سنة ٤١٢ هـ . سيأتي توضيح موضعه . إن شاء الله تعالى .

(٢) أخرجه البخاري (٦٢) كتاب : (فضائل الصحابة) ١- باب : (فضائل أصحاب النبي ﷺ ومن صحب النبي أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه) رقم (٣٦٥١) - مسلم (١٩٦٣/٤) ٤٤- كتاب : (فضائل الصحابة) ٥- باب (فضل الصحابة ثم الذين يلونهم) ثم الذين يلونهم رقم (٢٥٣٣) - الترمذي (٦٥٢/٥) ٥٠- كتاب : (المناقب) ٥٧- باب : (ما جاء في فضل من رأى النبي ﷺ وصحبه) رقم (٣٨٥٩) عن عبد الله بن مسعود قال : وفي الباب عن عمر وعمران بن حصين وبريدة قال : وهذا حديث حسن صحيح ، البيهقي (١٢٢/١٠) ، الطبراني (٢٨٥/٢) رقم (٢١٨٧) ابن أبي شيبة (١٧٦/١٢ ، ١٧٧) .

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٢٦٤/٥) ، ابن حبان (٣٠٢ ، موارد) ، الطبراني (٣١١/٨) ، الخطيب في تاريخ بغداد (٩١/٤) ، أبو نعيم في أخبار أصبهان (٢٣٦/١) .

وانظر : الكامل لابن عدى (١٤٢٧/٤) ، العلل المتناهية لابن الجوزى (٣٠٢/٣) ، مجمع الزوائد (٢٠/١٠ ، ٦٧) .

حميد ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن عمر قال : كنت جالسًا عند النبي ﷺ فقال : «أتدرون أي الخلق أفضل إيمانًا ؟» قلنا : الملائكة ، قلنا : الأنبياء ، قال : وحق لهم بل غيرهم ، ثم قال ﷺ : «أفضل الخلق إيمانًا قوم في أصلاب الرجال يؤمنون بي ولم يروني فهم أفضل الخلق إيمانًا» .

وروى أن عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة كتب إلى سالم بن عبد الله أن اكتب إلي بسيرة عمر بن الخطاب لأعمل بها ، فكتب إليه سالم : إن عملت بسيرة عمر فأنت أفضل من عمر ، لأن زمانك ليس كزمان عمر ، ولا رجالك كرجال عمر .

وكتب إلى فقهاء زمانه ، فكلهم كتب بمثل قول سالم .

قال أبو عمر : فهذه الأحاديث يقتضي تواتر طرقها وحسنُها التسوية بين أول هذه الأمة وآخرها في فضل العمل إلا أهل بدر والحديبية ، ومن تدبر هذا الباب بان له الصواب والله يؤتي فضله من يشاء .

وإسناد حديث أبي داود الطيالسي إلى عمر ضعيف فلا يحتج به ، لكن روى أحمد [(١)] والدارمي [(٢)] والطبراني [(٣)] عن أبي عبيدة بن الجراح قال فقلنا : يا رسول الله ، أأحَدٌ خير منا ؟ أسلمنا معك وجاهدنا معك ، قال : «قوم يكونون من بعدكم يؤمنون بي ولم يروني» . وإسناده حسن وصححه الحاكم [(٤)] .

والحق ما عليه الجمهور أن فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل ؛ لمشاهدة رسول الله ﷺ ، والدلائل على أفضلية الصحابة على غيرهم كثيرة متظاهرة لا نطيل بذكرها . انتهى .

ويمكن التوفيق بين ما ذهب إليه أبو عمر بن عبد البر وبين ما ذهب إليه الجمهور بأن الصحابة أفضل من وجه الصحبة [(٥)] التي لا يعادلها عمل ، ويمكن أن يكون

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١٠٦/٤) .

(٢) أخرجه الدارمي (٢٧٤٧) .

(٣) أخرجه الطبراني (٢٢/٤) ٣٢١- ترجمة حبيب بن سباع أبو جمعة الأنصاري ويقال : جذيد بن سبع رقم (٣٥٣٧) .

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك (٨٥/٤) كتاب : (معرفة الصحابة) . وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في التلخيص . وأبويعلى في مسنده (٩٠/١) .

(٥) قال ابن حجر في مقدمة الإصابة (٤/١) الفصل الأول في تعريف الصحابي: الصحابي: من لقي =

غيرهم أفضل منهم من وجوه أخرى ، وبهذا يندفع التعارض بين الأحاديث ، والله أعلم .

معنى الصلاة لغة وشرعًا

ص : (والصلاة) . ش : هي من الله تعالى الرحمة ، ومعناها تعظيم شريعته وإبقاؤها إلى يوم القيامة وفي الآخرة تشفيعه في أمته ، ومن الملائكة الاستغفار وهو من باب قوله ﷺ : «إنه ليغان على قلبي ، وإني لأستغفر الله في كل يوم مائة مرة» (١) على أحد الوجوه ، ومن المؤمنين دعاءٌ له ببعثه المقام المحمود ، وأولى ما يراد بها هاهنا ما أمرنا به ﷺ بقوله : «سلوا الله لي الوسيلة والفضيلة والدرجة العالية الرفيعة» (٢)

= النبي ﷺ مؤمنًا به ، ومات على الإسلام فيدخل فيمن لقيه من طالت مجالسته له أو قصرت . ومن روى عنه أو لم يرو ، ومن غزا معه أو لم يغز . ومن رآه رؤية ، ولم يجالسه ، ومن لم يره لعارض كالعمى . ويخرج بقيد الإيمان من لقيه كافرًا ، ولو أسلم بعد ذلك إذا لم يجتمع به مرة أخرى .

- وقولنا : «به يخرج من لقيه مؤمنًا بغيره» كمن لقيه من مؤمني أهل الكتاب قبل البعثة .
- وهل يدخل من لقيه منهم وآمن بأنه سيبعث أو لا يدخل محل احتمال ، ومن هؤلاء بحيرا الراهب ونظراؤه .
- ويدخل في قولنا : «مؤمنًا به» كل مكلف من الجن والإنس فحينئذ يتعين ذكر من حفظ ذكره من الجن الذين آمنوا به بالشرط المذكور .
- وخرج بقولنا : «ومات على الإسلام» من لقيه مؤمنًا به ثم ارتد ومات على ردته . «دينه» والعياذ بالله .

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٧٥/٤) ٤٨- كتاب : (الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار) ٤١-(٢٧٠٢) عن الأغر المزني ، وكانت له صحبة . «ليغان» قال أهل اللغة : الغين والغيم بمعنى واحد ، والمراد هنا ما يتغشى القلب ، قال القاضي عياض : قيل المراد الفترات والغفلات عن الذكر الذي كان شأنه الدوام عليه ، فإذا أفتر عنه أو غفل ، عُدّ ذلك ذنبًا ، واستغفر منه .

* والحديث أخرجه أيضًا أحمد في المسند (٢١١/٤ ، ٢٦٠) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٥٢/٧) ، والطبراني في المعجم الكبير (٢٨٠/١) ، والبخاري في التاريخ الكبير (٤٣/٢) .

(٢) أخرجه الترمذي (٤٩٩/٥) ٤٩- كتاب (الدعوات) باب : (٨٥) رقم (٣٥١٢) عن أنس بن مالك وقال : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه ، إنما نعرفه من حديث سلمة بن وردان .
وأخرجه ابن ماجه كتاب : (الدعاء) باب : (الدعاء بالعفو والعافية ، تحفة الأشراف) (٨٦٩) .
والبيهقي في السنن الكبرى (٤٠٩/١) كتاب : (الصلاة) باب : ما يقول إذا فرغ من ذلك . أبو عوانة في مسنده (٣٣٦/١) .

ذكره الوالد رحمه الله تعالى في «أحكامه» .

وفي «مواهب» القسطلاني قال أبو العالية : معنى صلاة الله على نبيه ثناؤه عليه عند الملائكة ومعنى صلاة الملائكة عليه الدعاء [(١)] .

قال في «فتح الباري» : وهذا أولى الأقوال ، فيكون معنى صلاة الله تعالى عليه ثناءه عليه وتعظيمه ، وصلاة الملائكة وغيرهم طلب ذلك له من الله تعالى ، والمراد طلب الزيادة لا طلب أصل الصلاة .

وعن ابن عباس أن معنى صلاة الملائكة الدعاء بالبركة .

وروى ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان قال : صلاة الله مغفرته وصلاة الملائكة الاستغفار .

وقال الضحاك بن مزاحم : صلاة الله رحمته ، وفي رواية عنه مغفرته وصلاة الملائكة الدعاء ، أخرجهما إسماعيل القاضي عنه ، وكأنه يريد الدعاء بالمغفرة ونحوها وقال المبرد : الصلاة من الله الرحمة ، ومن الملائكة رِقّة تبعث على استدعاء الرحمة ، وتُعُقب بأن الله غاير بين الصلاة والرحمة في قوله سبحانه : ﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [(٢)] . وكذلك فهم الصحابة المغايرة من قوله تعالى : ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ [(٣)] . حتى سألوا عن كيفية الصلاة مع تقدم ذكر الرحمة في تعليم السلام . حيث جاء بلفظ : «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته» [(٤)] وأقرهم

---

(١) وفي القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ [الأحزاب : ٥٦] . وحديث أبي العالية أخرجه البخاري في صحيحه (٤٣٢/٨ فتح) ٦٥- كتاب (تفسير القرآن) . ١٠- باب : (قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ الآية وزاد : قال ابن عباس : «يصلون» يُبركون) .

(٢) سورة [البقرة : ١٥٧] .

(٣) سورة [الأحزاب : ٥٦] .

(٤) هكذا علمهم رسول الله ﷺ كيف يسلمون عليه لما رواه الطبراني في المعجم الكبير (٤٨/١٠) رقم (٩٨٨٤) عن عبد الله بن مسعود قال : كانوا يصلون خلف النبي ﷺ : فقال قائل منهم السلام على الله . فقال : من القائل السلام على الله ؟ إن الله هو السلام ولكن قولوا : «التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله» . وانظر تاريخ بغداد (٢٢٢/١٤)

النبي ﷺ فلو كانت الصلاة بمعنى الرحمة لقال لهم قد علمتم ذلك في السلام .

وجوز الحليمي [(١)] أن تكون الصلاة بمعنى السلام عليه . وفيه نظر .

وقيل : صلاة الله على خلقه تكون خاصة وتكون عامة ، فصلاته على أنبيائه هي ما تقدم من الثناء والتعظيم ، وصلاته على غيرهم الرحمة فهي التي وسعت كل شيء [(٢)]. وحكى القاضي عياض عن أبي بكر القشيري أنه قال : الصلاة على النبي ﷺ تشريف وزيادة تكرمة ، وعلى مَنْ دون النبي رحمة ، وبهذا يظهر الفرق بين النبي وبين سائر المؤمنين حيث قال تعالى في سورة الأحزاب : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [(٣)] ، وقال قبل ذلك في السورة المذكورة : ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾ [(٤)] ومن المعلوم أن القدر الذي يليق بالنبي ﷺ من ذلك أرفع مما يليق بغيره .

وقال الحليمي : المقصود بالصلاة عليه ﷺ التقرب إلى الله تعالى بامتثال أمره تعالى وقضاء حق النبي ﷺ علينا ، وتبعه ابن عبد السلام [(٥)] فقال : ليست صلاتنا

---

(١) هو الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم المعروف بالحليمي الجرجاني ، الشافعي ولد سنة (٣٣٨) وتوفي سنة (٤٠٣) . له منهاج الدين في شعب الإيمان ، هدية العارفين (٣٠٨/٥) ط دار الفكر بيروت .

(٢) صلاة الله على خلقه هي رحمته لهم فيصفح عن ذنوبهم ، ويشملهم برعايته ويحفظهم من المكروه ، ويحفهم بعنايته ، ويجنبهم الزلل ، ويبعد عنهم مصائب الدنيا ، ويرزقهم البعد عن المعاصي والمكروهات .

(٣) سورة [الأحزاب : ٥٦] .

(٤) سورة [الأحزاب : ٤٣] . أخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن مجاهد رضي الله عنه قال : لما نزلت : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ قال أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله ما أنزل الله عليك خير إلا أشركنا فيه فنزلت : ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾ . [الدر المنثور (٢٠٦/٥)] .

(٥) الشيخ عز الدين بن عبد السلام بن عبد العزيز بن أبي القاسم بن الحسن بن محمد بن مهذب السُّلمي أبو محمد شيخ الإسلام . سلطان العلماء . ولد سنة سبع ، أو ثمان وسبعين وخمسمائة . وتفقّه على الفخر بن عساكر . وأخذ الأصول عن السيف الأبذي . قال الذهبي عنه في «العبر» : - انتهت إليه معرفة المذهب - الشافعي - مع الزهد والورع ، وبلغ رتبة الاجتهاد ، وقدم مصر فأقام بها أكثر من عشرين سنة ، ناشرًا العلم ، آمرًا بالمعروف . ناهيًا عن المنكر ، يغلظ على الملوك فمن دونهم . وله من المصنفات : تفسير القرآن ، ومجاز الفرسان ، والفتاوى الموصلية ، ومختصر النهاية ، وشجرة ....=

على النبي ﷺ شفاعة له ، فإن مثلنا لا يشفع لمثله ، ولكن الله أمرنا بمكافأة من أحسن إلينا . فإن عجزنا عنها كافأناه بالدعاء ، فأرشدنا الله لمّا علم عجزنا عنه مكافأة نبينا إلى الصلاة عليه ، وذُكِرَ نحوُه عن الشيخ أبي محمد المرجاني .

وقال ابن العربي [1] : فائدة الصلاة عليه ترجع إلى الذي يصلّي عليه لدلالة ذلك على نضوج العقيدة وخلوص النية وإظهار المحبة والمداومة على الطاعة والاحترام للواسطة الكريمة ﷺ ، وأما الصلاة على غير الأنبياء فإن كان على سبيل التبعية فهذا جائز بالإجماع ، وإنما وقع النزاع فيما إذا أفرد غير الأنبياء بالصلاة عليهم ، فقال قائلون بجواز ذلك واحتجوا بقوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾ [2] وبقوله : ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [3] . وبقوله تعالى : ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ [4] . وبحديث عبد الله بن أبي أوفى قال : كان رسول الله ﷺ إذا أتاه قوم بصدقتهم قال : اللهم صل عليهم ، فأتاه أبي بصدقته فقال : اللهم صل على آل أبي أوفى . أخرجه الشيخان [5] .

= المعارف ، والقواعد الكبرى والصغرى ، وبيان أحوال الناس يوم القيامة ، توفي بمصر عاشر جمادى الأولى سنة ستين وستمائة . ترجمته : حسن المحاضرة (٣١٤/١) رقم (٦٨) ، طبقات الشافعية الكبرى (٨٠/٥ ، ١٠٧) ، ذيل الروضتين (٢١٦) ، العبر للذهبي وفيات سنة (٦٦٠ هـ) ، البداية والنهاية (٢٣٥/١٣) ، النجوم الزاهرة (٢٠٨/٧) ، مفتاح السعادة (٢١٢/٢) ، الفتح المعين (٧٣/٢) ، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (١٣٧/٢) .

(١) ابن العربي العلامة الحافظ ، أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد الإشبيلي ، ولد سنة ثمان وستين وأربعمائة . تخرج بأبي حامد الغزالي ، وأبي بكر الشاشي ، وأبي زكريا التبريزي وجمع وصنف وبرع في الأدب والبلاغة وبعد صيته ، وكان متبحرًا في العلم ، ثابت الذهن ، موطأ الأكناف ، كريم الشمائل . مات بفاس في ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة ، ترجمته : طبقات الحفاظ (ص ٤٦٧) ت (١٠٤٨) ، تذكرة الحفاظ (١٢٩٤/٤) ، البداية والنهاية (٢٢٨/١٢) ، طبقات المفسرين للداودي (١٦٢/٢) مرآة الجنان (٢٧٩/٣) .

(٢) سورة [الأحزاب : ٤٣] .

(٣) سورة [البقرة : ١٥٧] .

(٤) سورة [التوبة : ١٠٣] .

(٥) أخرجه البخاري كتاب : (الزكاة) باب : (صلاة الإمام ودعائه لصاحب الصدقة) (١٤٩٧) . ومسلم (٧٥٦/٢ ، ٧٥٧) ١٢- كتاب : (الزكاة) ٥٤- باب : (الدعاء لمن أتى بصدقة) ١٦٧ - =

وقال الجمهور من العلماء : لا يجوز إفراد غير الأنبياء بالصلاة لأن هذا قد صار شعار الأنبياء إذا ذكروا فلا يلحق غيرهم بهم ، فلا يقال أبو بكر ﷺ ، أو علي ﷺ وإن كان المعنى صحيحًا ، كما لا يقال محمد عز وجل وإن كان عزيزًا جليلاً لأن هذا من شعار ذكر الله تعالى ، وحملوا ما ورد في ذلك من الكتاب والسنة على الدعاء لهم .

وقال آخرون : لا يجوز ذلك لأن الصلاة على غير الأنبياء قد صار من شعار أهل الأهواء ، يصلون على من يعتقدون فيهم العصمة ، فلا يقتدى بهم في ذلك .

ثم اختلف المانعون هل هو من باب التحريم أو كراهة التنزيه أو خلاف الأولى ، أقوال ثلاثة حكاها النووي [1] في الأذكار ثم قال : والصحيح الذي عليه الأكثرون أنه مكروه كراهة تنزيه لأنه شعار أهل البدع ، وقد نهينا عن شعارهم والله أعلم .

ص : (والسلام) : أي الدعاء بالسلامة من كل قدح ونقصان ، أو هو مصدر بمعنى سلّمهُ الله أي جعله سالمًا ، ولا يفرد به غير الأنبياء ، فلا يقال عليّ عليه السلام والأحياء والأموات فيه سواء غير أن الحاضر يخاطب به فيقال عليك السلام وجمعَ بين الصلاة والسلام امتثالاً لقوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [2] . وحذرًا من إفراد أحدهما عن الآخر ولو خطأ .

= (١٠٧٨) عن عبد الله بن أبي أوفى ، أبو داود كتاب : (الزكاة) باب : (دعاء المصدق لأهل الصدقة) (١٥٩٠) - النسائي كتاب : (الزكاة) باب (صلاة الإمام على صاحب الصدقة) (٢٤٥٨) ، ابن ماجه كتاب : (الزكاة) باب (ما يقال عند إخراج الزكاة) (١٧٩٦) ، تحفة الأشراف (٥١٧٦) .

(١) النووي الإمام الفقيه ، الحافظ ، الأوحد ، القدوة ، شيخ الإسلام ، علم الأولياء محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مرى الحزامي الحوراني ، الشافعي ولد في المحرم سنة (٦٣١) .

من تصانيفه : شرحه على صحيح مسلم ، والروضة ، شرح المهذب ، الأذكار ، رياض الصالحين ، تهذيب الأسماء واللغات ، وكان إمامًا بارعًا ، حافظًا متقنًا ، أتقن علومًا شتى ، وبارك الله في علمه وتصانيفه لحسن قصده ، وكان شديد الورع والزهد ، آمرًا بالمعروف ، ناهيًا عن المنكر ، تهابه الملوك ، تاركًا لجميع ملاذ الدنيا ، ولم يتزوج . وولي مشيخة دار الحديث الأشرفية بعد أبي شامة فلم يتناول منها درهمًا .

ترجمته : طبقات الحفاظ ص (٥١٠) ت ١١٣٠ ، تذكرة الحفاظ (١٤٧٠/٤) ، البداية والنهاية (٢٧٨/١٣) ، شذرات الذهب (٣٤٥/٥) ، مفتاح السعادة (١٤٦/٢) ، النجوم الزاهرة (٢٧٨/٧) .

(٢) سورة [الأحزاب : ٥٦] .

وقد صرحوا بأنه يكره ترك الصلاة والسلام [١] والاقتصار على أحدهما .

وقيل : المراد بالكراهة خلاف الأولى وليست على بابها فإن الإتيان بهما فيه أجر وتركهما أو أحدهما مخلّ بذلك الأجر وتركٌ للأولى ذكره والدي رحمه الله تعالى في «أحكامه» .

ويستحب الترضي للصحابة والترحم للتابعين ومن بعدهم من العلماء والعباد وسائر الأخيار ، وهل يجوز عكسه ؟ فقال بعضهم : لا يجوز بل الترضي مخصوص بالصحابة ، ويقال لغيرهم رحمه الله فقط .

وقال النووي : هذا غير صحيح بل الصحيح الذي عليه الجمهور استحبابه ودلائله أكثر من أن تحصى ، وأما إذا ذكر من اختلف في نبوته كذي القرنين [٢] ولقمان [٣] . فقال بعض العلماء كلامًا يفهم منه أن يقال ﷺ . قال النووي : والذي أراه أن هذا لا بأس به وأن الأرجح أن تقول «رضي الله عنه» [٤] ، لأن هذا مرتبة غير الأنبياء ، ولم يثبت كونهما نبيين .

---

(١) كيف تترك الصلاة والسلام على أعظم إنسان خلقه الله عز وجل خاتم الأنبياء وإمام المرسلين ، وسيد الأولين والآخرين . رسول الله أعظم مخلوق ، الذي ختم الله به الرسالات فكانت رسالته رحمة للعالمين . إنه نور يهدي الله به عباده . فهو الهادي والمهدي إن كثرة الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ تجزل الثواب ، وتحسن المآل ، وتبارك الكلام ، وترفع سخط الرب من المجلس . صلى الله على ﷺ نبي البر والهدى ، نبي الخير المصطفى الهادي صلى الله عليك يا أبا القاسم يا رسول الله ما هبت النسائم وما ناحت على الأيك الحمائم .

(٢) ورد ذكر ذي القرنين في الآيات الآتية من القرآن الكريم : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف : ٨٣] ، ﴿قُلْنَا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ [الكهف : ٨٦] ، ﴿ قَالُوا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الكهف : ٩٤] .

(٣) ورد ذكر لقمان في قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾ [الصافات : ١٤٢] ، ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَابُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ [لقمان : ١٣] .

(٤) وهذا التعبير قرآني ، ورد ذكره في الآيات الآتية : ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [المائدة : ١١٩] ، ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة : ١٠] ، ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح : ١٨] ، ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾ [المجادلة : ٢٢] ، ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ [البينة : ٨] ورضى الله عن العبد هو مجاوزته لإساءته ، ومحوه لخطاياه ، وغفرانه لذنوبه ، وتكريمه بدخوله الجنة .

وأما الصلاة والسلام على الملائكة استقلالاً فقال النسفي في مسائل شتى آخر «الكنز» : ولا يصلى على غير الأنبياء والملائكة إلا بطريق التبع .

وفي «أذكار» النووي : أجمع من يعتد به على جوازها واستحبابها على سائر الملائكة والأنبياء استقلالاً .

ص : (على أفضل مَن) : أي شخص . ص : (أوتِيَ) ش : أي أتاه الله تعالى . ص : (النبوءة) : بالهمز مأخوذة من النبأ ، وهو الخبر ، وقد لا تهمز تسهيلاً أي أن الله تعالى أطلعه على غيبه وأعلمه أنه نبيه ، فيكون نبيًا منبئًا ، أو يكون مخبرًا عما بعثه الله تعالى به ، ومنبئًا بما أطلعه الله تعالى عليه ، وبغير الهمز يكون مشتقًّا من النَّبْوَةِ وهي ما ارتفع من الأرض ، أي أنه له رتبة شريفة ومكانة عند الله تعالى مُنيفةً .

قال الزركشي : كان نافع [1] يقرأ النبيء بالهمز في جميع القرآن والاختيار تركه والترك لغة النبي ﷺ ، وقد جاء في الحديث أن رجلاً قال : يا نبيء الله ، يعني بالهمز فقال له : «لست نبيء الله ولكن نبيُّ الله» [2] . فأنكر الهمز لأنه لم يكن من لغته عليه السلام .

---

(١) نافع مولى ابن عمر - أبو عبد الله المدني كثير الحديث . قال البخاري : أصح الأسانيد مالك عن نافع ، عن ابن عمر . بعثه عمر بن عبد العزيز إلى مصر يعلمهم السُّنن . مات نافع سنة ست عشرة ومائة ، أو سبع ، أو تسع ، أو عشرين .

انظر ترجمته في : طبقات الحفاظ ص (٩٠) ، تذكرة الحفاظ (٩٩/١) شذرات الذهب (١٥٤/١) تهذيب التهذيب (٤١٢/١٠) ، وفيات الأعيان (١٥٠/٢) ، تهذيب الأسماء واللغات (١٢٣/٢) .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢٣١/٢) كتاب : (التفسير) عن أبي ذر وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وتعقبه الذهبي في التلخيص فقال : بل منكر لم يصح . قال النسائي : حمران ليس بثقة . وقال أبو داود : رافضي ، روى عن موسى بن عبيدة ، وهو واهٍ ، ولم يثبت أيضًا عنه نافع عن ابن عمر قال : ما همز رسول الله ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر ولا الخلفاء ، وإنما الهمز بدعة ابتدعوها من بعدهم .

- وأخرجه العقيلي في الضعفاء الكبير (٨١/٣) ١٠٥٠- - ترجمة عبد الرحيم بن حماد الثقفي السندي عن عبد الله بن عباس . وقال : حسن ولين حديث الهمز .

قال الجوهري والصاغاني : إنما أنكره لأن الأعرابي أراد : يا من خرج من مكة إلى المدينة ، يقال : نبأتُ من أرض إلى أرض إذا خرجت منها إلى أخرى .

والنبوة شرعًا [1] إيحاء الله تعالى لإنسان حر ذكر بحكم تكليفي سواء أمره بتبليغه أم لا ، فهي أعم من الرسالة إذ لابد في الرسالة من الأمر بالتبليغ مع ما ذكر ، وقيل : بينهما مساواة كما بسطنا الكلام على ذلك في كتابنا «المطالب الوفية» .

عدد الأنبياء والمرسلين

وعدة النبيين على ما ورد في الحديث مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا ، والمرسلون منهم ثلاثمائة وثلاثة وعشرون ، ونوح أول رسول إلى الكفار ، وآدم أول رسول إلى بنيه ولم يكونوا كفارًا ، ورسالته إليهم بتبليغ الإيمان والطاعة لله تعالى ، وكذلك بعده شيث ، وإدريس أول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب ، وأول من خاط الثياب ولبسها وكانوا يلبسون الجلود . من «فتح الصفا» لابن أقبرس .

ص : (والحكم) . ش : جمع حكمة وهي تحقيق العلم وإتقان العمل ، قاله البيضاوي . وفي «حقائق السلمي» : الحكمة العلم اللدني .

وقيل : الحكمة إشارة لا علة فيها .

وقيل : الحكمة إشهاد الحق على جميع الأحوال .

وقيل : الحكمة تجريد السر لورود الإلهام .

وقال أبو عثمان : الحكمة هي النور المفرِّقُ بين الإلهام والوسواس سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت الكتاني يقول : إن الله تعالى بعث الرسل بالنصح لأنفس خلقه وأنزل الكتاب لتثبته قلوبهم ، وأنزل الحكمة لسكون أرواحهم ، فالرسول داع إلى أمره ، والكتاب داع إلى أحكامه مشيرة إلى فضله .

---

(١) وفي اللغة اللسان (٦/٤٣٣٣ نبا) النبوة والنباوة والنبي : ما ارتفع من الأرض .... والنبيُّ : العلم من أعلام الأرض التي يهتدى بها .

قال بعضهم : ومنه اشتقاق النبيّ لأنه أرفع خلق الله ، وذلك لأنه يهتدى به ....

قال ابن السكيت : النبيُّ هو الذي أنبأ عن الله ، قال : وإن أخذت النبي من النّبوة والنباوة ، وهي الارتفاع من الأرض ، لارتفاع قدره ، ولأنه شرف على سائر الخلق ، فأصله غير الهمز ، وهو فعيل بمعنى مفعول ، وتصغيره نبيُّ ، والجمع أنبياء . ا هـ .

وقيل : الحكمة أن يحكم عليك خاطر الحق ولا تحكم عليك شهوتك .

وقيل : الحكمة الفهم في كتاب الله ، ومن أوتي فهم كتابه أوتي حظًّا عظيمًا من قربه ، قاله ابن عطاء .

وقيل : الحكمة النبوة ، وقيل الخشية . انتهى .

وعلى كونها النبوة فالعطف للتفسير وعلى غيره من باب التدلي أي أفضل شخص أوتي النبوة ، وشخص أُوتيَ الحِكَمَ وهو الولي ، يعني أفضل الأنبياء والأولياء ويدخل في الأولياء الملائكة ، قال تعالى : ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ (١) .

قال المفسرون (٢) : يعني موسى عليه السلام ، كلّمه بلا واسطة وليس نصًّا في اختصاص موسى بالكلام ، وقد ثبت أنه تعالى كلم نبينا أيضًا ، ولا يلزم في كل من قام به ذلك الوصف أن يشتق له منه اسم .

أوجه رفع الله تعالى لنبيه ﷺ

وقوله : ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ يعني محمدًا ﷺ ، رفعه الله تعالى من ثلاثة أوجه : ١ - بالذات في المعراج ٢ - وبالسيادة على جميع البشر ٣ - وبالمعجزات لأنه عليه السلام أُوتي بالمعجزات ما لم يؤته نبي قبله .

قال بعض أهل العلم فيما حكاه القاضي عياض في التفضيل المراد به في الدنيا وذلك بثلاثة أحوال : ١ - أن تكون آياته ومعجزاته أظهر وأشهر ٢ - أو تكون أمته أزكى وأكثر ٣ - أو يكون في ذاته أفضل وأطهر ، وفضله في ذاته راجع إلى ما خصّه الله تعالى به من كرامته واختصاصه من كلامٍ أو خُلّةٍ أو رؤية أو ما شاء الله من الطاقة

---

(١) سورة [البقرة : ٢٥٣] .

(٢) أخرج ابن أبي حاتم عن قتادة في قوله : ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ قال : اتخذ الله إبراهيم خليلاً ، وكلم موسى تكليمًا ، وجعل مثل عيسى كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ، وهو عبد الله وكلمته وروحه ، وآتى داود زبورًا ، وآتى سليمان ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده ، وغفر لمحمد ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

- وأخرج آدم بن أبي إياس ، وعبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات عن مجاهد في قوله : ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ قال كلم الله موسى ، وأرسل محمدًا إلى الناس كافة .

وتحفة ولايته ، فلا مِريَة أن آيات نبينا ﷺ ومعجزاته أظهر وأبهر وأكثر وأبقى وأقوى ومَنصِبَه أعلى ، وذاته أفضل وأطهر ، وخصوصياته على جميع الأنبياء أشهر من أن تذكر ، فدرجته أرفع من درجات جميع المرسلين وذاته أزكى وأفضل من سائر المخلوقين كما قال ﷺ : «أنا سيد ولد آدم وأول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة» رواه ابن ماجه (١) . وروى الترمذي (٢) عن أبي سعيد الخدري قال رسول الله ﷺ : «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من بني آدم فمن سواه إلا تحت لوائي» .

وفي حديث أبي هريرة مرفوعًا عند البخاري (٣) : «أنا سيد الناس يوم القيامة» وهذا يدل على أنه أفضل من آدم عليه السلام ومن كل أولاده .

وروى البيهقي في «فضائل الصحابة» أنه ظهر علي بن أبي طالب من البعد فقال

---

(١) أخرجه ابن ماجة (٥٦٥/٤) بتحقيقي ٣٧- كتاب : (الزهد) ٣٧- باب : (ذكر الشفاعة) (٤٣٠٨) وفي إسناده علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف ولفظه بتمامه عنده : عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : «أنا سيد ولد آدم ولا فخر ، وأنا أول من تنشق الأرض عنه يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر ، ولواء الحمد بيدي يوم القيامة ولا فخر» ، تحفة الأشراف (٤٣٦٧) .

(٢) أخرجه الترمذي (٢٨٨/٥) ٤٨- كتاب : (تفسير القرآن) ١٨- باب : (ومن سورة بني إسرائيل) رقم (٣١٤٨) قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح . وقد روى بعضهم هذا الحديث عن أبي نضرة عن ابن عباس الحديث ، (٥٤٨/٥) ٥٠- كتاب : (المناقب) ١- باب : (في فضل النبي ﷺ) رقم (٣٦١٥) قال أبو عيسى : وفي الحديث قصة ، وهذا حديث حسن صحيح . وقد روى بهذا الإسناد عن أبي نضرة عن ابن عباس عن النبي ﷺ .

- الحاكم في المستدرك (٦٠٤/٢) كتاب : تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين . واستدرك عليه الذهبي في التلخيص بأن فيه القاسم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عقيل . وقال : متروك تالف ، وعبيد بن إسحاق ضعفه غير واحد .

(٣) أخرجه البخاري (٣٣٤٠) كتاب : (تفسير القرآن) . [سورة الإسراء] باب : تفسير : ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ ، كتاب : (أحاديث الأنبياء) باب : يرزفون النسلان في المشي ، مسلم (١٨٤/١) ١- كتاب : (الإيمان) ٨٤- باب : أدنى أهل الجنة منزلة فيها ٣٢٧- (١٩٤) - الترمذي ٣٨- كتاب : (صفة القيامة والرقائق والورع) ١٠- باب : ما جاء في الشفاعة رقم (٢٤٣٤) مطولاً عن أبي هريرة قال : وفي الباب : عن أبي بكر الصديق وأنس وعقبة بن عامر وأبي سعيد قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ، أحمد (٤٣٥/٢) .

ﷺ : «هذا سيد العرب» فقالت عائشة : ألست سيد العرب ؟ فقال : «أنا سيد العالمين ، وهو سيد العرب» .

وهذا يدل على أنه أفضل الأنبياء بل أفضل خلق الله كلهم ، ولم يقل ﷺ أنا سيد الناس عجبًا وافتخارًا على من دونه ، وإنما قاله إظهارًا لنعمة الله تعالى عليه وإعلامًا للأمة بقدر إمامهم ومتبوعهم عند الله تعالى ، وعلو منزلته لديه ، ليعرفوا نعمة الله عليهم وعليه .

وكذلك العبد إذا لاحظ ما هو فيه من فيض المدد وشهده من عين المِنّة ومحض الجود ، وشهد مع ذلك فقره إلى ربه في كل لحظة وعدم استغنائه عنه طرفة عين أنشأ له ذلك في قلبه سحائب السرور ، فإذا انبسطت هذه السحائب في سماء قلبه وامتلأ أفقه بها أمطرت عليه وابل الطرب بما هو فيه من لذيذ السرور فإن لم يصبه وابل فطل ، وحينئذ يجري على لسانه الافتخار من غير عجب ولا فخر بل فرح بفضل الله وبرحمته ، كما قال تعالى : ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ [1] فالافتخار على ظاهره والافتقار والانكسار في باطنه ولا ينافي أحدهما الآخر .

وجمهور أهل السنة أن خواص بني آدم وهم الأنبياء أفضل من خواص الملائكة ، وهم جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل ، وحملة العرش والكروبيون ، وخواص الملائكة أفضل من عوام بني آدم ، وعوام بني آدم أفضل من عوام الملائكة ، والمراد بعوام بني آدم هنا الصلحاء لا الفسقة كما نبه عليه ابن أبي شريف ، ونص عليه البيهقي في «الشعب» ، وعبارته : «قد تكلم الناس قديمًا وحديثًا في الملائكة والبشر فذهب ذاهبون إلى أن الرسل من البشر أفضل من الرسل من الملائكة ، والأولياء من البشر أفضل من الأولياء من الملائكة . كذا في «المواهب القسطلانية» .

أهل بيت النبي وما يجب نحوهم

ص : (وعلى آله) . ش : آل الرجل أهله وعياله ، وآله أيضًا أتباعه ، ولا يقال إلا للأشراف من العقلاء ، وهم إما من حيث النسب ، قال النبي ﷺ : «أولاد علي وجعفر وعقيل والعباس والحارث بن عبد المطلب» أو من حيث الدين . كما يروي

---

(١) سورة [يونس : ٥٨] .

عنه عليه السلام حين سئل من آلك ؟ قال : «آلي كُلُّ مُؤْمِن أو مُؤمِن تَقي» [١] على اختلاف الروايتين .

ويروى أنه لما نزل قوله تعالى : ﴿قُل لاَّ أَسأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [٢] قالوا يا رسول الله مَنْ قرابتُك هَؤُلاءِ ؟ قالَ : «علي وفاطمة وابناهما» [٣] .

واختلف في المراد بأهل البيت في قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [٤] فروى ابن أبي حاتم عن عكرمة عن ابن عباس قال : نزلت في نساء النبي ﷺ .

وروى أحمد [٥] عن واثلة بن الأسقع أن رسول الله ﷺ جاء ومعه علي وحسن وحسين آخذ كل واحد منهما بيده حتى دخل فأدنى عليًا وفاطمة وأجلسهما بين يديه وأجلس حسنًا وحسينًا كل واحد منهما على فخذه ثم لف عليهم ثوبه . أو قال كساءه ثم تلا هذه الآية : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ ...﴾ إلى آخره ، وقال : «اللهم هؤلاء بيتي وأهل بيتي أحق» [٦] .

---

(١) عزاه السيوطي لأبي داود الطيالسي في مسنده عن أنس . [كنز العمال (٩١/٣) رقم (٥٦٢٤)] ، ابن عدي في الكامل (٢٥٠٦/٧) .

(٢) سورة [الشورى : ٢٣] .

(٣) أخرجه الطبراني (٤٤٤/١١) رقم (١٢٢٥٩) حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي ثنا حرب بن الحسن الطحان ثنا حسين الأشقر عن قيس عن الأعمش ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال .... الحديث وفيه : «... من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم» وإسناده ضعيف فيه قيس بن الربيع ، مجمع الزوائد (١٠٣/٧) ، (١٦٨/٩) قال الحافظ في [التقريب (٥٥٧٣)] قيس بن الربيع ، أبو محمد الكوفي ، صدوق تغيّر لما كبر وأدخل عليه ابنه ما ليس من حديثه فحدث به . من السابعة ، مات سنة ١٦٧ هـ . أخرج له أبو داود والترمذي وابن ماجه .

(٤) سورة [الأحزاب : ٣٣] .

(٥) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١٠٧/٤) ، (٢٩٢/٦ ، ٣٠٤) وفي صحيح مسلم (١٨٧١/٤) ٤٤- كتاب : (فضائل الصحابة) ٤- باب : من فضائل عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ٣٢- (....) عن معاوية بن أبي سفيان : مطولاً وفيه : «... دعا رسول الله ﷺ عليًا وفاطمة وحسنًا وحسينًا» فقال : «اللهم هؤلاء أهلي» وأخرجه ابن حبان (٢٢٤٥ موارد) ، الحاكم (٤١٦/٢) ، (١٤٧/٣) ، الترمذي (٢٩٩٢ ، ٣٢٠٥ ، ٣٧٢٤ ، ٣٧٨٧) ، البيهقي (١٥٢/٢) .

(٦) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١٠٧/٤) .

زاد في رواية ابن جرير : فقلت : وأنا يا رسول الله من أهلك ؟ قال : وأنت من أهلي . قال واثلة : وإنها من أرجى ما أرتجى .

وفي رواية الترمذي - وقال حسن غريب - : «أحبوا الله لما يغذوكم به وأحبوني بحب الله وأحبوا أهل بيتي بحبي» .

وفي «المناقب» لأحمد : «من أبغض أهل البيت فهو منافق» [١] .

وروى ابن سعد : «من صنع إلى أحد من أهل بيتي معروفًا فعجز عن مكافأته في الدنيا فأنا المكافىء له في القيامة» [٢] .

والمراد بالقرابة من ينتسب إلى جده الأقرب وهو عبد المطلب ممن صحب النبي ﷺ منهم ورآه من ذكر أو أنثى وهم : علي وأولاده الحسن والحسين ومحسن وأم كلثوم من فاطمة ، وجعفر وأولاده وهم : عبد الله وعون ومحمد ، ويقال إنه كان لجعفر بن أبي طالب ولد اسمه أحمد ، وعقيل بن أبي طالب وولده مسلم بن عقيل ، وحمزة بن عبد المطلب وأولاده يعلى وعمارة وأمامة ، والعباس بن عبد المطلب وأولاده الذكور عشرة: الفضل ، وعبد الله ، وقُثَم ، وعبيد الله ، والحارث ، ومعبّد ، وعبد الرحمن ، وكثير ، وعون وتمام وفيه يقول العباس رضي الله عنه شعرًا :

تموا بتمام فصاروا عشرة يارب فاجعلهم كراما بررة

ويقال : إن لكل منهم ذرية ، وكان له من الإناث : أم حبيبة وأمية وصفية

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في فضائل الصحابة (٢/٦٦١) رقم (١١٢٦) عن أبي سعيد الخدري وإسناده ضعيف وفيه علتان : أ- اختلاط هشام بن عمار . (ب) وضعف عطية العوفي - وذكره المحب الطبري في «ذخائر العقبي» ص (١٨) ونسبه لأحمد في المناقب - وأخرج الحاكم (٣/١٥٠) من هذا الطريق عن أبي سعيد مرفوعًا : «والذي نفسي بيده لا يبغضن أهل البيت أحد إلا أدخله النار» وصححه على شرط مسلم ، وسكت عليه الذهبي .

(٢) عزاه السيوطي لابن عساكر عن علي ، كنز العمال (١٢/٩٥) رقم (٣٤١٥٢) .

- وعزاه العجلوني في كشف الخفاء (٢/٣١٣) رقم (٢٣٦٩) ، (٢٥٢٤) للطبراني في المعجم الأوسط (٢/١٢٠) عن عثمان بن عفان رقم (١٤٤٦) حدثنا أحمد ، قال : نا محمد بن المؤمل بن الصباح قال : نا يونس بن نافع بن عبد الله بن أشرس المدني ، قال : نا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن أبان بن عثمان قال سمعت عثمان يقول قال رسول الله ﷺ : «من صنع إلى أحد من ولد عبد المطلب يدًا ، فلم يكافئه بها في الدنيا فعلي مكافأته غدًا إذا لقيني» .

وأكثرهم من لبابة أم الفضل . ومغيث بن أبي لهب ، والعباس بن أبي لهب وكان زوج أمية بنت العباس وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب ، وأخته ضباعة وكانت زوج المقداد بن الأسود وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وإبناه المغيرة والحارث ، وهند بن الحارث هذا وأميمة وأروى وعاتكة وصفية بنات عبد المطلب ، أسلمت صفية وصحبت وفي الباقيات خلاف .

وقد اشتهر أربعة ألفاظ يوصفون بها :

الأول : آله عليه السلام وهم ما تقدم ذكره ، وقيل الذين حرمت عليهم الصدقة [١] وعوضوا عنها خمس الخمس [٢] .

والثاني : أهل بيته فقيل من ناسبه إلى جده الأدنى ، وقيل : من اجتمع معه رحم ، وقيل من اتصل به بنسب أو سبب .

والثالث : ذوو القربى وهم علي وفاطمة وابناهما .

والرابع : عِترتُه - بكسر العين وسكون المثناة الفوقية - فقيل هم عشيرته ، وقيل ذريته والعشيرة هم الأهل الأدنون ، والذرية نسلُه وأولاد بنت الرجل ذريته .

ص : (وأصحابه) . ش : جمع صاحب [٣] على رأي ، والتحقيق أن فاعِلاً لا يجمع على أفعال ، فهو جمع صحب تخفيف صاحب كنهر وأنهار ، أو جمع صحب

---

(١) في قوله ﷺ : «لا تحل الصدقة لمحمد ولا لآل محمد» . [أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٦٩٣٩)] .

(٢) لقوله تعالى : ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ . [الأنفال : ٤١] .

(٣) قال ابن الصلاح في مقدمته ص (٤٢٣) النوع التاسع والثلاثون معرفة الصحابة رضي الله عنهم أجمعين . ... وبلغنا عن أبي المظفر السمعاني المروزي أنه قال : «أصحاب الحديث يطلقون اسم الصحابة على كل من روى عنه ﷺ حديثًا أو كلمة ويتوسعون حتى يعدون من رآه رؤية من الصحابة ، وهذا لشرف منزلة النبي ﷺ أعطوا كل من رآه حكم الصحبة» .- وذكر أن اسم الصحابي من حيث اللغة والظاهر يقع على من طالت صحبته للنبي ﷺ وكثرت مجالسته له على طريق التّبع له والأخذ عنه . قال وهذا طريق الأصوليين ثم قال ابن الصلاح : وقد روينا عن سعيد بن المسيب أنه كان لا يَعُد الصحابي إلاّ من أقام مع رسوله ﷺ سنة أو سنتين ، وغزا معه غزوة أو غزوتين .

بالسكون اسم جمع كنمر وأنمار ، والمستعمل في موضع المفرد صحابي بالفتح منسوب إلى صحابة مصدر بمعنى الصحبة ، وقد جاء بمعنى أصحاب . ذكره الجوهري [١] ، ويقال : صحب وصحبة وصحبان وصحابة وأصحاب ، والصحابي : من لقي النبي ﷺ من الثقلين مؤمنًا به ومات على الإسلام وإن تخللت ردة طالت الصحبة أو لا ، فاللقاء أعم من الرؤية والمجالسة ليدخل عُميان الصحابة ومن لم يجالسه ، وبإسناده إلى ضمير غير النبي ﷺ يخرج عنه مَن كُشف له ﷺ عنه ليلة الإسراء ولم يلق هو النبي ﷺ .

وبالتقييد بالثقلين تخرج الملائكة ، وبموته عليه السلام يخرج المرتد الذي لم يرجع عن ارتداده كابن جَحْش بخلاف من مات بعد ردته مؤمنًا كعبد الله بن أبي سرح [٢] .

واختلف في ثبوت الصحبة لورقة بن نوفل وبُحَيْرا الراهب حيث اجتماعه به عليه السلام قبل بعثته .

وكانت عدة الصحابة رضي الله عنهم عند وفاته عليه السلام مائة ألف وأربعة عشر ألفًا كلهم من أهل الدراية . كذا ذكر والدي رحمه الله تعالى في «أحكامه» وفي «مواهب» القسطلاني ، وهل يختص جميع ذلك ببني آدم أم يعم غيرهم من العقلاء ؟ محل نظر .

أما الجن فالراجح دخولهم لأن النبي ﷺ بُعث إليهم قطعًا وهم مكلفون ، فيهم العصاة والطائعون ، فمن عُرف اسمه منهم لا ينبغي التردد في ذكره من الصحابة .

وأما الملائكة فيتوقف عددهم في ذلك على ثبوت البعثة إليهم فإن فيه خلافًا بين الأصوليين حتى نقل بعضهم الإجماع على ثبوته ، وعكس بعضهم .

---

(١) الصحاح للجوهري (١٦١/١ ، ١٦٢ صحب) .

(٢) عبد الله بن سعد بن أبي سرح - واسمه حسام ، وقيل : عريف بن الحارث القرشي العامري أبو يحيى . قال ابن سعد : أسلم قديمًا ، وكتب لرسول الله ﷺ الوحي ، ثم افتتن ، وخرج من المدينة يريد مكة مرتدًا ، فأهدر رسول الله ﷺ دمه يوم الفتح ، فجاء عثمان بن عفان إلى النبي ﷺ فاستأمنه فأمّنه ، وكان أخاه من الرَّضاعة ، وسأل منه المبايعة فبايعه رسول الله ﷺ يومئذ على الإسلام ، وقال : الإسلام يجُبُّ ما قبله ، ولاّه عثمان بن عفان مصر بعد عمرو بن العاص ، فنزلها ، وابتنى بها دارًا ، فلم يزل واليًا بها حتى قُتل عثمان . قال ابن الربيع : شهد فتح مصر ولأهلها عنه حديث واحد ، ولم يرو عنه غير أهل مصر - فيما أعلم - مات بعسقلان سنة ست وثلاثين . ترجمته : حسن المحاضرة (٢١٣/١) رقم (١٥٣) الاستيعاب (٩١٨) ، الإصابة (٣٠٨/٢) .

وهذا كله فيمن رآه في قيد الحياة الدنيوية ، أما من رآه بعد موته وقبل دفنه فالراجح أنه ليس صحابيًا ، وكذا من اتفق أن يرى جسده المكرم وهو في قبره المعظم ولو في هذه الأعصار ، وكذلك من كشف له من الأولياء عنه ﷺ ورآه كذلك على طريق الكرامة ، وكذا من رآه في المنام وإن كان قد رآه حقًا ، فذلك فيما يرجع إلى الأمور المعنوية لا الأحكام الدنيوية .

ص : (المقتدين) . ش : نعت للآل والأصحاب .

ص : (به) . ش : ﷺ ، أي المتابعين له ظاهرًا وباطنًا على كل حال .

ص : (في القصد) . ش : بلام العهد أي النية الصالحة التي له ﷺ في نصرة الدين والحماية عنه ، ونصح الأمة ، ومحبة الخير وكراهة الشر ، وقد حصل لهم ذلك منه ببركة صحبتهم له ﷺ وسريان حالته فيهم ، وحلول نظره عليهم من إخلاصهم في صحبته ، وبذل نفوسهم وأموالهم في محبته ، والخروج عن أهلهم وأوطانهم في مرضاته ، والاقتصاد في العمل أي التوسط فيه بين الإفراط والتفريط ، كما ورد في الحديث : «إن الله لا يمل حتى تملوا» (١) وهو عادته ﷺ كما قال : «ولكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء . فمن رغب عن سنتي فليس مني» (٢) . رد بذلك على قوم من الصحابة أرادوا أن يصوموا الدهر ويعتزلوا النساء فتركوا ما أرادوا واقتدوا به ﷺ في اقتصاده في عمله .

---

(١) أخرجه البخاري كتاب : (الإيمان) ٣٢- باب : أحب الدين إلى الله أدومه . عن عائشة .
- مسلم (٥٤٢/١) ٦- كتاب : (صلاة المسافرين وقصرها) ٣٠- باب : فضل العمل الدائم من قيام الليل وغيره ٢٢٠- (٧٨٥) -
ابن ماجه ٣٧- كتاب : (الزهد) ٢٨- باب : المداومة على العمل (٤٢٤١) انفرد به عن جابر بن عبد الله تحفة الأشراف . (٢٥٧٠)
- مالك في الموطأ (١١٨/١) ٧- كتاب : (صلاة الليل) ١- باب : ما جاء في صلاة الليل رقم (٤) ، الخطيب في الفقيه والمتفقه (١٢٤/٢) .
(٢) أخرجه مسلم (١٠٢٠/٢) ١٦- كتاب : (النكاح) ١- باب : استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنه ، واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم ٥٠
- (١٤٠١) عن أنس . «فمن رغب عن سنتي فليس مني» معناه من تركها إعراضًا عنها ، غير معتقد لها على ما هي عليه .

ص : (والشيم) . ش : جمع شيمة وهي الخلق والعادة ، والخُلق بضم الخاء واللام ، ويجوز إسكانها ، ملكة نفسانية يسهل على المتصف بها الإتيان بالأفعال الجميلة والجمع أخلاق .

وقد اختلف هل حسن الخلق غريزة أو مكتسب ؟

وتمسك من قال بأنه غريزة بحديث ابن مسعود : «إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم أرزاقكم ..» الحديث رواه البخاري (١) .

وقال القرطبي : الخلقُ جبلة في نوع الإنسان ، وهم في ذلك متفاوتون فمن غلب عليه شيء منها كان محمودًا ، وإلا فهو المأمور بالمجاهدة فيه حتى يصير محمودًا ، وكذلك إن كان ضعيفًا فيرتاض صاحبه حتى يقوى .

وكانت الصحابة رضي الله عنهم يقتدون بالنبي ﷺ في أفعاله وأقواله وأحواله على كل حال إلا فيما اختص به عنهم لتكمل أخلاقهم كما كملت أخلاقه ﷺ .

قال الإمام السنوسي في «شرح مقدمته» : وقد علم من دين الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين ضرورة اتباعه عليه السلام من غير توقف ولا نظر في جميع أقواله وأفعاله إلا ما قام فيه دليل على اختصاصه به ، فقد خلعوا نعالهم لما خلع نعله عليه السلام ، ونزعوا خواتيمهم لما نزع عليه السلام خاتمه ، وحسر أبو بكر وعمر رضي الله

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٣٨٧/١) وإسناده : حدثنا محمد بن عبيد حدثنا أبان بن إسحاق عن الصباح بن محمد عن مرة الهمداني عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ ... الحديث وزاد فيه «.... وإن الله عز وجل يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ، ولا يعطي الدين إلا لمن أحب فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه ، والذي نفسي بيده لا يُسلم عبد حتى يَسْلمَ قلبُه ولسانُه ، ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه» قالوا : «وما بوائقه يا نبي الله ! قال : غشمه وظلمه ، ولا يكسب عبد مالاً من حرام فينفق منه فيبارك له فيه ، ولا يتصدق به فيُقبل منه ، ولا يترك خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار ، إن الله عز وجل لا يمحو السيء بالسيء ولكن يمحو السيء بالحسن إن الخبيث لا يمحو الخبيث» .
وإسناده ضعيف وعزاه الهيثمي لأحمد وقال : ورجال إسناده بعضهم مستور وأكثرهم ثقات [مجمع الزوائد (٥٣/١)] وعلق ابن حجر على ذلك بخطه في نسخة الأصل من مجمع الزوائد المحفوظة بدار الكتب المصرية قال : كلهم معروف ، والآفة من الصباح
- ورواه الحاكم في المستدرك (٣٣/١ ، ٣٤) بعضه بمعناه من حديث الثوري عن زبيد عن مرة عن ابن مسعود وصححه ووافقه الذهبي .

عنهما ركبتيهما في قضية جلوسهما على البئر كما فعل عليه السلام ، وكادوا يقتل بعضهم بعضًا من شدة الازدحام على الحلاق عندما رأوا النبي ﷺ يحلق رأسه ، وحل من عمرته في قضية الحديبية ، وكانوا يبحثون البحث العظيم على هيئات جلوسه ونومه وكيفية أكله وشربه وغير ذلك ليقتدوا به .

وقد ثبت أن ابن عمر رضي الله عنهما لما سأله السائل عن صبغه بالصفرة ولبسه النعال السبتية ، وكونه لا يُحْرِمَ إلا إذا أهل هلال ذي الحجة وإنما يُحْرِم في يوم التروية ، وكونه إنما يلمس الركنين اليمانيين ، فأجابه بأنه استند في ذلك كله إلى فعله ﷺ [١] . وقد أدار راحلته رضي الله عنه في موضع ، وعلّل ذلك بأنه رأى النبي ﷺ يفعل كذلك .

وانظر إلى قول عمر رضي الله عنه للحجر الأسود : «لقد علمت أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ قبلك ما قبلتك» [٢] .

---

(١) رد عليه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فقال : - أمّا الأركان فإني لم أر رسول الله ﷺ يمس إلا اليمانيين .

- وأما النعال السِّبْتية فإني رأيت رسول الله ﷺ يلبس النعال التي ليس فيها شعر ، ويتوضأ فيه ، فأنا أحب أن ألبسها .

- وأما الصُفرة فإني رأيت رسول الله ﷺ يصبغ بها فأنا أحب أن أصبغ بها .

- وأما الإهْلالُ فإني لم أر رسول الله ﷺ يُهلُّ حتى تنبعث به راحلته . أخرجه البخاري ٤- كتاب : (الوضوء) ٣٠- باب : غسل الرجلين في النعلين ولا يمسح على النعلين - مسلم ١٥- كتاب : (الحج) ٥- باب : الإهلال من حيث تنبعث الراحلة رقم (٢٥) - مالك في الموطأ (٣٣٣/١) ٢٠- كتاب : (الحج) ٩- باب : العمل في الإهلال (٣١) .

(٢) أخرجه البخاري ٢٥- كتاب : (الحج) ٥٠- باب : (ما ذكر في الحجر الأسود) مسلم (٩٢٥/٢ ، ٩٢٦) ١٥- كتاب : (الحج) ٤١- باب (استحباب تقبيل الحجر) رقم ٢٥٠- (٠٠٠) ، أبو داود (٤٣٨/٢) ٥- كتاب : (المناسك) ٤٧- باب : (تقبيل الحجر) رقم (١٨٧٣) - الترمذي (٢١٤/٣ ، ٢١٥) ٧- كتاب : (الحج) ٣٧- باب : (ما جاء في تقبيل الحجر) رقم (٨٦٠) قال أبو عيسى : حديث عمر حسن صحيح ، النسائي (٢٢٧/٥) ٢٤- كتاب : مناسك «الحج» ١٤٧- باب : تقبيل الحجر رقم (٢٩٣٧) - ابن ماجه (٤٣٧/٣) ٢٥- كتاب (المناسك) ٢٧- باب (استلام الحجر) رقم (٢٩٤٣) - مالك في الموطأ (٣٦٧/١) كتاب (الحج) باب : (في تقبيل الركن الأسود في الاستلام) رقم (١١٥) - الدارمي (٧٥/١) ٥- كتاب الحج «المناسك» باب : (تقبيل الحجر الأسود) رقمي =

وقد ثبت عن بعض السلف - وأظنه أحمد بن حنبل رضي الله عنه - أنه كان لا يأكل البطيخ فقيل له في ذلك ، فقال : يمنعني من أكله أنه لم يثبت عندي كيف كان أكله ﷺ .

وبالجملة فاتباعه ﷺ في جميع أفعاله إلا ما اختص به ، ورؤية الكمال فيها جملةً وتفصيلاً مما علم من دين السلف ضرورةً .

ص : (ما دامت) . ش : أي مدة دوام . ص : (السموات) . ش : جمع سماء تذكر وتؤنث وتجمع على أسمية أيضًا ، والسماء كل ما علاك فأظلك ، ومنه قيل لسقف البيت سماء قاله الجوهري . ص : (والأرض) . ش : بالإفراد لأنها واحدة في قول بعضهم ، والسموات سبع ، قال تعالى : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [(١)] إلى غير ذلك من الآيات المشتملة على جمع السموات وإفراد الأرض .

وقال اللقاني [(٢)] رحمه الله تعالى في «شرح جوهرته» [(٣)] : الأصح أن الأرضين سبع كما أن السموات سبع لقوله عليه السلام : «طُوقَهُ مِنْ سَبع أَرَضين» [(٤)] .

وقال البيضاوي : جمع السموات دون الأرض وهن مثلهن لأنَّ طبقاتها مختلفة بالذات ، متفاوتة الآثار والحركات ، وقدمها لشرفها وعلو مكانها ، وتقدم وجودها . انتهى .

فالمراد : ما دامت سموات الدنيا وأرضها أو سموات الآخرة وأرضها على ما قالوا في قوله تعالى : ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [(٥)] يعني سموات الآخرة وأرضها .

= (١٨٦٤ ، ١٨٦٥) ، أحمد (٢١/١ ، ٢٩ ، ٣٥ ، ٤٦ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٥٤) - البيهقي (٧٤/٥) كتاب : (الحج) باب : تقبيل الحجر . وقال : رواه مسلم .

(١) سورة [الأنعام : ١] .

(٢) الشيخ إبراهيم اللقاني .

(٣) جوهرة التوحيد مطبوعة .

(٤) أخرجه البخاري كتاب : (المظالم) باب : إثم من ظلم شيئًا من الأرض . الترمذي (٢٠/٤) ١٤- كتاب : (الديات) ٢٢- باب : ما جاء فيمن قُتل دون ماله فهو شهيد رقم (١٤١٨) عن سعيد بن زيد ابن عمرو بن نفيل وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(٥) سورة [هود : ١٠٨] .

وفي تفسير الواحدي [١] : قال الضحاك : ما دامت سموات الجنة والنار وأرضهما ، وكل ما علاك فهو سماء ، وكل ما استقرت عليه قدماك فهو أرض ، والأكثرون على أن المراد منه التأبيد .

قال ابن قتيبة [٢] وابن الأنباري : للعرب في معنى الأبد ألفاظ ، يقول لا أفعل ذلك ما اختلف الليل والنهار ، وما دامت السماء والأرض ، وما اختلفت الجرّة والدَّرة ، وما أطت الإبل . في أشباه كثيرة لهذا ظنًّا منهم أن هذه الأشياء لا تتغير ، فخاطبهم الله تعالى بما يستعملون في ألفاظهم . انتهى .

ويؤيد المعنى الأول أن السماء ما عَلَى من السقف ، وقد ورد في الحديث : «سقف الجنة عرش الرحمن» وفي مقابلة ذلك الأرض لما سفل ، كما ورد أن «أرضها الزعفران» فيكون في الكلام اقتباس من الآية وهو أبلغ لإفادته تأبيد ذلك وعدم انقطاعه بانقضاء الدنيا .

ص : (وما تعاقبت) ش : أي مدة تعاقُب أي تتابع . ص : (الأضواء) ش : جمع ضوء وهو الضياء وكذلك الضُوء بالضم ، تقول ضاءت النار تضوء ضوءًا وضوُءًا ، وأضاءت مثله ، وأضأته يتعدى ولا يتعدى ذكره الجوهري .

والضوء والضياء هو النور أو أخص منه ، أو الضياء ما بالذات ، والنور ما بالعرَض .

---

(١) وأخرج ابن جرير عن الضحاك في قوله : ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا﴾ الآية قال : هو في الذين يخرجون من النار فيدخلون الجنة يقول : خالدين في الجنة ما دامت السماء والأرض إلا ما شاء ربك ، يقول : إلا مكثوا في النار حتى أدخلوا الجنة . [الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٣/٣٥٠)] .

(٢) عبد الله بن مسلم بن قتيبة أبو محمد الكاتب الدينوري النحوي اللغوي العالم . صاحب التصانيف الحسان في فنون العلوم ، مروزي الأصل ، ولد ببغداد ونشأ بها وتأدب ، وأقام بالدِّينور مدة فنسب إليها كان عبد الله بن مسلم بن قتيبة ثقة دينا فاضلا قال محمد بن إسحاق عنه في كتابه : «إن ابن قتيبة كوفي وإنما سمي الدينوري لأنه كان قاضي الدينور ... وكان صادقًا فيما يرويه ، عالمًا باللغة والنحو وغريب القرآن ومعانيه والشعر والفقه ، كثير التصنيف والتأليف وكتبه بالجبل مرغوب فيها ومولده في مستهل رجب ، وتوفي سنة سبعين ومائتين .

- إنباه الرواة على أنباه النحاة (٢/١٤٣) رقم (٣٥٧) تهذيب الأسماء واللغات (٢/٢٨١) ، شذرات الذهب (٢/١٦٩) ، الكامل لابن الأثير (٦/٦٦) تاريخ بغداد (١٠/١٧٠) .

قال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ [(١)] .

أما بعد : فصل الخطاب

ص : (والظُّلَمُ) ش : جمع ظلمةٍ فالضوء هو النهار ، والظلمة هي الليل بقرينة التعاقب ، أو أعم من ذلك . ص : (وبعدُ) ش : أصلها أما بعد فالواو قائمة مقام أمّا ، ويؤيده أنه لم يقع في مثل هذا الموضع وأمّا بعدُ بالواو ، ولعل وجهَه أن أمّا قد تورَدُ لتدل على أن ما بعدها غير مرتبط بما قبلها حتى أنه سمّي فصل الخطاب ، والجملتان اللتان بينهما كمال الاتصال لا يفصل بينهما بالواو العاطفة فلها دلالة ما على انفصال ما بعدها عما قبلها في الجملة فاستعيرَتْ لأمّا الدالة على الانفصال . ذكره البَيرجَنْدي في «شرح الوقاية» . وبعدُ من الظروف التي قطعت عن الإضافة ونوى فيها معنى المضاف إليه فبني على الضَّمّ يعني بعد ما تقدم من الحمدلة والصلاة والسلام على النبي وآله وأصحابه وكان النبي ﷺ يأتي بها في خطبه وكتبه .

وفي «غرائب مالك» للدارقطني بسند ضعيف : لما جاء ملك الموت إلى يعقوب عليه السلام قال يعقوبُ في جملة كلامه : أمّا بعد فإنّا أهلُ بيتٍ وُكِّلَ بنا البلاءُ . فإن صح فهو أول من ابتدأ بها .

وقيل : أول من ابتدأ بها داود عليه السلام وأنها فصل الخطاب الذي أوتيه .

وقيل : قسُّ بنُ ساعدة .

وقيل : كعب بن لؤي [(٢)] .

وقيل : يَعْرُبُ بن قحطان .

وقيل : سحبان . قاله والدي رحمه الله تعالى في «أحكامه» .

---

(١) سورة [يونس : ٥] أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره تفسير القرآن العظيم (١٩٢٧/٦) رقم (١٠٢٢٨) حدثنا عبد الله بن سليمان ثنا الحسين بن علي ثنا عامر بن الفرات عن أسباط عن السدي قوله : ﴿جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ فلم يجعل كهيئة القمر لكي يعرف الليل من النهار .

(٢) قال الحافظ جلال الدين السيوطي ت سنة (٩١١ هـ) في كتابه : (الوسائل إلى معرفة الأوائل) (ص ٣٤) طبع مكتبة الخانجي . «أول من قال أما بعد داود عليه السلام» أخرجه ابن أبي حاتم والديلمي عن أبي موسى الأشعري مرفوعًا وقيل : قس بن ساعدة أخرجه الزبير بن بكار في الموافقيات عن الكلبي . وقيل : يعرب بن قحطان ، وقيل : كعب بن لؤي .

ص : (فإن) . ش : الفاء على توهم أمّا [١] فإن الشيء إذا اشتهر في موضع جاز تركه مع بناء الكلام عليه نحو : ما زيد كاتبًا ولا شاعرٍ بالجر على توهم الباء ، أو على تقديرها بطريق تعويض الواوِ عنها بعد الحذف على أنه لا يمنع من اجتماع الواو مع أمّا كما وقع في عبارة «المفتاح» [٢] أواخر فن البيان ذكره الخيالي ، وما تقدم عن البَيرْجَندي محمول على الكثير الغالب . ص : (العقل) . ش : وهو العلم بصفات الأشياء من حُسنها وقبحها وكمالها ونقصانها ، أو العلم بخير الخيرين وشر الشرين أو مطلق لأمور لقوة بها يكون التمييز بين القبيح والحسن ، ولمعان مجتمعة في الذهن تكون بمقدمات تثبت بها الأغراض والمصالح لهيئة محمودة للإنسان في حركاته وكلماته والحق أن العقل أنه روحاني به تدرك النفس العلوم الضرورية . وابتداء وجوده عند اجتنان الولد ، ثم لا يزال ينمو إلى أن يكمل عند البلوغ . كذا في (القاموس) [٣] .

---

(١) قال ابن هشام في مغني اللبيب (٢٨١/١) طبع دار الجيل الفاء في نحو : ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ﴾ جواب لأمّا مقدرة عند بعضهم ، وفيه إجحاف .

وزائدة عند الفارسيّ ، وفيه بُعْد وعاطفة عند غيره والأصل تنبه فاعبد الله ثم حذف «تنبه» وقدم المنصوب على الفاء إصلاحًا للفظ كيلا تقع الفاء صدرًا ، كما قال في الجميع في الفاء في نحو «أما زيدًا فاضرب» إذ الأصل مهما يكن من شيء فاضرب زيدًا .

(٢) مفتاح العلوم للسكاكي .

(٣) القاموس المحيط [(١٩/٤) عقل] باب : اللام فصل العين . وقال العلامة جميل بن خميس في قاموس الشريعة (٣٦٦/٣) طبع وزارة التراث القومي والثقافي في سلطنة عمان : العقل المدرك للأشياء بحقيقة معناها . وقيل : جملة علوم ضرورية .

وقيل : هو نور صيره الله في القلب ، وقيل : خلقه الله وأسكنه القلب ليدعو إلى الحق .

وقيل : إنه من مواهب الله يعطيه كل عبد من عبيده .....

وقيل : يعطي ابن آدم يوم القيامة على قدر عقله ، والعقل في القلب أصل فرعه في الرأس كشجرة أصلها في الأرض وفرعها في الهواء .

- والعقل نور روحاني تدرك النفس به العلوم الضرورية والنظرية ، وقيل : إنه العلم .

وفي قول آخر : إنه قوة يكون بها التمييز بين الحسن والقبيح .

- وقال الإمام الرازي : والظاهر أن العقل صفة غريزية يلزمها العلم بالضروريات عند سلامة الآلات وهي الحواس الظاهرة والباطنة .

- العقل ما ينجي صاحبه من ملامة الدنيا وندامة العقبى . [كشاف اصطلاحات الفنون (١٣٣/٣)] طبع دار صادر بيروت .

وفي «عمدة القاري شرح البخاري» للعيني اختلفوا في العقل ، فقيل : هو العلم لأن العقل والعلم في اللغة واحد ، ولا يفرقون بين قولهم : عقلت وعلمت .

وقيل : العقل بعض العلوم الضرورية .

وقيل : هو قوة يميز بها بين حقائق المعلومات .

واختلفوا في محلّه ، فقال المتكلمون : هو في القلب .

وقال بعض العلماء : هو في الرأس . انتهى .

فعلى القول بأنه هو العلم يكون بمعنى القوة العالمية حتى يبقى للمفاضلة بينه وبين العلم بمعنى الأمور المعلومات معنى .

قال النسفي في «بحر الكلام» (١) : العلم أفضل من العقل .

«وفي التمهيد في معرفة التوحيد» (٢) : الأصح أن العلوم متنوعة : علم بالله وبالدين وبالشرائع ، فهذا أفضل من العقل لأن العبد ينجو مع انعدام العقل ، ولا ينجو مع انعدام الدين ، ولأن كل عاقل مخاطب ومأمور بتعلم هذا العلم وطلبه وكل علم سوى علم المعرفة والدين كعلم الحرق والاكتساب والنحو والطب : - فالعقل أفضل . انتهى . فمراده بالعلوم المتنوعة المسائل المبرهن عليها ونفس البراهين من إطلاق المصدر على اسم المعقول ، أي التي من شأنها أن يعلمها العالم لا نفس القوة العالمية التي هي العقل .

قال القسطلاني في «مواهبه» : فالعقل لسان الروح وترجمان البصيرة ، والبصيرة للروح بمثابة القلب ، والعقل بمثابة اللسان .

وقال بعضهم : لكل شيء جوهر ، وجوهر الإنسان العقل ، وجوهر العقل البصر .

---

(١) بحر الكلام للشيخ الإمام أبي المعين ميمون بن محمد النسفي الحنفي المتوفى سنة ثمان وخمسمائة . كشف الظنون (١/٢٢٥) .

(٢) التمهيد في بيان التوحيد لأبي شكور محمد بن عبد السيد بن شعيب الكشي السالمي الحنفي . أوله الحمد لله ذي المن والآلاء ..... إلخ .

وهو مختصر في أصول المعرفة والتوحيد . ذكر فيه أن القول في الفعل كذا وفي الروح كذا إلى غير ذلك فأورد ما يجوز كشفه من علم الكلام . [كشف الظنون لحاجي خليفة (١/٤٨٤)] .

ص : (والنقـل) . ش : وهـو النصوص الـواردة في الشريعة قطعيـة كـانت أو ظنية . ص : (متوافقـان) . ش : أي كـل واحـد منهما يوافق الآخر يعني أن القـوة العالمية في الإنسان متفقة من حيث حكمها بنفسها بلا دلالةٍ من الغير ولا اطلاع منه لها مع الدلالة والاطلاع من الغير المسمى ذلك نقلاً لنسبته إلى متكلم صادق كما سمي الأول عقلاً لربطه الأمر على حسب قوته ، وقدم العقل لكونه أصلاً لثبوت النقل .

ص : (والكتـــاب) . ش : أي كتـاب الله تعـالى وهـو القـرآن العظيـم . ص : (والسنـة) . ش : أي سنـة النبي ﷺ . وهو قوله عليه السلام ، وفعله ، وسكوته عند أمرٍ عاينه من قول أو فعل صدر من أحد أمته .

ومـن السنـة طريقـة الصحابة رضي الله عنهم لقولـه عليه السلام : «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي» [(١)] .

والحـديث والخـبر يختصـان بقولـه عليـه السـلام فقط ، وكذلـك الأثـر ، وربمـا يطلق ذلك على السنـة ، فتكـون الأربعة بمعنى واحد ، وقـدم الكتاب لشرفه ، وأخـر السنـة لأن حجيتها ثابتـة به قـال تعـالى : ﴿وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [(٢)] .

ص : (متطابقان) ش : أي كل واحد منهما يطابق الآخر ، ولا حجـة أقوى من هـذه الأصول الثلاثة : الأول : دليـل العقل ، والثاني : دليل النقـل ، وهـو قسمان : الكتاب والسنة فذكر الكتاب والسنة بعد ذكر النقل بيان للمراد منه .

معاني كلمة الدنيا

ص : (أن الدنيا) ش : قال الجوهري : سميت الدنيا لدنوها ، والجمع دُنى مثل الكبرى والكُبَر والصغرى والصغر ، انتهى .

يعني : لدنوها أي قربها من الإنسان بالنسبة إلى الآخرة ، أو لدنوها من القلب

---

(١) أخرجه أبو داود (١٣/٥) ٣٤- كتاب : (السنة) ٦- باب في لزوم السنة رقم (٤٦٠٧) .
- الترمذي (٤٣/٥) ٤٢- كتاب : العلم ١٦- باب : ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع رقم (٢٦٧٦) عن العرباض بن سارية مطولاً . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .
- ابن ماجه (٤٧/١) المقدمة ٦- باب : اتباع سُنَّة الخلفاء الراشدين المهديين رقم (٤٢) .
(٢) سورة [الحشر : ٧] .

بسبب مشتهياتها ، وفي حقيقتها قولان للمتكلمين : أحدهما : ما على الأرض مع الهواء والجو ، والثاني : كل المخلوقات من الجواهر والأعراض قبل الدار الآخرة . قال النووي رحمه الله تعالى : وهو الأظهر ، كما قاله العيني في «شرح البخاري» ، فيدخل في ذلك النقدان وما يشترى بهما مما لا ضرورة فيه وما فيه ضرورة غير أن ما فيه ضرورة مأمور بتناوله كما قال تعالى : ﴿وَلاَ تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [1] قال الواحدي في «تفسيره» : قال قتادة [2] لا تنس الحلال من الدنيا ابتغ الحلال .

والمعنى على هذا : لا تترك أن تطلب فيها حظك من الرزق الحلال .

وقال الحسن [3] : أمر أن يأخذ من ماله قدر عيشه ، ويقدم ما سوى ذلك لآخرته . وعنه أيضًا : قدّم الفضل وأمسك ما يبلغك ، وعلى هذا المراد بالنصيب قدر ما يكفيه .

ص : (فانية) ش : من الفناء وهو الاضمحلال والزوال .

قال أبو محمد الخازن في قوله تعالى : ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ أي هالك لأن وجود الإنسان في الدنيا عرض ، فهو غير باقٍ فهو فانٍ ، ففيه الحث على العبادة وصرف الزمان اليسير إلى الطاعة ، انتهى .

فيكون على هذا معنى كون الدنيا فانية أنها عرض غير باق ، وما ليس بباق فهو فان .

وقال القسطلاني في تفسير قوله تعالى : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ أي إلا ذاته فإن ما عداه ممكن هالك في حدّ ذاته معدوم .

وفي «شرح وصية أبي حنيفة» رحمه الله تعالى معنى ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ أن كل شيء مما سوى الله تعالى معدوم في ذاته بالنظر إلى ذاته تعالى من حيث إنه ممكن مع قطع النظر عن موجده ، لأن كل ما سواه ممكن ، والممكن بالنظر إلى ذاته

---

(١) سورة [القصص : ٧٧] .

(٢) عزاه السيوطي في الدُّر المنثور (١٣٧/٥) ولفظه لعبد بن حميد عن قتادة رحمه الله : ﴿وَلاَ تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ قال أن تأخذ من الدنيا ما أحل الله لك فإن لك فيه غنى وكفاية .

(٣) وأخرج الفريابي وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم عن الحسن في قوله تعالى : ﴿ولا تنس نصيبك﴾ قال : قدم الفضل وأمسك ما يبلغك وفي لفظ : قال أمسك قوت سنة وتصدق بما بقي .

لا يستحق الوجود فلا يكون بالنظر إلى ذاته موجودًا .

وذكر الشيخ عبد الرؤوف المناوي في «شرح الجامع الصغير» [1] في قوله عليه السلام : قال موسى : يا رب كيف شكرك آدم .. الحديث [2] . قال : ومن نظر بعين التوحيد المحض عرف أنه الشاكر وأنه المشكور ، وأنه المحب وأنه المحبوب ، وهذا نظر من عرف أنه ليس في الوجود غيره ، وأن كل شيء هالك إلا وجهه ، لأن الغير هو الذي يُتصوّر أن يكون له بنفسه قوام وهذا محال أن يوجد إذ الموجود المحقق هو هذا القائم بنفسه ، وما ليس له بنفسه قوام فليس له بنفسه وجود ، بل هو قائم بغيره ، فهو موجود بغيره ، فإن اعتبر من حيث ذاته لم يكن له وجود البتة ، وإنما الموجود هو القائم بنفسه ، ومن كان مع قيامه بنفسه يقوم بوجوده وجود غيره فهو قيوم ، ولا يتصور أن يكون القيوم إلا واحدًا ، فليس في الوجود غير الحي القيوم الواحد ، فالكل منه مصدره وإليه مرجعه ، ويعبر الصوفية عن هذا بفناء النفس ، أي فنى عن نفسه وعن غير الله ، فلا يرى إلا الله ، فمن لا يفهم هذا ينكر عليهم ويسخر منهم فيسخرون منه ، هذا كله كلام الغزالي رحمه الله تعالى . انتهى .

وهذا المعنى هو المراد بوحدة الوجود وبالوحدة المطلقة وغير ذلك من العبادات التي تذكرها العارفون من أهل التحقيق ، وليس مرادهم المعنى الفاسد الذي عند أهل الزندقة والإلحاد ، وقد أنكرته عليهم علماء الكلام ، وقد كشفت عن ذلك في رسالة سميتها : «إيضاح المقصود من معنى وحدة الوجود» .

وإذا عرفت ما تقدم فيكون على هذا معنى كون الدنيا فانية أي معدومة بالنظر إلى وجود الحق تعالى الباقي لا بالنظر إلى ما يظهر منها للحس والعقل أو معدومة بالنظر إليها في ذاتها وإن كانت موجودة من طرف إيجاد الحق تعالى لها .

ومعنى كون العقل والنقل متوافقين على ذلك وكذلك الكتاب والسنة ما ذكرنا من الآيتين ومن قوله عليه السلام : «كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير (٨/٤٣٣٢) .

(٢) بقيته : «....... قال علم أن ذلك مني فكان ذلك شكره» وعزاه السيوطي للحكيم عن الحسن مرسلاً . قال المناوي مبينًا معناه : ... أي كان بمجرد هذه المعرفة شاكرًا فإن لا شكر إلا بأن تعترف بأن الكل منه وإليه ، وليس لغيره سوى مجرد مظهرية لما بين يديه فإن خالطك ريب في هذا لم تكن عارفًا لا بالنعمة فهذا أصل أصيل إليه المرجع وعليه التعويل . ا هـ .

كان» [١] .

وقال عليه السلام : «أشعر كلمة تكلم بها العرب كلمة لبيد :

ألا كل شيءٍ ما خلا الله باطل» [٢] .

قال المناوي في شرح هذا الحديث : وفي رواية : «أصدق كلمة قالها شاعر» [٢] ، وفي رواية أخرى : «أصدق بيت قالته الشعراء» [٢] .

وباطل أي فانٍ أو غير ثابت ، أو خارج عن حد الانتفاع ، أو آيل إلى البطلان أو كان باطلاً لكونه بين العدمين ولا يشكل بصفات الباري لأن بقاءها معلوم من ذكرالذات لكونها غير قابلة للانفكاك ، وهذا قريب من قوله تعالى : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ [٣] . وإنما كان ذلك أصدق لتطابق العقل والنقل على حقيقته والشهادة به .

وروى السلفي [٤] في «مشيخته البغدادية» عن يعلى بن جراد قال : أنشد لبيد

---

(١) عزاه العجلوني لابن حبان والحاكم وابن أبي شيبة عن بُريدة ..... قال القاري : ثابت ولكن الزيادة وهي قوله : «وهو الآن على ما عليه كان» من كلام الصوفية . قال : ويشبه أن يكون من مفتريات الوجودية القائلين بالعينية . قال : وقد نصَّ ابن تيمية كالحافظ العسقلاني على وضعها كشف الخفاء للعجلوني (٢/١٨٩) رقم (٢٠١١) .

(٢) أخرجه البخاري كتاب : (الأنصار) مناقب باب : (أيام الجاهلية) (٣٨٤١) ، كتاب : (الأدب) باب : (ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه) (٦١٤٧)، كتاب : (الرقاق) باب : (الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك) (٦٤٨٩) - مسلم كتاب : (الشعر) (٢٢٥٦)

- الترمذي كتاب : (الأدب) باب : (ما جاء في إنشاد الشعر) (٢٨٤٩) وقال : حسن صحيح .

- ابن ماجة كتاب : (الأدب) باب : (الشعر) (٣٧٥٧) .

- الترمذي في الشمائل المحمدية (ص ٢٠١) ٣٧- باب : (ما جاء في صفة كلام رسول الله ﷺ في الشعر) (٢٤٣ ، ٢٤٩) .

(٣) سورة [القصص : ٨٨] .

(٤) السلفي الحافظ العلامة ، شيخ الإسلام ، أبو طاهر ، عماد الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم ، الأصبهاني وسِلَفَة لقب جده أحمد ومعناه الغليظ الشفة ...... كان حافظًا ناقدًا ، متقنًا ، ثبتًا دينًا ، خيرًا ، انتهى إليه علو الإسناد وروى عنه الحفاظ في حياته . وله «معجم شيوخ أصبهان» ، «ومعجم شيوخ بغداد» ، «ومعجم شيوخ السفر» وله تصانيف . وكان أوحد زمانه في علم ......=

للنبي ﷺ: ألا كل شيء ما خلا الله باطل فقال له : «صدقت» ، فقال : وكل نعيم لا محالة زائل ، فقال : «كذبت نعيم الآخرة لا يزول» . انتهى .

ومن استقصى ما ورد في الكتاب والسنة تحقق معنى الموافقة والمطابقة وتيقن ذلك كله بنفس واثقة وحكم بصحة ما ذكر هنا وصحة ما سيأتي مِنْ أنَّ الدار الآخرة لهي الحيوان وأن الظفر بها لا يحصل إلا بمتابعة خاتم النبيين ، وأن الشيطان للإنسان عدو مبين .

ص : (سريعة الزوال) . ش : من حيث أعيانها . ص : (والخراب) . ش : من حيث بنيانها ، وهذا يقتضي إرادة المصنف رحمه الله تعالى للمعنى الأول الذي فسرنا به كونها فانية .

قال الخازن في تفسير قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ﴾ [1] أي متعة ينتفع بها مدة ثم تنقطع . وإن «الآخرة هي دار القرار» أي التي لا تزول .

والمعنى أن الدنيا فانية منقرضة ولا منفعة فيها ، وأن الآخرة باقية دائمة والباقي خير من الفاني .

قال بعض العارفين : لو كانت الدنيا ذهبًا فانيًا والآخرة خزفًا باقيًا لكانت الآخرة خيرًا من الدنيا ، فكيف والدنيا خزف فاني والآخرة ذهب باقي .

وقال الواحدي في تفسير قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ...﴾ إلى آخره وتأويل الآية أن الحياة في الدنيا سبب لاجتماع المال وزهرة الدنيا مما يروق ويُعجب حتى إذا كثر ذلك عند صاحبه وظن أنه ممتنع به سلب ذلك عنه بموته أو بحادثة تهلكه ، كما أن الماء سبب لالتفاف النبات وكثرته حتى تتزين به الأرض وتظهر بهجتها . وظن الناس أنهم مستمتعون بذلك أهلكها الله وردها إلى الفناء حتى كأن لم

= الحديث ، وأعلمهم بقوانين الرواية . توفي يوم الجمعة خامس ربيع الآخر سنة ست وسبعين وخمسمائة ، وله مائة وست سنة . - البداية والنهاية (١٢/٣٠٧) ، تذكرة الحفاظ (٤/١٢٩٨) ، غاية النهاية (١/١٠٢) حسن المحاضرة (١/٣٥٤) ، النجوم الزاهرة (٤/٨٨) ، لسان الميزان (١/٣٩٩) .

(١) سورة [غافر : ٣٩] قال الطبري في تفسيره (٢٤/٦٧) يقول مؤمن بالله من آل فرعون لقومه : ما هذه الحياة الدنيا العاجلة التي عجلت لكم في هذه الدار إلا متاع تستمتعون بها إلى أجل أنتم بالغوه ، ثم تموتون وتزول عنكم .

تكن .

ص : (عزها) ش : أي الدنيا يعني العز الذي لأهل الدنيا بالدنيا من جاهٍ وحشمة ومال ومنصب ورياسة ونحو ذلك . ص : (ذُلٌّ) ش : عاجلٌ ولكن أهله لا يشعرون به لسكرهم بخمر محبة الدنيا .

قال أبو عبد الرحمن السلمي [١] في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَقْرَبُوا الصَّلاَةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾ [٢] : قال بعضهم : السكر على أنواعٍ منها سكر الخمر وهو أسرعها إفاقة ، وسكر الغفلة ، وسكر الهوى ، وسكر الدنيا ، وسكر المال ، وسكر الأهل والولد وسكر المعاصي ، وسكر الطاعات ، وكل هذا وما يشبهه يمنع صاحبه عن إتمام صلاته والقيام فيها بشرط العبودية والتأدب للمناجاة ، وشرط إقامة الصلاة هو القيام إليها بالغفول عن كل ما سواها .

ص : (ونعمها) . ش : أي الدنيا جمع نعمة وهي ما يتمتع به الإنسان وغيره [٣] فيها لا ما يحصل للإنسان فيها من المعرفة والطاعات التي هي أجَلّ النعم لأن التمتع بهذه إنما يكون في الآخرة لا في الدنيا ، ومراده هنا شهوات الدنيا ولذائذها من كل مأكول ومشروب وملبوس ومنكوح ومركوب ومسكون وغير ذلك .

ص : (نقم) ش : جمع نقمة يعني محنًا وبلايا .

---

(١) أبو عبد الرحمن السُّلمي . الحافظ العالم الزاهد ، شيخ الصوفية المشهور محمد بن الحسين بن موسى الأزدي النيسابوري (٣٠٣ - ٤١٢) وهو مؤلف كتاب : «طبقات الصوفية» وشيخ خراسان ، وكبير الصوفية ، وصاحب التصانيف ، ورث التصوف عن أبيه وجده ، وجمع من الكتب ما لم يُسْبق إلى ترتيبه حتى بلغ فهرس كتبه المئة . ذكر الخطيب البغدادي ، فقال : محله كبير ، وكان مع ذلك صاحب تصانيف مجوّدًا ، جمع شيوخًا ، وتراجم أبوابًا ، وعمل دويرة للصوفية . وصنف سننًا وتفسيرًا - سير أعلام النبلاء (٢٤٧/١٧) ، العبر (١٠٩/٣) ، البداية والنهاية (١٢/١٢) تذكرة الحفاظ (١٤٦/٣) ، طبقات الشافعية للسبكي (١٤٣/٤) .

(٢) سورة [النساء : ٤٣] .

(٣) النِّعمة بالكسر اسم من أنعم الله عليه يُنعم إنعامًا ونِعْمَةً ، أُقيم الاسم مُقام الإنعام كقولك : أنفقت عليه إنفاقًا ونفقة بمعنى واحد ... وفي الحديث إن أهل الجنة ليتراءون أهل عليين كما ترون الكوكب الدُّرّي في أفق السماء ، وإن أبا بكر وعمر منهما وأنعما أي زادًا وفضلاً رضي الله عنهما لسان العرب (٤٤٧٩/٦) نعم .

ولقد أحسن من قال من أهل الكمال : إن الدنيا ليس فيها لذة [١] مطلقًا وما يظهر فيها بصور اللذائذ فإنما ذلك زوال الآلام لا لذائذ في الحقيقة ، فإن لذة الأكل زوال ألم الجوع ، ولهذا لا توجد إلا بعد الجوع ، وكذلك لذة الشرب زوال ألم العطش ولذة الجماع زوال ألم الشبق الذي هو احتراق المنيّ .

فجميع ما في الدنيا قسمان : الآلام ، وزوال الآلام ، ويسمى زوال الآلام لذائذ عند أهل الدنيا بخلاف الآخرة ، فإن أهل الجنة لا ألم عندهم حتى تكون لذائذهم زوال ذلك الألم ، فلذائذهم حقيقية ، فلذة أكلهم لا عن جوع ، ولذة شربهم لا عن عطش كما قال تعالى : ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ [٢] وهكذا جميع لذائذهم ، ولا يمكن في الدنيا ذوق لذة من ذلك ، بل لا يمكن إدراك معناها .

ذكر الشيخ الشعراني في «العهود المحمدية» قال : سمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول : الدنيا كلها ابنة إبليس وكل من أحبها زوجها له ، ويصير إبليس يتردد إليه لأجل بنته ، بل سمعته يقول : إن الشيطان يتردد إلى من خطب ابنته ولو لم يدخل بها على عادة الأصهار ، فإن أردت يا أخي الحفظ من ذلك فلا تصاهره ولا تخطب بنته .

وذكر الشيخ محيي الدين بن العربي [٣] قدس الله سره في « كتابه روح القدس»

---

(١) تعريف اللذة في عصرنا الحديث يختلف عن تعريفها لدى الأقدمين فاللذة هي إفراز الهرمون في لعاب الفرد التي تدفعه إلى تذوق المطعومات والمشروبات وقيل : اللذة هي الانتفاع على وجه التام بالشيء الذي يتعامل به الإنسان .

(٢) سورة [طه : ١١٨ ، ١١٩] أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله : ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ قال : لا يصيبك فيها عطش ولا حر . - وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله : ﴿لَا تَظْمَأُ فِيهَا﴾ قال : لا تعطش . ﴿وَلَا تَضْحَىٰ﴾ قال : لا يصيبك فيها حرٌّ . - وأخرج عبد الرزاق ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن عكرمة رضي الله عنه في قوله : ﴿وَلَا تَضْحَىٰ﴾ قال : لا يصيبك حرّ الشمس . [الدُّرُّ المنثور (٣١٠/٤)] .

(٣) قال الشعراني في الطبقات الكبرى (١٦٣/١) في التعريف بمحيي الدين بن عربي كما رآه بخطه في كتاب «نسب الخرقة» أجمع المحققون من أهل الله عز وجل على جلالته في سائر العلوم كما يشهد لذلك كتبه ... كان يكتب الإنشاء لبعض ملوك العرب ثم تزهد وتعبد وساح ودخل مصر والشام ..=

قال : والله ما يستوي فراغ عارفٍ عنده درهمان وفراغ عارف عنده درهم ، بل صاحب الدرهم أفرغ من صاحب الدرهمين .

جاء رجل إلى سيدنا أبي مدين فقال له : يا سيدنا إن الشيطان يؤذيني فعسى أن تدفعه عني ، فقال له الشيخ : قد شكى إلي إبليس بك قبلك ، قال وما قال لك ؟ قال : قال لي : لتعلم يا شيخ أن الدنيا خلقها لي ربي وجعلها حُبالتي وشَرَكي ومَلْكَتِها ، فجاء فلان فتعدى علي فيها وأخذ لي منها ، فعدوت وراءه أطلب حقي منه ، ووالله ما قصدت منهم إنسانًا ولا طلبت أحدًا ، ولا بَرِحت من مكاني أحفَظ علىَ بستاني ومالي ، فمن أخذ لي منه شيئًا تبعته أطلب حقي ، وقد عرفت أن فلانًا يشكوني إليك فسبقته ، وقد أخبرتك بالقصة وأنا لا أترك منه حقي وأسلمه فيما أقدر عليه من دينه أو يرُدّ إلي متاعي كما فعل الزهاد والموفقون ولهذا قال تعالى : ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [1] فما لي عليهم حجة ولا حق فإنهم تركوا مالي وهذا تعدى ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ [2] فمن الظالم ؟ فقال الرجل : أنا ، فقال له الشيخ : رد إليه دنياه ويرد إليك آخرتك .

ص : (وشرابها) . ش : أي الدنيا ، يعني جميع مشروباتها المحسوسة التي هي عند النفوس عذبٌ زُلال ومشروباتها المعقولة أيضًا التي هي مستحسنات النفوس من الطبائع والأحوال . ص : (سراب) : بالسين المهملة ، قال الفراء [3] : السراب ما لصق بالأرض والإلُ الذي يكون ضحى كالماء بين السماء والأرض .

قال ابن السكيت [4] : السراب الذي يجري على وجه الأرض كأنه الماء وهو يكون نصف النهار ، وهو الذي يلصق بالأرض .

= والحجاز والروم وله في كل بلد دخلها مؤلفات .... مات في سنة ثمان وثلاثين وستمائة» .

(١) سورة [الحجر : ٤٢] .

(٢) سورة [البقرة : ١٩٤] .

(٣) وفي لسان العرب : «سرب» : السَّرابُ الآلُ ، وقيل : السراب الذي يكون نصف النهار لاطئًا بالأرض لاصقًا بها . كأنه ماء جارٍ والآلُ : الذي يكون بالضحى ، يرفع الشخوص ويزهاها كالماء بين السماء الأرض . وانظر : مقاييس اللغة لابن فارس (١٥٥/٣ ، ١٥٦) «سرب».

(٤) عبارة ابن السكيت في «لسان العرب» سرب ، تهذيب الألفاظ لأبي يوسف يعقوب بن إسحاق السكيت (٢٠٣) ، (٧٥٩) .

وقال أبو الهيثم : سمي السراب سرابًا أي يجري جريًا ، يقال سرب الماء يسرب سروبًا . كذا في «تفسير الواحدي» : شبهت مشروبات الدنيا ولذيذات أحوال أهلها بالسراب الذي يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا وذلك لسرعة زوالها وكونها على التقضي والاضمحلال لفنائها في حقيقة الأمر كما قدمناه .

قال أبو عبد الرحمن السلمي في قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ ...﴾ الآية [1] .

قال ابن عطاء : ﴿يحسبه الظمآن ماء﴾ هو قلب ليس فيه شيء من أنوار الله فقير بما فيه رجوعه إلى الأسباب شركٌ يظهر إذ ذاك له أن الرجوع إلى الحق هو الإيمان قال تعالى : ﴿وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ﴾ [2] . أي وجد الطريق إليه .

وقال ابن عطاء [3] في قوله تعالى : ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ قال : ما وجد الخلقُ إلا الخلقَ وأبى الحق تعالى أن يكون لخلق إليه سبيل أو طريق إذ لا يعرفه سواه ولا يشهده غيره .

قال جعفر : أضلّتهم ظلمُ صحبة الأغيار وكانت على قلوبهم مثل التراب لم تغن عنهم شيئًا ولم تُدخلهم على حق لو وجَدُوا السَّبيلَ إلى الله لأضاءت سرائرهم وكانت كما قال تعالى : «نور على نور» قال بعضهم : القلب الذي تعلق بشيء غير الله هو فقير بما فيه لأن الفقر هو صحبة الإشكال والغنا الرجوع عن الخلق إلى الله عز وجل .

وقال ابن عطاء : كل ما كان دون الله فهو فقر ، وكل قلب فيه محبة شيء سوى الله فصاحبه فقير . انتهى .

---

(١) سورة [النور : ٣٩] .

(٢) سورة [النور : ٣٩] .

(٣) الشيخ تاج الدين بن عطاء الله ، أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الكريم الجُذامي الإسكندراني الإمام المتكلم على طريقة الشاذلي ، كان جامعًا لأنواع العلوم من تفسير وحديث ونحو وأصول ، وفقه على مذهب مالك ، وصحب في التصوف ، الشيخ أبا العباس المرسي ، وكان أعجوبة زمانه فيه - أخذ عنه التقي السبكي . له تصانيف منها : الله القصد المجرد ، والتنوير في إسقاط التدبير والحكم ، ولطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس ....

مات بالمدرسة المنصوريّة من القاهرة في ثالث عشر جماد الآخر سنة تسع وسبعمائة ودفن بالقرافة . حسن المحاضرة (٥٢٤/١) ت ٥٩ .

فالمنهمك في الدنيا وأحوالها ، وهو المشتغل بالأغيار والأسباب المعاشية والمعادية دون الله تعالى انهماكه في أمر محال أي باطل واشتغاله في فاقة من دينه ووبال فهو المغرور بما لديه في كل حال .

ذكر الشيخ محيي الدين بن العربي قدس الله سرّه في كتابه «روح القدس» في ترجمة شيخه أبي محمد عبد الله القطان المفتوح عليه في القرآن ، كان يصدع بالأمر لا تأخذه في الله لومة لائم ، يرد الكلام على السلاطين في وجوههم أقبح الرد ، له صولة يرمي من شاء بالحق ، ولا يبالي عرّض بنفسه للقتل من كثرة سبّه لأفعال السلاطين ، وما هم عليه من مخالفة الشريعة ، له مجالس معهم يضيق الوقت عن ذكرها ، لا يتكلم إلا بالقرآن ، ولا يرى غيره ، ولم يكتب كتابًا ، سمعته يقول بمدينة قرطبة في جماعة مساكين أصحاب المصنفات والتآليف ، ما أطول حسابهم غدًا في كتاب الله مقنعٌ في حديث رسول الله ﷺ ، كان يحافظ على صاحبه .

ولم يتنعم قط ولا جمع بين درهمين ، وجه السلطان فيه ليقتله فأخذه الأعوان ودخلوا به على الوزير ، فأُقعد بين يديه ، فقال له : يا ظالم يا عدوّ الله وعدوّ نفسه فماذا وجهت ؟ فقال له : قد أمكن الله منك ، ما تعيش بعدها أبدًا ، فقال له الشيخ : لا تقرب أجَلاً ولا تدفع مقدورًا ، كل ذلك لا يكون ، أنا والله أشهد جنازتك ، فقال الوزير لو زغته : اسجنوه حتى أشاور السلطان في قتله ، فسجن تلك الليلة ، فانصرف هو وهو يقول عجبًا لم يزل المؤمن في السجن وإنما هذا بيت من بعض بيوت السجن .

فلما كان في اليوم الثاني جلس السلطان وأخبره الوزير بقصة الشيخ وكلامه ، فأمر به فحضر بين يديه ، فرأى رجلاً دميم الخلقة لا يؤبه له ، وما أحد من أهل الدنيا يريد له خيرًا ، وهذا كله لقوله الحق وإظهار معايبهم ، وما هم عليه من الفساد والجور .

فقال له السلطان بعد ما سأله عن اسمه ونسبه : أتحفظ توحيدك ؟ فتلاه عليه من القرآن بتقاسيمه ، وتعجب الملك وانبسط له إلى أن دخل معه في المملكة وشأنها ، فقال له السلطان : ما تقول في ملكي هذا ؟ فضحك ، فقال له : مم تضحك ؟ فقال : منك ، تسم الهذيان الذي أنت فيه مُلكًا وتسمى نفسك مَلكًا ،

وأنت كمن قال الله فيه : ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [١] إنما كان الملك الذي يَصْلي اليوم بنارها أو يجزى بها . وأما أنت فرجل عُجِنت لك خبز وقيل لك كلها ، ثم أغلظ عليه في القول بكل ما يكرهه ويغيظه ، وفي المجلس الوزراء والفقهاء ، فسكت السلطان وخجل وقال : هذا رجل موفق يا عبد الله تحضر مجلسنا ، قال : لا فإن مجلسكَ مغصوب ودارك التي تسكنها أخذتموها بغير حق ، ولولا أني مجبور ما دخلت هنا ، حال بيني وبينك وبين أمثالك ، وما مضى زمن قليل إلا والوزير قد مات ، وخرج أبو محمد وحضر جنازته ، وقال : بررت قسمي . انتهى .

فهذا من وقائع أهل الحق مع أهل الدنيا المغرورين بما لا حقيقة له من العرض الفاني كما قال تعالى : ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [٢] قال البيضاوي [٣] : أي لذاتها وزخارفها ، شبهها بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغرّ حتى يشتريه ، وهذا لمن آثرها على الآخرة ، فأما من طلب بها الآخرة فهي له متاعُ بلاغٍ والغرور مصدر أو جمع غار . انتهى .

وقال تعالى : ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [٤] قال العز بن عبد السلام في تفسيره ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ أعطيتم من رياش الدنيا من مال وولد فمتاع الحياة الدنيا تتمتعون به ليس من زاد الآخرة ولا مما ينفعكم في معادكم .

ص : **(وأن الدار الآخرة)** [٥] ش : معطوف على أن الدنيا ، ولم يقل الدار الدنيا ولا الآخرة بدون لفظة الدار لأن الدنيا ليست بدار لعدم القرار فيها ، والدار هي الآخرة لأنها للقرار والخلود ، وسميت آخرة لتأخرها عن الدنيا . ص : **(لهِيَ الحيوان)** ش : مؤكدة بأن وبلام القسم لجحود الكفار لها ، أي الحياة الدائمة الخالدة التي لا موت فيها .

ص : **(أُعدّت)** ش : أي هيئت ، وفيه إشارة إلى أن الجنة مخلوقة الآن وكذا

---

(١) سورة [الكهف : ٧٩] .
(٢) سورة [الحديد : ٢٠] .
(٣) تفسير البيضاوي ص (٧١٧) .
(٤) سورة [القصص : ٦٠] .
(٥) سورة [العنكبوت : ٦٤] .

النار ، وجميع ما في الآخرة غير أنه خارج عن هذا العالم وهو الحق .

ص : (للمتقين) . ش : أي المحترزين عن مخالفة ربهم فيما أمرهم به ونهاهم عنه ظاهرًا وباطنًا .

مراتب التقوى

قال المناوي في «شرح الجامع الصغير» : التقوى على مراتب : وقاية النفس عن الكفر وهو للعامة ، وعن المعاصي وهو للخاصة ، وعما سوى الله وهو لخاصة الخاصة انتهى .

والآخرة مهيئة لأهل هذه المراتب الثلاثة على حسب مراتبهم فيها .

ص : (من أهل الإيمان) . ش : بيان للمتقين إذ لا تقوى بدون الإيمان وهو التصديق ظاهرًا وباطنًا بما جاء به محمد ﷺ من عند ربه عز وجل من الاعتقاديات والعمليات على مقتضى ما يعلمه الله تعالى ويعلمه رسوله عليه السلام ، وهو الإيمان بالغيب الذي هو فرض على كل مكلف ، وهو غير متفاوت بحسب مراتب الناس الثلاثة : العامة والخاصة ، وخاصة الخاصة ، وإنما مراتب الكشف والعيان ظهور ذلك على حسب استعداد الإنسان ، وليس هو الذي كلّفَ اللهُ تعالى به العبد ولكنه السبيل إلى حقيقة الإيقان كما أشار إليه الشيخ محيي الدين بن العربي رضي الله عنه في أوائل «كتاب العبادلة» .

ص : (عزتها) . ش : أي الدار الآخرة ، يقال عزّ فلانٌ يُعزّ عِزّا وعِزّةً وعزازةً صار عزيزًا أي قَويَ بعد ذلةٍ قاله الجوهري . ص : (باقية) . ش : غير فانية كعزة الدنيا التي هي حقيقة المذلة كما مرّ . ص : (أبدية) . ش : لا انقضاء لها .

ص : (ونعمها) . ش : جمع نعمة وهي ما في الآخرة مما ينعم الله تعالى به على عباده المؤمنين من أنواع النعيم المقيم . ص : (صافية) . ش : أي خالصة من شوائب الأكدار . ص : (سرمدية) . ش : لا نهاية لها ، قال تعالى : ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [1] قال الخازن : يعني أن الدنيا فانية والآخرة باقية ، والباقي خير من الفاني ، وأنتم تؤثرون الفاني على الباقي .

---

(١) سورة [الأعلى : ١٦] .

قال عرفجة الأشبج [١] : كنا عند ابن مسعود فقرأ الآية فقال : أتدرون لم آثرنا الحياة الدنيا على الآخرة ؟ قلنا : لا ، قال : لأن الدنيا أُحضرت وعُجّل لنا طعامُها وشرابها ونساؤها ولذتها وبهجتها ، وإن الآخرة تغيبت وزويت عنا فأحببنا العاجل وتركنا الآجل ، وقال الواحدي : الآخرة أي الدار الآخرة ، يعني الجنة خير وأفضل وأبقى وأدوم من الدنيا قال رسول الله ﷺ : «من طلب آخرته أضر بدنياه ، ومن طلب دنياه أضر بآخرته فآثروا ما يبقى على ما يفنى» .

وفي تفسير السلمي قال أبو العباس الدينوري : من خَسَّ طبْعُه وحقُرت همته آثر الدنيا بخستها وحقارتها ، ومن علت همته وعظُم قدْرُه آثر الآخرة ، ومن شرُف حالُه وصحّت حقائقه آثر الله على الدارين وما فيهما .

ص : (وشرابها) . ش : أي الآخرة والمراد الجنة ، وهو اسم للخمرة ولهذا أنثها حيث قال . ص : (خالية عن إثم) . ش : أي تحريم ، إذ هي الخمرة الحلال ، والإثم أيضًا من أسماء الخمرة التي في الدنيا ، والمعنى على هذا خمرة الآخرة خالية عن مشابهة خمرة الدنيا ، كما قال تعالى : ﴿لاَ يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلاَ يُنزِفُونَ﴾ [٢] قال الخازن : أي لا يصَدعُ عنها رؤسهم من شربها ولا ينزفون أي لا تغلبُ على عقولهم ولا يسكرون منها .

وقال في قوله تعالى : ﴿لاَ فِيهَا غَوْلٌ﴾ [٣] أي لا تضارّ عقولهم فتذهب بها .

---

(١) عرفجة بن أسعد بن كرب بن صفوان بن حبان بن شجرة بن عطارد ، التميمي ، العطاردي ، له صحبة . وهو الذي أصيب أنفه يوم الكلاب . روى له أبو داود ، والترمذي والنسائي .
- تهذيب الكمال (٥٢٠/١٢) ترجمة رقم (٤٤٨٢) .

(٢) سورة [الواقعة : ١٩] أخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن سعيد بن جبير في قوله : ﴿لاَ يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلاَ يُنزِفُونَ﴾ قال : لا تصدع رؤسهم ولا تنزف عقولهم . [الدر المنثور (١٥٥/٦)] .

(٣) سورة [الصافات : ٤٧] - أخرج هناد ، وعبد بن حميد ، وابن أبي حاتم عن مجاهد رضي الله عنه في قوله : ﴿لاَ فِيهَا غَوْلٌ﴾ قال : وجع في بطن ﴿وَلاَ هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ قال : لا تذهب عقولهم - أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : في الخمر أربع خصال : السكر والصداع ، والقيء والبول فنزه الله خمر الجنة عنها ﴿لاَ فِيهَا غَوْلٌ﴾ لا تغول عقولهم من السكر ....=

وقيل : لا إثم فيها ولا وجع البطن ولا صداع .

أضرار خمر الدنيا

وقيل : القول فساد يلحق في جفاءٍ ، وخمر الدنيا يحصل منها أنواع من الفساد منها السكر ، ووجع البطن ، وصداع الرأس ، والبول ، والقيء ، والعربدة ، أي من الأحوال المكرهة ، ولا يوجد شيء من ذلك في خمر الجنة .

صفات خمر الآخرة

وقال في قوله تعالى : ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ (1) يعني طاهرًا من الأقذار والأقذاء لم تمسّه الأيدي ، ولم تدنسه الأرجل كخمر الدنيا .

وقيل : إنه لا يستحيل بولاً ولكنه يستحيل رشحًا في أبدانهم كرشح المسك وذلك أنهم يؤتون بالطعام ، ثم بعده يؤتون بالشراب الطهور ، فيشربون منه فتطهر بطونهم ، ويصير ما أكلوا رشحًا يخرج من جلودهم أطيب من المسك الأذفر وتضمر بطونهم وتعود شهوتهم .

وقيل : الشراب الطهور هو عين ماء على باب الجنة ، من شرب منه نزع الله ما كان في قلبه من غل (2) وحسد وغش .

وقال الواحدي : وهو طهور ليس بنجس كما كانت في الدنيا مذكورة بالنجاسة ، والمعنى أن ذلك الشراب طاهر ليس كخمر الدنيا .

=﴿وَلاَ هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾ لا يقيؤن عنها كما يقيء صاحب خمر الدنيا ، والقيء مستكره [الدُّرُّ المنثور (٥/٢٧٤)] .

(1) سورة [الإنسان : ٢١] أخرج هناد وعبد بن حميد وابن المنذر عن إبراهيم التيمي في هذه الآية ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ قال : عرق يفيض من أعراضهم مثل ريح المسك . - وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر عن أبي قلابة رضي الله عنه : ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ قال : إذا أكلوا وشربوا ما شاء الله من الطعام والشراب دعوا الشراب الطهور فيشربون فيطهرهم فيكون ما أكلوا وشربوا جشاء بريح مسك يفيض من جلودهم ، ويضمر لدن بطونهم [الدُّرُّ المنثور (٦/٣٠١ ، ٣٠٢)] .

(2) أخرج أبو نعيم في : «صفة الجنة» ص (١١٣) رقم (٢٩٣) عن ابن عباس في قوله : ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ﴾ يريد : الذي يكون في صدور المؤمنين في الدنيا وذكروا عن النبي ﷺ أنه قال : «إن الغل على أبواب الجنة كمبارك الإبل إذا نزع من صدور المؤمنين» .

ص : (و) . ش : خالية تلك الخمرة أيضًا عن . ص : (لاغيةٍ) . ش : أي لغو .

قال الخازن : ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ لاَ تَسْمَعُ فِيهَا لاَغِيَةً﴾ (١) أي ليس فيها لغو ، ولا باطل .

وقال الواحدي في قوله تعالى : ﴿لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلاَ تَأْثِيمًا﴾ (٢) أي لا لغوَ فيها فيُسمع ولا يقول بعضهم لبعض أثِمت لأنهم لا يتكلمون بما فيه إثم ، وهذا معنى قول ابن عباس : لا يتكلمون بالإثم كما يتكلم أهل الدنيا . انتهى . فلعل المراد من خلو خمرة الآخرة عن اللغو أنها لا تشرب على الكلام الفاحش والغناء الباطل ، وإنما تشرب على التغنيّ باللطائف الإلهية والكلام الحق .

صفات حور الجنة

ص : (فيها) . ش : أي في الدار الآخرة والمراد الجنة . ص : (حور) . جمع حوراء وهي النقية البياض من النساء .

وقال الواحدي : الحور هن البيض الوجوه .

وقال أبو عبيدة : الحوراء الشديدة بياض العين الشديدة سوادها .

وفي تفسير الخازن : والحور من النساء النقيات البياض التي يحار الطرف من بياضهن وصفاء لونهن .

ص : (مقصوراتٌ) : أي مُخدراتٌ مستورات لا يخرجن لكرامتهن وشرفهن .

روى عن النبي ﷺ أنه قال : «لو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى الأرض لأضاءت ما بينها ولملأت ما بينها ريحًا ، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها يعني الخمار» .

---

(١) سورة [الغاشية : ١١] .

(٢) سورة [الواقعة : ٢٥] أخرج ابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله : ﴿لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ قال : باطلاً ﴿وَلاَ تَأْثِيمًا﴾ قال : كذبًا - وأخرج هناد عن الضحاك : ﴿لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ قال : الهذر من القول . والتأثيم : الكذب

[الدُّرُّ المنثور (٦/١٥٦)] .

وقيل : قصر طرفهن وأنفسهن على أزواجهن فلا يبغين بهم بدلاً .

ص : (في الخيام) . (١) ش : قيل هي البيوت .

قال ابن الأعرابي : الخيمة لا تكون إلا من أربعة أعواد ، ثم تسقف بالثمام فيقال خيم فلان خيمة إذا بناها من جريد النخل ، وخيم بها إذا أقام بها وتظلل فيها ،وهي خيام من دُرّ ولؤلؤ وزبرجد مجوف يضاف إلى القصور في الجنة .

وعن أبي موسى الأشعري أن رسول الله ﷺ قال : «إن للمؤمن لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها في السماء» (٢) .

وفي رواية : «عرضها ستون ميلاً للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضًا» (٣) . وقال الواحدي : روى قتادة عن ابن عباس قال : [«الخيمة درة مجوفة» (٤) فرسخ في فرسخ فيها أربعة آلاف مصراع من ذهب] .

وقال رسول الله ﷺ : «الخيمة درّة مجوفة طولها في السماء ستون ميلاً في كل زاوية منها أهل للمؤمن لا يراهم الآخرون» (٥) .

---

(١) سورة [الرحمن : ٧٢] .

(٢) أخرجه مسلم (٢١٨٢/٤) ٥١- كتاب : (الجنة وصفة نعيمها وأهلها) ٩- باب : في صفة خيام الجنة وما للمؤمنين فيها من الأهلين رقم ٢٣- (٢٨٣٨) .

(٣) أخرجه مسلم (٢١٨٢/٤) ٥١- كتاب : (الجنة وصفة نعيمها وأهلها) رقم ٢٤- (....) وإسناده : وحدثني أبو غسان المسمعي . وحدثنا أبو عبد الصمد . حدثنا أبو عمران الجوني عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : «في الجنة خيمة من لؤلؤةٍ مجوفةٍ .....» الحديث ، أحمد في المسند (٤٠٠/٤ ، ٤١١ ، ٤١٩) .

(٤) هذا القدر أخرجه البخاري كتاب : (بدء الخلق) باب : ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة (٣٢٤٣) ، مسلم رقم ٢٣- (٢٨٣٨) ، الترمذي كتاب : (صفة الجنة) باب : ما جاء في صفة غرف الجنة (٢٥٢٨) ، تحفة الأشراف (٩١٣٦) .

(٥) الحديث صحيح أخرجه مسلم في صحيحه (٢١٨٢/٤ ، ٢١٨٣) ١٥- كتاب : (الجنة وصفة نعيمها وأهلها ٩- باب : في صفة خيام الجنة ، وما للمؤمنين فيها من الأهلين ٥٢- (.....) حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة . حدثنا يزيد بن هارون . أخبرنا همام ، عن أبي عمران الجوني . عن أبي بكر بن أبي موسى بن قيس ، عن أبيه ..... الحديث وانظر رقم ٢٣- (٢٨٣٨) ، أحمد في المسند (٤٠٠/٤ ، ٤١٤ ، ٤١٩) .

وفي آخر «الإحياء» [١] للغزالي قال أنس رضي الله عنه قال النبي ﷺ : «لما أسرى بي دخلت في الجنة موضعًا يسمى البَيْذَخ عليه خيام اللؤلؤ والزبرجد الأخضر والياقوت الأحمر فقلن السلام عليك يا رسول الله ، فقلت : يا جبريل ما هذا النداء ؟ قال : هؤلاء المقصورات في الخيام استأذنّ ربهنّ في السلام عليك فأذن لهنّ فطفقن يقلن : نحن الراضيات فلا نسخط أبدًا ، ونحن الخالدات فلا نظعن أبدًا . وقرأ رسول الله ﷺ : ﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [٢] .

وقال رسول الله ﷺ : «إن الرجل من أهل الجنة ليتزوج خمسمائة حوراء في الجنة وأربعة آلاف بكر ، وثمانية آلاف ثيب ، يعانق كل واحدة منهن مقدار عمره في الدنيا» [٣] .

ص : (ناعمات) .ش : من النعومة وهي لين الملمس .

ص : (مطهرات) . ش : أى نظيفات نقيات ، من الطهارة وهى النظافة .

ص : (عن الأقذار) ش : جمع قذَرٍ بالذال المعجمة محرّكة .

قال الجوهري [٤] : القذر ضد النظافة وشيء قذر بين القذارة وقذرت الشيء

---

(١) عزاه السيوطي [في الدُر المنثور (١٥١/٦)] لابن مردويه والبيهقي في البعث والنشور .

(٢) سورة [الرحمن : ٧٢] .

(٣) عزاه العراقي لأبي الشيخ في كتاب «طبقات المحدثين» ، وفي كتاب «العظمة» من حديث ابن أبي أوفى إلا أنه قال : مائة حوراء لم يذكر فيه عناقه لهن . وإسناده ضعيف . ثم قال الزبيدى في «إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين» (٥٤٦/١٠) . سياق المصنف «أبو حامد الغزالي» أورده البيهقي في كتاب : البعث وأما لفظ أبي الشيخ في كتاب : العظمة يزوج كل رجل من أهل الجنة بأربعة آلاف بكر وثمانية آلاف أيم ومائة حوراء فيجتمعن في كل سبعة أيام فيقلن بأصوات حسان لم تسمع الخلائق بمثلها : نحن الخالدات فلا نبيد ... الحديث .

وفي آخره : طوبى لمن كان لنا وكنا له . ورواه هكذا أبو نعيم في صفة الجنة . وهذا هو الذي أشار إليه العراقي أنه تقدم قبله بحديث . ورواه أبو الشيخ في العظمة أيضًا ص (٢٦١) رقم (٥٩١) طبع مكتبة القرآن وإسناده منقطع عن عبد الرحمن بن سابط قال : «إن الرجل من أهل الجنة يتزوج خمسمائة حوراء وأربعمائة بكر وثمانية آلاف ثيب ما منهن واحدة إلا يعانقها عمر الدنيا كلها لا يأجم واحدًا منهما عن صاحبه» الحديث .

(٤) الصحاح (٧٨٧/٢ قذر) .

بالكسر وتقذرته واستقذرته إذا كرهته وعن .

ص : (الآلام) ش : جمع ألم وهو المرض والوجع ، أي لا تألم لهن ولا توجع بشيء أصلاً ولا يدركهن مرض ولا يعلوهن اصفرار ، ولا تذهب بهجة حسنهن ولا جمالهن على الأبد بل دائمًا يزددن بمرور الأحقاب صحة وعافية وحسنًا وجمالاً وبهجة وسرورًا . قال البيضاوي في قوله تعالى : ﴿أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ : مما يستقذر من النساء . ويذم من أحوالهن كالحيض والدرن ، ودنس الطبع ، وسوء الخلق ، فإن التطهير يستعمل في الأجسام ، والأخلاق والأفعال .

وقال الواحدي : مطهرة لا يتغوطن ولا يبلن ولا يمنين ولا يحضن ، فهن مطهرات من الحيض والغائط والبول والنخام والبزاق والمني والولد ، ومطهرات من كل الأقذار .

وقيل : مطهرة من مساوىء الأخلاق لما فيهن حسن التبعل ودل على هذا قوله : ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ [1] .

وقال الخازن في قوله تعالى : ﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ [2] قيل هُنَّ الحور العين أنشأهن الله تعالى لم يقع عليهن ولادة ، «فجعلناهن أبكارًا» «عذارى» وليس هناك وجع ، «عُرُبًا» جمع عَروب وهي المتحببة إلى زوجها قاله ابن عباس وفي رواية عنه «إنها الملِقَة ، وقيل : الغنجة».

وعن أسامة بن زيد عن أبيه : «عُرُبًا» قال حسان : الكلام «أترابًا» يعني أمثالاً

---

(١) سورة [الواقعة : ٣٧] .

(٢) أخرج ابن جرير ، وابن المنذر ، والبيهقي من طريق على عن ابن عباس في قوله ﴿عُرُبًا﴾ قال : عواشق . ﴿أَتْرَابًا﴾ يقول : مستويات .

- وأخرج ابن جرير من طريق عطية العوفي عن ابن عباس قال : «العُرب» المتحببات المتوددات إلى أزواجهن .
- وأخرج ابن جرير ، وابن أبي حاتم من طريق عكرمة عن ابن عباس قال : العُرب : الملقة لزوجها .
- وأخرج عبد الرزاق وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر عن مجاهد في قوله ﴿عُرُبًا﴾ قال : هي الغنجة . [الدر المنثور (١٥٨/٦)] .

في الخَلق [١] . وقال العز بن عبد السلام : «عربًا» أي عواشق أزواجهن [٢] .

وقيل : يتحاب بعضهن بعضًا لا كضرائر الدنيا .

وقيل : غنجات .

وقيل : حسنات الكلام ، من قوله عليه السلام : «يُعْرِبُ عنها لسانها» [٣] .

وفي الخبر : «كلامهن عربي» [٤] .

ص : (كأنهن) ش : أي تلك الحور التي في الجنة . ص : (الياقوت) ش : وهو أربعة أنواع : أحمر وأصفر والأسماجوني وأبيض .

فالأحمر ينقسم إلى أربعة : الوردي ، والخمري وهو أحمرٌ مشرب ، والأحمر بلون العصفر الشديد الخمرة ، والبهرمان نقي الحمرة بحيث لا يشوبها شائبة وهو أجوده ، قالوا ربما بلغ مثقاله مائة دينار إذا كان جيدًا جدًّا .

والأصفر : منه الرقيق قليل الصفرة والخَلوقيّ أصْبَغ صُفْرةٍ منه ، والجلناري أصبغ من الخلوقي وهو أجود .

والأسماجوني : منه الأزرق واللاّزَوَرْدي ، والنيلي ، والكحلي ، وهو أصبغ من النيلي ، ويسمى الزيتي .

والأبيض : منه المائي وهو الشديد البياض ، والذكر : وهو أثقل من المائي وهذا أرخص اليواقيت وأدونها . ذكره والدي رحمه الله تعالى في كتاب الزكاة من «أحكامه» .

والمراد هنا الياقوت الأحمر أو الأبيض .

ص : (والمرجان) ش : وهو صغار اللؤلؤ قاله الجوهري . واللؤلؤ قيل مطر الربيع

---

(١) أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم الدر المنثور (١٥٩/٦) .

(٢) وأخرج الطستي عن ابن عباس أن نافعًا الأزرق قال : أخبرني عن قوله عز وجل : «عُرُبًا أترابًا» قال : هن العاشقات لأزواجهن اللاتي خلقن من الزعفران ، والأتراب المستويات قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم أما سمعت نابغة بني ذبيان وهو يقول :

عهدت بها سعدى عزيزة ... عروب تهادى في جوار خرائد

(٣) لم أقف عليه لكن الحديث المشهور : «البكر يزوجها أبوها والثيب تعرب عن نفسها» .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم عن جعفر بن محمد عن أبيه رضي الله عنه [الدر المنثور (١٥٩/٦)] .

يقع في الصدف فيصير لؤلؤًا ، وقيل : الصدف : حيوان يُخلق منه اللؤلؤ .

قال الخازن في تفسير قوله تعالى : ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [١] أراد صفاء اللون من الياقوت في بياض المرجان [٢] وهو صغار اللؤلؤ وأشده بياضًا ، وفيه تشبيه لونهن ببياض اللؤلؤ مع حُمرة الياقوت [٣] ، لأن أحسن الألوان البياض المشرب حُمرةً ، والأصح أنه شبههن بالياقوت لصفائه فإنه حجر لو أدخلت فيه سلكًا أي خيطًا ثم أستصَفته ، أي طلبت معرفة صفته لرأيت السلك من ظاهره لصفائه .

[صفات نساء أهل الجنة]

قال عمرو بن ميمون : إن المرأة من الحور العين لتلبس سبعين حُلّة فيرى مخ ساقها من وراء الحلل كما يُرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء .

يدل على صحة ذلك ما روى عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال : «إن المرأة من نساء أهل الجنة ليُرى بياض ساقها من وراء سبعين حُلة ، حتى يُرى مُخها» [٤] وذلك بأن الله يقول : ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [٥] فأما الياقوت فإِنَّهُ حجر لو أدخلت فيه سلكًا ثم استصَفتَهُ لرأيته من ورائه» أخرجه الترمذي . وقد رُوىَ عن ابن مسعود بمعناه [٦] ولم يرفعه وهو أصح .

وقال الواحدي : ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ أراد لهن صفاء الياقوت في بياض المرجان .

وقال العز بن عبد السلام : كأنهن الياقوتُ صفاءً والمرجان بريقًا ، إذ هو أبيض

---

(١) سورة [الرحمن : ٥٨] .

(٢) أخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن الحسن : ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ قال : صفاء الياقوت في بياض المرجان .

(٣) وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير عن قتادة في قوله : ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ قال : في صفاء الياقوت وبياض اللؤلؤ .

(٤) عزاه السيوطي لابن أبي شيبة وهناد بن السرى ، والترمذي وعبد بن حميد ، وابن جرير عن ابن مسعود ، الدر المنثور (١٤٨/٦) .

(٥) سورة [الرحمن : ٥٨] .

(٦) عزاه السيوطي لابن أبي شيبة وهناد بن السرى والترمذي ، وابن أبي الدنيا في صفة الجنة ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم وابن حبان ، وأبي الشيخ في العظمة وابن مردويهُ الدر المنثور (١٤٨/٦) .

من اللؤلؤ لصفائِهن وحُسْنِهن فيُرى مخُّ سوقهنّ من وراء أجسامهن ، كما يرى السلك في الياقوت والمرجان .

ص : (لم يطمثهن) .

ش : قال الواحدي : الطمث الافتضاض وهو النكاح بالتدمية يقال طمثَ يَطمُث ويَطمِث .

قال المفسرون : لم يطأهن ولم يغشهن ولم يجامعهن .

قال مقاتل : لأنهن خلقن في الجنة .

ص : ﴿إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلاَ جَانٌّ﴾ [(١)] . ش : أي قبل أزواجهن من أهل الجنة ومعنى الآية : المبالغة في نفي الطمث عنهن لأن ذلك أقر لأعين أزواجهن إذا لم يغشهن أحد غيرهم كذا في تفسير الخازن .

وإنما قدم قوله : ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ على قوله ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾ مع أن الآية بالعكس لقصد الاقتباس .

وشرطه إرادة أن لا يكون من القرآن كما مرَّ لتطول السجعة الثانية على الأولى ، فإنه لا يحسن إطالة الأولى على الثانية كما ذكره علماء البديع .

[النظر إلى وجه الكريم سبحانه وتعالى]

ص : (وجوه) . [(٢)] . ش : لهم يعني لأهل الجنة ، جمع وجه بمعنى العضو المخصوص ، أو هو مجموع الذات كما قالوا في وجه الله أي ذاته .

ص : (يَوْمَئِذٍ) . ش : أي في يوم القيامة .ص : (نَاضِرَةٌ) . ش : قال العز ابن عبد السلام : حسنة مُستبشرة مَسْرورَةٌ مُشْرِقَة مُتَهَلِّلَةٌ .

وقال الخازن : ناضرةٌ من النّضارة وهي الحُسْنُ .

---

(١) سورة [الرحمن : ٥٦ ، ٧٤] .

(٢) سورة [القيامة : ٢٢] .

قال ابن عباس : حسنة [١] .

وقيل : مسرورة ، وقيل : ناعمة ، وقيل : مسفرة مضيئة ، وقيل بيض يعلوها نور وبهاء ، وقيل مشرقة بالنعيم .

ص : (إلى رَبِّها) . ش : أي رب تلك الوجوه . ص : (نَاظِرَةٌ) . ش : تلك الوجوه .

قال ابن عباس ، وأكثر المفسرين : تنظر إلى ربها عيانًا بلا حجاب .

قال الحسن [٢] : حق لها أن تنضر وهي تنظر إلى الخالق سبحانه وتعالى كذا قاله الخازن .

وقال الواحدي : قال الزجاج [٣] : تُنضرت بنعيم الجنة والنَّظَرِ إلى رَبِّها عَزَّ وَجَلّ .

وعن النبي ﷺ قال : «إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله : تريدون شيئًا أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ، ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار ، قال : فيكشف لهم الحجاب ، فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم» [٤] .

---

(١) أخرج ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣٣٨٧/١٠) ١٩٠٦٤- عن ابن عباس في قوله : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾ قال : ناعمة ، وانظر : الدر المنثور للسيوطي (٣٤٧/٨ ، ٣٤٨) ١٩٠٦٥- عن مجاهد ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾ قال : مسرورة .

(٢) في تفسير الحسن البصري (٣٨١/٢) جمع وتوثيق ودراسة د/ محمد عبد الرحيم طبع دار الحديث بالقاهرة عن الحسن في قوله : «ناضرة» قال : النضرة الحسن ، نظرت إلى ربها فنظرت بنوره . وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٥٠/٨) للدارقطني والآجرى واللالكائي والبيهقي عن الحسن ، وعن الحسن في قوله «ناضرة» قال : حسنة ، أخرجه الطبري في تفسيره (١٩١/٢٩) حدثني محمد بن إسماعيل البخاري قال : حدثنا آدم قال : حدثنا المبارك عن الحسن ... الأثر .

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢٥٣/٥) .

(٤) أخرجه البخاري (١٤٤/٨ ط الشعب) باب : صفة الجنة والنار ، مسلم (١٦٣/١) ا- كتاب : (الإيمان) ٨٠- باب : إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى ٢٩٧- (١٨١) - الحاكم (٨٢/١) كتاب : (الإيمان) عن جابر بن عبد الله وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وقد تابع الأشجعي محمد بن يوسف الفريابي على إسناده ومتنه - الطبري في ....=

وعن ابن عمر عن النبي ﷺ قال : «إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر في ملكه ألف سنة لا يرى أقصاه كما يرى أدناه ، ينظر في سرره وأزواجه وخدمه ، وإن أفضلهم منزلة لمن ينظر في وجه الله كل يوم مرتين» رواه الحاكم [1] وصححه .

وفي تفسير البيضاوي : ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [2] تراه مُستغرِقة في مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه ، ولذلك قدم المفعول وليس هذا في كل الأحوال حتى يُنافيه نظرها إلى غيره .

وفي «حقائق» السلمي [3] قال النصرآبادي : من الناس ناس طلبوا الرؤية واشتاقوا إليه ، ومنهم العارفون الذين اكتفوا برؤية الله لهم فقالوا : رؤيتنا ونظرنا فيه علل ، ورؤيته ونظره بلا علة وهو أتم بركة وأسهل نفعًا .

وقال عبد العزيز : الخلق في لقاء الله على ضروب : منهم من يطمع فيه غفلة ، ومنهم من يطمع فيه جُرأة ، ومنهم من لا يطمع فيه هَيْبَةً وهو أفضلهم وأشرفهم وأرجاهم أن يؤهل لذلك . انتهى .

فإن قلت : إذا كانت الوجوه بمعنى الذوات كما سبق فكيف رؤيتها للرب سبحانه ؟ قلت : وكذلك يقال إذا كانت الوجوه على ظاهرها ، ويوضح هذا ما ذكره الشيخ عبد الوهاب الشعراني في «طبقاته» في ترجمة شيخه الشيخ علي الخواص أنه كان يقول : نشأة أهل الجنة مخالفة للنشأة الدنيوية التي نحن عليها الآن صورة ومعنى

= تفسيره (٢٠٧/٣) ، ابن الأعرابي في معجمه رقم (٨٣٦) ، أبو نعيم في ذكر أخبار أصبهان (٢٨٢/١) ، ابن حبان (٦٥٨ موارد) . (٢١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢٥٣/٥) .

(١) انظر التخريج المتقدم .

(٢) سورة [القيامة : ٢٢] .

(٣) «الحقائق في التفسير» للشيخ أبي عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي النيسابوري المتوفى سنة (٤١٢) وهو مختصر على لسان التصوف ، أوله : الحمد لله رب العالمين أولاً وآخرًا ...إلخ ذكر فيه أن أكثر أهل الظاهر جمع في أنواع فوائد القرآن ، ولم يشتغل أحد بفهم خطابه على لسان الحقيقة ولا بمجمعه إلا آيا متفرقة نسبت إلى العباس بن عطاء ذكر أنها عن جعفر بن محمد الصادق وكان قد سمع منهم في ذلك حروفًا فضمها إلى مقالتهم ورتبها على السور الفرقانية فكانت كالتفسير قرأه الثعلبي على مصنفه . لكن المفسرون من أهل الظاهر تكلموا فيه على ما هو دأبهم في أمثاله فقال الواحدي : زعم أنه صنف حقائق التفسير فإن كان اعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر وطعن فيه ابن الجوزى أيضًا [كشف الظنون (٦٧٣/١)] .

كما أشار إليه حديث : «إن في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» (١) .

وإيضاح ذلك أن حجاب البشرية ما دام موجودًا في الشخص فلا يعلم أحوال الجنة لأن الجنة نشأة شهودٍ وإطلاقٍ لا حجاب وتقييد ، ولذلك كان علم أحوال الجنة خاصًا بالعارفين .

واعلم أن الحق تعالى جعل لنا السمع والبصر والشم والذوق واللمس واللذة في النكاح والإدراك حقائق متغايرة حكمًا ومحلا مع اتحادها في الباطن لأن الإدراك ليس إلا للنفس ، وهي حقيقة واحدة بمنافذ مخصوصة ، وإنما تنوعت الآثار في هذه الحقائق بتنوع محالّها .

واعلم أن هذه الصفات المتغايرة هنا حكمًا ومحلا يقع الاتحاد بينها في الآخرة حكمًا ومحلا فيسمع بما به يبصر ، وبما به يتكلم ، وبما به ينطق ، وبما به يذوق ، وبما به يشم وكذلك الحكم في الضد من غير تضادٍ ، فيبصر بسائر جسده ، ويسمع كذلك ويأكل كذلك ، وينكح كذلك ، ويشم كذلك ، وينطق كذلك ، ويدرك كذلك ، وهذا القدر النزر من أحوال الجنة لا يَصِحُ وجوده في العقل لأنه محال في عقل من يسمع ذلك ، فكيف بغير النزر مما هو أعظم من ذلك ، ولم أر أحدًا تكلم على ما ذكرته غير سيدي عمر بن الفارض رضي الله عنه في تائيته فراجعها . انتهى .

وذكر الشيخ محيي الدين بن العربي قدس الله سره : أن أهل الجنة ينكحون جميع نسائهم وجواريهم في آن واحد (٢) ، نكاحًا حِسيا بإيلاج ووجود لذة خاصة بكل امرأة

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٧٥/٤) ٥١- كتاب : (الجنة وصفة نعيمها وأهلها) ٥- (٢٨٢٥) عن سهل بن سعد الساعدي ، أحمد في المسند (٣٣٤/٥) ، الحاكم في المستدرك (٤١٣/٢) كتاب : (التفسير) تفسير سورة السجدة وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .
وليس كما قال بل خرجه مسلم . الطبراني في المعجم الكبير (١٢٢/٦) رقم (٥٧٠٦) .

(٢) أخرج ابن حبان [(ص ٦٥٥) موارد] ٤٢- كتاب : (صفة الجنة) ٦- باب : في نساء أهل الجنة وفضل موضع القدم من الجنة على الدنيا وما فيها رقم (٢٦٣٥) عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : يعطى الرجل في الجنة كذا وكذا من النساء قيل يا رسول الله ! ومن يطيق ذلك ؟ قال : يعطى قوة مائة» قال ابن قيم الجوزية في كتابه : حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (ص ١٦٥) الباب : الخامس والخمسون : في ذكر نكاح أهل الجنة ووطئهم والتذاذهم بذلك أكمل لذة ونزاهة ذلك =

من غير تقدم ولا تأخر ، قال : وهذا هو النعيم الدائم والاقتدار الإلهي ، والعقل يعجز عن إدراك هذه الحقيقة من حيث فكره ، وإنما يدركه بقوة إلهية في قلب من شاء من عباده . والله على كل شيء قدير .

ومما يؤيد أن مراده بالوجوه الذوات قوله :

ص : (عنده) . ش : أي عند ربها .ص : (مرضية) . ش : تلك الوجوه أي مرضى عنها .

النفس المطمئنة

ص : (مطمئنة) . ش : وهي التي اطمأنت بذكر الله ، فإن النفس تترقى في سلسلة الأسباب والمسببات إلى الواجب لذاته فتستقر على معرفته وتستغنى به عن غيره ، أو إلى الحق بحيث لا يريبها شك ، أو الآمنة التي لا يستغرقها خوف ولا حزن . قاله البيضاوي [١] .

وقال العز بن عبد السلام : المطمئنة المؤمنة [٢] بأن الله ربها المسلمة لأمره .

= عن المذي والمني والضعف ، وأنه لا يوجب غسلاً . قال عن الحديث الذي ذكرته : إسناده صحيح قلت : في إسناده عمران بن دَاوَر - بفتح الواو بعدها راء - أبو العَوَّام ، القطان ، البصري ، صدوق يهم ، ورمى برأي الخوارج ، من السابعة ، مات بعد الستين أو السبعين [تقريب التهذيب رقم (٥١٥٤)] .

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي (ص ٧٩٨) طبع دار الجبل ببيروت .

(٢) أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه والضياء في المختارة من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله : ﴿يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ قال : المؤمنة ... إلخ وأخرج ابن أبي حاتم من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : من يشتري بئر رومة نستعذب بها غفر الله له فاشتراها عثمان فقال النبي ﷺ : «هل لك أن تجعلها سقاية للناس ؟» قال : نعم . فأنزل الله في عثمان : ﴿يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ الآية وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ قال : هو النبي ﷺ .

- وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن بريدة رضي الله عنهما : ﴿يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ قال : المصدقة .

- وأخرج سعيد بن منصور والفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد رضي الله عنه في قوله : ﴿يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ قال : أيقنت بأن الله ربها [الدر المنثور (٦/٣٥٠)] .

وقيل : المجيبة الموفية بوعده أو إلى ذكره .

وقال الواحدي : المطمئنة الراضية بقضاء الله الذي قدر الله فعلمت أن ما أصابها لم يكن ليخطئها وأن ما أخطأها لم يكن ليصيبها .

وقال الخازن : أي الثابتة على الإيمان والإيقان المصدقة بما قال الله الموقنة .

وقيل : هي الآمنة من عذاب الله .

وقيل : هي المطمئنة بذكر الله .

ص : (وعنه) ش : أي عن ربها راضية بما أوتيت .

وقيل : عن الله بما أعد الله لها .

وتقديم الخبر في الموضعين مفيد أنها ليست مرضية عند غيره ، وهو اعوجاج الخَلْقِ على أهل الإخلاص في الدنيا ، وليست راضية عن غيره لخروجها عن كل ما سواه .

[تعريف الشكر]

ص : (شاكرة) . ش : له على ما أنعم عليها .

وذكر القشيري في «رسالته» [١] أن الشكر ينقسم إلى : شكر باللسان وهو اعترافه بالنعمة بنعت الاستكانة ، وشكر بالبدن والأركان وهو اتصاف بالوفاق والخدمة ، وشكر بالقلب وهو اعتكاف على بساط الشهود بإدامة حفظ الحرمة .

وقال أبو بكر الوراق : شكر النعمة مشاهدة المنة أو حفظ الحرمة .

وقال حمدون القصار : شكر النعمة أن ترى نفسك فيها طفيليا .

وقال أبو عثمان : الشكر معرفة العجز عن الشكر [٢] .

---

(١) الرسالة القشيرية ص (١٠٦) باب : الشكر [طبعة المطبعة الأميرية سنة ١٢٨٤ هـ] ثم قال : ويقال : شكر هو شكر العالمين يكون من جملة أقوالهم ، وشكر هو نعت العابدين يكون نوعًا من أفعالهم ، وشكر هو شكر العارفين يكون باستقامتهم له في عموم أحوالهم ، وقال الجنيد : الشكر فيه علة لأنه طالب لنفسه المزيد فهو واقف مع الله تعالى على حظ نفسه .... وقال الجنيد : الشكر أن لا ترى نفسك أهلاً للنعمة .

(٢) الرسالة القشيرية ص (١٠٦) طبعة المطبعة الأميرية سنة (١٢٨٤) هـ وقال : قال أبو عثمان : شكر العامة على المطعم والملبس وشكر الخواص على ما يرد على قلوبهم من المعاني ... وقيل شكر العينين أن تستر عيبًا تراه بصاحبك وشكر الأذنين أن تستر عيبًا تسمعه فيه . وقيل : الشكر التلذذ بثنائه على ما لم يستوجبه من عطائه .

وقال الشبلي : الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعمة .

ص : (وهذه) . ش : الأمور المذكورة الأخروية . ص : (هي النعمة) . ش : التامة والمنة العامة لا أمور الدنيا الفانية المضمحلة المنتنة القذرة . ص : (واللذة العظمى) . ش : الأبدية وكل لذة سواها في الدنيا فإنها وهمية .ص : (والفوز) . ش : أي الظفر بغاية المنى .ص : (والفلاح) . ش : أي الخير الكثير .ص : (والسعادة الكبرى) .ش : التي لا شقاوة بعدها أبدًا . ص : (وأن الظفر) . ش : معطوف على أن الدار الآخرة .

ص : (بها) . ش : متعلق بالظفر أي بهذه الأمور الأخروية المذكورة .ص : (لا يحصل) . ش : لأحد أبدًا . ص : (إلا بمتابعة) . ش : وهي عبارة عن الإتيان بمثل فعل الغير .

[أخذ الميثاق على ختم النبي ﷺ النبوات والرسالات]

ص : (خاتم) . ش : بكسر التاء اسم فاعل ، وبفتح التاء الطابع . ذكره ابن مالك في «شرح المجمع» . ص : (النبيين) . ش : جمع نبي من النبوة وقد سبق تعريفها .

وقرىء خاتِمَ بالكسر والفتح فمن قرأ وخاتِم بالكسر فمعناه ختم النبيين ومن قرأ وخاتم بالفتح فمعناه آخر النبيين لا نبي بعده ﷺ .

قال الزجاج في «كتابه معاني القرآن» : وقال البيضاوي : خاتم النبيين آخرهم الذي ختمهم أو ختموا به على قراءة عاصم بالفتحِ ، ولو له كان ابن بالغ لاقِ منصبُه أن يكون نبيا كما قال عليه السلام في إبراهيم حين توفي : «لو عاش لكان نبيا» [1] .

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢/٢٣٦) ٦- كتاب : (الجنائز) ٢٧- باب : ما جاء في الصلاة على ابن رسول الله ﷺ وذكر وفاته رقم (١٥١١) بإسناد ولفظه : حدثنا عبد القدوس بن محمد ثنا داود بن شبيب الباهلي ، ثنا إبراهيم بن عثمان ، ثنا الحكم بن عتيبة ، عن مقسم عن ابن عباس قال : [لما مات إبراهيم ابن رسول الله ﷺ صلى عليه رسول الله ﷺ وقال : إن مرضعًا في الجنة ولو عاش لكان صديقًا نبيًا ، ولو عاش لعتقت أخواله القبط وما استرق قبطي] . وهذا إسناده =

ولا يقدح فيه نزول عيسى بعده لأنه إذا نزل كان على دينه مع أن المراد أنه آخر من نُبّيء .

ص : (سيدنا) . ش : معشر الموجودين الآن ص : (وسيد) . ش : بصيغة اسم الفاعل فيهما من السيادة ، يقال ساد قومَه يسُودهم سيادَةً وسؤدَدًا وسيدودة ، فهو سيدهم إذا علا عليهم وارتفعت رتبته . ص : (الأولين) . ش : من الأنبياء وغيرهم ص : (والآخرين) . ش : إلى يوم الدين .

وقدمنا بيان فضيلته ﷺ على جميع العالمين ، وإذا كان الأنبياء الماضون عليهم السلام مأمورين بمتابعته ﷺ على تقدير أن يدركوا زمانه ، فكيف بأمته عليه السلام الذين هم ليسوا بأنبياء .

قال في «المواهب اللدنية» : وقد أخذ الله تعالى الميثاق على النبيين فضلاً ومنة ليؤمنن به إن أدركوه ولينصرنّه ، قال تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ﴾ الآية [1] . أخبر تعالى أنه أخذ ميثاق كل نبي بعثه من لدن آدم عليه السلام إلى محمد ﷺ أن يصُدّق بعضهم بعضًا . قاله الحسن وطاووس وقتادة . وقيل : معناه أنه تعالى أخذ الميثاق من النبيين وأممهم واستغنى بذكرهم عن ذكر الأمم .

وعن علي بن أبي طالب وابن عباس : «ما بَعثَ الله نبيًا من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد ﷺ وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه» .

= ضعيف فيه إبراهيم بن عثمان أبو شيبة . وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٧٩/٣) ، البغوي في شرح السنة (١١٥/١٤) ، البيهقي في دلائل النبوة (٤٣١/٥) ، أحمد (٢٩٧/٤ ، ٣٠٠ ، ٣٠٢ ، ٣٠٤) ، الحاكم في المستدرك (٣٨/٤) كتاب : (معرفة الصحابة) ، وسكت عليه ، ولم يذكره الذهبي في التلخيص . انفرد به ابن ماجه تحفة الأشراف (٦٤٨٢) وله شاهد صحيح أخرجه البخاري (٤٧٦/١٠ فتح) ٧٨- كتاب : (الأدب) ١٠٩- باب : من سمى بأسماء الأنبياء رقم (٦١٩٤) وابن ماجه (٢٣٦/٢) ٦- كتاب : (الجنائز) ٢٧- باب : ما جاء في الصلاة على ابن رسول الله ﷺ وذكر وفاته رقم (١٥١٠) من طريق محمد بن بشر ثنا إسماعيل بن أبي خالد قال : قلت لعبد الله بن أبي أوفى رأيت إبراهيم ابن رسول الله ﷺ قال : مات وهو صغير ، ولو قضي أن يكون بعد محمد ﷺ نبي لعاش ابنه ولكن لا نبي بعده . وانظر سلسلة الأحاديث الضعيفة (٢٢٠) .

(١) سورة آل عمران : (٨١) .

وما قاله قتادة والحسن وطاووس لا يضاد ما قاله علي وابن عباس رضي الله عنهم ولا ينفيه بل يستلزمه ويقتضيه .

وقيل : معناه أن الأنبياء عليهم السلام كانوا يأخذون الميثاق من أممهم بأنه إذا بُعثَ محمد ﷺ أن يؤمنوا به وأن ينصروه .

واحتج له بأن الذين أخذ الله الميثاق منهم يجب عليهم الإيمان بمحمد ﷺ عند مبعثه ، وكان الأنبياء عند مَبعث محمد ﷺ من جملة الأموات ، والميت لا يكون مكلفًا فتعين أن يكون الميثاق مأخوذًا على الأمم .

قالوا : ويؤكد هذا أنه تعالى حكم على الذين أخذ عليهم الميثاق أنهم لو تولّوا لكانوا فاسقين ، وهذا الوصف لا يليق بالأنبياء عليهم السلام وإنما يليق بالأمم .

وأُجيبَ بأن يكون المراد من الآية أن الأنبياء لو كانوا في الحياة لوجب عليهم الإيمان بمحمد ﷺ ، ونظيره قوله تعالى : ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ وقد علم الله تعالى أنه لا يشرك قط ، ولكن خرج هذا الكلام على سبيل التقدير والفرض .

وقال تعالى : ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ .

وقال في الملائكة : ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَـٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾ مع أنه تعالى أخبر عنهم بأنهم لا يسبقونه بالقول ، وبأنهم يخافون ربهم من فوقهم ، فكل ذلك خرج على سبيل الفرض والتقدير ، وإذا نزلت هذه الآية على أن الله تعالى أوجب على جميع الأنبياء عليهم السلام أن يؤمنوا بمحمد ﷺ لو كانوا في الأحياء وأنهم لو تركوا ذلك لصاروا في زمرة الفاسقين ، فلا يكون الإيمان بمحمد ﷺ واجبًا على أممهم من باب أولى ، فكان صرف هذا الميثاق إلى الأنبياء أقوى في تحصيل المقصود .

وقال السبكي في تفسير هذه الآية : أنه عليه السلام على تقدير مجيئهم في زمانه يكون مرسلاً إليهم لتكون نبوته ورسالته عامة لجميع الخلق من زمن آدم إلى يوم القيامة ، وتكون الأنبياء وأممهم كلهم من أمته ، ويكون قوله ﷺ : «وبُعثت إلى

النَّاسِ كافةً» (١) لا يختص به الناس في زمانه إلى يوم القيامة ، بل يتناول من قبلهم أيضًا وإنما أخذ له المواثيق على الأنبياء عليهم السلام ليعلموا أنه المتقدم عليهم وأنه نبيهم ورسولهم ، وفي أخذ المواثيق وهي في معنى الاستخلاف ، ولذلك دخلت لام القسم في ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ (٢) وهي كأنها أيمان البيعة التي تؤخذ للخلفاء إلى وجودهم لا إلى عدم اتصافهم بما يقتضيه .

وفرق بين توقف الفعل على قبول المحل وتوقفه على أهلية الفاعل ، فهنا لا توقف من جهة الفاعل ولا من جهة ذات النبي ﷺ الشريفة وإنما هو من جهة وجود العصر المشتمل عليه ، فلو وجد في عصرهم لزمهم اتباعه بلا شك ، ولهذا يأتي عيسى عليه السلام في آخر الزمان على شريعته (٣) وهو نبي كريم على حاله ، لا كما يظن بعض الناس أنه يأتي واحدًا من هذه الأمة ، نعم إنه واحد من هذه الأمة لما قلنا من اتباعه للنبي ﷺ ، وإنما يحكم بشريعة نبينا محمد ﷺ بالقرآن والسنة وكل ما فيهما من أمر ونهي فهو يتعلق به كما يتعلق بسائر الأمة (٤) ، وهو نبي كريم على حاله لا ينقص

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٣٠٤/٣) ، والطبراني (٤١٣/١٢) رقم (١٣٥٢٢) عن ابن عمر وهو بلفظ : «أعطيت خمسًا لم يعطها نبي قبلي ، بعثت إلى الناس كافة الأحمر والأسود . قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٥٩/٨) : فيه إسماعيل بن يحيى بن كهيل وهو ضعيف .

(٢) سورة [آل عمران : ٨١] .

(٣) ألف السيوطي أبو عبد الرحمن جلال الدين المتوفى سنة (٩١١ هـ) رسالة بعنوان «الإعلام بحكم عيسى عليه السلام» وهي في الحاوي للفتاوي له (١٥٥/٢) برقم (٦٢) طبع دار الكتب العلمية ببيروت . جاء فيها : إن جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد كانوا يعلمون في زمانهم بجميع شرائع من قبلهم ومن بعدهم بالوحي من الله على لسان جبريل وبالتنبيه على بعض ذلك في الكتاب الذي أنزل عليهم ، والدليل على ذلك أنه ورد في الأحاديث والآثار أن عيسى عليه السلام بشّر أمته بمجيء النبي ﷺ بعده وأخبرهم بجملة من شريعته يأتي بها تخالف شريعة عيسى . وكذلك وقع لموسى وداود عليهما السلام .

(٤) أخرج البيهقي في دلائل النبوة عن وهب بن منبه قال : إن الله لما قرب موسى نجيًا قال : ربِّ إني أجد في التوراة أمة خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله فاجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد قال : ربِّ إني أجد في التوراة أمة أناجيلهم في صدورهم يقرءونها ، وكان من قبلهم يقرءون كتبهم نظرًا . ولا يحفظونها فاجعلهم أمتي قال : تلك أمة أحمد قال : ربِّ إني أجد في التوراة أمة يأكلون صدقاتهم في بطونهم فاجعلهم أمتي ، وكان من قبلهم إذا أخرج صدقته بعث الله عليها نارًا فأكلتها فإن لم تقبل لم تأكلها النار فاجعلهم أمتي قال : تلك أمة أحمد قال : ربِّ إني أجد في التوراة أمة إذا همَّ أحدهم بسيئة لم تكتب عليه فإن عملها كتبت عليه سيئة واحدة وإذا هم بحسنة =

منه شيء ، وكذلك لو بُعث النبي ﷺ في زمانه أو في زمان موسى وإبراهيم ونوح وآدم كانوا مُستمرّينَ على نبوتهم ورسالتهم إلى أممهم ، والنبي ﷺ نبي عليهم ورسول إلى جميعهم ، فنبوته ورسالته أعم وأشمل وأعظم ومتفق مع شرائعهم في الأصول لأنها لا تختلف ، وتَقدُّم شريعته ﷺ فيما عساه يقع الاختلاف فيه من الفروع ، إما على سبيل التخصيص وإما على سبيل النسخ أو لا نسخ ولا تخصيص ، بل تكون شريعة النبي ﷺ في تلك الأوقات بالنسبة إلى أولئك الأمم مما جاءت به أنبياؤهم ، وفي هذا الوقت بالنسبة إلى هذه الأمة الشريفة والأحكام تختلف باختلاف الأشخاص والأوقات ، وبهذا بان لنا معنى حديثين كانا خفيين عنا :

أحدهما : قوله ﷺ : «بعثت إلى الناس كافة» [١] كنا نظن أنه من زمانه إلى يوم القيامة ، فبان أنه جميع الناس أولهم وآخرهم .

والثاني قوله ﷺ : «كنت نبيًا وآدم بين الروح والجسد» [٢] . كنا نظن أنه بالعلم

= ولم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف فاجعلهم أمتي قال : تلك أمة أحمد .

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٣٠٤/٣) البيهقي في السنن الكبرى (٤٣٣/٢) ، أبو عوانة في مسنده (٣٩٦/١) .

- الطبراني في المعجم الكبير (٤١٣/١٢) رقم (١٣٥٢٢) حدثنا سلمة بن إبراهيم بن إسماعيل بن يحيى بن سلمة بن كهيل عن أبيه عن جده ، عن سلمة بن كهيل عن مجاهد عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : أعطيت خمسًا لم يعطها نبي قبلي :

١- بعثت إلى الناس كافة الأحمر والأسود وإنما كان يبعث كل نبي إلى قريته .

٢- ونصرت بالرعب ، يرعب مني عدوي على مسيرة شهر .

٣- وأعطيت المغنم .

٤- وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا .

٥- وأعطيت الشفاعة فأخرتها لأمتي .

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٥٩/٨) فيه إسماعيل بن يحيى بن كهيل وهو ضعيف .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٦٠٩/٢) كتاب : (تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين) رقم (٤٢٠٩/٢١٩) . وإسناده : حدثنا أبو النضر الفقيه ، وأحمد بن محمد بن سلمة العنزي قال ثنا عثمان بن سعيد الدارمي ، ومحمد بن سنان الصوفي ، ثنا إبراهيم بن طهمان ، عن بديل بن ميسرة ، عن عبد الله ابن شقيق ، عن ميسرة الفخر قال : قلت لرسول الله ﷺ : متى كنت نبيًا ؟ قال .... الحديث . قال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في التلخيص . =

فبان أنه زائد على ذلك وإنما يفترق الحال بين ما بعد وجود جسده ﷺ وبلوغه الأربعين وما قبل ذلك بالنسبة إلى المبعوث إليهم وتأهّلِهم لسماع كلامه لا بالنسبة إليه ولا إليهم لو تأهّلوا قبل ذلك .

وتعليق الأحكام على الشروط قد يكون بحسب المحل القابل ، وقد يكون بحسب الفاعل المتصرّف ، فهنا التعلق إنما هو بحسب المحل القابل وهو المبعوث إليهم وقبولهم سماع الخطاب والجسد الشريف الذي يخاطبهم بلسانه ، وهذا كما يوكّلُ الأب رجلاً في تزويج ابنته إذا وجدت كفؤًا فالتوكيل صحيح وذلك الرجل أهل للوكالة ، ووكالته ثابتة وقد يحصل توقفُ التصرف على وجود الكفء ولا يوجد إلا بعد مدة ، وذلك لا يقدح في صحة الوكالة وأهلية الوكيل .

ص : **(في العقائد)** . ش : متعلق بمتابعةِ ، وهي جمع عقيدةٍ ، اسمٌ لما يعقد عليه القلب في المعاني الدينية أي يربط ، يعني يقطع ويجزم من غير شك ولا تردّد ، لأن الشك والتردد كفر ، وكذلك الظن وهو الطرف الراجح ، قال تعالى : ﴿إِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ (١) وأما قوله : ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاَقُو رَبِّهِمْ﴾ (٢) قال البيضاوي : أي يتوقعون لقاء الله وقيل ما عنده أو يتيقنون أنهم يحشرون إلى الله فيجازيهم ، ويؤيده أن في مصحف ابن مسعود (يعلمون) وكأن الظن لما شابه العلم في الرجحان أُطلق عليه لتضمين معنى التوقع . انتهى .

فيبقى على هذا للظن إطلاقان :

إطلاق بمعنى رجحان أحد الطرفين وهو في الإيمان كفر .

وإطلاق بمعنى التوقع واليقين وهو محض الإيمان .

وقدم المتابعة في العقائد لأنها الأصل لكل متابعة ولتوقفِ كلّ عمل عليها ولأنها تكون في القلب والقلب سبب المؤاخذة بالأعمال كما قال تعالى : ﴿وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ (٣) ولأنها مُطهرَةٌ لموضع نظر الرب سبحانه .

= - وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢٩٢/١٤) ، البخاري في التاريخ الكبير (٣٧٤/٧) .

(١) سورة [النجم : ٢٨] .

(٢) سورة [البقرة : ٤٦] .

(٣) سورة [البقرة : ٢٢٥] .

كما ذكر النووي رحمه الله تعالى في «رياض الصالحين» حديثًا طويلاً عن أبي هريرة رضي الله عنه وفيه : «إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم» [1] .

وفي رواية : «ولا إلى أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم» .

وفي رواية : «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» [2] .

ص : (وفي الأقوال) . ش : جمع قول ، وهو قول الحق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على وجه العموم دون الخصوص كما كان يفعل النبي ﷺ ولا يفضح أحدًا من أمته ، فكان يقول : «ما بال أقوام يفعلون كذا» [3] .

وفي تفسير الخازن في قوله تعالى : ﴿وَلاَ تَجَسَّسُوا﴾ [4] عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : صعد النبي ﷺ المنبر فنادى بصوتٍ رفيع : «يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفض [5] الإيمان إلى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فإن من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله» [6] . انتهى [7] .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١٩٨٦/٤ ، ١٩٨٧) ٤٥- كتاب : (البر والصلة والآداب) ١٠- باب : تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله ٣٣- (.....) .

(٢) أخرجه مسلم (١٩٨٤/٤) ٤٥- كتاب : (البر والصلة والآداب) ١٠- باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره وعرضه وماله ٣٤- (.....) إسناده : حدثنا عمرو الناقد . حدثنا كثير بن هشام ، حدثنا جعفر بن برقان ، عن يزيد بن الأصم ، عن أبي هريرة . قال : قال رسول الله ﷺ ..... الحديث .

(٣) عزاه العراقي في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين (١٧٥٣/٤) رقم (٢٧٥٩) لأبي داود من حديث عائشة ورجاله رجال الصحيح أخرجه أبو داود ٣٥ - كتاب : (الأدب) باب : في حسن العشرة رقم (٤٧٨٨) .

(٤) سورة [الحجرات : ١٢] .

(٥) في أبي داود : «يدخل» .

(٦) في أبي داود : «بيته» .

(٧) أخرجه أبو داود كتاب : (الأدب) ٣٩- باب : في الغيبة رقم (٤٨٨٠) .- الترمذي كتاب : (البر والصلة) باب : ما جاء في تعظيم المؤمن رقم (٢٠٢) .- ابن حبان (٧٥/١٣ ، ٧٦ بالإحسان) ٤٤- كتاب : (الحظر والإباحة) ١٢- باب : الغيبة رقم (٥٧٦٣) وإسناده قوي ، فيه أوفى بن دلهم روى له الترمذي ، وهو صدوق ، وباقي رجاله ثقات رجال الصحيح .

والحاصل أن أمر النبي ﷺ بالمعروف ونهيه عن المنكر كان على وجه العموم دائمًا ، ولم يرد عنه عليه السلام أنه كان يقول لفاسقٍ معين لا تفعل الفسق ، بل ولا يظن في أحد من المسلمين إلا خيرًا ، وكيف يتصور أن يصدر منه ذلك ، وقد قال : «ولا تتبعوا عوراتهم» . كما في الحديث ، وهل كان يتتبع العورة وينهى تتبعها ولا يسترها .

وفي تفسير الخازن في المحل المذكور عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : «لا يستر عبدٌ عبدًا في الدُّنيا إلاَّ ستره الله يوم القيامة» [1] . انتهى .

فهذه وكيفية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على وجه المتابعة للنبي ﷺ في أقواله ، وسيأتي إن شاء الله تعالى لهذا البحث زيادة إيضاح في هذا الكتاب .

[مكارم الأخلاق]

ص : **(وفي الأخلاق)** . ش : جمع خلق ، وتقدم تفسيره .

وأخلاق النبي ﷺ كلها عظيمة ، قال الله تعالى : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [2] قال البيضاوي : إذ تَحتمِلُ من قومك ما لا تحتمله أمثالك .

وسئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه ﷺ فقالت : كان خلقه القرآن ، ألست تقرأ القرآن : ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [3] .

وفي تفسير الخازن : ولما كانت أخلاق رسول الله ﷺ كاملة وأفعاله الجميلة وافرة ، وصفها الله تعالى بأنها عظيمة ، وحقيقة الخلق قوى نفسانية يسهل على

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٦/١٤٥) .

(٢) سورة [القلم : ٤] .

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٦/٩١ ، ١٦٣) البيهقي (٢/٤٩٩) كتاب : (الصلاة) باب : في قيام الليل عن عائشة . - البخاري في الأدب المفرد ص (١١٦) ١٤٤- باب : من دعاء الله أن يحسن خلقه رقم (٣٠٩) ، ابن ماجه كتاب : (الأحكام) باب : (الحكم فيمن كسر شيئًا) رقم (٢٣٣٣) . - النسائي في الكبرى (٢/٩٦) كتاب : (التفسير) سورة المؤمنون رقم (٣٧٠) بإسناد حسن . وتفرد به تحفة الأشراف رقم (١٧٦٨٨) .

- الحاكم في المستدرك (٢/٣٩٢) وصححه ووافقه الذهبي . والبيهقي في دلائل النبوة (٢/٣٠٩) وزاد السيوطي نسبته في الدر المنثور (٥/٢) لابن المنذر وابن مردويه من حديث يزيد بن بابنوس عن عائشة .

المتصف بها الإتيان بالأفعال الحميدة والآداب المرضية فيصير ذلك كالخِلْقَة في صاحبه ، ويدخلُ في حسنِ الخلقِ التجنبُ عن الشحّ والبخل والتشديد في المعاملات .

ويستعمل في حسن الخلق التحبب إلى الناس بالقول والفعل والبذل وحسن الأدب والمعاشرة بالمعروف مع الأقارب والأجانب والتساهل في جميع الأمور ، والتسمح بما يلزم من الحقوق ، وترك التقاطع والتشاجر واحتمال الأذى من الأعلى والأدنى مع طلاقة الوجه ، وإدامة البِشر ، فهذه الخصال تجمع لجميع محاسن الأخلاق ومكارم الأفعال .

ولقد كان جميع ذلك في رسول الله ﷺ فوصفه الله تعالى بقوله : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (١) قال ابن عباس : معناه على دين عظيم ، ولا دين أحب إلى الله ولا أرضى عنده منه وهو دين الإسلام .

وقال الحسن : هو آداب القرآن .

سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ فقالت : كان خلقه القرآن (٢) .

وقال قتادة : هو ما كان يأمر به من أوامر الله وينتهي عنه من نواهي الله تعالى .

والمعنى : وإنك لعلى الخلق الذي أمرك الله به في القرآن .

وقيل : سمّى الله خلقه عظيماً لأنه امتثل تأديب الله إياه بقوله تعالى : ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (٣) .

وقال العز بن عبد السلام : وقيل على طبع كريم اجتمعت فيه مكارم أخلاق

---

(١) سورة [القلم : ٤] .

(٢) أخرجه مسلم رقم ١٣٩- (٧٤٦) ، أحمد في مسنده (٥٤/٦ ، ٩١، ١١١ ، ١٦٣ ، ١٨٨ ، ٢١٦) .

- أبو داود رقم (١٣٤٢) ، النسائي في سننه (١٦٠١ المجتبى) ، ابن ماجه في الأحكام (٢٣٣٣) وفيه من لم يسم .

- الدارمي في سننه (٣٤٥/١) كتاب : (الصلاة) .

- ابن سعد في الطبقات (١/ قسم ٢/ ص ٨٩) .

(٣) سورة [الأعراف : ١٩٩] .

الأنبياء عليهم السلام لأنها قُصّت عليه وقيل له : ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ .

وفي «المواهب اللدنية» قال الحليمي : إنما وُصِفَ خلقه بالعظم مع أن الغالب في وصف الخلق بالكرم ، لأن كرم الخلق يراد به السماحة والأمانة والدماثة . ولم يكن خلقه ﷺ مقصورًا على ذلك ، بل كان رحيمًا بالمؤمنين رفيقًا بهم ، شديدًا على الكفار غليظًا عليهم ، مَهيبًا في صدور الأعداء منصورًا بالرعب منهم على مسيرة شهر ، فكان وصف خلقه بالعظم أولى ليشمل الإنعام والانتقام .

وقال الجنيد رضي الله عنه : وإنما كان خلقه ﷺ عظيمًا لأنه لم تكن له همة سوى الله تعالى وقيل : لأنه عليه السلام عاشر الخلق بخُلُقِه وبايَنهم بقلبه .

وقيل : لاجتماع مكارم الأخلاق فيه ، قال عليه السلام فيما رواه الطبراني في الأوسط عن جابر : «إن الله بعثني بتمام مكارم الأخلاق وكمال ومحاسن الأفعال» .

وفي رواية مالك في الموطأ : «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» [١] . فجميع الأخلاق الحميدة كلها كانت فيه ﷺ فإنه أُدِّب بالقرآن .

وقال صاحب «عوارف المعارف» [٢] : ولا يبعد أن قول عائشة رضي الله عنها «كان خلقه القرآن» فيه رمز غامض وإيماء خفي إلى الأخلاق الربانية ، فاحتشمت الحضرة الإلهية أن تقول كان مُتخَلقاً بأخلاق الله تعالى ، فعبرت عن المعنى بقولها كان خلقه القرآن استحياء من سبحات الجلال وسترًا للحال بلطف المقال ، وهذا من وفور عقلها وكمال أدبها ، فكما أن معاني القرآن لا تتناهى ، فكذلك أوصافه الجميلة الدالة على خلقه العظيم لا تتناهى ، إذ في كل حالة من أحواله يتجدد له من مكارم

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٦١٣/٢) أول كتاب آيات رسول الله ﷺ . كتاب : (التاريخ) .
- البخاري في الأدب المفرد ص (٨٤) . وقال : صالح ، وفي التاريخ الكبير (١٨٨/٧) ، البيهقي في السنن الكبرى (١٩٢/١٠) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٣٨/٥) .
- الخرائطي في مكارم الأخلاق (١/١) رقم (١) .= - مجمع الزوائد (١٨٨/٢) باب : مكارم الأخلاق والعفو عن ظلم ، باب : حسن خلقه ﷺ وحيائه وحسن معاشرته .
- مالك في الموطأ (٩٠٤/٢) كتاب : حسن الخلق (بلاغًا) وقال ابن عبد البر في تجريد التمهيد : (ص (٢٥١) حديث رقم (٨١٧) هذا الحديث يتصل من وجوه صحاح عن أبي هريرة وغيره عن النبي ﷺ.

(٢) عوارف المعارف للإمام العارف شهاب الدين أبي حفص عمر السهروردي (٥٣٩ - ٦٣٢هـ) .

الأخلاق ومحاسن الشيم وما يفيضه الله تعالى عليه من معارفه وعلومه ما لا يعلمه إلا الله تعالى .

فإذا التعرض لحصر جزئيات أخلاقه الحميدة ﷺ تعرض لما ليس من مقدور الإنسان ولا من ممكنات عاداته .

وقد كان ﷺ مجبولا على الأخلاق الكريمة في أصل خلقته الزكية النقية ، لم يحصل ذلك له برياضة نفس بل بجود إلهي ، ولهذا لم تزل تشرق أنوار المعارف في قلبه حتى وصل إلى الغاية العليا والمقام الأثنى .

وأصل هذه الخصال الحميدة والمواهب المجيدة كمال العقل ، لأن به تقتبس الفضائل وتجتنب الرذائل .

وقال وهب بن منبه : قرأت في أحد وسبعين كتابًا . فوجدت في جميعها أن الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا إلى انقضائها من العقل في جنب عقله ﷺ إلا كحبة رملةٍ بين رمل من جميع رمال الدنيا ، وأن محمدًا ﷺ أرجح الناس عقلاً وأفضلهم رأيًا . رواه أبو نعيم في «الحلية» [1] وابن عساكر .

وعن بعضهم مما هو في «عوارف المعارف» [2] اللب والعقل مائة جزء ، تسعة وتسعون في النبي ﷺ ، وجزء في سائر المؤمنين .

[صفات النبي ﷺ]

ص : **(وفي الأفعال)** . ش : جمع فعل ، وقد فعل ﷺ الأفعال الجميلة الحسنة المرضية من بداية أمره إلى نهايته [3] ، فكان يخصف النعل ، ويرقع الثوب ، ويخدم في مهنة أهله ، ويقطع اللحم معهن ، ولا يَبُث بصره في وجه أحد ، يجيب دعوة الحر والعبد ، ويقبل الهدية ولو أنها جرعةُ لبنٍ أو فخذ أرنب ، ويكافىء عليها ويأكلها ولا يأكل الصدقة وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع .

ويأكل ما حضر ولا يرد ما وجد ، ولا يتورع عن مطعم حلال ، وإن وجد شواءً

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم (٤/٢٦) . وفيه «... إلا كحبة رمل من بين رمال جميع الدنيا ...» .

(٢) عوارف المعارف للسهروردي طبع في دار المعارف بالقاهرة .

(٣) ومما هو مفيد في هذا الموضوع ما ذكرته في كتابي : «صفة طعام وشراب النبي ﷺ» ص (٧) طبع دار الفضيلة بالقاهرة .

أكله ، وإن وجد خبز قمح أو شعير أكله ، وإن وجد حلواء أو عسلاً أكله ، وإن وجد لبنًا دون خبز اكتفى به ، وإن وجد بطيخًا أو رطبًا أكله ، لا يأكل متكئًا .

ولم يشبع من خبز قمح ثلاثة أيام متوالية حتى لقى الله تعالى إيثارًا على نفسه لا فقرًا ولا بُخلاً ، أشد الناس تواضعًا وأسكنهم في غير كبر ، لا يهوله شيء من أمور الدنيا .

ويلبس ما وجد فمرة شملة ، ومرة بُرْدَه حِبرةٍ يمانية ، ومرة جبة صوف ما وجد من المباح لبس ، وخاتَمه فضة يلبسه في خنصره الأيمن أو الأيسر ، يردف خلفه عبده أو غيره ، يركب ما أمكنه ، مرة فرسًا ومرة بعيرًا ومرة بغلة شهباء ، ومرة حمارًا ، ومرة يمشي راجلاً حافيًا بلا رداءٍ ولا عمامةٍ ولا قلنسوةٍ .

يمزح ولا يقول إلا حقًّا ، يضحك من غير قهقهة ، يرى اللعب المباح فلا ينكره ، ويسابق أهله . وكان له لقاح وغنمٌ يتقوت هو وأهله من ألبانها .

وكان له عبيد وإماء [١] ، لا يرتفع عليهم في مأكل ولا ملبس ، يخرج إلى بساتين أصحابه لا يحقر مسكينًا لفقره ، ولا يهاب ملكًا لملكه ، يدعو هذا وهذا إلى الله دعاء واحدًا .

وكان لا يجلس أحد إليه وهو يصلي إلا خفف صلاته وجلس إليه فقال : «ألك حاجة ؟» فإذا فرغ من حاجته عاد إلى صلاته .

وكان أكثر جلوسه أن ينصب ساقيه جميعًا ويمسك بيديه عليهما شبه الحَبْوَةِ ، ولم يكن يُعرف مجلِسُه من مجلس أصحابه ، لأنه كان حيث ما انتهى به المجلس جلس ، وكان أكثر ما يجلس مستقبل القبلة ، وكان إذا سكت تكلم جلساؤه ، ولا يتنازع عنده في الحديث .

وكان لا يأكل الحارّ ويقول : «إنه غير ذي بركة ، وإن الله تعالى لم يطعمنا نارًا فأبردوه» [٢] .

وكان يأكل مما يليه ، ويأكل بأصابعه الثلاث وربما استعان بالرابعة ، ولم يكن يأكل

(١) اللهم وفقني إلى إتمام تأليف كتاب «مسند خدم وموالي رسول الله ﷺ» .

(٢) انظر إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين للزبيدي رحمه الله (١١٦/٧) .

بأصبُعين ويقول : إنَّ ذلك أكلة الشيطان [١] .

وجاءه عثمان بن عفان بفالوذج فأكل منه وقال : ما هذا يا أبا عبد الله ؟ فقال : بأبي أنت وأمي تجعل السمن والعسل في البرمة ، وتصفيهما في النار ثم تقليه ثم تأخذ مخ الحنطة إذا طحِنَتْ فتلقيه على السمن والعسل ثم تسوطه حتى ينضج فيأتي كما ترى ، فقال عليه السلام : «إنَّ هَذا طَعَامٌ طيبٌ» [٢] .

وكان إذا جلس مع الناس إن تكلموا في معنى الآخرة أخذ معهم ، وإن تحدثوا في طعام أو شراب تحدث معهم ، وإن تكلموا في أمر الدنيا تحدث معهم رفقًا بهم وتواضعًا لهم ، ثم نهض عنهم .

وكانوا يتناشدون الشعر بين يديه أحيانًا ، ويذكرون أشياء من أمر الجاهلية ويضحكون فيتبسم هو إذا ضحكوا ، ولا يزجرهم إلا عن حرام ، إلى غير ذلك من أفعاله ﷺ وأحواله الشريفة العظيمة ، وتمامها مبسوط في «إحياء علوم الدين» للغزالي رحمه الله تعالى .

---

(١) أرى أنه من الخير العميم أن أنقل هنا ما نقلته عن ابن قيم الجوزية في كتابه القيم سيرة خير العباد (٣٧/١ ، ٣٨) طبع المكتبة القيمة في كتابي (صفة طعام وشراب النبي ﷺ ص ٧ ، ٨) نشر مكتبة دار الفضيلة بالقاهرة .

قلت : كان رسول الله ﷺ جامعة للآداب والأخلاق الكريمة ومدرسة في السلوك القويم ، ومنهاج حياة في كل حركة يتحركها وفي كل كلمة ينطقها ، لذا نجده ﷺ لا يرد موجودًا ولا يتكلف مفقودًا ، فما قُرِّب إليه شيء من الطيبات إلا أكله ، إلا أن تعافه نفسه فيتركه من غير تحريم ، وما عاب طعامًا قط إن اشتهاه أكله وإلا تركه ولم يعبه . فقد ترك أكل الضب لما لم يعتده ، ولم يحرمه على الأمة . بل أكل على مائدته وهو ينظر ، وأكل الحلوى والعسل وكان يحبهما ، وأكل لحم الجزور ، والضأن والدجاج ولحم الحُبارى ، ولحم الحمار الوحش ، والضأن والدجاج والأرنب ، وطعام البحر ، وأكل الشوى ، وأكل الرطب والتمر ، وشرب اللبن خالصًا ومشوبًا والسويق والعسل بالماء ، وشرب نقيع التمر ، وأكل الخزيرة ، وأكل الثريد وهو : الخبز باللحم ، وأكل الخبز باللحم ، وأكل الخبز بالإهالة وهي الودك وهو الشحم المذاب ، وأكل من الكبد المشوية ، وأكل القديد ، وأكل الدباء المطبوخة وكان يحبها ، وأكل المسلوقة ، وأكل الثريد بالسمن ، وأكل الجبن وأكل الخبز بالزيت ، وأكل البطيخ بالرطب ، وأكل التمر بالزبد وكان يحبه ، ولم يكن يرد طيبًا ولا يتكلفه ، بل كان هديه أكل ما تيسر ، فإن أعوزه صبر حتى أنه ليربط على بطنه الحجر من الجوع . ويرى الهلال والهلال والهلال ، ولا يوقد في بيته نار ... إلخ .

(٢) انظر إتحاف السادة المتقين (١١٧/٧) .

وفي كتاب «المسامرات» للشيخ محيي الدين بن عربي رضي الله عنه : وكان ﷺ لا يُذكر عنده الأراذل ، يكرم كريم كل قوم ويُولّيهِ عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوي بِشرَهُ عن أحد ولا خُلقَه ، يتفقد أصحابه ويسأل الناس عمّا في أيدي الناس ، ويُحَسِّن الحسن ويصُوّبه ، ويقبح القبيح ويوهنه ، أهـ .

وفي «الجامع الصغير» للسيوطي : «كان ﷺ إذا تغدّى لم يتعشى وإذا تعشى لم يتغدى» [1] ، وكان يحمل ماء زمزم .

وكان يحدث حديثًا بحيث لو عده العادّ لأحصاه .

وكان يعجبه النظر إلى الخضرة والماء الجاري . إلى أكثر من ذلك مما هو مفصل في كتب الشمائل النبوية والأخلاق المحمدية .

[معنى كلمة الشيطان لغويا]

ص : (وَإِنَّ الشَّيطانَ) . ش : معطوف على أن الظفر بها ، والشيطان إما من شاط يشوط شوطًا في الأرض وهو سرعة السير لسرعته في السريان في باطن الآدمي لتلبيس الأمور ، وعجلته في الإضلال أو من شاط إذا احترق لغلبة النارية عليه .

أو من شاط إذا هلك لهلاكه بكفره وعناده فوزنه على هذا : فعلان ، أو من شطَن إذا بعد لبعده عن رحمة الله فوزنه : فيْعانُ وهو اسم لإبليس وأولاده كالإنسان اسم لآدم وأولاده .

[معنى كلمة إبليس]

قال أبو محمد الخازن في تفسير قوله تعالى : ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ

---

(١) الحديث ضعيف . رواه ابن بشر في الأمالي (١/٧٣) ، وابن عساكر في آخر «جزء لحفظ القرآن» (ق ٢/٨) وكذا في التاريخ (١/٦٥/١١) عن سليمان بن عبد الرحمن ثنا أيوب بن حسان الجرشي ثنا الوضين بن عطاء عن عطاء بن أبي رباح قال : دعى أبو سعيد الخدري إلى وليمة فرأى صفرة وخضرة فقال : أما تعلمون أن رسول الله ﷺ كان .... الحديث ، قال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة رقم (٢٥٠) وهذا إسناد ضعيف ورجاله ثقات . لكن الوضين بن عطاء سيء الحفظ فهو لهذا ضعيف . ثم إنه مرسل كما هو الظاهر لأن عطاء لم يوصله عن أبي سعيد بمثل قوله : «عن أبي سعيد» ونحوه ، تنبيه : هذا الحديث مما خفى مخرجه على الحافظ العراقي ثم التاج السبكي فذكرا أنه من الأحاديث التي أوردها الغزالي في «الإحياء» ولا أصل لها . وعزاه السيوطي في الجامع لأبي نعيم ولم أجده في فهرسته «البغية» .

الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (١) المراد من الشيطان إبليس .

وقيل : هو اسم جنس يطلق على جميع المردة من الشياطين لأن لهم قدرة على إلقاء الوسوسة في قلوب بني آدم بإقدار الله إياهم على ذلك .

وقال الواحدي في تفسير قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ﴾ (٢) قال أكثر أهل اللغة والتفسير : سمي إبليس بهذا الاسم لأنه أبلس من رحمة الله أي أيس منه ، والمبلس المكتئب الحزين الآيس ، وفي القرآن ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ (٣) .

وقيل : لا يجوز أن يكون مشتقًا من أبلس ، لأنه لو كان كذلك لانصرف ونوّن كما ينون إكليلٌ ، وبابه وترك تنوينه في القرآن يدل على أنه أعجمي معرب والأعجمي لا يُعرف له اشتقاق .

وقال ابن عباس : كان إبليس قبل أن يرتكب المعصية ملكًا من الملائكة اسمه عزازيل ، وكان من سكان الأرض وكان سكان الأرض من الملائكة يُسمون الجن ، ولم يكن من الملائكة أشد اجتهادًا ولا أكثر علمًا منه ، فلما تكبر على الله وأبى السجود لآدم وعصاه طرده ولعنه وجعله شيطانًا وسماه إبليس .

ص : (للإنسان) . ش : وهو الواحد من بني آدم ذكرًا كان أو أنثى .ص : (عدو مبين) . ش : ظاهر العداوة ، كما فعل بآدم وحواء فأخرجهما من الجنة «وقال لأحتنكن ذريته» .

وفي تفسير الخازن : يعني أنه بين العداوة لأن عداوته قديمة .

وعن أبي قتادة قال : كنت أرى الرؤيا تُمرضني حتى سمعت رسول الله ﷺ يقول : «الرؤيا الصالحة من الله والرؤيا السوء من الشيطان فإذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث بها إلا من يحب وإذا رأى ما يكره فليتفل عن يساره ثلاثًا ويتعوذ بالله من الشيطان وشرها فإنها لن تضره» (٤) اهـ .

---

(١) سورة [النحل : ٩٨] .
(٢) سورة [البقرة : ٣٤] .
(٣) سورة [الأنعام : ٤٤] .
(٤) أخرجه مسلم كتاب : الرؤيا باب (٤) ، أحمد (٣٠٣/٥) ابن عبد البر في التجريد (٧٧) =

وهذا من عداوة الشيطان لا يسلم منه ابن آدم ولا في حالة نومه .

قال الشيخ المناوي في «شرح الجامع الصغير» : «المؤمن محسود وَلِعَ به شيطانه» لشدة عداوته فهو يكيده ويخزيه من كل وجه ويلبس عليه فإذا رأى رؤيا صادقة خلّطها ليفسد عليه بشراه أو إنذاره أو معاينته ، ونفسه عَوْن للشيطان اللعين فيلبس عليه بما اهتم به في يقظته ا هـ .

واعلم أن الشيطان وإن كان لك عدوًّا مبينا فإنه لا يظهر منك إلا ما هو فيك من السوء ولا تأثير له فيما يصدر منك أصلاً ، كما أن لا تأثير لـك أنت أيضًا في ذلك وإنما ينسب الفعل إليك ، وينسب سبب ذلك الفعل وهو الوسوسة إلى الشيطان العدو والله خالق كل شيء وهو بكل شيء عليم ولله الحجة البالغة ولو شاء لهداكم أجمعين .

وقال رسول الله ﷺ فيما أخرجه الأسيوطي في «جامعه الصغير» : «بعثت داعيًا ومبلغًا وليس إلى من الهدى شيء ، وخلق إبليس مزيّنًا وليس له من الضلالة شيء» (١) .

وقال «شارحه» المناوي : فالرسل إنما هم مستجلبون لأمر جبلات الخلق وفطرهم فيَبَشّرون من فُطِر على خير ، وينذرون من جُبل على شر ، والشيطان إنما ينشر حبائله لأمر جبلات الخلق كما تقرر ، فكلا الفريقين لا يستأنفون أمرًا لم يكن بل يظهرون أمرًا كان مغيّبا ، وكذا حال كل إمام وعالم في زمنه ودجال وضلال في أوانه ، فإنما يميز كل منهما الخبيث من الطيب . انتهى .

فتأمل هذا في جميع ما سيأتي من أمور الشيطان ، واحذر أن تعتقد أن له - لعنه الله تعالى - من أمر الله شيئًا ، فإنه تعالى قال لحبيبه محمد ﷺ : ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ (٢) فكيف يكون لعدوه اللعين من الأمر شيء ، إنما الأمر كله لله ولكن هي كلمات وألفاظ تفصح عن معاني حضرات الله تعالى في اسمه المضل واسمه الهادي

= وابن السُّني في عمل اليوم والليلة (٧٦٥) .

(١) أخرجه ابن الجوزى في الموضوعات (٢٧٣/١) ، الدولابي في الكنى والأسماء (١٥٧/٢) البيهقي في تاريخ جرجان (٣٩٥) ابن عدى في الكامل (٩١٠/٣) وانظر : الدر المنثور (١٣٤/٥) ، كنز العمال (٥٤٦) الفوائد المجموعة (٥٠٥) تنزيه الشريعة المرفوعة (٣١٥/١) .

(٢) سورة [آل عمران : ١٢٨] .

وأنه يضل من يشاء بمن يشاء أي بملابسته لا بالاستعانة به ويهدي من يشاء بمن يشاء كذلك .

ص : (بصدّ) . ش : أي الشيطان بمَعْنى يمنع يقال صدّه عن الأمر يصدّهُ صدّا منعه وصرفه عنه قاله الجوهري .

ص : (عنه) . ش : أي عن الظفر بالدار الآخرة وما فيها على حسب ما سبق ، أو عن الإنسان والمفعول محذوف أي الخير ، يعني يمنع ويصرف عن الإنسان كل خير وصلاح . ص : (صدًّا) . ش : مصدر مؤكد للفعل المذكور .

ص : (بأقصى) . ش : أي بغاية ص : (جُهدٍ) . ش : بضم الجيم وفتحها أي طاقة وقدرة ، كما قرىء : ﴿وَالَّـذِينَ لاَ يَجِـدُونَ إِلاَّ جُهْـدَهُمْ﴾ وجهدهم أي طاقتهم . ص : (متين) . ش : من المتانة وهي القوة ، ومتن الأرض ما صلب منها .

ص : (إنما) . ش : كلمة حصر . ص : (يدعو) . ش : يعني الشيطان بمعنى يقهر ويغلب . ص : (حزبه) . ش : أي أشياعه وأولياءه وكل من أطاعه لا غير ، وهو ما ذكرنا من أن كل داعٍ إلى طاعة أو معصية يُميزُ الله به بين الخبيث والطيب فقط . ص : (ليكونوا) . ش : أي من دعاهم . ص : (من أصحاب السعير) . ش : تقرير لعداوته وبيان لغرضه في دعوة شيعته إلى اتباع الهوى والركون إلى الدنيا قاله البيضاوي .وقال السلمي في قوله تعالى : ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [١] ، قال الواسطي : فاتخذوه عدوًّا بما نصركم عليه واحذروا أن يعانيكم فإنه إنما يدعو حزبه - وحزبه هم الراكنون إلى الدنيا والمحبون لها والمفتخرون بها .

وقالت رابعة العدوية [٢] رضي الله عنها : أرجى آية في كتاب الله عندي قوله تعالى : ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [٣] قالت : كأنه يخاطبنا ويقول أنا حبيبكم فاتخذوني حبيبًا . وقال سهل : حزبُه : أهل البدع والضلالات والأهواء الفاسدة والسامعون ذلك من قائلها . وقال الواسطي : حذر وسمى حزبه ومتابعيه ،

---

(١) سورة [فاطر :٦] .

(٢) رابعة العدوية من أئمة الزهد في العالم الإسلامي ، وهي مشهورة معروفة .

(٣) سورة [فاطر : ٦] .

وأمر بطرده بضياء المبادرة في العهود وحفظ الحدود ، ورعاية الود بطرد الوساوس كما أن بضياء النهار تُطرَدُ الكلاب من المجالس وأنشد شعرًا .

ومن رعى غنماً في أرض مَسْبَعَةٍ   ونام عنها تولى رعيَها الأسدُ

ص : (خذوا) . ش : يا أيها المؤمنون . ص : (حذركم) . ش : منه لئلا يدخل عليكم سوءًا مُلَبّسًا في صورة خير ولا تشعرون به بقدرة الله تعالى المدة له فيما هو بصدده ، فإن الله تعالى أعطاه خلْقَهُ الذي هو مقتضى ما خُلِقَ له ، وهو الإضلال كما أعطى كل شيء خَلْقه من خير أو شر ثم هدى ، أي بين لكم مقتضى خلق كل شيء لا بقدرته هو التي هي فيه سبب الإمداد المذكور .

ص : (واتخذوه) . ش : أي الشيطان . ص : (عدوا) . ش : لكم في عقائدكم وأفعالكم وكونوا على حذر منه في مجامع أحوالكم . ص : (فإنه) . ش : أي الشيطان . ص : (كلب مبير) . ش : أي مهلك ، من البوار وهو الهلاك ، فله تكالب على ذلك وحرص شديد .

قال الإمام الغزالي رضي الله عنه في كتاب «شرح عجائب القلب» من إحياء علوم الدين : قال جرير بن عبيد العدوي : شكوت إلى العلاء بن زياد ما أجد في صدري من الوسوسة ، فقال : إنما مثل ذلك مثل البيت الذي تمرّ به اللصوص ، فإن كان فيه شيء عالجوه وإلا مضوا وتركوه ، يعني أن القلب الخالي عن الهوى لا يدخله الشيطان فلذلك قال الله تعالى : ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [١] وكل من اتبع الهوى فهو عبد الهوى لا عبد الله ، فلذلك يسلط عليه الشيطان ، وقد قال تعالى : ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ [٢] إشارة إلى أن الهوى إلهه ومعبوده ، فهو عبد الشيطان لا عبد الله .

وقال عثمان بن أبي العاص : يا رسول الله ، حال الشيطان بيني وبين صلاتي وقراءتي ، فقال : «ذلك شيطان يقال له : خنزب ، إذا أحسست به فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثًا» [٣] قال : ففعلت ذلك فأذهبه الله عني .

---

(١) سورة [الحجر : ٤٢] .
(٢) سورة [الجاثية : ٢٣] .
(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/٤١٩) ابن السُّني في عمل اليوم والليلة (٥٧٠) .

وفي الخبر : «إن للوضوء شيطانًا يقال له الولهان فاستعيذوا بالله منه» (١) .

ولا يمحو وسوسة الشيطان عن القلب إلا ذكر شيء سِوَى ما يوسوس به ، لأنه إذا حضر في القلب ذكر شيء انعدم عنه ما كان فيه من قبل ، لكن كل شيء سوى الله وسوى ما يتعلق به يجوز أن يكون أيضًا مجال الشيطان ، فذكر الله هو الذي يؤمن جانبُه ويُعلم أنه ليس للشيطان فيه مجال ، ولا يعالج الشيء إلا بضده وضد جميع وساوس الشيطان ذكر الله بالاستعاذة والتبري عن الحول والقوة ، وهو معنى قولك : «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله» ، وذلك لا يقدر عليه إلا المتقون الذين الغالب عليهم ذكر الله ، وإنما الشيطان يطوف بقلبهم في أوقات الفلتات على سبيل الخلسة ، قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ (٢) .

وقال مجاهد في معنى قوله : ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ (٣) قال : هو منبسط على قلب الإنسان فإذا ذكر الله خنس وانقبض ، وإذا غفل انبسط على قلبه ، فالتطارد بين ذكر الله ووسوسة الشيطان كالتطارد بين النور والظلام ، وبين الليل والنهار ولتضادّهما قال تعالى : ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾ (٤) .

وقال أنس : قال ﷺ : «إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم ، فإن ذكر الله خنس ، وإن نسي التقم قلبه» (٥) .

---

(١) أخرجه البيهقي (١/١٩٧) ، ابن خزيمة (١٢٢) وانظر : تلخيص الحبير (١/١٠١) ، ميزان الاعتدال (٢٣٩٧) العلل المتناهية (١/٣٤٦) .

(٢) سورة [الأعراف : ٢٠١] .

(٣) سورة [الناس : ٤] .

(٤) سورة [المجادلة : ١٩] .

(٥) عزاه السيوطي لابن أبي الدنيا في مكايد الشيطان وأبي يعلى وابن شاهين في الترغيب في الذكر ، والبيهقي في شعب الإيمان . الدُّرُّ المنثور (٦/٤٢٠) ، وعزاه الهيثمي في [مجمع الزوائد (٧/١٤٩)] باب : ما جاء في المعوذتين . لأبي يعلى . وفيه عدى بن أبي عمارة وهو ضعيف .

وأخرجه ابن عدي في الكامل (٣/١٠٤٤) وانظر : جمع الجوامع للسيوطي (٥٦٣٢) ، كنز العمال (١٧٨٢) للمتقي الهندي ، المطالب العالية (٣٣٨٤) ، ابن كثير في تفسيره (٨/٥٨٨) البداية والنهاية (١/٦٠) ، الترغيب والترهيب للحافظ المنذري (٢/٤٠٠) ، إتحاف السادة المتقين للزبيدي (٧/٢٩٨) .

وقال ابن وضاح في حديث ذكره : «إذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان بيده وجههُ وقال بأبي وجهٌ لا يُفلح» [١] .

وكما أن الشهوات ممتزجة بلحم الآدمي ودمه فسلطنة الشيطان أيضًا سارية في لحمه ودمه ومحيطةٌ بالقلب من جوانبه ، ولذلك قال ﷺ : «إن الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع» [٢] . وذلك لأن الجوع يكسر الشهوة ، ومجرى الشيطان الشهوات .

ولأجل اكتناف الشهوات للقلب من جوانبه قال تعالى حكاية عن إبليس : ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ [٣] .

قال رسول الله ﷺ [٤] : «إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقة فتقعد له بطريق الإسلام ، فقال له أتسلم وتذر دينك ودين آبائك ، فعصاه فأسلم ، وقعد له بطريق

---

(١) الحديث موضوع جاء في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين للعراقي وابن السبكي والزبيدي (١٥٥١/٤) رقم (٢٣٨٧) وساق حديث ابن وضاح بتمامه ثم قال : قال العراقي : لم أجد له أصلاً . وقال ابن السبكي (٣٣١/٦) لم أجد له إسنادا .

(٢) قال في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين (١٥٥١/٤) حديث رقم (٢٣٨٨) رواه أحمد والشيخان وأبو داود حديث أنس ورواه الشيخان وأبو داود أيضًا وابن ماجه من حديث صفية . وقوله : «فضيقوا مجاريه بالجوع» لا أصل له .

(٣) سورة الأعراف .

(٤) أخرجه ابن حبان (٤٥٣/١٠ الإحسان) ٢١- كتاب : (السير) ٤ - باب : فضل الجهاد .
ذكر إيجاب الجنة للمهاجر والغازي على أيَّة حالةٍ أدركتهما المنية في قصدهما رقم (٤٥٩٣) وإسناده : أخبرنا أحمد بن على بن المثنى ، حدثنا أبو خيثمة ، حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا أبو عقيل الثقفي ، حدثنا موسى بن المسيب ، أخبرني سالم بن أبي الجعد عن سَبْرَةَ بن أبي فاكهٍ ..... الحديث . إسناده قوي . هاشم بن القاسم : هو ابن مسلم الليثي مولاهم البغدادي أبو النضر ، وأبو عقيل : هو عبد الله بن عقيل الثقفي ، وأخرجه أحمد في المسند (٤٨٣/٣) ، والنسائي (٢١/٦) ٢٥- كتاب : (الجهاد) ١٩- باب : ما لمن أسلم وهاجر وجاهد رقم (٣١٣٤) من طريق هاشم ابن القاسم . بهذا الإسناد والطبراني في المعجم الكبير (٦٥٥٨) من طريقين عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن محمد بن فضيل ، عن موسى الثقفي أبي جعفر ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن سبرة الفاكه . البخاري في التاريخ الكبير (١٧٨/٤) .

الهجرة فقال أتهاجر وتذر أرضك وسماءك ؟ فعصاه فهاجر ، وقعد له بطريق الجهاد فقال: أتجاهد وهو جهد النفس والمال تقاتل فتقتل فتنكح نساؤك ويقسم مالك ؟ فعصاه فجاهد قال رسول الله ﷺ : فمن فعل ذلك فمات كان حقًّا على الله أن يدخله الجنة» .

فقد ذكر رسول الله ﷺ معنى الوسوسة وهي هذه الخواطر التي تخطر للمجاهد أنه يقتل وتنكح نساؤه غير ذلك مما يصرفه عن الجهاد ، وهذه الخواطر معلومة .

فإذًا الوسواس معلوم بالمشاهدة ، وكل خاطر فله سبب ويفتقر إلى اسم يعرّفه فاسمُ سببه الشيطان ، ولا يتصور أن ينفك عنه آدمي ، وإنما يختلفون بمسسانه ومتابعته ، ولذلك قال : «ما من أحد إلا وله شيطان» ا هـ .

واعلم أن الشيطان كما يكون من الجن على حسب ما ذكرنا من أوصافه الرديئة وعداوته لأهل الملة الإسلامية يكون من الإنس أيضًا .

قال الواحدي في تفسير قوله تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ﴾ (١) يعني مردة الإنس والجن ، والشيطان كل عات متمرد من الإنس والجن .

قالوا : إن من الجن شياطين ومن الإنس شياطين ، وإن الشيطان من الجن إذا أعياه المؤمن وعجز عن إغوائه ذهب إلى متمرد من الإنس وهو شيطان الإنس فأغراه بالمؤمن ليفتنه ، قال : يدل على هذا ما روى أن النبي ﷺ قال لأبي ذر : «هل تعوذت بالله من شر شياطين الإنس والجن» قال : قلت وهل للإنس من شياطين ؟ قال : «نعم هم شرّ من شياطين الجن» (٢) .

---

(١) سورة [الأنعام : ١١٢] .

(٢) عزاه الهيثمي في [مجمع الزوائد (١٩٦/١ ، ١٩٧)] كتاب : (العلم) باب : التاريخ - للطبراني في معجمه الأوسط (٧٧/٥ ، ٧٨) رقم (٤٧٢١) حدثنا عبد الرحمن بن معاوية العتبي قال : نا عمرو بن خالد الحراني ، قال : نا ابن لهيعة عن خالد بن يزيد ، عن صفوان بن سليم ، عن أبي صالح السمان عن أبي ذر ... مطولاً . ثم قال : إن أحمد رواه والبزار في باب : السؤال للانتفاع ، وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف . وقال الطبراني : لم يرو هذا الحديث عن صفوان بن سليم إلا خالدبن يزيد ، تفرد به ، ابن لهيعة .

قال مالك بن دينار [١] : إن شيطان الإنس أشد عليّ من شيطان الجن وذلك أني إذا تعوذت بالله من شيطان الجن ذهب عني ، وشيطان الإنس يجيئني فيجرني إلى المعاصي عيانًا .

وفي تفسير الخازن في قوله تعالى : ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [٢] قال : إن الوسواس الخناس قد يكون من الجنة وهم الجن ، وقد يكون من الإنس ، وكما أن شيطان الجن قد يوسوس تارة ويخنس أخرى ، فكذلك شيطان الإنس قد يوسوس للإنسان كالناصح له ، فإن قبل زاد في الوسوسة ، وإن كرهَ السامع ذلك انخنس وانقبض .

ص : (فغاية بغيته) ش : أي الشيطان ، والبغية بالكسر والضم الحاجة نفسها ، يقال لي في بني فلان بِغية وبُغية أي حاجة ، وبغى ضالته [٣] ، وكذلك كل شيء طلبه بُغاءً بالضم والمد وبغاية أيضًا .

ص : (سلْبُ) ش : «أي أخذ وَإزالة» . ص : (الإيمان) ش : من الإنسان بالله تعالى أو برسله أو بشيء مما ورد عنهم من اليقينيات ولو بالتشكيك فيه ليتساوى الإنسان معه في رتبة الكفر التي هو فيها ورتبة الشكوك والترددات فيما هو عين الحق المبين .

[حال إبليس]

قال ابن أقبرس في «فتح الصفا شرح الشفا» : اختلف العقلاء في أن إبليس حين اشتغاله بالعبادة كان كافرًا أم لا ، فمنهم من قال : إنه كان كافرًا أبدا واستدل بما نقل صاحب شرح «الأناجيل الأربعة» [٤] : من أنه وقع المناظرة بين الملائكة وبين إبليس ، فقال إبليس للملائكة : أنا أُسلِّمُ أن الله خالقي وخالق الخلق لكن لي على

---

(١) مالك بن دينار ، مولى لبني ناجية بن سامة بن لؤي بن غالب ، القرشي ، أبو يحيى ، من زهاد التابعين وعبادهم ممن يصبر على الفقر الشديد والورع الجهيد ، وكان يأكل من كدّ يده من الوراقة . مات سنة ثلاث وعشرين ومائة . انظر ترجمته :

- مشاهير علماء الأمصار ص (١٤٧) رقم (٦٥٨) .
- الثقات (٣٨٣/٥) - الجمع بين رجال الصحيحين (٤٨١/٢) . - تهذيب التهذيب (١٤/١٠) ،
- الكاشف (١٠٠/٣) . - معرفة الثقات (٢٦٠/٢) . - تاريخ الثقات ص (٤١٨) .

(٢) سورة [الناس : ٤] .

(٣) وأيضًا من معاني بغيته : «قصده ومراده» .

(٤) لا يجوز شرعًا النقل عن الأناجيل لأنها محرفة وباطلة وكذلك لا يجوز النقل عن تلك الشروح .

حكمته أسئلة :

الأول : ما الحكمة في الخلق لا سيما إذا كان عالما أن الكافر لا يستوجب عند حكمته إلا الإثم .

الثاني : ما الفائدة في التكليف مع تنزهه عن عود الفائدة إليه ، وما يعود إلى المكلفين فهو قادر على تحصيله لهم من غير توسط التكليف .

الثالث : هب أنه خلقني لمعرفته وطاعته ، فلم كلفني بالسجود لآدم .

الرابع : ثم لما عصيته فتركت السجود لآدم ، فلم لعنني وأوجب عقابي مع أنه لا فائدة له ولا لغيره فيه ، ولي فيه أعظم الضرر .

الخامس : هب أنه فعل ذلك ، فلم مكنني من دخول الجنة ووسوسة آدم .

السادس : لما فعل ذلك فلم سلطني على أولاده ومكنني من غوايتهم وإضلالهم .

السابع : ثم لما استمهلته المدة الطويلة في ذلك ، فلم أمهلني ومعلوم أن العالم كان خاليًا من الشر .

فأوحى الله إليه من سرادقات الجلال والكبرياء : يا إبليس إنك ما عرفتني ولو عرفتني لعَلِمتَ أنه لا اعتراض عليّ في شيء من أفعالي فإني أنا الله لا إله إلا أنا لا أُسأل عما أفعل .

قال بعض المحققين : لا جواب عن هذه الشبهات إلا الجواب الذي ذكره الله تعالى .

وأقول : إن الله تعالى إنما اقتصر له على هذا الجواب لعلمه تعالى بما أودعه فيه من صفة الجهل بحكمته ، وأنه عاجز عن إدراك ذلك ، إذ لازم ما ذكره له في الشبه التعطيل ولا شك أن الله تعالى لم يخلق شيئًا عبثا .

والحكمة في أفعاله تعالى قد تكون خفية فيختلف فيها الحال باختلاف الأشخاص في الإدراك وقد تكون جلية ، وعندي أن جواب هذه الشبه غير بالغ في الخفاء وليس هذا المقام بقابل للتطويل بذكر الحكمة في كل سؤال من هذه الأسئلة لأن فيه خروجًا عن المقصود . ا هـ .

والحاصل أنه لعنه الله كافر بجهله وعناده لما قام عنده من الشبهات التي فتنه الله

تعالى بها ، فهو يوسوس في صدور الناس ليحملهم على ما وقع منه فيقع منهم نظيره ويكفرون كما كفر هو ، قال تعالى : ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ (١) .

قال الواحدي (٢) : إذ قال الإنسان وهو عابد في بني إسرائيل واسمه برصيصا .

ذكر ابن عباس قصته فقال : كان في بني إسرائيل عابد عَبَد الله زمانًا من الدهر ، حتى كان يؤتى بالمجانين فيداويهم ويعوّذهم فيبرؤن على يده ، وأنه أُتي بامرأة ذات شرف قد جُنت ، وكان لها إخوة فأتوه بها وكانت عنده ، فلم يزل به الشيطان يزين له حتى وقع عليها فحملت فلما استبان حملها قتلها ودفنها فلما فعل ذلك ذهب الشيطان حتى لقى أحد إخوتها فأخبره بالذي فعل الراهب وأنه دفنها في مكان كذا وكذا ، ثم أتى بقية إخوتها رجلاً رجلاً فذكر ذلك له فجعل الرجل يلقى أخاه فيقول : والله لقد أتاني آت ذكر لي شيئًا يكبر عليّ ذكره ، فذكر بعضهم لبعض حتى بلغ ذلك ملكهم ، فسار الملك والناس فاستنزلوه فأقرهم بالذي فعل فأُمر به فصُلِب فلما رُفع على خشبته مَثُل له الشيطان فقال : أنا الذي زينت لك هذا وألقيتك فيه هل أنت مطيعي فيما أقول لك أُخَلِّصك مما أنت فيه ؟ قال : نعم ، قال : اسجد لي سجدة واحدة فسجد له وقُتل الرجل فهو قوله : ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ (٣) .

وقال البيضاوي في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ (٤) في معاداة الرسول وغيرها بأن وسوس إليهم : وقال : ﴿لاَ غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ﴾ (٥) .

---

(١) سورة [الحشر : ١٦] .

(٢) عزاه السيوطي في [الدُّرّ المنثور في التفسير بالمأثور (٦/١٩٩)] لابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس قلت : عطية بن سعد بن جُنادة - بضم الجيم بعدها نون خفيفة - العَوْفي الجدلي - بفتح الجيم والمهملة - الكوفي ، أبو الحسن ، صدوق يخطيء كثيرًا ، وكان شيعيًا مدلسًا ، من الثالثة مات سنة إحدى عشرة .

(٣) سورة [الحشر : ١٦] .

(٤) سورة [الأنفال : ٤٨] . وانظر [الدر المنثور (٣/١٩٠)] .

(٥) انظر الهامش السابق .

مقالة نفسانية ، والمعنى أنه ألقى في روعهم وخيل إليهم أنهم لا يغلبون ولا يطاقون لكثرة عددهم وَعُددهم ، وأوهمهم أن اتباعهم إياه فيما يظنون أنها قربات مجير لهم حتى قالوا : اللهم انصر إحدى الفئتين وأفضل الدينين . انتهى .

وكم له لعنه الله من حيلة على ابن آدم ليوقعه في الكفر كما وقع هو فيه والله خير حافظا وهو أرحم الراحمين .

ص : (و) . ش : غاية بغيته أيضًا . ص : (الخلود) . ش : أي خلود الإنسان ، وهو دوام البقاء ، تقول خلد الرجل يخلد خلودًا وأخلده الله إخلادًا ، وخلّده تخليدًا قاله الجوهري . ص : (الدائم) . ش : تأكيد له لفظي بموافقه نحو أجل جيري . ص : (في النيران) . ش : أي نيران الكفر والشرك والعياذ بالله تعالى .

فإن قلت : قال أبو حنيفة [1] رضي الله عنه في «الفقه الأكبر» : لا يجوز أن تقول بأن الشيطان يسلب الإيمان من العبد المؤمن قهرًا وجبرًا فكيف قال رحمه الله تعالى غاية بغيتك سلب الإيمان .

قلت : ليس مراده سلب الإيمان من العبد قهرًا عنه وجبرًا عليه ، ولو كان كذلك ما كان العبد كافرًا حينئذ لإكراهه على ذلك وزوال اختياره وإرادته عنه ، بل مراده سلب الإيمان باختيار العبد لتركه وإرادته ذلك حتى يبقى العبد مكلفًا فيستحق العقاب ، ولما كان سببًا للسلب بوسوسته نُسب السلب إليه ، ولهذا قال للإنسان اكفر يعني وسوس له في نفسه بأن يكفر باختياره وإرادته فلما كفر قال إني بريء منك كما مرّ .

وقد أجاب أبو حنيفة رضي الله عنه في «الفقه الأكبر» عن ذلك بقوله : ولكن

---

(١) أبو حنيفة النعمان بن ثابت التيمي ، الكوفي فقيه أهل العراق ، وإمام أصحاب الرأي ، وقيل : إنه من أبناء فارس . قال عنه ابن معين : كان ثقة لا يحدث من الحديث إلا بما يحفظه ، ولا يحدث بما لا يحفظ . وقال ابن المبارك : ما رأيت في الفقه مثله . وقال الشافعي : ليس في الفقه مثله . ولد سنة ثمانين ، ومات سنة خمسين ومائة ، وقيل سنة إحدى وخمسين ، وقيل : سنة ثلاث . انظر ترجمة : طبقات الحفاظ ص (٧٣) رقم (١٥٦) البداية والنهاية (١٠٧/١٠) تاريخ بغداد (٣٢٣/١٣) ، تهذيب التهذيب (٤٤٩/١٠) ، شذرات الذهب (٢٢٧/١) ، الجواهر المضيئة (٢٦/١) ، غاية النهاية (٣٤٢/٢) ، مفتاح السعادة (١٩٥/٢) ، ميزان الاعتدال (٢٦٥/٤) .

نقول العبد يدع الإيمان يعني باختياره وإرادته لأن الشيطان وسوس له بذلك فأطاعه فحينئذ يسلبه منه .

وفي تفسير الخازن في قوله تعالى : ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ﴾ (١) يعني إبليس ﴿لما قضي الأمر﴾ (٢) . يعني فرغ منه وأُدخل أهلُ الجنةِ الجنةَ وأهلُ النارِ النارَ في لوم إبليس وتقريعه وتوبيخه فيقوم فيهم خطيبًا .

قال مقاتل : يوضع له منبر في النار فيجتمع إليه أهل النار يلومونه فيقول لهم ما أخبر الله تعالى بقوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾ وتقديره فصدق في وعده ، ووعدتكم فأخلفتكم .

وقيل : يقول لهم إني قلت لكم لا بعث ولا جنة ولا نار ، وما كان لي عليكم من سلطان يعني ولاية وقهر .

وقيل : لم آتيكم بحجة فيما وعدتكم به إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ، يعني ما كان مني إلا الدعاء وإلقاء الوسوسة ، وقد سمعتم دلائل الله وجاءتكم الرسل فكان من الواجب عليكم أن لا تلتفتوا إليّ ولا تسمعوا قولي ، فلما رجحتم قولي على الدلائل الظاهرة فكان اللوم بكم أولى بإجابتي ومتابعتي من غير حجة ولا دليل

---

(١) سورة [إبراهيم : ٢٢] .

(٢) أخرج ابن المبارك في الزهد وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه وابن عساكر بسند ضعيف عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ إذا جمع الله الأولين والآخرين وقضى بينهم وفرغ من القضاء يقول المؤمنون قد قضى بيننا ربنا وفرغ من القضاء فمن يشفع لنا إلى ربنا فيقولون آدم خلقه الله بيده وكلمه فيأتونه فيقولون قد قضى ربنا وفرغ من القضاء قم أنت فاشفع إلى ربنا فيقول ائتوا نوحًا فيأتون نوحًا عليه السلام فيدلهم على إبراهيم عليه السلام فيأتون إبراهيم عليه السلام فيدلهم على موسى عليه السلام فيأتون موسى عليه السلام فيدلهم على عيسى عليه السلام فيقول : أدلكم على العربي الأمي فيأتون فيأذن الله لي أن أقوم إليه فيثور مجلسي من أطيب ريح شمها أحد قط حتى آتي ربي فيشفعني ويجعل لي نورًا من شعر رأسي إلى ظفر قدمي ، ويقول الكافرون عند ذلك قد وجد المؤمنون من يشفع لهم ما هو إلا إبليس فهو الذي أضلنا فيأتون إبليس فيقولون قد وجد المؤمنون من يشفع لهم قم أنت فاشفع لنا فإنك أنت أضللتنا فيقول لإبليس فيثور مجلسه من أنتن ريح شمها أحد قط ثم يعظم لجهنم ويقول عند ذلك «إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم» . [الدر المنثور للسيوطي (٤/٧٤ ، ٧٥)] .

﴿مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ﴾ (١) . يعني بمغيثكم ولا منقذكم ﴿وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ﴾ . يعني بمغيثي ولا منقذي مما أنا فيه ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾ يعني كفرت بجعلكم إياي شريكًا له في عبادته وتبرأت من ذلك . والمعنى أن إبليس جحد ما يعتقده الكفار فيه من كونه شريكًا لله وتبرأ من ذلك .

ص : (ثم) . ش : يتنزل مع الإنسان بعد ذلك إذا لم يبق له حيلة في تكفيره والسبب له بالخلود في النار فيرضى أن يكون منه . ص : (الفسق) . ش : وهو الخروج عن طاعة الله تعالى مع الإيمان بها كفعل المعاصي وترك المأمورات ص : (الظاهر) . ش : على الإنسان ، يعني الذي يظهر به الإنسان عن قصد منه واختيار .

وللشيطان أبواب يدخل منها على الإنسان فيتحكم منه بها فيحمله على ما يغويه وهي كثيرة من أكبرها الدنيا .

قال في «الإحياء» للغزالي : قال ثابت لما بعث النبي ﷺ قال إبليس لشياطينه : لقد حدث أمر فانظروا ماذا هو ، فانطلقوا ثم جاءوه وقالوا : ما ندري قال إبليس : أنا آتيكم بخبره فذهب وجاء وقال بُعث محمد ﷺ قال : فجعل يرسل شياطينه إلى أصحاب النبي ﷺ فينصرفون خائبين ويقولون : ما صحبنا قومًا قط مثل هؤلاء ، نُصِيب منهم ثم يقومون إلى صلاتهم فيُمحى ذلك ، فقال إبليس : رويدًا بهم عسى الله أن يفتح لهم الدنيا فهناك تصيبون حاجتكم منهم .

وروى أن عيسى عليه السلام توسَّد حجرًا ، فمر به إبليس فقال يا عيسى رغبت في

---

(١) سورة [إبراهيم : ٢٢] .

أخرج ابن المبارك في الزهد وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه وابن عساكر بسند ضعيف عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ إذا جمع الله الأولين والآخرين وقضى بينهم وفرغ من القضاء يقول المؤمنون قد قضى بيننا ربنا وفرغ من القضاء فمن يشفع لنا إلى ربنا فيقولون آدم خلقه الله بيده وكلمه فيأتونه فيقولون قد قضى ربنا وفرغ من القضاء قم أنت فاشفع إلى ربنا فيقول ائتوا نوحًا فيأتون نوحًا عليه السلام فيدلهم على إبراهيم عليه السلام فيأتون إبراهيم عليه السلام فيدلهم على موسى عليه السلام فيأتون موسى عليه السلام فيدلهم على عيسى عليه السلام فيأتون عيسى عليه السلام فيقول : أدلكم على العربي الأمي فيأتون فيأذن الله لي أن أقوم إليه فيثور مجلسي ..... إلخ تقدم الحديث .

الدنيا فأخذه من تحت رأسه ورماه به وقال : هذا لك مع الدنيا .

وذكر أيضًا قال إن لكل نوع من المعاصي شيطانًا يخصه ويدعو إليه .

[أسماء أولاد إبليس]

قال مجاهد : لإبليس خمسة من الأولاد قد جعل كل واحد منهم على شيء من أمره ، فذكر أسماءهم : ثَبْرٌ ، والأَعْور ، وَمَسوطٌ ، وداسِمٌ ، وزَلَنْبور :

فأما «ثبر» فهو صاحب المصائب الذي يأمر بالثبور وشق الجيوب ولطم الخدود . ودعوى الجاهلية .

وأما «الأعور» فهو صاحب الزنا ، يأمر به ويزينه .

وأما «مسوط» فهو صاحب الكذب .

وأما «داسم» فيدخل مع الرجل إلى أهله يُريه الغيب فيهم ويغضبه عليهم .

وأما «زلنبوز» فهو صاحب السوق وبسببه لا يزالون ملتطمين .

وشيطان الوضوء «الولهان» ، وقد وردت في ذلك أخبار كثيرة .

وقد روى عمر بن عبد العزيز أن رجلاً سأل ربه عز وجل أن يريه موضع الشيطان من قلب ابن آدم ، فرأى في النوم جسد رجل شبه البلّور ، يُرى داخله من خارجه ورأى الشيطان في صورة ضفدعٍ قاعدٍ على منكبه الأيسر بين منكبيه وأذُنه ، له خرطوم طويلا دقيق قد أدخله من منكبه الأيسر إلى قلبه ، يوسوس إليه فإذا ذكر الله خنس - ومثل هذا قد يشاهد في اليقظة بعينه .

وقد رآه بعض المكاشفين في صورة كلب جاثم على جيفة يدعو الناس إليها وكانت الجيفة مثال الدنيا .

ص : (والظلم) . ش : لنفسه بمنعه حقها من الخير وفِعْله بها ما يضر من الشر ولغيره بمنعه حقه أو يفعل ما يضره . ص : (القاهر) . ش : أي الذي يقوم بطريق التعدي والجور ، لا ما فيه كف عن سوء أو حمل على خير في النفس أو في الغير . ص : (وأدناها) . ش : أى أدنى بقية الشيطان أي أقل ما يكون من حاجته بالإنسان ص : (التثبيط) . ش : أي المنع للإنسان والتعويق له . ص : (في) . ش : فعل . ص : (الخيرات) . ش : عن المعنى فيها وعن إنشائها من الأصل وعن

الاعتناء بها ص : (والحط) . ش : أي التسفل والرضى بالدون . ص : (في المراتب العلمية والدرجات) . ش : العملية بأن يقول للإنسان : لا تترك التنعم واللذات فإن العمر طويل والصبر عن الشهوات طول العمر بَلِيّةٌ عظيمة ، فعند هذا إذا ذكر الله تعالى وعظيم ثوابه وعقابه ، وقال : الصبر عن الشهوات شديد ، ولكن الصبر على النار أشد منه ولا بد من أحدهما ، فإذا ذكر العبد وعد الله ووعيده وجدد إيمانه ويقينه خنس الشيطان وهرب ، إذ لا يستطيع أن يقول : ليسَ النار أشدّ من الصبر عن المعاصي ولا يمكنه أن يقول : المعصية لا تفضي إلى النار ، فإن إيمانه بكتاب الله يدفعه عن ذلك فينقطع وسواسه فيترك العبد المعصية وينهمك في فعل الطاعات فيتخذل الشيطان اللعين ويذهب عنه ، وربما قال في نفسه : إن الله غفور رحيم وإن رحمته واسعة فافعل ما شئت من المعاصي فإن الله يغفرها كلها لك ، كما قاله البيضاوي في قوله تعالى : ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ (١) فيذهلكم التمتع بها عن طلب الآخرة والسعي لها ﴿وَلاَ يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ (٢) الشيطان بأن يمنيكم المغفرة مع الإصرار على المعصية فإنها وإن أمكنت لكن الذنب بهذا التوقع كتناول السم اعتمادًا على دفع الطبيعة ، وفي تفسير الخازن : ﴿تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ أي لا تخدعنكم بلذاتها وما فيها من عمل الآخرة وطلب ما عند الله : ﴿وَلاَ يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ أي لا يقل لكم اعملوا ما شئتم فإن الله يغفر كل ذنب وخطيئة ، ثم بينّ الغرورَ بقوله : ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ انتهى ، والحاصل أن الشيطان له وساوس يُلقيها في نفوس أهل الغفلة عن شهود الله تعالى فيحملهم بها على الكفر أولاً ، فإن لم يمكنه بأن وفقهم الله تعالى للاحتفاظ على إيمانهم يحملهم على فعل المعاصي وارتكاب الآثام من الذنوب القاصرة على نفوسهم والذنوب المتعدّية إلى غيرهم ، فإن لم يمكنه ذلك حملهم على التواني والتضاعف والتكاسل في العبادات والطاعات وحرمهم نيل المراتب والدرجات العاليات ، وهذا الترتيب دأبه وعاداته في كل أحد ، لا يقنع بالأدنى إلا إذا عجز عن الأعلى ، ولهذا قال المصنف رحمه الله تعالى .

ص : (ولا يرضى) . ش : يعني الشيطان ص : (به) . ش : أي بكل واحد

---

(١) سورة [لقمان : ٣٣] .

(٢) سورة [فاطر : ٥] .

من التثبيط والحط المذكورين ص : (إلا عند اليأس) . ش : أي القنوط بالكلية ص : (من غيره) . ش : أي غير كل واحدٍ منهما ، فإن أيس من الكفر رضي بالفسق ، وإن أيس من الفسق رضي بالتثبيط في الطاعات والحط عن الدرجات العاليات .

ص : (نعوذ) . ش : أي نلتجىء ونحتمي ونستجير ص : (بالله الذي خلقنا و) ش : الذي خلقنا وخلقه ص : (ثم نعوذ) . ش : تأكيد لفظي للأول ص : (بالله) . ش : كذلك ص : (من شره) . ش : أي الشيطان .

قال الخازن في تفسير قوله تعالى : ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ النزغ شبه النخس ، والشيطان ينزغ الإنسان كأنه ينخسه أي يبعثه على ما لا ينبغي ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ أي من شره ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ أي لاستعاذتك ﴿الْعَلِيمُ﴾ بأحوالك .

قال الغزالي في «الإحياء» : فإن قلت فما العلاج في دفع الشيطان ؟ ، وهل يكفي ذكر الله وقول الإنسان لا حول ولا قوة إلا بالله ؟

فاعلم أن علاج ذلك سدّ مداخِله وتطهير القلب من الصفات المذمومة ، وليس في الآدمي صفة مذمومة إلا وهي سلاحُ الشيطان ومدخل من مداخله ، نعم إذا قُلِعَت من القلب أصول هذه الصفات كان للشيطان بالقلب اختبارات وخطرات ولم يكن له استقرار ويمنعه من الاختبار ذكر الله تعالى ، لأن حقيقة الذكر لا تتمكن من القلب إلا بعد عمارة القلب بالتقوى ، وتطهيره من الصفات المذمومة ، وإلا فيكون الذكر حديث نفس لا سلطان له على القلب فلا يدفع سلطان الشيطان ، ولذلك قال تعالى :﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا﴾ (١) خصص ذلك

---

(١) سورة [الأعراف : ٢٠١] .
- أخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد في قوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ قال : هم المتقون .
- وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن أبي الدنيا في ذم الغضب وابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ عن مجاهد في قوله : ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ قال : الغضب .
- وأخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال : الطائف : الغضب . =

بالتقى والمتقين ، ومثل الشيطان مثل كلب جائع يقرب منك ، فإن لم يكن بين يديك لحم وخبز ينزجر بأن تقول له اخسأ ، فمجرد الصوت يدفعه ، وإن كان بين يديك لحم وهو جائع فإنه يهجم على اللحم ولم يندفع بمجرد الكلام .

فالقلب الخالي عن قوت الشيطان ينزجر عنه بمجرد الذكر ، فأما الشهوة إذا غلبت على القلب دُفع حقيقة الذكر إلى حواشي القلب فلم يتمكن من سويدائه يعني داخله فيستقر الشيطان في سويداء القلب أي داخله .

وأما قلوب المتقين الخالية من الهوى والصفات المذمومة فإنه يَطْرقُها الشيطان لا للشهوات بل لخلوها بالغفلة عن الذكر ، فإذا عادت إلى الذكر خنس الشيطان ودليل ذلك قوله تعالى : ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ [1] وسائر الأخبار الواردة في الذكر .

وقال أبو هريرة [2] : التقى شيطان المؤمن وشيطان الكافر ، فإذا شيطان الكافر سمين دهين كاسي ، وإذا شيطان المؤمن مهزول أشعث عاري ، فقال شيطان الكافر لشيطان المؤمن : مالك ؟ قال : أنا مع رجل إذا أكل سمّى فأظل جائعًا وإذا شرب سمى فأظل عطشانًا ، وإذا ادّهن سمى فأظل شعثًا ، وإذا لبس سمى فأظل عريانًا ، فقال شيطان الكافر : ولكنني مع رجل لا يفعل شيئًا مما ذكرتَ ، فأنا أشاركه في

= - وأخرج ابن أبي حاتم عن الضحاك أنه قرأ : ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ بالألف . «تذكروا» قال : همّ بفاحشة فلم يعملها . [الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٣/١٥٥)] .

(١) ورد هذا الجزء من الآيات الآتية :

* سورة [الأعراف : ٢٠٠] ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ .....﴾ إلخ .
* وسورة [النحل : ٩٨] ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ .
* وسورة [غافر : ٥٦] ﴿إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ .
* وسورة [فصلت : ٣٦] ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ .

(٢) هذه الحكاية ذكرها ابن مفلح المقدسي في كتابه «مصائب الإنسان» ص (٦٨) بطولها وحديث «شيطان المؤمن مهزول» أخرجه ابن أبي الدنيا في كتابه «مكائد الشيطان» ص (٤١) رقم (١٩) وإسناده حدثني محمد بن الحسين . حدثني خلف بن تميم ، حدثنا أبو الأحوص ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص عن عبد الله ... الحديث ، وجاء بهامشه : إسناده حسن .

وانظر : آكام المرجان للشبلي ص (١٢٤) ولقط المرجان ص (٨٢) وأورده الغزالي في إحياء علوم الدين (٣/٢٩) نقلاً عن ابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان . ومعنى قوله : «مهزول» ضعيف ونحيف .

طعامه وشرابه ولباسه .

وكان محمد بن واسع [١] يقول كل يوم بعد صلاة الصبح : اللهم إنك سلطت علينا عدوًّا بصيرًا بعيوبنا ، يرانا هو وقبيله من حيث لا نراهم ، اللهم فآيسه منا كما أيسته من رحمتك وقنّطه منا كما قنطته من عفوك وأبعد بيننا وبينه كما أبعدت بينه وبين جنتك إنك على كل شيء قدير .

فتمثل له إبليس يومًا في طريق المسجد فقال : يا ابن واسع هل تعرفني ؟ قال : ومن أنت ؟ قال : اللعين ، قال له : وما تريد ؟ قال : أريد أن لا تعلّم أحدًا هذه الاستعاذة ، قال : والله لا أمنعها ممن أرادها فاصنع الآن ما شئت .

وقال ﷺ : «ما سلك عمرُ فجًا إلا سلك الشيطانُ فجًا غير فجّهِ» وهذا لأن القلوب مطهرة عن مرعى الشيطان وقوته وهي الشهوات ، فمهما طمعتَ في أن يندفع الشيطان عنك بمجرد الذكر كما اندفع عن عمر كان محالاً وكنت لمن يشرب دواء قبل الاحتماء والمعدة مشحونة بغليظ الأطعمة ويطمع أن ينفعه كما نفع الذي شربه بعد الاحتماء وتخلية المعدة ، والذكر دواء والتقوى احتماء يخلي القلب من الشهوات فإذا أنزل الذكر قلبًا فارغًا عن غير الذكر اندفع الشيطان كما تندفع العلة بنزول الدواء في معدة خالية عن الأطعمة ، قال تعالى : ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ [٢] وقال تعالى : ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [٣] .

ومن ساعد الشيطان بعمله فهو مولاه وإن ذكر الله بلسانه ، وإن كنت تقول إن

---

(١) محمد بن واسع الأزدي أبو بكر . قال عنه ابن أبي حاتم في كتابه «مشاهير علماء الأمصار» ص (٢٣٨) رقم (١١٨٦) . كان قد خرج إلى خراسان غازيًا ، وكان في فتح ما وراء النهر مع قتيبة بن مسلم ، من عباد أهل البصرة وزهادهم والمتقشفة الخشن ، ليس يصح له عن أنس سماع ، وإن كان لا يصغر عنه مات سنة سبع وعشرين ومائة .

انظر ترجمته : الجمع بين رجال الصحيحين (٤٧٧/٢) ، تهذيب التهذيب (٤٩٩/٩) ، تقريب التهذيب (٢١٥/٢) ، الكاشف (٩٢/٣) ، تاريخ الثقات ص (٤١٥) ، معرفة الثقات (٢٥٦/٢) .

(٢) سورة [ق : ٣٧] .

(٣) سورة [الحج : ٤] .

الحديث ورد مطلقًا بأن الذكر [١] يطرد الشيطان ولم تفهم أن أكثر عمومات الشرع مخصوصة بشروط يعرفها علماء الدين ، فانظر إلى نفسك فليس الخبر كالمعاينة وتأمل فإن منتهى ذكرك وعبادتك صلاتك ، فراقب قلبك إذا كنت في صلاتك كيف يتجاذبه الشيطان إلى الأسواق ، وحساب العاملين ، وجواب المعاندين ، وكيف يمر بك في أودية الدنيا ومهالكها حتى أنك لا تذكر ما يشتبه من فضول الدنيا إلا في صلاتك فلا يزحم الشيطان على قلبك إلا إذا صليت والصلاة محك القلوب ، فيها يظهر مساويها ومحاسنها ، فإن شئت الخلاص من الشيطان فقدم الاحتماء بالتقوى ثم أردفه بدواء الذكر وقد فرّ منك كما يفر من عمر رضي الله عنه .

ولذلك قال وهب بن منبه [٢] : اتق الله ، لا تسب الشيطان في العلانية وأنت صديقه في السر ، أي أنت مطيع له . ا هـ .

فقولك : ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [٣] وأنت فاسد القلب من غير

---

(١) الذكر - ذكر الله تعالى - على ثلاثة أنحاء :
أ- ذكر مع فكر فذلك وفاء .
ب- ذكر بلا فكر فذلك جفاء .
ج- فكر بلا ذكر فذلك عداء .
وصدق الله العظيم إذ قال : ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ وذكر الله تعالى هو استحضار عظمة الله تعالى في القلب وقال تعالى : ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت - (٤٥)] .

(٢) وهب بن منبه بن كامل بن سيج بن سُحسار من أبناء فارس ، كنيته أبو عبد الله . كان ينزل ذمار على مرحلتين من صنعاء . كان ممن قرأ الكتب ولزم العبادة ، وواظب على العلم . وتجرد للزهادة . صلى أربعين سنة صلاة الصبح بوضوء عشاء الآخرة ، ومات في المحرم سنة ثلاث عشرة ومائة ، انظر ترجمته : مشاهير علماء الأمصار ص (١٩٨) ت ٩٥٦ ، طبقات الحفاظ (٤١) ، المعارف (٤٥٩) ، شذرات الذهب (١٥٠/١) ، الجمع بين رجال الصحيحين (٥٤١/٢) ، تهذيب التهذيب (١٦٦/١١) ، التقريب (٣٣٩/٢) ، الكاشف (٢١٦/٣) ، ذيل المذيل (٦٤٠) ، حلية الأولياء (٢٣/٤) ، البداية والنهاية (٢٧٦/٩) ، تهذيب الكمال (١٤٨٤) خ ، معجم الأدباء (٢٥٩/١٩) ، وفيات الأعيان (٣٧/٦) تذكرة الحفاظ (٩٥/١) ، العبر (١٤٣/١) .

(٣) وردت هذه العبارة في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ وبين سبحانه وتعالى بأن هذا اللعين ليس له سلطان على المؤمنين بالله تعالى ربًا وإنما سلطانه على الذين يجعلونه وليًا لهم . ثم قال تعالى عقب الآية السابقة ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ =

تقوى عندك في ظاهرك وباطنك لا يؤثر شيئًا عند الشيطان ، بل ربما استعان الشيطان على غرورك بقولك ذلك لظنك أنك طردت الشيطان عنك بمجرد لقلقة لسانك وأنت مقيم على الغفلات والمعاصي ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ص : (والمؤمن) ش : بالله تعالى وبرسله وما جاء عنهم

ص : (الطالب) ش : بظاهره وباطنه مع الإخلاص .

ص : (للحق) ش : أي لمعرفته سبحانه وتعالى وللوصول إليه

ص : (والباقية) ش : وهي الدار الآخرة التي أهلها فيها دائمون خالدون في نعيم أو عذاب أليم ، وكل من طلب الأمرين معًا فهو من الأبرار أصحاب السلوك في طريق المعرفة بالله تعالى ، ولا وصول لهم إليه تعالى بعد ، وأدنى منهم المنقطعون الواقفون عن الطلب المذكور وهم عامة المؤمنين ، وأعلى من الكل الكاملون الواصلون المقربون وقد اقتصر طلبهم على الله تعالى وحده ، فهم سائرون به إليه فيه .

ولما كان هذا الكتاب منحصرًا في بيان رتبة الأبرار [١] وذكر رفعتها بالنسبة إلى رتبة عامة المؤمنين لم يذكر فيه رتبة المقربين ولا كلامهم .

ص : (ولا تخفى عليه) . ش : أي على ذلك الطالب للأمرين معًا الحق والدار الآخرة الطلبة ص : (الأولى) . ش : التي هي الحق سبحانه ص : (ولا) . ش : الطلبة . ص : (الثانية) . ش : وهي الباقية أي الآخرة إذ من طلب شيئًا فإنه يعرفه ، وطلب المجهول فإنه طلب المجهول محال البتة ، فمن طلب الحق تعالى فلولا أنه يعرفه بوجه مّا ، وهو طالب كمال معرفته ما طلبه ولا خطر في باله حسن الوصول إليه سبحانه .

= عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ، إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ سورة النحل الآيات (٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠) .

(١) بيّن القرآن الكريم علو منزلة الأبرار فقال تعالى مبينًا ما أعدّ الله لهم في الجنة من شراب طيب ونعيم مقيم ، وعليين ، وأرائك :

- ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ [الإنسان : ٥] .
- ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ [الانفطار : ١٣] .
- ﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ [المطففين : ١٨] .
- ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ﴾ [المطففين : ٢٢] .

وكذلك من طلب الآخرة [١] فلولا أنه يعرفها بوجه من الوجوه ما أمكنه أن يطلبها ولا كان يخطر على باله حسنها .

فكل من تيسر له الطلب المذكور فهو عارف لما يطلب معرفة إلهامية حصلت له بمحض فيض فضل الله تعالى ، وهو الذي يسمى «مريدا» [٢] في اصطلاح الصوفية .

وأما من كانت إرادته مجرد تشهي المعرفة الإلهية وتشهى الوصول إلى الدار الآخرة من غير سعي في طريق ذلك الموصل إليه فهو صاحب غرور في الحياة الدنيا وليس بمريد كما أن من أراد السفر إلى بلاد مثلا إذا قصد ذلك بقلبه ولم يخرج من بلاده التي هو فيها فإنه ليس بمسافر أصلاً بل هو مشتهي السفر ومترجّي له وإنما المسافر من خرج من أوطانه وأعرض عن جميع أهله وإخوانه ، وجرد قصده إلى مطلوبه وأقبل بكليته إلى وجه محبوبه ، ومن كان كذلك لا يخفى عليه شيء من المسالك ولو فرضنا أنه لجاهل بالطريق فإنه يرى له حيث صدق في التوجه ألف رفيق .

ولهذا قال الجنيد البغدادي رضي الله عنه : المريد الصادق غنى عن علم العلماء . كذا نقله القشيري في «الرسالة» : يعني غنى بالله عمن سواه من كل عالم ، فالله تعالى

---

(١) مدح القرآن الكريم طالب الآخرة فقال تعالى : ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإسراء : ١٩] .

* والمؤمن يدعو الله سبحانه وتعالى بأن يكون له في الدنيا والآخرة كل على حدة حسنة والوقاية من عذاب النار . فقال تعالى : ﴿رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة - ٢٠١] . وهذه الدار التي هي في الآخرة أعدها الله عز وجل للذين لا يريدون علوًا في الأرض ولا فساد . ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ [القصص : ٨٣] .

(٢) «المريد» هو ذلك الذي يخلص قلبه لله عز وجل وهو على درجة من درجات المراقبة التي قال فيها مولانا عز وجل : ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ [البقرة - (٢٣٥)] وقال : ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾ [الأحزاب - ٥٢] وقال : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد - ٤] وقال : ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ [العلق -١٤] وقال : ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور - ٤٨] . قال ابن قيم الجوزية في مدارج السالكين (٦٥/٣) : «المراقبة هي دوام علم العبد وتيقنه باطلاع الحق سبحانه وتعالى على ظاهره وباطنه فاستدامته لهذا العلم واليقين هي المراقبة وهي ثمرة علمه بأن الله سبحانه وتعالى رقيب عليه وناظر إليه ، سامع لقوله . وهو مطلع على عمله كل وقت وحين بل كل نفس وطرفة عين» ا هـ .

بعلمه بالعلماء من أي نوع كان ، من إنسان أو حيوان أو جماد أو نبات ، وعلامة ذلك وجود العلم عنده [١] .

وكل شيء في الوجود له عقل وعلم كما بيّنته مفصلاً في كتاب «لمعات البرق النجدي شرح تجليات محمود أفندي» .

ص : (وإنما الاشتباه) . ش : وهو دخول الشيء في شبهة يقال اشتبه الأمر إذا لم يتميز من أشباهه ، وأشكل إذا دخل في أشكاله .

ص : (والالتباس) . ش : مثل الاشتباه ، فإن الشيء إذا لبس هيئة الآخر اشتبه به فيقال التبس به حيث لم يتميز عنه .

ص : (ونفوذ) . ش : أي مُضيُّ ، يقال نفذ السهم في الغرض إذا مضى فيه . بالذال المعجمة ، وأما بالدال المهملة فهو التمام والفراغ . يقال نفد المال إذا تم وفرغ .

ص : (وسواس) . ش : اسم مصدر كالوسوسة ، مثل الزلزال بمعنى الزلزلة ، وأما المصدر فبالكسر ، كالزِّلزالِ والوسوسة الهمز والصوت الخفي .

وقال العز بن عبد السلام [٢] في تفسيره : (الوسواس) الشيطان ، وأصل الوسوسة الحركة .

---

(١) هذا الكلام هو تدمير لعلم النقل وهو علم الرواية . فلابد للمريد من شيخ أو كتاب يدرس فيه حتى يتعلم شرع الله وسنة رسول الله ﷺ .ويرد على هذا الكلام بقوله تعالى ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ فأول صفحة في كتاب العربية الأوّل وكتاب الإسلام الأول القرآن الكريم تدعو رسول الله ﷺالنبي الأمي بالقراءة ومع ذلك يقول الجنيد سامحه الله إن صح الكلام عنه بتدمير دعوة الإسلام إلى القراءة والكتابة .

(٢) عز الدين بن عبد السلام هو عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن بن المهذب ، الشيخ الإمام العلامة عز الدين السلمي ، أصله من المغرب ولد بدمشق ونشأ بها .... روى عنه ابن دقيق العيد ، وكان يعظمه جدًّا ، ويقول فيه : شيخ الإسلام ويقول فيه : كان من سلاطين العلماء وقال عنه ابن حجر العسقلاني في كتابه : رفع الإصر عن قضاة «مصر» (ص ٣٥١) كان عالي الهمة ، بعيد الغور في فهم العلوم ، ودرس وأفتى ، وبرع حتى وصف بأنه بلغ رتبة الاجتهاد ، وتخرج به جماعة ، وكان قائمًا بالأمر بالمعروف لا يخاف في ذلك كبيرًا ولا صغيرًا ، مع الزهد والتقشف والورع والتفنن في العلوم . وكانت وفاته بالمدرسة الصالحية في عاشر جمادى الأولى سنة ست وستين وستمائة . وصلى عليه السلطان الظاهر بيبرس فمن دونه . ا هـ .

وقيل : الصوت الخفي ، والوسواس صوت الحلى وحديث النفس .

وقال الخازن في قوله تعالى : ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ [١] يعني بالكلام الخفي الذي يصل مفهومه إلى القلب من غير سماع .

ص : (الخناس) ش : الذي عادته أن يخنس أي يتأخر إذا ذكر الإنسان ربه قاله البيضاوي .

وقال العز بن عبد السلام : (الخناس) المختفي عن الأعين .

وقيل : هو الذي يخنس مرة ويختفي أخرى .

وقيل : المتأخر عند ذكر الله [٢] .

وقيل : هو جاثم على قلب ابن آدم فإذا ذكر الله خنس وإذا غفل وسوس [٣] .

وقال الخازن : (الخناس) الرّجاع .

وقال قتادة : الخناس له خرطوم كخرطوم الكلب .

وقيل : كخرطوم الخنزير في صدر الإنسان فإذا ذكر العبد ربه خنس [٤] .

ويقال : رأسه كرأس الحية واضعٌ رأسه على ثمرة القلب يمنيه ويحدثه فإذا ذكر الله خنس ، وإذا لم يذكر الله رجع ووضع رأسه على القلب [٥] .

---

(١) سورة [الناس : ٥] .

(٢) وأخرج ابن أبي الدنيا وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي والضياء في المختارة عن ابن عباس قال : ما من مولود يولد إلا على قلبه الوسواس فإذا ذكر الله خنس ، وإذا غفل وسوس فذلك قوله الوسواس الخناس [الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي (٦/٤٢١)] .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/٤٢١) لابن أبي شيبة وابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس في قوله : ﴿الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ بلفظ : قال : «الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فإذا سها وغفل وسوس . وإذا ذكر الله خنس» .

(٤) أخرج ابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان وأبو يعلى وابن شاهين في الترغيب في الذكر والبيهقي في شعب الإيمان عن أنس عن النبي ﷺ قال : إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فإن ذكر الله خنس وإن نسي التقم قلبه فذلك الوسواس الخناس . [الدر المنثور (٦/٤٢٠)] .

(٥) أخرج سعيد بن منصور وابن أبي الدنيا وابن المنذر عن عروة بن رويم أن عيسى بن مريم عليهما السلام دعا ربه أن يريه موضع الشيطان من ابن آدم فجلى له فإذا رأسه مثل رأس الحية واضعًا رأسه على ثمرة القلب فإذا ذكر الله خنس وإذا لم يذكر وضع رأسه على ثمرة قلبه [الدر المنثور (٦/٤٢٠)] .

ص : (في الجاهلين) . ش : متعلق بنفوذ أي تأثير ذلك في أهل الجهل ، وهو خلاف العلم فيشمل الشك والوهم والظن [١] في الاعتقادات وإن ألحق بالعلم في العمليات ، والمراد بهم الذين جهلوا ما أوجب الله تعالى عليهم علمه والعمل به من الأحكام الشرعية [٢] . ص : (المتنسكين) : أي المتعبدين ، من النّسك وهي غاية العبادة وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة قاله البيضاوي .

والمراد أنهم عابدون لله تعالى مع الجهل به تعالى وبعبادته ، وفي الخلق أناس كذلك ولكنهم غير معلومين بأعيانهم الوجوب الحمل على الكمال وستر عورات المسلمين وحرمة الظن السوء [٣] والتجسس عنهم [٤] كما ورد في صريح الآيات والأحاديث .

وليس مراد المصنف رحمه الله تعالى جماعة مخصوصين لوجوب ظن الخير فيه وإنما كلامه عام ليعم النفع به ، فكذلك يجب أن يكون كلام مدرس وواعظ في كل زمان [٥] حتى لا يتدنس بالآثام في باطنه وظاهره فيجتمع في غيره كلامه .

ص : (و) . ش : في ص : (العالمين) . ش : بكسر اللام جمع عالم وهو الموصوف بالعلم ص : (الغافلين) . ش : عن ما هم مأمورين بذكره واستحضاره من أسرار التوحيد ولطائف العبادات وهم العلماء المنهمكون في الشهوات النفسانية المغرورون بالزخارف الدنيوية وهم غير معلومين أيضًا بأعيانهم ، ولكن بيانهم على طريق العموم كالأولين قال تعالى : ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ [٦]

ص : (فيما) . ش : أي كائنات ، يعني الاشتباه والالتباس في الأمور التي هي .

ص : (عداهما) . ش : أي غير الحق والباقية المذكورين بمعنى الله تعالى والآخرة

---

(١) والله يقول : ﴿إِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ .

(٢) ذم القرآن الكريم صفة الجهل والجاهلين في مواضع كثيرة منه قال تعالى : ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف : ١٩٩] . وقال : ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [النمل : ٥٥] .

(٣) لقوله تعالى : ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات : ١٢] .

(٤) والله يقول : ﴿وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ يَغْتَب بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات : ١٢] .

(٥) فكل مدرس وواعظ عليه أن تكون دعوته وعمله لله سبحانه وتعالى عملاً بقول شعيب عليه السلام : «إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ» .

(٦) سورة [البقرة : ٢٢٠] .

ص : (من) . ش : جمع أنواع ص : (الشرور) . ش : جمع شر ضد الخير ، من أمور الدنيا وما فيها وكون الله تعالى والآخرة ، لا اشتباه ولا التباس فيهما ولا على الجاهلين المتنسكين والعالمين الغافلين لأن الله تعالى غيب مطلق والآخرة غيب مقيد ، والغيب يجب الإيمان به قبل الاطلاع عليه ولا يقبل الإيمان به بعد الاطلاع عليه لأنه ليس بإيمان اختياري بل هو شهود ضروري حينئذ لا يتصور فيه التكليف ، ولهذا لا يصح إيمان الكافر إذا شاهد أمر الآخرة كما قال تعالى : ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ [١] والإيمان قدر مشترك بين الجاهل والعالم وبين الغافل والمتيقظ كما قال أبو حنيفة [٢] رضي الله عنه : إيمان أهل السموات والأرض سواء وإنما التفاوت فيما عدا ذلك من الآيات التي في الآفاق وفي الأنفس يراها الجاهل ظلماتٌ فيحرفها عن مواضعها ويبدلها بعدما سمعها وتغلب حالته

---

(١) سورة [الأنعام : ١٥٨] . أخرج ابن جرير الطبري في تفسيره (١٢/٢٦٠) رقم (١٤٢٢٩) حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا ابن أبي عدي وعبد الوهاب عن عوف ، عن ابن سيرين قال حدثني أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود قال : كان عبد الله بن مسعود يقول : ما ذكر من الآيات فقد مضين غير أربع : والآية التي تختم بها الأعمال : طلوع الشمس من مغربها . ألم تر أن الله قال : ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ قال فهي طلوع الشمس من مغربها قلت : إسناده منقطع فإن أبا عبيدة بن عبد الله بن مسعود لم يدرك أباه عبد الله بن مسعود .

- وهذا الخبر رواه الحاكم في المستدرك (٤/٥٤٥) من طريق سفيان عن عوف عن أنس بن سيرين ، عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن عبد الله بن مسعود . وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الذهبي : صحيح . ولكن علته انقطاعه كما بينت .

- وذكره ابن كثير في تفسيره (٣/٤٣٧) . وخرّجه السيوطي في الدر المنثور (٣/٥٩) وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن مردويه .

(٢) النعمان بن ثابت الكوفي ، أبو حنيفة الإمام ، يقال : أصلهم من فارس ، ويقال مولى بني تيم ، فقيه مشهور ، من السادسة مات سنة خمسين على الصحيح ، وله سبعون سنة أخرج له الترمذي والنسائي .

- وفي طبقات الحفاظ ص (٧٣) رقم (١٥٦) قال ابن معين : كان ثقة ، لا يحدث من الحديث إلا بما يحفظ ولا يحدث بما لا يحفظه .

- وقال ابن المبارك : ما رأيت في الفقه مثله . تاريخ بغداد (١٣/٣٢٣) ، تذكرة الحفاظ (١/١٦٨) ، تهذيب التهذيب (١٠/٤٤٩) ، شذرات الذهب (١/٢٢٧) ، غاية النهاية لابن الجزري (٢/٣٤٢) ، مفتاح السعادة (٢/١٩٥) ، النجوم الزاهرة (٢/١٢) ، ميزان الاعتدال (٤/٢٦٥) .

على العالم الغافل فيقتدي به في ذلك فلهذا سماها شرورًا لأنها منشأ الشر لكل منهما .

فإن قلت : الجاهلون المتنسكون والعالمون الغافلون لا يعرفون الله تعالى ولا الآخرة كما يعرف العالمون العاملون الكاملون ، فكيف يكون الله تعالى والآخرة غير مشتبهين ولا ملتبسين عليهما ؟

قلت : لا يتصور الاشتباه والالتباس في الأمر المعجوز عن ادراكه للكل الذي اشترك الكل فى الإيمان به من غير تحكم عليه بما ليس واردًا عنه من الأوصاف والقصور في القاصرين إنما هو من جهة ما عدا الله تعالى والآخرة ، فإنها الشرور التي متى اشتغل بها أحد أنسته ذكر الله تعالى وأحضرت عنده كل سوء ونقص وحملته على نسبة ذلك إلى الله تعالى وإلى الآخرة ، وهما مبرآن من ذلك .

فالاشتباه والالتباس المنسوبان فى الظاهر عند الجاهل والغافل إلى الله تعالى وإلى الآخرة واقعان فى نفس الأمر على ما عدا الله تعالى والآخرة من الأمور الدنيوية لأنه من لم يعرف نفسه لا يعرف ربه ، ومن لم يعرف أحوال نفسه لا يعرف الآخرة .

فالفطرة الإنسانية مجبولة على معرفة الله تعالى [1] ومعرفة الآخرة ، وإنما الاشتباه والالتباس فيما عداهما ، فإذا انقطعت أسباب ما عداهما ظهرت الفطرة الأصلية ظهورًا اضطراريا لا اختياريا كسبيا فلا ينفع ذلك .

قال تعالى : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِي ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي ٱلْأَرْضِ

---

(١) والحديث النبوى الشريف صريح فى ذلك عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه كما تناتج الإبل من بهيمة جمعاء هل تحس من جدعاء ، قالوا : يا رسول الله . أفرأيت من يموت وهو صغير ؟ قال : الله أعلم بما كانوا عاملين .
- وأخرجه بمعناه من حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة .
البخارى كتاب : الجنائز ، باب : إذا أسلم الصبى، كتاب : القدر باب : الله أعلم بما كانوا يعملون ، كتاب : التفسير باب : تفسير سورة الروم ، مسلم كتاب : القدر باب : معنى كل مولود يولد على الفطرة حديث رقم (٢٦٥٨) .

بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [(١)] .

قال البيضاوى : دعوا الله مخلصين له الدين من غير إشراك لتراجع الفطرة وزوال العارض من شدة الخوف . اهـ .

قلت : ولأجل هذا شرع الجهاد فيهم لعل أن تتراجع فطرهم ويزول العارض لهم عن معرفة حقيقة الأمر بالإغلاظ عليهم والتخويف لهم فيرون الحق حقًّا والباطل باطلاً ويضمحل عنهم الكفر والجهل .

وفي تفسير الواحدي : ﴿دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [(٢)] قال ابن عباس رضي الله عنهما : تركوا الشرك وأخلصوا لله في الربوبية وقالوا : لئن أنجيتنا من هذه الريح لنكونن من الشاكرين الموحدين الطائعين ﴿فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ يعملون فيها بالفساد والمعاصي والجرأة على الله تعالى .

قال أبو محمد الخازن : يعني أنهم أخلصوا في الدعاء لله عز وجل ولم يدعوا أحدًا سواه من آلهتهم .

وقيل في معنى الإخلاص [(٣)] : العلم الحقيقي لا إخلاص إيمان ، لأنهم كانوا يعلمون أنه لا ينجيهم من جميع الشدائد والبلايا إلا الله تعالى ، فكانوا إذا وقعوا في

---

(١) سورة [يونس : ٢٢ ، ٢٣] أخرج البيهقي في سننه عن ابن عمر أن تميما الداري سأل عمر بن الخطاب عن ركوب البحر . فأمره بتقصير الصلاة قال : يقول الله : ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ . وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن زيد في قوله : ﴿حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ﴾ قال : ذكر هذا اسم عبر الحديث في حديث آخر عنه لغيرهم قال : وجرين بهم قال : فعز الحديث عنهم فأول شيء كنتم في الفلك وجرين بهؤلاء لا يستطيع أن يقول جرين بكم وهو يحدث قومًا آخرين ثم ذكر هذا ليجمعهم وغيرهم وجرين بهم هؤلاء وغيرهم من الخلق . [الدر المنثور (٣/٣٠٣)] .

(٢) سورة [يونس : ٢٢] .

(٣) حتى يتقبل الله أي عمل من أعمال العباد لابد له من توفر ركنين أولهما : أن يكون صاحبه قد قصد به وجه الله عز وجل . ثانيهما : أن يكون موافقًا لما شرعه الله تعالى في كتابه أو بينه رسوله في سنته . قال الله تعالى : ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ . [البينة - ٥] . وقال ﷺ : إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى وانظر : كتاب : (الإخلاص) . تأليف حسن العوايشة طبع المكتبة الإسلامية عمان الأردن طبعة ثالثة سنة ١٤٠٥ هـ .

شدة وضرٍّ وبلاءٍ أخلصوا لله عز وجل الدعاء .

ص : **(فدلاهما)** . ش : أي الشيطان المتقدم ذكره ، وضمير التثنية راجع إلى الجاهلين المتنسكين والعلماء الغافلين . ص : **(بغرور)** . ش : بما غرهما به من التَّنسُّك مع الجهل والعِلم مع الغفلة ، أو مُتلبسين بغرور .

وفي تفسير الواحدي : التدلية إرسال الدلو في البئر .

قيل : أصله تدلية العطشان في البئر ليروى من الماء ولا يجد الماء فيكون مدلّى بغرور ، ثم وضعت التدلية في موضع الأطماع فيما لا يجدي نفعًا ، فيقال دلّاه إذا أطمعه في غير مطمع .

وقال الخازن : «فدلّاهما بغرور» أي فخدعهما ، يقال مازال فلان يدل فلانًا بغرور ، يعني مازال يخدعه ويكلمه بزخرف من القول باطل ، والغرور : النصح مع إبطان الغش ، وهو أن إبليس حطهما من منزلة الطاعة إلى حالة المعصية لأن التدلّي لا يكون إلا من أعلى إلى أسفل .

ص : **(فيفرطون)** . ش : بكسر الراء مخففة من أفرط في الأمر إذا جاوز فيه الحد قاله الفارابي في «ديوان الأدب» [1] وهو وصف راجع إلى الجاهلين المتنسكين ، يعني أنهم من جهلهم بالأحكام الشرعية يجاوزون حدودها ويتعدون عنها القدر الذي عينه الشارع ظنًّا منهم أن ذلك حسَن في الشرع فيكثرون من العبادات الصوريّة ، بل من البدع والمخالفات ولا يشعرون .

ص : **(أو يفرّطونَ)** . ش : بكسر الراء مشددة ، من فرّط في الأمر بالتشديد إذا ضيعه وتهاون فيه ، وهو وصف للعالمين الغافلين ، يعني أنهم من كثرة استيلاء الغفلة على قلوبهم بإنهماكهم في شهوات نفوسهم وغرورهم في الدنيا مع علمهم بقبح ذلك كله ومعرفتهم بطريق النجاح ضيّعوا حقوق الله تعالى عليهم واستهانوا بها ، وضيعوا حقوق العباد أيضًا المتعلقة بهم ولم يبالوا بما فعلوا اعتمادًا على علمهم الذي هو حجة عليهم .

---

(١) وفي ديوان الأدب للفارابي (٢١٧/١) تأليف أبي إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابي المتوفى سنة ٣٥٠ تحقيق د/ أحمد مختار عمر طبع الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية مجمع اللغة العربية الفرط : الفارط ، وهو الذي يتقدم الواردة إلى الماء .

قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ (١). قال البيضاوي : أي غافلون غير مبالين بها .

وقال العز بن عبد السلام : (ساهون) لاهون أو غافلون لا يبالون صلّوا أم لم يصلوا .

وقيل : يصلونها رياءً ويتركونها خلاءً .

وقيل : يلتفتون فيها تهاونًا .

وقيل : لا يذكرون الله ولا يقرون فيها ويتركونها .

وفي الحديث : «يؤخرونها عن وقتها بلا عذر» (٢) .

وقيل : الذي لا يدري عن ثلاث انصرف - أي سلم - أو عن أربع .

وقال الخازن : لما قال الله تعالى : ﴿عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ (٣) بلفظ (عن) عُلم أنها في المنافقين ، والمؤمن قد يسهو في صلاته ، والفرق بين السهوين أن سهو المنافق هو أن لا يتذكرها ويكون فارغًا عنها ، والمؤمن إذا سها في صلاته تدارك في الحال وجبره بسجود السهو .

---

(١) سورة [الماعون : ٤ ، ٥] . أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره تفسير القرآن العظيم (٣٤٦٨/١٠) ١٩٤٩٥ - عن ابن عباس قوله : ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ قال : هم المنافقون يراءون الناس بصلاتهم إذا حضروا ويتركونها إذا غابوا ، ويمنعونهم العارية بغضًا لهم وهي الماعون .
١٩٤٩٦ -عن سعيد بن أبي وقاص قال: سألت النبي ﷺ عن قوله ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ قال : هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها .
١٩٤٩٧ - عن مسروق قوله ﴿عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ قال : تضييع ميقاتها .
١٩٤٩٨ - عن مجاهد قوله : ﴿عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ لاهون .
١٩٤٩٩ - عن أبي العالية قوله : ﴿عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ قال : هو الذي يصلي ويقول هكذا وهكذا يلتفت عن يمينه وعن يساره .

(٢) أخرج البخاري (١٣/٢ فتح) ٩- كتاب : (مواقيت الصلاة) ٧- باب : تضييع الصلاة عن وقتها رقم (٥٣٠) من طريق عثمان بن أبي رواد : - أخي عبد العزيز - قال : سمعت الزُّهري يقول : دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي فقلت : ما يُبكيك ؟ قال : لا أعرفُ شيئًا مما أدركت إلا هذه الصلاة . وهذه الصلاة قد ضُيِّعت .

(٣) سورة [الماعون : ٥] .

وقيل : السهو عن الصلاة هو أن يبقى ناسيًا لذكر الله في جميع أجزاء الصلاة ، وهذا لا يصدر إلا من المنافق الذي لا يعتقد فائدة صلاته وأنها عليه واجبة ولا يرجو الثواب على فعلها ولا يخاف العقاب على تركها .

وقال أبو عبد الرحمن السلمي [(١)] : ﴿عَنْ صَلاَتِهِمْ سَاهُونَ﴾ . قال بعضهم : الذين لا يحضرونها بشهود قلب ورعاية حقوق المناجاة وخشوع الجوارح فيها لا يعلمون أن الصلاة مواصلة بين العبيد وبين ربهم ، فإذا لم يراع حقوقها كانت مفاصلة ، سمعت عبد الله بن علي البغدادي يقول : سمعت أحمد بن فاتك يقول : سمعت أبا العباس ابن عطاء يقول : ليس في القرآن وعيدٌ صعب إلا وبعده وعد لطيف غير هذه الآية : ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ ، هُمْ عَنْ صَلاَتِهِمْ سَاهُونَ﴾ ذكر الويل لمن صلاها بلا حضور من قلبه فكيف بمن تركها رأسًا .

سئل ما الصلاة ؟ قال : اتصال العبد بالله عز وجل من حيث لا يعلم إلا الله تعالى ا هـ .

وهذا شأن الجاهلين والغافلين في جميع عباداتهم وطاعاتهم في الصلاة وغيرها ، يتجاوزون الحدود أو يقصّرون في إقامة الحدود .

ص : (وهم) . ش : أي الجاهلون المتنسكون والعالمون الغافلون . ص : (يحسبون) . ش : أي يظنون ص : (أنهم يحسنون) . ش : فيما يعملون .

قال الواحدي في قوله تعالى : ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً﴾ [(٢)] بالقوم الذين هم أخسر الخلق فيما عملوا ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بطل عملهم واجتهادهم في الدنيا ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ يظنون أنهم بفعلهم محسنون انتهى .

---

(١) محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم بن راوية بن سعيد بن قبيصة بن سراقة ، أبو عبد الرحمن الأزدي من أزد شنوءة ، وهو أزد بن الغوث بن بنت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ صرف أبو عبد الرحمن همه إلى دراسة الحديث والتصوف ، ولقى شيوخ عصره فيهما فرحل في الطلب إلى : العراق ، والري ، وهمدان ، ومرو والحجاز لكتب الحديث ولقاء الشيوخ كما جرت بذلك عادة عصره فوق تتلمذه لشيوخ نيسابور ونيسابور يومئذ من أمهات المدن الإسلامية التي بلغت قمة الاكتمال في العمران والفكر . تاريخ بغداد (٥٦/١١) .

(٢) سورة [الكهف : ١٠٣] .

والإحسان راجع إلى إتقان العبادات ومراعاة حقوق الله تعالى فيها ومراقبته واستحضار عظمته وجلاله حالة الشروع وحالة الاستمرار فيها ، كذا في «المفهم لما أُشكل من تلخيص مسلم» للقرطبي .

ص : (فأردت) . ش : الفاء للتفريع أي يتفرع على ما تقدم أني أردت أي قصدت . ص : (أن أُصنف) . ش : أي أجعل صنوفًا أي أنواعًا وأقسامًا فهو أخص من التأليف الذي هو إيقاع الألفة بين المسائل ولو من نوع واحد .

وفي «المواهب اللدنية» للقسطلاني : ومن خصائص هذه الأمة أنهم أوتوا تصنيف الكتب ، ذكره بعضهم «ولا تزال طائفة منهم ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله» رواه الشيخان [١] . ولنا كلام على هذا الحديث بشرحه في كتابنا : «نهاية المراد شرح هدية ابن العماد» .

ص : (الطريقة) . ش : أي السنة والدين ، وقال الفارابي في ديوان الأدب : يقال مازال على طريقة واحدة أي حالة واحدة . ص : (المحمدية) .ش : المنسوبة إلى محمد ﷺ نبينا ورسولنا ص : (وأحببت) . ش : معطوف على أردت .

ص : (إن أُبين) . ش : أي أكشفُ وأُوضّح . ص : (السيرة) . ش : اسم من سار يَسير ، وهي الطريقة خيرًا كان أو شرًّا ، ومنه «سيرة العمرين» أي طريقتهما قاله العيني في «شرح الكنز» [٢] . ص : (الأحمدية) . ش : المنسوبة إلى أحمد وهو نبينا

---

(١) أخرجه البخاري ٦١- كتاب : (الخمس) ٧- باب : قول الله تعالى : ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾ رقم (٢٩٤٨) - عن معاوية ، ٣- كتاب : (العلم) ١٣- باب : من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين رقم (٧١) ، مسلم كتاب : (الزكاة) باب : النهي عن المسألة رقم (١٠٣٧) وأوله : «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين ، وإنما أنا قاسم والله يعطي» . ظاهرين : منتصرين وظافرين على عدوهم الذي يخالفهم في العقيدة والمنهج .

(٢) كنز الدقائق في فروع الحنفية للشيخ الإمام أبي البركات عبد الله بن أحمد المعروف بحافظ الدين النسفي المتوفى سنة ٧١٠ هـ . أوله : الحمد لله الذي أعز العلم في الأعصار وأعلى حزبه في الأمصار .... إلخ .لخص فيه الوافي بذكر ما عم وقوعه حاويًا لمسائل الفتاوى والواقعات - وجعل الحاء علامة ولأبي حنيفة والسين لأبي يوسف والميم لمحمد والزاي لزفر والفاء للشافعي ، والكاف لمالك والواو لرواية أصحابنا وزيادة الطاء للاخلافات واعتنى به خلق منهم القاضي بدر الدين محمود بن أحمد العيني شرحًا مختصرًا وتوفي سنة ٨٥٠ وسماه رمز الحقائق أوله : إن أجل ما يستهل به اللسان بالبيان ... إلخ ذكر فيه أنه امتحن بحاسد ثم زال فشرحه شكرًا لله تعالى [كشف الظنون (١٥١٥/٢)] .

محمد ﷺ . وقد ذكر القسطلاني في مواهبه ما يزيد على أربعمائة اسم للنبي ﷺ وقال : رأيت في كتاب أحكام القرآن للقاضي أبي بكر بن العربي . قال أحد الصوفية : لله تعالى ألف اسم [1] ، وللنبي ﷺ ألف اسم . اهـ .

ومعنى عبارة المصنف رحمه الله تعالى هنا وقد اشتهر بها اسم هذا الكتاب أن مراده يذكر في كتابه هذا طريقة رسول الله ﷺ التي هي مقتضى شرعه المفهومة من الكتاب والسنة وكلام السلف الصالحين والأئمة المجتهدين الخالية من البدعة في الاعتقاد والعمل والغرض من ذلك ص : **(حتى يعرض عليها)** . ش : أي على هذه الطريقة المحمدية والسيرة الأحمدية .

ص : **(عمله)** . ش : بالباطن والظاهر فيعم الاعتقاد والأفعال والأقوال والأحوال .

ص : **(كل إنسان سالك)** . ش : في طريق الله تعالى الموصل إلى رضوانه والجنة فيكون هذا الكتاب ما صنفه مصنفه رحمه الله تعالى إلا للعمل بما فيه لا ليتمتع الفقيه بحفظ ألفاظه ودراية معانيه ويزين بعباراته المجالس وقلبه مملوء من الوساوس ،

---

(١) الأسماء توقيفية والحديث الصحيح يرد على ذلك بقوله ﷺ فيما رواه الإمام أحمد في مسنده (٣١٤/٢) لله تعالى تسعة وتسعون اسمًا مائة إلا واحدة من أحصاها دخل الجنة . وأخرج الشيخان عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ «لله تسعة وتسعون اسمًا مائة إلا واحدة من أحصاها دخل الجنة إنه وتر يحب الوتر» أخرجه البخاري (١٨٥/٣ فتح) ٥٤- كتاب : (الشروط) ١٨- باب : ما يجوز من الاشتراط والثُّنيا في الإقرار عن أبي اليمان عن شعيب عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة بدون : «إنه وتر يحب الوتر» .

- والبخاري (١٦٩/٧ فتح) ٨٠- كتاب : (الدعوات) ٦٨- باب لله عز وجل مائة اسم غير واحد عن علي بن عبد الله عن سفيان بن أبي الزناد به . وبالزيادة التي ليست في الرواية الأولى ، البخاري (١٦٩/٨ فتح) ٩٧- كتاب : (التوحيد) ١٣- باب : إن لله مائة اسم إلا واحدًا . رواية أبي اليمان السابقة وبعدها تفسير لكلمة أحصاها يقول : أحصيناه : حفظناه - ورواه مسلم (٢٠٦٢/٤ ، ٢٠٦٣) ٤٨- كتاب : (الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار) ٢- باب : في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها .

- والبغوي في شرح السنة (٣٠/٥) باب : في أسماء الله الحسنى عن أحمد بن منصور الرمادي عن عبد الرزاق وثانيهما عن أحمد بن يوسف السُّلمي - عن عبد الرزاق به ثم قال : هذا حديث متفق على صحته رقم (١٢٥٦) .

فهو تحفة العاملين وحسرة الغافلين وميزان السالكين ومعراج الصالحين .

ص : (فيتميّز) . ش : بعرض العمل عليها

ص : (المصيب) : ش : أي الذي وافق الصواب في عمله .

ص : (من المخطىء) . ش : أي الذي أخطأ في العمل ، وهذا في الدنيا لأن الصواب والخطأ يظهران اليوم فيمكن التدارك بمعاطاة الأسباب الموجبة لإزالة الخطأ شرعًا و ص : (يتميز أيضًا) . ش : أيضًا ص : (الناجي) . ش : وهو المصيب

ص : (من الهالك) . ش : وهو المخطىء ، وهذا في حكم الآخرة ، لأن النجاة والهلاك يظهران في يوم القيامة وعلامتهما في الدنيا بأن يصيب الطريقة المحمدية أو يخطئها . والطريقة المحمدية هي ما اشتملت عليه كتب الشريعة والدين علمًا وعملاً واعتقادًا .

ص : (ورَتّبْته) .ش : أي هذا المصَنّف الذي هو الطريقة المحمدية ص : (على ثلاثة أبواب) . ش : وبيانها على التفصيل :

الباب الأول

في الاعتصام بالكتاب والسنة وما يتبع ذلك وهو ثلاثة فصول :

الفصل الأول نوعان :

النوع الأول : في الاعتصام بالكتاب .

النوع الثاني : في الاعتصام بالسنة .

الفصل الثاني : في البدع :

الفصل الثالث : في الاقتصاد في العمل :

الباب الثاني في الأمور المهمة في الشريعة ، وهو ثلاثة فصول :

الفصل الأول : في تصحيح الاعتقاد .

الفصل الثاني : في العلوم المقصودة لغيرها ، وهي ثلاثة أنواع :

النوع الأول : في المأمور به ، وهو صنفان :

الصنف الأول : في فروض العين .

الصنف الثاني : في فروض الكفاية .

النوع الثاني : في المنهي عنه .

النوع الثالث : في المندوب إليه .

الفصل الثالث : في التقوى ، وهو ثلاثة أنواع :

النوع الأول : في فضيلتها .

النوع الثاني : في تفسيرها

النوع الثالث : في مجاريها ، وهي تسعة أصناف :

الصنف الأول : في منكرات القلب ، وهو على قسمين :

القسم الأول : في تفسير الخُلُق

القسم الثاني : في الأخلاق الذميمة والكفر ثلاثة أنواع جهلي وجحودي وحكمي (والرياء سبعة مباحث) :

المبحث الأول في تعريفه وتقسيمه

المبحث الثاني : فيما به الرياء

المبحث الثالث : فيما له الرياء

المبحث الرابع : في الرياء الخفي وعلاماته

المبحث الخامس : في أحكام الرياء

المبحث السادس : في أمور مترددة بين الرياء والإخلاص

المبحث السابع : في علاج الرياء

(الكبر خمسة مباحث)

المبحث الأول : في تفسيره وضده وحكم ذلك

المبحث الثاني : في أقسام الكبر

المبحث الثالث : في أسباب الكبر

المبحث الرابع : في علامات الكبر

المبحث الخامس : في أسباب الضعة والتواضع

ثم الحسد أربعة مباحث

المبحث الأول : في تفسيره وضده

المبحث الثاني : في غوائل الحسد

المبحث الثالث : في العلاج العلمي والعملي

المبحث الرابع : في العلاج القلقي

ثم الحقد . فيه ثلاث مقالات

المقالة الأولى : في تفسيره وحكمه .

المقالة الثانية : في غوائله .

المقالة الثالثة : في سبب الحقد .

ثم الغضب وفيه خمس مقامات

المقام الأول : في تفسيره وأقسامه .

المقام الثاني : في العلاج العلمي .

المقام الثالث : في العلاج العملي .

المقام الرابع : في العلاج القلعي .

المقام الخامس : في الحلم .

ثم الحلم ثلاث مقاصد

المقصد الأول : في فوائده .

المقصد الثاني : في فوائد ثمرته .

المقصد الثالث : في طريق تحصيل الحلم.

ثم البخل مبحثان

المبحث الأول : في غوائله وسببه وآفته .

المبحث الثاني : في سبب حب المال وعلاجه .

ثم حب الدنيا فيه مقالتان

المقالة الأولى : في ذمه وغوائله .

المقالة الثانية : في ثمراته وذمها وضده ومدحه وفيها مقامان :

المقام الأول : في ثمراته .

المقام الثاني : في ضد حب الدنيا .

ثم الإسراف خمسة مباحث

المبحث الأول : في ذمه وغوائله .

المبحث الثاني : في السر والسبب الأصلي في مذموميته .

المبحث الثالث : في أصناف الإسراف .

المبحث الرابع : في أن الإسراف هل يقع في الصدقة .

المبحث الخامس : في علاج الإسراف .

الصنف الثاني من الأصناف التسعة

في آفات اللسان وهو قسمان :

القسم الأول : في وجوب حفظه وعظم جرمه .

القسم الثاني : في آفاته . وفيه ستة مباحث .

المبحث الأول : في الكلام الذي الأصل فيه الحظر .

المبحث الثاني : فيما الأصل فيه الإذن من العادات التي لا يتعلق بها نظام المعاش .

المبحث الثالث : فيما الأصل فيه الإذن من العادات التي يتعلق بها النظام .

المبحث الرابع : فيما الأصل فيه الإذن من العبادات المتعدية .

المبحث الخامس : فيما الأصل فيه الإذن من العبادات القاصرة .

المبحث السادس : في آفات اللسان من حيث السكوت .

الصنف الثالث : في آفات الأذن .

الصنف الرابع : في آفات العين .

الصنف الخامس : في آفات اليد .

الصنف السادس : في آفات البطن .

الصنف السابع : في آفات الفرج .

الصنف الثامن : في آفات الرّجل .

الصنف التاسع : في آفات البدن الغير مختصة بعضو معين .

الباب الثالث

في أمور يظن أنها من التقوى والورع ، وهو ثلاثة فصول :

الفصل الأول : في دقة أمر الطهارة ، وهو أربعة أنواع :

النوع الأول : في كون الدقة في ذلك بدعة ، وهو صنفان :

الصنف الأول : فيما ورد عن النبي ﷺ : وخير القرون

الصنف الثاني : فيما ورد عن أئمتنا الحنفية

النوع الثاني : في ذم الوسوسة وآفاتها

النوع الثالث : في علاج الوسوسة

النوع الرابع : في اختلاف الفقهاء في أمر الطهارة والنجاسة

الفصل الثاني : في التورع والتوقى من طعام أهل الوظائف

الفصل الثالث : في أمور مبتدعة باطلة أكب الناس عليها على ظن أنها قربة

وهذ آخر ما اشتمل عليه هذا الكتاب من الأبواب والفصول والأنواع والأصناف ذكرناها على ما هي عليه ليقف الإنسان من أول وهلة على ما تضمنه من بيان الطريقة المحمدية على وجه الإجمال ، ولم يذكره المصنف رحمه الله تعالى في خطبته قبل الشروع في المقصود لطول الكلام عليه وليتشوف الطالب إليه فتتوفر الدواعي إلى مطالعته كلهم .

وحاصله أن بيان الطريقة المحمدية منحصر في هذه الأبواب الثلاثة وما في ضمنها من انحصار الكلّي في جزئياته ، لأن كل مسألة من ذلك تسمى طريقة محمدية ما لم يكن هذا اللفظ اسمًا للكتاب فيصير من انحصار الكل في أجزائه ، وذلك لأن الكلام عليها إما أن يكون من حيث ذاتها وماهيتها أو من حيث ما يعرض لها ، فإن كان الأول فهو الباب الثاني وما تضمنه ، وإن كان الثاني فإما من حيث ما هي عليه من الأوصاف في

نفسها مما يدعو إليها وهو الباب الأول وإما من حيث ما يشتبه بها وليس منها وهو الباب الثالث .

ص : (متوكلاً) . ش : حال من ضمير الفاعل في قوله (ورتبته) أي معتمدًا ص : (على رب) . ش : أي مالك ص : (الأرباب) . ش : أي المالكين ، كلهم من خلقه .

وفي رسالة القشيري [١] : قال سهل بن عبد الله [٢] : أول مقام في التوكل أن يكون العبد بين يدي الله تعالى كالميت بين يدي الغاسل يُقلّبه كيف شاء لا يكون له حركة ولا تدبير .

وقال حمدون [٣] : التوكل هو الاعتصام بالله .

ومن حكم ابن عطاء الإسكندري رضي الله عنه : من علامة النجاح في النهايات الرجوع إلى الله في البدايات .

فلهذا قال المصنف رحمه الله تعالى ذلك في ابتداء سلوكه هذه المسالك .

ص : الباب الأول من الأبواب الثلاثة
وهو ما يُدْخَلُ منه

قال والدي رحمه الله تعالى في أحكامه :

اعلم أن الفصل صنفٌ تحت الصِّنف المسمى بالباب ، كما أن الباب صنف تحت

---

(١) الرسالة القشيرية لعبد الكريم القشيري ص (١٦٣) ١٧- باب : التوكل طبع دار الجيل بيروت .

(٢) سهل بن عبد الله التستري وكنيته أبو محمد . أحد أئمة القوم وعلمائهم والمتكلمين في علوم الرياضات والإخلاص ، وعيوب الأفعال صحب خاله محمد بن سوّار ، وشاهد ذا النون المصري ، سنة خروجه إلى الحج بمكة توفي سنة ثلاث وثمانين وقيل سنة ثلاث وتسعين ومائتين .
- حلية الأولياء (١٠/١٨٩) ، مرآة الجنان (٢/١٤٨) ، شذرات الذهب (٢/١٨٢) .

(٣) حمدون القصار هو حمدون بن أحمد بن عمارة ، أبو صالح القصار النيسابوريُّ . شيخ أهل الملامة بنيسابور ... كان عالمًا فقيهًا يذهب مذهب الثوري . توفي أبو صالح حمدون ، سنة إحدى وسبعين ومائتين بنيسابور . ودفن في مقبرة الحيرة .
- طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمي ص (١٢٣) [ت (١٦)] ، الرسالة القشيرية ص (٢٤) ، حلية الأولياء (١٠/٢٣١) ، دائرة معارف البستاني (٧/١٧٣) .

الصنف المسمى بالكتاب ، والكل تحت الصنف المسمى بالعلم المدون ، والصنف من العلم بمعنى الإدراك جنس وما تحته من اليقين والظن نوع ، والمدون يكون ظنيًا كالفقه ، وقطعيًا كالكلام والحساب والهندسة .

فواضع العلم لما لاحظ الغاية المطلقة له فوجدها تترتب على العلم بأحوال شتى أو أشياء خاصة وضعه ليبحث عن أحواله من تلك الجهة ، فقد قيد ذلك العلم بعارض كلّي فصار صنفًا ، وقيل للواضع صَنّف هذا العلم أي جعله صنفًا ، فالواضع للعلم أولى باسم المصنف من المؤلفين وإن صح أيضًا فيهم .

ص : **(في الاعتصام)** . ش : أي الامتناع والاحتفاظ من العصمة وهي المنع كما في قوله تعالى ﴿لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ﴾ أي لا مانع ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (١) أي يمنعك ص : **(بالكتاب)** . ش : وهو القرآن العظيم ص : **(والسنة)** . ش : أي سنة رسول الله ﷺ ، وتقدم بيانها ص : **(والاحتراز)** . ش : أي التوقي ص : **(عن العادات)** . ش : جمع عادة وهي ما يعود من أفعال الإنسان مرة بعد أخرى ص : **(السيئة)** . ش : أي القبيحة المنكرة في الشرع ص : **(والبدع)** . ش : جمع بدعة معطوف على العادات السيئة على طريقة البيان لها ، لأن العادة تثبت بمرة على رأي بعضهم ، أو هي أعم من العادات لاشتراط التكرار في العادة دون البدعة ، فيكون من عطف العام على الخاص لقصد التتميم . ص : **(المحدثة)** . ش : صفة كاشفة إذ كل بدعة محدثة نظير قوله تعالى : ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ (٢)

ص : **(والاقتصاد)** ش : مصدر ، كقولك : اقتصد في النفقة إذا لم يسرف ولم يقتر قاله الفارابي في «ديوان الأدب» . ص : **(في الأعمال)** . ش : المرضيّة في الشرع . ص : **(والتوسط)** ش : وهو معنى الاقتصاد . مصدر توسط يتوسط . ص : **(والاجتناب)** . ش : أي التباعد ص : **(عن الطّرَفين)** . ش : المذمومين شرعًا وعقلاً .

قال الجوهري : الطرف بالتحريك الناحية من النواحي ، والطائفة من الشيء ، وفلان كريم الطرفين يراد به نسب أبيه ونسب أمه ، فالطرف الأول .

---

(١) سورة [المائدة : ٦٧] .

(٢) سورة [المائدة : ٤٤] .

ص : (الإفراط) . ش : أي الإكثار والزيادة ، يقال أفرط في الشيء إذا اشتط فيه وبالغ ص : (و) ش : الطرف الثاني ص : (التفريط) . ش : وهو التقصير ، يقال فرط في الشيء أي قصر فيه ، فيكون هذا الباب مشتملاً على ثلاثة أمور ، فلهذا قال . ص : (وهو) ش : أي هذا الباب ص : (ثلاثة فصول لكل أمر من تلك الأمور الثلاثة فصل يبينه) . ص (:الفصل الأول) :

ش : من الفصول الثلاثة ص : (نوعان) . ش : تثنية نوع وهو التقسيم من الشيء .

النوع الأول : في الاعتصام بالكتاب الكريم والقرآن العظيم

ص : (النوع الأول) : ش : من هذين النوعين ص : (في) . ش : بيان ص : (الاعتصام) . ش : أي الاحتفاظ على النفس والدين والعقل والمال والعرض ، وهي الخمسة التي يجب على كل مكلف الاحتفاظ عليها كما قررته مفصلاً في كتاب «المطالب الوفية» [1] .

ص : (بالكتاب) . ش : أي كتاب الله تعالى .

ص : (الكريم) . ش : لأنه مضمونه الكرم على العباد ، أو لأنه من عند الله .

ص : (والقرآن) . ش : بيان للكتاب . ص : (العظيم) . ش : من العظمة وهي كبر الشأن ، والمراد بالاعتصام بالكتاب الإيمان به والدخول في ربقة أحكامه عن رضا وتسليم حتى تصير تلك الأشياء الخمسة محفوظة له محترمة محصنة بالحصن الشرعي محمية من كل متعرض لها . ص : (و) . ش : الدليل على ذلك

ص : الآيات ش : الواردة فيه ، وهي جمع آية .

قال السيوطي في «الإتقان» : حد الآية قرآن مركب من جمل ولو تقديرًا ذو مَبْداءٍ

---

(١) كتاب : «المطالب الوفية شرح الفوائد السنية» للشيخ عبد الغني النابلسي أولها : أحمد الله الغني عن كل ما سواه على الفيض العميم .... إلخ . في علم التوحيد مجلد كبير .

انظر : [إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (٤/٤٩٦)] . تأليف العالم الفاضل الأديب المؤرخ الكامل الأريب إسماعيل باشا بن محمد أمين بن سليم الباباني أصلاً والبغدادي مولدًا ومسكنًا . طبع دار الفكر بيروت ١٤٠٢ هـ ، ١٩٨٢ م .

ومقطع مندرج في صورة ، وأصلها العلامة ، ومنه : ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِ﴾ (١) لأنها علامة للفضل والصدق أو الجماعة لأنها جماعة كلمة ، وهي الواحدة من المعدودات في السور ، سميت به لأنها علامة على صدق مَنْ أتى بها وعلى عجز المتحدي بها .

وقيل : لأنها علامة على انقطاع ما قبلها من الكلام وانقطاعه عما بعدها .

قال الواحدي وبعض أصحابنا : يجوز على هذا القول تسمية أقل من الآية لولا أن التوقيف ورد بما هي عليه الآن .

وقال أبو عمرو الداني : لا أعلم كلمة هي وحدها آية إلا قوله ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾ (٢) . وقال غيره : بل فيه غيرها مثل : والفجر ، والضحى ، والعصر وكذا فواتح السور عند من عدّها .

وقال بعضهم : الصحيح أن الآية إنما تُعلم بتوقيف من الشارع كمعرفة السور . وقال : الآية طائفة من حروف القرآن علم بالتوقيف انقطاعها معنى عن الكلام الذي بعدها في أول القرآن ، وعن الكلام الذي قبلها في آخر القرآن ، وعما قبلها وعما بعدها في غيرها ، أي غير الأول والآخر مُشتمل على مِثل ذلك . قال : وبهذا القيد خرجت السورة . انتهى .

[خواتم السور]

وجملة الآيات التي ذكرها المصنف رحمه الله تعالى هنا اثنتى عشرة آية من سور متفرقة مترتبة :

الآية الأولى : أول سورة البقرة (٣) ، ولا يخفى حسن بدايته بها تبركاً واقتداءً بكتاب الله تعالى في أول كتابه وهي قوله تعالى :

ص : (الم) . ش : كثر اختلاف المفسرين في الحروف المقطعة في القرآن ، فذهب قوم إلى أن الله تعالى لم يجعل لأحد سبيلا إلى إدراك معانيها ، وأنها مما استأثر الله تعالى بعلمها ، فنحن نؤمن بظاهرها ونكل علمها إلى الله تعالى .

---

(١) سورة [البقرة : ٢٤٨] .
(٢) سورة [الرحمن : ٦٤] .
(٣) سورة [البقرة : ١] .

قال الشعبي [١] : إن لكل كتاب سرًا ، وإن سر القرآن فواتح السور ، فدعها وسل عما سوى ذلك [٢] .

وفسرها الآخرون قال ابن عباس : معنى (الم) أنا الله أعلم [٣] وإن لكل حرف منها له تفسير ، قال والدليل أن العرب تنطق بالحرف الواحد تدل به على الكلمة التي هو منها وأنشد :

قلت لها قفي فقالت : ق

فنطق بقاف فقط يريد قالت أقِفُ .

وقيل : إن (الم) وسائر حروف التهجي في القرآن أسماء للسور [٤] . ذكره الواحدي .

وقال أبو محمد الخازن : قيل إن حروف الهجاء في أوائل السور من المتشابه الذي استأثر الله تعالى بعلمه ، وهي سر الله تعالى في القرآن ، فنحن نؤمن بظاهرها ونكل العلم فيها إلى الله تعالى وفائدة ذكرها طلب الإيمان بها .

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه في كل كتاب سر ، وسر الله تعالى في القرآن أوائل السور .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : إن لكل كتاب صفوة ، وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي .

وقال آخرون من أهل العلم : هي معروفة المعاني ثم اختلفوا فيها ، فقيل كل حرف منها مفتاح اسم من أسماء الله تعالى ، فالألف مفتاح اسمه الله ، واللام مفتاح اسمه

---

(١) عامر بن شراحيل الشَّعبي - بفتح المعجمة - أبو عمرو ، ثقة ، مشهور ، فقيه ، فاضل ، من الثالثة . قال مكحول : ما رأيت أفقه منه . مات بعد المائة وله نحو من ثمانين ، أخرج له الجماعة تقريب التهذيب ص (٢٨٧) رقم (٣٠٩٢) .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٢٣/١) لابن المنذر وأبي الشيخ ابن حبان في التفسير عن داود بن أبي هند قال : كنت أسأل الشعبي عن فواتح السور ... الأثر .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٢٢/١) لوكيع وعبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر، وابن أبي حاتم ، والنحاس من طرق عن ابن عباس .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٢٣/١) لابن جرير عن زيد بن أسلم .

لطيف ، والميم مفتاح اسمه المجيد .

وقيل : الألف آلاء الله ، واللام لطفه ، والميم ملكه .

وقيل : هي أسماء الله مقطعة لو علم الناس تأليفها لعلموا اسم الله الأعظم ألا ترى أنك تقول :﴿الر﴾ ، و ﴿حم﴾ ، و ﴿ن﴾ فيكون مجموعها (الرحمن) وكذلك سائرها ولكن لم يتهيأ تأليفها جميعًا .

وقال ابن عباس : هي أقسام ، قيل : أقسم الله بهذه الأحرف لشرفها وفضلها [(١)] لأنها مباني كتبه المنزلة وأسمائه الحسنى وصفاته العليا ، وإنما اقتصر على بعضها ، وإن كان المراد كلها ، فهو كما تقول قرأت الحمد لله وتريد أنك قرأت السورة بكمالها .

فكأنه تعالى أقسم بهذه الحروف أن هذا الكتاب هو المثبت في اللوح المحفوظ .

وقيل : إن الله تعالى لمّا تحدّاهم بقوله : ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِن مِثْلِهِ﴾ ﴿بِعَشْرِ سُوَرٍ مثله﴾ فعجزوا عنه أنزل هذه الأحرف ، ومعناها أن القرآن ليس إلا من هذه الأحرف وهم قادرون عليها فكان يجب أن يأتوا بمثله ، فلما عجزهم عنه دلّ ذلك على أنه من عند الله لا من عند البشر .

وقيل : إنهم لما أعرضوا عن سماع القرآن وأراد الله صلاح بعضهم أنزل هذه الأحرف ، فكانوا إذا سمعوها قالوا كالمتعجبين : اسمعوا إلى ما يجيء به محمد ﷺ ، فإذا أصغوا إليه وسمعوه رسخ في قلوبهم ، فكان ذلك سببًا لإيمانهم .

وقيل : إن الله تعالى حيّر عقول الخلق في ابتداء خطابه ليعلموا أن لا سبيل لأحد إلى معرفة خطابه إلا باعترافهم بالعجز عن معرفة حقيقة خطابه .

ص : **(ذلك الكتاب)** . ش : ذلك إشارة إلى(الم) إن أول بالمؤلف من هذه الحروف أو فُسّر بالسورة أو القرآن فإنه لما تكلم به وتقضى أو وصل من المرسِل إلى المرسَل إليه صار متباعدًا وتذكيره متى أريد (بـ «الم») السورة لتذكير الكتاب فإنه صفته أو خبره الذي هو هوَ قاله البيضاوي [(٢)] .

وقال الواحدي : ذلك يجوز أن يكون بمعنى هذا عند كثير من أهل التفسير ومثاله

---

(١) انظر تفسير : : الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٢٢/١ ، ٢٣) للإمام الحافظ جلال الدين السيوطي طبعة دار المعرفة بيروت . لبنان .

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل «تفسير البيضاوي» ص (٦ ، ٧) .

في الكلام أنك تقول : قد قدم فلان فيقول السامع قد بلغنا ذلك أو يقول : بلغنا هذا الخبر .

وقيل : إنما قال تعالى : «ذلك الكتاب» ، فأشار إلى غائب لأنه أراد هذه الكلمات يا محمد ذلك الكتاب الذي وعدتك أن أوحيه إليك ، لأن الله تعالى لما أنزل على نبيه ﷺ : ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾ (١) . كان واثقًا بوعد الله إياه ، فلما أنزل عليه : ﴿الم ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ دله على الوعد المتقدم .

والكتاب (٢) مصدر كتبت ، ويسمى المكتوب كتابًا كما يسمى المخلوق خلقًا ، وأصل الكَتْب في اللغة الضم والجمع والكتابة جمع حرف إلى حرف .

ص : (لا ريب فيه) . ش : معناه أنه لوضوحه وسطوع برهانه ، بحيث لا يرتاب العاقل بعد النظر الصحيح في كونه وحيدًا بالغًا حدّ الإعجاز لا أن أحدًا لا يرتاب فيه . قاله البيضاوي (٣) .

وقال الخازن : أي لا شك فيه أنه من عند الله ، وأنه الحق والصدق .

وقيل : هو خبر بمعنى النهي أي لا ترتابوا فيه .

قال الواحدي : فإن قيل كيف قال : ﴿لاَ رَيْبَ فِيهِ﴾ وقد ارتابت فيه المرتابون ؟ .

قيل : معناه إنه حق في نفسه وصدق وإن ارتابت فيه المبطلون . كما قال الشاعر :

ليس في الحق يا أمامة ريب إنما الريب ما يقول الكذوب

فنفى الريب عن الحق وإن كان القاصر في العلم يرتاب

ص : (هدى للمتقين) . ش : أي يهديهم إلى الحق ، والهدي في الأصل مصدر

---

(١) سورة [المزمل : ٥] .

(٢) عبَّر القرآن الكريم عن نفسه بأنه «الكتاب» وهذا إشارة إلى أضوائه على خلاصة الكتب المتقدمة من زبور وتوراة وإنجيل . وهذا الكتاب فيه جميع حكم العالم ، ودستور الأمة الإسلامية وتشريعاتها في الزواج والطلاق والميراث والحرب والسلم والزكاة والعبادات من صوم وحج وصلاة ... إلخ .

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ص (٧) .

كالسرىّ والتقىّ ومعناه الدلالة .

وقيل : الدلالة الموصلة إلى البغية لأنه جُعل مقابل الضلالة . قال تعالى : ﴿لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (١) .

ولأنه لا يقال مُهدى إلا لمن اهتدى إلى المطلوب ذكره البيضاوي (٢) .

وقال الواحدي : معنى الاتقاء في اللغة الحجز بين الشيئين ، يقال اتقاه بترسه أي يجعل الترسَ حاجزًا بينه وبينه ، فالمتقي هو الذي يتحرز بطاعته عن العقوبة ويجعل اجتنابه عما نهى وفعله ما أمر حاجزًا بينه وبين العقوبة التي توعّد بها العصاة .

والمراد بالمتقين في هذه الآية المؤمنون الذين اتقوا الشرك وجعلوا إيمانهم حاجزًا بينهم وبين الشرك . كأنه قال : القرآن بيان وهدى لمن اتقى الشرك . وهم المؤمنون ، وخُصّ المؤمنون بأن الكتاب بيان لهم دون الكفار الذين لم يهتدوا به لانتفاعهم به دونهم كقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا﴾ (٣) .

وكان ﷺ منذرًا لمن يخشى ولمن لم يخش .

وقيل : معناه هدى للمتقين والكافرين ، فاكتفى بأحد الفريقين عن الآخر كقوله تعالى : ﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾ (٤) وأراد الحر والبرد فاكتفى بذكر أحدهما .

وقال الخازن : فإن قيل كيف قال : ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ والمتقون هم المهتدون ؟ قلت : هو كقولك للعزيز الكريم أعزك الله وأكرمك ، تريد طلب الزيادة له إلى ما هو ثابت فيه كقوله تعالى : ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (٥) .

وقال البيضاوي (٦) : وتخصيص الهدى بالمتقين باعتبار الغاية ، وتسمية المُشارفُ للتقوى متقيًا إيجازًا وتفخيمًا لشأنه .

---

(١) سورة [سبأ : ٢٤] .

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل تفسير البيضاوي ص (٧) .

(٣) سورة [النازعات : ٤٥] .

(٤) سورة [النحل : ٨١] .

(٥) سورة [الفاتحة : ٦] .

(٦) أنوار التنزيل وأسرار التأويل «تفسير البيضاوي» ص (٧) .

الآية الثانية في سورة آل عمران [١] وهي قوله تعالى :

ص : (واعتصموا) . ش : أي تمسكوا

ص : ﴿بِحَبْلِ اللَّهِ﴾ . ش : أي بدينه الإسلام أو بكتابه لقوله عليه السلام : «القرآن حبل الله المتين» [٢] ، استعار له الحبل من حيث إن التمسك به سبب للنجاة عن الرَّدى ، كما أن التمسك بالحبل سبب للسلامة عن التَرَدِّى ، واستعار للوثوق به والاعتماد عليه الاعتصام ترشيحًا للمجاز قاله البيضاوي [٣] .

وقال الواحدي : حبل الله الجماعة .

وقال قتادة والسدى والضحاك : هو القرآن .

وقيل : الاعتصام بحبل الله هو ترك الفُرقة واتباع القرآن ، لأن المؤمن إذا اتبع القرآن أمِنَ العذاب .

وقال مجاهد وعطاء : «بعهد الله» وبأمره ، وسمى عهد الله حبلاً لأنه سبب النجاة كالحبل الذي يتمسك به للنجاة من بئر ونحوها .

ص : (جَمِيعًا) . ش : أي مجتمعين عليه ص : (ولا تَفَرَّقُوا) . [٤] ش : أي ولا تتفرقوا عن دين الحق بوقوع الاختلاف بينكم كأهل الكتاب ، أو تذكروا ما يوجب التفرق ويزيل الألفة ، ذكره البيضاوي [٥] .

وقال الواحدي : أي تناصروا على دين الله ولا تتفرقوا .

وقال الخازن : وقيل معناه ولا تُحدِثوا ما يكون عنه التفرق والاختلاف والأمر بالاتفاق والاجتماع ، لأن الحق لا يكون إلا واحدًا ، وما عداه يكون جهلاً وضلالاً ، وإذا كان كذلك وجب النهي عن الاختلاف في الدين وعن الفُرقة لأن كل ذلك كان

---

(١) سورة [آل عمران : ١٠٣] .

(٢) أخرجه الترمذي (١٥٩/٥) ٤٦- كتاب : (فضائل القرآن) ١٤- باب : ما جاء في فضل القرآن رقم (٢٩٠٦) وقد انفرد به تحفة الأشراف (١٠٠٥٧) .

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل «تفسير البيضاوي» ص (٨٤) .

(٤) نهى الله عن التفرق لأنه يؤدي إلى النزاع الذي قال فيه سبحانه وتعالى : ﴿وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ أي لا يبقى لكم سلطان ولا جاه ولا مكانة بين الأمم .

(٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل «تفسير البيضاوي» ص (٨٤) .

عادة أهل الجاهلية فنهوا عنه والله أعلم .

الآية الثالثة في سورة المائدة [١]

وهي قوله تعالى :

ص : (قد جاءكم من الله نور) . ش : أي ضياء من الضلالة يعني الإسلام .

وقيل : النور محمد ﷺ وهو الذي يبين الأشياء قاله الواحدي .

وقال الخازن : إنما سماه الله نورًا لأنه يهتدى به كما يهتدى بالنور في الظلام .

ص : (وكتاب مبين) . ش : يعني القرآن فإنه الكاشف لظلمات الشك والضلال ، وفيه بيان ما يختلفون فيه .

ص : (يهدي به الله) . ش : أي الكتاب المبين كما قاله الواحدي .

وقال البيضاوي [٢] : وَحّد الضمير لأن المراد بهما واحد ، أو لأنهما في الحكم يعني المراد بالنور والكتاب المبين شيء واحد وهو القرآن العظيم فالعطف للبيان إذ الكتاب نور من الله ، وعلى التغاير الذي هو الأصل في العطف هما في حكم شيء واحد لاشتراكهما في الإبانة والكشف عن الأمور .

ص : (من اتبع رضوانه) . ش : أي اتبع ما رضيه الله تعالى مما مدحه وأثنى عليه وهو دين الإسلام .

ص : (سُبلَ) . ش : أي طرق ص : (السَّلام) . ش : قال ابن عباس : يريد دين الإسلام دين الله ، والسلام اسم من أسماء الله تعالى ، وقال : جائز أن يكون أراد طرق السلام أي طرقَ السلامة التي من سلكها سلم في دينه .

ويجوز أن يكون أراد سُبُل السلام كما قال تعالى :﴿ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ [٣] ويراد بها طرق الجنة ولكنه على حذف المضاف أي سبل دار السلام . ذكره الواحدي .

---

(١) سورة [المائدة : ١٥ ، ١٦] .

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل «تفسير البيضاوي» ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي ص (١٤٤) .كواحد . انتهى .

(٣) سورة [الأنعام : ١٢٧] .

وقال البيضاوي [١] : أي طرق السلامة من العذاب أو سبل الله .

ص : (ويخرجهم من الظلمات إلى النور) . ش : يعني من أنواع الكفر إلى الإسلام ص : (بإذنه) . ش : يعني بتوفيقه وهدايته وإرادته ص : (ويهديهم إلى صراط مستقيم) . ش : أي إلى طريق هو أقرب الطرق إلى الله تعالى ومؤدّ إليه لا محالة . ذكره البيضاوي .

وقال الواحدي : هو الذي يأخذ بصاحبه حتى يؤديه إلى الجنة يعني الإسلام .

الآية الرابعة : في سورة الأنعام [٢] وهي قوله تعالى :

ص : (وهذا كتاب) . ش : يعني القرآن ص : (أنزلناه مبارك) . ش : أي كثير النفع والخير والبركة ، ولا يتطرق إليه نسخ قاله الخازن .

ص : (فاتبعوه واتقوا [٣] لعلكم ترحمون) . ش : بواسطة اتباعه ، وهو العمل بما فيه ذكره البيضاوي .

وقال الواحدي : اتبعوا حلاله واتقوا حرامه لتكونوا راجين للرحمة .

وقال الخازن : فاتبعوه ، يعني فاعملوا بما فيه من الأوامر والنواهي والأحكام (واتقوا) يعني مخالفته ، (لعلكم ترحمون) يعني ليكن الغرض بالتقوى رحمةُ الله .

وقيل : معناه لكي ترحموا على جزاء التقوى .

* * *

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي ص (١٤٤) .

(٢) سورة [الأنعام : ٩٢] أخرج ابن أبي حاتم عن قتادة في قوله : ﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ قال : هو القرآن الذي أنزله الله تعالى على محمد ﷺ - [الدر المنثور (٢٩/٣)] .

(٣) التقوى كما عرفها سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : هي الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والاستعداد للرحيل .

- أخرج القشيري في الرسالة ص (٦٨) ط بولاق سنة (١٢٨٤) عن أبي سعيد الخدري قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا نبي الله أوصني فقال : «عليك بتقوى الله فإنه جماع كل خير ، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية المسلم ، وعليك بذكر الله فإنه نور لك» .

الآية الخامسة في سورة يونس [١] وهي قوله تعالى :

ص : (يا أيها الناس) . ش : قال ابن عباس : يريد قريشًا .

وقيل هم على العموم وهو الأصح . وهو اختيار الطبري . ص : (قد جاءتكم موعظة من ربكم) . ش : يعني القرآن والوعظ ، زجرٌ مقرون بتخويف [٢] .

وقال الخليل : هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب .

وقيل : الموعظة الإنابة عما يدعو إلى الصلاح بطريق الرغبة والرهبة ، والقرآن داعٍ إلى كل خير وصلاح بهذا الطريق ذكره الخازن .

وقال البيضاوي : أي قد جاءكم كتاب جامع للحكمة العملية الكاشفة عن محاسن الأعمال ومقابحها ، والمرغبة في المحاسن والزاجرة عن القبائح ، والحكمة النظرية التي هي شفاء لما في الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد [٣] .

ص : (وشفاء لما في الصدور) . ش : يعني أن القرآن دواء وشفاء لما في القلوب من داء الجهل ، وذلك أن داء الجهل أضر للقلب من داء المرض للبدن ، وأمراض القلب هي الأخلاق الذميمة والعقائد الفاسدة والجهالات المهلكة ، فالقرآن

---

(١) سورة يونس : (٥٧) .

القرآن فيه مواعظ جمة : فيه الإيمان بالله ورسله وملائكته وكتبه واليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره حلوه ومره وليس هناك نصح وإرشاد خير من الاتباع والنهي عن الابتداع .

يقول الحافظ جلال الدين السيوطي في كتابه «الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع» ص (٨١) طبع دار ابن القيم سنة (١٩٩٠ ، ١٤١٠) بالدمام :

اعلم رحمك الله أن السنة في اللغة الطريق ، ولا ريب في أهل النقل والأثر المتبعين آثار رسول الله ﷺ وآثار أصحابه هم أهل السنة لأنهم على تلك الطريق التي لم يحدث فيها حادث ، وإنما وقعت الحوادث والبدع بعد رسول الله ﷺ وأصحابه .

(٢) والوعظ يوجه إلى النفس بالتأنيب والإرشاد والله يقول : ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ فكثرة اللوم ترفع من صاحبها .

- والوعظ للآخرين في قوله ﷺ : «الدين النصيحة» قيل : لمن يا رسول الله قال : «لله ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» .

(٣) والله يقول : ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ وقوله عز من قائل : ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة : ١٥] .

مزيل لهذه الأمراض كلها لأن فيه المواعظ والزجر والتخويف ، والترغيب والترهيب ، والتحذير والتذكير ، فهو الدواء والشفاء لهذه الأمراض القلبية [١] .

وإنما خص الله تعالى الصدر بالذكر لأنه موضع القلب وغلافه ، وهو أعزّ موضع في بدن الإنسان لمكان القلب فيه قاله الخازن .

ص : **(وهدى)** . ش : إلى الحق واليقين ص : **(ورحمة للمؤمنين)** . ش : حيث أنزلت عليهم فنجوا بها من ظلمات الضلال إلى نور الإيمان وتبدلت مقاعدهم من طبقات النيران بمصاعد ودرجات الجنان .

والتنكير في الموعظة للتعظيم قاله الخازن .

وقال الخازن : ﴿ورحمة للمؤمنين﴾ يعني ونعمة على المؤمنين ، لأنهم هم الذين انتفعوا بالقرآن دون غيرهم .

الآية السادسة في سورة النحل [٢] ، وهي قوله تعالى : ص : **(ونزلنا عليك الكتاب)** . ش : يعني القرآن ص : **(تبيانًا لكل شيء)** . ش : قال البيضاوي : بيانًا بليغًا لكل شيء من أمور الدين على التفصيل أو الإجمال بالإحالة إلى السنة أو القياس .

وقال الزجاج : تبيان اسم في معنى البيان ، ومثل التبيان التلقاء ، ولو قرئ تَبيانًا على وزن تفعال لكان وجهًا ، لأن التبيان في معنى التبيّن ، ولا تجوز القراءة به لأنه لم يقرأ به أحد من القراء .

---

(١) وأيضًا شفاء لأمراض البدن . جاء رجل إلى أبي علي ابن سينا فقال له يا ابن سينا قرأت القرآن كله فلم أجد فيه آية تدل على الطب ؟ فقال له : يا كافر إن الله جمع الطب كله في نصف آية وهي : ﴿يَابَنِي ءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ والنصف الآخر من الآية ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ فالإسراف رأس دمار البدن .

(٢) سورة [النحل : ٨٩] .

- أخرج ابن أبي شيبة عن ابن مسعود قال : لا تهذوا القرآن كهذ الشعر ولا تنثروه نثر الرمل ، وقفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب .

- وأخرج ابن أبي شيبة عن ابن مسعود قال : إن هذا القرآن مأدبة الله فمن دخل فيه فهو آمن .

وأخرج ابن أبي شيبة عن ابن مسعود قال : إن هذه القلوب أوعية فاشغلوها بالقرآن ولا تشغلوها بغيرها [الدر المنثور (٤/١٢٧ ، ١٢٨)] .

وقال الخازن : ﴿تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [١] يعني من أمور الدين إما بالنص عليه أو بالإحالة على ما يوجب العلم به من بيان النبي ﷺ لأن النبي ﷺ بيّن ما في القرآن من الحدود والأحكام والحلال والحرام ، أو إجماع الأمة فهو أصل ومفتاح لعلوم الدين والله أعلم .

ص : (وهدى) . ش : من الضلالة ص : (ورحمة) . ش : لمن آمن به وصدّق وإنّما حرمان المحروم من تفريطه .

ص : (وبشرى) . ش : من الله سبحانه وتعالى . ص : (للمسلمين) . ش : خاصة .

الآية السابعة في سورة الإسراء [٢] وهي قوله تعالى :

ص : (إِنَّ هَـٰذَا الْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ) : أي للحال التي هي أقوم الحالات ، وهي توحيد الله تعالى (أي) [٣] شهادة ألا إله إلا الله ، والإيمان برسله والعمل بطاعته ، وهذه صفة الحال التي أقوم قاله الزجاج [٤] . وقال الواحدي : أي

---

(١) سورة [النحل : ٨٩] .
- أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن مسعود قال : إن الله أنزل هذا الكتاب تبيانًا لكل شيء ، ولقد علمنا بعضًا مما بيّن لنا في القرآن ثم تلا : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ .
- وأخرج سعيد بن نصور وابن أبي شيبة وعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد وابن الضريس في فضائل القرآن ، ومحمد بن نصر في كتاب تعظيم قدر الصلاة ، والطبراني ، والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن مسعود قال : «من أراد العلم فليتعلم القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين» [الدر المنثور (١٢٧/٤)] .

(٢) سورة [الإسراء الآية : ٩]
أخرج ابن جرير عن ابن زيد في قوله : ﴿إِنَّ هَـٰذَا الْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ قال : التي هي أصوب .
- وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة في الآية قال إن هذا القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم فأما داؤكم فالذنوب والخطايا . وأما دواؤكم فالاستغفار .
- وأخرج الحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنه إنه كان يتلو كثيرًا هذه الآية «إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين» ضعيف . [الدر المنثور (١٦٦/٤)] .

(٣) من الكتاب المطبوع .

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج أبي إسحاق إبراهيم بن السرى (٢٢٩/٣) ،

يرشد إلى الكلمة التي هي أعدل الكلمات وأصولها وهي كلمة التوحيد وقال الخازن : أي إلى الطريقة التي هي أصوب .

الآية الثامنة في سورة الإسراء [١] أيضًا وهي قوله تعالى

ص : (وننزل من القرآن ما هو شفاء) . ش : فمن لبيان الجنس ، والمعنى وننزل من هذا الجنس الذي هو قرآن ما هو شفاء .

قال قتادة : إذا سمعه المؤمن انتفع به وحفظه ووعاه ، وعلى هذا معنى كونه شفاء أنه ببيانه يزيل عمى الجهل وحيرة الشك فهو شفاء من داء الجهل .

وقال ابن عباس : يريد شفاء من كل داء ، وعلى هذا معناه أن يُتبرك به فيدفع الله به كثيرًا من المكاره والمضار ، ويؤكد هذا ما روى أن النبي ﷺ قال : «من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله» [٢] ذكره الواحدي .

وقيل : إن «من» للتبعيض ، والمعنى أن منه ما يشفى من المرض كالفاتحة وآيات الشفاء قاله البيضاوي .

وقال الخازن : شفاء أي بيان من الضلالة والجهالة يتبين به المختلفُ ويتضح به المشكل ، ويستشفى به من الشبهة ، ويهتدى به من الحيرة ، وهو شفاء القلوب بزوال الجهل عنها .

وقيل : هو شفاء للأمراض الباطنة والظاهرة ، وذلك لأنها تنقسم إلى نوعين ، أحدهما الاعتقادات الباطنة . والثاني الأخلاق المذمومة ، أما الاعتقادات فأشدها فسادًا الاعتقادات الفاسدة في الذات والصفات والنبوات والقضاء والقدر والبعث بعد الموت .

فالقرآن كله مشتمل على دلائل المذهب الحق في هذه الأشياء وإبطال المذاهب الفاسدة فلا جرم كان القرآن شفاء لما في القلوب من هذا النوع .

أما النوع الثاني : وهو الأخلاق المذمومة ، فالقرآن مشتمل على التنفير منها والإرشاد إلى الأخلاق المحمودة والأعمال الفاضلة فثبت أن القرآن شفاء من جميع

---

(١) سورة [الإسراء : ٨٢] .

(٢) عزاه السيوطي للدارقطني في الأفراد والغرائب عن أبي هريرة كنز الكمال (٩/١٠) رقم (٢٨١٠٦) .

الأمراض الباطنة ، وأما كونه شفاء من الأمراض الجسمانية فلأن التبرك يدفع كثير من الأمراض يدل عليه ما روى عن النبي ﷺ في فاتحة الكتاب : «وما يدريك أنها رقية» [1] .

ص : (ورحمة للمؤمنين) . ش : قال ابن عباس : يريد ثوابًا لا انقطاع له ، يعني في تلاوته يرحمهم الله بها ويثيبهم عليها ، ذكره الواحدي .

ص : (ولا يزيد الظالمين إلا خسارا) . ش : قال الخازن : لأن الظالم لا ينتفع به والمؤمن ينتفع به ، فكان رحمة للمؤمنين وخسارًا للظالمين .

وقيل : لأن كل آية تنزل يتجدد لهم تكذيب بها فيزداد خسارهم .

وقال الواحدي : ولا يزيد القرآن الظالمين المشركين إلا خسارًا لأنهم يكفرون به ولا ينتفعون بمواعظه ، والقرآن سبب لهداية المؤمنين وزيادة لخسارة الكافرين .

وقال قتادة : عن أويس القرني قال : لم يجالس هذا القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان ، قضاء من الله الذي قضى شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارًا .

الآية التاسعة : في سورة العنكبوت [2] وهو قوله تعالى :

ص : (أو لم يكفهم) . ش : هذا جواب لقولهم قبله : ﴿لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَاتٌ مِن رَبِّهِ﴾ كما قال الخازن .

وقال الزجاج : كان قوم من المشركين كتبوا أشياء عن اليهود ، فأتوا بها النبي ﷺ ، فقال عليه السلام : «كفى بها حماقةً قوم أو ضلالة قوم أن رغبوا عما أتى به نبيهم إلى ما

(١) أخرجه مسلم كتاب : (السلام) باب : جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن (٢٢٠١) أبو داود كتاب : (الطب) باب : كيف الرُّقى رقم (٣٤١٩) ، ابن حبان (١٣/٤٨٠ الإحسان) ٥٦- كتاب : (الرقى التمائم) ذكر الإباحة للمرء أخذ الأجرة المشترطة في البداية على الرُّقى رقم (٦١١٣) من طريقين عن يزيد بن هارون .

* وأخرجه البخاري كتاب : فضائل الصحابة رقم (٥٠٠٧) مسلم رقم ٦٦- (٢٢٠١) .

(٢) سورة [العنكبوت : ٥١]

أتى به غيرُ نبيهم إلى غير قومهم»[١] يعني كان هذا سبب نزول الآية .

ص : (إنَّا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) . ش : يعني تدوم تلاوته عليهم متحدّين به فلا يزال معهم آية ثابتة لا تضمحل بخلاف سائر الآيات ، أو يتلى عليهم يعني اليهود بتحقيق ما في أيديهم من نعتك ونعت دينك ذكره البيضاوي .

وقال الخازن : معناه أن القرآن معجزة أتم من معجزة من تقدم من الأنبياء عليهم السلام ، لأن معجزة القرآن تدوم على ممر الزمان والدهور ثابتة لا تضمحل كما تزول كل آية بعد كونها .

ص : (إن في ذلك) . ش : أي الكتاب الذي هو آية مستمرة وحجة مبيّنة .

ص : (لرحمة) . ش : لنعمة عظيمة .

ص : (وذكرى لقوم يؤمنون) . ش : وتذكرة لمن همه الإيمان دون التعنت قاله البيضاوي .

الآية العاشرة : في سورة ص [٢] وهي قوله تعالى

ص : (كتاب أنزلناه إليك) . ش : أي هذا كتاب ، يعني القرآن أنزلناه إليك .

ص : (مُبارك) . ش : أي كثير خيره ونفعه

ص : (ليدبروا آياته) . ش : ليتفكروا في أسراره العجيبة ومعانيه اللطيفة .

---

(١) قال ابن الجوزى في زاد المسير في علم التفسير (٢٧٩/٦) طبع المكتب الإسلامي ط أولى بدمشق وبيروت ذكر يحيى بن جعدة أن ناسًا من المسلمين أتوا رسول الله ﷺ بكتب قد كتبوها فيها بعض ما يقول اليهود فلما نظر إليها ألقاها وقال ... الحديث وجاء بهامش «زاد المسير» : رواه الطبري في تفسيره (٧/٢١) قال الحافظ ابن حجر في تخريج «الكشاف» (١٢٨) : رواه الطبري ، وأبو داود في «المراسيل» من طريق يحيى بن جعدة . وقال ابن حجر في «التقريب» عن جعدة : ثقة ، وقد أرسل عن ابن مسعود ونحوه. وذكر هذا الخبر الحافظ جلال الدين السيوطي في «الدُّر المنثور» (١٤٨/٥) وزاد نسبته للدارمي وابن المنذر وابن أبي حاتم عن يحيى بن جعدة رضي الله عنه . وأورد الحافظ جلال الدين السيوطي في «الدر المنثور» أيضًا من رواية الإسماعيلي في معجمه وابن مردويه من طريق يحيى بن جعدة عن أبي هريرة رضي الله عنه بنحوه .

(٢) سورة الزمر [ص : ٢٩]

وقيل : تدبُّرُ آياته اتباعه في أوامره ونواهيه ذكره الخازن .

وقال البيضاوي : ليتفكروا فيها فيعرفوا ما يدبّر ظاهرها من التأويلات الصحيحة والمعاني المستنبطة ، وقرىء (ليتدبروا) على الأصل (ولتدبروا) أي أنت وعلماء أمتك .

ص : **(وليذكر أولوا الألباب)** . ش : وليتعظ بـه ذوو العقول السليمـة ، أو يستحضروا ما هو كالمركوز في عقولهم من فرط تمكنهم من معرفته بما نصب عليه من الدلائل ، فإن الكتب الإلهية بيان لما لا يُعلم إلاّ من الشرع وإرشادًا إلى ما لا يستقلّ به العقل ، ولعل التدبر للأول والتذكر للثاني قاله البيضاوي .

الآية الحادية عشر في سورة الزمر [1] وهي قوله تعالى ص : **(الله نزل أحسن الحديث)** . ش : يعني القرآن وكونه أحسن الحديث لوجهين أحدهما من جهة اللفظ والآخر من جهة المعنى .

أما الأول : فلأن القرآن من أفصح الكلام وأجزله وأبلغه ، وليس هـو من جنس الشعر ، ولا من جنس الخطب والرسائل ، بل نوع يخالف الكل في أسلوبه .

وأما الوجه الثاني : فلأنه كتاب منزه عن التناقض والاختلاف ، مشتمل على أخبار الماضين وقصص الأولين ، وعلى أخبار الغيوب الكثيرة ، وعلى الوعد والوعيد والجنة والنار .

وقال العز بن عبد السلام : روى أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا : يا رسول الله لو حدثتنا ؟ فأنزل الله تعالى الآية .

أحسن الحديث يعني أكمله برهانًا وأجمعه بيانًا ، وأعدله حكمًا ، وأفصحه نظمًا .

ص : **(كتابًا متشابهًا)** . ش : بدل من أحسن ، أو حال منه ، وتشابهه تشابه أبعاضه في الإعجاز ، وتجاوب النظم ، وصحة المعنى ، والدلالة على المنافع العامة ذكره البيضاوي .

وقال الخازن : أي يشبه بعضه بعضًا في الحسن ويصدّق بعضه بعضًا .

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام : أي يشبه بعضه بعضًا في التصديق أو في

---

(١) سورة [الزمر : ٢٣] .

الإعجاز والعدل ، أو يشبه الكتب المتقدمة في الأمر والنهي والترغيب والترهيب .

معاني المثاني

ص : (مثاني) . ش : جمع مَثنى أو مُثنى .

قال البيضاوي في سورة الحجر : المثاني من التثنية أو الثناء فإن كل ذلك مثنى تكرر قراءته وألفاظه ، أو قصصه ومواعظه ، ويثنى عليه بالبلاغة والإعجاز ، وثنى على الله سبحانه وتعالى بما هو أهله من صفاته العظمى وأسمائه الحسنى .

وقال الواحدي : المثاني جمع مثناه وهو كل شيء يثنى أي يجعل اثنين وأكثر .

وقال العز بن عبد السلام : مثاني تثنى فيه القصص .

وقيل : ذكر الجنة والنار ، أو يثنى في التلاوة فلا يمل ، أو يشتمل على المزدوجات كالأمر والنهي ، والوعد والوعيد والرحمة والعذاب .

ص : (تقشعر) . ش : أي تضطرب وتشمئز ص : (منه جلود الذين يخشون ربهم) . ش : والمعنى تأخذهم قشعريرة ، وهو تغير يحدثُ في جلد الإنسان عند ذكر الوعيد والوجل والخوف .

وقيل : المراد من الجلود القلوب ، أي قلوب الذين يخشون ربهم . ذكره الخازن .

وقال البيضاوي : تشمئز خوفًا مما فيه من الوعيد : وهو مثل في شدة الخوف ، واقشعرار الجلد تقبضُه ، وتركيبه من حروف القشع وهو الأديم اليابس بزيادة الراء ليصير رباعيًا كتركيب القُمْطُر من القمط وهو الشد .

ص : (ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله) . ش : من الرجاء .

وقيل : لإعظامه وعند تلاوته .

وقيل : بوعده ووعيده .

وقال البيضاوي : بالرحمة وعموم المغفرة ، والإطلاق للإشعار بأن أصل أمره الرحمة وأن رحمته سبقت غضبه ، والتعدية بإلى لتضمين معنى السكون والاطمئنان ، وذكر القلب لتقدم الخشية التي هي من عوارضه .

وقال أبو محمد الخازن : أي لذكر الله .

وقيل : إذا ذكرت آيات الوعيد والعذاب اقشعرت جلود الخائفين لله وإذا ذُكرت آياتُ الوعْدِ والرحمة لانَتْ جلودهم وجليت قلوبهم .

وقيل : حقيقة المعنى أن جلودهم تقشعر عند الخوف وتلين عند الرجاء .

روى عن العباس بن عبد المطلب قال : قال رسول الله ﷺ «إذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تحاتت عنه ذنوبه كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورَقُها» (١) . وفي رواية : «حرمه الله على النار» .

قال بعض العارفين : السيارون في بيداء جلال الله إذا نظروا إلى عالم الجلال طاشوا ، وإن لاح لهم أثر من عالم الجمال عاشوا .

قال قتادة : نَعْت أولياء الله الذي نعتهم الله به أن تقشعر جلودهم وتطمئن قلوبهم بذكر الله ، ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم . إنما ذلك في أهل البدع وهو من الشيطان .

وروى عن عبد الله بن عروة بن الزبير قال : قلت لجدتي أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه كيف كان أصحاب رسول الله ﷺ يفعلون إذا قرىء عليهم القرآن ؟ قالت : كانوا كما نعتهم الله عز وجل تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم .

فإن قلت : لم ذُكرت الجلود وحدها أولاً في جانب الخوف ثم قرنت بها القلوب ثانيًا في الرجاء .

قلت : إذا ذكرت الخشية التي محلها القلوب اقشعرت الجلود من ذكر آيات الوعيد

---

(١) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (٥٦/٤)
- وعزاه الهيثمي في مجمع الزوائد (٣١٠/١٠) كتاب : (الزهد) باب : فيمن اقشعر من خشية الله عن العباس ، وعزاه للبزار . وفيه أم كلثوم بنت العباس ولم أعرفها وبقية رجاله ثقات .
- وعزاه السيوطي لسمويه والطبراني عن العباس كنز العمال (١٤٣/٣ ، ١٤٤) رقم (٥٨٧٩) حرف الخاء . الخوف والرجاء .
- وعزاه الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب (٢٦٦/٤) الترغيب في الخوف وفضله رقم (١٩) عن العباس بن عبد المطلب عزاه لأبي الشيخ في كتاب : (الثواب) والبيهقي .
* ومعنى قوله : «اقشعر» ارتجف فؤاده ، وأصابته رعدة من تقصير في حقوق الله . «تحاتَّت» تساقطت .

في أول وهلة ، وإذا ذكر الله ومبنى أمره على الرأفة والرحمة استبدلوا بالخشية رجاءً في قلوبهم وبالقشعريرة لينا في جلودهم .

وقيل : إن المكاشفة في مقام الرجاء أكمل منها في مقام الخوف ، لأن الخير مطلوب بالذات ، والخوف ليس بمطلوب ، فإذا حصل الخوف اقشعر منه الجلد ، وإذا حصل الرجاء اطمأن إليه القلب ولان الجلد .

ص : (ذلك) . ش : أي الكتاب الذي هو أحسن الحديث ص : (هُدى الله يهدي به من يشاء) . ش : هدايته وهو الذي شرح الله صدره لقبول الهداية ص : (ومن يضلل الله) . ش : ومن يخذله ويجعل قلبه قاسيًا منافيًا لقبول الهداية ص : (فما له من هاد) . ش : يخرجه من الضلال .

الآية الثانية عشر في سورة فصلت [1] وهي قوله تعالى . ص : (وإنه) . ش : أي الذكر يعني القرآن لأن الآية قبله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ﴾

ص : (لكتاب عزيز) . ش : كثير النفع عديم النظير ، أو منيع لا يتأتى إبطاله وتحريفه ذكره البيضاوي .

وقال العز بن عبد السلام : عزيز أي عند الله والمؤمنين .

وقيل : لا يوجد له مِثل ، أو ممتنع من أن يأتيه الباطل ، أو على الناس أن يأتوا بمثله .

وقال الخازن : قال ابن عباس : كريم على الله .

وقيل : العزيز العديم النظير ، وذلك لأن الخلق عجزوا عن معارضته .

وقيل : أعزه الله بمعنى منعه ، فلا يجد الباطلُ إليه سبيلاً .

---

(١) سورة [فصلت : ٤١] . أخرج الحاكم وصححه (٢/٤٤١) والبيهقي في الأسماء والصفات عن عقبة ابن عامر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ : تلا : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ إلى قوله : ﴿حَمِيدٍ﴾ فقال : إنكم لن ترجعوا إلى الله بشيء أحب إليه من شيء خرج منه يعني القرآن [الدر المنثور (٥/٣٦٦)] . وأخرج الترمذي (٥/١٦٢) ٤٦- كتاب : (فضائل القرآن) باب : (١٧) رقم (٢٩١٢) عن جبير بن نفير قال : قال النبي ﷺ : «إنكم لن ترجعوا إلى الله بأفضل مما خرج منه» يعني القرآن .

ص : (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) [١] . ش : قيل : الباطل هو الشيطان فلا يستطيع أن يغيره [٢] .

وقيل : إنه محفوظ من أن ينقص منه فيأتيه الباطل من بين يديه أو يزاد فيه فيأتيه الباطل من خلفه ، فعلى هذا يكون معنى الباطل الزيادة والنقصان [٣] .

وقيل : لا يأتيه التكذيب من الكتب التي قبله ، ولا يجيء كتاب فيبطله .

وقيل : معناه أن الباطل لا يتطرق إليه ولا يجد إليه سبيلا من جهة من الجهات حتى يصل إليه .

وقيل : لا يأتيه الباطل عما أخبر فيما تقدم من الزمان ولا فيما تأخر .

ص : (تنزيل من حكيم) . ش : أي مانع عن التبديل معانديه بأحكام مباينة ص : (حميد) . ش : مستحق للتحميد بإلهام معانيه قاله العز بن عبد السلام .

وقال البيضاوي [٤] : من حكيم حاكم حميد يحمده كل مخلوق بما ظهر عليه من نعمه .

وقال الخازن : من حكيم في جميع أفعاله حميد إلى جميع خلقه بسبب نعمه عليهم .

انتهى الكلام على هذه الآيات ، فقد دلت بمنطوقها ومفهومها على وجوب الاعتصام بكتاب الله تعالى على كل مكلف .

ص : (و) . ش : الدليل على ذلك أيضًا ص : (الأخبار) . ش : النبوية الواردة في ذلك . جمع خبر وهو الحديث ، وتقدم بيان الفرق بينهما وبين السنة والأثر .

واعلم أن المصنف [٥] رحمه الله تعالى رمز في تخريج هذه الأحاديث والأخبار التي

---

(١) سورة [فصلت : ٤٠] .

(٢) أخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن مجاهد رضي الله عنه في قوله : ﴿لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ﴾ قال : الشيطان [الدر المنثور (٥/٣٦٧)] .

(٣) عزاه السيوطي في [الدُّر المنثور (٥/٣٦٧)] لعبد بن حميد وابن الضريس عن قتادة .

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي ص (٦٣٦) طبع دار الجيل .

(٥) المصنف هو المولى محمد بن بير على المعروف ببركلي المتوفى سنة (٩٨١) إحدى وثمانين وتسعمائة .

في هذا الكتاب رموزًا كما رمز السيوطي رحمه الله تعالى ذلك في «جامعه الصغير» اختصارًا في الكلام واستدعاء لقوابل الهمم والأفهام . وجملة ذلك مما اشتمل عليه هذا الكتاب ثمانية وثلاثون رمزًا وبيانها :

١- الخاء المعجمة للبخاري وتكتب هكذا : خ

٢- الميم لمسلم ، وتكتب هكذا : م

٣- الدال المهملة لأبي داود وتكتب هكذا : د

٤ - والتاء المثناة الفوقية للترمذي وتكتب هكذا : ت

٥- والسين المهملة للنسائي وتكتب هكذا : س

٦- والطاء المهملة لموطأ مالك وتكتب هكذا : ط

٧- والغين المعجمة للبغوي صاحب المصابيح هكذا : غ

٨- والزاي للبزار وتكتب هكذا : ز

وهذه الرموز المفردات وهي ثمانية .

والمركبات :

١- الطاء المهملة والباء الموحدة للطبراني وتكتب هكذا : طب

٢- والطاء المهملة والكاف للطبراني في معجمه الكبير وتكتب هكذا : طك

٣- وطاءان مهملتان للطبراني في معجمه الأوسط وتكتب هكذا : طط

٤- والطاء والصاد المهملتان للطبراني في معجمه الصغير وتكتب : طص

٥- والطاء المهملة والكاف والصاد المهملة للطبراني في معجمه الكبير والأوسط وتكتب هكذا : طكص

٦- والطاءان المهملتان والصاد المهملة للطبراني في معجمه الأوسط والصغير وتكتب هكذا : ططص

٧- والطاءان المهملتان والكاف والصاد المهملة للطبراني في معجمه الأوسط والكبير والصغير وتكتب هكذا : طكطص

٨- والحاء المهملة والباء الموحدة لابن حبان وتكتب هكذا : حب

٩- والحاء المهملة والكاف للحاكم وتكتب هكذا : حك

١٠- والحاء المهملة والدال المهملة لأحمد بن حنبل وتكتب هكذا : حد

١١- والدال المهملة والراء للدارمي وتكتب هكذا : در

١٢- والميم والجيم لابن ماجه وتكتب هكذا : مج

١٣- والخاء المعجمة والزاي لابن خزيمة وتكتب هكذا : خز

١٤- والصاد المهملة والفاء للأصفهاني وتكتب هكذا : صف

١٥- والصاد المهملة والباء الموحدة للأصبهاني وتكتب هكذا : صب

١٦- والقاف والطاء المهملة والنون للدارقطني وتكتب هكذا : قطن

١٧- والهاء والقاف للبيهقي وتكتب هكذا : هق

١٨- والباء الموحدة والراء لابن عبد البر وتكتب هكذا : بر

١٩- والدال المهملة والياء المثناة التحتية واللام والميم لأبي منصور الديلمي وتكتب هكذا : ديلم

٢٠- والقاف والشين المعجمة للقشيري وتكتب هكذا : قش

٢١- والدال المهملة والنون والياء المثناة التحتية والألف لابن أبي الدنيا ، وتكتب هكذا : دنيا

٢٢- والياء المثناة التحتية والعين المهملة واللام والياء صورة المقصور لأبي يعلى وتكتب هكذا : يعلى

٢٣- والنون والعين المهملة والميم لأبي نعيم وتكتب هكذا : نعم

٢٤- والسين المهملة والنون والياء المثناة التحتية لابن السني وتكتب هكذا : سني

٢٥- والشين المعجمة والياء المثناة التحتية والخاء المعجمة لأبي الشيخ وتكتب هكذا : شيخ

٢٦- والعين المهملة والسين المهملة والكاف والراء لابن عساكر وتكتب هكذا : عسكر

٢٧- والعين المهملة والدال المهملة لابن عديّ وتكتب هكذا : عد

٢٨- والباء الموحدة والراء والكاف لابن مبارك وتكتب هكذا : برك

٢٩- والراء والزاي والألف والقاف لعبد الرزاق وتكتب هكذا : رزاق

٣٠- والطاء المهملة والحاء المهملة للطحاوي وتكتب هكذا : طح

وهذه رموز المخرجين لأحاديث هذا الكتاب وأخباره كلها ليسهل الأمر في الابتداء على مطالع هذا الكتاب .

وهنا سبعة أحاديث . الحديث الأول :

ص : (طك) . ش : يعني روى الطبراني في معجمه الكبير [١] بإسناده .

ص : **(عن أبي شريح رضي الله عنه قال : خرج علينا رسول الله ﷺ فقال : أليس تشهدون ألا إله إلا الله وأني رسول الله)** [٢] . ش : هذا استفهام لتقرير الكلام وتثبيته ولذا دخلت في جوابه بلى الموضوعة لإثبات الكلام المنفي وإبطال نفيه كقوله تعالى : ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ [٣] . أي بلى أنت ربنا ، فأجروا النفي مع

---

(١) انظر : مجمع الزوائد (١٦٩/١) ، الترغيب والترهيب للمنذري (٧٩/١) .

(٢) أخرجه ابن حبان ص (٤٤٣ موارد) ٢٨- كتاب : (التفسير) ٥- باب : اتباع القرآن رقم (١٧٩٢) . أخبرنا الحسن بن سفيان حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو خالد الأحمر ، حدثنا عبد الحميد بن جعفر ، عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي شريح الخزاعي ..... الحديث .

(٣) سورة [الأعراف : ١٧٢] . أخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس في قوله : «وإذ أخذ ربك من بني آدم» الآية قال : خلق الله آدم ، وأخذ ميثاقه أنه ربُّهُ ، وكتب أجله ورزقه ومصيبته ثم أخرج ولده من ظهره كهيئة الذر فأخذ مواثيقهم أنه ربهم وكتب آجالهم وأرزاقهم ومصائبهم [الدر المنثور (١٤١/٣)] وأخرجه مالك في الموطأ (٨٩٨/٢) كتاب : القدر باب (١) النسائي الكبرى تحفة الأشراف (١١٤/٨) الفريابي كتاب : (القدر) لوحة (٣) .- ومن طريقة الآجرى كتاب : (الشريعة) (١٧٠) وروح بن عبادة ، وسعد بن عبد الحميد بن جعفر كلاهما عند الطبري (١١٤/٩) .- والقعنبي عند أبي داود كتاب : (السنة) باب : في القدر .- والحاكم في المستدرك (٣٢٤/٢ ، ٣٢٥) .- والبيهقي في الأسماء والصفات (٤١١ - ٤١٢) . وعبد الأعلى عند ابن أبي عاصم في كتاب : (السنة) (٨٧/١ - ٨٨) ، وإسحاق وروح كلاهما عند أحمد مسند أحمد (٤٤/١) ومصعب بن الزبير عند ابن الإمام أحمد في زوائد المسند [مسند أحمد (٤٤/١)] ، وأحمد بن أبي بكر عند ابن حبان (موارد الظمآن ٤٤٧) .- وأبو مصعب الزبيري عند البغوي تفسير البغوي (٣٠٦/٢) .

التقرير مجرى النفي المجرد .

فلذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما : لو قالوا نعم لكفروا . ووجهه أن نعم لتصديق الخبر بنفي أو إثبات ، ولهذا كان جوابهم هنا أنهم .

ص : (قالوا بلى) . ش : أي بلى إنه لا إله إلا الله وإنك رسول الله .

وفائدة هذا الكلام من رسول الله ﷺ لهم ليستنطقهم ما هو موجود فيهم من الإيمان بالله ورسوله والإسلام لما جاء به من الحق حتى يَنْبَنِي عليه قوله بعد ذلك ويتحقق عندهم ويثبت وإن كان محققًا من قبل وثابتًا في قلوبهم ، كما أنك إذا أردت أن تحدث ابنك مثلاً بحديث هو نصح له فقلت له : ألست ابني . فقال لك بلى أنا ابنك، فإذا حدثته بعد ذلك بالحديث كان في غاية التأكيد عنده وكمال النصح له باعترافه بأبوتك ، وكذلك هنا .

ص : (قال : ....) . ش : ﷺ ص : (إن هذا القرآن) . ش : يعني الكلام القديم المنزل بجبرائيل عليه السلام على محمد ﷺ المحفوظ في القلوب بالحروف والكلمات المتخيلة المقروء بالألسنة بالحروف والكلمات اللفظيّة الهوائيّة ، المكتوب في المصاحف والألواح بالحروف والكلمات المدادية فمادة الحروف الأولى الخيالُ ، ومادة الحروف الثانية الهواء ، ومادة الحروف الثالثة الحبر والمداد ، كما أن موضع الأولى القلب ، وموضع الثانية الفم ، وموضع الثالثة القرطاس ، وهذه الأنواع الثلاثة من الحروف في مواضعها الثلاث صور يتصور بها كلام الله تعالى القديم المنزه عن الحروف والأصوات والمواضع والكلمات ، فهي كسوته ولباسه في ظهوره لنا ، لا على معنى أنه حال فيها أو متحد بها أو متصل بها ، أو منفصل عنها ، لأن كلام الله تعالى صفته ، وصفات الله تعالى كلها قديمة ، والقديم لا وجود للحادث معه بوجود آخر من نفس الحادث أو من قديم آخر ، إذ لا قديم إلا واحد عقلاً وشرعًا ، بل للحادث وجود بالقديم الواحد ، ووجود الحادث إذا كان بالقديم كان الوجود للقديم والحادث منسوب إليه الوجود فقط ، فكيف يتصور الحلول ونحوه فيه ، والموجود لا يحل في المعدوم .

إذا علمت هذا ظهر لك فساد قول من قال : إن كلام الله تعالى مَقُول بالاشتراك الوضعي على معنيين الصفة القديمة والمؤلف من الحروف والكلمات الحادثة ، فإنه قول

يؤول بصاحبه إلى اعتقاد الشرك في صفات الله تعالى ، وإن الله تعالى يوصف بالكلام الحادث مع قدمه سبحانه .

وإشارة النبي ﷺ هنا في هذا الحديث إلى القرآن تفيد أنه واحد لا تعدد له أصلاً [١] ، وهو الصفة القديمة ، وهو المكتوب في المصاحف المقروء بالألسنة المحفوظ في القلوب من غير حلول في شيء من ذلك ، ومن لم يفهم هذا على حسب ما ذكرنا لصعوبته عليه يجب عليه الإيمان به بالغيب كما يؤمن بالله وبباقي صفاته سبحانه وتعالى .

ولا يجوز لأحد أن يقول بحدوث ما في المصاحف والقلوب والألسنة ، غاية الأمر أن القرآن العظيم له طرفان :

الطرف الواحد مما يلي الحق سبحانه وتعالى ، لأنه كلامه وكلامه صفته .

والطرف الثاني مما يلي الخلق وهو ظهوره بتلك الأنواع الثلاثة من الحروف والكلمات في تلك المواضع الثلاثة في كل إنسان فتتعدّد صورهُ وتتكثر بسبب ذلك في وحدته في نفسه كما يتعدّد الوجه الواحد إذا ظهرت المرائي الكثيرة بطريق انطباع آثاره فيها لا حُلولِه فيها بنفسه وتختلف صور ظهوراته بحسب اختلاف تلك المرائي بالصغر والكبر والطول والعرض ونحو ذلك ، فلا يجوز أن يقال لزيد وجهان أحدهما في جسمه الظاهر والآخر في وسط المرآة ، بل يلزم هذا أن يقال له وجوهٌ كثيرة مختلفة بحسب اختلاف تلك المرايا وهو ممتنع ، ولهذا قال ﷺ [٢] .

ص : (طَرَفه) . ش : أي القرآن يعني أحد وجهَيْه

ص : (بِيَدِ اللهِ) . ش : سبحانه وتعالى بحيث لا يعلم به إلا هو ، وهو وجه وحدته وكمال نزاهته وتقديسه .

---

(١) قال تعالى : ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ اللهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ .

(٢) حديث : إن هذا القرآن طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٩/٤٥) وابن حبان ص (٤٤٣ موارد) ٢٨- كتاب : (التفسير) ٥- باب : اتباع القرآن رقم (١٧٩٢) أخبرنا الحسن بن سفيان حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو خالد الأحمر ، حدثنا عبد الحميد بن جعفر عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي شريح الخزاعي قال : خرج علينا رسول الله ﷺ فقال : أبشروا وبشروا .... الحديث .

ص : (وَطَرَفِهِ) . ش : أي ووجهه الآخر ص : (بأَيْدِيكُمْ) [١] . ش : وهو صوره المتعددة له المسماة عندكم حروفًا وكلمات مخيلة أو لفظية أو رقمية

ص : (فَتَمَسَّكُوا بِهِ) . ش : أي بالقرآن المذكور من حيث ظهوره لكم في صوره المذكورة وإيمانكم به من حيث ما غاب عنكم ومن إطلاقه عن كل صورة وتنزهه عن ذلك وتقدسه في ذات الله تعالى .

ص : (فَإِنَّكُم) . ش : إن فعلتم ذلك ص : (لَنْ تَضِلُّوا) . ش : أي لن تتحيروا في اعتقاد ولا قول ولا عمل في الدنيا ص : (وَلَنْ تُهْلَكُوا) . ش : في الآخرة بمخالفة في شيء من ذلك .

ص : (بعده) . ش : أي بعد القرآن المذكور أو بعد تمسككم به ص : (أبدا) ش : لأن الله تعالى لم يفرط فيه من شيء [٢] .

وفي ذكر اليد من الجانبين مشاكلة نظير قوله تعالى : ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾ [٣] ولم يقل : فجازوه .

وأورد هذا الحديث السيوطي في «كتابه الإتقان» برواية أخرى عن أبي شريح أيضًا ، وزاد فيه قال وأخرج ابن أبي شيبة [٤] من حديث أبي شريح الخزاعي «إن هذا

---

(١) القرآن كلام الله وهو الواقع بين دفتي المصحف أوجب الله علينا احترامه وتقديسه . كما أنه حثنا على ضرورة العمل لله والاعتصام به ، كذلك أنه عز لنا ورفعة لنا بين الأمم الأخرى بل من اعتصم به أعزه الله ، ومن ابتعد عنه أذله الله إذن طرفه الذي بأيدينا يحتاج منا إلى ضرورة العمل به والدفاع عنه .

(٢) فقال تعالى : ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ فهو محكم وصالح لكل زمان ومكان . ومقوم للنفوس البشرية يحث على التمسك به .

(٣) سورة [البقرة : ١٩٤] .

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٤٨١/١٠) كتاب : (فضائل القرآن) (١٧٦٩) في التمسك بالقرآن رقم (١٠٠٥٥) حدثنا أبو خالد الأحمر ، حدثنا عبد الحميد بن جعفر عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي شريح الخزاعي قال : خرج علينا رسول الله ﷺ فقال : أبشروا أبشروا .... الحديث . وعزاه له السيوطي في [الدُّر المنثور (٦٠/٢)] لابن أبي شيبة . وقال ابن أبي حاتم في العلل (٥٦/٢) رقم (١٦٥٣) رواه الليث عن سعيد المقبري عن نافع عن جبير قال النبي ﷺ . مرسل . قال أبي : هذا أشبه قد أفسد الحديثين قلت - محمود بن نصار - وكلام ابن أبي حاتم ذكره بعد أن ذكر إسناده وهو إسناد أبي شيبة بتمامه .

القرآن سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسكوا به فإنكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبدًا» .

والسبب الحبل ، وذكر السبب في هذه الرواية مما يؤيد ما ذكرناه من وَحدة القرآن وعدم تعدده ، لأن الحبل الواحد إذا كان له طرفان أحدهما بيد واحد والآخر بأيدي جماعة لا يلزم أن يكون لأجل ذلك حبلين .

* * *

الحديث الثاني

ص : (حب) . ش : يعني رُوي عن ابن حبان [١] بإسناده ص : (عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال القرآن) . ش : يوم القيامة عند الله تعالى .

ص : (شافع) . ش : في المؤمنين المذنبين الذين ماتوا قبل التوبة ص : (مشفّع) . ش : بصيغة اسم المفعول ، أي مقبول الشفاعة عند الله تعالى ، وهذا يقتضي المغايرة بينه وبين الله تعالى مع أنه صفته ، وصفات الله تعالى لا تغايره كل المغايرة على ما قررناه في موضعه ، فهو باعتبار طرفه الذي بأيدينا اللابس صور الحروف والكلمات المتشكل في أشكالها من غير أن تستقل دونه بوجود فيلزم أن يحل

(١) أخرجه ابن حبان (٣٣١/١ ، ٣٣٢ الإحسان) ٤- كتاب : (العلم) ذكر البيان بأن القرآن من جعله إمامه بالعمل قاده إلى الجنة ، ومن جعله وراء ظهره بترك العمل ، ساقه إلى النار رقم (١٢٤) وإسناده : أخبرنا الحسين بن محمد بن أبي معشر بحرَّان ، حدثنا محمد بن العلاء بن كريب ، حدثنا عبد الله بن الأجلح عن الأعمش ، عن أبي سفيان عن جابر عن النبي ﷺ قال ...... الحديث وإسناده هذا جيد . رجاله رجال الشيخين غير عبد الله بن الأجلح ، فإنه لم يخرجا له ولا أحدهما ، وهو صدوق . وأبو سفيان : هو طلحة بن نافع . قال ابن عدي : أحاديث الأعمش عنه سقيمة . وأخرجه البزار (١٢٢) عن أبي كريب محمد بن العلاء ، بهذا الإسناد ، قال الهيثمي : رجاله ثقات . [مجمع الزوائد (١٧١/١)] . وفي الباب عن ابن مسعود عند أبي نعيم في الحلية (١٠٨/٤) ، الطبراني في المعجم الكبير (١٠٤٥٠) وفي سنده الربيع بن بدر الملقب بعُلَيْلَةَ ، وهو متروك كما قال الحافظ في «التقريب» فلا يصلح شاهدًا . وانظر : مجمع الزوائد (١٦٤/٧) . وأخرجه عبد الرزاق (٦٠١٠) ، وابن أبي شيبة (٤٩٧/١ ، ٤٩٨) والبزار (١٢١) من طريقين عن ابن مسعود موقوفًا عليه . قال الهيثمي في «المجمع» (١٧١/١) : رواه البزار هكذا موقوفًا على ابن مسعود ، ورجاله فيه المعلى الكندي وقد وثقه ابن حبان .

فيها كما قدمناه ، يصح فيه أن يظهر في أي صورة شاء الله تعالى من غير أن يتغير عن إطلاقه وتنزهه وتقدسه .

كما ورد عن أحمد بن حنبل (١) رضي الله عنه أنه لما مرض فشارف الاحتضار وأبوه جالس عند رأسه يقرأ له سورة يس ثم لقنه الشهادة ، فكان كلما قال له : لا إله إلا الله ، يقول : لا ، فخاف عليه من الفتنة حتى زالت عنه تلك الحالة وبرئ من مرضه فأخبره بذلك فقال : تصوَّرَ لي الشيطانُ وكان يقول لي : أتفلت مني يا أحمد فقلت له : لا ، ورأيت شابًا حسن الصورة يدفع عني الشيطان ، فسألته : من أنت ؟ فقال : أنا سورة يس .

وذكر الغزالي في كتابه «الدرة الفاخرة» (٢) : أن القرآن يأتي يوم القيامة في صفة رجل ويشفع فيشفَعُ ، والإسلام مثله فيخصم ويخاصم .

وقد ذكرنا حكاية الإسلام عن عمر بن الخطاب (٣) رضي الله عنه في كتابه (الإحياء) وبعد مخاصمته يتعلق به ما شاء الله فيأوى به إلى الجنة .

وكذا تأتي الدنيا في صورة عجوز شمطاء أقبح ما يكون ، فيقال للناس : أتعرفون هذه ؟ فيقولون نعوذ بالله من هذه ، فيقال لهم هذه الدنيا التي كنتم لها تحبون وعليها تتحاسدون وفيها تتباغضون .

---

(١) أخرج هذه الحكاية الإمام عبد الرحمن بن الجوزي أبو الفرج في كتابه القيّم مناقب الإمام أحمد ابن حنبل ص (٤٠٨) طبع دار الآفاق الجديدة الطبعة الثالثة سنة (١٤٠٢ هـ) سنة (١٩٨٢ م) وإسنادها هو : أخبرنا المحمدان ابن عبد الملك وابن ناصر قال : أنا أحمد بن الحسن المعدل ، قال أبو علي بن شاذان ، وأخبرنا إسماعيل بن أحمد ، ومحمد بن أبي القاسم قالا : أنا حمد بن أحمد قال : أنا أبو نعيم الحافظ قال : ثنا عمر بن أحمد بن عثمان ، قال : ثنا محمد بن عبد الله بن عمر - ويعرف بابن علم - قال : سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : لما حضرت أبي الوفاة ..... إلخ .

(٢) الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي المتوفى سنة (٥٠٥) [كشف الظنون (٧٤٢/١)] .

(٣) عمر بن الخطاب بن نُفيل بن عبد العزى العدوي وأم عمر حنتمة بنت هشام بن المغيرة أخت أبي جهل تولى الخلافة بعد أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قتله الملعون أبو لؤلؤة المجوسي غلام المغيرة بن شعبة بخنجر سنة ٢٣ . وكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر وأربع ليال .
- مشاهير علماء الأمصار ص (٢٣) ت (٣) .
- تجريد أسماء الصحابة (٣٩٧/١) . الإصابة (٥١٨/٢) . أسد الغابة (٥٢/٤) .

وكذا تأتي الجمعة [١] كأنها عروس تزف أحسن ما يكون فتحدق بها المؤمنون وتحيط بها كثبان المسك والكافور ، عليها نور يعجب منه كل أهل الموقف حتى تدخل بهم الجنة . فانظر رحمك الله وجود القرآن والإسلام والجمعة أشخاصًا وذلك في الدنيا لا يُعقل له عين بل هو متحيز إلى العالَم الملكوتي ، وعارف حقيقته لا يقول بخلق القرآن كما قالت الجهمية .. إلى آخر عبارته .

ووردت أحاديث في شفاعة القرآن يوم القيامة فمن ذلك ما ذكره النووي رحمه الله تعالى في «رياض الصالحين» عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «اقرؤا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه» رواه مسلم [٢] .وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : «يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا تقدمه سورة البقرة وآل عمران تحاجان عن صاحبهما» رواه مسلم [٣] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «من القرآن سورة ثلاثون

---

(١) لقد عدد الحافظ جلال الدين فوائد يوم الجمعة وصلاة الجمعة حتى بلغت خمسة وخمسين مسألة في اللمعة في خصائص يوم الجمعة بتحقيقي وغيره . وطبع في مجموعة رسائل السيوطي بمكتبة التراث الإسلامي بالقاهرة فليرجع إليه .

(٢) أخرجه مسلم ٦- كتاب : (صلاة المسافرين وقصرها) ٤٢- باب : فضل قراءة القرآن وسورة البقرة ٢٥٢- (٨٠٤) عن أبي أمامة الباهلي وبقيته : « .. اقرأوا الزهراوين : البقرة وسورة آل عمران . فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان . أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف . تحاجان عن أصحابهما . اقرأوا سورة البقرة فإن أخذها بركة ، وتركها حسرة ، ولا يستطيعُها البطلة» . قال معاوية : بلغني أن البطلة السحرة .

* ومعنى قوله : «الزهراوين» سميتا الزهراوين لنورهما وهدايتهما وعظيم أجرهما «كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان» . قال أهل اللغة الغمامة والغياية كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه : سحابة وغبرة وغيرهما . قال العلماء : المراد ثوابهما يأتي كغمامتين . «كأنهما فرقان من طير صواف» وفي الرواية الأخرى كأنهما حزقان من طير صواف . الفِرقان والحزقان معناهما واحد . وهما قطيعان وجماعتان . يقال في الواحد : فرق وحزق وحزيقة . وقوله : «من طير صواف» جمع صافة وهي من الطيور ما يبسط أجنحتها في الهواء «تحاجان عن أصحابهما» أي تدافعان الجحيم والزبانية وهو كناية عن المبالغة في الشفاعة «ولا يستطيعها» أي لا يقدر على تحصيلها .

(٣) أخرجه مسلم (٥٥٤/١) رقم (٢٥٣) - (٨٠٥) عن النواس بن سمعان الكلابي .

آية شفعت لرجل حتى غفر له وهي تبارك الذي بيده الملك» رواه أبو داود [١] والترمذي [٢] وقال حديث حسن وفي رواية أبي داود : «تشفع» .

ص : (وماحل) . ش : أي القرآن يعني خصمًا مجادلاً ، وقيل معناه ساعٍ ، من قولهم مَحِلَ بفلان إذا سعى به إلى السلطان ، قال في «القاموس» مَحُل به مثلثة الحاء مَحْلا ومِحالا كاده بسعاية إلى السلطان ، وماحَلَه مماحلة ومِحالاً حتى يتبين أيهما أشد .ص : (مصدّق) . ش : بصيغة اسم المفعول .

والمعنى أن القرآن خصم يخاصِمُ عن قارئه العامِل به يوم القيامة فيصدّقه الحق تعالى في مخاصمته عنه ومجادلته ، أو ساعٍ بقارئه الغير عامل به إلى ربه فيقبل الله تعالى سعايته فيه ، أو بقارئه العامل به إلى الحق تعالى ليرفع درجاته في مقامات القرب لديه ، لا يرد الحق تعالى سعايته بل يصدقه في كل ما سعى به .

ص : (من جعله أمامه) . ش : أي قدامه بمعنى تابعه واقتدى بما فيه من الأحكام والمواعظ واعتبر بقصصه وأخباره ، وتحقق بنصائحه وأمثاله

ص : (قاده) . ش : أي أوصله ص : (إلى الجنة ومن جعله خلف) . ش : أي وراء ص : (ظهره) . ش : وفي رواية أنس مرفوعًا : (خلفه) بأن ترك العمل به ولم يعتبر بما فيه وأهمله واشتغل بما تقتضيه طبيعته ويستحسنه عقله من الاعتقاد والقول والعمل كما قال تعالى : ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ .

فقيل : أراد بالكتاب القرآن ، وقيل : التوراة وهو الأقرب لأن النبذ لا يكون إلا بعد التمسك ولم يتمسكوا بالقرآن ، أما التوراة فكانوا يقرؤنها ولا يعملون بها .

وقيل : إنهم أدرجوها في الحرير وحلوها بالذهب ، ولم يعملوا بما فيها ذكره الخازن .

---

(١) أخرجه أبو داود (١١٩/٢) ٢- كتاب : (الصلاة) ٣٢٧- باب : في عدد الآي رقم (١٤٠٠) عن أبي هريرة .

(٢) أخرجه الترمذي (١٥١/٥) ٤٦- كتاب : (فضائل القرآن) ٩- باب : ما جاء في فضل سورة الملك رقم (٢٨٩١) عن أبي هريرة وقال : هذا حديث حسن ، ابن ماجه ٣٣- كتاب : (الأدب) ٥٢- باب : ثواب القرآن رقم (٣٧٨٦) .

وقال الواحدي : قوله ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ يعني علماء اليهود الذين تواطئوا على كتمان أمر محمد ﷺ .

وقوله : ﴿كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ يجوز أن يكون المراد بكتاب الله القرآن ويجوز أن يكون المراد به التوراة لأن الذين كفروا بالنبي ﷺ نبذوا التوراة ، والنبذ الطرح ، ويقال لكل من استخف بشيء ولم يعمل به : نبذه وراء ظهره .

وقيل : هو بين أيديهم يقرؤنه ولكن نبذوا العمل به .

وقيل : أدرجوه في الحرير والديباج وحلّوه بالذهب والفضة ، ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه فذلك النبذ .

وقوله : ﴿كَأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ أعلم الله تعالى أنهم نبذوا كتاب الله ورفضوه عن علم بعظيم ما يفعلون ، حتى كأنهم لا يعلمون ما يستحقونه من العذاب . انتهى .

وهذه عبرة عظيمة في المؤمنين بالقرآن إذا تركوا العمل به مع المواظبة على قراءته ولم يتعظوا بمواعظه ، ولم يتحققوا بقصصه وأخباره ، وأدرجوه في الحرير والديباج ، وحلّوه بالذهب والفضة واعتمدوا على مجرد تعظيمه والتبرك به من دون إحلال حلاله وتحريم حرامه وامتثال أوامره واجتناب نواهيه ، فإنهم عاملون حينئذ نظير عمل أهل الكتاب الذين قال الله فيهم هذه المقالة المذكورة .

ص : (ساقه إلى النار) . ش : أي أوصله إليها ، واستعمل في الأول القَوْدَ لأنه تسيير الدابة بجذب عِنانها من قدامها ، ومن جعل القرآن أمامه فقد جذبه القرآن إلى الجنة من قدامه بعنان الطاعة ، واستعمل السوق في الثاني لأن السوق زجر الدابة من خلفها ، ومن جعل القرآن خلف ظهره زجره القرآن ودفعه إلى النار .

وفي الكلام : إشارة إلى أنه لابد من التقليد للمكلف ، فإما أن يقلد القرآن ويتبع أحكامه فينجو ، وإما أن يقلد طبعه وعقله ويجعل القرآن وراء ظهره فيهلك .

ويفهم من قوله : «ساقه إلى النار» أن الإضلال منسوب إلى القرآن أيضًا فيمن لم يتبعه كالهداية كما قال تعالى : ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ .

الحديث الثالث

ص : (زحك) . ش : يعني روى البزار والحاكم بإسنادهما ص : (عن سهل بن معاذ رضي الله عنه عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : «مَنْ قَرأَ القرآن») . ش :

لعل المراد من تعلم قراءته حتى كان متى أراد قرأه وتلاه وتعلم تفسيره وتأويله لأجل قوله ص : (وعمل به) . ش : يعني بمضمون آياته من الأحكام والأسرار مع الإخلاص والخشوع بأن صار عالمًا بالقرآن ، عاملاً به على وجه السنة لا البدعة .

ص : (أُلبِسَ) . ش : بضم الهمزة ، أي ألبس الله تعالى .

ص : (والداه) . ش : إذا ماتا مؤمنين أو أحدهما إذا مات كذلك ص : (تاجًا) ش : وهو الإكليل ، تقول توّجه فتتوج أي ألبسه التاج فلبسه ، يقال : العمائم تيجان العرب . قاله الجوهري . ص : (يوم القيامة) . ش : يحتمل في الجنة ، ويحتمل قبل دخولها وهما في المحشر إكرامًا لهما حيث أنتجا هذا السعيد الموفق وجزاء على تعليمه بأنفسهما أو بمالهما أو بإعانتهما له ولو بالدعاء قال تعالى : ﴿يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [(١)] يعني من الشرك والكفر ، فمن أتى الله بقلب سليم من الشرك والكفر ينفعه المال والبنون حينئذ كما ورد في هذا الحديث ولهذا شرطنا الإيمان في الوالدين .

ولو كان في الحديث (أبواه) مكان (والديه) لقلنا بدخول الجد والجدة في ذلك فإنه قد يسمى الجد أبا ولكن لا يسمى والدًا كما هو المتبادر .

ص : (ضوءه) . ش : أي ذلك التاج ص : (أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا) . ش : من جهة الإنارة والإشراق ، ولم يرد التشبيه بالشعاع بل بما يظهر عنه في البيوت من خلف الجدران ، وفيه كمال البهجة واللطافة .

ص : (فما ظنكم) . ش : يا معشر المؤمنين .

---

(١) سورة [الشعراء : ٨٩] أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه وأبو نعيم عن ابن عباس في قوله : ﴿إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ قال : «شهادة أن لا إله إلا الله» .

- أخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير عن قتادة في قوله : ﴿إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ قال : كان يقال سليم من الشرك .

- وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد : في قوله : ﴿إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ قال : من الشرك ، ليس فيه شك في الحق .

- وأخرج عبد بن حميد عن عون قال : ذكروا الحجاج عند ابن سيرين فقال : ما تقولون أخوف على الحجاج عندي منه قلت وما هو قال : إن كان لقي الله بقلب سليم فقد أصاب الذنوب خير منه قلت : وما القلب السليم ؟ قال : أن يعلم أنه لا إله إلا الله [الدر المنثور (٥/٩٠)] .

ص : (بالذي عمل بهذا) . ش : يعني بذلك الولد الذي قرأ القرآن وعمل بما ذكرنا فإن له عند الله تعالى جزاء أعظم من ذلك لا يوصف .

وأورد هذا الحديث السيوطي في «الإتقان» برواية أخرى عن الطبراني في الأوسط [١] من حديث أبي هريرة : «ما من رجل يعلم ولده القرآن في الدنيا إلا توج يوم القيامة بتاج في الجنة» .

وأخرج أبو داود [٢] وأحمد [٣] والحاكم [٤] من حديث معاذ بن أنس : «من قرأ القرآن فأكمله وعمل به ألبس والداه تاجًا يوم القيامة ضوءه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم فما ظنكم بالذي عمل هذا» [٥] .

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٣٦/١) رقم (٩٦) حدثنا أحمد بن يحيى بن خالد بن حيّان ، قال : نا موسى بن ناصح قال : نا جابر بن سُليم الزُّرقي ، عن عباد بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة ، يبلغ به النبي ﷺ ...... الحديث ، بزيادة « .... يعرفه أهل الجنة بتعليمه ولده القرآن في الدُّنيا» قال الهيثمي بعد أن عزاه للطبراني في الأوسط فيه : جابر بن سليم ضعفه الأزدي [مجمع الزوائد (١٦٦/٧) باب فيمن علَّم ولده القرآن] وقال الطبراني : لم يروه عن عبّاد بن أبي صالح إلا جابر ابن سليم ، تفرد به موسى .

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٨/٢) ٢- كتاب : (الصلاة) ٣٤٩- باب : في ثواب قراءة القرآن (١٤٥٣) وانفرد به . تحفة الأشراف (١١٢٩٤) .

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٤٤٠/٣) .

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك (٥٦٧/١ ، ٥٦٨) كتاب : (فضائل القرآن) عن بريدة الأسلمي . وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في التلخيص .

(٥) أخرجه الحاكم (٥٥٥/١) كتاب (فضائل القرآن) حدثنا أبو الوليد حسان بن محمد القرشي الفقيه ثنا مسدد بن قطن بن إبراهيم ، ثنا داود بن رشيد ، ثنا صالح بن عمر ، أنبأ إبراهيم الهجري ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : ..... الحديث وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بصالح بن عمر وأخرجه الدارمي (٥٢٣/٢ ، ٥٢٤) ٢٣- كتاب : (فضائل القرآن رقم (٣٣١٥) حدثنا جعفر بن عون ، ثنا إبراهيم - هو الهجري - عن أبي الأحوص ، عن عبد الله ...... الحديث وجاء بهامشه : أخرجه المروزي في قيام الليل ص (١٢١) وابن نصر في قيام الليل ص (٧٠) والطبراني بنحوه مرفوعًا . وانظر : المجروحين (١٠٠/١) ، ميزان الاعتدال للذهبي (٦٦/١) .

- ابن الجوزي في العلل المتناهية (١٠٩/١) أبواب في ذكر القرآن باب : فضل القرآن رقم (١٤٥) قال المصنف : هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ ويشبه أن يكون من كلام ابن مسعود ... =

وفي قوله : (فأكمله) إشارة إلى أن من قرأ بعضه لا ينال هذه الفضيلة لعدم اطلاعه على تمام ما كلف به علمًا وعملا .

ويحتمل أن يكون المراد بإكماله تصحيح كلماته وتجويده وتقويم معانيه .

الحديث الرابع

ص : **(حك)** . ش : يعني روى الحاكم بإسناده ص : **(عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: «إن هذا القرآن مأدبة الله»)** . ش : أي ضيافته قال في «القاموس» : المأدبة والأدبة بالضم طعام يصنع لدعوة أو عرس أدبه بأدبه دعاه إلى طعامه . انتهى .

ووجه كونه مأدبة أنه مشتمل على أنواع من الأقوات الروحانية والأحكام والحكم والنصائح والمواعظ الممدّة للأرواح كما يُمد الطعام للأجسام .

ص : **(فاقبلوا مأدبته)** . ش : أي ضيافته التي هيأها لكم واستعملوا منها ص : **(ما استطعتم)** . ش : أي مقدار استطاعتكم ولا تردوها عليه فيغضب من عدم استعمالكم لها . ص : **(إن هذا القرآن حبل الله المتين)** . ش : أي القوي لأن له طرفين أحدهما بيد الله وهو وجه إطلاقه عن الحروف والأصوات ، والآخر بأيدي العباد وهو وجه تقييده بالحروف والأصوات كما قدمناه ، وبهذا الاعتبار أُطلق عليه (حبل) فكل من تمسك به جذبه الله تعالى إليه فوصل إلى معرفته ورضوانه . ص : **(والنورُ المبينُ)** . ش : أي الكاشف عن خفايا الملك والملكوت والموضح لما به رضاء الله تعالى وما به غضبه ، ولا يخفى ما بين المتين والمبين من أنواع البديع وهو جناس التصحيف . ص : **(والشِّفَاءُ النَّافِعُ)** . ش : من كل داء في النفس أو الجسد ،

= قال ابن معين :« إبراهيم الهجري» ليس حديثه بشيء وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/٢٦٧) وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٩/١٣٩) رقم (٨٦٤٦) حدثنا إسحاق بن إبراهيم الدبري عن عبد الرزاق عن ابن عيينة عن إبراهيم الهجري عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود قال : ... الحديث وعبد الرزاق في مصنفه (٣/ ٣٦٥ ، ٣٦٧) كتاب : (فضائل القرآن) باب : تعليم القرآن وفضله (٦٠٦٧) وأخرجه ابن أبي شيبة (١٠/٤٦١ ، ٤٦٢) كتاب : (فضائل القرآن) باب : ثواب من قرأ القرآن .

- وابن المبارك في الزهد ص (٢٧٩) رقم (٨٠٨) .

- محمد بن الحسن الشيباني في الآثار رقم (٢٧٣) .

يشفي أمراض القلوب الروحانية بالعلوم الحقيقية ، ويشفي الأمراض البدنية بالتطبّب به والرّقية القولية والرقية . ص : (عِصْمَةٌ) . ش : بالكسر أي منعٌ ووقاية وحفظ ص : (لمن تمسك به) . ش : في اعتقاده وقوله وعمله . ص : (وَنَجَاةٌ) . ش : أي خلاص يقال نجا نجوًا ونجاة ونجاية خلُص وأنجاه الله ونجاه كذا في (القاموس) [١] .

ص : (لِمَن اتَّبَعَهُ) . ش : أي عمل بما فيه من الأوامر والنواهي واتعظ بمواعظه ورغب بترغيبه ورهب وقام بحقوقه عليه قالا وحالا .

ص : (لا يَزِيغُ) . ش : أي القرآن قال في «القاموس» [٢] : زَاغَ مَال يزيغ زيغًا وزيغانًا وزيغوغة والزيغ الشك والجوْرُ عن الحق . ا هـ .

والمعنى أنه لا يميل عن الحق ولا يعدل عنه لأنه حق «من حق» .

ص : (فَيَسْتَعْتب) . ش : استعتبه أعطاه العتبى والعتبى الرضا كأعتبه ، واستعتبه طلب إليه العتبى ضده كذا في «القاموس» [٣] ، والمناسب هنا المعنى الثاني وهو طلب العتبى لا إعطاؤها يعني أن القرآن العظيم لا يجور عن الحق بأحد اتبعه ولا يميل عنه حتى يطلب الرضا من أحد بإزالة ذلك الجور منه والميل عن الحق .

ص : (ولا يَعوَجّ) ش : عوج كفرح والاسمُ عِوج كعتب ويقال في كل منتصب كالحائط ، والعصا فيه عِوج محركة وفي نحو الأرض والدّين كعتب ، وقد اعوج اعوجاجًا وعوّجته فتعوّج كذا في (القاموس) [٤] .

يعني أن القرآن العظيم لا يدخل فيه عوج لأنه صراط الله المستقيم كما قال تعالى : ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ [٥] . قال البيضاوي : لا اختلال فيه بوجه ما - وقال الخازن : أي منزها عن التناقض .

وقال ابن عباس : غير مختلف .

وقيل : غير ذي لَبْس .

---

(١) القاموس المحيط لمجد الدين الفيروز آبادي (٣٩٦/٤) باب : الواو والياء فصل النون .
(٢) القاموس المحيط لمجد الدين الفيروز آبادي (١١١/٣) باب : الغين . فصل الزاي .
(٣) القاموس المحيط لمجد الدين الفيروز آبادي [(١٠٤/١) عتب] . باب : الباء فصل : العين .
(٤) القاموس المحيط لمجد الدين الفيروز آبادي [(٢٠٨/١) عوج] باب : الجيم فصل : العين .
(٥) سور [الزمر : ٢٨] .

وقيل : غير مخلوق ، ويروى ذلك عن مالك بن أنس وحكى سفيان بن عيينة عن سبعين من التابعين أن القرآن ليس بخالق ولا مخلوق [١] . اهـ .

فكونه ليس بمخلوق ظاهر ، وكونه ليس بخالق لأنه ليس بمغاير لله تعالى كل المغايرة . بل هو صفته سبحانه فالله تعالى هو الخالق به ، ولأنه كلامه القديم وأمره العظيم كما قال تعالى : ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [٢] .

ص : (فيُقوَّم) . ش : أي يزال عوجه ، يقال قومته أزلت عوجه ، وقومته عدلته والقرآن العظيم غني عن التقويم والتعديل قال تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ .

ص : (ولا تنقضي) . ش : أي لا تفرغ . قال في (القاموس) [٣] تقضّي فنيَ وانصرم كانقضى ص : (عجائبه) . ش : جمع عجيبة ، يقال تعجبت منه واستعجبت منه كعجبت منه ، يعني ما فيه من الأمور العجيبة لا تفرغ ولا تفنى ولا تنصرم ، وتنكشف منه المعاني الشريفة على مر الأزمان لقلوب أهل المعرفة والإيمان ، وتتجلى لهم خبايا الأسرار وخفايا الأنوار شيئًا فشيئًا من غير فراغ ولا نقصان قال تعالى : ﴿قُل

---

(١) القرآن كلام الله المنزل على قلب سيدنا محمد ﷺ وهو كلمة الفصل - لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهو معجز في لفظه وفي معناه وفي أهدافه ومقاصده ولقد امتحن الإمام أحمد في قضية خلق القرآن فثبت ولم يهتز انظر مقدمة مقالات الإسلاميين للأشعري تحقيق محيي الدين عبد الحميد ومقدمة فضائل الصحابة للإمام أحمد والمسند طبعة دار الحديث القاهرة .

(٢) سورة [النحل : ٤٠] . أخرج أحمد والترمذي وحسنه وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان واللفظ له عن أبي ذر عن رسول الله ﷺ قال : يقول الله يا ابن آدم كلكم مذنب إلا من عافيت فاستغفروني أغفر لكم وكلكم فقراء إلا من أغنيت فسلوني أعطكم وكلكم ضال إلا من هديت فسلوني الهدى أهدكم ، ومن استغفرني ، وهو يعلم أني ذو قدرة على أن أغفر له غفرت له ولا أبالي . ولو أن أوّلكم وآخركم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا على قلب أشقى واحد منكم ما نقص ذلك من سلطاني مثل جناح بعوضة ولو أن أوّلكم وآخركم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا على أتقى واحد منكم ما زادوا في سلطاني مثل جناح بعوضة ولو أن أوّلكم وآخركم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم سألوني حتى تنتهي مسألة كل واحد منهم فأعطيتهم ما سألوني ما نقص ذلك مما عندي كغرز إبرة لو غمسها أحدكم في البحر . وذلك أني جواد ماجد واجد ، عطائي كلام وعذابي كلام إنما أمري لشيء إذا أردته أن أقول له كن فيكون .

(٣) القاموس المحيط (٣٨١/٤) باب : الواو والياء فصل القاف .

لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ (١) .

قال الواحدي : قال ابن عباس : يريد أن كلماته أعظم من أن يكون لها أمد ، وكلامه القديم سبحانه صفة من صفات ذاته فلا يجوز أن يكون لكلامه نهاية ومنتهى ، كما ليس له غاية وحَدّ ، فأوصاف ذاته غير محدودة ، وهو رد على اليهود حين ادعوا أنهم أوتوا العلم الكثير ، وكأنه قيل لهم أي شيء الذي أوتيتم في علم الله وكلماته التي لا تنفد لو كتبت بماء البحر .

وقال الخازن : المعنى ولو كان الخلائق يكتبون والبحر يمدهم لفني ماء البحر ولم تفن كلمات الله ولو جئنا بمثل ماء البحر في كثرته مددًا وزيادة وقال تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ (٢) .

قال البيضاوي : والبحر المحيط بسعته مدادًا ممدودًا بسبعة أبحر : «ما نفدت كلمات الله» بكتبها بتلك الأقلام بذلك المداد

ص : (ولا يَخْلِقُ) . ش : أي لا يبلى ، يقال خلق الثوبُ كنفر وكرم وسمع ،

---

(١) سورة [الكهف : ١٠٩] . عن جندب عن النبي ﷺ قال : «ومن يُسمِّع يُسمِّع الله به ، ومن يُراء يراء الله به» أخرجه البخاري كتاب : (الرقاق) باب : الرياء والسمعة رقم (٦٤٩٩) .
- مسلم (٢٢٨٩/٤) ٥٣- كتاب : (الزهد والرقائق) ٤- باب : الصدقة في المساكين رقم ٤٨- (٢٩٨٧) .

- الترمذي (٥١٠/٤) ٣٧- كتاب : (الزهد) ٤٨- باب : ما جاء في الرياء والسمعة رقم (٢٣٨١) وقال : حديث حسن صحيح من هذا الوجه . وأخرجه ابن ماجه (٥١٣/٤) ٣٧- كتاب : (الزهد) ٢١- باب : الرياء والسمعة رقم (٤٢٠٦) عن أبي سعيد الخدري بتحقيقى طبع دار الكتب العلمية بيروت .

(٢) سورة [لقمان : ٢٧] . عن أبي سعد بن أبي فضالة الأنصاري وكان من الصحابة قال : قال رسول الله ﷺ : إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة ليوم لا ريب فيه نادى منادٍ : من كان أشرك في عمل عمله لله فليطلب ثوابه من عند غير الله ، فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك . أخرجه الترمذي (٢٩٤/٥) ٤٨- كتاب : (التفسير) ١٩- باب : ومن سورة الكهف رقم (٣١٥٣) قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن بكر .
- ابن ماجه (٥١١/٤) ٣٧- كتاب : (الزهد) ٢١- باب : الرياء والسمعة رقم (٤٢٠٣) . تحفة الأشراف (١٢٠٤٤) .

خلوقة وخلَقًا محرّكة بَلِيَ كذا في «القاموس» [١] . وهذا وصف على طريق الاستعارة بتشبيه ألفاظ القرآن بالثوب الذي لا يبلى بل هو مستمر على هيئته الابتدائية لا يطرأ عليها ما يخرجها عن إطلاق اسم الجديد إلى العتيق البعيد . من قولهم ثوب خلقٌ أي بالى ، وهو من باب علم يعلم كذا في «فتح الصفا» لابن أقبرس . ص : **(من كثرة الترداد)** . ش : أي تكرار تلاوته . يعني أن قارئه لا يمل منه ولا يسأم على ممر الزمان كما أشار إليه ابن أقبرس .

ويحتمل أن يكون معناه أنه لا يتغير حرف من حروفه ولا يتبدل من كثرة مَنْ يتلوه ويدرسه من العلماء والجهلاء والأعراب والأعجام فإن الله تعالى حافظه من ذلك ومقيض له من يرد الخطأ في تلاوته وفي معناه إلى أن يرفعه الله تعالى إليه ، حتى ورد في الحديث كما أخرجه السيوطي في «الجامع الصغير» عن رسول الله ﷺ قال : «إذا قرأ القارىء فأخطأ أو لحن أو كان أعجميًا كتبه الملك كما أنزل» [٢] .

قال الشارح المناوي رحمه الله تعالى : وفيه أن القارىء يُكتبُ له ثواب قراءته وإن أخطأ أو لحن ، لكن محله إذا لم يتعمد ولم يقصر في التعلم وإلا فلا يؤجر بل يؤزر . ا هـ . أما اشتراط أنه لم يتعمد فظاهر لأن المسلم المؤمن بالقرآن العظيم لا يقع منه في الغالب أن يتعمد اللحن فيه والتحريف ولكن يقع منه ذلك جهلاً لاسيما ولفظ الحديث فيه ذكر الخطأ . والخطأ لا يكون عمدًا غايته أنه قد يكون مقصرًا في التعلم مع مطاوعة لسانه للتصحيح فيأثم ، وأما إذا كان لسانه ثقيلاً في النطق لا يطاوعه ولم يستطع إتقان ذلك فهو معذور مأجور على قراءته [٣] ، وإن أخطأ وإن لحن كما هو

---

(١) القاموس المحيط (٢٣٦/١) باب : القاف فصل الخاء « خلق» .

(٢) عزاه السيوطي للديلمي في مسند الفردوس عن ابن عباس كنز العمال (٥١٣/١) رقم (٢٢٨٤) .

(٣) للحديث الذي روته عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرؤه وهو يتتعتع فيهوهو عليه شاق له أجران» أخرجه : البخاري (٦٩١/٨ فتح) .

- ٦٥- كتاب : (التفسير) ٨٠- باب : تفسير سورة عبس رقم (٤٩٣٧) .

- مسلم (٥٤٩/٢ ، ٥٥٠) ٦- كتاب : (صلاة المسافرين وقصرها) ٤٨- باب : فضيلة حافظ القرآن رقم (٢٤٤ - ٧٩٨) . - أبو داود ٢- كتاب : الصلاة ٣٤٩- باب : في ثواب قراءة القرآن . الترمذي (١٧١/٥) ٤٦- كتاب : (ثواب القرآن) ١٣- باب : ما جاء في فضل قارىء القرآن (٢٩٠٤) قال : هذا حديث حسن صحيح . أحمد في المسند (٤٨/٦ ، ٩٤ ، ٩٨ ، ١١٠) ....=

صريح الحديث المذكور ولا تكتبه الملائكة له إلا صحيحًا كما أنزل ، فقد قيض الله تعالى للقرآن العظيم ملائكة يكتبون الخطأ واللحن فيه صحيحًا . ص : (أُتلوهُ) . ش : أمر من التلاوة وهي القراءة ، وتستحب في غير الصلاة من المصحف أو من الحفظ عن ظهر القلب ، والأوّل أفضل لزيادة فضيلة النظر في المصحف فإنه عبادة أخرى غير التلاوة .

قال الغزالي في «الإحياء» : قراءة القرآن في المصحف أفضل إذ يزيد عمل البصر وتأمّل المصحف وحمله فيزيد الأجر بسببه .

وقيل : الختمة في المصحف بسبع لأن النظر في المصحف أيضًا عبادة .

وقد خرق - أي قطع - عثمان [1] رضي الله عنه مصحفين لكثرة قراءته منهما ، وكان كثير من الصحابة رضي الله عنهم يقرؤن من المصحف ويكرهون أن يخرج يوم ولم ينظروا في المصحف .

وقال علي رضي الله عنه : ثلاث يزدن في الحفظ ويذهبن البلغم السواك والصوم وقراءة القرآن .

ص : (فإن الله) . ش : تعالى ص : (يأجركم) . ش : من الأجر وهو الجزاء عن العمل ، وجمعه أجور وآجار ، أجره يأجُرُه ويأجِرُه جزاه كذا في «القاموس» [2] .

= ابن ماجه (٢٧٣/٤، ٢٧٤) ٣٣- كتاب : (الأدب) ٥٢- باب : ثواب القرآن رقم (٣٧٧٩) تحفة الأشراف رقم (١٦١٠٢) .

«الماهر بالقرآن» أي الحاذق في قراءته «السفرة» هم الملائكة . قال تعالى : ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ يتتعتع أي يتردد في قراءته .

(١) عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس الأموي ، أمير المؤمنين ذو النورين ، أحد السابقين الأولين ، والخلفاء الأربعة والعشرة المبشرة ، استشهد في ذي الحجة بعد عيد الأضحى سنة خمس وثلاثين ، فكانت خلافته اثنتى عشرة سنة ، وعمره ثمانون ، وقيل أكثر ، وقيل أقل . أخرج له الجماعة . تقريب التهذيب ص (٣٨٥) رقم (٤٥٠٣) .

(٢) وعبارة القاموس المحيط (٣٧٦/١) باب : الراء فصل الهمزة الأَجْرُ : الجزاءُ على العمل كالإجارة مثلثة جمعه أجور وآجار والذكر الحسن والمهر أجره يأجره جزاه كآجره والعظم أجرًا وأجارًا وأجورا .. .... إلخ .

ص : (على تلاوة) . ش : أي قراءة ص : (كل حرف) . ش : من حروف القرآن وهي حروف التهجي ، ويطلق الحرف على الكلمة أيضًا .

قال في «شرح الدرر» : وأما تعليمه يعني الجنبَ القرآن [١] حرفًا حرفًا فلا بأس به اتفاقًا . قال والدي رحمه الله تعالى : يعني كلمة كلمة . كما فسره به الحلبي في «شرح المنية» [٢] : ولكن ليس المراد هنا بالحرف الكلمة بدليل ما يأتي ص : (عشرة حسنات أما) . ش : بفتح الهمزة وتخفيف الميم ، قال الجوهري : هي تحقيق للكلام الذي يتلوه تقول أما إن زيدًا عاقل أعني أنه عاقل على الحقيقة لا على المجاز وتقول أما والله لقد ضرب زيد عَمْرًا .

ص : (إِنِّي لاَ أَقُولُ) . ش : كلمة . ص : (الم حرف) . ش : واحد ص : (ولكن) . ش : أقول :

ص : (ألف) . ش : منه

ص : (حرف) . ش : مستقل أي اسم لمسمّى ذلك المسمى حرفٌ ص : (ولام حرف) . ش : مستقل أيضًا ص : (وميم حرف) . ش : كذلك ، وكل حرف بعشر حسنات ، فقارىء (الم) له ثلاثون حسنة .

وإن اعتبرنا بسط حروف ألف لام ميم مجملة ذلك تسعون حسنة .

وجعل هذا الحديث في كتاب «الإحياء» للغزالي موقوفًا على ابن مسعود رضي الله عنه حيث قال : قال ابن مسعود رضي الله عنه : «اقرؤُا القرآن فإنكم تؤجرون عليه بكل حرف منه عشر حسنات ، أما إني لا أقول الم حرف ولكن أقول الألف حرف واللام حرف والميم حرف» [٣] ووصله النووي في «رياض الصالحين» حيث قال : وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من قرأ حرفًا من كتاب

---

(١) ولعل السر في جواز تعليم الجنب القرآن هو أن القرآن يخرج عند الفم عن قراءته .

(٢) منية المصلي وغنية المبتدي للشيخ الإمام سويد الدين الكاشغري وهو محمد بن محمد المتوفى سنة (٧٠٥) . أوله : الحمد لله رب العالمين ... إلخ وهو كتاب معروف متداول بين الحنفية [كشف الظنون (١٨٨٦/٢)] .

(٣) عزاه السيوطي لأبي جعفر النحاس في الوقف والابتداء والسجزي في الإبانة عن ابن مسعود . كنز العمال (٥١٨/١) رقم (٢٣٢١) .

الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول الم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف» رواه الترمذي [١] وقال : حسن صحيح .

الحديث الخامس :

ص : (ت) . ش : يعني رواه الترمذي [٢] بإسناده ص : (عن الحارث بن أغور رضي الله عنه أنه قال : مررت بالمسجد) . ش : لعله مسجد النبي ﷺ بالمدينة ص : (فإذا الناس) . ش : أي الصحابة الموجودون هناك حينئذ ص : (يخوضون في الأحاديث) . ش : قال في «القاموس» [٣] خاض الماء يخوضه خوضًا وخياضًا دخله ، ﴿وكنا نخوض مع الخائضين﴾ أي في الباطل ، وتخاوضوا في الحديث تفاوضوا . ا هـ . والمراد أنهم يتفاوضون في أحاديث الدنيا .

ص : (فدخلت على عليّ رضي الله عنه فأخبرته) . ش : بما وجدت في

---

(١) أخرجه الترمذي (١٦١/٥) ٤٦- كتاب (فضائل القرآن) ١٦- باب : ما جاء فيمن قرأ حرفًا من القرآن ماله من الأجر رقم (٢٩١٠) من طريق أيوب بن موسى قال : سمعت محمد بن كعب القرظي قال : سمعت عبد الله بن مسعود يقول قال رسول الله ﷺ ... الحديث .

- ويروى هذا الحديث من غير هذا الوجه عن ابن مسعود ، ورواه أبو الأحوص عن ابن مسعود رفعه بعضهم ، ووقفه بعضهم على ابن مسعود . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه سمعت قتيبة يقول : بلغني أن محمد بن كعب القرظي ولد في حياة النبي ﷺ . ومحمد بن كعب يكنى أبو حمزة .

(٢) أخرجه الترمذي (١٥٨/٥) ٤٦- كتاب : (فضائل القرآن) ١٤- باب : ما جاء في فضل القرآن (٢٩٠٦) قال أبو عيسى : هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وإسناده مجهول . وفي الحارث مقال .

- الحديث انفرد به تحفة الأشراف (١٠٠٥٧) . وأخرجه الحاكم في المستدرك (٤٤٠/٤) البغوي في شرح السنة (٤٣٨/٤) ، الطبري في تفسيره (٧٧/٩) ، أحمد (٩١/١) .

- الدارمي (٥٢٦/٢ - ٥٢٧) ٢٣- كتاب : (فضائل القرآن) (١) باب : فضل من قرأ القرآن (٣٣٣١) وبهامشه : قال ابن كثير في (فضائل القرآن ص ١١ ، ١٢) : لم ينفرد بروايته حمزة بن حبيب الزيات بل قد رواه محمد بن إسحاق ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن الحارث الأعور فبرىء حمزة من عهدته ، على أنه وإن كان ضعيف الحديث فإنه إمام في القراءة . والحديث مشهور من رواية الحارث الأعور ، وقد تكلموا فيه بل قد كذبه بعضهم من جهة رأيه واعتقاده . أما أنه تعمد الكذب في الحديث فلا والله أعلم .

(٣) القاموس المحيط [(٣٤٢/٢) خوض] .

المسجد من ذلك ص : **(فقال)** : ش : علي رضي الله عنه ص : **(أو قد فعلوها ؟)** .

ش : يعني هذه الفعلة على وجه الإنكار لذلك حيث لم يعهده في السنة النبوية ص : **(قلت نعم)** . ش : يعني فعلوها ص : **(قال : ...)** . ش : علي رضي الله عنه .

ص : **(أما)** . ش : بالتخفيف كما سبق ص : **(إنِّي سمعت رسول الله ﷺ يقول : ألا)** ش : بالفتح والتخفيف تدل على تحقيق ما بعدها .

قال في «المغني» [1] : ويقول المعُربُون فيها حرف استفتاح فيبينون مكانها ويهملون معناها وإفادتها التحقيق من جهة تركيبها من الهمزة ولا ، وهمزة الاستفهام إذا دخلت على النفي أفادت التحقيق نحو : ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ﴾ . ذكره السيوطي في «الإتقان» [2] .

ص : **(إنها)** . ش : يعني هذه الفعلة المذكورة وهي كلام الدنيا في المساجد كأنها معلومة عند علي رضي الله عنه من إخبار رسول الله ﷺ ولهذا قال : «أو قد فعلوها ؟» على طريقة الاستفهام .

ويحتمل أن يكون الضمير المؤنث للقصة نظير ضمير الشأن في المذكور . قال السيوطي في «الإتقان» : قال ابن هشام : متى أمكن الحمل على غير ضمير الشأن فلا ينبغي أن يُحمل عليه . ومن أمثلة ضمير الشأن والقصة : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [3] ، ﴿فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [4] ، ﴿فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ﴾ [5] . وفائدته الدلالة على تعظيم المخبَر عنه وتفخيمه بأن يذكر أولاً مبهمًا ثم يفسر .

ص : **(سَتَكُون)** . ش : أي توجد ص : **(فتنة)** . ش : وهي بالكسر الحيرة ،

---

(١) مغني اللبيب (٦٥/١) لجمال الدين بن هشام الأنصاري وبهامشه حاشية الشيخ محمد الأمير طبع دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه . [مبحث «ألا»] .

(٢) الإتقان في علوم القرآن (١٥٩/٢) للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ت (٩١١) طبع مكتبة دار التراث بالقاهرة .

(٣) سورة [الإخلاص : ١] .

(٤) سورة [الأنبياء : ٩٧] .

(٥) سورة [الحج : ٤٦] .

فتنه يفتنه فتنا وفتونا وأفتنه الضلال والإثم والفضيحة والإضلال واختلاف الناس في الآراء كذا في «القاموس» [١] وهذه المعاني الستة مناسبة هنا ص : **(قلت)** . ش : يعني قال علي رضي الله عنه ص : **(فما المخرج منها يا رسول الله ؟)** . ش : أي ما موضع الخروج بالسلامة من تلك الفتنة .

ص : **(قال)** . ش : رسول الله ﷺ : ص : **(كتاب الله)** . ش : تعالى ، أي التمسك به وترك الآراء العقلية فإن فيه بيان حكم هذه المسألة كما قال تعالى : ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ [٢] .

قال أبو محمد الخازن : المراد بالبيوت جميع المساجد .

قال ابن عباس : المساجد بيوت الله في الأرض تضيء لأهل السماء كما تضيء النجوم لأهل الأرض .

وقيل : المراد بالبيوت أربعة مساجد لم يبنها إلا نبي .

الكعبة بناها إبراهيم وإسماعيل فجعلاها قبلة [٣] .

وبيت المقدس بناه داود وسليمان [٤] .

ومسجد المدينة بناه رسول الله ﷺ ومسجد قباء أسس على التقوى [٥] وبناه رسول الله ﷺ أيضًا . ﴿أذن الله أن ترفع﴾ أي تبنى وقيل : تعظم فلا يذكر فيها الخنا أي المكروه من القول وتطهر من الأنجاس والأقذار .

﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ قال ابن عباس : يتلى فيها كتابه . اهـ .

ففي كتاب الله بيان حكم كل شيء حتى المسألة المذكورة في التكلم في المساجد بكلام أهل الدنيا ، وفيه المعافاة من كل داء والسلامة من كل فتنة وكل محنة ظاهرًا

---

(١) القاموس المحيط [(٢٥٦/٤ ، ٢٥٧) فتن] لمجد الدين الفيروز آبادي باب : النون فصل : الفاء .

(٢) سورة [النور : ٣٦] .

(٣) قال الله تعالى : ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ [آل عمران : ٩٦] .

(٤) قال تعالى : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى﴾ [سورة الإسراء] .

(٥) قال تعالى : ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾ . [التوبة : ١٠٨] .

وباطنًا .

ص : (فيه) . ش : أي في كتاب الله ص : (نبأ) . ش : أي خبر ص : (ما) . ش : أي الذين ص : (قبلكم) . ش : وقد يستعمل موضعها مَنْ فهما سواء في الإطلاق على من يعقل كما بينته في كتاب «خمرة الحان ورنّة الألحان» ص : (وخبر ما بعدكم) . ش : يعني علوم الأولين والآخرين ، وهي قصص الأمم الماضية وحديث هذه الأمة إلى يوم القيامة .

ص : (وحكم ما بينكم) . ش : في الدنيا من حلال وحرام ومندوب ومكروه ومباح وصحيح وفاسد ، وفي الآخرة من ثواب وعقاب وعتاب وسؤال وحساب وخلود في نعيم أو في عذاب أليم .

ص : (وهو) . ش : يعني كتاب الله تعالى ص : (الفصل) . ش : أي الحق من القول ، أو القضاء بين الحق والباطل كذا في «القاموس» [١] وضمير الفصل للحصر أي لا فصل غيره كما قال تعالى : ﴿هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾ [٢] .

ص : (ليس) . ش : هو ص : (بالهزل) ش : أي لم ينزل باللعب فهو جد ليس بالهزل ، قاله الواحدي .

وقال العز بن عبد السلام : بالهزل باللعب أو العبث أو الباطل أو الكذب .

وقال ابن أقبرس : قوله هو الفصل ليس بالهزل إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ [٣]

ص : (من تركه) . ش : أي لم يعمل به ولم يقف عند حلاله وحرامه ، ولم يتعظ بمواعظه فيرغب في ترغيبه ويرهب من ترهيبه وينتصح بنصائحه .

ص : (من جبار) . ش : بيان لمن تركه إذ التارك له لا يكون إلا جبارًا وهو كل عات ، والعظيم القوى الطويل ، وقلبٌ لا تدخله الرحمة والقَتَّال في غير حق كذا في «القاموس» [٤] ، وهذه المعاني الأربعة مناسبة هنا .

---

(١) القاموس المحيط (٣١/٣ فصل) باب اللام فصل الفاء .

(٢) سورة [البقرة : ٩١] ، سورة [فاطر : ٣١] .

(٣) سورة [الطارق : ١٤] .

(٤) القاموس المحيط (٣٩٩/١ جبر) باب : الراء فصل الجيم .

ص : (قصم الله) . ش : تعالى ، قال في «القاموس» [١] : قصمه يقصمه كسره وأبانه أو كسره وإن لم يبن فانقصم وتقصم ورجع من حيث جاء . ا هـ .

والمعنى أهلكه الله تعالى ودمره في كل أمر شرع فيه لكونه ترك الاقتداء والاتباع لكتاب الله تعالى وتبع رأيه وعقله ص : (ومن ابتغى) . ش : أي طلب ، يقال بغيته أبغيه طلبته كابتغيته وتبغيته واستبغيته كذا في «القاموس» [٢]

ص : (الهدى) . ش : بضم الهاء وفتح الدال الرشاد والدلالة . هداه هدى وهديا وهداية وهدية بكسرهما أرشده كما في «القاموس» [٣] .

فيستعمل الهدى بمعنى الدلالة فقط كقوله تعالى : ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ [٤] أي دللناهم ، وقوله : ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [٥] أي تدل ، وبمعنى الإيصال إلى الحق كقوله : ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي﴾ [٦] وقوله : ﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [٧] أي لا توصل وإن دللت ، والهدى هنا بمعنى الإيصال إلى الحق .

ص : (في غيره) . ش : أي في غير كتاب الله تعالى ، وأما السنة والإجماع والقياس التابع لذلك فهو من الكتاب أيضًا بدليل قوله تعالى : ﴿وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [٨] وقوله : ﴿وَلاَ تَفَرَّقُوا﴾ [٩] ، وقوله : ﴿وَلاَ تَنَازَعُوا﴾ [١٠] ، وقوله : ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾ [١١] ، وقوله : ﴿فَاعْتَبِرُوا

---

(١) القاموس المحيط (١٦٧/٤ قصم) باب : الميم فصل القاف .

(٢) وعبارته في القاموس المحيط (٣٠٥/٤ بغا) «بغيته» أبغيته بغاءً وبُغى وبُغية بضمهن وبغية بالكسر طلبته كابتغيته وتبغيته واستبغيته والبغية كرضية ما ابتغى كالبغية بالكسر والضم .

(٣) القاموس المحيط (٤٠٥/٤ هدى) .

(٤) سورة [فصلت : ١٧] .

(٥) سورة [الشورى : ٥٢] .

(٦) سورة [الأعراف : ١٧٨] .

(٧) سورة [القصص : ٥٦] .

(٨) سورة [الحشر : ٧] .

(٩) سورة [آل عمران : ١٠٣] .

(١٠) سورة [الأنفال : ٤٦] .

(١١) سورة [النساء : ١٣٥] .

يَاأُولِي الأَبْصَارِ ﴾ [١] .

فإنَّ الاعتبار [٢] هو القياس كما أن النهي عن التفرق والتنازع يقتضي الحث على الإجماع .

وذكر الخازن في تفسير قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ ..﴾ [٣] الآية قال : روى أن الشافعي [٤] رحمه الله تعالى سئل عن آية من كتاب الله تدل على أن الإجماع حجة ، فقرأ القرآن ثلاثمائة مرة حتى استخرج هذه الآية وهي قوله : ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [٥] وذلك لأن اتباع غير سبيل المؤمنين مفارقة للجماعة وهو حرام ، فوجب أن يكون اتباع سبيل المؤمنين ولزوم جماعتهم واجبًا ، لأن الله تعالى ألحق الوعيد بمن يشاقق الرسول ويتبع غير سبيل المؤمنين فثبت بهذا أن إجماع الأمة حجة وذكره البيضاوي [٦] أيضًا في تفسير الآية المذكورة .

ص : **(أضله الله)** . ش : تعالى ، من الضلال وهو ضد الهدى [٧] ، إذ ما

---

(١) سورة [الحشر : ٢] .

(٢) قال ابن منظور في لسان العرب (٢٧٨٣/٤ عبر) العبرة : العجب . واعتبر منه تعجب . وفي التنزيل : ﴿فَاعْتَبِرُوا يَاأُولِي الأَبْصَارِ﴾ أي تدبروا ، وانظروا فيما نزل بقريظة والنضير فقايسوا فعالهم واتعظوا بالعذاب الذي نزل بهم .... والعبرة الاعتبار مما مضى ، وقيل : العبرة الاسم من الاعتبار . الفراء : العبر الاعتبار قال : والعرب تقول : «اللهم اجعلنا ممن يعبر الدنيا ولا يعبرها» أي ممن يعتبر بها ولا يموت سريعًا وحتى يرضيك بالطاعة .

(٣) سورة [النساء : ١١٥] .

(٤) محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب ، المطلبي ، أبو عبد الله الشافعي ، المكي ، نزيل مصر ، رأس الطبقة التاسعة ، وهو المجدد لأمر الدين على رأس المائتين ، مات سنة أربع ومائتين ، وله أربع وخمسون سنة أخرج له الجماعة إلا مسلمًا وأخرج له البخاري تعليقًا ، انظر ترجمته : تهذيب التهذيب (٣٥/٩) ، تذكرة الحفاظ (٣٦١/١) حسن المحاضرة (٣٠٣/١) ، النجوم الزاهرة (١٧٦/٢) طبقات المفسرين للداودي (٩٨/٢) ، شذرات الذهب (٩/٢) .

(٥) سورة [النساء : ١١٥] .

(٦) أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي ص (١٢٧) .

(٧) قال ابن منظور في لسان العرب (٢٦٠١/٤ ضلّ) الضلال والضلالة : ضد الهدى والرشاد ، ضللت تَضَلُّ هذه اللغة الفصيحة ، وضللت تضل ضلالاً وضلالة . وقال كراع : وبنو تميم يقولون : ضللت أضِل ، وضللت أضِل وقال اللحياني : أهل الحجاز يقولون : ضللت أضِل ، وأهل ....=

بعد كتاب الله تعالى هدى لمهتدي وكل ما خالف كتاب الله فهو باطل

ص : (وهو) . ش : أي كتاب الله تعالى ص : (حبل الله المتين) . ش : الذي دلاه من حضرته الغيبية الذاتية إلى حضرته الفعلية فنزل إلى أفعال المخلوقين بمعان وحروف وكلمات فقرؤه وعملوا به على حسب توفيقهم له فنجوا وكل من تركه هلك . ص : (وهو الذكر الحكيم) . ش : أي المحكم الممنوع من الباطل وهو القرآن لأنه حاكم تستفاد منه جميع الأحكام قاله الخازن .

وقال البيضاوي : الحكيم [١] المشتمل على الحكم ، والمحكم الممنوع عن تطرق الخلل إليه .

وقال الواحدي : الحكيم يعني الحاكم أي المانع من الفساد وكل ما يقبح .

ص : (وهو الصراط المستقيم) . ش : أصله سراط ، من سَرط الطعام إذا ابتلعه فكأنه يسترط السابلة ولذلك سمي لَقَمًا لأنه يلتقمهم ، والصراط من قلب السين صادًا ليطابق الطاء في الإطباق وقد تشم الصاد صوت الزاي ليكون أقرب إلى المبدل عنه ، وجمعه سُرط ككُتب وهو كالطريق في التذكير والتأنيث ، والمستقيم والسوى . والمراد به طريق الحق ، وقيل : ملة الإسلام ذكره البيضاوي .

ص : (وهو الذي لا يزيغ) . ش : أي لا يميل عن الحق ص : (به) . ش : أي بسببه ص : (الأهواء) . ش : جمع هوى وهو إرادة النفس يعني إرادات النفوس وأهواؤها من جميع الخلق لا تزيغ بسبب اتباعه والاقتداء بما فيه عن طريق الحق .

وقال ابن أقبرس : الزيغ الخروج عن الشيء والحيد عنه ، يقال زاغ عن الحق أي خرج عنه ، ومنه قوله تعالى : ﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ [٢] يعني عن الهداية لقوله ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ والأهواء الأغراض النفسانية التي تهوى بصاحبها بالميل إلى المهلكات ، قال

= نجد يقولون : ضللت أضل قال : وقد قرئ بهما جميعًا قوله عز وجل : ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي﴾ .

(١) وقال التهانوي في «كشاف اصطلاحات الفنون» (٢/١٣٣) الحكيم : صاحب الحجة القطعية المسماة بالبرهان ففي كل لفظ وحرف من كتاب الله عز وجل حجة قوية وقاطعة ، دامغة وهي في نفس الوقت برهان صادق مؤكد أن هذا الكلام - كلمات القرآن - صادرة ونازلة من لدن حكيم خبير . وقال ابن منظور في اللسان (٢/٣٥٩ حكم) الحكيم : المتقن للأمور .

(٢) سورة [آل عمران : ٨] .

تعالى : ﴿وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ [١] أي مال مع غرض نفسه تابعا إياه ، والفرق بين الهوى (المقصور والممدود) ظاهر ، وقد أفرد له ابن دريد [٢] مصنفًا مشهورًا .

والمعنى أن القرآن إذا تمكنت في القلوب معرفة معانيه وأصوله الاعتقادية فلا يطرأ عنها شبهة تورث زيفا وذلك بتوفيق الله تعالى .

ص : (ولا تلتبس به الألسنة) . ش : هذا في غاية الظهور ، لأن الله تعالى مَيّز هذا اللسان العربي عن سائر الألسن ومكن الأسماع من حال هذا التمييز كل التمكن فأمنُ اللبس فيه مثل عين الشمس قاله ابن أقبرس .

وفي «القاموس» [٣] : «لبس عليه الأمر يلبسه خلطه ، وألبسه غطاه وأمر ملبس وملتبس مشتبه ، والتلبيس التخليط والتدليس» ، والألسنة جمع لسان وهو اللغة .

والمعنى أن هذا القرآن العظيم من غاية ظهوره ووضوحه لا تلتبس معانيه وحكمه وأحكامه وكونه حقا من حق ، وكونه معجزًا للبشر [٤] على أحد مطلقا وأهل جميع

---

(١) سورة [الكهف : ٢٨] .

(٢) أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية بن حنتم بن الحسن بن حمامي بن جرو بن واسع بن سلمة بن حاضر بن أسد بن عدي بن عمرو بن مالك .... ابن يعرب بن قحطان ، وحمامي جده أول من أسلم ، وهو من السبعين راكبًا الذين خرجوا مع عمرو بن العاص من عُمَان إلى المدينة لما بلغهم وفاة رسول الله ﷺ حتى أدّوه ، ولد أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد بالبصرة في سكة صالح سنة ثلاث وعشرين ومائتين ، ونشأ بعمان ، وتنقل في الجزائر البحرية ما بين البصرة وفارس . وطلب الأدب وعلم النحو واللغة . مات ابن دريد يوم الأربعاء سنة اثنتى عشرة بقيت من شعبان سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة . ترجمته : إنباه الرواة على أنباه النحاة (٩٢/٣ ت ٦١٩) ، البداية والنهاية (١٧٦/١١) ، لسان الميزان (١٣٢/٥) ، مرآة الجنان (٢٨٢/٢ ، ٢٨٣) ، مراتب النحويين (١٣٦) ، المزهر (٤٦٥/٢) ، ميزان الاعتدال (٣٦٢/٢) .

(٣) القاموس المحيط (٢٥٨/٢) باب : السين فصل اللام .

(٤) ذكر السيوطي في معترك لبس الأقران في إعجاز القرآن (٢٧/١) الوجه الثالث : من وجوه إعجازه حُسن تأليفه ، والتئام كلمه ، وفصاحتها ، ووجوه إيجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب الذين هم فرسان الكلام وأرباب هذا الشأن فجاء نطقه العجيب وأسلوبه الغريب مخالفًا لأساليب كلام العرب ومنهاج نظمها ونثرها الذي جاءت عليه ، ووقفت عليه مقاطع آياته ، وانتهت إليه فواصل كلماته ، ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له قال ابن عطية : الصحيح والذي عليه الجمهور والحذاق في وجوه إعجازه أنه =

اللغات التي للخلق يعرفون هذه الصفة له وينتفعون به وإن لم يكن على لغتهم ولا جاء بلسانهم .

ص : (ولا يشبع منه العلماء) . ش : قال ابن أقبرس : لأنه بحر المعاني فكل ظمآن يطلب ريه منه ا هـ .

فقد عدل فيه عن معنى الأكل إلى معنى الشرب ، والمراد أن بـه غذاء العلماء وتربية كمالهم الروحاني ، لا أن المراد به مجرد تبريد غلة العطش .

والمراد بالعلماء الذين يغتذون بكتاب الله تعالى العلماء بالله تعالى الذين استغنوا به عمن سواه ، وهم أهل الخشية قال تعالى : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (١) قال الشيخ جمال الدين خليفة في «حاشيته على تفسير البيضاوي» : أي العلماء بالله دون غيرهم ، وهم الذين علموه تعالى بجلال ذاته وكمال صفاته وقوة أفعاله ، وعلموه أنه كم أهلك من عباده ولم يبال وسينتقم من كثير من العباد يوم القيامة ولم يبال .

وما يقال من أن الآية تدل على أن الخشية في العلماء ولا تدل على أن كل عالم فيه خشية فمدفوع بأن مأخذ الاشتقاق يفيد العلّيّة .

وفي «الكشاف» (٢) في سورة النازعات : لأن الخشية لا تكون إلا بالمعرفة ، قال تعالى : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ أي العلماء به ، وذكر الخشية لأنها ملاك الأمور .

من خشي الله أتى منه كل خير ومن أمن اجترأ على كـل شر ومنه قوله عليه السلام : «من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل» (٣) والإدلاج السير أوّل الليل .

= الإعجاز - بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة ألفاظه ، وذلك أن الله أحاط بكل شيء علمًا ، وأحاط بالكلام كله علمه . فإذا ترتبت اللفظة من القرآن علم بإحاطته أي لفظة تصلح أن تلى الأولى وتبين المعنى بعد المعنى ، ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره ... إلخ .

(١) سورة [فاطر : ٢٨] .

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري (٤/٢١٣) طبع دار المعرفة بيروت لبنان .

(٣) وبقيته : «... ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة» ، أخرجه : الترمذي ٣٨- كتاب : صفة القيامة والرقائق والورع باب (١٨) رقم (٢٤٠٠) عن أبي هريرة قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث أبي النضر .

وفي الحاشية المذكورة عند قوله تعالى : ﴿وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [١] فالعلماء هم العالمون بجلال الله وجماله وعظمته وكماله ، فمن ذلك علم أن العلماء مَن هم ومن يقال له عالم .

ص : (ولا يخلق) . ش : أي هو ثوب ، يعني أن القرآن شبه ثوب هو جديد يلبسه المؤمن به فيغشيه بنوره فيخلِق المؤمنُ به ويَبْلى وَيَتنقلُ في أطوار خلقته والقرآن جديد لا يخلق بل هو على ما هو عليه لأنه كلام الله تعالى القديم [٢] ، والقديم لا يتغير ، والمؤمنون به كلهم حادثون والحادث متغير في كل حال ص : (على كثرة الترداد) . ش : بتكرار التلاوة له والإيمان به والاحتفاظ على الكمال بأردية أنواره والتلفف بأدرعة حقائقه وأسراره ص : (ولا تنقضي) . ش : أي لا تفرغ ولا تتم .

ص : (عجائبه) . ش : جمع عجيبة أو عجيب على إرادة النوع ، ومعناه الحالة الحاصلة للمتعجب من الشيء لكونه أمرًا مستغربا .

فإن قلت ذلك معنًى قائم بالمتعجب والأعراض تزول بزوال محالها فما معنى لا تنقضي عجائبه ولابد من انقضاء كل من قام به هذا الوصف ؟

قلت : إن اعتبر ذلك وصفًا قائمًا بالمعنى القديم فواضح فيه المعنى ، وإن اعتبر وصفًا قائمًا بصورة نظمه من الألفاظ والأصوات والحروف فيكون على ذلك قصد المبالغة في بقائه دائمًا إلى حين انقراض الخلق وانقضاء الصحف المكتوب تلك الصور فيها . كذا أشار إليه ابن أقبرس .

[أحوال الجن]

ص : (هو الذي لم تنته الجن) . ش : وهم جنس من الخلق سموا بذلك لاجتنانهم أي استتارهم عن الأعين والنسبة إليهم جنيٌّ بالكسر ، والجنة بالكسر طائفة منهم .

قال الخازن : اختلف الناس قديمًا وحديثًا في ثبوت الجن ، فأنكر وجودهم معظم الفلاسفة ، واعترف بوجودهم جمع منهم وسموهم بالأرواح السفلية وزعموا أنهم أسرع

---

(١) سورة [الأنبياء : ٥٧] .

(٢) ليس من أسماء الله تعالى الحسنى كلمة «القديم» والأفضل أن تنادي الله وننسب إليه ما نص الله عليه في القرآن الكريم .

إجابة من الأرواح الفلكية إلا أنهم أضعف ، وأما جمهور أرباب الملل وهم أتباع الرسل والشرائع فقد اعترفوا بوجود الجن [١] لكن اختلفوا في ماهيتهم ؟ فقيل : الجن حيوان هوائي يتشكل بأشكال مختلفة .

وقيل : إنها جواهر وليست بأجسام ولا أعراض ، ثم هذه الجواهر أنواع مختلفة بالماهية فبعضها حرة كريمة محبة للخيرات ، وبعضها دنية خسيسة شريرة محبة للشرور والآفات ، ولا يعلم عدد أنواعهم إلا الله تعالى .

وقيل : إنهم أجسام مختلفة الماهية لكن يجمعهم صفة واحدة وهي كونها في الحيز موصوفة بالطول والعرض والعمق ، وينقسمون إلى لطيف وكثيف ، وعلوي وسفلي ولا يمتنع في بعض الأجسام الهوائية اللطيفة أن تكون مخالفة لسائر أنواع الأجسام في الماهية وأن يكون لها عِلم مخصوص وقدرة مخصوصة على أفعال عجيبة شاقة تعجز البشر عن ذلك ،وقد يتشكلون بأشكال مختلفة وذلك بإقدار الله تعالى إياهم على ذلك .

وقيل : إن الأجسام متساوية في تمام الماهية وليست البنية شرطًا للحياة وهذا قول الأشعري وجمهور أتباعه .

ص : (إذ) . ش : أي حين .

ص : (سَمعته) ش : أي القرآن من رسول الله ﷺ .

قال الخازن : اختلفت الرواية هل رأى النبي ﷺ الجن ، فأثبتها ابن مسعود فيما رواه عنه مسلم في صحيحه ، وأنكرها ابن عباس فيما رواه عنه البخاري ومسلم .

قال ابن عباس : ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن ولا رآهم انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء ، وأُرسلت عليهم الشهبُ فرجع الشياطين إلى قومهم ، فقالوا مالكم ؟ فقيل : حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب ، قالوا : وما ذاك إلا من نبيّ قد حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء .

فمرّ النفر الذين أخذوا نحو تهامة بالنبي ﷺ وهو بنخلَة عامدًا إلى سوق عكاظ

(١) نص القرآن الكريم على وجودهم وسماعهم عن سيدنا رسول الله ﷺ .

وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر ، فلما سمعوا القرآن استمعوا وقالوا : هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء فرجعوا إلى قومهم .

وعلى هذا فهو ﷺ لم يعلم باستماعهم ولا كلمهم وإنما أعلمه الله عز وجل بما أوحى إليه من قوله : ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ ..﴾ (١) إلى آخره .

وأما حديث ابن مسعود فقضية أخرى وجنّ آخرون .

والحاصل من الكتاب والسنة والعلم القطعي بأن الجن والشياطين موجودون يتعبدون بالأحكام الشرعية على النحو الذي يليق بخلقهم وحالهم ، وأن نبينا ﷺ مبعوث إلى الإنس والجن ، فمن دخل في دينه فهو من المؤمنين ومعهم في الدنيا والآخرة والجنة ، ومن كذبه فهو الشيطان المبعد من المؤمنين فيهما والنار مستقره .

وروى الواحدي في تفسيره بإسناده إلى علقمة بن قيس (٢) قال : قلت لعبد الله من كان منكم مع النبي ﷺ ليلة الجن ؟ فقال : ما كان منا أحد ، فقدناه ذات ليلة ونحن بمكة فقلنا اغتيل (٣) رسول الله ﷺ أو استطير (٤) فانطلقنا نطلبه في الشعاب (٥) ، فلقيناه مقبلا من نحو حراء ، قلنا يا رسول الله أين كنت قد أشفقنا (٦)

---

(١) سورة [الجن : ١] .

(٢) الحديث أخرجه مسلم (٣٣٢/١) ٤- كتاب : الصلاة ٣٣- باب : الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن رقم ١٥٠- (٤٥٠) .

- أبو داود (٦٧/١) ١- كتاب : (الطهارة) ٤٢- باب : الوضوء بالنبيذ رقم (٨٥) مختصرًا وإسناده : حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا وهيب ، عن داود ، عن عامر ، عن علقمة وأخرجه الترمذي (٣٥٦/٥) ٤٨- كتاب : (تفسير القرآن) ٤٦- باب : ومن سورة الأحقاف رقم (٣٢٥٨) . وإسناده : حدثنا علي بن حجر . أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم ، عن داود ، عن الشعبي ، عن علقمة قلت لابن مسعود ..... الحديث قال : أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح وأخرجه النسائي في السنن الكبرى كتاب : (تفسير القرآن) (٤٦٦/٢) سورة الجن . باب : ﴿قُلْ أُوحِيَ﴾ الآية (١) رقم (٦٤٣) وإسناده : أخبرني أحمد بن منيع ، عن يحيى بن زكريا ثم ذكر كلمة معناها ، أنا داود ، عن عامر ، عن علقمة ....الحديث . تحفة الأشراف (٢١٢٩) .

(٣) اغتيل : أي قُتِلَ .

(٤) «استطير» أي طار في السماء .

(٥) الشعاب : جمع مفرده شعب وهو الطريق بين الجبلين .

(٦) أشفقنا عليك : خشينا وخفنا عليك .

عليك ، وقلنا له : بتنا الليلة شر ليلة بات بها قوم حين فقدناك ، فقال : «إنه أتاني داعي الجن فذهبت أقرئهم القرآن فذهب بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم» فأما أن يكون صحبه منا أحد فلم يصحبه .

وقال الخازن في تفسير قوله تعالى : ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ﴾ (١) قال جماعة أمر رسول الله ﷺ أن ينذر الجن ويدعوهم إلى الله ويقرأ عليهم القرآن ، فصرف الله تعالى إليه نفرًا من الجن وهم من أهل نِينَواي وجمعهم له فقال رسول الله ﷺ لأصحابه (٢) : إني أمرت أن أقرأ على الجن فأيكم يتبعني ؟ فأطرقوا ثم استتبعهم فأطرقوا ، فتبعه عبد الله بن مسعود بعد الثالثة ، قال عبد الله بن مسعود : ولم يحضر معه أحد غيري ، قال فانطلقنا حتى إذا أتى على مكة دخل نبي الله ﷺ شعبًا يقال له شعبُ الحجون ، وخط لي خطًا ثم أمرني أن أجلس فيه ولا أخرج حتى يعود إليّ فانطلق حتى قام عليهم فافتتح القرآن ، فجعلت أرى مثال النسور تهوى وسمعت لغطًا شديدًا حتى خفت على نبي الله ﷺ ، وغشيته أسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى لم أسمع صوته ، ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين ، ففرغ رسول الله ﷺ منهم مع الفجر ، فانطلق إليّ فقال لي : «نمت ؟» فقلت : لا والله يا رسول الله ، لقد هممت مرارًا أن أستغيث بالناس حتى سمعتك تقرعهم بعصاك تقول لهم اجلسوا ، فقال : «لو خرجت لم آمن عليك أن يختطفك بعضهم» ، ثم قال : «هل رأيت شيئًا ؟» قلت : نعم رأيت رجالاً سودًا عليهم ثياب بيض ، قال : «أولئك جن نصيبين سألوني المتاع ، والمتاع الزاد فمتعتهم بكل عظم حائل وروثة وبعرة» ، فقالوا : يا رسول الله يقذرها الناس علينا ، فنهى رسول الله ﷺ أن يُستنجى بالعظم والروث ، قال : فقلت يا رسول الله وما يغني ذلك عنهم ؟ فقال : «إنهم لا يجدون عظمًا إلا وجدوا عليه لحمه يوم أُكل ، ولا روثة إلا وجدوا فيها حبها يوم أُكلت ، فقلت : يا رسول الله سمعت لغطًا شديدًا» ، فقال : «إن الجن بَدَرتْ في قتيل قتل بينهم فتحاكموا إليّ فقضيت بينهم بالحق» .

واختلفوا في عدد أولئك النفر الذين صرفهم الله تعالى من الجن إلى النبي ﷺ ،

---

(١) سورة [الأحقاف : ٢٩] .

(٢) أخرجه الطبراني (١٠/٧٧) ، تفسير الطبري (٢٦/١٠) .

فقال ابن عباس : كانوا سبعة من جن نصيبين فجعلهم رسول الله ﷺ رسلا إلى قومهم .

وقال آخرون : كانوا تسعة : وروى أنه كان زُوبَعَة من التسعة الذين استمعوا القرآن .

وروى أن الجن ثلاثة أصناف : صنف منهم له أجنحة يطيرون بها في الهواء ، وصنف على صورة الحيات والكلاب ، وصنف يرحلون ويظعنون .

ونقل بعضهم أن أولئك الجن كانوا يهودًا فأسلموا .

قالوا وفي الجن ملل كثيرة مثل الإنس ، ففيهم اليهود والنصارى والمجوس ، وعبدة الأصنام ، وفي مسلميهم مبتدعة ومن يقول بالقدر وخلق القرآن ونحو ذلك من المذاهب والبدع ، وأطبق المحققون من العلماء على أن الكل مكلفون .

وسئل ابن عباس : هل للجن ثواب ؟ فقال : نعم لهم ثواب وعليهم عقاب .

ص : (حتى قالوا) . ش : يعني الجن الذين استمعوا القرآن ص : (إنا سمعنا قرآنا عجبا) . ش : قال ابن عباس بليغا ، والمعنى قرآنا ذا عجب يعجب منه لبلاغته قاله الواحدي . وقال البيضاوي : عجبًا بديعًا مباينًا لكلام الناس في حسن نظمه ودقة معناه ، وهو مصدر وصف به للمبالغة .

ص : (يهدي إلى الرشد) . ش : يدعو إلى الصواب من التوحيد والإيمان .

ص : (فآمنا به) . ش : بذلك القرآن ذكره الواحدي

ص : (فمن قال به) . ش : أي بكتاب الله تعالى ، يعني تكلم بما تضمنه من الأحكام والحِكم والأسرار والقصص والمواعظ ، أو من اعتمد عليه في جميع أحواله الظاهرة والباطنة ص : (صدق) . ش : في كل ما يقول وفي جميع أعماله وأفعاله .

ص : (وَمَنْ عَمِلَ بِهِ) . ش : أي بمقتضى ما فيه من الأمر والنهي ص : (أُجر) . ش : بالبناء للمفعول أي أثيب يعني يكتب الله تعالى له الأجر والثواب [1]

---

(١) يؤجر من عمل بكتاب الله عز وجل لأنه منزل من حكيم خبير ، وهو أعلم بما فيه صلاح الناس . ولهذا الصلاح فوائد جمة عائدة على الإنسان فمثلاً : النهي عن السرقة صيانة لمال السارق والنهي عن شرب الخمر صيانة للعقل ، والنهي عن الكذب والغيبة صيانة للخوض في الأعراض وحفظًا للسان .

ولا يضيع الله تعالى له عملاً أبدًا بل يضاعفه له أضعافًا كثيرة بخلاف من لم يعمل به وعمل برأي نفسه ومقتضى عقله فإن عمله مردود عليه يستحق العقاب عليه والعذاب .

ص : (ومن حكم) ش : على نفسه أو على غيره .

ص : (به) . ش : أي بما جاء في القرآن من أحكام النفس والغير في الظاهر والباطن .

ص : (عَدَلَ) . ش : في حكمه أي وافق العدل .

قال في «القاموس» [١] : العدل ضد الجور وما قام في النفس [٢] من [٣] أنه مستقيم كالعدالة والعدولة والمعدلة عدل يعدل .

ص : (ومن دعا إليه) . ش : أي ساق .

قال في «القاموس» [٤] : دعاه : ساقه ، والنبي ﷺ داعي الله ، ويطلق على المؤذن . اهـ .

يعني من دعى غيره من الخلق إلى اتباع القرآن والدخول تحت أحكامه والاتعاظ بمواعظه والاعتبار بقصصه وأمثاله ، ومعلوم أنه قبل ذلك قد دعا نفسه .

ص : (هُدِى) . ش : بالبناء للمفعول أي هداه الله تعالى بمعنى أوْصَله .

ص : (إلى صراط) . ش : أي طريق .

ص : (مستقيم) . ش : استقام اعتدل ، وقومته عَدَلته وهو قويم ومستقيم كذا في «القاموس» [٥] وهو طريق الحق ومنهج الصدق قال تعالى : ﴿وَمَن يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [٦] قال الواحدي : «ومن يعتصم بالله» أي : يستمسك بحبل الله ، ويمتنع به فقد هدى إلى صراط مستقيم ، يعني الإسلام .

---

(١) القاموس المحيط (١٣/٤ عدل) باب : اللام فصل العين .

(٢) في المطبوع «النفوس» .

(٣) غير موجود في المطبوعة .

(٤) القاموس المحيط [٣٢٩/٤ «دعا»] باب : الواو والياء فصل الدال .

(٥) القاموس المحيط (١٧٠/٤ قوم) باب : الميم فصل القاف .

(٦) سورة [آل عمران : ١٠١] .

وقال الخازن : أي إلى طريق واضح ، وهو طريق الحق المؤدي إلى الجنة .

الحديث السادس

ص : (حك) . ش : يعني روى الحاكم بإسناده [١] ص : **(عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ خطب الناس في حجة الوداع)** . ش : وهي خطبة عرفة .

قال القرطبي في شرح مسلم : فلما كانت سنة عشر يعني من الهجرة حج رسول الله ﷺ حجته المسماة بحجة الوداع .

ص : **(قال)** . ش : في أثناء خطبته ص : **(إن الشيطان)** . ش : أي جنسه ، وهو شيطان كل إنسان ص : **(قد يئس أن يُعبدَ)** . ش : بالبناء للمفعول أي يعبده أحد منكم ص : **(بِأرْضِكُمْ)** . ش : وذلك ببركة الإيمان بالله تعالى .

وعبادة الشيطان هي عبادة الأصنام ، لأنه ورد أن الشيطان كان يكلمهم من داخل الأصنام فيسجدوا له ، وبعد ظهور الإسلام أيس الشيطان من أهل الإسلام أن يعبدوا الأصنام كما كانوا في الجاهلية يعبدونها ، ويؤيده ما في صحيح مسلم [٢] من أنه

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٩٣/١) كتاب : (العلم) حدثنا أبو بكر أحمد بن إسحاق الفقيه ، أنبأ العباس بن الفضل الأسفاطي ، ثنا إسماعيل بن أبي أويس وأخبرني إسماعيل بن محمد بن الفضل الشعراني ثنا جدي ، ثنا ابن أبي أويس حدثني أبي عن ثور بن زيد الديلي عن عكرمة عن ابن عباس .... الحديث وقال : وقد احتج البخاري بأحاديث عكرمة ، واحتج مسلم بأبي أويس ، وسائر رواته متفق عليهم ، وهذا الحديث لخطبة النبي ﷺ متفق على إخراجه في الصحيح : «يا أيها الناس إني قد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به : كتاب الله ، وأنتم مسؤولون عني فما أنتم قائلون» وذكر الاعتصام في هذه الخطبة غريب ويحتاج إليها .

(٢) أخرجه مسلم (٨٨٩/٢) ١٥- كتاب : (الحج) ١٩- باب : حجة النبي ﷺ رقم ١٤٧- (١٢١٨) مطولاً .- أبو داود (٤٥٥/٢ ، ٤٦٤) ٥- كتاب : (المناسك الحج) ٥٧- باب : صفة حجة النبي ﷺ رقم (١٩٠٥) .

- النسائي (١٨٢/١) ، (١٦٤/٥) كتاب : (مواقيت الصلاة) باب : الجمع بين الظهر والعصر بعرفة ، كتاب : (الحج) ٤٦- باب : الكراهية في الثياب المصبغة للمحرم مختصرًا رقم (٢٧١٣) .

- ابن ماجة (٥٠٢/٣) ٢٥- كتاب : (المناسك) ٨٤- باب : حجة رسول الله ﷺ رقم (٣٠٧٤) مطولاً ، أحمد (٣٠٩/٣) ، الطحاوي في شرح معاني الآثار (٢٠١/٢) ، البيهقي (١٠٧/٥) .

عليه السلام قال في خطبة الحج : «ألا كل شيء من أمور الجاهلية تحت قدمي موضوع» .

فقال القرطبي في «شرحه» : يعني به الأمور التي أحدثوها والشرائع التي كانوا شرعوها في الحج وغيره ، وهذا كقوله ﷺ : «من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد» [(١)] .

ص : **(ولكن رضى)** . ش : أي الشيطان منكم ص : **(أن يُطاع)** . ش : أي أن تطيعوه إذا أمركم ص : **(فيما سوى ذلك)** . ش : يعني في غير عبادة الأصنام التي هي عبادته وذلك ص : **(فيما تحقرون)** . ش : أي في الأمور التي تحتقرونها

ص : **(من أعمالكم)** . ش : ولا تعدونها أمرًا كبيرًا كقوله تعالى في قصة الإفك : ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [(٢)] .

قال البيضاوي [(٣)] : أي وتقولون كلامًا مختصًا بالأفواه بلا مساعدة من القلوب ، لأنه ليس تعبيرًا عن علم به في قلوبكم كقوله ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [(٤)] وتحسبونه هينًا سهلا لا تَبِعة فيه وهو عند الله عظيم في الوزر واستجرار العذاب فاحذروا أن تطيعوه في ذلك ، أو احذروا أن تحتقروا شيئًا من أعمالكم ، فإن احتقار المعصية يوجب عظمها عند الله تعالى ، حتى ذهب بعضهم في الفرق بين الكبيرة والصغيرة إلى أن الإنسان إذا استصغر الذنب فهو كبيرة وإذا استكبره فهو صغيرة كما

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠١/٥ فتح) كتاب : (الصُلح) باب : إذا اصطلحوا على صُلح جورٍ فالصلح مردود رقم (٢٦٩٧) .

- مسلم (١٣٤٣/٣) كتاب : (الأقضية) باب : نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور رقم (١٧١٨) ورواية : «ومن عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ» علقها البخاري كتاب : (الاعتصام بالكتاب والسنة) باب : إذا اجتهد العامل (٣١٧/١٣) ووصلها مسلم (١٣٤٣/٣ ، ١٣٤٤) كتاب : (الأقضية) باب : نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور وانظر : فتح الباري (٣٠٢/٥) ، تغليق التعليق (٣٩٦/٣) ، (٣٢٦/٥) .

(٢) سورة [النور : ١٥] .

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي ص (٤٦٤) .

(٤) سورة [آل عمران : ١٦٧] .

بينته في كتاب «المطالب الوفية» [1] .

ص : (إني قد تركت) . ش : أي بقيت ص : (فِيكُم) . ش : أي فيما بينكم وعندكم ص : (مَا) . ش : أي شيء عظيم ص : (إنْ اعْتَصمْتُم) . ش : أي تمسكتم ص : (به) . ش : في جميع أموركم ص : (فلن تضلوا) . ش : أي لا تقعون في الضلال ما دمتم متمسكين بذلك ص : (أبدًا) [2] . ش : وهو ص : (كتاب الله) . ش : تعالى ص : (وَسُنَّةُ نَبيهِ) . ش : ﷺ ، وهما شيئان في الظاهر وشيء واحد في حقيقة الأمر لأن الكل وحي .

[الفروق بين الأحاديث القدسية والقرآن :]

قال الشيخ عبد الرؤف المناوي في «شرح الجامع الصغير» : الأحاديث القدسية تفارق القرآن بأنه اللفظ المنزل الإعجاز بشيء منه ، والحديث القدسي : إخبار الله تعالى نبيه عليه السلام معناه بإلهام أو منام فأخبر عنه بعبارة نفسه ، وبقية الأحاديث لم يضفها إليه ولم يروها ، فالقرآن أشرف الكل ، فالقدسي لأنه نص إلهي في الدرجة الثانية وإن كان بغير واسطة ملك غالبًا لأن المنظور إليه معناه دون لفظه وفي التنزيل اللفظ والمعنى معًا . ذكره الطيبي [3] .

وقال القسطلاني في «المواهب اللدنية» في الكلام على قوله تعالى : ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا

---

(١) «المطالب الوفية شرح الفوائد السنية» للشيخ عبد الغني النابلسي . أولها : أحمد الله الغني عن كل ما سواه على الفيض العميم ... إلخ في علم التوحيد مجلد كبير [إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون للعالم الفاضل إسماعيل باشا البغدادي (٤٩٦/٤)] .

(٢) كتاب الله وسنة نبيه ﷺ هما الحصنان المنيعان والدعامتان القويتان التي عليهما يؤسس منهج العقيدة في نفوس المسلمين فمن ابتغى العزة في غير كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ أذله الله .

(٣) الحسن بن محمد بن عبد الله بن شرف الدين الطيبي - بكسر الطاء - الإمام المشهور العلاّمة في المعقول والعربية والمعاني والبيان . قال عنه الحافظ ابن حجر : كان آية في استخراج الدقائق من القرآن والسُنن ، مقبلاً على نشر العلم متواضعًا ، حسن المعتقد ، شديد الرد على الفلاسفة والمبتدعة مظهرًا فضائحهم ، شديد الحب لله ورسوله ، كثير الحياء ملازمًا لأشغال الطلبة في العلوم الإسلامية بغير طمع . انظر ترجمته :- طبقات المفسرين للداودي (١٤٦/١) رقم (١٤١)

- البدر الطالع للشوكاني (٢٢٩/١) - مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده (١٠١/٢) .

هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾ (١) .
تأمل كيف قال تعالى : ما ضل صاحبكم ولم يقل : ما ضل محمد تأكيدًا لإقامة الحجة عليهم بأنه صاحبهم ، وهم أعلم الخلق به وبحاله وأقواله وأعماله ، وأنهم لا يعرفونه بكذب ولا غَيّ ولا ضلال ، ولا ينقمون عليه أمرًا واحدًا قط ، وقد نبه تعالى على هذا المعنى بقوله عز وجل : ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ﴾ (٢) ثم نزه نطق رسول الله ﷺ أن يصدر عن هوى فقال تعالى : ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾ ولم يقل : وما ينطق بالهوى لأن نفي نطقه عن الهوى أبلغ ، فإنه يتضمن أن نطقه لا يصدر عن هوى ، وإذا لم يصدر عن هوى فكيف ينطق به ، فيتضمن نفي الأمرين نطقه بالحق ، ومصدره الهدى والرشاد لا الغي والضلال ، ثم قال تعالى : ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾ (٣) فأعاد الضمير على المصدر المفهوم من الفعل أي ما نطقه إلا وحي يوحى ، وهذا أحسن مِنْ جَعْل الضمير عائدًا إلى القرآن ، فإن نطقه بالقرآن والسنة وكلاهما وحي يوحى ، قال الله تعالى : ﴿وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ (٤) وهما القرآن والسنة . وذكر الأوزاعي عن حسان بن عطية قال : كان جبريل ينزل على رسول الله ﷺ بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن يعلمه إياه .

الحديث السابع

ص : (ت) (٥) . ش : يعني روى الترمذي بإسناده .

ص : (عَنْ علي رضي الله عنه قال) . ش : يعني عليا رضي الله عنه .

---

(١) سورة [النجم : ١ : ٤] .
(٢) سورة [المؤمنون : ٦٩] .
(٣) سورة [النجم : ٤] .
(٤) سورة [النساء : ١١٣] .
(٥) أخرجه الترمذي (١٥٨/٥) ٤٦- كتاب : (فضائل القرآن) ١٣- باب : ما جاء في فضل قارىء القرآن رقم (٢٩٠٥) حدثنا علي بن حُجر أخبرنا حفص بن سليمان عن كثير بن زاذان عن عاصم بن ضمرة عن علي بن أبي طالب ... الحديث قال أبو عيسى : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وليس إسناده بصحيح ، وحفص بن سليمان يُضعف في الحديث ، وأخرجه ابن ماجه (١٣١/١) المقدمة ١٦- باب : ثواب من تعلم القرآن وعلمه رقم (٢١٦) وإسناده ضعيف جدًا فيه كثير بن زاذان النخعي الكوفي مجهول [التقريب (٥٦٠٩)] ، تحفة الأشراف (١٠١٤٦)] .

ص : (قال رسول الله ﷺ : «من قرأ القرآن) . ش : أي تلاه أو تعلم تلاوته ص : (واستظهره) . ش : أي حفظه عن ظهر قلبه ، قال في «القاموس» : استظهر به استعان من ظهر القلب أي حفظًا بلا كتاب ، وقرأه ظاهرًا واستظهره ، واستظهرت على القرآن وأظهرته قرأته على ظهر لساني . ا هـ .

وحفظ القرآن كله عن ظهر القلب فرض كفاية ، قال والدي رحمه الله تعالى في كتابه «الأحكام» مُعْزِيًا إلى المضمرات : حفظ ما تجوز به الصلاة من القرآن فرض عين وحفظ الفاتحة وسورة واجب ، وأما حفظ جميع القرآن ففرض كفاية . اهـ .

وفي لفظِ «استظهر» الواقعِ في الحديث من الأدب ما ليس في قولهم «حفظ» ، ولهذا نقل الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي قدس الله سره ، في كتابه «روح القدس» في ترجمة شيخه أبي جعفر العريبي رضي الله عنه أنه دخل عليه رجل معه ابنه ، قال الشيخ الأكبر وأنا إلى جانبه جالسٌ ، فسلم عليه وقال لابنه : سلم عليه وكان الشيخ قد ذهب بصره فقال له الرجل : يا سيدنا ابني هذا من حملة القرآن يحفظه ، فتغير الشيخ [1] وصاح وطرأ عليه حال وقال : القديم يحمله المحدث ؟ القرآن يحمل ابنك ويحملنا ويحفظ ابنك ويحفظنا . فهذا كان حضوره رضي الله عنه .

ص : (فأحل) . ش : الفاء للسببية [2] إذ قراءته واستظهاره سبب لذلك ص : (حلاله) . ش : أي حلال القرآن ، يعني اتخذ الأحكام الحلال التي فيه حلالا ولم يحرم شيئًا منها ظاهرًا وباطنًا ص : (وحرم حرامه) . ش : أي اتخذ جميع ما فيه من الأحكام الحرام أيضًا حرامًا ولم يحلل شيئًا منها والمراد أنه اعتقد ذلك وعمل عليه كذلك ، وأما إذا اعتقده ولم يعمل به ، بأن ترك الحلال وفعل الحرام فهو فاسق ، وإن لم يعتقد الحلال حلالا والحرام حرامًا فهو كافر كما سيأتي بيانه . ص : (أدخله الله تعالى به) . ش : أي بسببه يعني بسبب القرآن الذي قرأه واستظهره ص : (الجنة) . ش : مع السابقين الأولين إن مات على ذلك ، وإن شقِيَ قبل موتهِ لم

---

(١) ربما تغير الشيخ وصياحه إعجابًا وانبهارًا ولا يحمل إلا على هذا لأن حمل كتاب الله يحتاج الإجلال والإكرام والاحترام .

(٢) قال ابن منظور في لسان العرب (٥/٣٣٣٣ الفاء) الفاء من حروف العطف الموضع الثاني : أن يكون ما قبلها علة لما بعدها ، ويجري على العطف والتعقيب دون الإشراك كقوله : ضربه فبكى ، وضربه فأوجعه ، إذا كان الضَّرْبُ علَّة البكاءِ والْوجع .

ينفعه ذلك ، وهو مُحتمل فلا يُترك لأجل احتماله ما هو الأصل المحقق وهو بقاء ما كان على ما كان ص : (وشفّعَه) . ش : بالتشديد ، أي قبل الله تعالى شفاعته ص : (في عشرة) [١] . ش : أشخاص ص : (من أهل بيته) . ش : ذكورًا كانوا أو إناثًا وهم سكان بيته أبناؤه وآباؤه وأزواجه وكل من اتصل به من قبل آبائه كما ذكره الفقهاء في كتاب الوقف ، لو قال أوقفت على أهل بيتي يدخل فيه أبو الواقف وولده من الصلب وكل من اتصل به من قبل آبائه إلى آخر أب في الإسلام ، ومن قبل أولاده الذكور . ولا يدخل قوم الأم لأن الإنسان يعد من قوم الأب لا من قوم الأم .

واختلف في أولاد البنات كما حررته في «شرحي على عمدة الحكام» [٢] .

ص : (كُلُّهم) . ش : أي العشرة المذكورين على طريقة التغليب بضمير المذكر .

ص : (قد وجبت له) . ش : أي لكل واحد منهم ص : (النار) . ش : أي دخولها والتعذيب بها يعني استحقها لاقترافه الذنوب وموته بلا توبة على وجه التطهير لا التكفير ، لأن الكافرين لا تنفعهم شفاعة الشافعين .

* * *

(١) وظاهر الحديث مع ملاحظة أنه غريب - فهو من أنواع الضعيف - أن ذلك يتعارض مع قوله تعالى : ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ ومع قوله تعالى : ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ .

(٢) «عمدة الحكام فيما لا ينفذ من الأحكام» للقاضي نجم الدين إبراهيم بن علي الطرسوسي الحنفي المتوفى سنة (٧٥٨) [كشف الظنون (٢/١١٦٦ ، ١١٦٧)] .

النوع الثاني

الاعتصام بالسنة (١)

ص : (النوع الثاني) . ش : من النوعين الذين اشتمل عليهما الفصل الأول .

ص : (في) . ش : بيان ص : (الاعتصام) . ش : أي التمسك ص : (بالسنة) . ش : أي سنة رسول الله ﷺ وهي قوله وفعله وسكوته كما مر والدليل على ذلك .

ص : (الآيات) . ش : القرآنية وهي سبع عشرة آية من سور شتى تذكر على الترتيب :

الآية الأولى من سورة آل عمران (٢) وهي قوله تعالى

ص : (قل) . ش : يا محمد لليهود والنصارى الذين قالوا : ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ (٣) أو لقريش وهم في المسجد الحرام وقد نصبوا أصنامهم وعلقوا عليها بيض النعام وجعلوا في آذانها الشنوف ، وهم يسجدون لها .

فوقف رسول الله ﷺ عليهم فقال : «يا معشر قريش والله لقد خالفتم ملة أبيكم

---

(١) قال الإمام الشافعي رضي الله عنه في الرسالة ونقله عنه البيهقي في المدخل : قد وضع الله رسوله ﷺ من دينه وفرضه وكتابه الموضع الذي أبان جل ثناؤه أنه جعله علمًا لدينه بما افترض من طاعته وحرم من معصيته وأبان من فضيلته بما قرن بين الإيمان برسوله مع الإيمان به فقال تبارك وتعالى : ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُوا ثَلاَثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾ وقال عز وجل : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ﴾ فجعل كمال ابتداء الإيمان الذي ما سواه تبع له الإيمان بالله ثم برسوله معه قال الشافعي : ففرض الله على الناس اتباع وحيه وسنن رسوله فقال في كتابه : ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ﴾ مع آي سواها ذكر فيهن الكتاب والحكمة [مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة ص (٤)] تأليف الحافظ جلال الدين السيوطي ت (٩١١) طبعة ثالثة سنة (١٤٠٠) المطبعة السلفية ومكتبتها القاهرة .

(٢) سورة [آل عمران :٣١] .

(٣) سورة [المائدة : ١٨] .

إبراهيم وإسماعيل» [(١)] . فقالت قريش : إنما نعبدها حبًا لله ليقربونا إلى الله زلفى فنزلت الآية .

وقيل : إن نصارى نجران قالوا : إنما نقول هذا القول في عيسى حبًا لله وتعظيماً له ، فأنزل الله تعالى هذه الآية . كذا في تفسير الخازن .

ص : ﴿إن كنتم تحبون الله﴾ . ش : فيما تزعمون وتعبدون الأصنام لتقربكم إلى الله .

ص : ﴿فاتبعوني يحببكم الله﴾ . ش : فأنا رسوله إليكم وحجته عليكم وأنا أولى بالتعظيم من أصنامكم . قاله الواحدي .

وقال الخازن : لأنه قد ثبت نبوة محمد ﷺ بالدلائل الظاهرة والمعجزات الباهرة ، فوجب على كافة الخلق متابعته .

والمعنى : قل إن كنتم صادقين في ادعاء محبة الله ، منقادين لأوامره ومطيعين له فاتبعوني فإن اتباعي من محبة الله وطاعته .

وقال البيضاوي [(٢)] : المحبة ميل النفس إلى الشيء لكمال أُدرك فيه بحيث يحملها على ما يقربه إليه ، والعبد إذا علم أن الكمال الحقيقي ليس إلا لله ، وأن كل ما يراه كمالاً من نفسه أو غيره فهو من الله وبالله وإلى الله لم يكن حبه إلا لله وفي الله وذلك يقتضي إرادة طاعته والرغبة فيما يقربه ، فلذلك فُسرت المحبة بإرادة الطاعة ، وجُعلت مستلزمة لاتباع الرسول في عبادته والحرص على مطاوعته .

وقال القسطلاني في «مواهبه» : اعلم أن المحبة كما قال صاحب «المدارج» [(٣)] هي المنزلة التي يتنافس فيها المتنافسون وإليها تشخص العاملون ، فهي قوت القلوب وغذاء الأرواح ، وقرة العيون ، وهي الحياة التي من حُرمها فهو من جملة الأموات والنور

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/٤٤٠) كتاب : (معرفة الصحابة) حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا الحسن بن علي بن عفان ثنا أبو أسامة ثنا هشام بن عروة عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر قالت : لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل قائمًا مسندًا ظهره إلى الكعبة يقول .... الحديث بنحوه وانظر : [الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٢/١٦ ، ١٧)] .

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ص (٧٢ ، ٧٣) .

(٣) مدارج السالكين لابن قيم الجوزية (٣/١٧ وما بعدها) .

الذي من فقده ففي بحار الظلمات ، والشفاء الذي من عُدمه حلت بقلبه جميع الأسقام ، واللذة التي من لم يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام ، وهي روح الإيمان والأعمال والمقامات والأحوال التي متى خلت منها فهي كالجسد الذي لا روح فيه ، تحمل أثقال السائرين إلى بلد لم يكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس وتوصلهم إلى منازل لم يكونوا بدونها أبدًا واصليها ، وتبوءهم من مقاعد الصدق إلى مقامات لم يكونوا لولا هي داخليها ، وقد قدر الله تعالى يوم قدر مقادير الخلائق بمشيئته وحكمته البالغة أن المرء مع من أحب فيالها من نعمة على المحبين سابغة ، لقد سبق القومُ إلى السعادة وهم على ظهور الفُرش نائمون ولقد تقدموا الركب بمراحل وهم في سيرهم واقفون .

وقد اختلفوا في المحبة ، وعباراتهم وإن كثُرت فليست في الحقيقة ترجع إلى اختلاف مقال ، وإنما هي اختلاف أحوال [١] ، وأكثرها يرجع إلى ثمرتها دون حقيقتها .

[تعريفات للمحبة]

وقد قال بعض المحققين : حقيقة المحبة عند أهل المعرفة من المعلومات التي لا تُحدّ [٢] وإنما يعرفها من قامت به وجدانا لا يمكن التعبير عنه ، وهذه بعض رسوم وحدود قيلت في المحبة بحسب آثارها وشواهدها .

١- فمنها موافقة الحبيب في المشهد والمغيب [٣] وهذا موجبها ومقتضاها .

٢- ومنها محو المحب المحب لصفاته وإثبات المحب لذاته ، وهذا من أحكام الفناء في المحبة وهو أن تُمحى صفاتُ المحب وتفنى في صفات محبوبه وذاته [٤] .

---

(١) الأحوال هي تلك المنازل التي يقف فيها العبد من خالقه . واختلاف الأحوال يكون بقدر اجتهاد العبد ومقاومة الهوى وطاعة ربه ، واجتناب معاصيه .

(٢) لا يمكن وضع حد للمحبة لأنها من الأمور القلبية وهذه الأمور يعرف قدرها كل من يصل إلى درجة من تلك الدرجات من هنا نشأت الاختلافات في التعريفات لاختلاف منزلة الشخص من تلك المحبة .

(٣) ولذلك قال تعالى : ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ فحب الله عز وجل هو موافقة المحب لله عز وجل في سره وعلنه .

(٤) والمحو هنا يعني أن العبد لا يرى إلا الله عز وجل . إذن أين ذات العبد ؟ هو شعوره بالكلية أنه مع الله وبالله وإلى الله . مع الله في سره وعلنه وإلى الله في اجتهاده وعبادته وبالله في نطقه وقوله وعمله .

٣- ومنها استقلال الكثير من نفسك واستكثار القليل من حبيبك وهو لأبي يزيد [١] وهو أيضًا من أحكامها وموجباتها وشواهدها ، والمحب الصادق ولو بذل لمحبوبه جميع ما يقدر عليه لاستقله واستحيي منه ولو ناله من محبوبه أيسر شيء لاستكثره واستعظمه .

٥- ومنها استكثار القليل من جنايتك واستقلال الكثير من طاعتك [٢] ، وهو قريب من الأول لكنه مخصوص بما من المحب [٣] .

٦- ومنها معانقة الطاعة ومباينة المخالفة ، وهو لسهل بن عبد الله ، وهو أيضًا حكم المحبة وموجبها [٤] .

٧- ومنها أن تهب كُلَّك لمن أحببت ، فلا يبقى منك شيء وهو لسيدنا أبي عبد الله القرشي ، وهو أيضًا من موجبات المحبة وأحكامها .

والمراد أن تهب إرادتك وعزماتك وأفعالك ونفسك ومالك ووقتك لمن تحبه ، وتجعلها حبسًا في مرضاته ومحابه ولا تأخذ منها لنفسك إلا ما أعطاكه ، فتأخذ منه له [٥] .

٨- ومنها أن تمحو عن القلب ما سوى المحبوب [٦] ، وكمال المحبة يقتضي ذلك [٧] .

٩- ومنها أن تغار على المحبوب أن يحبه مثلك . وهو للشبلي ، ومراده احتقارك لنفسك واستصغارها أن يكون مثلك يحبه .

---

(١) أبو يزيد البسطامي .

(٢) هذا الشعور يعني أن العبد لا يرضى عن المعصية لأنها تحط من منزلة العبد بالنسبة من القرب والبعد من خالقه . وعباد الرحمن دائمًا في ارتقاء بالنسبة من القرب إلى الله عز وجل .

(٣) هو الثامن في مدارج السالكين (١٢/٣) .

(٤) وهو التاسع عند ابن القيم في مدارج السالكين (١٣/٣) .

(٥) التعريف والشرح في مدارج السالكين لابن قيم الجوزية (١٣/٣) برقم الحادي عشر .

(٦) التعريف للشبلي .

(٧) زاد ابن القيم في شرح هذا التعريف وهو عنده برقم الثاني عشر فقال : فإنه ما دامت في القلب بقية لغيره ومسكن لغيره فالمحبة مدخولة . [مدارج السالكين (١٣/٣)] .

١٠- ومنها غض طرف المحب عما سوى المحبوب غيرة ، وعن المحبوب هيبة [١] ، فإن غض طرف القلب عن المحبوب مع كمال محبته كالمستحيل ، لكن عند استيلاء (سلطان المحبة) [٢] يقع مثل هذا ، وذلك من علامات المحبة المقارنة للهيبة والتعظيم .

١١- ومنها ميلك إلى الشيء بكليتك ، ثم إيثارك له على نفسك وروحك ومالك ، ثم موافقتك له سرًّا وجهرًا ، ثم علمك بتقصيرك في حبه .

قال الجنيد : سمعت الحارث المحاسبي يقول ذلك [٣] .

١٢- ومنها سكر لا يصحو صاحبه إلا بمشاهدة محبوبه ، ثم السكر الذي يحصل عند المشاهدة لا يوصف [٤] .

١٣- ومنها سفر القلب في طلب المحبوب ولهج اللسان بذكره [٥] فلا ريب أن من أحب شيئًا أكثر من ذكره .

١٤- ومنها الميل إلى ما يوافق الإنسان كحب الصور الجميلة والأصوات الحسنة وغير ذلك من الملاهي التي لا يخلو كل طبع سليم عن الميل إليها لموافقتها ، أو استلذاذه بإدراكه بحاسة أو يكون حبه لذلك لموافقته له من جهة إحسانه إليه وإنعامه عليه ، فقد «جُبلت القلوب على حُبِّ مَنْ أحسن إليها» . كما رواه أبو نعيم في الحلية وأبو الشيخ وغيرهما .

فإذا كان الإنسان يحب من منحه في دنياه مرة أو مرتين معروفًا فانيًا منقطعًا أو استنقذه من هلكة أو مضرة لا تدوم ، فما بالك بمن منحه منحًا لا تبيد ولا تزول ووقاه من العذاب الأليم ، من لا يفنى ولا يحول ، وهو الله سبحانه وتعالى ثم بسط الكلام في هذا المقام [٦] .

---

(١) التعريف رقم «عشرون» [مدارج السالكين (١٤/٣)] .
(٢) ما بين القوسين في [المدارج (١٤/٣)] الهيبة .
(٣) التعريف الحادي والعشرون [مدارج السالكين (١٥/٣)] .
(٤) التعريف الرابع والعشرون . [مدارج السالكين (١٥/٣)] .
(٥) التعريف السابع والعشرون في [مدارج السالكين (١٦/٣)] .
(٦) ومن المفيد هنا أن ننقل عبارة ابن القيم في مدارج السالكين (١٠/٣) على أن مادة المحبة .. =

ص : (ويغفر لكم ذنوبكم) . ش : «فيجيبكم ويغفر لكم» جواب الأمر أي يرض عنكم ويكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم ، فيقربكم من جناب عزه ويبوءكم في جوار قدسه ، عبر عن ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة أو المقابلة . قاله البيضاوي .

ص : (والله غفور رحيم) . ش : يعني أنه تعالى يغفر ذنوب من أحبه ويرحمه بفضله وكرمه .

الآية الثانية من سورة آل عمران [1] أيضًا وهي قوله :

ص : (قُلْ) . ش : يا محمد ، ولما نزلت الآية الأولى قال عبد الله بن أبي سلول رأس المنافقين لأصحابه : إن محمدًا يجعل طاعته كطاعة الله ويأمرنا أن نحبه كما أحبت النصارى عيسى بن مريم فأنزل الله تعالى هذه الآية ص : (أطيعوا الله والرسول) . ش : يعني أن طاعة الله متعلقة بطاعة رسوله ﷺ ، فإن طاعته لا تتم مع عصيان رسول الله ﷺ ، ولهذا قال الشافعي رضي الله عنه : كل أمرٍ أو نهي ثبت عن رسول الله ﷺ جرى ذلك في الفريضة واللزوم مجرى ما أمر الله به في كتابه أو نهى عنه .

وقال ابن عباس : معناه فإن طاعتكم لمحمد ﷺ طاعتكم لي فأما أن تطيعوني وتعصوا محمدًا فلن أقبل منكم . قاله الخازن .

ص : (فإن تولوا) . ش : أي أعرضوا عن طاعة الله ورسوله

ص : (فإن الله لا يحب الكافرين) . ش : لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم ، وإنما لم يقل لا يحبهم لقصد العموم ، والدلالة على أن التولي كفر به من هذه الحيثية بنفي محبة الله وإن محبة الله مخصوصة بالمؤمنين ذكره البيضاوي .

وقال الخازن : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى ، قالوا : ومن يأبى ؟ قال : من أطاعني دخل الجنة

=تدور في اللغة على خمسة أشياء ، أحدها : الصفاء والبياض ، الثاني : العلو والظهور ، الثالث : اللزوم والثبات ، الرابع : اللب ومنه حبة القلب للُبّه ، الخامس : الحفظ والإمساك .

(١) سورة [آل عمران : ٣٢] .

ومن عصاني فقد أبى» [1] .

وعنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن يطع الأمير فقد أطاعني ، ومن يعص الأمير فقد عصاني» [2] .

الآية الثالثة من سورة آل عمران [3] أيضًا وهي قوله تعالى :

ص : (وأطيعوا الله) . ش : يعني فيما أمركم به ونهاكم عنه

ص : (والرسول) ش : أي وأطيعوا الرسول أيضًا فإنّ طاعته طاعة لله ص : (لعلكم ترحمون). ش : أي لكي ترحموا ولا تعذبوا إذا أطعتم الله ورسوله ، فإن طاعة الله مع معصية رسوله ليست بطاعة . قاله الخازن . قال البيضاوي : لعل وعسى في أمثال ذلك دليل عزة التوصل إلى ما جعل خبرًا له .

الآية الرابعة من سورة آل عمران [4] أيضًا وهي قوله تعالى :

ص : (لَقَد مَنَّ اللهُ عَلَى المؤمنين) . ش : يعني أحسن إليهم وتفضل عليهم ،

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/٥٥) كتاب : الإيمان . عن أبي هريرة وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وقال الذهبي في التلخيص : على شرطهما وإسناده : أخبرنا أحمد بن جعفر القطيعي ، ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ، حدثني أبي ، ثنا سريج بن النعمان ، ثنا فليح بن سليمان ، عن هلال بن علي عن عطاء بن يسار ، عن أبي هريرة .... الحديث .

(٢) أخرجه مسلم (٣/١٤٦٦) ٣٣- كتاب : (الإمارة) ٨- باب : وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية رقم ٣٢- (١٨٣٥) .

- النسائي (٧/١٥٤) ٣٩- كتاب : (البيعة) ٢٧- باب : الترغيب في طاعة الإمام (٤١٩٣) ، (٨/٢٧٦) ٥٠- كتاب : (الاستعاذة) ٤٩- باب : الاستعاذة من فتنة المحيا رقم (٥٥١٠) .

- ابن ماجه (٣/٣٩٤ ، ٣٩٥) ٤- كتاب : (الجهاد) ٣٩- باب : طاعة الإمام رقم (٢٨٥٩) أحمد (٢/٩٣ ، ٢٤٤ ، ٢٥٢ ، ٢٧٠ ، ٣١٣ ، ٣٤٢ ، ٣٨٢ ، ٤١٦ ، ٤٦٧ ، ٤٧١ ، ٥١١) .

(٣) سورة [آل عمران : ١٣٢] .

(٤) سورة [آل عمران : ١٦٤] .

- وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في شعب الإيمان عن عائشة في هذه الآية ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ قالت : هذه للعرب خاصة .

- وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة في الآية قال : مَنٌّ مِن الله عظيم من غير دعوة ولا رغبة من هذه الأمة جعله الله رحمة لهم يخرجهم من الظلمات إلى النور ويهديهم إلى صراط مستقيم بعثه الله إلى قوم لا يعلمون فعلمهم وإلى قوم لا أدب لهم فأدبهم .

والمنة النعمة العظيمة ، وذلك في الحقيقة لا يكون إلا لله تعالى ، وقال البيضاوي : أنعم على من آمن مع الرسول من قومه وتخصيصهم مع أن نعمة البعثة عامة لزيادة انتفاعهم بها . ص : (إذ بَعَثَ فيهم رَسَولاً مِن أنفُسهم) . ش : يعني من جنسهم ، عربيًا مثلهم ولد ببلدهم ونشأ بينهم ، من أنفسهم نسبه وليس حي من أحياء العرب إلا وقد ولده وله فيهم نسب إلا بني تغلب فإنهم كانوا نصارى وثبتوا على النصرانية ، فطهر الله رسوله ﷺ من أن يكون له فيهم نسب . قاله الخازن . وقال البيضاوي : من أنفسهم من نسبهم أو من جنسهم عربيًا مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله في الصدق والأمانه مفتخرين به وقرىء «مِن أَنفَسِهِمْ» [1] أي من أشرفهم لأنه عليه الصلاة والسلام كان من أشرف قبائل العرب وبطونهم .

وقال الخازن : وقيل أراد بالمؤمنين جميع المؤمنين . ومعنى قوله : «من أنفسهم» أي بالإيمان والشفقة لا بالنسب ، ومن جنسهم ليس بملك ولا أحد غير بني آدم . وقيل : من أنفسهم يعني أنه من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهم السلام . ووجه المنة والإنعام على المؤمنين ببعثة النبي ﷺ لكونه داعيًا لهم إلى ما يخلّصهم من العذاب العظيم ويوصّلهم إلى الثواب في جنات النعيم وكونه من أنفسهم ومن جنسهم لأنه إذا كان اللسان واحدًا سَهُل الأخذ عنه فيما يجب عليهم ، وكانوا واقفين على جميع أحواله وأفعاله ، يعرفون صدقه وأمانته فكان أقرب إلى تصديقه والوثوق به .

وفي كونه من أنفسهم شرف لهم .

---

(١) سورة آل عمران الآية (١٦٤) . قال الشيخ أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي ت . سنة ٧٥٦ هـ في كتابه الدُّر المصون (٤٧١/٣ ، ٤٧٢) طبع دار القلم دمشق ط أولى سنة ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م .والجهور على ضَم السين من «أنفُسهم». أي : من جملتهم وجنسهم وقرأت عائشة وفاطمة والضحاك - ورواها أنس عنه ﷺ - بفتح الفاء من النفاسة ، وهي الشرف أي : من أشرفهم نسبًا وخَلْقًا وخُلُقًا وعن علي عنه عليه السلام : «أنا أَنْفَسُكم نسبًا وحسبًا وصهرًا» . وهذا الجار يحتمل وجهين : أحدهما : أن يتعلق بنفس «بعث» . والثاني : أن يتعلق بمحذوفٍ على أنه وصف لـ «رسولاً» فيكون منصوب المحل ، ويقوي هذا الوجه على قراءة فتح الفاء .

- زاد فيمن قرأ بهذه القراءة محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي سنة (٦٥١ ، ٧٥٤ هـ) في كتابه البحر المحيط في التفسير (٤١١/٣) طبع دار الفكر طبعة ١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م . أن أبا الجوزاء قرأ بها وقال : والمعنى من أشرفهم ، لأن عدنان ذروة ولد إسماعيل ، ومضر ذروة نذار بن معد بن عدنان ، وخندف ذروة مضر ، ومدركة ذروة خندف ، وقريش ذروة مدركة ، وذروة قريش محمد ﷺ .

وكان فيما خطب به أبو طالب حين زوّج رسول الله ﷺ خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ، وقد حضر ذلك بنو هاشم ورؤساء مُضر فقال : الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل وضئضيء معدّ وعُنصر مُضر وجعلنا سدنة بيته وسُوّاس حزبه ، وجعل لنا بيتا محجوبًا وحرما آمنا ، وجعلنا الحكام على الناس ، وإن ابني هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به فتى إلا رجح وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطب جليل .

وقيل في وجه المنة ببعثة الرسول ﷺ أن الخلق جُبلوا على الجهل ونقصان العقل والفهم وعدم الدراية، فمنّ الله على خلقه وأنعم عليهم وأحسن إليهم بأن بعث فيهم رسولا من أنفسهم أنقذهم به من الضلالة وبصّرهم به من الجهالة ، وهداهم به إلى صراط مستقيم ، وإنما خصّ المؤمنين بالذكر لأنهم هم المنتفعون بما جاء به دون غيرهم . ص : **(يتلو عليهم آياته)** . ش : يعني يقرأ عليهم كتابه الذي أُنزل عليه بعد أن كانوا أهل جاهلية لم يطرق أسماعهم شيء من الوحي السماوي . ص : **(ويزكيهم)** . ش : أي يطهرهم من دنس الكفر ونجاسة المحرمات والخبائث . ذكره الخازن .

وقال البيضاوي : ويطهرهم من دنس الطباع وسوء العقائد .

ص : **(ويعلمهم الكتاب والحكمة)** . ش : يعني القرآن والسنة التي سنها لهم على لسان نبيه ﷺ . قاله الخازن .

وقال البيضاوي : يعني القرآن والسنة ، ولم يقل التي سنها على لسان نبيه لقصد تعميمها حتى تشمل الفعل والسكوت ص : **(وإن كانوا من قبل)** . ش : أي من قبل بعثة الرسول ﷺ ص : **(لفي ضلال مبين)** . ش : يعني لفي جهالة وحيرة عن الهدى عميا لا يفرقون معروفًا ولا ينكرون منكرا فهداهم الله بنبيه ﷺ . ذكره الخازن .

الآية الخامسة من سورة النساء، وهي قوله تعالى :

ص : **(يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم)** [1] . ش : يريد به أمراء المسلمين في عهد رسول الله ﷺ وبعده ، ويندرج فيهم الخلفاء والقضاة وأمراء السرية ، أمرَ الناس بطاعتهم بعدما أمرهم بالعدل يعني في

---

(١) سورة [النساء : ٥٩] .

الآية قبله وهي قوله تعالى : ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [(١)] تنبيهًا على أن وجوب طاعتهم ما داموا على الحق .

وقيل علماء الشرع لقوله تعالى : ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ [(٢)] ذكره البيضاوي .

وقال الواحدي : «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول» اتباع الكتاب والسنة ، «وأولي الأمر منكم» قال ابن عباس في رواية الوالبي : هم الفقهاء والعلماء أهل الدين يعلمون الناس معالم دينهم أوجب الله طاعتهم .

وقال في رواية عطاء : هم الولاة .

وقيل : هم الأمراء [(٣)] والسلاطين لما أمروهم بأداء الأمانة في الرعية بقوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ [(٤)] الآية . أُمرت الرعية بحسن الطاعة لهم فيما وافق الحق ، قال النبي ﷺ «إلا من ولى عليه والٍ فرآه يأتي شيئًا من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزعن يدا عن طاعة الله» رواه مسلم [(٥)] .

وقال الخازن [(٦)] : عن ابن عباس قال : نزلت هذه الآية في عبد الله بن حذافة ابن قيس بن عدي السهمي إذ بعثه رسول الله ﷺ في سرية .

---

(١) سورة [النساء : ٥٨] .

(٢) سورة [النساء : ٨٣] .

(٣) عزا هذا القولَ ابنُ أبي حاتم في تفسيره (٣/٩٨٨) رقم (٥٥٣٢) لأبي هريرة .

(٤) سورة [النساء : ٥٨] .

(٥) أخرجه مسلم (٣/١٤٨١) ٣٣- كتاب : (الإمارة) ١٧- باب : خيار الأئمة وشرارهم رقم ٦٥-(١٨٥٥) حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي ، أخبرنا عيسى بن يونس ، حدثنا الأوزاعي عن يزيد بن يزيد بن جابر ، عن رزيق بن حيّان ، عن مسلم بن قرظة عن عوف بن مالك عن رسول الله ﷺ : خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ، ويصلون عليكم ونصلون عليهم ، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم . قيل : يا رسول الله ! أفلا ننابذهم بالسيف فقال : «لا ما أقاموا فيكم الصلاة ....» الحديث أحمد (٦/٢٨) .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره تفسير القرآن العظيم (٣/٩٨٧ ، ٩٨٨) رقم (٥٥٢٩) حدثنا أحمد بن يونس بن المسيب الضبى ، وأحمد بن منصور الرمادي قالا : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، أخبرني يعلى بن مسلم ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس .... الأثر وقال : والسياق لأحمد بن يونس .

وقال السُدي : نزلت في خالد بن الوليد ، وذلك أنه بعثه رسول الله ﷺ في سرية وفيها عمار بن ياسر ، فلما قربوا من القوم هربوا منهم وجاء رجل إلى عمار قد أسلم فأمّنه عمار ، فرجع الرجل فجاء خالد فأخذ مال الرجل ، فقال عمار : إني قد أمّنته وقد أسلم ، فقال خالد : تجير عليّ وأنا الأمير ؟ فتنازعا وقدما على رسول الله ﷺ فأجاز أمان عمار ونهاه أن يجير الثانية على أمير ، فأنزل الله تعالى : ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [1] .

وأصل الطاعة الانقياد لذلك الأمر ، وطاعة الله واجبة على كافة الخلق ، وكذا طاعة رسوله ﷺ واجبة أيضًا لقوله تعالى : ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ فأوجب طاعة رسوله ﷺ على الخلق .

واختلف العلماء في ﴿أُولِي الأَمْرِ﴾ منكم الذين أوجب الله طاعتهم : قال ابن عباس وجابر : هم الفقهاء والعلماء الذين يعلمون الناس معالم دينهم وهو قول الحسن والضحاك ومجاهد [2] .

وقال أبو هريرة : هم الأمراء والولاة . وهي رواية عن ابن عباس أيضًا ، قال علي ابن أبي طالب رضي الله عنه : حق على الإمام أن يحكم بما أنزل الله ، ويؤدي الأمانة ، فإذا فعل ذلك فحق على الرعية أن يسمعوا ويطيعوا .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب أو كره إلا أن يؤمر بمعصية فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره «تفسير القرآن العظيم» (٣/٩٨٨) رقم (٥٥٣١) ثنا أحمد بن عثمان بن حكيم ، ثنا أحمد بن فضل ، ثنا أسباط ، عن السدي .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره «تفسير القرآن العظيم» (٣/٩٨٩) رقم (٥٥٣٤) حدثنا أبي ، ثنا أبو صالح ، عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس .... الأثر زاد فيه : .... ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر فأوجب الله سبحانه طاعتهم على العباد .

- والمرجع المذكور برقم (٥٥٣٦) حدثنا محمد بن الحجاج الحضرمي بحضر موت ، ثنا الخصيب بن ناصح ثنا المبارك بن فضالة عن الحسن في قوله تعالى : ﴿وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ قال : أولي العلم والفقه والعقل والرأي .

- والمرجع المذكور برقم (٥٥٣٥) حدثنا أبو سعيد الأشج ثنا عبد الله بن إدريس ، عن ليث عن مجاهد .

طاعة» [١] .

وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال : «اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة ما أقام فيكم كتاب الله» [٢] . وقال ميمون بن مهران : هم أمراء السرايا والبعُوث ، وهي رواية عن ابن عباس أيضًا . ووجه هذا القول أن الآية نازلة فيهم . وقال عكرمة : أراد بأولي الأمر أبا بكر وعمر رضي الله عنهما [٣] لما روى عن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ : «إني لا أدري ما بقائي فيكم فاقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر» أخرجه الترمذي [٤] . وقيل : هم جميع الصحابة رضي الله عنهم لما روى عن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» أخرجه رزين في كتابه [٥] .

---

(١) أخرجه مسلم ٣٣- كتاب : (الإمارة) ٨- باب : وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية ٣٨- (١٨٣٩) . - الترمذي ٢٤- كتاب : (الجهاد) ٢٩- باب : ما جاء لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق (١٧٠٧) .

(٢) أخرجه البخاري ١٠- كتاب : (الأذان) ٥٦- باب : إمامة المفتون والمبدع (٦٩٦) ، ٩٣- كتاب : (الأحكام) ٤- باب : السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية (٧١٤٢) . - ابن ماجة ٢٤- كتاب : (الجهاد) ٣٩- باب : طاعة الإمام رقم (٢٨٦٠)، تحفة الأشراف (١٦٩٩) البيهقي (١٥٥/٨) ، أحمد (١١٤/٣) .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٩٨٩/٣) رقم (٥٥٣٧) حدثنا أبي ثنا عثمان بن طالوت الجحدري ، ثنا حفص بن عمر العدني ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة .... الأثر .

(٤) أخرجه الترمذي ٥٠- كتاب : (المناقب) ١٦- باب : مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما كليهما (٣٦٦٢) ، ٣٥- باب : مناقب عمار بن ياسر رضي الله عنه رقم [(٣٧٩٩) م] .
- ابن ماجة المقدمة باب : في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ رقم (٩٧) ، الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٣٦٦/٤)، (٤٠٣/٧) ، أحمد بن حنبل في مسنده (٣٨٥/٥) ، ابن أبي شيبة في مصنفه (١١/١٢) ، (٥٦٩/١٤) ، سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني (٢٣٥/٣) .

(٥) عزاه شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني في تلخيص الحبير (١٩٠/٤) رقم (٢٠٩٨) لعبد بن حميد في مسنده من طريق حمزة النصيبي عن نافع عن ابن عمر ، وحمزة ضعيف جدًا ، ورواه الدارقطني في غرائب مالك من طريق جميل بن زيد عن مالك ، عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر ، وجميل لا يعرف ، ولا أصل له في حديث مالك ولا من فوقه . وذكره البزار من رواية عبد الرحيم بن زيد العمى عن أبيه ، عن سعيد بن المسيب عن عمر ، وعبد الرحيم كذاب ..... إلخ وانظر : كشف الخفاء للعجلوني (١٤٧/١) ، لسان الميزان لابن حجر العسقلاني (٤٨٨/٢ ، ٥٩٤).

وروى البغوي بسنده عن الحسن عن أنس قال : قال رسول الله : «مثل أصحابي في أمتي كالملح في الطعام لا يصلح الطعام إلا بالملح» [١] .

قال الحسن : فقد ذهب ملحنا فكيف نصلحُ .

قال الطبري : وأولى الأقوال بالصواب قول من قال : هم الأمراء والولاة لصحة الأخبار عن رسول الله ﷺ بالأمر بطاعة الأئمة والولاة فيما كان لله عز وجل طاعة وللمسلمين مصلحة .

وقال الزجاج [٢] : وجملة أولى الأمر من يقوم بشأن المسلمين في أمر دينهم «وجميع ما أدّى إليه صلاحهم» [٣] .

وجوب طاعة الإمام

قال العلماء : طاعة الإمام واجبة على الرعية ما دام على الطاعة فإذا زلّ عن الكتاب والسنة فلا طاعة له ، وإنما تجب طاعته فيما وافق الحق . ا هـ .

ويؤيد هذا ما رواه الإمام أحمد بن حنبل [٤] في مسند العشرة ، قال في مسند علي رضي الله عنه : حدثنا عبد الله ، حدثني أبي ، حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن سعد بن عُبَيدَة ، عن أبي عبد الرحمن السلمي ، عن علي قال : بعث

---

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده (١٥١/٥) رقم ٧- (٢٧٦٢) حدثنا سويد بن سعيد ، حدثنا أبو معاوية عن إسماعيل عن الحسن عن أنس بن مالك ... الحديث وإسناده ضعيف ، فيه سويد بن سعيد ،وهو ضعيف ، وإسماعيل بن مسلم المكي وهو ضعيف أيضًا ، وفيه عنعنة الحسن البصري . وأخرجه ابن المبارك في الزهد ص (٢٠٠) وفيه إسماعيل المكي ، وذكره الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (١٨/١) وقال : رواه أبو يعلى والبزار بنحوه وفيه إسماعيل بن مسلم ، وهو ضعيف . وهو في المطالب العالية (٤٢٠٧) .

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج أبي إسحاق إبراهيم بن السرى (٦٧/٢) .

(٣) ما بين القوسين في المطبوعة : «وجميع ما أدى إلى صلاح له» .

(٤) أخرجه أحمد في المسند (٩٤/١) ، البخاري كتاب : (في أخبار الآحاد) باب : ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق رقم (٧٢٥٧) .

- مسلم كتاب : (الإمارة) باب : وجوب طاعة الأمراء في غير معصية رقم (١٨٤٠) .

- أبو داود كتاب : (الجهاد) باب : في الطاعة رقم (٢٦٢٥) ، النسائي (١٠٩/٧) كتاب : (البيعة) باب : جزاء من أمر بمعصية فأطاع .

رسول الله ﷺ سَرِيَة واستعمل عليهم رجلاً من الأنصار ، فلما خرجوا قال وجَد عليهم في شيء ، قال : فقال لهم أليس قد أمركم رسول الله ﷺ أن تطيعوني ؟ قالوا بلى ، قال : فقال لهم اجمعوا حطبًا ثم دعا بنار ، فأضرمها فيه ثم قال : قد زعمت عليكم لتدخلُنها ، قال : فهَمّ القوم بدخولها ، قال : فقال لهم شاب منهم : إنما فررتم إلى رسول الله ﷺ من النار فلا تعجلوا حتى تلقوا رسول الله ﷺ فإن أمركم أن تدخلوها فادخلوها ، قال : فرجعوا إلى النبي ﷺ فأخبروه فقال لهم : «لو دخلتموها ما خرجتم منها أبدًا إنما الطاعة في المعروف» . ا هـ .

وقال شيخي زاده في «حاشيته على البيضاوي» عند قوله تعالى ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [1] المراد من أولي الأمر العلماء في أصح الأقوال لأن الملوك يجب عليهم طاعة العلماء ولا ينعكس .

قال الشيخ العيني رحمه الله تعالى في «شرح الكنز» قوله وللشاب العالم أن يتقدم على الشيخ الجاهل - في مسائل شتى آخر الكنز - لأنه أفضل منه ، قال تعالى : ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ ولهذا يقدم في الصلاة وهي أحد أركان الإسلام ، وهي تالية الإيمان ، وقال تعالى : ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ والمراد بأولي الأمر العلماء في أصح الأقوال والمطاع شرعًا مقدّم ، وكيف لا يقدّمون والعلماء ورثة الأنبياء عليهم السلام على ما جاء به السنة .

ص : (فإن تنازعتم) . ش : أنتم وأولو الأمر منكم .

ص : (في شيء) . ش : من أمور الدين . وهو يؤيد الوجه الأول ، يعني من أن المراد بأولي الأمر الأمراء إذ ليس للمُقلّد أن ينازع المجتهد في حكمه بخلاف الرؤس إلا أن يقال الخطاب لأولي الأمر على طريق الالتفات . قاله البيضاوي .

وقال الخازن : «تنازعتم» يعني اختلفتم في شيء من أمر دينكم والتنازع اختلاف الآراء ، وأصلها من انتزاع الحجة وهو أن كل واحد من المتنازعين ينزع الحجة بنفسه .

ص : (فردوه إلى الله والرسول) . ش : أي ردوا ذلك الأمر الذي تنازعتم فيه إلى كتاب الله عز وجل وإلى رسوله ﷺ ما دام حيًا وبعد وفاته فردوه إلى سنته .

والرد إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ واجب ، فإن وجد ذلك الحكم في كتاب

---

(١) سورة [البقرة : ٣١] .

الله أُخذ به ، فإن لـم يوجـد في كتاب الله ففي سنـة رسـول الله ﷺ فإن لم يوجـد في السنة فسبيله الاجتهاد .

وقيل : الرد إلى الله ورسوله أن تقول لما لا تعلم الله ورسوله أعلم .

وقال البيضاوي : فردوه فراجعوا فيه إلى الله إلى كتابه والرسول بالسؤال عنه في زمانه والمراجعة إلى سنته بعده ، واستدل به منكرو القياس وقالوا : إنه تعالى أوجب رد المختلف إلى كتابه وسنته دون القياس .

وأجيب بأن رد المختلف إلى المنصوص عليه إنما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو القياس ، ويؤيد ذلك الأمر به بعد الأمر بطاعة الله وطاعة رسوله فإنه يدل على أن الأحكام ثلاثة : مثبت بالكتاب ، ومثبت بالسنة ، ومثبت بالرد إليهما على وجه القياس .

وقال الواحدي : روى عن عمر بن ميمون عن أبيه قال : قال مسلمة بن عبد الملك : أليس قد أُمرتم بطاعتنا ؟ يعني ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ (١) قال : قلت إن الله انتزعه منكم إذا خالفتم الحق ، قال الله تعالى : ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ (٢) قال : فأين الله ؟ قلت : الكتاب ، قال : فأين الرسول ؟ قلت : السنة .

والمعنى : فإن تنازعتم في شيء أنتم وأمراؤكم فردوا الحكم فيما تنازعتم فيه إلى كتاب الله وسنة رسوله .

ص : **(إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر)** . ش : يعني افعلوا ذلك الذي أمرتكم به إن كنتم تؤمنون بالله فإن طاعته واجبة عليكم ، وتؤمنون بالمعاد الذي فيه جزاء الأعمال .

قال العلماء : في الآية دليل على أن من لا يعتقد وجوب طاعة الله وطاعة الرسول ومتابعة السنة والحكم بالأحاديث الواردة عن النبي ﷺ لا يكون مؤمنًا بالله

---

(١) سورة [النساء : ٥٩] .

(٢) سورة [النساء : ٥٩] .

واليوم الآخر قاله الخازن (١) .

ص : (ذلك) . ش : أي ردكم ما اختلفتم فيه إلى الكتاب والسنة وترككم التجادل

ص : (خير وأحسن تأويلاً) . ش : أي أحمد عاقبة . والعاقبة تسمى تأويلاً لأنها مآل الأمر ، يقال إلى هذا مآل الأمر وتأويله أي عاقبته . قاله الواحدي .

وقال الخازن : وقيل معناه ذلك أي ردكم ما اختلفتم فيه إلى الله ورسوله أحسن تأويلاً منكم وأعظم أجرًا . اهـ .

وفي هذا المعنى تأييد لمذهب السلف الصالحين في الآيات المتشابهات وأن تسليمها إلى الله أحسن وأعظم أجرًا عنده .

الآية السادسة من سورة النساء (٢) أيضًا وهي قوله تعالى :

ص : (فلا) . ش : أي ليس الأمر كما زعموا أنهم آمنوا ويخالفون حكمك ثم استأنف القسم فقال ص : (وربك لا يؤمنون) . ش : وهذا قول بعضهم أن الآية نازلة في قصة اليهودي والمنافق اللذين اختصما وهي متصلة بما قبلها ، والذي قبلها قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ ..﴾ الآية (٣) .

قال المفسرون (٤) : وقع النزاع بين رجل من اليهود ورجل من المنافقين ، فقال اليهودي بيني وبينك أبو القاسم يعني النبي ﷺ وعلم أنه لا يقبل الرشوة ، وقال المنافق بيني وبينك كعب بن الأشرف لأنه علم أنه يأخذ الرشوة ويميل في الحكم ، فاختلفا ثم اتفقا أن يأتيا كاهنًا من جهينة فيتحاكما إليه فأنزل الله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ ..

---

(١) قال ابن العربي في أحكام القرآن (٤٥١/١) في حقيقة الطاعة ، وهي امتثال الأمر ، كما أن المعصية ضدها ، وهي مخالفة الأمر . والطاعة مأخوذة من طاع إذا انقاد ، والمعصية مأخوذة من عصى . وهو اشتد فمعنى ذلك امتثلوا أمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ .

(٢) سورة [النساء : ٦٥] .

(٣) سورة [النساء : ٦٠] .

(٤) عزاه السيوطي لعبد بن حميد وابن جرير عن قتادة [الدر المنثور (١٧٩/٢)] .

وقال آخرون : هذه مستأنفة ، نازلة في قصة أخرى [١] وهي ما أُخبرنا أن الزبير خاصم رجلاً من الأنصار إلى النبي ﷺ في «شراج الحرة» كانا يسقيان به كلاهما فقال النبي ﷺ للزبير : اسق ثم أرسل إلى جارك . فغضب الأنصاري فقال : يا رسول الله أنْ كان ابنَ عمتك ؟ فتلون وجه رسول الله ﷺ ثم قال للزبير : اسق ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر فاستوعى رسول الله ﷺ للزبير حقه [٢] ، وكان النبي ﷺ قبل أشار على الزبير برأي أراد فيه سعة له وللأنصاري ، فلما أحقد الأنصاري رسول الله ﷺ استوعب للزبير حقه في صريح الحكم ثم خرجا فمرّا على المقداد فقال : لمن كان القضاء يا حاطب بن أبي بلتعة ؟ فقال : قضى لابن عمته ، ولوى شدقه ففطن له يهودي فقال : قاتل الله هؤلاء يشهدون أنه رسول الله ويتهمونه في القضاء والله لقد أذنبنا مرة في حياة موسى عليه السلام فقال لنا موسى اقتلوا أنفسكم ففعلنا فقتل سبعون ألف في طاعة ربنا حتى رضي عنا ، فقال ثابت بن قيس : والله لو أمرني محمد أن أقتل نفسي لفعلت ، فأنزل الله في شأن ليه شدقه ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ ..﴾

---

(١) أخرجه البخاري ٤٢- كتاب : (الشرب والمساقاة) ٦- باب : سكر الأنهار (٢٣٥٩) ، مسلم (١٨٢٩/٤) ٤٣- كتاب : (الفضائل) ٣٦- باب : وجوب اتباعه ﷺ رقم ٢٧- (٢٣٥٧) كلاهما عن الزبير بن العوام ، أبو داود (٥١/٤ ، ٥٢) ٨- كتاب : (الأقضية) ٣١- أبواب القضاء رقم (٣٦٣٧) ، الترمذي (٦٤٤/٣) ١٣- كتاب : (الأحكام) ٢٦- باب : ما جاء في الرجلين يكون أحدهما أسفل من الآخر رقم (١٣٦٣) قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ، (٢٢٣/٥) ٤٨- كتاب : (تفسير القرآن) (٥) باب : ومن سورة النساء رقم (٣٠٢٧) ، النسائي ٤٩- كتاب : (آداب القضاء) ٢٧- باب : إشارة الحاكم بالرفق رقم (٥٤٣١) ، ابن ماجه (٣٤/١) المقدمة ٢- باب : تعظيم حديث رسول الله ﷺ والتغليظ على من عارضه رقم (١٠٥) .

(٢) أخرجه البخاري من طرق عن الليث بن سعد عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير كتاب : (المساقاة) باب : سكر الأنهار . رقمي (٢٣٥٩ ، ٢٣٦٠) .

- مسلم كتاب : (الفضائل) باب : وجوب اتباعه ﷺ (٢٣٥٧) . - الترمذي كتاب : (الأحكام) باب : ما جاء في الرجلين يكون أحدهما أسفل من الآخر في الماء رقم (١٣٦٣) . - النسائي (٢٤٥/٨) كتاب (القضاة) باب : إشارة الحاكم بالرفق . - ابن ماجه المقدمة باب : تعظيم حديث الرسول رقم (١٥) ، كتاب : (الرهون) باب : الشرب من الأودية ومقدار حبس الماء رقم (٢٤٨٠) . - البيهقي (١٥٣/٦) ، (١٠٦/١٠) ، الطبري في تفسيره (٩٩١٢) . أحمد في المسند (٤/ ٤ ، ٥) . - وصححه الحاكم في المستدرك (٣٦٤/٣) من طريق محمد بن عبد الله بن مسلم الزهري عن عمه الزهري به - ابن حبان (٢٠٤/١ الإحسان) ١- المقدمة ٢- باب الاعتصام بالسنة رقم (٢٤) .

الآية .

قال عروة : قال الزبير والله ما أحسب هذه الآية أنزلت إلا في ذلك [١] .

والشراج : جمع شرج وهو ميل الماء من الحرة إلى الوادي ذكره الواحدي والخازن .

ص : (حتى يحكموك فيها شجر بينهم) . ش : أي اختلف بينهم واختلط ، ومنه الشجر لتداخل أغصانه قاله البيضاوي .

يقال شاجره في الأمر إذا نازعه مشاجَرة وتشاجرُوا تشاجُرًا واشتجروا وكل ذلك لتداخل كلام بعضهم في بعض عن المنازعة .

ص : (ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضيت) . ش : أي ضيقًا مما حكمت به أو من حكمك أو شكا من أجله ، فإن الشاك في ضيق من أمره .

ص : (ويسلموا تسليما) . ش : وينقادوا لك انقيادًا بظاهرهم وباطنهم ذكره البيضاوي .

وقال الواحدي يعني يرضون بقضائك .

وقيل : لا تضيق صدورهم بقضيتك ويسلموا لما يأتي من حكمك . لا يعارضونه بشيء أي لا يتركون الرضا بحكمك ويتركون التسخط والمنازعة .

الآية السابعة من سورة النساء [٢] أيضًا وهي قوله تعالى :

ص : (وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِنَ النَّبِيِّينَ) . ش : نزلت الآية في ثوبان مولى رسول الله ﷺ كان شديد الحب لرسول الله ﷺ قليل الصبر عنه فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه يعُرف الحزن في وجهه ،

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور (١٨٠/٢) لعبد بن حميد وعبد الرزاق وابن المنذر . وأخرجه من طرق عن الزهري عن عروة بن الزبير عن الزبير أحمد (١٦٥/١) . البخاري كتاب : (المساقاة) باب : شرب الأعلى قبل الأسفل رقم (٢٣٦١) ، باب : شرب الأعلى رقم (٢٣٦٢) ، كتاب : (الصلح) باب : إذا أشار الإمام بالصلح فأبى حكم عليه بالحكم البين (٢٧٠٨) كتاب : (التفسير) باب : ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ رقم (٤٥٨٥) . - الطبري في تفسيره (٩٩١٣) ، البيهقي (١٥٣/٦ ، ١٥٤) ، (١٠٦/١٠) ، البغوي في شرح السنة (٢١٩٤) . وقد صح سماع عروة من أبيه كما في تاريخ البخاري (٣١/٧) ، وفي حديثه في مسند أحمد برقم (١٤١٨) تصريح بسماعه عن أبيه وسنده قوي .

(٢) سورة [النساء : ٦٩] .

فقال له رسول الله ﷺ : «ما غير لونك ؟» قال يا رسول الله ما بي مرض ولا وجع غير أني إذا لم أرك استوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك ، ثم إني إذا ذكرت الآخرة أخاف لا أراك لأنك ترفع إلى عليين مع النبيين ، وإني وإن دخلت الجنة كنت في منزلة هي أدنى من منزلتك وإن لم أدخل الجنة لا أراك أبدًا [١] .

وقيل : إن بعض أصحاب النبي ﷺ قال : كيف يكون الحال وأنت يا رسول الله في الدرجات العلى ونحن أسفل منك فكيف نراك ؟ فأنزل الله هذه الآية ، ذكره الخازن .

وقال الواحدي : إن ناسًا من الأنصار قالوا : يا رسول الله إنك تسكن الجنة في أعلاها ونحن نشتاق إليك فكيف نصنع فنزلت هذه الآية .

وقيل : جاء رجل من الأنصار إلى رسول الله ﷺ وهو يبكي فقال وما يبكيك يا فلان ؟ فقال : يا رسول الله بالله الذي لا إله إلا هو لأنت أحب إليّ من نفسي وأهلي ومالي وولدي ، وإني لأذكرك وأنا في أهلي فيأخذني مثل الجنون حتى أراك [٢] ، وذكرت موتي وأنك ترفع مع النبيين وإني إن دخلت الجنة كنت في منزلة أدنى من منزلتك ، فلم يرد النبي ﷺ شيئًا ، فأنزل الله تعالى ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ﴾ يعني في الفرائض ، ﴿وَالرَّسُولَ﴾ يعني في السنن ﴿فَأُولَئِكَ﴾ يعني المطيعين ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ﴾ أي أنه يستمتع برؤية النبيين وزيارتهم والحضور معهم ، فلا

---

(١) ذكر هذا الحديث الواحدي في كتابه أسباب النزول ص (١٦٨ ، ١٦٩) طبع دار الكتب العلمية بيروت رقم (٣٣٤ م) بدون إسناد .

(٢) كيف ينكر أي منكر مثل هذا وقد قال أبو صخر الهذلي :

وإني لتعروني لذكراك هزة ... كما انتفض العصفور بلله القطر

وروايته كما في شرح أشعار الهذليين (٩٥٧/٢) رقم القصيدة (١١) رقم البيت (٨) صنفه أبو سعيد الحسن بن الحسين السُّكريّ تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، ومحمود محمد شاكر طبع مكتبة دار العروبة بالقاهرة من سلسلة كنوز الشعر رقم (٣)

إذا ذكرت يرتاح قلبي لذكرها ... كما انتفض العصفور بلله القطر

فإذا كان هذا مع بنات حواء فإن رسول الله ﷺ أعظم بملايين المرات منهن . يا سيدى إن الروح لتشتاق والقلب ليعانقك والدمع يخضل اللحى من أجل رؤياك . يا أغلى ما في الوجود بعد الله عز وجل . حن شوقي إليك اللهم ارزقني مجالسته في الآخرة . وصلى الله وسلم على سيدنا محمد ﷺ . (ابن نصار) .

يتوهمن من أجل أنهم في أعلى عليين أنه لا يراهم .

وقال الخازن : «مَن يُطِع الله» في أداء الفرائض واجتناب النواهي [١] «والرسول» أي ويطع الرسول في السنن التي سنها «فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم» يعني بالهداية والتوفيق في الدنيا وبدخول الجنة في الآخرة «من النبيين» يعني أنَّ المطيعين مع النبيين في الجنة لا يفوتهم رؤية الأنبياء في الجنة ومجالستهم لأنهم يكونون في درجتهم لأن ذلك يقتضي التسوية في الدرجة بين الفاضل والمفضول .

ص : (والصّدّيقين) . ش : جمع صديق ، فقيل هو الكثير الصدق ، والصديقون هم أتباع الرسول الذين اتبعوهم على منهجهم بعدهم حتى لحقوا بهم .

وقيل : الصدّيق الذي صدق بكل الدين لا يخالجه فيه شك .

والمراد بالصدّيقين في هذه الآية أفاضل أصحاب رسول الله ﷺ كأبي بكر فإنه هو الذي سمّي بالصدّيق من هذه الأمة ، وهو أفضل أتباع الرسل ، قاله الخازن ، وقال الواحدي : كل من صدق بكل ما أمر الله لا يداخله شك وصدق الأنبياء فهو صديق . وهو قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾ [٢] .

وقيل : الصديقون أول من صدق الأنبياء حين عاينوهم .

ص : (والشهداء) . ش : يعني القتلى في سبيل الله .

وقال الخازن : هم الذين استشهدوا يوم أُحد .

ص : (والصالحين) . ش : جمع صالح وهو الذي استوت سريرته وعلانيته في الخير .

وقيل : المراد بالنبيين هنا محمد ﷺ ، وبالصديقين أبو بكر ، وبالشهداء عمر وعثمان وعلي ، وبالصالحين سائر الصحابة .

وقال الواحدي : والصالحون هم سائر المسلمين .

وقال البيضاوي : ﴿مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ بيان للذين :

---

(١) تلك الطاعة التي يكون فيها موافقة الحبيب لحبيبه . وليس هناك أحب إلى القلب والنفس والروح من سيدنا رسول الله ﷺ .

(٢) سورة [الحديد : ١٩] .

أو حال منه أو من ضميره ، قسمهم أربعة أقسام بحسب منازلهم في العلم والعمل ، وحث كافة الناس على ألا يتأخروا عنهم وهم الأنبياء عليهم السلام الفائزون بكمال العلم والعمل والمتجاوزون حد الكمال إلى درجة التكميل ، ثم الصديقون الذين صعدت نفوسهم تارة بمراقي النظر في الحجج والآيات وأخرى بمعارج التصفية والرياضات إلى أوج العرفان حتى اطلعوا على الأشياء وأخبروا عنها على ما هي عليه ، ثم الشهداء الذين أدى بهم الحرص على الطاعة والجد في إظهار الحق حتى بذلوا منهجهم في إعلاء كلمة الله ، ثم الصالحون الذين صرفوا أعمارهم في طاعة الله تعالى وأموالهم في مرضاته .

ولك أن تقول المُنعَم عليهم هم العارفون بالله تعالى ، وهؤلاء إما أن يكونوا بالغين درجة العيان أو واقفين في مقام الاستدلال والبرهان ، والأولون إما أن ينالوا مع العيان القرب بحيث يكونون كمن يرى الشيء قريبًا وهم الأنبياء عليهم السلام أوْ لا فيكونون كمن يرى الشيء من بُعد وهم الصديقون ، والآخرون إما أن يكون عرفانهم بالبراهين القاطعة وهم العلماء الراسخون في العلم الذين هم شهداء الله في أرضه وإما أن يكون بأماراتٍ وإقناعات تطمئن إليها نفوسهم وهم الصالحون .

ص : **(وحسن أولئك رفيقًا)** (١) . ش : في معنى التعجب . ورفيقًا نصب على التمييز أو الحال ، ولم يجمع لأنه يقال للواحد والجمع كالصّدّيق أو لأنه أريد : وحسن كل واحد منهم رفيقًا .

وقال الواحدي : وحسن أولئك رفيقًا يعني الأنبياء وهؤلاء رفيقًا أي أصحابًا ورفقاء وهم جمع رفيق ، وسمي رفيقًا لارتفاقك به وبصحبته ، ويقال للجماعة في السفر رفقة لارتفاق بعضهم ببعض ، ووحد الرفيق لأن الواحد في التمييز ينوب عن الجماعة نحو قولك هذا أجمل فتى والمعنى هو أجمل الفتيان .

الآية الثامنة من سورة النساء (٢) أيضًا وهي قوله تعالى :

ص : **(من يطع الرسول فقد أطاع الله)** . ش : يريد أن طاعتكم لمحمد ﷺ طاعة لله .

---

(١) سورة [النساء : ٦٩] .
(٢) سورة [النساء : ٨٠] .

وقال الحسن : جعل الله طاعة رسوله طاعته وقامت به الحجة على المسلمين .

وذكر الشافعي في الرسالة [١] في باب [٢] فرض طاعة الرسول هذه الآية وقال : كل فريضة فرضها الله في كتابه كالحج والصلاة والزكاة لولا بيان رسول الله ﷺ . ما كنا نعرف كيف نأتيها ، ولا كان يمكننا أداء شيء من العبادات ، وإذا كان الرسول من الشريعة بهذه المنزلة كانت طاعته على الحقيقة طاعة الله ، ذكره الواحدي .

وقال البيضاوي : لأنه في الحقيقة مبلغ والآمرُ هو الله تعالى .

وقال الخازن : سبب نزول هذه الآية أن النبي ﷺ قال : «من أطاعني فقد أطاع الله ومن أحبني فقد أحب الله» [٣] فقال بعض المنافقين : ما يريد هذا الرجل إلا أن نتخذه ربًا كما اتخذت النصارى عيسى بن مريم ربًا فأنزل الله هذه الآية : ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ﴾ يعني فيما أمر به ونهى عنه ﴿فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ فطاعة الرسول ﷺ طاعة لله لأنه هو آمرٌ به .

الآية التاسعة من سورة النساء [٤] أيضًا وهي قوله تعالى :

ص : (ومن يشاقق الرسول) ش : أي يخالفه . من الشق فإن كلا من المتخالفين في شق غير شق الآخر ، ذكره البيضاوي . نزلت [٥] في طعمة بن أبيرق من بني ظفر بن الحارث من الأنصار سرق درعًا من جار له يقال له قتادة بن النعمان ، وكان الدرع في جراب فيه دقيق ، فجعل الدقيق ينتثر من خرق في الجراب

---

(١) الرسالة للإمام الشافعي ص (٧٩) وما بعدها .

(٢) عنوان الباب بتمامه هو : باب : فرض الله طاعة رسول الله مقرونة بطاعة الله ومذكورة وحدها .

(٣) انظر : ابن أبي شيبة في مصنفه (١٢-٢١٢) كتاب : (الجهاد) (٢١٢٢) باب : ما جاء في طاعة الإمام والخلاف عنه ، الحميدي في مسنده (١١٢٣) ، ابن أبي عاصم في السنة (٢/٥٠٦ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨) .

(٤) سورة [النساء : ١١٥] .

(٥) أخرجه الواحدي في أسباب النزول ص (١٨٣) . سورة النساء (١٦٧) رقم الحديث (٣٦١) والترمذي ٤٨- كتاب : (التفسير) ٤- سورة النساء رقم (٣٠٣٦) مطولاً وقال أبو عيسى : هذا حديث غريب لا نعلم أحدًا أسنده غير محمد بن سلمة الحراني ، وأخرج الحاكم في المستدرك (٤/٣٨٥) مثله ، وصححه وأقره الذهبي .

حتى انتهى إلى داره ثم خبأها عند رجل من اليهود يقال له زيد السمين ، فالتمست الدرع عند طعمة فحلف بالله ما أخذها وما له بها من علم فقال أصحاب الدرع ، لقد رأينا أثر الدقيق حتى دخل داره ،فلما حلف تركوه واتبعوا الدقيق إلى منزل اليهودي فأخذوه منه ، فقال اليهودي : دفعها إليّ طعمة بن أبيرق ، فجحده طعمة فأنزل الله تعالى : ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلاَ تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيماً ... ﴾ إلى آخر الآية [١] ثم حكم رسول الله ﷺ على طعمة بالقطع فخاف على نفسه الفضيحة فهرب إلى مكة كافرًا مرتدًا عن الدين فأنزل الله فيه : ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾ يعني يخالفه في التوحيد والإيمان .

ص : (من بعد ما تبين له الهدى) . ش : ظهر له أن دين الإسلام وأن ما أتى به محمد ﷺ حق وصدق قاله الواحدي .

وقال الخازن : أي وضح التوحيد والحدود وظهر له صحة الإسلام ، وذلك لأن طعمة كان قد تبين له بما أنزل له فيه وأظهر من سرقته ما يدله على صحة دين الإسلام ، فعادى الرسول ﷺ وأظهر الشقاق ورجع عن الإسلام ص : (ويتبع غير سبيل المؤمنين) . ش : أي غير ما هم عليه من اعتقاد وعمل ، ذكره البيضاوي .

وقال الخازن : يعني ويتبع غير طريق المؤمنين وما هم عليه من الإيمان ويتبع عبادة الأوثان . ص : (نوله ما تولى) . ش : أي نجعله واليا لمن تولى من الضلال ونخلّي بينه وبين ما اختاره ، قاله البيضاوي . وقال الخازن : أي نكله في الآخرة إلى ما تولى في الدنيا ونتركه وما اختار لنفسه . ص : (ونصله جهنم) .ش : أي ونلزمه جهنم ، وأصله من الصلا وهو لزوم النار وقت الاستدفاء . ص : (وساءت مصيرا) . ش : يعني وبئس المرجع إلى النار .

وقال البيضاوي : والآية تدل على حرمة مخالفة الإجماع لأنه تعالى رتب الوعيد الشديد على المشاقّة واتباع غير سبيل المؤمنين ، وذلك إما لحرمة كل واحد منهما أو أحدهما أو الجمع بينهما ، والثاني باطل إذ يقبح أن يقال من شرب الخمر وأكل الخنزير استوجب الحد ، والثالث لأن المشاقة محرمة ضُم إليها غيرها أو لم يضم ، وإذا كان اتباع غير سبيلهم محرما كان اتباع سبيلهم واجبًا ؛ لأن ترك اتباع سبيلهم ممن عرف

---

(١) سورة [النساء : ١٠٥] .

سبيلهم اتباع غير سبيلهم .

الآية العاشرة من سورة الأعراف [١] وهي قوله تعالى :

ص : (قال عذابي أصيب به من أشاء) . ش : يعني قال الله عز وجل لموسى عليه السلام : عذابي أصيب به من أشاء من خلقي وليس على اعتراض ؛ لأن الكل ملكي وعبيدي ، ومن تصرف في خالص ملكه فليس لأحد عليه اعتراض ص : (﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾) . ش : يعني أن رحمته تعالى عمت خلقه كلهم البر والفاجر في الدنيا ، وهي للمؤمنين خاصة في الآخرة .

وقيل : للمؤمنين خاصة في الدنيا والآخرة ، ولكن الكافر يرزق ويدفع عنه ببركة المؤمن لسعة رحمة الله تعالى له ، فإذا كان يوم القيامة وجبت للمؤمنين خاصة قاله الخازن .

وقال الواحدي : ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ قال الحسن وقتادة : إن رحمته وسعت في الدنيا البر والفاجر وهي يوم القيامة للمتقين خاصة [٢] .

وقال عطية العوفي : إن الكافر يرزق ويدفع عنه بالمؤمن لسعة رحمة الله للمؤمن

---

(١) سورة [الأعراف : ١٥٦] أخرج أبو يعلى في مسنده (٢/٤٨٣) رقم ٣٣٩- (١٣١٣) عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال . افتخرت الجنة والنار . فقالت النار : أي ربّ ، يدخُلُني الجبابرة والملوك ، والعظماء والأشراف . وقالت الجنّة : يا ربّ ، يدخُلُني الفقراء والضعفاء ، والمساكين ، فقال الله للنار : أنت عذابي أصيبُ بك من أشاء . وقال للجنّة : أنت رحمتي وسعت كُلَّ شيء ، ولكل واحدة منكما ملؤها . فأما النار فيلقى فيها أهلها وتقول : هل من مزيد ؟ حتى يأتيها تبارك وتعالى فتزوى وتقول : قَدْني قَدْني . وأما الجنة فيبقى فيها ما شاء الله أن يبقى ثم ينشىء الله لها خلقًا مما يشاء» وإسناده صحيح ، حماد بن سلمة سمع من عطاء قبل الاختلاط . قال الطحاوي : «وإنما حديث عطاء الذي كان منه قبل تغيره يؤخذ من أربعة لا من سواهم وهم : شعبة ، وسفيان الثوري ،وحماد بن سلمة ، وحماد بن زيد» انظر الكواكب النيـــرات لابن الكيال ص (٣٢٥). وقال حمزة بن محمد الكناني في «أماليه» حماد بن سلمة قديم السماع من عطاء وقال عبد الحق الأشبيلي في «الأحكام» إن حماد ابن سلمة سمع من عطاء بعد الاختلاط كما قاله العقيلي وتعقبه ابن المواق بقوله : لا نعلم من قاله غير العقيلي وقد غلط ، وأخرجه أحمد في المسند (٣/٧٨) من طريق عفان بهذا الإسناد .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٥/١٥٧٨) رقم (٩٠٤٧) أخبرنا محمد بن حماد الطهواني فيما كتب إليّ ، أنبأ عبد الرزاق عن معمر عن الحسن وقتادة يعني قوله : ﴿وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ ... الأثر .

فيعيش فيها فإذا صار إلى الآخرة وجبت للمؤمنين خاصة كالمستضيء بنار غيره إذا ذهب صاحب السراج بسراجه .

ص : (فسأكتبها للذين يتقون) . ش : أي يتركون الكفر والمعاصي ص : (ويؤتون الزكاة) . [1] ش : خصها بالذكر لإنافتها ولأنها كانت أشق عليهم ص : (والذين هم بآياتنا يؤمنون) . [2] ش : فلا يكفرون بشيء منها ص : (الذين يتبعون الرسول النبي) . ش : سماه رسولا بالإضافة إلى الله ونبيًا بالإضافة إلى العباد ص : (الأُمِيَّ) . [3] ش : الذي لا يكتب ولا يقرأ ، وصف به تنبيهًا على أن كمال علمه مع حاله إحدى معجزاته . قاله البيضاوي .

وقال الواحدي : قال قتادة وابن عيينة في قوله : ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ قال إبليس أنا من ذلك الشيء فأنزل الله : ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ..﴾ إلى آخر الآية فتمنتها اليهود والنصارى وقالوا : نحن نؤمن بالتوراة والإنجيل ونؤدي الزكاة ، فاختلسها الله من إبليس واليهود والنصارى وجعلها لهذه الأمة خاصة فقال : «الذين يتبعون الرسول النبي الأمي» وهو نبيكم كان أميا لا يكتب .

[ذكر النبي ﷺ في التوراة والإنجيل]

ص : (الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل) . ش : يجدون نعته ونبوته وأمره .

---

(١) أخرج ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٥/١٥٨٠ ، ١٥٨١) ٩٠٦٠- عن ابن عباس قوله : «الزكاة» يعني : بالزكاة طاعة الله والإخلاص . ٩٠٦١- عن ابن عباس في قوله : «والزكاة» قال : ما يوجب الزكاة ، قال : مائتين فصاعدا .

(٢) سورة [الأعراف : ١٥٧] أخرج ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٥/١٥٨١) (٨٣٣) عن قتادة قوله : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ فتمنتها اليهود و النصارى فأنزل الله عز وجل شرطًا وثيقًا بينًا فقال : ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ﴾ .

(٣) أخرج ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٥/١٥٨١) عن ابن عباس قوله : ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ الذين يتبعون محمدًا ﷺ .

وقوله تعالى الأمي (٨٣٣٤) أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/١٥٨١) عن قتادة قوله : ﴿الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ﴾ هو نبيكم ﷺ كان أميًا لا يكتب (٨٣٣٥) ، وأخرج عن إبراهيم قوله : ﴿النَّبِيَّ الأُمِّيَّ﴾ قال : كان يقرأ ولا يكتب .

عن الصلصال [١] قال : كنا عند رسول الله ﷺ يوما فقال لنا : «إن عبادة بن الصامت عليل ، امضوا بنا لنعوده» فوثب ﷺ وأمّنا واتبعناه فاجتاز في طريقه برجل من اليهود يمرض ابنًا له فمال إليه فقال : يا يهودي هل تجدونني عندكم مكتوبًا في التوراة ؟ فأومأ إليه اليهودي برأسه يُعْلمه أنهم لا يجدونه عندهم في التوراة مكتوبًا ، فقال ابن اليهودي : والله يا رسول الله إنهم يجدونك عندهم في التوراة مكتوبًا ولقد طلغت وإن في يده لسفرًا من التوراة يقرأ فيه صفتك وصفة أصحابك ، وذكرك فلما رآك ستره عنك فإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله فكانت آخر ما تكلم به الغلام حتى قضى نحبه ، فقال رسول الله ﷺ : أقيموا على أخيكم حتى تقضوا حقه ، قال فحلنا بين اليهودي وبينه وتولينا أمره حتى واريناه وانصرفنا [٢] .

وقال الخازن : المراد بالذين يتبعون الرسول جميع أمته الذين آمنوا به واتبعوه سواء كانوا من بني إسرائيل أو غيرهم .

وأجمع المفسرون على أن المراد بالرسول محمد ﷺ وصفته بكونه رسولاً لأنه الواسطة بين الله تعالى وبين خلقه المبلّغ رسالاته وأوامره ونواهيه وشرائعه إليهم ، ثم وصفه بكونه نبيًّا ، وهذا أيضاً من أعلى المراتب وأشرفها ، وذلك يدل على أنه رفيع القدر عند الله المُخبر عنه ، ثم وصفه بالأمي قال ابن عباس : هو نبيكم ﷺ كان أميًّا لا يكتب ولا يقرأ ولا يحسب [٣] .

---

(١) الصلصال بن الدلهمس ، أبو الغضنفر انظر ترجمته :
الثقات (١٩٦/٣) أسد الغابة (٣٣/٣) ، تجريد أسماء الصحابة (٢٦٨/١) ، الإصابة (٤٤٥/٣) ، الاستيعاب (٧٣٩/٢) .

(٢) الحديث أخرجه ابن الأثير في أسد الغابة (٣٣/٣) رقم (٢٥٢٩) روى على بن سعيد ، عن محمد ابن الضوء بن الصلصال بن الدلهمس بن جندلة بن المحتجب بن الأغر بن الغضنفر بن تميم بن ربيعة ابن نزار بن سعد عن أبيه الضوء ، عن أبيه الصلصال بن الدلهمس .... الحديث .
وقال : وهذا غريب الإسناد والنسب ، وهو كما تراه أخرجه ابن منده وأبو نعيم .

(٣) أخرج ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (١٥٨١/٥) رقم (٨٣٣٤) . حدثنا محمد بن يحيى ، أنبأ العباس بن الوليد ، ثنا يزيد ، عن سعيد ، عن قتادة قوله : «الرسول النبي الأمي» هو نبيكم كان أميًّا لا يكتب .

قال الزجاج [١] في معنى الأمي : هو الذي على صفة أمة العرب لأن العرب أكثرهم لا يكتب ولا يقرأ ولا يحسب، والنبي ﷺ كان كذلك ولهذا وصفه الله تعالى بكونه أُمّيًا. وصح في الحديث أنه ﷺ قال: «نحن أُمة أُمية لا تكتب ولا نحسب» [٢]

قال أهل التحقيق : وكونه ﷺ كان أُميًا من أكبر معجزاته وأعظمها وبيانه أنه ﷺ أتى بهذا الكتاب العظيم الذي فيه علم الأولين والآخرين والمغيبات ، وأعجز الخلائق بفصاحته وبلاغته ، وكان يقرأه عليهم بالليل والنهار من غير زيادة فيه ولا نقصان منه ولا تغيير فدل ذلك على معجزته ، وهو قوله تعالى : ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ﴾ . وقيل : إنه لو كان يحسن الكتابة ثم إنه أتى بهذا القرآن العظيم لكان متهمًا فيه لاحتمال أنه كتبه ونقله عن غيره ، فلما كان أُميًا وجاء بهذا الكتاب العظيم دلّ على كونه معجزة له ﷺ ، فإن الكتابة تعين الإنسان على الاشتغال بالعلوم وتحصيلها

ثم إنه أتى بهذه الشريعة الشريفة والآداب الحسنة مع علوم كثيرة ، وحقائق دقيقة من غير مطالعة كتب ، ولا اشتغال على أحد فدل ذلك على كونه معجزة له ﷺ .

وقيل في معنى الأمي : الذي هو منسوب إلى أمة كأنه لم يخرج بعد عن وَالدته .

وقيل : سمي أميًا لأنه منسوب إلى أم القرى وهي مكة [٣] .

والذي يجدونه مكتوبًا عندهم يعني يجدون صفته ونعته ونبوته مكتوبة عندهم

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣٨١/٢) ولفظه عنده :
قوله عز وجل ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ الأمي هو على خلقه الأمَّة ، لم يتعلم الكتاب فهو على جبلته .

(٢) أخرجه : الإمام أحمد في المسند (١٢٢/٢) ، (٣٥٥/٥) رقم (٦٠٤١) بتحقيق الشيخ أحمد شاكر طبع دار الحديث القاهرة ط أولى ١٩٩٥ م ، ١٤١٦ هـ . حدثنا هاشم حدثنا إسحاق بن سعيد عن أبيه عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ ...... الحديث بزيادة : « ...... الشهر هكذا وهكذا وهكذا» وقبض إبهامه في الثالثة وهذا إسناد صحيح .

(٣) قال القاضي عياض في كتابه القيم «الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ » (٧٠٤/١) طبع مكتبة الفارابي دمشق ، ومؤسسة علوم القرآن بدمشق . الفصل السادس والعشرون ، معارفه وعلومه ﷺ .
« ..... وهو رجل كما قال الله تعالى : أمي» لم يكتب ، ولم يقرأ ولا عرف بصحبة من هذه صفته ...
ولا نشأ بين قوم لهم علمٌ ، ولا قراءة لشيء من هذه الأمور ، ولا عرف هو قبلُ بشيء منها قال الله تعالى : ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ﴾ الآية وإنما كانت غاية معارف العرب النسب وأخبار أوائلها والشعر والبيان .

يعرفها علماؤهم وأحبارهم . ولكنهم كتموا ذلك وبدلوه وغيروه حسدًا منهم له وخوفًا على زوال رياستهم ، وقد حصل ما كانوا يخافونه ، فقد زالت رياستهم ووقعوا في الذل والهوان .

عن عطاء بن يسار قال : لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت : أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة ؟ ، فقال : أجل إنه موصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن : «يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وحرزًا للأميين ، أنت عبدي ورسولي سميتُك المتوكل ، ليس بفظّ ولا غليظ ولا صخّاب في الأسواق ، ولا يجزي بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضَه الله حتى يقيمَ به الملة العوجاء بأن يقولوا : لا إله إلا الله ، ويفتح به أعينا عُميا ، وآذانًا صمّا ، وقلوبًا غُلفًا» [(١)] .

والصخّاب الكثير الصياح ، ويقال : بالسين المهملة أيضًا .

ص : **(يأمرهم بالمعروف)** . ش : قال ابن عباس : يريد مكارم الأخلاق وصلة الأرحام .

ص : **(وينهاهم عن المنكر)** . ش : عبادة الأوثان وقطع الأرحام .

ولم يكن ﷺ يخصّص أحدًا منهم بعينه على وجه الإغلاظ والتبكيت في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بل كان يليّن الكلام لكل واحد بخصوصه طمعًا في إيمانه وقبوله النصح ويغلظ عليهم من حيث عمومهم بلا تخصيص أحد .

فليكن هكذا طريقة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر من هذه الأمة المحمدية ولا يبتدعون كيفية سيئة بتخصيص أحد بعينه وإن ظهر منكرُه فإن ستره متعين كما كان النبي ﷺ يستر ما هو أبلغ من المعصية وهو الكفر وسنبينه إن شاء الله في موضعه من هذا الكتاب .

ص : **(ويحل لهم الطيبات)** . ش : يعني ما كان يحرمه أهل الجاهلية من البحائر والسوائب والوصائل والحوامي وغيرها .

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٢/٤ ، ٣٤٣ فتح) كتاب البيوع ٥٠ باب : كراهية الصخب في الأسواق رقم (٢١٢٥) ، (٥٨٥/٨ فتح) كتاب : التفسير سورة الفتح ٣ - باب : «إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا» رقم (٤٨٣٨) ، أحمد (١٧٤/٢ ، ٤٤٨) ، (١٧٤/٦ ، ٢٣٦) .- الدارمي (١٦/١) المقدمة ٢ - باب : صفة النبي ﷺ في الكتب قبل مبعثه رقم (٦) .

ص : (ويحرم عليهم الخبائث) . ش : الميتة والدم ولحم الخنزير قاله الواحدي .

وقال البيضاوي : يحل لهم الطيبات مما حُرم عليهم كالشحوم ، ويحرم عليهم الخبائث كالدم ولحم الخنزير أو أكل الرّبا والرشوة .

وقال الخازن : «يأمرهم بالمعروف» يعني بالإيمان والتوحيد وينهاهم عن المنكر يعني الشرك .

وقيل المعروف : ما عرف في الشريعة والسنة ، والمنكر : ما لا يعرف في شريعة ولا سنة ، «ويحل لهم الطيبات» يعني بذلك ما كان محرمًا عليهم في التوراة من الطيبات وهو لحوم الإبل ، وشحم الغنم والمعز والبقر ، وقيل : هو المستلذات التي تستطيبها النفس ، ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ قال ابن عباس : يريد الميتة ولحم الخنزير ، وقيل : هو كل ما يستخبثه الطبع وتستقذره النفس [١] اهـ .

وهذا القول بأن المراد بالخبائث كل ما يستخبثه الطبع وتستقذره النفس يقتضي أن تكون اللام في الخبائث لاستغراق الجنس وهو خلاف الأصل المقرر عند علماء الأصول من أنه متى أمكن حمل اللام على العهد لا يعدل عنه إلى حملها على غيره إلا إذا تعذر . قال في متن «المنار» [٢] في أصول الفقه : إذا دخلت لام المعرفة فيما لا يحتمل التعريف بمعنى العهد أوجبت العموم .

وقال ابن ملك [٣] في شرحه : أي عموم الجنس ، ثم قال : لأن اللفظ الذي تدخل عليه اللام دالّ على الماهية بدون اللام ، فحمل اللام على الفائدة الجديدة أولى من حمله على تعريف الجنس والفائدة الجديدة .

أما تعريف العهد أو استغراق الجنس فتعريف العهد أولى من الاستغراق لأنه إذا

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (١٥٨٣/٥) رقم (٨٣٤٤) حدثنا أبي ، ثنا أبو صالح ، حدثني معاوية بن صالح ، عن على بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله : ويحرم عليهم الخبائث وهو لحم الخنزير ، والربا وما كانوا يستحلون من المحرمات ، من المآكل التي حرم الله .

(٢) منار الأنوار في أصول الفقه للشيخ الإمام أبي البركات عبد الله بن أحمد المعروف بحافظ الدين النسفي المتوفى سنة ٧١٠ [كشف الظنون (١٨٢٣/٢)] .

(٣) «شرح المنار» . المولى عبد اللطيف بن الملك المتوفى سنة (٨٨٥) تقريبًا أوله : الله الحي الأحد .... إلخ وهو شرح مشهور متداول بين الناس عليه حواشي انظر أسماء هذه الحواشي [كشف الظنون (١٨٢٥/٢)] .

ذكر بعض أفراد الجنس خارجًا أو ذهنًا فحمل اللام على ذلك البعض أولى من حمله على جميع الأفراد لأن البعض متيقّن ، وإذا لم يحتمل العهد فالاستغراق مُتعيّن .

وفي «شرح مرقاة الوصول» [١] : اعلم أن الأصل الراجح عند علماء الأصول هو العهد الخارجي لأنه حقيقة التعيين وكمال التمييز ثم الاستغراق لأن الحكم على نفس الحقيقة بدون اعتبار الأفراد قليل الاستعمال جدًّا ، والعهد الذهني موقوف على وجود قرينة البعضية فالاستغراق هو المفهوم من الإطلاق حيث لا عهد في الخارج ا هـ .

وبهذا الاعتبار اقتصر البيضاوي والواحدي كما ذكرنا على القول بأن المراد من الخبائث المعهودة كالدم ولحم الخنزير والميتة والربا والرشوة ونحو ذلك ، فمن أثبت حرامًا جديدًا لم يصب لعدم عمومه حيث تعين لعهد خارجي .

ص : (ويضع عنهم إصرهم) [٢] . ش : يعني ثقلهم ، وأصل الإصر الثقل الذي يأصر صاحبه أي يحبسه عن الحركة لثقله . والمراد بالإصر هنا : العهد والميثاق الذي أُخذ على بني إسرائيل أن يعملوا بما في التوراة من الأحكام وكانت تلك شديدة قاله الخازن . وقال الواحدي : قال الزجاج [٣] : الإصر ما عقدته من عَقْد ثقيل . قال ابن جبير : هو شدة العبادة . ص : (والأغلال التي كانت عليهم) . ش : قال البيضاوي : ويخفف عنهم ما كلفوا به من التكاليف الشاقة ، كتعين القصاص في العمد والخطأ ، وقطع الأعضاء الخاطئة ، وقرض موضع النجاسة . وقال الخازن : يعني ويضع الأثقال والشدائد التي كانت عليهم في الدين والشريعة ، وذلك مثل قتل النفس في التوبة ، وقرض الثوب المتنجس بالمقراض ، وتحريم أخذ الدية ، وترك العمل في السبت ، وأن صلاتهم لا تجوز إلا في الكنائس وتتبع العروق من اللحم ، وغير ذلك

---

(١) «مرقاة الوصول في [إلى] علم الأصول» . متن لمولانا محمد بن فرامرز المعروف بخسرو المتوفى سنة ٨٨٥ هـ ثم شرحها وسماه «مرآة الأصول» وهو شرح لطيف جامع للفوائد المنقولة عن المتقدمين مع زوائد أبدعها خاطره الشريف . قال المولى رياض والأنسب أن يسمى المتن بمرآة الأصول لكونه مؤلفًا فيه والشرح بمرقاة الوصول لإيصال الطالب إلى معناه . وأول المتن حامدًا لمن شيّد أصولاً لإيصال الطالب إلى معناه [كشف الظنون (١٦٥٧/٢)] .

(٢) سورة [الأعراف : ١٥٧] .

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج أبو إسحاق إبراهيم بن السرى توفى سنة (٣١١) (٣٨١/٢) شرح وتحقيق د / عبد الجليل عبده شلبي طبع عالم الكتب بيروت .

من الشدائد التي كانت على بني إسرائيل شبهت بالأغلال مجازًا ، لأن التحريم يمنع من الفعل كما أن الغل يمنع من الفعل .

وقيل : شبهت بالأغلال التي تجمع اليد إلى العنق كما أن اليد لا تمتد مع وجود الغل فكذلك لا تمتد إلى الحرام الذي نهيت عنه . وكانت هذه الأثقال في شريعة موسى عليه السلام ، فلما جاء محمد ﷺ نُسِخَ ذلك كله ، ويدل عليه قوله ﷺ : «بعثت بالحنيفية السهلة السمحة» (١) . ص : **(فالذين آمنوا به)** . ش : أي بمحمد ﷺ . ص : **(وعزروه)** . ش : يعني وقروه وعظموه ، وأصل التعزير : المنع والنصرة ، وتعزير الشيء تعظيمه وإجلاله ودفع الأعداء عنه . ص : **(ونصروه)** . ش : يعني على أعدائه ص : **(واتبعوا النور الذي أنزل معه)** . ش : وهو القرآن الكريم ، سمي نورًا لأن به يستنير قلب المؤمن فيخرج به ظلمات الشك والجهالة إلى ضياء اليقين والعلم ذكره الخازن .

وقال البيضاوي : النور الذي أنزل معه أي مع نبوته يعنى القرآن ، وإنما سماه نورًا لأنه بإعجازه ظاهرًا أمره مظهر غيره ، أو لأنه كاشف الحقائق مظهرٌ لها ، ويجوز أن يكون معه متعلّقا باتبعوه أي واتبعوا النور المنزل مع اتباع النبي فيكون إشارة إلى اتباع الكتاب والسنة . ص : **(أولئك هم المفلحون)** . ش : الفائزون بالرحمة الأبدية .

الآية الحادية عشر عقيب هذه الآية من السورة المذكورة (٢) وهي قوله تعالى :

ص : ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ . ش : الخطاب عام ، وكان رسول الله ﷺ مبعوثًا إلى كافة الثقلين ، وسائر الرسل إلى أقوامهم .

ص : **(جميعًا)** .ش : حال من إليكم قاله البيضاوي .

وقال الخازن : الخطاب للنبي ﷺ ، أي قل يا محمد للناس إني رسول الله إليكم جميعًا لا إلى بعضكم دون بعض ، ففي الآية دليل على عموم رسالته إلى كافة الخلق ، لأن قوله يا أيها الناس خطاب عام يدخل فيه جميع الناس ثم أمره عز وجل بأن

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٥/٢٦٦) ، الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٧/٢٠٩) ، والفقيه والمتفقه له (٢/٢٠٤) وانظر : تفسير القرطبي (١٩/٣٩) تفسير ابن كثير (١/٣١٢ ، ٣/٤٨٩ ، ٤/١٧٨ ، ٥٠٩ ، ٥/٤٥٢) ، الدر المنثور (١/١٤٠ ، ٢٤٩) كنز العمال (٩٠٠ ، ٣٢٠٥٩) .

(٢) سورة [الأعراف : ١٥٨] .

يقول : إني رسول الله إليكم جميعًا وهذا يقتضي كونه مبعوثًا إلى جميع الناس .

ص : (الذي له ملك السموات والأرض) . ش : لما أمر الله تعالى رسوله أن يقول : ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [(١)] . أردفه بما يدل على صحة دعواه ، يعني أن الذي له ملك السموات والأرض وهو مدبرها ومالك أمرها هو الذي أرسلني إليكم وأمرني بأن أقول لكم ذلك . ص : (لا إله إلا هو يحيى ويميت) . ش : فإن من ملك العالم كان هو الإله لا غيره ، وفي يحيى ويميت مزيد تقرير لاختصاصه بالألوهية قاله البيضاوي . وقال الخازن : وصف الله تعالى نفسه بالألوهية وأنه لا شريك له فيها ، وأنه القادر على إحياء خلقه وإماتتهم ، ومن كان كذلك فهو القادر على إرسال الرسل إلى خلقه . ص : (فآمنوا بالله ورسوله) . ش : أمر تعالى جميع خلقه بالإيمان به وبرسوله ، لأن الإيمان به هو الأصل والإيمان برسوله فرعٌ عليه ، فلهذا بدأ بالإيمان بالله ثم ثنى بالإيمان برسوله ، ثم وصفه تعالى فقال ص : (النبي الأمي) . ش : وتقدم معناهما . ص : (الذي يؤمن بالله وكلماته) . ش : قال قتادة : يعني آياته وهي القرآن . وقال مجاهد [(٢)] والسدى : أراد بكلماته عيسى بن مريم لأنه خلق بقوله : كن فكان .

وقيل : هو على العموم ، يعني يؤمن بجميع كلمات الله تعالى ذكره الخازن .

وقال البيضاوي : كلماته ما أنزل عليه وعلى سائر الرسل من كتبه ووحيه .

وقرىء : وكلمته على إرادة الجنس أو القرآن أو عيسى عليه السلام تعريضًا لليهود ، وتنبيهًا على أن من لم يؤمن به لم يعتبر إيمانه ، وإنما عدل عن التكلم إلى الغيبة لإجراء هذه الصفات الداعية إلى الإيمان به والاتباع له . ص : (واتبعوه) . ش : يعني واقتدوا به أيها الناس فيما يأمركم به وينهاكم عنه ، وقيل : المتابعة على قسمين : متابعة في الأقوال ، ومتابعة في الأفعال ، أما المتابعة في الأقوال بأن يمتثل التابع جميع ما يأمر به المتبوع على طريقة الأمر والنهي والترغيب وأما المتابعة في الأفعال : بأن

---

(١) سورة [الأعراف : ١٥٨] .

(٢) مجاهد بن جبير ، وقد قيل : ابن جبير ، مولى عبد الله بن السائب القارىء ، كنيته أبو الحجاج ، وقد قيل : أبو محمد . كان مولده سنة إحدى وعشرين ، وكان من العباد والمتجردين الزهاد مع الفقه والورع ، مات بمكة وهو ساجد سنة اثنتين أو ثلاث ومائة . الثقات (٤١٩/٥) ، الجمع بين رجال الصحيحين (٥١٠/٢) التهذيب (٤٢/١٠) ، التقريب (٢٢٩/٢) ، تاريخ الثقات (٥/٢) .

يقتدي به في جميع أفعاله وآدابه إلا ما خص به ﷺ وثبت الدليل أنه من خصائصه فلا متابعة فيه . ص : (لعلكم تهتدون) . ش : أي ترشدون وتصيبون الحق ، والصواب في متابعتكم إياه قاله الخازن . وقال البيضاوي : جَعَل رجاء الاهتداء أثر الأمرين - يعني الإيمان والاتباع - تنبيهًا على أن من صدقه ولم يتابعه في التزام شرعه فهو بعد في الضلالة .

الآية الثانية عشر : من سورة الأنبياء [١] وهي قوله تعالى :

ص : (وما أرسلناك) . ش : يا محمد ﷺ ص : (إلا رحمة للعالمين) . ش لأن ما بعثت به سبب لإسعادهم وموجب لصلاح معاشهم ومعادهم وقيل : كونه رحمة للكفار آمنهم من الخسف والمسخ وعذاب الاستئصال ذكره البيضاوي .

وقال الخازن : قيل : كان الناس أهل كفر وجاهلية وضلال وأهل الكتابين كانوا في حيرة من أمر دينهم لطول مدتهم وانقطاع تواترهم ووقوع الاختلاف في كتبهم فبعث الله محمدًا ﷺ حين لم يكن لطالب الحق سبيل إلى الفوز والثواب فدعاهم إلى الحق وبين لهم سبيل الصواب وشرع لهم الأحكام وميز الحلال من الحرام ، وقيل : «إلا رحمة للعالمين» أي للمؤمنين خاصة فهو رحمة لهم . وقال ابن عباس : هو عام في حق من آمن ومن لم يؤمن ، فمن آمن فهو رحمة له في الدنيا والآخرة ومن لم يؤمن فهو رحمة له في الدنيا بتأخير العذاب عنه ورفع المسخ والخسف والاستئصال وقال رسول الله ﷺ : «إنما أنا رحمة مهداة» [٢] .

الآية الثالثة عشر من سورة النور وهي قوله تعالى [٣] :

ص : (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) . ش : أي يخالفون أمره بترك مقتضاه ويذهبون سمتًا خلاف سمته وعن لتضمينه معنى الإعراض ويصدون عن أمره دون المؤمنين من خالف عن الأمر إذا صد عنه دونه وحذف المفعول لأن المقصود

---

(١) سورة [الأنبياء : ١٠٧] .

(٢) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب (١١٦٠ ، ١١٦١) البيهقي في دلائل النبوة (١٥٨/١) ، ابن أبي شيبة في مصنفه (٥٠٤/١١) ، الآجري في الشريعة (٤٥٨) وانظر : تفسير ابن كثير (٣٨١/٥) ، مشكاة المصابيح (٢٨٠٠) ، البداية والنهاية (٢٩٩/٦) ، الدر المنثور للسيوطي (٣٤٢/٤) ، ميزان الاعتدال (٧٢١١) ، لسان الميزان (٢٣٣/٥) ، الكامل لابن عدي (١٥٤٦/٤) .

(٣) سورة [النور : ٦٣] .

بيان المخالف والمخالف عنه ، والضمير لله فإن الأمر له في الحقيقة أو للرسول فإنه المقصود بالذكر قاله البيضاوي . وقال الخازن : أي يعرضون عن أمره وينصرفون عنه بغير إذنه وقال العز بن عبد السلام : وقيل : خلافًا عن أمره أي عن أمر الله ، وعن زائدة أو عن أمر النبي ﷺ وقيل : عُدّي بعن لأن معناه يعرضون . ص : (أن تصيبهم فتنة) [1] . ش : أي لئلا تصيبهم فتنة أي بلاء في الدنيا ذكره الخازن ، وقال العز بن عبد السلام : أي محنة في المال والنفس والولد ، أو كفر بأن يفتنوا عن دينهم أو عقوبة أو زلازل وأهوال وتسليط سلطان جائر أو طبع القلوب أو إظهار ما فيها أو فساد فيها أو إسباغ النعم استدراجًا أو قسوة القلب عن معرفة المعروف وإنكار المنكر ، وقيل : الفتنة للعوام والبلاء للخواص . ص : (أو يصيبهم عذاب أليم) . ش : أي وجيع في الآخرة أو هو القتل قاله العز بن عبد السلام .

الآية الرابعة عشر من سورة الأحزاب وهي قوله تعالى :

ص : (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) [2] . ش : أي قدوة صالحة أي اقتدوا به اقتداء حسنًا وهو أن تنصروا دين الله تعالى وتؤازروا رسوله ولا تتخلفوا عنه وتصبروا على ما يصيبكم كما فعل هو إذ كسرت رباعيته وجرح وجهه وقتل عمه وأوذي بضروب الأذى فصبر وواساكم مع ذلك بنفسه فافعلوا أنتم كذلك أيضًا واستنوا سنته قاله الخازن .

وقال البيضاوي : أسوة حسنة خصلة حسنة من حقها أن يؤتسى بها كالثبات في الحرب ومقاساة الشدائد أو هو في نفسه قدوة يحسن التأسي به كقولك في البيضة عشرون منّا حديدا أي هي في نفسها هذا القدر من الحديد .

ص : (لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) . ش : أي ثواب الله أو لقائه ونعيم الآخرة وأيام الله واليوم الآخر خصوصًا ، وقيل : هو كقولك أرجو زيدًا وفضله فإن اليوم الآخر يوم الله بحسب الحكم والرجاء يحتمل الأمل والخوف ولمن كان صلة لحسنة أو صفة لها ذكره البيضاوي .

وقال الخازن : يعني أن الأسوة برسول الله ﷺ لمن كان يرجو الله ، قال

(١) سورة [النور : ١٣] .
(٢) سورة [الأحزاب : ٢١] .

ابن عباس رضي الله عنهما : يرجو ثواب الله واليوم الآخر يعني ويخشى يوم البعث الذي فيه الجزاء .

ص : (وذكر الله كثيرا) . ش : أي في جميع المواطن على السراء والضراء وقال البيضاوي : وقرن بالرجاء كثرة الذكر المؤدية إلى ملازمة الطاعة فإن المؤتسى بالرسول ﷺ من كان كذلك .

الآية الخامسة عشر من سورة الأحزاب أيضًا وهي قوله تعالى [(١)] :

ص : (يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا) . ش : أي للرسل بالتبليغ وقيل شاهدًا على الخلق كلهم يوم القيامة ذكره الخازن ، وقال البيضاوي : على من بعثت إليهم بتصديقهم وتكذيبهم ونجاتهم وضلالهم ، وقال العز بن عبد السلام : شاهدًا لوحدانيتنا ، وقيل : شاهدًا لنا فلا يرى إلا أنا .

ص : (وَمُبَشِّرًا) . ش : برحمتنا أو للمحسنين برضانا وقال الخازن : أي لمن آمن بالجنة .

ص : (وَنَذِيرًا) .ش : لمن كذب بالنار وقال العز بن عبد السلام : ونذيرًا بنقمتنا وللعصاة بعقابنا .

ص : (وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ) [(٢)] . ش : أي إلى الإقرار به وبتوحيده وما يجب الإيمان به من صفاته قاله البيضاوي ، وقال الزجاج [(٣)] : إلى توحيد الله وما يقرب منه وقال العز بن عبد السلام وداعيًا إلى عبادتنا أو داعيًا الخلق إلى بابنا أو شهادة أن لا إله إلا الله أو إلى الطاعة . ص : (بإذنه) . ش : أي بأمره أو بعلمه أو بالقرآن المنزل بإذنه ، وقال البيضاوي : بتيسيره أطلق له يعني الإذن للتيسير من حيث إنه من أسبابه وقيّد بِهِ الدعوة إيذانًا بأنه أمرٌ صعب لا يأتي إلا بمعونة من جناب قدسه .

ص : (وَسِرَاجًا مُنِيرًا) [(٤)] . ش : أي وكتابًا بينًا المعنى أرسلناك شاهدًا ، وذا

---

(١) سورة [الأحزاب : ٤٦] .
(٢) سورة [الأحزاب :٤٦] .
(٣) معاني القرآن وإعرابه (٢٣١/٤) للزجاج أبي إسحاق بن السري ت (٣١١هـ) . شرح وتحقيق الدكتور عبد الجليل شلبي ، طبعة عالم الكتب .
(٤) سورة [الأحزاب : ٤٦] .

سراج منير أي وذا كتاب بين ، وإن شئت كان وسراجًا منصوبًا على معنى داعيًا إلى الله وتاليًا كتابًا بيّنًا قاله الزجاج ، وقال العز بن عبد السلام : «وسراجا» حجة ظاهرة لحضرتنا أو هاديًا لهم إلى أنوارِ الأنس «منيرًا» عليهم ظلمات النفس ، وقيل : أي ذا سراج أي آتيناك سراجًا بعد وقت منير أي تاليًا كتاب الله المنير .

وقال البيضاوي [(١)] : «منيرًا» يستضاءُ به في ظلمات الجهالة ويقتبس من نوره أنوار البصائر وقال الخازن : سماه «سراجًا منيرًا» لأنه جلا به ظلمات الشرك واهتدى به الضالون كما يجلى ظلام الليل بالسراج المنير وقيل : معناه أمد الله بنور نبوته نور البصائر كما يمد بنور السراج نور الأبصار ، ووصفه بالإنارة لأن من السرج ما لا يضيء ، فإن قلت : لم سماه سراجا ولم يسمه شمسا والشمس أشد إضاءة من السراج وأنور ؟ قلت : لأن نور الشمس لا يمكن أن يؤخذ منه شيء بخلاف نور السراج فإنه يؤخذ منه أنوار كثيرة اهـ ، وفيه نظر فإنَّ نور القمرِ مأخوذ من نور الشمس ، وكذلك أنوار النجوم على رأي البعض ، ولا يبعد أن يكون معنى السراج المنير هنا الشمس فإن الله تعالى قال : ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ فيكون سماه شمسا منيرة ، ولم يؤنث الوصف باعتبار لفظ السراج فإنه مذكر .

الآية السادسة عشر من سورة الأحزاب أيضًا وهي قوله تعالى [(٢)] :

ص : (ومن يطع الله ورسوله) . ش : في الأوامر والنواهي .

ص : (فقد فاز فوزًا عظيمًا) .ش : يعيش في الدنيا حميدًا ، وفي الآخرة سعيدًا قاله البيضاوي ، وقال الخازن : أي ظفر بالخير العظيم .

الآية السابعة عشر من سورة الحشر وهي قوله تعالى :

ص : (وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ) [(٣)] . ش : أي من مال الغنيمة قاله الخازن ، وقال الواحدي من الفيء فخذوه فهو لكم حلال . وقال البيضاوي : وما أعطاكم من الفيء أو من الأمر فخذوه لأنه حلال لكم أو فتمسكوا به لأنه واجب الطاعة .

---

(١) تفسير البيضاوي ص (٥٦٠) .

(٢) سورة [الأحزاب : ٧١] .

(٣) سورة [الحشر : ٧] .

ص : (وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا) . ش : أي من الغلول وغيره وهذا نازل في أموال الفيء وهو عام في كل ما أمر به النبي ﷺ أو نهى عنه من قول أو عمل من واجب أو مندوب أو مستحب أو نهي عن محرم فيدخل فيه الفيء وغيره ، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال : «لعن الله الواشمات والمتوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله» فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب ، وكانت تقرأ القرآن فأتته فقالت : ما حديث بلغني عنك أنك قلت : كذا وكذا وذكرته فقال عبد الله : ومالي لا ألعن من لعنه رسول الله ﷺ وهو في كتاب الله فقالت المرأة : لقد قرأت لوحي المصحف فما وجدته فقال : إن كنت قرأتيه لقد وجدتيه قال الله عز وجل : ﴿وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [1] ذكره الخازن .

ص : (واتقوا الله) . ش : في مخالفة رسوله .

ص : (إن الله شديد العقاب) . ش : لمن خالف قاله البيضاوي وقال الخازن : أي على تركك ما أمركم به رسول الله ﷺ ونهاكم عنه .

والدليل على الاعتصام بالسنة أيضًا . ص : (الأخبار) ش : أي الأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ وهي عشرون حديثًا .

الحديث الأول . ص : (د) . ش : يعني روى أبو داود [2] بإسناده . ص :

---

(١) الحديث : متفق عليه أخرجه البخاري (١٨٥٣/٤ طبع دار ابن كثير) ٦٨- كتاب : (التفسير) سورة الحشر ٣٦٤- باب : وما آتاكم الرسول فخذوه رقم (٤٦٠٤) مسلم كتاب : (اللباس والزينة) باب : تحريم فعل الواصلة والمستوصلة رقم (٢١٢٥) - أبو داود (٧٧/٤ ، ٧٨) كتاب : (الترجل) باب : في صلة الشعر رقم (٤١٦٩) - البيهقي (٣١٢/٧) ، أحمد (٤٣٤/١) .

(٢) أخرجه أبو داود (٢٠٠/٤ ، ٢٠١) كتاب : (السنة) ٦- باب : لزوم السنة رقم (٤٦٠٧) من طريق الإمام أحمد بن حنبل ، الترمذي (٤٤/٥) كتاب : (العلم) باب : ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع رقم (٢٦٧٦) ، ابن ماجه المقدمة باب : اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين رقم (٤٢ - ٤٤) ، وابن جرير في جامع البيان (٢١٢/١٠) ، الدارمي (٥٧/١) المقدمة ١٦- باب : اتباع السنة رقم (٩٥) البغوي في شرح السنة (٢٠٥/١) رقم (١٠٢) ، محمد بن نصر في السنة ص (٢١ ، ٢٢) الآجرى في الشريعة ص (٤٦ ، ٤٧) ، ابن حبان (٤٥- الإحسان) الطبراني (١٨/ ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٧) ، المعجم الأوسط رقم (٦٦) ابن عبد البر في جامع بيان العلم (٢٢٢/٢ ، ٢٢٤) الخطيب في موضح أوهام الجمع والتفريق (٤٢٣/٢) ، الفقيه والمتفقه له (١٧٦/١ ، ١٧٧) .... =

(عن العرباض) .ش : بعين مهملة مكسورة وباء موحدة واصلة الطويل . ص : (بن سارية رضي الله عنه أنه قال : صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم أقبل علينا بوجهه) . ش : الكريم يعني بعد فراغه من الصلاة كما هو العادة المشروعة في الإمام إذا فرغ من صلاته يستقبل القوم بوجهه مالم يكن خلفه مسبوق فينحرف إلى اليمين قبلة أو يسارها .

ص : (فوعظنا) . ش : من الوعظ وهو النصح والتذكير بالعواقب . ص : (موعظة) . ش : تنكيرها للتعظيم . ص : (بليغة) . ش : من البلاغة قال في «القاموس» [(١)] : بالغ مبالغة وبلاغًا إذا اجتهد ولم يقصر ، والبليغ الفصيح يبلغ بعبارته كنه ضميره بلغ ككرم والبلاغة في علم المعاني : مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحة كلماته . ص : (ذرفت منها العيون) .ش : أي سال دمعها من البكاء قال في (القاموس) [(٢)]: ذرف الدمع يذرف وذرفت عينه سال دمعها . ص : (ووجلت) ش : أي خافت وخشيت . ص : (منها القلوب فقال رجل :) .ش : ممن حضر من الصحابة رضي الله عنهم من كثرة ما رأى من اجتهاد النبي ﷺ في تلك الموعظة واهتمامه بها وزيادة التخويف والتهويل فيها والتقريع للمخالف لها . ص : (يا رسول الله كأن هذه الموعظة موعظة مودع) . ش : أي رجل مودع قومه يريد أن يرحل عنهم فيعظهم قبل ارتحاله بها يعلم أنهم محتاجون إليه بعده غاية الاحتياج ويوصيهم

= البيهقي (١٠/١١٤) ، دلائل النبوة له (٦/٥٤١ ، ٥٤٢) ، الاعتقاد ص (١١٣) ، المدخل إلى السنن ص (١١٥ ، ١١٦) وابن وضاح في البدع ص (٢٣ ، ٢٤) ، أبو نعيم في الحلية (٥/٢٢٠ ، ٢٢١) (١٠/ ١١٤ ، ١١٥) الطحاوي في مشكل الآثار (٢/٩٦) ، الهروي في ذم الكلام (٦٩/ ١-٢) ، ابن عساكر في تاريخ دمشق (١١/ ٢٦٥ ، ١- ١/٢٦٦) ، أحمد بن منيع المسند كما في مخطوط المطالب العالية (٣/٨٩) ، الضياء المقدسي في جزء «اتباع السنن واجتناب البدع» (ق ١/٧٦) وصححه من طرق كثيرة عن العرباض بن سارية رضي الله عنه . وقال الترمذي : «حديث حسن صحيح» . وقال الهروي : «وهذا من أجود حديث في أهل الشام» وقال البزار : «حديث ثابت صحيح» ، وقال البغوي : حديث حسن . وقال ابن عبد البر : حديث ثابت . وقال الحاكم في المستدرك (١/٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧) : صحيح ليس له علة ووافقه الذهبي . وقال أبو نعيم : هو حديث جيد من صحيح الشاميين .

(١) القاموس المحيط (٣/١٠٣) .

(٢) القاموس المحيط (٣/١٤٦) .

وينصحهم ويخوفهم ويقرعهم ، ويحذرهم من المخالفة حرصًا عليهم أن يضلوا بعده ، ومنه قوله ﷺ : «صل صلاة مودع» الحديث أخرجه السيوطي في «الجامع الصغير» [١] يعني صل صلاة رجل يعلم أنه لا يعيش حتى يصلي بعدها صلاة أخرى ، والمراد استفراغ الجهد في إتقان الصلاة بمراعاة حقوقها المشروعة لها كلها من غير زيادة ولا نقصان .

وفي الحديث : إشارة إلى أن الواعظ ينبغي له في وقت وعظه أن يستفرغ جهده في نصح الحاضرين عنده ولا يترك فائدة يعلم أنهم محتاجون إليها إلى مجلس آخر لعدم القطع بالحياة إلى المجلس الآخر ، وأنه يجوز له التخويف والتقريع أحيانًا على مقتضى الحال من غير أن يتكلف ذلك ولا يعتاده كما كان يفعل النبي ﷺ في وقت دون وقت . ص : (فماذا تعهد إلينا) . ش : أي توصينا به قال في «القاموس» [٢] العهد الوصية من عهد إليه أوصاه .

ص : (قال) . ش : ﷺ .

ص : (أوصيكم) . ش : معاشر المؤمنين .

ص : (بتقوى الله) . ش : تعالى أي الاحتراز منه في الاعتقاد والقول والعمل والسكوت فلا يعتقد أحدكم ولا يقول ولا يعمل إلا بما يعلم أن الله تعالى يرضى به ولا يسكت إلا عما يعلم أنه يرضى به تعالى أيضًا ويتجنب ما يسخطه تعالى اعتقادًا وقولاً وعملاً وينكره مطلقًا من غير تعيينه في أحد مع ستر ما يرى من عورات المسلمين عنه وعن غيره بالتأويل والحمل على المحامل الحسنة .

وفي لفظ التقوى الوارد في الكتاب والسنة إشارة إلى أن المتقي هو : المحترز من ذلك على حسب قدرته وطاقته كما قال الله تعالى : ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ

---

(١) عزاه السيوطي لأبي محمد الإبراهيمي في كتاب : الصلاة ، وابن النجار [كنز العمال (١٦/ رقم ٤٤٣)] عن ابن عمر وانظر فيض القدير للمناوي (٣٧٢١/٨) رقم (٥٠٠٧) طبع مكتبة نزار مصطفى الباز .

- وعزاه الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٢٩/١٠) باب : «جامع في المواعظ» للطبراني في الأوسط . وفيه من لا أعرفهم وبقيته : «فإنك إن كنت لا تراه فإنه يراك وأيس مما في أيدي الناس تكن غنيا ، وإياك وما يعتذر منه» .

(٢) القاموس المحيط للفيروز آبادي (٣٣١/٢) .

وُسْعَهَا﴾ [١] فلا يمنع من التقوى وقوع المؤمن في زلة في بعض الأوقات من غير إصرار عليها ولا اهتمام بفعلها ولا يشترط في المتقي أن يكون دائم العصمة كالأنبياء عليهم السلام . ص : (والسمع) . ش : أي لمن يتكلم عليكم من ولاة الأمور بمعنى الامتثال كقوله تعالى : ﴿وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ﴾ [٢] أي احسسنا بالكلام بحاسة آذاننا وهم لا يمتثلون معنى ذلك الكلام كما يقال : فلان سمع من فلان أي امتثل كلامه ، وليس المراد الإحساس بحاسة الأذن فقط ، والمناسب أن يكون هذا هو المراد بالسمع لولاة الأمور فيما أمروا به

ص : (والطاعة) . ش : لهم أيضًا فيما نهوا عنه إذا لم يكن فيما أمروا به أو نهوا عنه معصية الله تعالى كما قدمنا وهذا الامتثال لهم في أمرهم ونهيهم على طريقة الوجوب لأنهم نواب الشرع وهذه وصية نبوية جامعة لنفع الآخرة بذكر التقوى ولنفع الدنيا بذكر السمع والطاعة للولاة وإن كانت التقوى أعم فهو من عطف الخاص على العام للتأكيد والاهتمام .

ص : (وَإِنْ كَانَ) . ش : والى أمركم الآمر الناهي لكم . ص : (عَبْدًا) . ش : أي رقيقًا استعمله الإمام الأعظم عليكم أميرًا إمارة خاصة أو عامة .

ص : (حَبَشِيًّا) . ش : أي منسوبًا إلى الحبشة وهم جيل من السودان ذكرهم دون غيرهم لكثرتهم وشهرتهم بالخدمة في بلاد الحجاز أيام العرب وإلى الآن ، وفي حديث «الجامع الصغير» [٣] قال رسول الله ﷺ «اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة» قال «الشارح المناوي [٤] بزاي مفتوحة حبة عنب سوداء حالاً أو صفة لعبد مشبهًا رأسه بالزبيبة في السواد والحقارة وقباحة الصورة أو في الصغر يعني وإن كان صغير الجثة حتى كأن رأسه زبيبة ، وقد يضرب المثل بما لا يكاد يوجد

---

(١) سورة [البقرة : ٢٨٦] .

(٢) سورة [الأنفال : ٢١] .

(٣) عزاه للبخاري وابن ماجه وأحمد . أخرجه البخاري ١٠ - كتاب (الأذان) ٥٦- باب : إمامة المفتون والمبتدع رقم (٦٩٦) ، ٩٣- كتاب : (الأحكام) ، ٤ - باب : السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية رقم (٧١٤٢) عن أنس بن مالك ، ابن ماجه (٣/٣٩٥) ٢٤- كتاب (الجهاد) ٣٩- باب طاعة الإمام رقم (٢٨٦٠) .

(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير (٢/١٠٠٩) حديث (١٠٣٩) .

تحقيرًا لشأن الممثل له ، واستدل بهذا الحديث على أن الإمام إذا أمر بعض رعيته بالقيام ببعض الحرف والصنائع من زراعة وتجارة وعمل أنه يتعين على من عينه لذلك وينتقل من فرض الكفاية إلى فرض العين عليه بتعيين الإمام قال «الزين العراقي» [١]

حتى قال بعض شيوخنا في الفلاحين المقررين لزراعة البلدان : إنه أمر شرعي بتقرير الإمام ذلك عليهم نعم إن تعدى عليهم وألزموا بما لا يلزمهم من إيجار الأرض بغير رضاهم لم يجز ، لكن يكونوا كالعمال يعملون ويستحقون أجر المثل ا هـ . ومراده القيام ببعض الحرف والصنائع لأنفسهم ولبقية الرعية لا لولى الأمر فقط بأن أمرهم أن يصنعوا له شيئًا بلا أجرة أو سخرهم في عمل مطلقًا من غير أجرة فإنه ظلم محض لا يجب عليهم إطاعته في شيء منه أصلاً وإنما يجوز لهم ذلك ويؤجرون عليه إذا أكرههم فخافوا من شره ، وربما يجب عليهم ذلك خوفًا على أنفسهم من شره إذا تحققوا منه وقوع ما هددهم به وهي مسألة الإكراه التي ذكرها الفقهاء إلا مسألة طاعة ولي الأمر .

ص : **(فإنه)** . ش : أي الشأن .

ص : **(من يعش منكم فسيرى)** . ش : في هذه الأمة من ولاة الأمر وغيرهم .

ص : **(اختلافًا كثيرًا)** . ش : وهذا إخبار منه ﷺ بما يقع في أمته بعده من كثرة الاختلاف أولاً في أمر الخلافة كما وقعت الحروب على ذلك في زمان علي ومعاوية رضي الله عنهما واختلف اجتهاد الصحابة رضي الله عنهم في ذلك وإن كانوا كلهم مثابين عليه وإن أخطأ بعضهم لعدم دخول حظوظ أنفسهم فيه بل إنَّما كان ذلك منهم نصرة للدين ثم كثرت الحروب بعد ذلك والاختلافات بين ملوك الإسلام والأمراء في غالب الأزمان إلى هذا الأوان واختلفت العلماء أيضًا في أمور الدين وافترقت منهم الأقوال والأعمال والاعتقادات وذهبوا في الأصول والفروع إلى مذاهب كثيرة وكل هذا

---

(١) عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم الكردي ، الرازناني ، المهراني ، زين الدين ، أبو الفضل ، محدث ، حافظ ، فقيه ، أصولي ، أديب ، لغوي ، مشارك في بعض العلوم ولد في جمادى الأولى ، ورحل إلى دمشق ، وحلب ، والحجاز ، والإسكندرية ، وأخذ عن جماعة من العلماء ، وتوفى بالقاهرة في ٢ شعبان .

من مؤلفاته : نظم الدرر السنية في السيرة الزكية ، الباعث على الخلاص من حوادث القصاص ، المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار . انظر : معجم المؤلفين (٥/٢٠٤) ، تذكرة الحفاظ (١/٢٨) ، البدر الطالع (١/٢٠٤) ، هدية العارفين (١/٥٦٢) .

في إشارة خبره ﷺ .

ص : (فعليكم) . ش : أي الزموا يقال عليك زيدًا أي الزمه ، وتزاد الباء للتأكيد كما تزاد في خبر ليس فيقال عليك بزيد كما يقال ليس زيد بقائم . ص : (بسنتي) . ش : وهي اسم لأقواله عليه السلام وأفعاله واعتقاداته وأخلاقه [١] وسكوته عند قول الغير أو فعله كما مر وأصلها الطريقة في الدين مرضية كانت أو غير مرضية .

ص : (وسنة الخلفاء) . ش : جمع خليفة قال في (القاموس) [٢] : الخليفة السلطان الأعظم ويؤنث كالخليف وجمعه خلائف وخلفاء وخلفه خلافة كان خليفته وبقي بعضه وذكر المناوي في (شرح الجامع الصغير) قال الراغب : الخلافة النيابة عن الغير لغيبة المنوب عنه أو موته أو عجزه أو تشريف المستخلف وعلى الأخير استخلف الله أولياءه في الأرض ا هـ .

فالمراد من الخلفاء هنا الصحابة الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم وربما يراد بعدهم كل خليفة موصوف بما وصفهم به النبي ﷺ في هذا الحديث حيث قال : ص : (الراشدين) . ش : رشد كنصر وفرح رُشدًا ورَشدًا ورشادًا اهتدى كاسترشد واسترشد طلبه والرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه كذا في «القاموس» [٣] وهم العالمون العاملون المخلصون الثابتون على ذلك إلى موتهم .

ص : (المهديين) . ش : بصيغة اسم المفعول أي الذين هداهم الله تعالى فاهتدوا أي دلهم وأوصلهم إلى مقام قربه وألجأهم إلى حضرة الأنس به سبحانه فأدخلهم مدخل صدق إلى مقام شهوده ومعرفته العيانية وأخرجهم مخرج صدق من رؤية ما سواه .

ص : (تمسكوابها) . ش : أي بكل واحدة من سنتي وسنة الخلفاء المذكورين .

ص : (وعضوا عليها) . ش : أي على كل واحدة من السنتين وأفرد الضمير فيها

---

(١) سُنّةُ رسول الله ﷺ واجبة الاتباع لأنها من مصادر التشريع الإسلامي وقد نص القرآن الكريم على وجوب اتباعها فقال تعالى : ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ .

(٢) القاموس المحيط (٣/١٤٠ - ١٤٢ خلف) باب الخاء فصل الفاء .

(٣) القاموس المحيط (١/٣٠٥ رشد) باب : الدال فصل الراء .

إشارة إلى أن سنة الخلفاء بعده هي سنته أيضًا لأنهم سنوها من شريعته إرشادًا وهداية للقاصرين إلى طريقته ﷺ لا من قبل نفوسهم لتمشية أغراضها .

ص : بالنواجِذ ش : وهي أقصى الأضراس وهي أربعة أو هي الأنياب أو التي تلي الأنياب أو هي الأضراس كلها جمع ناجذ والنجذ شدة العض بها كذا في «القاموس» [١] . والمعنى احتفظوا على ذلك بكمال قدرتكم وطاقتكم واحرصوا عليه بمنزلة من يمسك شيئًا بأسنانه وأضراسه ويعض عليه فإنه لا يسقط من فمه مادام كذلك وشبه المتمسك بالسنة في آخر الزمان بالماسك على الشيء بأسنانه وأضراسه إشارة إلى أن ذلك متعب جدًا ومانع من الكلام والأكل والشرب والتنفس إلا بكلفة ومشقة فإن من أمسك شيئًا بأسنانه كان حاله هكذا وإذا لم يتكلف له كان سريع التفلت منه ومثله المتمسك بالسنة في آخر الزمان لا يقدر على الكلام الحق إلا بمشقة كلية ولا يقدر أيضًا على الأكل الحلال والشرب الحلال كذلك لإتلاف الظلمة أموال المسلمين بغصبها وإنفاقها حتى التنفس المريح لجسده لا يقدر عليه أيضًا بين المبتدعة أهل الجهل المركب لعداوتهم له وتضييقهم في أموره إلا بجهد جهيد .

ص : (وإيَّاكُم وَمُحْدثَاتِ الأمورِ) . ش : كلاهما منصوب بفعل مضمر أي باعدوا واحذروا الأخذ بالأمور المحدثة في الدين واتباع غير سنن الخلفاء الراشدين .

ص : (فَإِنَّ كُلَّ) . ش : أمر . ص : (مُحْدث) . ش : في الدين على خلاف ما كان عليه النبي ﷺ وكانت عليه الخلفاء الراشدون من بعده إلى يوم القيامة فهو . ص : (بِدْعَة) . ش : بالكسر وهي الحدث في الدين بعد الإكمال وما استحدث بعد النبي ﷺ من الأهواء والأعمال جمعه بدع كعنبٍ كذا في «القاموس» [٢] واختصت البدعة هنا بالدين إذ البدعة في غير الدين كبدع العادات غير مرادة هنا كما سيأتي بيانه . ص : (وكل بدعةٍ) . ش : في الدين . ص : (ضلالة) . ش : يضل بها مبتدعها والعامل بها عن الصراط المستقيم . ص : (وكل ضلالة) ش : يضل بها منشئها والعامل بها . ص : (في النار) . ش : أي كائنة في نار جهنم والمعنى كون

---

(١) وتحرير العبارة كما في القاموس المحيط (٣٧٣/١ نجذ) «النواجذُ» أقصى الأضراس وهي أربعة أو هي الأضراس كلها جمع ناجذ والنجذ شدة العض بها والكلام الشديد وعض على ناجذه بلغ أشده والمنجذ كمعظم المجرب والذي أصابته البلايا والمناجذ .

(٢) القاموس المحيط (٣/٣ بدع) باب : العين فصل الباء .

صاحبها في النار ولكن أريد المبالغة بأن نفس البدع في النار مع أنها لم تظلم هي وإنما ظلم بها صاحبها نفسه نظير قوله تعالى : ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ﴾ قال البيضاوي : وإذا الموؤدة المدفونة حية وكانت العرب تئد البنات مخافة الإملاق أو لحوق العار بهم من أجلهن سئلت بأي ذنب قتلت تبكيتًا لوائدها كتبكيت النصارى بقوله تعالى لعيسى «أأنت قلت للناس» اهـ . وهذا الحديث المذكور أخرجه الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي بنوع تغيير يسير في «كتاب المدخل» (١) بإسناده إلى عبد الرحمن بن عمرو السلمي وحجر بن حجر قالا أتينا العرباض بن سارية وهو ممن نزل فيه : ﴿وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ فسلمنا فقلنا أتيناك زائرين وعائدين ومقتبسين فقال العرباض صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال قائل : يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا ؟ فقال : «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة ، وإن عبد حبشي فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا وعليكم بسنتي ، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة» .

الحديث الثاني

ص : (دت) . ش : يعني روى أبو داود والترمذي بإسنادهما . ص : (**عن المقداد رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله ﷺ : ألا**) ش : بفتح الهمزة وتخفيف اللام أداة استفتاح وتنبيه كما مر . ص : (**إني أوتيت**) . ش : أي أتاني الله تعالى . ص : (**الكتاب**) . ش : وهو القرآن العظيم . ص : (**ومثله معه**) . ش : وهو السنة النبوية فإن الله تعالى أتاه إياها أيضًا كما أتاه الكتاب قال الإمام البيهقي في «المدخل»: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، أخبرنا الربيع بن سليمان ، أخبرنا الشافعي رحمه الله تعالى قال : وسنة رسول الله ﷺ من

---

(١) أخرجه أبو داود كتاب : (السنة) باب : في لزوم السنة رقم (٦٠٧) ، الترمذي كتاب : (العلم) باب : ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع (٢٦٧٦) ، ابن ماجه المقدمة باب : اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين (٤٢- ٤٤) ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢١٢/١٠) ، ابن حبان [(١٠٤/١) رقم (٥٤) الإحسان] .

ثلاثة أوجه أحدها : ما أنزل الله فيه نص كتاب فسن رسول الله ﷺ بمثل نص الكتاب ، والثاني : ما أنزل الله فيه جملة كتاب فبين عن الله معنى ما أراد بالجملة وأوضح كيف فرضها أعامًا أم خاصًا ، وكيف أراد أن يأتي به العباد والثالث : ما سن رسول الله ﷺ مما ليس فيه نص كتاب فمنهم من قال جعل الله له بما افترض من طاعته وسبق في علمه من توفيقه لرضاه أن يسن فيما ليس فيه نص كتاب ومنهم من قال لم يسن سنة قط إلا ولها أصل في الكتاب كما كانت سنته لتبين عدد الصلاة وعملها عن أصل جملة فرض الصلاة وكذلك ما سن في البيوع وغيرها من الشرائع لأن الله تعالى قال : ﴿لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِنكُمْ﴾ (١) وقال : ﴿وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ (٢) ، فما أحل وحرم فإنما بين فيه عن الله عز وجل كما بين الصلاة ومنهم من قال بل جاءته به رسالة الله جل ثناؤه فأثبتت سنة بفرض الله عز وجل ومنهم من قال ألقى الله في روعه كلما سن ، وسنته الحكمة التي ألقيت في روعه عن الله عز وجل .

وروى البيهقي أيضًا في كتابه المذكور بإسناده إلى عبد الله بن رافع قال سمعت أم سلمة عن النبي ﷺ في قصة الرجلين يختصمان في مواريث وأشياء قد درست فقال «إنما أقضي بينكما برأيي فيما لم ينزل علي فيه» (٣) ، وروى أيضًا بإسناده عن ابن شهاب أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : وهو على المنبر يا أيها الناس إن الرأي إنما كان من رسول الله ﷺ مصيبًا لأن الله عز وجل كان يريه إنما هو من الظن والتكلف ، وذكر البيهقي أيضًا قال : وأمر الله تعالى إياه ﷺ وجهان : **أحدهما** :

---

(١) سورة [النساء : ٢٩] .

(٢) سورة [البقرة : ٢٧٥] .

(٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٦/٦٦) كتاب : (الصلح) باب : ما جاء في التحلل وما يحتج به من أجاز الصلح على الإنكار وبقيته : «... فمن قضيت له بشيء بحجة أراها فاقتطع بها من مال أخيه ظلمًا أتى بها أسطاما في عنقه يوم القيامة فبكى الرجلان وقال كل واحد منهما حقي له يا رسول الله الذي أطلب قال : لا ولكن اذهبا فاستهما وتوخيا ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه ومعنى قوله أساطًا» : هو المسعار حديدة مفتوحة تحرك بها النار . وأخرجه الطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٢/٢٣١) رقم (٧٥٧) ١١٢- باب : بيان مشكل ما روى عنه في أمر الرجلين اللذين كانا اختصما إليه في أشياء قد كان تقادم أمرها وذهب من يعرفها أن يقسماها بينهما وأن يحلل كل واحد منهما بعد ذلك صاحبه ، الدارقطني في سننه (٤/٢٣٨ ، ٢٣٩) البغوي رقم (٢٥٠٨) .

وحي ينزله فيتلى على الناس والثاني رسالة تأتيه عن الله بأن افعل كذا فيفعله قال الشافعي رضي الله عنه : ولعل من حجة من قال هذا القول أن يقول قال الله تعالى : ﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ (١) فيذهب إلى أن الكتاب ما يتلى عن الله تعالى ، والحكمة ما جاءته الرسالة به عن الله فأثبتت سنة لرسول الله ﷺ .

وروى بإسناده عن قتادة في قول الله تعالى : ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ (٢) قال القرآن والسنة .

وروى بإسناده إلى عطاء أن صفوان بن يعلى بن أمية (٣) أخبره أن يعلى بن أمية كان يقول لعمر بن الخطاب رضي الله عنه : ليتني أرى رسول الله ﷺ حين ينزل عليه فلما كان النبي ﷺبالجعرانة وعلى النبي ﷺ ثوب قد أظل عليه ومعه فيه ناس من أصحابه فيهم عمر إذ جاءه عليه جبة متضمخ بطيب ، وقد أحرم بعمرة فقال يا رسول الله كيف ترى في رجل أحرم بعمرة في جبة بعدما تضمخ بطيب ؟ فنظر إليه النبي ﷺ ساعة ثم سكت ، فجاءه الوحي فأشار عمر بيده إلى يعلى رضي الله عنهما أن تعال فجاء يعلى فأدخل رأسه فإذا النبي ﷺ مُحْمَرُّ الْوجهِ يغط ساعة ثم سرى عنه فقال : أين الذى سألني عن العمرة آنفًا ؟» فالتمس الرجل فجيء به فقال النبي ﷺ «أما الطيب الذى بك فاغسله ثلاث مرات ، وأما الجبة فانزعها ، ثم اصنع في عُمرتك ما تصنع في حجتك» أخرجه البخاري في الصحيح (٤) .

وعن حسان بن عطية قال : كان جبريل عليه السلام ينزل على رسول الله ﷺ بالسنة كما ينزل عليه القرآن يعلمه إياها كما يعلمه القرآن ا هـ . وقدمنا هذا فيما سبق فالسنة مما آتاه الله تعالى لنبيه ﷺ ، وليست مما جاء بها من تلقاء نفسه .

ص : **(ألا)** .ش : بالفتح والتخفيف للاستفتاح والتنبيه . ص : **(يوشك)** .

---

(١) سورة [النساء : ١١٣] .
(٢) سورة [الأحزاب : ٣٤] .
(٣) صفوان بن يعلى بن أمية التميمي ، المكي ثقة ، من الثالثة أخرج له الجماعة .
(٤) أخرجه البخاري (٩/٩ فتح) ٦٦- كتاب (فضائل القرآن) ٢- باب : نزل القرآن بلسان قُريش والعرب ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ رقم (٤٩٨٥) .
- أحمد في المسند (٤/٢٢٢) .

ش : بالكسر من وشك الأمر ككرم سرع وأوشك أسرع السير ، ويوشك الأمر أن يكون وأن يكون الأمر ولا تفتح شينه أو لغة ردية كذا في «القاموس» و المعنى يقرب أن يكون .ص : (رجل) . ش : وهو مثل قوله عليه السلام : «رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع» أي نادر وجود ذلك في المسلمين . ص : **(شبعان)** . ش : من الشبع وهو ضد الجوع كناية عن الغافل المغرور والمنهمك في شهوة بطنه وفرجه فإن الشبع كان في صدر الإسلام معدودًا من العيوب المنقصة للكمال الإنساني ولهذا قال رسول الله ﷺ : «ما ملأ ابن آدم وعاءً شرًا من بطنه» [1] الحديث . وعن عائشة رضي الله عنها «لم يمتلىء جوف النبي ﷺ شبعًا قط» ، ذكره في «الشفا» وقال ﷺ : «جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش فإن الأجر في ذلك كأجر المجاهد في سبيل الله وأنه ليس من عمل أحب إلى الله من جوع وعطش» [2] ، وقال عليه السلام : «سيد الأعمال الجوع»[3] وكان النبي ﷺ يجوع من غير عوز أي مختارًا لذلك كما بسطه الإمام الغزالي في «كتاب الإحياء» .

ص : **(على أريكته)** . ش : في «القاموس» الأريكة كسفينة سرير في حجلة أو كل ما يتكأ عليه من سرير ومنصة وفراش وسرير متخذ مزين في قبة ، أو بيت فإذا لم يكن فيه سرير فهو حجلة جمعه آرائك ، انتهى .

والمعنى أنه في ترف من العيش ورفاهية فيه يجلس على كرسي وعظه وإمارته .

---

(١) أخرجه الترمذي كتاب : (الزهد) باب : ما جاء في كراهية كثرة الأكل رقم (٢٣٨٠) وقال الترمذي : حسن صحيح .
- ابن حبان (٢/٤٤٩ بالإحسان) ٧- كتاب : (الرقائق) ٥- باب : الفقر والزهد والقناعة رقم (٦٧٤) عن المقدام بن معدى كرب ، ابن المبارك في الزهد (٦٠٣) ، أحمد (٤/١٣٢) ، الطبراني في المعجم الكبير (٢٠/٦٤٤) ، البغوي في شرح السُنة (٤٠٤٨) ، القضاعي في مسند الشهاب (١٣٤٠) ، (١٣٤١) . - ابن ماجه كتاب : (الأطعمة) باب : الاقتصاد في الأكل وكراهة الشبع (٣٣٤٩) .

(٢) قال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (٢٤٧) باطل لا أصل له ، وقد ذكره الغزالي في [إحياء علوم الدين (٣/٦٩)] مجزومًا برفعه إلى النبي ﷺ ولوائح الوضع عليه ظاهرة ، وقد قال الحافظ العراقي في تخريجه : «لم أجد له أصلاً» وكذا قال السبكي في الطبقات الكبرى (٤/٦٢) .

(٣) قال العراقي : لم أجد له أصلاً وقال ابن السبكي (٦/٣٣٤) لم أجد له إسنادًا تخريج أحاديث إحياء علوم الدين (٤/١٥٩٥) رقم (٢٤٧٠) طبع دار العاصمة للنشر بالرياض ، طبعة أولى سنة (١٤٠٨ ، ١٩٨٧ م) .

ص : (يقول) : . ش : بطريق الوعظ لكم والنصيحة أو الاحتجاج لبعض أغراض نفسه وحظوظها .

ص : (عليكم) . ش : أي الزموا الاقتصار على العمل . ص : (بهذا القرآن) ش : الذي بين أيديكم يتلى ويحفظ ويكتب ص : (فما وجدتم فيه) . ش : ولا يمكن أن يجدوا إلا بحسب قدرتهم وإلا فكل شيء في القرآن كما قال الله تعالى : ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [1] فالقاصر يجد على حسب قصوره فيلزم أن يجهل أكثر مما يعلم .

ص : (من) . ش : حكم . ص : (حلال) . ش : وهو ما نص على تحليله بعينه أوجنسه كالبيع وأكل الخبز ص : (فأحلوه) . ش : أي احكموا بحله واعملوا على ذلك . ص «وما وجدتم» ش : أنتم أيضًا كذلك . ص : (فيه) ش : أي في هذا القرآن . ص : (من) . ش : حكم . ص : (حرام) . ش : وهو ما نص على تحريمه بعينه وجنسه كالربا والرشوة . ص : (فحرموه) . ش : أي احكموا بتحريمه أيضًا واتركوا العمل به وهذا القول من قائله ذلك الرجل المذكور فيه قصور واضح إذ لا يمكنهم أن يجدوا في القرآن كل ما حلله الله تعالى وحرمه عليهم ، وإن كان القرآن جامعًا لجميع ذلك فلابد من النظر في السنة النبوية أيضًا فإن فيها بيان ما خفي في القرآن واتضاح مجمله وتفصيل مقتضياته ثم لما فرغ ﷺ من حكاية قول الرجل المذكور قال :

ص : (وإن ما) . ش : أي الحكم الذي . ص : (حرم) . ش : حكم بتحريمه . ص : (رسول الله) . ش : يعني نفسه . ص : (كما) . ش : أي مثل الحكم الذي . ص : (حرمه الله) . ش : من حيث إن كلاً منهما بوحي من الله تعالى لنبيه عليه السلام كما ذكرنا لا من قبل رأي نفسه ثم قال ﷺ : ص : (ألا) . ش : للتنبيه والاستفتاح .

ص : (لا يحل لكُمْ) . ش : معشر المسلمين .

ص : (الحمَارُ الأهْلي) . ش : يعني أن تأكلوا لحمه وكان يؤكل قبل ذلك قال الشيخ النووي رحمه الله في «شرحه على صحيح مسلم» : قد وقع في أكثر الروايات «أن

---

(١) سورة [الأنعام : ٣٨] .

النبي ﷺ نهى يوم خيبر عن لحومها» وفي رواية «حرم رسول الله ﷺ لحوم الحمر الأهلية» وفي رواية «أن النبي ﷺ وجد القدور تغلي بلحمها فأمر بإراقتها ، وقال : لا تأكلوا من لحومها شيئًا» وفي رواية : «نهينا عن لحوم الحمر الأهلية» وفي رواية «أن النبي ﷺ قال أهريقوها واكسروها» فقال رجل يا رسول الله ! أو نهرقها ونغسلها قال «أو ذاك» وفي رواية : «نادى منادي النبي ﷺ ألا إن الله ورسوله ينهاكم عن لحوم الحمر فإنها رجس أو نجس» فأكفئت القدور بما فيها واختلف العلماء في المسألة فقال الجماهير من الصحابة والتابعين فمن بعدهم بتحريم لحومها لهذه الأحاديث الصحيحةالصريحة وقال ابن عباس ليست بحرام وعن مالك ثلاث روايات أشهرها أنها مكروهة كراهة تنزيه شديدة والثانية حرام والثالثة مباحة والصواب التحريم كما قال الجماهير للأحاديث الصحيحة ، وأما الحديث المذكور في «سنن أبي داود» عن غالب ابن أبجر قال : أصابتنا سنة فلم يكن في مالي شيء أطعم أهلي إلا شيء من حمر ، وقد كان رسول الله ﷺ حرم لحوم الحمر الأهلية فأتيت النبي ﷺ فقلت : يا رسول الله أصابتنا السنة ولم يكن في مالى ما أطعم أهلي الإسمان حمر ، وإنك حرمت لحوم الحمر الأهلية ؟ فقال : «أطعم أهلك من سمين حمرك فإنما حرمتها من أجل جوال القرية» يعني بالجوال الذي يأكل الجلّة ، وهو : العذرة ، فهذا الحديث مضطرب مختلف الإسناد شديد الاختلاف ، ولو صحّ حمل على الأكل منها في حال الاضطرار اهـ.كلامه ويمكن له وجه آخر بأن يحمل قوله ﷺ : «أطعم أهلك من سمين حمرك» أي من أجرتهن ، أو من ثمنهن فإنه لما وصفهن بالسمن للأكل حول النبي ﷺ هذا الوصف للأجرة على الحمل والركوب والحراسة والرياسة ونحو ذلك بأخذ الأجرة عليها أو بيعهن والإطعام من ثمنهن كما قال الفقهاء فيمن حلف لا يأكل من هذه النخلة تقيد حنثه بأكله من تمرها حتى لو أكل من عينها لم يحنث ، وإن لم يكن لها تمر ينصرف اليمين إلى ثمنها فيحنث إذا اشترى به مأكولاً وأكله فيبقى قوله ﷺبعد ذلك : «فإنَّمَا حرّمتُها من أجل جوال القرية اعتذار لغالب بن أبجر على قوله : «وإنك حرمت لحوم الحمر الأهلية» وبيان لسبب التحريم لا دليل التحريم إذ الدليل حكم الله تعالى بالوحي المنزل عليه .

ص : (ولا) . ش : يحل لكم أيضًا .

ص : (كل ذي ناب من السباع) . ش : أن تأكلوا لحمه ، والناب هو السن

خلف الرباعية مؤنث وجمعه أنيب وأنياب ونيوب وأنابيب كذا في «القاموس» [١] وقال النووي رحمه الله تعالى في شرح مسلم : «نهى النبي ﷺ عن أكل كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير» [٢] وفي رواية : «كل ذي ناب من السباع فأكله حرام» ، والمخلب بكسر الميم ، وفتح اللام للطير ، والسباع بمنزلة الظفر من الإنسان ، وفي هذه الأحاديث : دلالة لمذهب الشافعي ، وأبي حنيفة ، وأحمد ، وداود ، والجمهور أنه يحرم أكل كل ذي ناب من السباع ، وكل ذي مخلب من الطير ، وقال مالك : يكره ولا يحرم . قال أصحابنا : فذي الناب ما يقتوى به ويصطاد واحتج مالك بقوله سبحانه وتعالى : ﴿قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾ الآية [٣] ، واحتج أصحابنا بهذه الأحاديث قالوا : والآية ليس فيها إلا الإخبار بأنه لم يجد في ذلك محرما إلا المذكورات في الآية ثم أوحى إليه بتحريم كل ذي ناب من السباع فوجب قبوله والعمل به . ص : **(ولا)** . ش : يحل لكم أيضًا .

ص : **(لقطة)** . ش : من لقطه أخذه من الأرض فهو ملقوط ولقيط ولقط الثوب رفعه واللقطة محركة وكحزمة وهمزة ما التقط كذا في «القاموس» [٤] والمراد ما يجده الإنسان في الطريق وغيره من الأمتعة الساقطة من أصحابها وفي «شرح الكنز» لمسكين هي مال يوجد في الطريق ولا يعرف له مالك بعينه سميت بها لأنها تلقط غالبًا . ص : **(معاهد)** . ش : من العهد وهو الأمان والذمة عاهده إذا أخذ عليه عقد الأمان والذمة والمراد بالمعاهد الذمي الذي عاهده الإمام على إعطاء الجزية والخراج فإن له ما لنا وعليه ما علينا ويدخل في ذلك الحربي الذي دخل بالأمان إلى

---

(١) القاموس المحيط (٤٠/١ نوب) باب : الباء فصل النون والواو .

(٢) (١٥) أخرجه مسلم كتاب : (الصيد) باب : تحريم أكل كل ذي ناب من السباع رقم (١٩٣٤) . أحمد في المسند (٢٤٤/١ ، ٣٠٢ ، ٣٢٧) الطيالسي في مسنده رقم (٢٧٤٥) ، الطبراني (١٢٩٩٥) ، البيهقي (٣١٥/٩) من طرق عن أبي عوانة وضاح اليشكري ، ابن حبان (٨٥/١٢ الإحسان) ٤٠- كتاب : (الأطعمة) ٢ - باب : ما يجوز أكله وما لا يجوز . ذكر الزجر عن أكل كل ذي مخلب وناب من الطير والسباع (٥٢٨٠) وأخرجه أحمد (٣٠٢/١) ، مسلم (١٩٣٤) ، البيهقي (٣١٥/٩) من طريقين عن الحكم بن عتيبة عن أبي بشر بن أبي وحشية ، به وأخرجه أحمد (٢٨٩/١) ، مسلم (١٩٣٤) ، الطبراني (١٢٩٩٤) ، والبغوي (٢٧٩٥) من طريقين عن الحكم بن عتيبة ، عن ميمون بن مهران به .

(٣) سورة [الأنعام : ١٤٥] .

(٤) القاموس المحيط (٣٩٧/٢ لقط) باب : الطاء فصل اللام .

دار الإسلام فإنه آمن على دمه وماله كالذمي فمن وجد لقطة لذمي أو لمستأمن وجب ردها إليه بعد إقامة البينة كلقطة المسلم ويجوز ردها من غير وجوب عليه إن ذكر العلامة فقط قال في «المنبع شرح المجمع» : يستحب أخذ اللقطة ورفعها خوفًا من أن تصل إليها يد خائن وإذا خاف ضياعها يجب الالتقاط صونا لأموال الناس عن الضياع وقال بعض أصحابنا : إذا خاف على نفسه الطمع فيها وإنه لا يعرفها ولا يردها فالأفضل الترك صيانة لنفسه عن الوقوع في المحرم وهي أمانة بشرط أن يشهد الملتقط أنه يأخذها ليحفظها فيردها على صاحبها وإن لم يشهد ضمن ويعرفها مدة يغلب على ظنه أن صاحبها لا يطلبها بعد ذلك ثم يتصدق بها على فقير لا غني إن شاء فإن جاء صاحبها فأمضاها وإلا ضمن الملتقط أو المسكين إن شاء وإن كانت قائمة أخذها منه وأيهما ضمن لا يرجع على الآخر ويجوز للفقير أن ينتفع بها لا للغني إلا بإذن الإمام ويجوز الالتقاط إليها ثم الضالة ويؤجرها الحاكم وينفق عليها من الأجرة إن كان لها منفعة وإلا باعها وحفظ ثمنها وإن أذن الحاكم للملتقط في النفقة رجع بها ويحبسها لاستيفائها وإلا كان متبرعًا وإذا ادعاها لم تدفع إليه إلا ببينة ويحل له دفعها بذكر علامة . ص : (إلا أن يستغنى عنها) . ش : أي عن اللقطة . ص : (صاحبها) . ش : بأن كانت حقيرة كتمرة ونحوها قال في «مختصر المحيط» [1] : قال أبو حنيفة وأبو يوسف رحمهما الله تعالى - : ولا بأس بأن يلتقط ما لا قيمة له أصلاً ، مثل النوى ، وعلف الدواب ، وقشر الرمان ، إذا نبذه صاحبه والانتفاع به ولصاحبه أن يأخذه من الملتقط وإن كان ذلك كثيرًا لم يجز للملتقط أن يأخذه اهـ . وكذلك إن وصل إليه صاحبها أباحها له أو لكل من أخذها . ص : (ومن نزل) . ش : أي ضيفًا . ص : (بقوم) . ش : أي صار ضيفًا عندهم في قرية أو بلدة أو محلة وقد تعذرت عليه كفايته من القوت ولم يمكنه الشراء . ص : (فعليهم) . ش : أي بطريق الوجوب حيث علموا به وهو محتاج إلى القوت .

ص : (أن يقروه) . ش : أي يضيفوه بإعطائه كفايته من ذلك قال الجوهري :

---

(١) «المحيط البرهاني في الفقه النعماني» . للشيخ الإمام العلامة برهان الدين محمود بن تاج الدين أحمد بن الصدر الشهيد برهان الأئمة عبد العزيز بن عمر بن مازه البخاري الحنفي المتوفى سنة (٦١٦) وهو ابن أخي الصدر الشهيد حسام الدين في مجلدات ثم اختصره وسماه الذخيرة ، [كشف الظنون (١٦٢٠/٢)] .

قريت الضيف قرى وقراء أحسنت إليه إذا كسرت القاف قصرت وإذا فتحت مددت وفي «القاموس» أقرى طلب ضيافة فقوله : أن يقروه بفتح الياء من قراه لا بضمها من أقراه وفي حديث «الجامع الصغير» للسيوطي قال رسول الله ﷺ : «أيما ضيف نزل بقوم فأصبح الضيف محرومًا فله أن يأخذ بقدر قراه» ولا حرج عليه وقال الشارح المناوي : فأصبح الضيف محرومًا من الضيافة أي لم يطعمه القوم تلك الليلة فله أن يأخذ من مالهم بقدر قراه أي ضيافته أي بقدر ما يصرف في ثمن طعام يشبعه ليلته قال الطيبي وقوله :«فأصبح الضيف» مظهر أقيم مقام المضمر إشعارا بأن المسلم الذي ضاف قومًا يستحق لذاته أن يقرى فمن منعه حقه فقد ظلمه فحق لغيره من المسلمين نصره ، وأخذ بظاهره الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه فأوجب الضيافة وأن الضيف يشتغل بأخذ ما يكفيه بغير رضاء من نزل عليه أو على نحوه بستانه أو زرعه وحمله الجمهور على أنه كان في أول الإسلام فإنها كانت واجبة حين إذ كانت المواساة واجبة فلما ارتفع وجوب المواساة ارتفع وجوب الضيافة أو على التأكيد كما في غسل الجمعة واجب فلما ارتفع وجود الاستقلال بالأخذ حمل على المضطر لكنه يغرم بدله بعد أو على مال أهل الذمة المشروط عليهم ضيافة من نزل بهم لأدلة أخرى كخبر : لا يحل مال امرىء مسلم إلاّ عن طيب نفس وأما قول بعض المالكية المراد أن له أن يأخذ من عرضهم بلسانه ويذكر للناس عيوبهم فعورض بأن الأخذ من العرض والتحدث بالعيب عيب ندب الشارع إلى تركه لا إلى فعله وفي حديث «الجامع» أيضًا قال رسول الله ﷺ: «أيما رجل أضاف قومًا فأصبح الضيف محرومًا فإن نصره حق على كل مسلم حتى يأخذ بقرى» [١] أي ضيافته ليلته من زرعه وماله ، وقال الشارح المناوي [٢] : ويقتصر على ما يشد الرمق - بشين معجمة - أي يقوى بقية الروح - أو مهملة - أي يسد الخلل الحاصل من الجوع قال الطيبي وأفرد الضمير فيهما باعتبار المنزل عليه والمضيف وهو واحد ثم هذا في المضطر أو في أهل الذمة المشروط عليهم ضيافة المارة .

---

(١) أخرجه أبو داود كتاب : (الأطعمة) ٥- باب : ما جاء في الضيافة رقم (٣٧٥١) عن المقدام بن أبي كريمة وبقيته : «... ليلة من زرعه وماله» قال ابن حجر العسقلاني في تلخيص الحبير (١٥٩/٤) رقم (٢٠١٤) إسناد أبي داود صحيح .

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير (٢٤٨٤/٥) رقم (٢٩٦٨) .

ص : (وله) . ش : أي يجوز له .

ص : (أن يعقبهم) . ش : أي يجازيهم قال الجوهري [1] : عقبه بطاعته أي جازاه ، والعقبى جزاء الأمر ، والمعنى أن يجازيهم على منعهم حقه فلا يحترمهم ولا يستأذنهم .

ص : (بمثل قراه) . ش : أي يأخذ مثل ضيافته أي مقدار ذلك يعني قدر حاجته المضطر إليها من المأكل والمشرب وعلف الدابة ونحو ذلك ، وأخرج الإمام البيهقي في «المدخل» هذا الحديث المذكور برواية أخرى أسندها عن المقدام بن معدى كرب عن النبي ﷺ أنه قال : «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله ، ألا إني أوتيت القرآن ومثله ، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم من حلال فأحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ، ألا لا يحل لكم الحمار الأهلي ، ولا كل ذي ناب من السباع ، ولا لقطة مال معاهد إلا أن يستغني عنها صاحبها ، ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه فإن لم يقروه فإن له أن يعقبهم بمثل قراه» ،

وروى بإسناده [2] أيضًا عن الحسن بن جابر أنه سمع المقدام بن معدى كرب الكندي صاحب رسول الله ﷺ يقول : «حرّم النبي ﷺ أشياء يوم خيبر منها الحمار الأهلي» ، وغيره فقال رسول الله ﷺ : «يوشك أن يقعد الرجل منكم على أريكته يحدث بحديثي فيقول : بيني وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه حلالاً استحللناه وما وجدنا فيه حرامًا حرمناه وإن ما حرم رسول الله ﷺ كما حرم الله عز وجل» وهذا إسناد صحيح .

* * *

---

(١) الصحاح للجوهري «(١/١٨٤ ، ١٨٥) عقب» .

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٧/٧٦) كتاب : (النكاح) باب : الدليل على أنه ﷺ لا يقتدي به فيما سواه ، والحاكم في المستدرك (١/١٠٨ ، ١٠٩) كتاب : (العلم) عن أبي رافع وقال : وهو صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

والذي عندي أنهما تركاه لاختلاف المصريين في هذا الإسناد وأخرجه الترمذي ٤٢- كتاب : (العلم) ١٠- باب : ما نُهي عنه أن يُقال عند حديث النبي ﷺ رقم (٢٦٦٤) قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه .

الحديث الثالث :

ص : (د ت) . ش : يعني رواه أبو داود [١] والترمذي [٢] بإسنادهما .

ص : (عن أبي رافع رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال : لا ألفين) . ش - بضم الهمزة - أي أجدن يقال : ألفيت الشيء بالفاء وجدته قال الجوهري [٣] : والمعنى لا جعلني الله تعالى أجدن . ص : (أحدكم) . ش : أي الواحد منكم أيها المؤمنون .

ص : (متكئًا) . ش : أي معتمدًا مستندًا قال في «القاموس» [٤] : توكأ عليه تحمل واعتمد . ص : (على أريكته) . ش : سريره وكرسيه .

ص : (يأتيه) . ش : أي يصل إليه . ص : (أمري) . ش : أي شأني .

ص : (ممَّا) . ش : أي من جهة الأمر الذي . ص : (أَمَرتُ بِهِ) . ش : الأمة بطريق الخلافة عن الله تعالى في الأرض . ص : (أو نهيت) . ش : الأمة عنه بالنيابة عن الله تعالى .

ص : (فيقول) . ش : ذلك المتكيء على أريكته . ص : (لا أدري) . ش : هذا الوارد إلى من الأمر والنهي . ص : (وما) . ش : أي الحكم الذي . ص : (وجدناه في كتاب الله) . ش : تعالى من الأمر والنهي .

---

(١) أخرجه أبو داود كتاب : السُّنة ٦- باب : في لزوم السُّنة رقم (٤٦٠٥) حدثنا أحمد بن محمد بن حنبل وعبد الله بن محمد النفيلي قالا : ثنا سفيان ، عن أبي النضر ، عن عبيد الله بن أبي رافع ، عن أبيه عن النبي ﷺ .

(٢) أخرجه الترمذي ٤٢- كتاب : (العلم) ١٠- باب : ما نهى عنه أن يُقال عند حديث النبي ﷺ رقم (٢٦٦٣) حدثنا قتيبة . حدثنا سفيان بن عيينة عن محمد بن المنكدر وسالم أبي النضر عن عبيد الله ابن أبي رافع عن أبي رافع وغيره رفعه .. الحديث قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح - وروى بعضهم عن سفيان عن ابن المنكدر عن النبي ﷺ مرسلاً . وسالم أبي النضر عن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه عن النبي ﷺ .

وكان ابن عيينة إذا روى هذا الحديث على الانفراد بيَّن حديث محمد بن المنكدر من حديث سالم أبي النضر وإذا جمعهما روى هكذا ، وأبو رافع مولى النبي ﷺ اسمه أسلم .

(٣) الصحاح للجوهري «(٢٤٨٤/٦) لفا» .

(٤) القاموس المحيط (٣٤/١) باب : الهمزة فصل الواو والياء .

ص : (اتبعناه) . ش : لا غير وهذا قول من طبع الله على قلبه فأراد أن يفرق بين الله ورسوله ، ولن يصل إلى ذلك أبدًا ، قال البيهقي في «المدخل» : زاد أبو عبد الله في روايته بهذا الإسناد عن الشافعي رضي الله عنه قال : وفي هذا تثبيت الخبر عن رسول الله ﷺ وإعلامهم أنه لازم لهم وإن لم يجدوا له نص حكم في كتاب الله عز وجل .

الحديث الرابع

ص : (د) . ش : يعني روى أبو داود بإسناده . ص : (عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال : قام فينا رسول الله ﷺ) . ش : يعني خطيبًا . ص : (فقال أيحسب أحدكم) . ش : حال كونه . ص : (متكئًا) . ش : أي مستندًا .

ص : (على أريكته) . ش : أي كرسيه . ص : (يظن) . ش : تأكيد لفظي ليحسب بمرادفه .

ص : (أنّ الله) . ش : تعالى . ص : (لم يحرم) . ش : على الأمة . ص : (شيئًا إلاما) . ش : أي الذي .

ص : (في هذا القرآن) . ش : من المحرمات الظاهرة منه لكل أحد وإلا فقد قال تعالى ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [1] وفي الحديث قال : قال رسول الله ﷺ : «الحلال ما أحل الله في كتابه والحرام ما حرم الله في كتابه وما سكت عنه فهو مما عفا عنه» أخرجه [2] السيوطي في «الجامع الصغير» فإن في القرآن من الأحكام ما لا يظهر بالبداهة لغالب الأنام ولهذا لما دق نظر إمامنا أبي حنيفة رضي الله عنه في استنباط المسائل من القرآن ما لم يعثر عليه أكثر المجتهدين نسب إليه القاصرون القول بالرأي فإنّ من وجد الحكم في كتاب الله تعالى لا يعدل عنه إلى السنة ومن لم يجده في الكتاب عدل إلى السنة .

ص : (ألا) . ش : للاستفتاح والتنبيه . ص : وإني قد أمرت ش : بالمعروف الذي وجدته في كتاب الله تعالى ما لم يجده غيري وهي الحكمة التي قال الله تعالى عنها:

---

(١) سورة [الأنعام : ٣٨] .

(٢) ابن ماجه ٢٩- كتاب : (الأطعمة) ٦٠- باب : أكل الجبن والسمن (٣٣٦٧) .

«وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة» [(١)] وهي السنة النبوية كما قدمناه فإن أمره ﷺ من أمر الله تعالى لأنه نبيه ورسوله روى البيهقي في «المدخل» [(٢)] بإسناده وعن أبي جعفر عن رسول الله ﷺ ، أنه دعى اليهود فسألهم فحدثوه حتى كذبوا على عيسى عليه السلام ، فصعد النبي ﷺ المنبر فخطب الناس فقال : «إن الحديث سيفشوا عني فما آتاكم عني يوافق القرآن فهو عني وما آتاكم عني يخالف القرآن فليس عني» ، وقال الشافعي رضي الله عنه : وليس يخالف الحديث القرآن ، ولكن حديث رسول الله ﷺ مبين معنى ما أراد خاصًا وعامًّا وناسخًا ومنسوخًا ، ثم يلزم الناس ما سن بفرض الله تعالى فمن قبل عن رسول الله ﷺ فعن الله قبل . وعن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إنها تكون بعدي رواة يروون عني الحديث ، فأعرضوا حديثهم على القرآن ، فما وافق القرآن فحدثوا به ، وما لم يوافق القرآن فلا تأخذوا به» [(٣)] .

---

(١) سورة [النساء : ١١٣] .

(٢) أخرجه البيهقي في معرفة السنن والآثار (١١٨/١) باب : الحجة في تثبيت خبر الواحد (طبع دار الوفاء بالمنصورة / مصر) رقم الحديث (٧٣) وكأنه أراد ما أخبر به أبو عبد الله الحافظ ، وأبو سعيد ابن أبي عمرو في «كتاب السير» قالا : أخبرنا أبو العباس ، قال : أخبرنا الربيع ، قال : أخبرنا الشافعي ، قال : قال أبو يوسف : حدثنا خالد بن أبي كريمة عن أبي جعفر عن رسول الله ﷺ .
- وأخرجه الأوزاعي في «كتاب السير» عن كتاب : (الأم) (٣٠٩/٧) ونقله السيوطي في «مفتاح الجنة في الاعتصام بالسنة» .

(٣) أخرجه الدارقطني في سننه (٢٠٨/٤ ، ٢٠٩) باب : كتاب ، عمر رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري رقم (٢٠) حدثنا عثمان بن أحمد بن السماك نا حنبل بن إسحاق نا جبارة بن المغلس نا أبو بكر ابن عياش ، عن عاصم بن أبي النجود عن زر بن حبيش ، عن علي بن أبي طالب .... الحديث .
قال الدارقطني : هذا وهم والصواب عن عاصم عن زيد عن علي بن الحسين مرسلاً عن النبي ﷺ .
وجاء بهامشه في «التعليق المغني» إسناده فيه جبارة بن المغلس ، ضعفه ابن معين وقال البخاري : مضطرب الحديث . وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٣١٦/١٢) رقم (١٣٢٢٤) عن سالم بن عبد الله عن عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ (مرفوعًا) قال : سئلت النصارى عن موسى فأكثروا وزادوا ونقصوا حتى كفروا ، وسئلت النصارى عن عيسى فأكثروا فيه وزادوا ونقصوا حتى كفروا ... الحديث . قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٠/١) : فيه أبو حاضر عبد الملك بن عبد ربه وهو منكر الحديث . ثم قال : السخاوي : وقد سئل شيخنا يعني ابن حجر عن هذا الحديث فقال : إنه جاء من طرق لا تخلو عن مقال . وقد جمع طرقه البيهقي في كتاب : (المدخل) وبيان معناه . «قلت محمود نصار» : لم أوفق للوقوف عليه في كتاب المدخل للبيهقي .

ص : (ووعظت) . ش : أي ذكرت الترغيب والترهيب وبشرت وأنذرت أخذا من كتاب الله تعالى بوجه لم ينكشف لغيري .

ص : (ونهيت) . ش : الأمة .

ص : (عن أشياء) . ش : من الأقوال والأعمال والاعتقادات والأحوال التي وصلت إليّ من كتاب الله تعالى ولم يهتد إلى طريقها أحد من المجتهدين أصلاً لأن طريق الوصول إليها الوحي والنبوة لا الاجتهاد ، وإن أقر النبي ﷺ قول المجتهد المخطي ووعده بالثواب عليه مرة لضرورة فقدان الوحي والنبوة .

ص : (إنها) . ش : أي تلك الأشياء التي نهيت عنها . ص : (مثل) . ش : المناهي الظاهرة لكم من (القرآن) . ش : لأني أخذتها منه بالوحي والنبوة ولا أمر ونهي إلا ما في القرآن يدل عليه ما رواه البيهقي في «المدخل» بإسناده عن ابن طاوس عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه : «يا أيها الناس لا تمسكوا على بشيء ، فإني لا أحل إلا ما أحل الله ، ولا أحرم إلا ما حرم الله في كتابه» [1] اهـ .

وجميع علم النبي ﷺ من القرآن لكنه من وجه الوحي والنبوة فلهذا لا يمكن أن يصل إليه غير نبي ، وفتح الأولياء وإن كان في القرآن أيضًا كذلك ، ولكنه من وجه آخر غير وجه الوحي والنبوة وكذلك علم المجتهدين ولكنهم زادوا بالأخذ من بيان النبي ﷺ الذي هو السنة ، وبيان غيرهم من المؤمنين الذي هو الإجماع ، والتأمل بالمقايسة في الكتاب والسنة والإجماع الذي هو القياس والكل يجتمعون في أصل واحد هو مأخذهم وهو القرآن أخذ منه النبي سنته والولي فتحه والمجتهد علمه . ص : (أو أكثر) . ش : من المناهي الظاهرة لكم من القرآن لزيادة اطلاع النبي ﷺ على كتاب الله تعالى ما لم تطلع عليه الأولياء ولا المجتهدون فيكشف منه عن أكثر ما ظهر لهم كلهم فلهذا تمسك الإمام الشافعي رحمه الله تعالى وغيره من المجتهدين بالسنة أكثر من

---

(١) أخرجه ابن عدى في الكامل (١٩٢/٥) سنة (٣٨٠ هـ ، ١٣٤٨) ترجمة علي بن صهيب بن سنان الواسطي مولى بن تيم يكن أبا الحسن قال عنه النسائي : علي بن عاصم متروك الحديث وعزاه الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٢/١) ٢- كتاب : (العلم) ٧٧- باب : ثان منه في اتباع الكتاب والسنّة ومعرفة الحلال من الحرام للطبراني في المعجم الأوسط وقال : لم يروه عن يحيى بن سعيد إلا علي بن عاصم . تفرد به . صالح بن الحسن بن محمد الزعفراني قلت : ولم أر من ترجمهما .

الكتاب حيث قال الشافعي رضي الله عنه : إذا صح الحديث فهو مذهبي .

ص : (وإن الله) . ش : تعالى . ص : (لم يحل) . ش : - بالضم - من أحل أي جعل حلالاً لكم . ص : (إن تدخلوا بيوت أهل الكتاب) . ش : من اليهود والنصارى وغيرهم لأن ذلك يؤذيهم ولا يجوز إيذاءُ أهل الذمة . ص : (إلا بإذن) . ش : منهم في ذلك .

ص : (ولا) . ش : أحل لكم أيضًا . ص : (ضرب نسائهم). ش : أي أهل الكتاب لأن فيه كمال إيذائهم . ص : (ولا) . ش : أحل . ص : (أكل ثمارهم إذا أعطوكم) ش : الحق . ص : (الذي عليهم) . ش : من الجزية والخراج فإذا امتنعوا من ذلك انتقض عهد ذمتهم عند الأئمة الثلاثة خلافًا لأبي حنيفة قال والدي رحمه الله تعالى : عند شرح قول «صاحب الدرر» : لا ينقض عهده إذا امتنع عن الجزية لأن التزامها باق وبالإباء تؤخذ منه جبرًا وفي رواية كما قال في «المجمع» : ذكرها في «الواقعات» في كتاب الزكاة : أنه ينتقض وهو قول الثلاثة هذا إذا أبى عن دفعها أما لو أبى عن قبولها انتقض عهده كذا في «فتح القدير» وإذا انتقض عهدهم حل فيهم ما حل في أهل الحرب وأصل الحديث ما ذكره البيهقي في «المدخل» [(١)] بإسناده عن العرباض بن سارية السلمي قال نزلنا مع النبي ﷺ خيبر ومعه من معه من أصحابه وكان صاحب خيبر رجلاً ماردًا منكرًا فأقبل إلى النبي ﷺ فقال : يا محمد ألكم أن تذبحوا حمرنا وتأكلوا ثمرنا وتضربوا نساءنا ؟ فغضب النبي ﷺ وقال : «يا ابن عوف اركب فرسك ثم ناد ألا إن الجنة لا تحل إلا لمؤمن وأن اجتمعوا للصلاة» قال : فاجتمعوا ثم صلى بهم النبي ﷺ ثم قام فقال : «أيحسب أحدكم متكئًا على أريكته

---

(١) أخرجه أبو داود كتاب : (الخراج والإمارة والفيء) ٣٣- باب : في تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارات رقم (٣٠٥٠) وبقيته .... لم يحرم شيئًا إلا في هذا القرآن ، ألا وإني والله قد وعظت ، وأمرت ونهيت عن أشياء ، إنها لمثل القرآن أو أكثر ، وأن الله عز وجل لم يحل لكم أن تدخلوا بيوت أهل الكتاب إلا بإذن ولا ضرب نسائهم ، ولا أكل من ثمارهم إذا أعطوكم الذي عليهم» وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٢٠٤/٩) كتاب : (الجزية) باب : لا يأخذ المسلمون من ثمار أهل الذمة ولا أموالهم شيئًا أمرهم إذا أعطوا ما عليهم ، وما ورد من التشديد في ظلمهم ، وقتلهم عن العرباض بن سارية السلمي - وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (٨٨٢) بعد أن عزاه لأبي داود وابن عبد البر في التمهيد (١٤٩/١) هذا سند حسن إن شاء الله تعالى .

يظن أن الله عز وجل إلى آخر الحديث» المتقدم ذكره .

الحديث الخامس :

ص : (م) . ش : يعني روى مسلم [١] بإسناده . ص : (عن جابر رضي الله عنه) . ش : أنه قال . ص : (كان النبي ﷺ إذا خطب) . ش : في الجمع والأعياد وغيرها أو في غالب أمره بحسب الوقائع الدينية والدنيوية . ص : (احمرت عيناه) . ش : من كمال شجاعته ﷺ في تبليغ أحكام الله تعالى . ص : (وعلا) . ش : أي ارتفع . ص : (صوته) . ش : لتنفذ دعوته إلى الحق في جوانب مجلسه على التمام . ص : (واشتد غضبه) . ش : في إظهار دين الله تعالى وإيصاله إلى صميم القلوب . ص : (كأنه) ش : عليه الصلاة والسلام في تلك الحالة . ص : (منذر) . ش : أي مخوف . ص : (جيش) . ش : أي عسكر عظيم من غارة تدركهم . ص : (يقول) . ش : في إنذاره للجيش من ثمة التشبيه . ص : (صبحكم) . ش : بالتشديد أي أدركم العدو في وقت الصباح . ص : (مساكم) . ش : بالتشديد أيضًا أي أدرككم في وقت المساء فتهيئوا للقائه ومقارعته ويحتمل أن يكون معنى ذلك صبحكم الأمر الذي أنذركم به في الآخرة ومساكم من شدة قربه منكم . ص : (ويقول) . ش : في خطبته أيضًا .

ص : (بعثت) . ش : أي بعثني الله تعالى . ص : (أنا والساعة) . ش : أي القيامة قال المناوي في «شرح الجامع الصغير» [٢] : الساعة : الوقت الذي تقوم فيه القيامة ، وهي ساعة خفيفة يحدث فيها أمر عظيم . ص : (كهاتين) . ش : أي كأصبعين من شدة القرب . ص : (ويفرق بين أصبعيه) . ش : يسيرًا . ص : (السبابة) . ش : وهي المسخة . ص : (والوسطى) . ش : وهو من تمثيله [٣]

---

(١) أخرجه مسلم (٥٩٢/٢) ٧- كتاب : (الجمعة) ١٣- باب : تخفيف الصلاة والخطبة رقم ٤٣- (٨٦٧) .

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير (٢٥٩١/٥ ، ٢٥٩٢) رقم (٣١٤٧) .

(٣) قال الجرجاني في التعريفات ص (٥٨) : التمثيل : إثبات حكم واحد في جزئي لثبوته في جزئي آخر لمعنى مشترك بينهما ، والفقهاء يسمونه قياسًا . والجزء الأول فرعًا ، والثاني أصلاً . والمشترك علة وجامعًا كما يقال : العالم مؤلف فهو حادث كالبيت ، يعني البيت حادث لأنه مؤلف ، وهذه العلة موجودة في العالم فيكون حادثًا .

ﷺ الغائب بالحاضرة إشارة إلى دوام شريعته وبقائها إلى يوم القيامة وأنه لا يتخلل بينه وبين الساعة نبي ولا شريعة .

ص : **(ويقول)** . ش : في الخطبة . ص : **(أما بعد)** [١] . ش : بالبناء على الضم أي بعد دعائي لك وأول من قاله داود عليه السلام أو كعْبُ بنُ لُؤَيّ [٢] كذا في «القاموس» [٣] وتقدم هذا في شرح الخطبة . ص : **(فإن خير الحديث)** . ش : وهو الخبر يأتي على القليل والكثير ويجمع على أحاديث على غير قياس قال الفراء : إن واحد الأحاديث أحدوثة ثم جعلوه جمعًا للحديث ذكره الجوهري . ص : **(كتاب الله)** . ش : وهو القرآن العظيم . ص : **(وخير الهدى)** . ش : جمع هدية وهي السيرة قال الجوهري وما أحسن هديته وهديته أيضًا بالفتح أي سيرته والجمع هدي مثل تمرة وتمر ، ويقال أيضًا هدى هذىَ فلان أي سار سيرته ، وفي الحديث «واهد هدى عمار» . ص : **(هدي محمد عليه السلام)** . ش : نبينا ورسولنا .

ص : **(وشر الأمور)** . ش : أي الأفعال والأقوال والأحوال والاعتقادات . ص : **(محدثاتها)** . ش : أي المحدثات منها في الدين بعد زمان رسول الله ﷺ وزمان الصحابة والتابعين لهم بإحسان رضي الله عنهم .

ص : **(وكل)** . ش : أمر . ص : **(محدث)** . ش : في الدين لم يكن في الصدر الأول من فعل أو قول أو حال أو اعتقاد .

ص : **(بدعة)** . ش : أي فعلة على خلاف الملة المحمدية .

ص : **(وكل بدعة ضلالة)**. ش : أي يضل بها صاحبها عن طريق السنة .

---

(١) لقد برع الشيخ على بن عبد القادر المشهور بابن الأمين الجزائري توفى سنة (٨٢١ هـ ، ١٢٣٦ م) فألف كتابًا في هذه الكلمة «أما بعد» حققه الدكتور أحمد ماهر البقري طبع المكتب الجامعي الحديث طبع سنة ١٩٨٨ م بالإسكندرية واسم هذا الكتاب «إتحاف الألباب بفصل الخطاب» .

(٢) كعب بن لؤي هو الأب الثامن للنبي ﷺ - كان عظيم القدر عند العرب حتى أرخوا بموته (١٧٣ ق هـ - ٤٥٤ م) إلى عام الفيل . وهو أول من سن الاجتماع يوم الجمعة وكان اسمه «يوم العروبة» فكانت قريش تجتمع إليه فيخطبهم ويعظهم مصادر ترجمة : المزهر (١٤٩/١) ط الحلبي ، الأعلام (٨٥/٦ ، ١١٢) .

(٣) القاموس المحيط (٢٨٨/١) باب الدال . فصل : الباء .

الحديث السادس

ص : (خ) . ش : يعني رواه البخاري بإسناده [١] . ص : (عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله ﷺ : «كل أمتي يدخلون الجنة» . ش : يعني أمة الإجابة وهم المسلمون المؤمنون به ﷺ وبجميع ما ورد عنه ويحتمل أن يراد بالأمة ما يشمل أمة الدعوة أيضًا بقرينة قوله . ص : (إلا من أبى) . ش : أي امتنع أن يدخل الجنة . ص : (قيل) [٢] . ش : أي قال أحد من حضر تعجبًا من حال من أبى أن يدخل الجنة . ص : (ومن أبى) . ش : يعني أي إنسان امتنع من ذلك وهو مراد الكل . ص : (قال) . ش : ﷺ. ص : (من أطاعني) ش : في كل ما أمرت به ونهيت عنه بالظاهر والباطن . ص : (دخل الجنة) . ش : خالدًا فيها أبدًا . ص : (ومن عصاني) . ش : أي لم يطعني في امتثال لكل ما أمرت به ونهيت عنه مع الإيمان بذلك أن أريد بالأمة أمة الإجابة بقرينة ذكر العصيان فإنه مشتهر بمعنى الفسق لا الكفر وأن أريد أمة الدعوى فعني عصاني لم يطعني فيما أمرت به ونهيت عنه لا إيمانًا ولا عملا هو الكافر .

ص : (فقد أبى) . ش : أي امتنع أن يدخل الجنة .

الحديث السابع

ص : (حك) . ش : يعني روى الحاكم [٣] بإسناده . ص : (عن أبي سعيد رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله : «من أكل طيبًا ....») . ش : أي حلالاً متيقن الحد لا شبهة فيه ، وإن جاز أكل ما فيه شبهة . روى عن أم عبد الله بن أوس

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٩/١٣ فتح) ٩٦- كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ٢- الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ ، وقول الله تعالى ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ قال : أئمة نقتدي بمن قبلنا ويقتدي بنا من بعدنا رقم الحديث (٧٢٨٠) .

(٢) في صحيح البخاري المطبوع : قالوا : يا رسول الله ومن يأبى .

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (١٠٤/٤) كتاب : (الأطعمة) عن أبي سعيد الخدري فقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي في التلخيص (بهامش المستدرك) .

- قلت إسناده عند الحاكم : أخبرنا أبو العباس محمد بن أحمد المحجوبي ثنا سعيد بن مسعود ، ثنا عبد الله بن موسى ، أنبأ إسرائيل ، عن هلال الوزان ، عن أبي بشر ، عن أبو وائل ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : .... الحديث .

الانصارية أخت شداد بن أوس أنها بعثت إلى النبي ﷺ بقدح لبن عند فطره فرد عليها الرسول ﷺوقال : «أنى لك هذا ؟ قالت : من شاة لي قال : أنى لك الشاة ؟ قالت : اشتريتها من مالي ، فشرب ثم قال ﷺ : «أمرت الرسل أن لا تأكل إلا طيبًا ولا تعمل إلا صالحًا» [١] . ذكره المناوي في «شرح الجامع الصغير» .

ص : (وعمل) . ش : بقلبه في اعتقاد وبلسانه في قول وبجوارحه في عمل وبنفسه في حال عملاً كائنًا . ص : (في سنة) ش : أي اتباع للنبي ﷺ ظاهرًا أو باطنًا . ص : (وآمن الناس) . ش : من أهل الإسلام ولو فاسقين أو معاهدين من الكفار . ص : (بوائقه) . ش : جمع بائقة وهي الداهية ، وباق جاء بالشر والخصومات ، وباق به حاق ، وباق القوم عليه اجتمعوا فقتلوه ظلمًا ، وباق المال فسد وبار ، وباق فلان تعدى على إنسان أو هجم على قوم بغير إذنهم كانباق ، وباق القوم سرقهم كذا في «القاموس» . ص : (دخل الجنة) . ش : من غير عذاب يسبق . ص : (قالوا) ش : أي الحاضرون من الصحابة رضي الله عنهم . ص : (يا رسول الله إن هذا) . ش : يعني أكل الطيب والعمل في سنة وأمن الناس البوائق . ص : (في أمتك) . ش : يعني أمة الإجابة المسلمين لك المؤمنين بك وبجميع ما جئت به من عند الله تعالى .

ص : (اليوم) . ش : يعني في ذلك الزمان الأول في صدر الإسلام .

ص : (كثير) ش : حيث لم تظهر البدع بعد . ص : (قال) : ش : ﷺ . ص : (وسيكون في قوم) [٢] . ش : نكرهم للتقليل أو للتعظيم .

ص : (بعدي) . ش : يعني إلى يوم القيامة فإن الله تعالى حاشاه أن ينزع الكمال من هذه الأمة المحمدية وقد شهد لها بالخيرية وفي قوله تعالى : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [٣] ألم تر أن الصحابة والتابعين رضي الله عنهم كان فيهم المنافقون والفاسقون ، ولم يخرجوا بذلك عن الكمال من حيث عموم الظاهر؟! .

---

(١) عزاه السيوطي بالحاكم عن أم عبد الله بن أخت شداد بن أوس [كنز العمال (٤/٤) رقم (٩١٩٨)] وزاد في موضع آخر الطبراني (٤/١٠) رقم (٩٢٣٨) .

(٢) في المستدرك المطبوع ما بين القوسين «قرون» .

(٣) سورة [آل عمران : ١١٠] .

الحديث الثامن :

ص : (هق) . ش : يعني روى البيهقي [١] بإسناده . ص : (عن ابن عباس رضي الله عنهما) . ش : أي عنه وعن أبيه العباس عم النبي ﷺ . ص : (عن النبي ﷺ أنه قال : «مَنْ تَمَسَّكَ بِسُنَّتِي») ش : أي احتفظ على العمل بها .

ص : (عِنْدَ فَسَادِ أُمتي) . ش : باتباع الأهواء والبدع بحيث تصير نفوسهم لا تطمئن في الأعمال ، والمعاملات إلا إلى الوساوس الشيطانية ، والاختراعات العقلية مع علمهم بالسنن النبوية والمقادير والحدود الشرعية وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا .

ص : (فله) . ش : عند الله تعالى يوم القيامة . ص : (أجر) . ش : أي ثواب . ص : (مائة شهيد) . ش : قاتل في سبيل الله فقتل لما يلحقه من المشقة في العمل بالسنة ، وإحيائها لعدم المعاون ، وكثرة العوائق كما تلحق الشهيد المقاتل للكفار كذا في (شرح الشرعة) . [٢] .

الحديث التاسع :

ص : (ت) . ش : يعني روى الترمذي [٣] بإسناده . ص : (عن زيد بن

---

(١) الحديث : ضعيف جدًا : رواه ابن عدى في الكامل (٩٠/٢) ، وابن بشران في الأمالي (٩٣/١) ، (١٤١/٢) عن الحسن بن قتيبة أنا عبد الخالق بن المنذر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ، عن ابن عباس مرفوعًا . قال الألباني : في سلسلة الأحاديث الضعيفة (٣٢٦) : وهذا سند ضعيف جدًا ، وعلته الحسن بن قتيبة . قال الذهبي في «الميزان» : هالك ، قال الدارقطني : متروك الحديث .، وقال أبو حاتم : ضعيف ، وقال الأزى : واهي الحديث ، وقال العقيلي : كثير الوهم قلت : وشيخه ابن المنذر لا يعرف . وقد عزاه المنذري في الترغيب والترهيب (٨٠/١) باب الترغيب في اتباع الكتاب والسنة رقم (٥) عن ابن عباس . للبيهقي من طريق الحسن بن قتيبة هذا ، وعزاه للطبراني من حديث أبي هريرة بإسناد لا بأس به إلا أنه قال : فله أجر الشهيد .

(٢) شرح شرعة الإسلام .

(٣) أخرجه الترمذي (١٩/٥) ٤١- كتاب : (الإيمان) ١٣- باب : ما جاء أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا رقم (٢٦٣٠) من طريق : إسماعيل بن أبي أويس حدثني كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف بن زيد بن مِلْحَةَ عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال : إن الدِّين ليأرز إلى الحجاز كما تأرز الحيّة إلى جُحْرِها وليعقلن الدين من الحجاز الأروية من رأس الجبل ... الحديث .

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ، والحديث انفرد به الترمذي . تحفة الأشراف ....=

ملحة عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ أنه قال : إن الدين) . ش : أى دين الإسلام الذي هو ملة محمد ﷺ . ص : (بدا) . ش : أى ظهر قال «الجوهرى» بدا الأمر بدوا مثل قعد قعودا أي ظهر وأبديته أظهرته .

ص : (غريبًا) . ش : أي مستغربًا يستغرب أحكامه كل أحد لعدم معرفته والائتلاف به . ص : (ويرجع) . ش : في آخر الزمان .

ص : (غريبًا) . ش : أيضًا كما بدا فلا يعرفونه ولا يأتلفون به فينكرونه وقد كان فيما بين بدايته ورجوعه معروفًا مألوفًا وهو زمان عزته ونصرته يجدون عليه أعوانًا صدورهم مملوءة توحيدًا وإيمانًا ومعرفة وإتقانًا . وإخلاصًا وإحسانًا .

ص : (فطوبى) . ش : فعلى من الطيب قلبوا الياء واوًا للضمة قبلها ، ويقال : طوبى لك ، وطوباك بالإضافة ، قال يعقوب : ولا تقل طوبيك بالياء قاله «الجوهري» .

ص : (للغرباء) . ش : جمع غريب وهو الإنسان الغريب فإنه الذي يستمسك بالدين الغريب فهو غريب مثله وقد فسرهم النبي ﷺ بقوله :

ص : (الذين يصلحون) ش : من أصلحه ضد أفسده والصلاح ضد الفساد كالصلوح صلح كمنع وكرم وهو صرح بالكسر وصريح كذا في «القاموس» [(١)] .

ص : (مَا) . ش : أي الذي . ص : (أفسد الناس) . ش : وإفسادهم .

ص : (من بعدي) . ش : متعلق بأفسد .

ص : (من سنتي) . ش : أي سيرتي وطريقتي اعتقادًا وعملاً أو قالاً أو حالاً وإصلاحهم لما فسد من السنة إما بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر على وجه العموم من غير تخصيص أحد باللسان ولا بالقلب مع ستر عورات المسلمين وتغطية ما انكشف من قبائحهم كما هو الطريقة المسنونة في الأمر والنهي لا المبتدعة التي اخترعها

= (١٠٧٧٨) وفيه قال الترمذي : حديث حسن ومعنى قوله : «يأرز الحجاز» أي يجتمع وينضم كما تأرز الحية إلى جحرها .

ومعنى قوله : «الأروية» هي أنثى الوعول برؤوس الجبال .

(١) القاموس المحيط [(٢٤٣/١) صلح] باب : الحاء فصل الصاد وعبارته : الصلاحُ ضد الفساد كالصلوح صلح كنح وكرم وهو صلح بالكسر وصالح وصليح وأصلحه ضد أفسده وإليه أحسن .

جهلة العلماء من كشف فضائح المسلمين واستباحة أعراضهم على توهم المنكر فضلاً عن تحققه أو بالعمل بذلك والمواظبة عليه حتى يتعدى به أهل الدين والتقوى مع الإخلاص والخشوع أو بتصنيف الكتب في بيان ذلك أو بإقراء الكتب المصنفة فيه أو بالإعانة عليه والترغيب فيه وعدم المبالاة بفساد الزمان والإخوان حتى ورد في حديث آخر تفسير الغرباء أخرجه السيوطي في «الجامع الصغير» وهو قوله ﷺ : «طوبى للغرباء أناس صالحون في أناس سوء كثير من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم» [1] وقال الشارح المناوي : وفي رواية بدله : «من يبغضهم أكثر ممن يحبهم» ، ومن ثم قال الثوري : إذا رأيت العالم كثير الأصدقاء فاعلم أنه مخلط لأنه لو نطق بالحق لأبغضوه قال الغزالي : وقد صار ما ارتضاه السلف من العلوم غريبًا بل اندرس وما أكب الناس عليه فأكثره مبتدع وقد صار علوم أولئك غريبة بحيث يمقت ذاكرها .

الحديث العاشر :

ص : (م) . ش : يعني رواه مسلم بإسناده . ص : (عن رافع بن خديج أنه قال : قال رسول الله ﷺ : أنتم ....) . ش : يا معشر المكلفين من الصحابة وغيرهم . ص : (أعلم) . ش : أي أكثر علمًا مني . ص : (بأمر دنياكم) . ش : لكثرة اشتغالكم بذلك وليس أمر الدنيا بأمر عظيم القدر عند الله تعالى حتى يدخل النقص في جناب النبوة بنفي العلمية فيه حيث كانت : «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله» كما ورد في الخبر ، وتقدير المعنى فلا تحتاجون في أحوال الدنيا إلى أمري لكم فيها بما ينفعكم من التصرفات ، ونهيي عما يضركم لاكتفائكم في ذلك بنظر عقولكم ، وتجربتكم وقائع الأحوال ولكن . ص : (إذا أمرتكم بشيء من) . ش : أمر .

ص : (دينكم) . ش : امتثالاً لطاعة أو انكفافا عن معصية فدخل النهي في الأمر لأنه أمر بالكف كما أن الأمر أمر بالفعل . ص : (فخذوا) . ش : أي تمسكوا واحتفظوا . ص : (به) . ش : وامتثلوا له والتقدير «فإني أعلم منكم بأمر دينكم» كما جاء في حديث آخر : فوالله لأنا أعلمهم بالله وأشدهم له خشية .

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣٩٨/١) ، (١٧٧/٢ ، ٣٨٩) ابن أبي شيبة في مصنف (٢٣٧/١٣) الطبراني (١٢٢/١٠) ، (٧٠/١١) البغوي في شرح السنة (١١٩/١) ابن المبارك في الزهد (٢٦٧) شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي (٣٧ ، ٣٨) .

الحديث الحادي عشر :

ص : (ت) . ش : يعني روى الترمذي [(١)] بإسناده . ص : (عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما) . ش : أي عنه وعن أبيه عمر بن الخطاب . ص : (عن النبي ﷺ أنه قال : لا يُؤْمِنُ ......) . ش : أي يصدق ويعترف بما جئت به من عند الله تعالى أمرًا ونهيًا ظاهرًا وباطنًا . ص : (أحدكم) . ش : أي الواحد منكم ذكرًا كان أو أنثى . ص : (حتى يكون هواه) . ش : أي ميله ورغبته ومحبته . ص : (تبعًا) . ش : أي تابعًا . ص : (لما جئت به) . ش : من عند الله تعالى من الشرائع والأحكام بحيث لا يستحسن برأيه وعقله زيادة فيه أو نقصانًا منه ولا يستقبح بنظره ما يخالف شيئًا من ذلك بل يصير رأيه وعقله ونظره في أسر ما جاء عن النبي ﷺ يحكم فيه بالوارد في الشرع لا يحكم هو في الوارد في الشرع .

الحديث الثاني عشر :

ص : (خ م) . ش : يعني روى البخاري ومسلم بإسنادهما . ص : (عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه عليه الصلاة والسلام قال : ليأتين ......) . ش : أي والله ليأتين . ص : (على أمتي) . ش : يعني أمة الإجابة المؤمنين به عليه السلام بسبب طول العهد عن زمن نبوته ونقصان النقلة لدينه من غير زيادة ولا نقصان وذهاب العدول إلا قليلاً . ص : (كما أتى على بني إسرائيل) . ش : أي أمة موسى عليه السلام يعني من التغيير والتبديل لشرائع الدين والزيادة فيها والنقصان منها .

ص : (حَذْو) . ش : بالذال المعجمة . ص : (النَّعَلَ بِالنَّعْلِ) . ش : قال الجوهري : حذوت النعل بالنعل حذوا إذا قدرت كل واحدة على صاحبتها يقال : حذو القذة بالقذة اهـ . والمعنى موافقة هذه الأمة لبني إسرائيل موافقة كلية في جميع ما صدر منهم في دين الله تعالى . ص : (حتى إن كان منهم) . ش : أي من بني

---

(١) وأخرجه البغوي في شرح السنة (٢١٣/١) ، ابن أبي عاصم في السنة (١٢/١) ، الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٣٦٩/٤) وعزاه السيوطي (١٠٨٤ كنز العمال) للحكيم وأبي نصر السجزى في الإبانة ، وقال : حسن غريب والخطيب عن ابن عمر .

إسرائيل . ص : (من أتى) . ش : أي جامع . ص (أُمَّهُ) . ش : التي ولدته . ص : (علانية) . ش : أي جهرًا من غير استتار وهو أقبح معصية في الإسلام عقلاً وشرعًا ومروءة وعرفًا . ص : (لكان في أمتي من يصنع ذلك) . ش : إيثارًا لهوى نفسه على ما جاء به نبيه ﷺ من عند ربه من الحق وبنو إسرائيل هؤلاء هم أولاد يعقوب جمع ابن ، قال البيضاوي : الابن من البناء مبنى أبيه ولذلك ينسب المصنوع إلى صانعه ، فيقال : أبو الحرب ، وبنت الفكر ، وإسرائيل لقب يعقوب عليه السلام ومعناه بالعربية صفوة الله ، وقيل عبد الله ، وقال الخازن : اتفق المفسرون على أن إسرائيل هو يعقوب عليه السلام ابن إسحاق عليه السلام ابن إبراهيم ﷺ وعليهم أجمعين . ص : (وأن بني إسرائيل تفرقت على اثنين وسبعين ملة) . ش : بالكسر وهي الشريعة والدين كذا في «القاموس» .

ص : (وتفرقت أمتي) . ش : يعني أمة الإجابة المؤمنين به ﷺ لأن أمة الدعوة مفترقون أكثر من ذلك في زمانه عليه السلام .

ص : (على ثلاث وسبعين ملة) . ش : بزيادة ملة واحدة ولعل ذكر السبعين للتكثير لا للتعديد . ص : (كلهم في النار) . ش : للتطهير لا للتكفير إذ لو كفروا لكانوا أمة دعوة لا أمة إجابة فساووا ملل أمة الدعوة وكذلك كل فرقة كفرت منهم خرجت على الثلاث والسبعين ، وأصله أن الخطأ في الاجتهاد في الاعتقاد إذا كان في غير مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة هل يوجب الكفر أم لا كما أن الخطأ في الاجتهاد في العمليات في غير مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة مثاب عليه اتفاقًا وأما المجمع عليه المعلوم من الدين بالضرورة من قسم الاعتقاديات كحدوث العالم وحشر الأجساد وثبوت صفات الله تعالى مما جحدته الفلاسفة ومن قسم العمليات كأركان الإسلام الخمسة وحرمة الربا والزنا وشرب الخمر والسرقة والظلم ونحو ذلك فإن الاجتهاد في شيء من هذا باطل ولا يصلح إجماعًا لأن جحوده كفر قال في «شرح مرقاة الأصول» : في الخلاف بين أهل السنة والمعتزلة : والمجتهد يخطئ ويصيب عندنا وعندهم كل مجتهد مصيب بناء على أن الحكم عند الله واحد عندنا ومتعدد عندهم فإن المجتهدين إذا اجتهدوا في حادثة واحدة فالحكم عند الله تعالى على رأينا واحد منها وعلى رأيهم ما أدى إليه اجتهاد كل مجتهد وهذا الخلاف في الشرعيات لا العقليات كمباحث تتعلق بالذات والصفات والأفعال من الإلهيات والنبوات فإن المليين أجمعوا

على وحدة المصيب في العقليات إلا عند بعض المعتزلة وهو أبو الحسن العنبري ، والجاحظ فإنهما قالا : إن كل مجتهد مصيب في مسائل الكلام وفي «شرح المنار» لابن ملك : وهذا الخلاف في الشرعيات لا في العقليات التي من أصول الدين والحق فيها واحد بالإجماع والمخطىء فيها كافر إن خالف ملة الإسلام كاليهودي والنصراني ، انتهى . وتقديره : وإن لم يخالف ملة الإسلام بأن كان اجتهاده في غير مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة فلا يكون كافرًا إن أخطأ في ذلك وهو ما فصّلناه آنفًا فهؤلاء الثلاث والسبعون فرقة إن لم يكفروا بجحود مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة كلهم مسلمون مجتهدون في دين الإسلام من حيث الاعتقاد فمن أخطأ منهم في اجتهاده كان فاسقًا مبتدعًا ضالا وليس بكافر ولا يثاب على خطئه كما لو أخطأ المجتهد في العمليات إلا على مقتضى مذهب أبي الحسن العنبري والجاحظ من المعتزلة لتسويتهم في صحة الاجتهاد وقبول الخطأ فيه بين العمليات والاعتقاديات ومما يؤيد ما قلناه قوله ﷺ «كفوا عن أهل لا إله إلا الله فلا تكفروهم بذنب فمن كفّر أهل لا إله إلا الله فهو إلى الكفر أقرب» أخرجه السيوطي في «الجامع الصغير» وقال شارحه المناوي : فمخالف الحق من أهل القبلة ليس بكافر ما لم يخالف ما هو من ضروريات الدين كحدوث العالم وحشر الأجساد فإنه حينئذ ليس من أهل لا إله إلا الله فنكفره ا هـ .

وإذا تأملت هذا ظهر لك الجواب عن قول العلامة السعد التفتازني في «شرح عقائد النسفي» رحمهما الله تعالى ، والجمع بين قولهم لا نكفر أحدًا من أهل القبلة وقولهم يكفر من قال بخلق القرآن أو استحالة الرؤية أو سب الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ولعنهما وأمثال ذلك فمشكل انتهى كلامه . فإن المراد بأهل القبلة من لم يكفر بإنكار مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة والتكفير بهذه الثلاثة المذكورة مختلف فيه بين المجتهدين فيمن كفر بها أراد بأهل القبلة من لم يقل بذلك .

ص : (إلاّ ملة واحدة) . ش : استثناها فبقي اثنان وسبعون ملة مقدار ملل بني إسرائيل وهذه الملة المستثناه لا تدخل النار أصلاً بسبب عدم عصيانها في الاعتقادات ماتت معتقدة مقتضى مذهبها ولكن يمكن أن تدخل النار بسبب عصيانها في العمل هذا إن حملنا افتراق هؤلاء المسلمين الثلاث والسبعين ملة على افتراقهم في الاعتقاد فقط وإن أطلقناه في الاعتقاد ، وفي العمل أيضًا على معنى افتراقهم في الشيئين معًا بقرينة قوله عليه السلام في صدر الحديث «حتى إن كان منهم من أتى»

أي جامع أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك فإن هذا متابعة في العمل فتكون هذه الملة المستثناة لا تدخل النار أصلاً بسبب عدم عصيانها في الاعتقاد وفي العمل إن ماتت على ذلك وهو المتبادر من ظاهر الحديث .

ص : (قالوا) . ش : أي من حضر من الصحابة رضي الله عنهم . ص : (من هي) . ش : أي تلك الملة الواحدة . ص : (يا رسول الله قال ما) . ش : أي الذي أو أمر وشأن معنى ملة . ص : (أنا) . ش : منطو . ص : (عليه وأصحابي) . ش : من هذه الملة الإسلامية والسيرة المحمدية والمراد بالملة هنا وفيما تقدم أصحاب الملة المعتقدون لها العاملون بمقتضاها من إطلاق أحد المتجاورين على الآخر لأنها تجاورهم بالاعتقاد لها والعمل بها فصح إطلاقها عليهم وأن يرادوا بها كما قالوا من هي فاستفهموا عن أصحابها بمن التي تستعمل فيمن يعقل فقال عليه السلام «ما أنا عليه» مجيبا بما التي تستعمل فيما لا يعقل بمعنى الملة نفسها وفي كتاب «المدخل» قال البيهقي : قد أخبر سيدنا المصطفى ﷺ عما ظهر بعده من اختلاف الأمة وحذرهم متابعة أهل الأهواء منهم فيما أحدثوا من البدعة وحثهم على متابعة سنته وسنة الخلفاء الراشدين من بعده من الصحابة ودلهم بالإشارة إلى ما كانوا عليه على الفرقة الناجية فمن سلك في دينه سبيلهم ولزم في متابعة الكتاب والسنة هديهم فاز فوزًا عظيمًا ونال حظًا جسيمًا ولعل قائلاً يزعم أن المجتهدين من أهل السنة والجماعة اختلفوا أيضًا اختلافًا كثيرًا وتباينوا تباينًا شديدًا فهم وإن اختلف اجتهادهم فيما يسوغ فيه الاجتهاد فقد اجتمعوا من حيث لم يخالف واحد منهم كتابًا نصًا ولا سنة قائمة ولا إجماعًا ولا قياسًا صحيحًا عنده وإن كل واحد منهم قد أدى ما كلف من الاجتهاد ، وأحرز الأجر الموعود على طلب الصواب واختصاص بعضهم بإحراز الأجر الآخر الموعود على إصابة العين التي أمر بالاجتهاد في طلبها فضل الله يؤتيه من يشاء والذي لم يصبها غير آثم بالخطأ لأنه إنما كلف في الحكم بالاجتهاد على الظاهر دون الباطن ، ولا يعلم الغيب إلا الله فهم مع اختلافهم هذا النوع من الاختلاف من أهل السنة والجماعة وأنا أرجو أن لا يؤخذ على واحد منهم أنه قصد أن يخالف كتابًا نصًا ولا حديثًا ثابتًا ولا قياسًا صحيحًا عنده ولكن قد يجهل الرجل السنة فيكون له قول يخالفها لا أنه عمد خلافها وقد يغفل المرء ويخطىء في التأويل وقد تكون نازلة ويوجد لها في أصلين شبه فيذهب ذاهب إلى أصل والآخر إلى أصل غيره فيختلفان ثم بسط الكلام في هذا المقام .

الحديث الثالث عشر :

ص : (ت) . ش : يعني رواه الترمذي [1] بإسناده . ص : (عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لي يا بني) . ش : هذه حكاية قول أنس رضي الله عنه في هذا النداء لأنس ما لا يخفى من الإكرام والتحنن والأنس . ص : (إن قدرت) . ش : أي أقدرك الله تعالى بعنايته وتوفيقه . ص : (أن تصبح) . ش : يعني في كل صباح طول عمرك . ص : (وتمسي) . ش : في كل مساء طول عمرك . ص : (و) . ش : الحال أنه . ص : (ليس في قلبك) . ش : إضمار . ص : (غش) . ش : بالكسر اسم من غشه لم يمحضه النصح أو أظهر له خلاف ما أضمر كغشه والغِشُّ والغِلّ والحِقدُ وبالضم الغاش كذا في «القاموس» . ص : (لأحد) . ش : بالتنكير ليشمل المؤمن والكافر والصديق والعدو والإنسان وغيره . ص : (فافعل) . ش : كذلك وعود نفسك برياضتها على ذلك ليطهر قلبك من أدناس الوسواس . ص : (ثم قال) ش : النبي ﷺ لأنس رضي الله عنه . ص : (يا بني وذلك) . ش : يعني سلامة القلب من إضمار الغش لأحد دائمًا . ص : (سنتي) . ش : أي سيرتي وطريقتي ص : (ومن أحب سنتي) . ش : هذه وغيرها أيضًا فعمل عليها حتى تخلق بها . ص : (فقد أحبني) . ش : أي كان ذلك دليلاً على أنه يحبني فإن من أحب أحدًا أحب جميع أفعاله كما قال القسطلاني في «مواهبه» : ومن علامات محبته ﷺ محبة سنته ، وقراءة حديثه فإن من دخلت حلاوة الإيمان في قلبه إذا سمع كلمة من كلام الله تعالى أو من حديث رسول الله ﷺ تشربتها روحه وقلبه

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/٤٤ ، ٤٥) ٤٢- كتاب : (العلم) ١٦- باب : ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع (٢٦٩٨) حدثنا مسلم بن حاتم الأنصاري البصري حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري عن أبيه عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال : قال أنس بن مالك .... الحديث . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه وفي الحديث قصة طويلة ومحمد بن عبد الله الأنصاري ثقة وأبوه ثقة ، وعلى بن زيد صدوق إلا أنه رُبما يرفع الشيء الذي يوقفه غيره قال : وسمعت محمد بن بشار يقول قال أبو الوليد : قال شعبة : حدثنا علي بن زيد وكان رفاعًا . ولا نعرف لسعيد بن المسيب عن أنس رواية إلا هذا الحديث بطوله . وقد روى عباد بن ميسرة المنقري هذا الحديث عن علي بن زيد عن أنس ولم يذكر فيه عن سعيد قال أبو عيسى : وذاكرت به محمد بن إسماعيل فلم يعرفه ، ولم يعرف لسعيد بن المسيب عن أنس هذا الحديث ولا غيره ومات أنس بن مالك سنة ثلاث وتسعين ومات سعيد بن المسيب بعده بسنتين ، مات سنة خمس وتسعين .

ونفسه فتعمه تلك الكلمة وتشمله فتصير كل شعرة منه سمعًا ، وكل ذرة بصرًا فيسمع الكل بالكل ، ويبصر الكل بالكل فحينئذ يستنير قلبه ويشرق سره وتتلاطم عليه أمواج التحقيق عند ظهور البراهين ويرتوي بري عطف محبوبه الذي لا شيء أروى لقلبه من عطفه عليه ولا شيء أشد للهيبه وحريقه من إعراضه عنه ولهذا كان عذاب أهل النار باحتجاب ربهم عنهم أشد عليهم من العذاب الجسماني كما أن نعيم أهل الجنة برؤيته تعالى وسماع خطابه ورضاه وإقباله أعظم من النعيم الجسماني لا حرمنا الله تعالى ذوق حلاوة هذا الشراب . ص : (ومن أحبني كان معي في الجنة) . ش : يعني أوصلته محبة الرسول ﷺ إلى النعيم الأبدي والرضوان السرمدي «فإن المرء مع من أحب» كما ورد في الحديث وليس المراد أنه معه في منزلته بل مطلع عليه وكاشف عنه وكل واحد منهما في منزلته لم يتغير عنها قال الشيخ النووي في «شرح مسلم» عند الكلام على هذا الحديث فيه فضل حب الله تعالى وحب رسوله ﷺ والصالحين وأهل الخير الأحياء والأموات ومن أفضل محبة الله تعالى ورسوله امتثال أمرهما واجتناب نهيهما والتأدب بالآداب الشرعية ولا يشترط في الانتفاع لمحبة الصالحين أن يعمل عملهم إذ لو عمله لكان منهم وقد صرح في الحديث الذي بعد هذا بذلك فقال : رجل يحب القوم ولما يلحق بهم» قال أهل العربية : «لما» تنفي الماضي المستمر فتدل على نفيه في الماضي وفي الحال بخلاف «لم» فإنها تدل على الماضي فقط ثم إنه لا يلزم من كونه معهم أن تكون منزلته وجزاؤه مثله من كل وجه .

الحديث الرابع عشر :

ص : (دز) . ش : يعني روى أبو داود والبزار [1] بإسنادهما . ص : (عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ حين أتاه عمر) . ش : ابن الخطاب رضي الله عنه . ص : (فقال) . ش : يعني عمر رضي الله عنه .

ص : (إنا نسمع أحاديث) . ش : جمع حديث هي أخبار الكتب الماضية .

ص : (مِن) . ش : أناس . ص : (يهود) . ش : جمع يهودي وهم الزاعمون

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٣/٣٨٧) ، شرح السنة للبغوي (١/٢٧٠) ابن أبي عاصم في السنة (١/٢٧) وانظر : كنز العمال (١٠٠٩) ، تفسير ابن كثير (٤/٢٩٦) ، الدر المنثور (٥/١٤٩) البغوي (١/١٩٧) .

أنهم الآن من أمة موسى عليه السلام . ص : (تعجبنا) . ش : تلك الأحاديث لما فيها من الحكم والمواعظ . ص : (أفترى) . ش : أي أتنظر . ص : (أن تكتب) . ش : أي تجمع عندنا . ص : (بعضها) . ش : لنعتبر به ونتعظ بمعانيه .

ص : (فقال) . ش : ﷺ . ص : (أمتهوكون أنتم) . ش : أي متحيرون قال «الجوهري» التهوك التحير وفي الحديث : «أمتهوكون أنتم» قال ابن عون : فقلت للحسن ما متهوكون ؟ قال : متحيرون ، والتهوك أيضًا مثل التحير ، وهو الوقوع في الشيء بقلة مبالاة .

ص : (كما تهوكت) . ش : أي تحيرت . ص : (اليهود والنصارى) . ش : جمع نصراني وهم الزاعمون أنهم الآن من أمة عيسى عليه السلام .

ص : (لقد جئتكم) . ش : من عند الله تعالى . ص : (بها) . ش : أي بتلك الأحاديث التي تعجبكم . ص : (بيضاء) . ش : أي منيرة مشرقة بألفاظ عربية فصيحة ومعان واضحة راجحة بخلاف تلك الأحاديث التي هي عند أهل الكتاب فإنهم تلقوها من أنبيائهم باللسان العجمي وتناقلتها فهوم الجاهلية في أيام الفترة فكثفت لطائفها وجهلت معارفها وطمست أنوارها وكدرت أنهارها . ص : (نقية) . ش : أي خالصة من شوب الخفاء والالتباس متطهرة من أنواع العيوب والأدناس بخلاف أحاديث أهل الكتاب فإنهم لما تلقوها من العجمية إلى العربية دنسوها بقبائح كلماتهم وخلطوها بخبائث وساوسهم . ص : (ولو كان موسى) . ش : ابن عمران عليه السلام .

ص : (حيا) . ش : في هذا الزمان .

ص : (ما وسعه) . ش : أي ما جاز له .

ص : (إلا اتباعي) . ش : ولا يسوغ له أن يستقل بشريعته دوني إذ هو ﷺ نبي الأنبياء ورسول المرسلين من حضرة رب العالمين وقد أخذ الله تعالى الميثاق على جميع الأنبياء والمرسلين أن كل من لقيه ﷺ منهم وأدرك زمانه يكون تابعًا في شريعته كما قال تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾ [1] الآية وقد قدمنا الكلام على هذا المبحث . وفي الحديث : إشارة إلى أنه لا يجوز لعالم ولا جاهل أن ينظر في كتب أهل الكتاب اليوم ولا في التوراة والإنجيل والزبور والصحائف الموجودة الآن بأيدي

---

(١) سورة [آل عمران : ٨١] .

الكفار ولو بنية الانتصاح والاعتبار كما كره الفقهاء الدخول إلى البيعة أو الكنيسة لأنها مأوى الشياطين وكذلك كتبهم وصحائفهم الآن التي حرفوها وغيروها وبدلوها صارت مشتملة على كلام الشياطين ولهذا جوز بعض الشافعية الاستنجاء بها إذا خلت من ذكر الله تعالى قال الشيخ علوان بن عطية الحموي رحمه الله تعالى في كتابه «هداية العامل» : وما حرف من الكتب أو نسخ لا حرمة له ولا يجوز الإيمان بالمحرف ولا العمل به بل بالغ بعض العلماء فجوز الاستنجاء بالتوراة التي في أيدي اليهود اليوم وعندي فيه نظر إلا ما تحقق تحريفه بالألفاظ الكفرية ونحوها ا هـ .

وقرأت في هذا المحل على هامش نسخة من الكتاب المذكور «هداية العامل» من خط العلامه المرحوم الشيخ شمس الدين الميداني قال : ما ذكره من النظر هو الصواب لأن التوراة حق لا شك فيه فاحترامها واجب لأنها كلام الله تعالى ونحن الآن شاكون فيها هل بدلت أم لا . لا جائز أن يقال بدلت كلها لأن فيها ما يجزم الإنسان بأنه غير مبدل بل يقال بدل بعضها واختلف الأئمة هل هو تبدل معنى مع بقاء اللفظ بحاله ؟ أو تبديل لفظ بلفظ ؟ وعلى كل تقدير فقد اشتملت على معظم وغير معظم ؟ فإذا لم يتميز المبدل من غيره فنعظمها رجوعًا إلى الأصل واحتياطًا للمعظم الذي لم يبدل ويحرم اهانتها تغليبًا للمعظم الذي انبهم علينا ، انتهى كلامه . ويؤيد هذا أن الأئمة الحنفية كرهوا للجنب قراءة التوراة وعللوا بنحو ما ذكر قال في «شرح الدرر» : ويكره له أي الجنب قراءة التوراة والزبور والإنجيل ا هـ . وقد أخبرني رجل كان يتردد إلى أنه دخل مرة كنيسة اليهود فكشفوا له عن صحائف التوراة فاستهان بها حتى أنه أغفلهم وبصق فيها وخرج ثم إني رأيته بعد ذلك لم يزل ينكب في دينه وفي دنياه حتى مات أقبح ميتة وقيل إنه قتل نفسه والعياذ بالله تعالى فعلمت أنه بسبب إهانته لما ينسب إلى الله تعالى من الكلام وإن كان محرفًا وعرفت سر كراهة علمائنا قراءة التوراة للجنب حثًا على الاحترام وتعظيمًا لما ينسب إلى كلام ذي الجلال والإكرام ، والحاصل أنه لا يجوز إهانة هذه الكتب المنسوخة ولا يجوز القراءة فيها أيضًا ولا المطالعة .

الحديث الخامس عشر :

ص : (حدز) . ش : يعني روى أحمد بن حنبل [1] والبزار بإسنادهما . ص :

---

(١) أخرجه أحمد (٤٥٣/١) ، (١٩٠/٥) .

(عن مجاهد رضي الله عنه أنه قال : كنا مع ابن عمر) . ش : ابن الخطاب رضي الله عنهما . ص : (في سفر فمر بمكان فحاد) . ش : أي أعرض . ص : (عنه) . ش : أي عن ذلك المكان . ص : (فسئل) . ش : أي سأله من حضره . ص : (لم فعلت ذلك قال) . ش : يعني ابن عمر رضي الله عنهما . ص : (رأيت رسول الله ﷺ فعل ذلك) . ش : يعني حاد عن ذلك المكان . ص : (ففعلت) . ش : أنا كذلك وهذا من زيادة متابعته للنبي ﷺ في جميع أفعاله وأعماله وأقواله وأحواله .

الحديث السادس عشر

ص : (ز) . ش : يعني روى البزار بإسناده . ص : (عن ابن عمر) . ش : ابن الخطاب . ص : (رضي الله عنهما أنه كان يأتي شجرة) . ش : في موضع .

ص : (بين مكة والمدينة فيقيل تحتها) . ش : من القائلة وهي نصف النهار قال قيلاً وقائلة وقيلولة ومقالاً ومقيلاً وتقيل نام فيهم فهو قائل كذا في «القاموس» [(١)] والمعنى أنه كان ينام تحت تلك الشجرة وقت القيلولة نصف النهار .

ص : (ويخبر أن النبي ﷺ كان يفعل ذلك) . ش : وهو يقتدي به ويتابعه في مثل فعله الذي رآه يفعله حرصًا على متابعة السنة المحمدية قال الإمام البيهقي في «المدخل» إن أبا عبد الله الحافظ أخبره بإسناده عن أبي جعفر محمد بن علي قال : لم يكن أحد من أصحاب رسول الله ﷺ إذا سمع من رسول الله ﷺ حديثًا أجدر أن لا يزيد فيه ولا ينقص منه ولا من ابن عمر ، وحدث أيضًا بإسناده عن مالك عن عبد الله بن عمر أنه كان يتبع أمر رسول الله ﷺ وآثاره وحاله ويهتم به حتى كان قد خيف على عقله من اهتمامه بذلك .

الحديث السابع عشر

ص : (م) . ش : يعني روى مسلم [(٢)] بإسناده . ص : (عن أنس رضي الله

---

(١) القاموس المحيط لمجد الدين الفيروز آبادي (٤٣/٤) باب اللام فصل القاف .

(٢) حديث أنس أخرجه البخاري (١٠٤/٩ فتح) كتاب النكاح باب الترغيب في النكاح .
- مسلم (١٠٢٠/٢) كتاب : النكاح باب : استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنه رقم (١٤٠١) ، أحمد (١٥٨/٢) ، (٢٤١/٣ ، ٢٥٩ ، ٢٨٥) ، (٤٠٩/٥) ، الخطيب في تاريخ بغداد (٣٣٠/٣) الطبري (٧/٧) ، أبو نعيم في الحلية (٢٢٨/٣) .

عنه أنه قال قال رسول الله ﷺ : من رغب) . ش : أي أعرض . ص : (عن سنتي) . ش : يقال رغب فيه كسمع رغبًا ويضم ورغبة أراده كارتغب وعنه لم يرده وإليه ابتهل وهو الضراعة كذا في «القاموس» (١) والسنة الطريقة والسيرة تعم الأقوال والأفعال والأحوال كما قدمنا . ص : (فليس) . ش : محسوبًا .

ص : (مني) . ش : أي من ملتي وديني لإعراضه عن السنة واتباعه البدعة فإن أعرض عنها معتقدًا لها فهو مبتدع فاسق وإن لم يرها حقًّا وتهاون بها فهو كافر .

الحديث الثامن عشر

ص : (حب) . ش : يعني روى ابن حبان (٢) بإسناده . ص : (عن عبد الله بن عمر) ش: ابن الخطاب. ص: (رضي الله عنهما أنه قال قال رسول الله ﷺ : لكل عمل) . ش : من أعمال بني آدم في الخير والشر بظاهره أو باطنه . ص: (شرة). ش : أي نشاط من شرة الشباب بالكسر نشاطه كذا في القاموس (٣) والمعنى أن ابن آدم كلما عمل عملاً من الأعمال بقصده واختياره كان له إلى ذلك العمل نشاط وحرص شديد ورغبة زائدة في وقت عمله له ولهذا لا يمكن في الغالب إرجاعه عنه بلوم أو تضيق ما لم يرجع هو بنفسه إذا تم نشاطه فيه كما قال الشاعر :

لا ترجع إلا نفس عن غيها ما لم يكن منها له زاجر

ص : (ولكل شرة) . ش : أي نشاط إلى عمل من الأعمال وشدة رغبة فيه من كل أحد .

ص : (فترة) . ش : يقال فَتَرَ يُفتر فُتُورا سكن بعد حدة ولانَ بعد شِدَةٍ ، وفتر الماء سكن حره ، وفتر جسمه فتورًا لانت مفاصله وضعف كذا في «القاموس» والمعنى أن كل من غلب نشاطه إلى شيء مطلقا واشتدت رغبته فيه لا بد أن يضعف منه ذلك النشاط وتزول تلك الرغبه لأن النفس جاهلة من أصل خلقتها ولها غفلة ورعونة وطيش لا تتكلف لشيء من ذلك لأنها مجبولة عليه فإذا أظهر لها كمال في شيء من

---

(١) القاموس المحيط (٧٧/١) رغب) ، باب : الباء فصل : الراء .

(٢) أخرجه أحمد (٢١٠/٢) ، الطحاوي في مشكل الآثار (٨٨/٢) ، ابن أبي عاصم في السنة (٢٨/١) ، ابن حبان (٦٥٢ ، ٢٥١٧ موارد) .

(٣) القاموس المحيط [(٥٩/٢) شرّ] باب : الراء فصل : السين .

الأعمال وغيرها سواء كان خيرًا أو شرا أو نفعا أو ضرا حالا أو مآلا أقبلت على ذلك الشيء ورغبت فيه كمال الرغبة ونشطت إليه أبلغ نشاط ، ولا يمكنها في ذلك الوقت أن ترجع عنه بوجه مطلقًا حتى يتراءى لها في ذلك الشيء وجه من وجوه النقص ، ولابد أن يظهر لها ذلك في كل ما هي رغباته فيه ، وناشطة إليه كائن ما كان ذلك الشيء فعند ذلك تذهب رغبتها ويقل نشاطها وتضعف عما كانت فيه من قبل وهذا من كمال جهلها وزيادة رعونتها وحمقها .

ص : **(فمن كانت فترته)** . ش : أي سكونه من نشاط نفسه وغلبة رغبته في عمل من الأعمال مطلقًا .

ص : **(إلى سنتي)** . ش : بأن ترك إقباله على كل شيء وانهماكه في كل أمر واشتغل بالسنة النبوية والطريقة المحمدية .

ص : **(فقد اهتدى)** . **ش : أي وصل إلى سعادة الدنيا والآخرة .**

ص : **(ومن كانت فترته)** . ش : أي سكون نشاطه وضعف طلبه من عمل من أعماله . ص : **(إلى غير ذلك)** ش : أي إلى غير السنة بل كان إلى البدعة أو عمل آخر من أعماله وهو معرض عن السلوك في طريق السنة .

ص : **(فقد هلك)** . ش : بالضلال في الدنيا والآخرة .

وفي الحديث :

١ - إشارة إلى أن مراعاة حظوظ النفوس بالنشاط والحرص على المباحات غير مذموم لذاته بل ربما كان محمودًا إذا تركه الإنسان بعد الاهتمام به والانهماك فيه ، وعدل إلى سنة رسول الله ﷺ في مراعاة ذلك فإن له أجر المهاجر من نفسه إلى ربه أي من حظ نفسه إلى أمر ربه كما قال : ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ (١) .

٢ - وفيه : إشارة أيضًا إلى أن الله تعالى يقبل العبد المسرف على نفسه إذا ترك ما كان فيه من الخطايا والآثام وأقبل على سنة رسول الله ﷺ وتقيد بمتابعتها والمحافظة

---

(١) سورة [النازعات : ٤٠] .

عليها وإن كان تركه خطاياه وآثامه سآمة منها وفتورًا فيها من عدم قبول طبيعته لها وأن المقصود الشرعي ترك ذلك والإقلاع عنه كيفما كان .

الحديث التاسع عشر

ص : (طك حب حك) . ش : يعني روى الطبراني في «المعجم الكبير» وابن حبان والحاكم [1] بإسنادهم .

ص : (**عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : ستة لعنتهم**) . ش لعنه أي طرده وأبعده فهو لعين وملعون والمعنى دعوت الله تعالى أن يطردهم ويبعدهم عن رحمته فقول الإنسان عن غيره لعنه الله دعاء منه بأن الله لا يرحمه ضد قوله عنه رحمه الله وهو الدعاء بأن الله تعالى يرحمه وما ساغ ذلك للنبي ﷺ إلا بعد علمه بلعن الله تعالى لهم ولهذا قال :

ص : (**ولعنهم**) . ش : أي طردهم .

ص : (**الله**) . ش : تعالى وأبعدهم عن رحمته ويجوز للإنسان لعن من لعنه الله تعالى كإبليس والكافرين والظالمين ، وأما من لم يلعنهم الله تعالى فلا يجوز لعنهم .

١ - روى الإمام النووي في «رياض الصالحين» عن ابي زيد ثابت بن الضحاك الأنصاري رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ : «من حلف على يمين بملة غير الإسلام كاذبًا متعمدًا فهو كما قال ، ومن قتل نفسه بشيء عذب به يوم القيامة وليس على رجل نذر فيما لا يملك ولعن المؤمن كقتله» متفق عليه [2] .

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٩٧/٤) ٣٣- كتاب : (القدر) باب (١٧) رقم (٢١٥٤) عن عائشة . قال أبو عيسى : هكذا روى عبد الرحمن بن أبي الموالي هذا الحديث عن عبيد الله بن عبد الرحمن بن موهب عن عمرة عن عائشة عن النبي ﷺ والحاكم في المستدرك (٣٦/١) ، (٥٢٥/٢) ، (٩٠/٤) ، ابن حبان (٥٢ موارد)

وانظر : كنز العمال (٤٤٠٢٤) ، الترغيب والترهيب (٨٤/١) ، مجمع الزوائد (١٧٦/١) .

(٢) أخرجه البخاري كتاب : (النذور) باب : من حلف بملة سوى الإسلام ، مسلم كتاب : (الإيمان) ٤٧- باب : غلظ تحريم قتل الإنسان ١٧٦- (١٠٩) .

- أبو داود (٥٧٤/٣) ١٦- كتاب : (الأيمان والنذور) ٩- باب : ما جاء في الحلف بالبراءة وبملة غير الإسلام رقم (٣٢٥٧) .

- الترمذي كتاب : (الإيمان) ٤٧- باب : كراهية الحلف بغير ملة الإسلام رقم (١٥٤٣)..........=

٢ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : لا ينبغي لصديق أن يكون لعانًا رواه مسلم [١] .

٣ - وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة» . رواه مسلم [٢] .

٤ - وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إن العبد إذا لعن شيئًا صعدت اللعنة إلى السماء فتغلق أبواب السماء دونها ثم تهبط إلى الأرض فتغلق أبوابها دونها ثم تأخذ يمينًا وشمالاً فإذا لم تجد مساغًا رجعت إلى الذي لعن فإن كان أهلاً وإلا رجعت إلى قائلها» رواه أبو داود [٣] ، وهذا كله في لعن معين لم يرد عن الله لعنه بعينه ولا عن رسوله ، وأما عن لعن غير المعينين من أصحاب المعاصي فهو جائز قال تعالى : ﴿أَلاَ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [٤] وقال تعالى : ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [٥] .

٥ - وثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : «لعن الله الواصلة والمستوصلة» [٦]

٦ - وأنه قال : «لعن الله آكل الميت» .

= - ابن ماجة كتاب : (الكفارات) باب : من ورى في يمينه (٢١١٩) ، تحفة الأشراف (٢٠٦٣) .

(١) أخرجه مسلم (٤/٢٠٠٥) ٤٥- كتاب : (البر والصلة والآداب) ٢٤- باب : النهي عن لعن الدواب وغيرها رقم ٨٤- (٢٥٩٧) .

(٢) أخرجه مسلم (٤/٢٠٠٦) ٤٥- كتاب : (البر والصلة والآداب) ٢٤- باب : النهي عن لعن الدواب وغيرها رقم ٨٥- (٢٥٩٨) .

(٣) أخرجه أبو داود (٥/٢١٠ ، ٢١١) ٣٥- كتاب : (الأدب) ٥٣- باب : في اللعن رقم (٤٩٠٥) .

(٤) سورة [هود : ١٨] .

(٥) سورة [الأعراف : ٤٤] .

(٦) هذا حديث أسماء أخرجه البخاري ٧٧- كتاب : (اللباس) ٨٥- باب : وصل الشعر رقم (٥٩٣٦) ، (٥٩٤١) ،

- مسلم (٧/١٦٧٦ ، ١٦٧٨) ٣٧- كتاب : (اللباس والزينة) ٣٣- باب : تحريم فعل الواصلة والمستوصلة ... إلخ رقم ١٥- (٢١٢٢) ، النسائي ٤٨- كتاب : (الزينة) باب : الواصلة رقم (٥١٠٩) ، باب : لعن الواصلة والمستوصلة رقم (٥٢٦٥) ، ابن ماجة (٢/٤٨٦) ٩- كتاب : (النكاح) ٥٢- باب : الواصلة والواشمة رقم (١٩٨٨) .

٧ - وأنه «لعن المصورين» [١] .

٨ - وأنه قال : «لعن الله من غير منار الأرض» أي حدودها .

٩ - وأنه قال : «لعن الله السارق يسرق البيضة» [٢] .

١٠ - وأنه قال «لعن الله من لعن والديه» [٣] .

١١ - ولعن «ولعن الله من عمل لغير الله» .

١٢ - وأنه قال : «مَنْ أحدث فيها حدثًا أو آوى محدثًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين» .

١٣ - وأنه قال «اللهم العن رعلا وذكوان وعصية عصوا الله ورسوله وهذه ثلاث قبائل من العرب .

١٤- وأنه قال : «لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» .

١٥ - وأنه «لعن المتشبهين من الرجال والمتشبهات من النساء بالرجال» ، وجميع هذه الألفاظ في الصحيح بعضها في صحيح البخاري ومسلم وبعضها في أحدهما ،وفي «شرح صحيح مسلم» للإمام النووي رحمه الله تعالى .

١٦ - قوله ﷺ : «اللهم إنما أنا بشر فأي المسلمين لعنته أو سببته فاجعلها له زكاة

---

(١) أخرجه مسلم كتاب : (الأضاحي) باب : (٨) رقم (٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥) النسائي كتاب : (الضحايا) باب ك (٣٤) ، أحمد (١٠٨/١ ، ١١٨ ، ١٥٢) ابن حبان (٥٣ موارد) ، الطبراني (٢١٨/١٨) .

(٢) أخرجه البخاري ٨٦- كتاب : (الحدود) باب : لعن السارق رقم (٦٧٨٣) مسلم (١٣١٤/٣) ٢٩- كتاب : (الحدود) ١- باب : حد السرقة رقم ٧- (١٦٨٧) .
- النسائي (٦٥/٨) ٤٦- كتاب : (قطع السارق) ١- باب : تعظيم السرقة رقم (٤٨٨٨) ، أحمد في المسند (٢٥٣/٢) .
- ابن ماجة (٢٤٨/٣) ٢٠- كتاب : (الحدود) ٢٢- باب : حد السارق رقم (٢٥٨٣) ، ابن حبان (٥٨/١٣ الإحسان) ٤٤- كتاب : الحظر والإباحة ١٠- باب : اللعن رقم (٥٧٤٨) وإسناده صحيح على شرط البخاري ، تحفة الأشراف رقم (١٢٥١٥) .

(٣) أخرجه مسلم كتاب : (الأضاحي) باب : (٨) رقم (٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥) النسائي كتاب: (الضحايا) باب : (٣٤) ، أحمد (١٠٨/١ ، ١١٨ ، ١٥٢ ، ٣١٧) البيهقي (٩٩/٦) ، (٩/ ٢٥٠) ، ٢٣١/١٨) الطبراني (٢١٨/١١) .

وأجرًا» .

١٧ - وفي رواية : «أو جلدته فاجعله له زكاة ورحمة» .

١٨ - وفي رواية : «فأي المؤمنين آذيته شتمته لعنته جلدته فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة تقربه بها يوم القيامة» .

١٩ - وفي رواية : «إنما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر وإن اتخذ عندك عهدًا لن تخلفنيه فأيما مؤمن آذيته أو سببته أو جلدته فاجعله له زكاة وقربة»

٢٠- وفي رواية : «أني اشترطت على ربي فقلت إنما أنا بشر أرضى كما يرضى البشر وأغضب كما يغضب البشر ، فأيما أحد دعوت عليه من أمتي دعوة ليس لها بأهل أن يجعلها له طهورًا وزكاة وقربة» ، هذه الأحاديث مبينة ما كان عليه ﷺ من الشفقة على أمته والاعتناء بمصالحهم والاحتياط لهم والرغبة في كل ما ينفعهم وهذه الرواية المذكورة آخرًا تبين المراد بباقي الروايات المطلقة وأنه إنما يكون دعاؤه عليه كفارة ورحمة وزكاة ونحو ذلك إذا لم يكن أهلاً للدعاء عليه والسب واللعن ونحوه ، وكان مسلمًا وإلا فقد دعى ﷺ على الكفار والمنافقين ولم يكن ذلك بهم رحمة فإن قيل : فكيف يدعو على من ليس هو بأهل للدعاء عليه أو يسبه أو يلعنه ؟ فالجواب ما أجاب به العلماء ومختصره وجهان :

أحدهما أن المراد ليس بأهل لذلك عند الله تعالى ، في باطن الأمر ولكنه في الظاهر مستوجب له فيظهر له ﷺ استحقاقه لذلك بأمارة شرعية ، ويكون في باطن الأمر ليس أهلاً لذلك وهو ﷺ مأمور بالحكم بالظاهر ، والله يتولى السرائر .

والثاني أن ما وقع من سبه ودعائه ونحوه ليس بمقصود بل هو ما جرت به عادة العرب من فصل كلامها بلا نية ، كقوله : «تربت يمينك» [1] ، و«لا كبرت سنك»

---

(١) أخرجه البخاري كتاب : (العلم) ، كتاب : (الغسل) ، كتاب : (الأدب) (٥٠) باب : الحياء في العلم (١٣٠) باب : إذا احتلمت المرأة ، باب : ما لا يستحي من الحق للتفقة في الدين .
- مسلم (٢٥١/١) ٣- كتاب : الحيض ٧- باب : وجوب الغسل على المرأة بخروج المني رقم ٣٢-(٣١٣) ، النسائي ١- كتاب : (الطهارة) ١٣١- باب : غسل المرأة ترى في منامها ما يرى الرجل رقم (١٦٤) .
- مالك (٥١/١) ٢- كتاب : (الطهارة) باب : (٢١) رقم (٨٤) ، ابن ماجة (٦٠٠) ، أبو داود (٢٣٧) ، الدارمي (٧٦٢) ، تحفة الأشراف (٧٦٢) .

وفي حديث معاوية : «لا أشبع الله بطنه» (١) . ونحو ذلك لا يقصدون بشيء من ذلك حقيقة الدعاء فخاف ﷺ أن يصادف شيء من ذلك إجابة فسأل ربه سبحانه وتعالى ، ورغب إليه أن يجعل ذلك رحمة وكفارة وقربة وطهورًا وأجرًا وإنما كان يقع منه هذا في النادر والشاذ من الأزمان القليلة

٢١ - ولم يكن ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا ولا لعانًا .

٢٢ - ولا منتقمًا لنفسه .

٢٣ - وأما قوله ﷺ : «أغضبُ كما يغضب البشر» (٢) فقد يقال : إن السب ونحوه كان بسبب الغضب وجوابه ما ذكره المازري رحمه الله تعالى قال : يحتمل أنه ﷺ أراد أن دعاءه وسبه وجلده كان مما تحير فيه بين أمرين : **أحدهما** هذا الذي فعله والثاني زجره بأمر آخر ، فحمله الغضب لله تعالى على أحد الأمرين المخير فيهما وهو سبه أو لعنه وجلده ونحو ذلك وليس ذلك خارجًا عن حكم الشرع ، والله أعلم .

ص : **(وكل نبي)** . ش : من أنبياء الله تعالى عليهم السلام . ص : **(مجاب الدعوة)** . ش : يعني بعين ما دعى من غير تأخير إلى الآخرة وإلا فكل مؤمن مجاب الدعوة كما قال تعالى : ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (٣) ، ولكن أما بعين ما دعى أو بأعلى منه أو بأدنى منه في الحال أو بعد الحال أو في الآخرة على حسب ما تقتضيه الحكمة الالهية بل دعاء الكافر مجاب أيضًا كما قال إبليس : «اجعلني من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم» (٤) فاستجاب الله له وجعله من المنظرين وأما قوله تعالى : ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ﴾ (٥) فهو إخبار منه تعالى أنهم لا يدعون فيما هو هدى

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب : (البر والصلة) باب : (٢٥) رقم (٩٥) البيهقي في دلائل النبوة (٦/٢٤٣) .

(٢) أخرجه البخاري كتاب : (الدعوات) باب : قول النبي ﷺ من أذيته فاجعله له زكاة ورحمة .
- مسلم كتاب : (البر والصلة والآداب) باب : من لعنه النبي ﷺ ... إلخ رقم (٢٦٠١) .
- أبو داود (٥/٤٥ ، ٤٦) ٣٤- كتاب : (السنة) ١١- باب : في النهي عن سب أصحاب رسول الله ﷺ رقم (٤٦٥٩) .

(٣) سورة [غافر : ٦٠] .

(٤) انظر الآية (١٤) من سورة الأعراف ، الآية (٣٦) من سورة الحجر .

(٥) سورة [الرعد : ١٤] .

لهم ، والله تعالى مجيب لهم أيضًا فيايدعون فهو يضلهم بدعائهم على حسب مشيئته تعالى فإن قلت حيث كل نبي مجاب الدعوة فلماذا لم تقع الإجابة لرسول الله ﷺ في دعائه أن يجعل الله تعالى حساب أمته إليه يوم القيامة كما ورد في حديث السيوطي في «الجامع الصغير» قال قال رسول الله ﷺ : «سألت الله أن يجعل حساب أمتي لى لئلا تفتضح عند الأمم فأوحى الله عز وجل إلى يا محمد بل أنا أحاسبهم فإن كان منهم زلة سترتها عنك لئلا يفتضحوا عندك»[1] حتى ذكر الشارح المناوي قال ابن العربي وفيه : أن المصطفى ﷺ في أصل الإجابة كسائر المسلمين في أنه يجوز أن يعطى ما دعى فيه وأن يعرض عما سأل فالجواب أن الله تعالى إذا جعل حساب أمته إليه سبحانه فإن كان منهم زلة سترتها لئلا يفتضحوا عند نبيهم ﷺ أيضًا فهذه إجابة لدعاء النبي ﷺ على أبلغ وجه طلبه من الله تعالى لأن مراده ﷺ بأن الله تعالى يجعل حساب أمته إليه لئلا يفتضحوا يوم القيامة عند الأمم كما علل بذلك سؤاله فأعطاه الله تعالى مراده من سؤاله بأبلغ مما سأل ولم يفضحهم عنده أيضًا فإن حلم الله تعالى أوسع ورحمته أعم ، ومغفرته أشمل فقد يضيق صدره ﷺ لكونه بشرًا فلا يحتمل قبائح العصاة إذا عرضت عليه فيشدد في الحساب عليهم يوم القيامة ، وإن طلب ذلك في الدنيا من الله تعالى لأنه لم يطلع عليهم تفصيلاً مثل اطلاع الله تعالى فبقى العموم على أصله في أن كل نبي مجاب الدعوة كما ذكرنا ، وكلام ابن العربي معناه جواز الإعراض عما سأل النبي ﷺ لا وقوع ذلك وجواز الإعراض عن خصوص ما طلب لا عمومه وفي هذا الحديث الإجابة بأعلى مما طلب .

ثم اعلم أن قوله ﷺ : «ولعنهم الله» يحتمل إرادة الإخبار عن الله تعالى أنه لعنهم

---

(١) الحديث موضوع : قال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (٣٣٠) وقال : أورده السيوطي في ذيل الأحاديث الموضوعة ص (١٧٩) من رواية الديلمي بسنده عن أبي بكر النقاش عن الحسن بن صقر عن يوسف بن كثير عن داود بن المنذر عن بشر بن سليمان الأشعبي عن الأعرج عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعًا به ثم قال السيوطي : النقاش متهم . قال الألباني : ومع هذا فقد ذكره في كتاب «الجامع الصغير» من رواية الديلمي عن أبي هريرة . وسكت عليه الشارح المناوي فلم يزد على قوله : «ورواه ابن شادني وغيره» ثم ذكره السيوطي من رواية ابن النجار عن أنس بن مالك نحوه وفيه : محمد بن أيوب الرقى . قال ابن حبان : كان يضع الحديث وأورده ابن عراق أيضًا في كتابه : «تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة» .

كما ذكرنا فالواو للعطف وتحتمل إنشاء اللعن عليهم من النبي ﷺ فالواو للاستئناف ويناسبه الإخبار بعده بأن كل نبي مجاب الدعوة فمعناه إن دعوتي بلعنهم مستجابة ولابد وقوله : «وكل نبي مجاب الدعوة» محتمل أيضًا أن تكون الواو للحال من فاعل لعنتهم ، وأن تكون للعطف عليه ، والمعنى أن كل نبي مجاب الدعوة لعنهم أيضًا ، ويبقى قوله مجاب الدعوة صفة كاشفة لنبي كقوله تعالى : ﴿يحكم بها النبيون الذين أسلموا﴾ [(١)] فإن النبيين كلهم أسلموا وليس منهم من لم يسلم ثم إن النبي ﷺ ذكر الستة الذين لعنهم فقال الأول منهم .

ص : (الزائد) . ش : يعني الذي زاد .

ص : (في كتاب الله) . ش : تعالى ما ليس منه عامدًا متعمدًا بأن وضع كلمة مثلاً زائدة وعلمها لمن لم يقرأ القرآن بعد ، أو كتب كلمة زائدة في المصحف وأدخلها في كلام الله تعالى ، أو اخترع كيفية عمدًا أو قرأ بها آية من كتاب الله تعالى أو زاد حكمًا من أحكام الله تعالى بمجرد قياس عقله وطبعه كمن حرم ما لم يحرمه الله تعالى في كتابه أو أباح ما لم يبيحه الله تعالى في كتابه ، ولا يدخل في ذلك من حرم أو أباح بالسنة أو الإجماع أو القياس في حق المجتهد فإنه حكم بالكتاب أيضًا لأنها منه كما قدمنا وكذلك من اخترع بعقله ، ورأيه معنى لآية من كتاب الله تعالى لا يليق بالشريعة ، كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار» [(٢)] ، وفي رواية : «من قال في القرآن برأيه» أخرجه الترمذي [(٣)] ، وقال : حديث حسن . قال العلماء : النهي عن القول في القرآن بالرأي إنما ورد في حق من يتأول القرآن على مراد نفسه وما هو تابع لهواه وهذا لا يخلو إما أن يكون عن علم أو لا فإن كان عن علم كمن يحتج ببعض آيات القرآن

---

(١) سورة المائدة الآية (٤٤) .

(٢) أخرجه الترمذي (١٨٣/٥) ٤٨- كتاب : تفسير القرآن باب : ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه رقم (٢٩٥٠) قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ، النسائي كتاب : فضائل القرآن باب : من قال في القرآن بغير علم .

(٣) أخرجه أبو داود كتاب : العلم باب : الكلام في كتاب الله بغير علم الترمذي (١٨٣/٥ ، ١٨٤) ٤٨- كتاب : تفسير القرآن باب : ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه رقمي (٢٩٥١ ، ٢٩٥٢) الأول عن ابن عباس . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن . والثاني عن جندب بن عبد الله .

على تصحيح بدعته ، وهو يعلم أن المراد من الآية غير ذلك لكن غرضه أن يلبس على خصمه بما يقوي حجته على بدعته كما يستعمله الباطنية والخوارج وغيرهم من أهل البدع في المقاصد الفاسدة ؛ ليغيروا بذلك الناس ، وإن كان القول في القرآن بغير علم لكن عن جهل وذلك أن تكون الآية محتملة لوجه فيفسرها بغير ما تحمل من المعاني والوجوه فهذان القسمان مذمومان وكلاهما داخل في النهي والوعيد الوارد في ذلك فأما التأويل ، وهو صرف الآية على طريق الاستنباط إلى معنى يليق بها محتمل لما قبلها وما بعدها وغير مخالف للكتاب والسنة فقد رخص فيه أهل العلم فإن الصحابة رضي الله عنهم قد فسروا القرآن واختلفوا في تفسيره على وجوه ، وليس كل ما قالوه سمعوه من النبي ﷺ ، ولكن على قدر ما فهموا من القرآن . تكلموا في معانيه ، وقد دعى النبي ﷺ لابن عباس فقال «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل» (١) ، فكان أكثر ما نقل عنه التفسير ، كذا قال أبو محمد الخازن في أول تفسيره .

ص : (و) . ش : الثاني . ص : (المكذب بقدر الله) . ش : أي الذي يقول لا قدر وإنما الأمر أنف أي لم يرعها أحد من قولهم روضة أنفًا بضمتين قال الجوهري : روضة أنفًا بالضم أي لم يرعها أحد ، والكلأ الذي لم يرع ، وفي حواشي شرح السنوسية للعلامة الشيخ أحمد المقري - رحمه الله تعالى - قال الأبِّي : القدر بالفتح والسكون مصدر قدرت الشيء إذ أحطت بمقداره وهو في عرف المتكلمين عبارة عن تعلق علم الله تعالى وإرادته أزلاً بالكائنات قبل وجودها فلا حادث إلاَّ وقد قدره سبحانه وتعالى أزلاً أي سبق به علمه وتعلقت به إرادته ، وزعم كثير أن معنى القدر جبر الله تعالى العبد على ما قدره وقضاه ، وليس كذلك ، والقول بالقدر عقيدة أهل الإسلام أجمع إلى أن ظهرت هذه الطائفة المسماة بالقدرية آخر زمان الصحابة فقالوا لا قدر وإنما الأمر أنف حتى أن الله تعالى لا يعلم الأشياء قبل وجودها وإنما يعلمها بعد أن تقع ، ومعبد الجهني هو أول من قال بالقدر ، وغيلان الدمشقي وأكثر مذهبهم مبني على منزع الفلاسفة إلى الإلهيات لكن لقبحه رجعت جميع طوائفهم عنه مع بقائهم

---

(١) أخرجه ابن حبان (٥٣١/١٥ الإحسان) ٦١- كتاب : إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة ، رجالهم ونسائهم رقم (٧٠٥٥) عن ابن عباس / أحمد في المسند (٢٦٦/١ ، ٣٢٨ ، ٣٣٥) له في فضائل الصحابة رقم (١٨٥٦ ، ١٨٥٨ ، ١٨٨٢) ، والطبراني في المعجم الكبير رقمي (١٠٥٨٧ ، ١٠٦١٤) الفسوي في المعرفة والتاريخ (٤٩٣/١ ، ٤٩٤) .

على أصل الاعتزال من إثبات منزلة بين المنزلتين ويسمونه عدلاً ونفى الصفات التي أطبقت طوائفهم عليه وأخذوه أيضًا من الفلاسفة ويسمونه توحيدًا ليدرؤا بذلك عن أنفسهم اسم المجوسية التي سماهم بها الشرع في قوله ﷺ : «القدرية مجوس هذه الأمة» [١] وزعموا أن القدر مذموم المعنى في الحديث إنما هو القدر الأول ، وليس المعنى في الحقيقة الأهم فإنهم شاركوا المجوس في الثنوية في إثبات فاعل غير الله تعالى حيث قال العبد يخلق أفعاله ، والخير من الله والشر من غيره اهـ ، وقد أخبر ﷺ عنهم أيضًا بما يلزمهم معنى المجوسية الوارد في الحديث المذكور كما أخرجه الأسيوطي في «الجامع الصغير» [٢] قال : قال رسول الله ﷺ : «سيكون في أمتي أقوام يكذبون بالقدر» [٣] فقال الشارح المناوي : أي لا يصدقون بأن الله تعالى خلق أفعال عباده كلها من خير وشر وكفر وإيمان ، وأخرج الأسيوطي أيضًا قال : قال رسول الله ﷺ : «القدر نظام التوحيد ، فمن وحّد الله وآمن بالقدر فقد استمسك بالعروة الوثقى» وقال المناوي رحمه الله تعالى في شرحه : لأن من قطع بأن الخلق «لو اجتمعوا كلهم على أن ينفعوه لم ينفعوه إلا بشيء قدره الله له ولو اجتمعوا على أن يضروه لم يضروه إلا بشيء قدره الله عليه» وطرح الأسباب فقد استمسك بأعظم العرى واستنار قلبه ، وانشرح صدره وأيقن بأن العبد لا يعلم مصلحته إلا إن أعلمه الله إياها ، ولا يقدر على تحصيلها حتى يقدره الله عليها ، ولا يريد ذلك، حتى يخلق الله فيه إرادة ومشيئة فعاد الأمر كله من الله ابتدى منه وهو الذي بيده الخير كله وإليه يرجع الأمر كله ، قيل : وفي التقدير بطلان التدبير ، والمرء طالب والقضاء غالب ، والقضاء يبعد القريب ويقرب البعيد اهـ .

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٢٢/٤) ٣٥- كتاب : السنة ١٦- باب : في القدر رقم (٤٦٩١) عن ابن عمر ، ابن أبي عاصم في السنة (١٤٩/١) ، وابن المبارك في الزهد رقم (٣٠٥) ، البخاري في التاريخ الكبير (٣٤١/٢) .

(٢) عزاه السيوطي لأحمد والحاكم عن ابن عمر وضعفه المناوي في [فيض القدير شرح الجامع الصغير (١٣٣/٤) رقم (٤٧٨٣)] .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٩٠/٢) وإسناده صحيح ، والحاكم في المستدرك (٨٤/١) وقال : صحيح على شرط مسلم ، فقد احتج بأبي صخر حميد بن صخر ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي في التلخيص .

وفي مختصر شرح الإمام النووي على صحيح مسلم قال : اعلم أن مذهب أهل السنة إثبات القدر ، وهو أنه سبحانه وتعالى قدر الأشياء في القدم ، وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى ، وعلى صفات مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدرها سبحانه وأنكرت القدرية هذا وزعمت أنه سبحانه لم يقدرها في سابق علمه وإنها مستأنفة العلم أي يعلمها سبحانه بعد وقوعها كذبوا . تعالى ربنا وتقدس عن أقوالهم الباطلة علوا كبيرًا وسميت هذه الفرقة القدرية لإنكارهم القدر ، وقد انقرضت هذه الفرقة وصارت القدرية في هذه الأزمان تعتقد أن الخير من الله والشر من غيره تعالى الله عن ذلك .

قال إمام الحرمين في «إرشاده» : إن بعض القدرية قالوا : لسنا بقدرية بل أنتم القدرية لاعتقادكم إثبات القدر وهذه جهالة وتاقح فإننا بحمد الله تعالى نفوض أمورنا إلى الله تعالى ، ونضيف جميع الأمور إلى الله تعالى وهؤلاء الجهلة يضيفونها إلى أنفسهم ومضيف الشيء إلى نفسه أولى بأن ينسب إليه ممن يعتقده لغيره ، قال إمام الحرمين : وقد قال ﷺ : «القدرية مجوس هذه الأمة» [١] : شبههم بهم لتقسيمهم الخير والشر في حكم الإرادة كما قسمت المجوس الخير إلى قسمين والشر إلى أمرين وهذا الحديث أخرجه أبو داود وأخرجه الحاكم في المستدرك على شرط الصحيحين وقال الخطابي : التشبيه من حيث إن المجوس أضافت الخير إلى النور والشر إلى الظلمة ثم قال : وقد يحسب كثير من الناس أن معنى القضاء والقدر إجبار الله تعالى العبد على ما قضاه وليس كذلك وإنما معناه الإخبار عن تقدم علم الله تعالى بما يكون من أفعال العباد وصدورها عن تقدير منه وخلق لخيرها وشرها والمقدر اسم لما صدر مقدرًا عن فعل القادر وقدر بتخفيف الدال وتشديدها .

ص : **(و)** . ش : **الثالث** . ص : **(المتسلط)** . ش : من التسليط وهو إطلاق القهر والقدرة والتسليط الشديد ، والطويل اللسان وقد سلط ككرم وسمع سلاطة وسلوطة بالضم كذا في «القاموس» [٢] .

والمعنى المطلق قهره أو المطلق لسانه بالسب والشتم .

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) القاموس المحيط (٢/٣٧٩ سلط) .

ص : (على أمتي) . ش : أمة الإجابة والمعاهدين من أمة الدعوى . ص : (بالجبروت) . ش : أي بالتكبر والباطل والغرور . ص : (ليذل) . ش : أمتي له أو لغيره أو مطلق الذلة . ص : (من أعز الله) . ش : أي جعله الله تعالى عزيزًا بعلم أو دين وصلاح أو منصب دنيوي أو مالٍ حلال أو معرفة صنعة أو فراسة وحذق أو حسن خلق أو خلقة أو نحو ذلك .

ص : (ويعز) . ش : من الأمة أيضًا أي يجعل عزيزًا عنده أو عند غيره . ص: (من أذل الله) ش : أي جعله الله تعالى ذليلاً بسبب الجهل أو فساد الدين أو قلة العمل بالعلم أو سوء الخلق ، ويدخل في ذلك أعوان الظلمة الذين لم يقصدوا بخدمة الحكام نصرتهم في تنفيذ الأحكام الشرعية . ص : (و) . ش : الرابع .

ص : (المستحل) . ش : أي الذي يستحل بمعنى يستبيح .

ص : (لحرم الله) . ش : بفتحتين وهو حرم مكة حرم الله ورسوله يعني الموضع الذي يحترم لأجل الله ورسوله فلا تهتك فيه حرمة الله ورسوله قال في «شرح الشرعة»[1] المسمى بجامع الشروح الحرم : حرم مكة ، ومقداره من قبل المشرق : ستة أميال ومن الجانب الثاني : اثنى عشر ميلاً ومن الجانب الثالث : ثمانية عشر ميلاً ومن الجانب الرابع أربعة وعشرون ميلاً . هكذا قال الفقيه أبو جعفر ، وذكر أن الحجر الأسود أخرج من الجنة وله ضوء فكل موضع بلغه ضوؤه كان حرمًا محترمًا فيعظمه بأبلغ ما يقدر عليه من التعظيم واعلم إنّ المواقيت الخمسة التي وقتها النبي ﷺ وعينها للإحرام فناء للحرم وهو فناء للبيت شرفه الله تعالى ، ومن قصد مكة سواء كان للزيارة أو غيرها لا يحل له التجاوز من هذه الأفنية غير محرم تعظيما له إلا إذا كان القاصد من داخل الميقات فيحل له أن يدخل مكة بلا إحرام لحاجة غير الحج والعمرة وجاء في الأثر : «أن الله تعالى ينظر في كل يوم إلى أهل الأرض فأول من ينظر إليهم أهل الحرم ، وأول من ينظر إليه من أهل الحرم أهل المسجد الحرام فمن رآه طائفًا غفر له ومن رآه مصليًا غفر له ، ومن رآه نائمًا مستقبل القبلة غفر له ، ولا يحل لأحد أن يحمل فيه سلاحًا للمحاربة مع المسلمين» .

أما من حمل السلاح للبيع والمحاربة مع الكفار فيجوز كما فعل النبي ﷺ في الفتح

---

(١) شرح شرعة الإسلام ص (٢١٢) . فصل في الحج .

ولا يجنى فيه جناية على النفس وما دونها ولا يؤذي فيه مسلمًا وإذا أراد أن يأكل أو يقضي حاجته من البول والتغوط خرج إلى الحل إن استطاع الخروج وإلاّ فإلى مقدار ما يستطيع عليه لما روي في حق كل منهما من الأحاديث والآثار .

١ - حكي أن عمر بن عبد العزيز وأمثاله من الأمراء كان يضرب فسطاطين فسطاطًا في الحرم وفسطاطًا في الحل ، فإذا أراد أن يصلي أو يعمل شيئًا من الطاعات دخل فسطاط الحرم رعاية لفضل المسجد الحرام وإذا أراد أن يتكلم أو يأكل أو غير ذلك خرج إلى فسطاط الحل كذا في «الخالصة» [(١)] .

٢ - ولا يطيل بمكة الإقامة فيسأم من مجاورة الحرم أو يقصر في تعظيمه ، ولهذا كان عمر الفاروق رضي الله عنه يضرب الحجاج إذا حجوا ويقول : «يا أهل اليمن يمنكم ، ويا أهل الشام شامكم ، ويا أهل العراق عراقكم» .

٣ - وتكره إطالة المجاورة فيها عند أبي حنيفة رضي الله عنه خلافًا لهما ، ولا تظن أن كراهة ذلك تناقض فضل البقعة لأن هذه الكراهة علتها ضعف الخلق وقصورهم عن القيام بحق الموضع ، وفي «الأشباه والنظائر» في أحكام الحرم : لا يدخله أحد إلا محرمًا ، وتكره المجاورة فيه ، ولا يقتل ، ولا يقطع من فعل خارجه والتجأ به ، ويحرم التعرض لصيده ويجب الجزاء بقتله ، ويحرم قطع شجره ودعي حشيشه إلا الإذخر ، ويسن الغسل لدخوله وتضاعف فيه الصلوات وحسناته كسيئاته ، ويؤاخذ فيه بالهم ، ولا يسكن فيه كافر ، وله الدخول فيه ، ولا تمتع ولا قران لمكي وتختص الهدايا به ويكره إخراج حجارته وترابه وهو مساوٍ لغيره عندنا في اللقطة والدية على القاتل في خطأ ولا حرم للمدينة فلا يثبت له هذه الأحكام إلا إثنان الغسل لدخولها وكراهة المجاورة بها أ هـ وذكر والدي رحمه الله تعالى في كتابه «الأحكام» قال : في «الحقائق» لا حرم للمدينة عندنا ، وعند الشافعي رحمه الله

---

(١) «خالصة الحقائق لما فيه من أساليب الدقائق» .كتاب لأبي القاسم عماد الدين محمود بن أحمد الفارابي المتوفي سنة ٦٠٧ مجلد أوله الحمد لله الذي برأ كل حي ... إلخ رتب على خمسين بابًا وأورد في كل منهما طرفًا من الأخبار والآثار ، وكلمات الأكابر والحكم والأشعار . وفرغ منه عن سنة (٥٩٧) سبع وتسعين وخمسمائة واختصره على بن محمود بن محمد الرابض البدخشاني وسماه أخلص الخالصة لخصه على سبيل الإيجاز والاختصار أوله الحمد لله الأحد القديم السلام ... إلخ [كشف الظنون (٦٩٩/١)] .

تعالى لها حرم ثم اتفقت أقاويله أنه لا يباح قتل صيد حرم المدينة ، ولا قطع أشجاره واختلفت أقاويله في وجوب الجزاء وفي «المصفى» و«الأصل» أن إثبات الشرع بالرأي لا يجوز فلا يجوز إلحاق حرم المدينة بحرم مكة بالرأي حتى لا يجوز أخذ صيده وأما قوله عليه الصلاة والسلام : «أن إبراهيم عليه السلام حرم مكة وأنا أحرم المدينة» ، فمعناه أجعل لها حرمة وذكر بعد ذلك في بيان الحرم المكي قال ذهب جماعة من السلف إلى أن السيئات تتضاعف بمكة كما تتضاعف الحسنات منهم ابن عباس وابن مسعود ومجاهد وأحمد بن حنبل وغيرهم لتعظيم البلد والعقاب على الهم بالسيئات بها وإن لم يفعلها قال تعالى : ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [(١)] ولهذا تعدى فعل الإرادة بالباء لما ضمن معنى هم وهذا مستثنى من قاعدة الهم بالسيئة وعدم فعلها كل ذلك تعظيماً لحرمته ولذلك أهلك الله أصحاب الفيل قبل الوصول إلى بيته ، وقال أحمد ابن حنبل رضي الله عنه : لو أن رجلاً هَمَّ أن يقتل في الحرم أذاقه الله تعالى من العذاب الأليم ثم قرأ الآية ، وقال ابن مسعود رضي الله عنه ما من بلدة يؤاخذ العبد فيها بالهم قبل الفعل إلا مكة وقرأ الآية ، وتورع بعضهم على قضاء الحاجة بمكة وكان يتأول أنها مسجد وهذا التأويل مردود بالإجماع وبفعله عليه السلام وأصحابه والسلف ، نعم ، روى الطحاوي في «تهذيب الآثار» من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنه ﷺ لما كان بمكة كان إذا أراد حاجة الإنسان خرج إلى المغمس وهو على ميلين من مكة رواه الطبراني في الأوسط من طريق آخر اهـ . ووجدت في كتاب «مشارق الأنوار القدسية في العهود المحمدية» للشيخ عبد الوهاب الشعراني رحمه الله تعالى قال سمعت سيدي عليًا الخواص رحمه الله تعالى يقول لشخص من العلماء أراد الحج : إياك يا أخي أن تجاور في مكة أو المدينة فتعجز عن القيام بآدابهما فيصدق عليك المثل حججت ومعك خرج وزر فرجعت وفوق ظهرك ألف خرج أوزار أي لأن تبعات كل ممن تستغيبهم تجعل وحدها يوم القيامة فكأنها تخرج وحدها فقال له يا سيدي : اسمحوا لي بالمجاورة فقال : لا أسمح لك إلا إن كنت تدخل على الشروط فقال له : وما الشروط ؟ فقال الشيخ :

١- منها أنك لا تدخر قط فيها قوتًا ولا دراهم مدة إقامتك فيها .

---

(١) سورة الحج الآية ٢٥ .

٢- ومنها أن لا تأكل قط طعامًا وحدك وأنت تعلم أن فيها أحدًا جائعًا في ليل أو نهار .

٣- ومنها أن تلبس الهدم والخليقات ولا تلبس شيئًا قط من الثياب الفاخرة بل تبيعها وتنفقها على الفقراء الجياع .

٤- ومنها أن لا تحن مدة إقامتك إلى رجوعك إلى بلدك أبدًا ولا تشتاق إلى دار ولا ولد ، ولا إلى وظيفة ولا إلى إخوان في غير مكة لأنك في حضرة الله الخاصة ولا يؤاخذ منك إلا قلبك وقلبك خرج من حضرته فبقيت في حضرته جسمًا بلا قلب .

٥- ومنها أن لا يطرقه مدة إقامته هلع ولا رائحة إتهام للحق تعالى من أمر رزقه ولا يخاف أن يضيعه أبدًا لأن أهل حضرته تعالى لا يجوز لهم ذلك بل ربما مقت صاحب الاتهام وطرد من حضرة الله تعالى لسوء أدبه وضعف يقينه وهو يرى الحق تعالى يطعمه ويسقيه من حين كان في بطن أمه إلى أن شابت لحيته وهذا من أقبح ما يكون مع أن تلك الأرض تعطي ساكنها بالخاصية الهلع والاتهام للحق في أمر الرزق حتى لا يكاد يسلم من ذلك إلا أكابر الأولياء ومن هنا كره الأكابر الإقامة بمكة .

٦- ومنها أن لا يخطر في نفسه مدة إقامته هناك معصية أبدًا ولو بعد الوقوع من مثله فكيف بقريب الوقوع ومن هنا سافر الأكابر من الأولياء بنسائهم وتكلفوا مؤنة حملهم لأجل ذلك ، وكان الشعبي رضي الله عنه يقول : لأن أقيم في حمام أحب إلي من أن أقيم بمكة ، وكان يقول : لأن أكون مؤذنًا بخرسان أحب إلى من أن أقيم بمكة خوفًا أن يخطر في نفسي إرادة ذنب ولو لم أفعله فيذيقني الله من عذاب أليم لقوله تعالى : ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [1] :

وهذا خاص بالحرم المكي فهو مستثنى من حديث : «إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل» وقد قالوا لابن عباس رضي الله عنهما لما سكن الطائف: لِمَ لا تقيم بمكة فقال : لا أقدر على حفظ خاطري من إرادة ظلمي للناس أو ظلمي لنفسي فكيف لو وقعت في الفعل فإن الله تعالى لم يتوعد أحدًا على مجرد إرادته السوء دون الفعل له إلا بمكة فقال الشخص : يا سيدي التوبة عن المجاورة وحج ولم يجاور

ص : (و) . ش : الخامس . ص : (المستحيل) . ش : أي المستبيح بمعنى

(١) سورة الحج الآية ٢٥ .

المنتهك . ص : (من عترتي) . ش : وهي بالكسر نسل الرجل ورهطه وعشيرته الأدنون ممن مضى ومن سيأتي والمعني من ذريتي ومن أهل بيتي الثابت نسبهم بطريق التواتر أو الشهرة أو حكم الحاكم كأن صار واقعة شرعية وثبت بالبينة وإلا فهو مظنون محترم على الظن . ص : (ما) . ش : أي فعلاً أو قولاً أو ظنًا .

ص : (حرم الله) . ش : أي حكم الله تعالى بحرمته كالزاني بهم أو القاذف لهم أو الشاتم أو الذي ظن بهم سوءًا أو اغتابهم أو ظلمهم ونحو ذلك فإن إثمه أبلغ من إثم من فعل ذلك مع غيره لهذا الحديث حيث آذى رسول الله ﷺ بإيذاء ذريته . ص : (و) . ش : السادس . ص : (التارك لسنتي) . ش : الفعلية أو القولية أو الاعتقادية أو الحالية وهي السنن المؤكدات دون الزوائد المستحبات وأخرج البيهقي هذا الحديث أيضًا في «المدخل» برواية أخرى عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : «ستة لعنهم الله وكل نبي كان : الزائد في كتاب الله ، والمكذب بقدر الله ، والمتسلط بالجبروت ليذل بذلك من أعز الله ويعز من أذل الله ، والمستحل لحرم الله ، والمستحل من عترتي ما حرم الله والتارك لسنتي» وأخرجه أيضًا بإسناده إلى عبيد الله بن عبد الرحمن بن موهب قال سمعت علي بن الحسين يقول : قال رسول الله ﷺ : «ستة لعنتهم لعنهم الله وكل نبي مجاب» فذكر الحديث [1] بتمامه .

الحديث العشرون

ص : (خ م) . ش : يعني روى البخاري ومسلم [2] بإسنادهما .

ص : (عن أنس رضي الله عنه أنه قال : قال) . ش : يعني النبي . ص : (ﷺ : لا يؤمن) . ش : أي يصدق بالحق الذي جئت به ظاهرًا وباطنًا ويذعن له وينقاد إليه . ص : (أحدكم) . ش : أبدًا . ص : (حتى أكون أحب) . ش : أي أكثر حبًا . ص : (إليه) . ش : في الظاهر والباطن . ص : (من والديه) . ش :

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٩٧/٤) ٣٣- كتاب : القدر باب (١٧) رقم (٢١٥٤) .

(٢) الحديث : متفق عليه أخرجه البخاري كتاب : الإيمان باب : حب الرسول ﷺ من الإيمان (١٥) ، ومسلم (٦٧/١) كتاب : الإيمان (١٦) باب : (وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد ، والناس أجمعين ، وإطلاق عدم الإيمان على من لم يحبه هذه المحبة (٧٠) النسائي - كتاب : الإيمان باب : علامة الإيمان (٥٠٢٨) - ابن ماجه المقدمة ٩- باب : في الإيمان (٦٧) - تحفة الأشراف رقم (١٢٤٩) .

أي أبيه وأمه الذي تولد هو منها فهما أصله . ص : (و) . ش : من .

ص : (ولده) . ش : أيضًا الذي تولد منه ذكرًا كان أو أنثى فهو فرعه . ص : (و) . ش : من . ص : (الناس) . ش : أي بقية قرابته والأجانب عنه من أصحابه وغيرهم . ص : (أجمعين) .

أصناف المحبة

ش : تأكيدًا للكل من والديه وولده والناس فإن الوالد والوالدة وإن لم يطلقا على الجد والجدة يراد بهما الأب والأم فيشملان الأجداد والجدات كما قال تعالى : «يا بني آدم» وهو جدهم وقال الشاعر :

الناس من جهة التكريم أكفاء أبوهم آدم والأم حواء

مع أن حواء جدتهم ، وكذلك الولد شامل للابن وابن الابن وإن سفل والبنت وبنت البنت وإن سفلت . قال الإمام القرطبي في شرح مسلم عند الكلام على حديث «لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من أهله ، وماله والناس أجمعين» هذا الحديث على إيجازه يتضمن ذكر أصناف المحبة فإنها ثلاثة : محبة إجلال وإعظام كمحبة الوالد والعلماء والفضلاء ومحبة رحمة وإشفاق كمحبة الولد ومحبة مشاكله واستحسان كمحبة غير من ذكرنا وأن محبة رسول الله ﷺ لا بد أن تكون راجحة على ذلك كله ، وإنما كان ذلك لأن الله تبارك وتعالى قد كمله على جميع جنسه وفضله على سائر نوعه بما جعله عليه من المحاسن الظاهرة والباطنة ، وبما فضله به من الأخلاق الحسنة ، والمناقب الجميلة فهو أكمل من وطئ الثرى ، وأفضل من ركب ومشى ، وأكرم من وافى القيمة ، وأعلاهم منزلة في دار الكرامة ، قال القاضي أبو الفضل : فلا يصح الإيمان إلا بتحقيق أنافة قدر النبي ﷺ ومنزلته على كل والد وولد ومحسن ومفضل ، ومن لم يعتقد هذا ، واعتقد سواه فليس بمؤمن وظاهر هذا القول أنه صرف محبة النبي ﷺ إلى اعتقاد تعظيمه وإجلاله ولا شك في كفر من لا يعتقد ذلك غير أن تنزيل هذا الحديث على ذلك المعنى غير صحيح لأن اعتقاد الأعظمية ليس بالمحبة ولا الأحبية ولا مستلزمًا لها إذ قد يجد الإنسان من نفسه إعظام أمرٍ أو شخص ولا يجد محبته ، ولأن عمر رضي الله عنه لما سمع قول رسول الله ﷺ : «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب

إليه من نفسه وولده ووالده والناس أجمعين» قال : يا رسول أنت أحب إلي من كل شيء إلا نفسي ؟ فقال : ومن نفسك يا عمر ؟ قال : ومن نفسي فقال : «الآن يا عمر » [١] وهذا كله تصريح بأن هذه المحبة ليست باعتقاد تعظيم بل ميل إلى المعتقد تعظيمه وتعلق القلب به فتأمل هذا الفرق فإنه صحيح ومع ذلك فقد خفي على كثير من الناس وعلى هذا فمعنى الحديث والله أعلم أن من لم يجد في نفسه ذلك الميل وأرجحيته للنبي ﷺ لم يكمل إيمانه على أني أقول أن كل من صدق النبي ﷺ وآمن به إيمانًا صحيحًا لم يخل عن وجدان شيء من تلك المحبة الراجحة للنبي ﷺ ، غير أنهم في ذلك متفاوتون فمنهم من أخذ تلك الأرجحية بالحظ الأوفى كما قد اتفق لعمر رضي الله عنه حين قال : «ومن نفسي» ولهند امرأة أبي سفيان [٢] حين قالت للنبي ﷺ : «لقد كان وجهك أبغض الوجوه كلها إلي فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إلي» الحديث كما قال عمرو بن العاص : «لقد رأيتني وما أحد أحب إلي من رسول الله ﷺ ولا أجل في عيني منه وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالاً له ولو شئت أن أصفه ما أطقت لأني لم أكن أملأ عيني منه» ولا شك في أن حظ أصحابه من هذا أعظم لأن معرفتهم لقدره أعظم لأن المحبة ثمرة المعرفة فتقوى فتضعف بحسبها ومن المؤمنين من يكون مستغرقًا بالشهوات محجوبًا بالغفلات عن ذلك المعنى في أكثر الأوقات فهذا بأخس الأحوال لكنه إذا ذكر بالنبي ﷺ أو بشيء من فضائله اهتاج لذكره واشتاق لرؤيته بحيث يؤثر رؤيته بل رؤية قبره ومواضع آثاره على أهله وماله وولده ونفسه والناس أجمعين فيخطر له هذا ويجده وجدانًا لا شك فيه غير أنه سريع

---

(١) أخرجه البخاري ٢- كتاب : الإيمان ٨- باب : حب الرسول ﷺ من الإيمان رقم (١٥) ، ومسلم (٦٧/١) ١- كتاب : الإيمان ١٦- باب : وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد ، والناس أجمعين ، وإطلاق عدم الإيمان على من لم يحبه هذه المحبة رقم (٧٠) - (٤٤) كلاهما عن أنس بن مالك - النسائي ٤٧ - كتاب : الإيمان ٩- باب : علامة الإيمان أحمد بن حنبل في المسند (١٧٧/٣ ، ٢٠٧ ، ٢٧٥) ، الحاكم (٤٨٦/٢) .

(٢) هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف القرشية العبشمية والدة معاوية بن أبي سفيان أخبارها قبل الإسلام مشهورة . وشهدت أحدًا قال ابن سعد قال الواقدي لما أسلمت هند جعلت تضرب صنمًا لها في بيتها بالقدوم حتىفلذتها فلذة فلذة وتقول : كنا معك في غرور . وقال أبو عمر : ماتت في خلافة عمر بعد أبي بكر بقليل في اليوم الذي مات فيه أبو قحافة كذا قال [الإصابة في تمييز الصحابة (٢٠٥/٨ ، ٢٠٦) ت (١٠٩٨)] .

الزوال والذهاب لغلبة الشهوات وتوالي الغفلات ويخاف على من كان هذا حاله ذهاب أصل تلك المحبة حتى لا يوجد منها حبة فنسأل الله الكريم أن يمن علينا بدوامها وكمالها ولا يحجبنا عنها أمين ، وفي «مختصر شرح النووي على مسلم» عند الكلام على هذا الحديث قال الخطابي : لم يرد به حب الطبع بل أراد به حب الاختيار إذ حب الطبع لا يمكن قلبه فمعناه لا تصدق في حبي حتى تفنى في طاعتي نفسك ، وتؤثر رضايا على هواك وإن كان فيه هلاكك ، ومعنى الحديث : أن من استكمل الإيمان علم أنّ حقه ﷺ اكد من حق أبيه وابنه والناس أجمعين وكيف وقد استنقذنا من النار وهدانا إلى الصراط المستقيم .

ومن محبته نصرة سنته وتأييد شريعته وإجلالها وتعظيمه التعظيم اللائق ولا يصح إلا بتحقيق إعلاء قدر النبي ﷺ على كل والد وولد ومحسن ومفضل ، وقال ابن أقبرس في «شرح الشفا» : محبته ﷺ هي الواجب الفرض الثابت الصحيح المرضي إذ لا يكون المؤمن مؤمنًا بدون محبة رسول الله ﷺ وذلك واجب عقلاً وشرعًا أما عقلاً فإن جميع ما كان عليه قولاً وفعلاً أمرًا ونهيًا مستحسن في العقول وقد علم ذلك عقلاً للكفار كهرقل حيث سأل أبي سفيان في قوله : «فماذا يأمركم به ؟» الحديث في أول صحيح البخاري [١] هذا من جهة معناه .

وأما صورته فكما ثبت أنه أحسن خلق الله صورة فكان كاملاً صورة ومعنى ، ولا شك في كون ذلك من دواعي المحبة وأسبابها من جهة الفعل ولا يخالف عاقل في ذلك فإن النفوس مجبولة على حب الصور الحسان والمعاني الجميلة المتصورة في الأذهان وأما شرعًا فبالكتاب والسنة أما الكتاب فقوله تعالى : ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا﴾ [٢] الآية وفيها دلالة وحجة على إلزام المحبة ووجوبها وعظم خطرها وأما السنة فبالأحاديث الواردة في ذلك وقال الشيخ القسطلاني في «المواهب اللدنية» روي أبو هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال : «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده» رواه البخاري [٣] وقدم

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم (٧) عن عبد الله بن عباس قال ابن حجر في فتح الباري (٢٩/١) طبع دار إحياء التراث العربي بيروت قوله : ماذا يأمركم يدل على أن الرسول من شأنه أن يأمر قومه .

(٢) سورة [التوبة : ٢٤] .

(٣) أخرجه البخاري ٢- كتاب : الإيمان ٨- باب : حب الرسول ﷺ من الإيمان رقم (١٥) .

الوالدللأكثرية لأن كل أحد له والد من غير عكس ، وفي رواية البخاري والنسائي [١] تقديم الولد على الوالد وذلك لمزيد الشفقة ، وزاد في رواية عبد العزيز بن صهيب [٢] عن أنس والناس ، وفي صحيح ابن خزيمة من «أهله وماله» بدل من «والده وولده» وذكر الوالد والولد أدخل في المعنى لأنهما أعز على العاقل من الأهل والمال بل ربما يكونان أعز من نفسك ولذا لم يذكر النفس في حديث أبي هريرة وذكر الناس بعد الوالد والولد من عطف العام على الخاص .

الفصل الثاني في أقسام البدعة

ص : (الفصل الثاني) . ش : من الفصول الثلاثة في الباب الأول .

ص : (في) . ش : بيان أقسام .

ص : (البدع) . ش : وذكر أحكامها وهي جمع بدعة خلاف السنة اسم للاعتقاد المخالف ، والعمل المخالف ، والقول المخالف ، والأصل فيه أن الله تعالى لم يخلق المكلفين إلا لعبادته كما قال تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [٣] والعبادة هي : الذل للمعبود وذلك بترك الدخول تحت أحكام العقول ومقتضيات الطباع من التحسينات والتقبيحات ، وإسلام النفس بالكلية لربها تستحسن ما استحسنه لها ربها وتستقبح ما استقبحه منها ، وقد آمنت برسوله الصادق ، وكتابه المنزل بالحق فلزمها أن تدخل تحت تصرفات أحكام الكتاب والسنة فمتى اخترعت أمرًا مطلقًا فقد خرجت عن العبودية لله تعالى وانفصلت عن مقتضي الإسلام وبرئت من حب الكتاب والسنة فإن كان ذلك الأمر في الاعتقاد فإن أوجب جحود مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة كانت بدعة مكفرة وإن لم يكن في الاعتقاد بل في مجرد القول أو العمل فهو الفسق إن أوجب فعل محرم أن ترك فرض وسيأتي لهذا زيادة بيان إن شاء الله تعالى في هذا الفصل والدليل على قبح البدع والنهي عنها .

---

(١) أخرجه النسائي ٤٧- كتاب : الإيمان ٩- باب : علامنه الإيمان .

(٢) عبد العزيز بن صهيب البناني - بموحدة ونونين - البصري ، ثقة ، من الرابعة ، مات سنة ثلاثين أخرج له الجامعة . انظر ترجمة : الثقات (١٢٣/٥) ، طبقات خليفة (٢١٦) ، تاريخ خليفة (٣٩٥) ، الجمع بين رجال الصحيحين (٣٠٩/١) تاريخ الثقات ص (٣٠٥) سير أعلام النبلاء (١٠٣/٦) .

(٣) سورة [الذاريات : ٥٦] .

الأخبار الواردة في ذم البدعة

ص : (الأخبار) . ش : الواردة عن النبي ﷺ وهي ستة أحاديث : الحديث الأول . ص : (خ م) . ش : يعني روى البخاري ومسلم بإسنادهما [1] . ص : (عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : من أحدث ..) ش : أي ابتدأ واخترع . ص : (في أمرنا) . ش : أي شأننا وهو شرع محمد ﷺ .

ص : (هذا) . ش : أشار إليه من كمال استحضاره وشرف منزلته عنده وشدة ظهوره له ومنه بحيث صار كأنه أمر محسوس يشار إليه . ص : (ما) . ش : أي اعتقاد أو قول أو فعل أو حال أو زيادة فيما شرع من ذلك أو نقصان منه ومعنى الأحداث فيه إدراجه في جملة أحكامه ورجاء الثواب عليه . ص : (لَيْسَ منه) . ش أي من أمرنا المذكور بأن كان ليس من المقصود الشرع ولم يكن فيه داعية إلى إقامة مقصود الشرع .

ص : (فَهُوَ) . ش : أي ما أحدثه مما ذكرنا .

ص : (رَدٌّ) . ش : أي صرف منه لأمرنا وعدم إيمانه به وتخطئته له أو هو مصدر بمعنى اسم المفعول مبالغة أي مردود عليه وغير مقبول منه وفيه إشارة إلى أن البدع إذا لم تكن في الدين والعبادة بأن كانت في العادة لم تكن ردا نحو البدع في المأكل والمشارب والملابس والمراكب والمساكن مما لم يقصد بها فاعلها التقرب إلى الله تعالى بل مراده مجرد الاستعمال ما لم يترتب عليها ترك طاعة شرعية أو فعل أمر منهي عنه كما إذا أدى لبس العمامة الكبيرة إلى عدم التمكن من السجود في الصلاة أو اقتضى نفي الخشوع فيها وكذلك إذا اشتغل الخاطر عن الطاعة بلبس الثياب الجميلة أو أدى إلى رياء وعجب ونحو هذا فيكره حينئذ فعل ذلك .

---

(١) أخرجه البخاري ٥٣- كتاب : العلم ٥- باب : إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود رقم (٢٦٩٧) ، مسلم (٣/١٣٤٤) ٣٠- كتاب : الأقضية ٨- باب : نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور رقم ١٧- (١٧١٨) .

أبو داود (٥/١٢) ٣٤- كتاب : السنة ٦- باب : في لزوم السنة رقم (٤٦٠٦) ، أحمد بن حنبل (٦/١٤٦ ، ١٨٠ ، ٢٥٦) ، والحاكم (١/١٠٩) .

ابن ماجه (١/٣٨) المقدمة ٢- باب : تعظيم أحاديث رسول الله ﷺ والتغليظ على من عارضه رقم ١٤ بتحقيق .

ص : (وفي رواية) [١] . ش : أخرى عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : . ص : (من عمل عملاً) . ش : بقلبه أو بجوارحه أو بلسانه أو بكله بأن اعتقد أو فعل أو قال أو تخلق بأمر . ص : (ليس عليه أمرنا) . ش : أي شأننا يعني شرعنا المحمدي . ص : (فهو رد) . ش : علينا أو عليه كما ذكرنا .

الحديث الثاني . ص : (خ) . ش : يعني روي البخاري [٢] بإسناده . ص : (عن الزُّهري رضي الله عنه قال : دخلت على أنسٍ) . ش :ابن مالك رضي الله عنه .

ص : (وَهُوَ) . ش : الواو للحال أي والحال أن أنسًا رضي الله عنه . ص : (يبكي فقلت ما). ش : يعني أي شيء . ص : (يبكيك) . ش : يا أنس ؟ ص : (قال : لا أعرف) . ش : يعني الآن . ص : (شيئًا مما) . ش : أي من الأشياء العظيمة التي . ص : (أدركت) . ش : أي أدركتها في عهد رسول الله ﷺ وتقدير الكلام فبقي من غير تغيير عما كنت أدركته . ص : (إلا هذه الصلاة) [٣] . ش : أي جنسها فيشمل الفرض ، والواجب والنفل أشار إليها لاستحضارها في ذهنه أو تعظيم أمرها عنده لأنها تالية للإيمان . ص : (و) ش : الحال أن . ص : (هذه الصلاة قد ضيعت) [٤] . ش : بالضم والتشديد أي ضيعها الناس فلم يأتوا بها على الوجه الأكمل من إتمام شروطها وأركانها وواجباتها وسننها ومستحباتها وآدابها وترك

---

(١) أخرجه البخاري (٣/٩١) ط الشعب (٩/١٣٢) ، مسلم (٣/١٣٤٢) ٣٠- كتاب : الأقضية ١٧- باب : نقض الأحكام الباطلة ، ورد محدثات الأمور رقم ١٨- (١٧١٨) .

(٢) أخرجه البخاري (٢/١٣ فتح) ٩- كتاب : مواقيت الصلاة ٧- باب : تضييع الصلاة عن وقتها رقم (٥٣٠) وإسناده : حدثنا عمرو بن زرارة قال : أخبرنا عبد الواحد بن واصل أبو عبيدة الحداد عن عثمان بن أبي رواد أخي عبد العزيز قال : سمعت الزهري يقول : دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي .... الحديث وشرحه ابن حجر في [فتح الباري (٢/١٣)] فقال : بدمشق كان قدوم أنس دمشق في إمارة الحجاج على العراق ، قدمها شاكيًا من الحجاج للخليفة وهو إذ ذاك الوليد بن عبد الملك .

(٣) قال ابن حجر العسقلاني في [فتح الباري (٢/١٣ ، ١٤)] .... والمراد أنه لا يعرف شيئًا موجودًا من الطاعات معمولاً به على وجهه غير الصلاة .

(٤) قال ابن حجر في فتح الباری قال المهلب : والمراد بتضييعها تأخيرها عن وقتها المستحب لا إنهم أخرجوها عن الوقت ، كذا قال ، وتبعه جماعة .

مفسداتها ومكروهاتها ومراعاة خشوعها والحضور فيها ، وجمع القلب عليها من غير التفات فيها إلى غيرها كما قال تعالى : ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ (١) قال العز بن عبد السلام في : «تفسيره» خلف أولاد سوء وبالفتح للمدح قيل هم من هذه الأمة من بَنَى المشيد وركب الذلول ولبس المشهور، وأضاعوا الصلاة أخروا أو تركوا حدودها أو شرطوها وهم اسم الجنس ، وقرأ الحسن بالجمع وغيا جزاء أو خسرانًا أو عذابًا أو شرًّا أو ضلالاً وخيبة وقيل واد في جهنم وقال الخازن : أضاعوا الصلاة أي تركوا الصلاة المفروضة ، وقيل : أخروها عن وقتها، وهو أن لا يصلي الظهر حتى يأتي العصر ولا العصر حتى تغرب الشمس ، وقال أبو عبد الرحمن السلمي : قال محمد بن حامد : أولئك قوم حرموا تعظيم الأنبياء والأولياء والصديقين ؛ فحجبهم الله تعالى عن معرفته ، وأصابتهم شقاوة تلك الحال فأضاعوا الصلاة التي هي محل الوصلة للعبد مع سيده ترسموا بها ، ولم يتحققوا واتبعوا أهواءهم فأصابهم الخذلان ، وحرموا بذلك السعادة ، وأثر الشقاوة على العبيد هو حرمان الخدمة وتعظيم من عظم الله حرمته ا . هـ وخلاصة المعنى في هذا الحديث هو : بكاء أنس رضي الله عنه على إضاعة الصلاة بالزيادة فيها والنقصان منها مما هو خلاف السنة التي كان يعهدها في زمان رسول الله ﷺ ، ومخالفة السنة هو البدعة .

وفيه : الحث على إظهار الأسف والحزن عند انتهاك حرمات الشرع وعدم رضاء المؤمن بذلك .

وفيه : عدم تعيين أحد في إنكار المنكر وتعميم الإنكار وستر قبائح المسلمين المعينين فإن أنسًا رضي الله عنه ما بكى من ذلك إلا بعد رؤيته في إنسان معين أو جماعة معينين ولم يذكرهم ولم يعينهم وإنما أنكر منكرهم على مقتضى ما يعرفه من إمكانية إنكار المنكر على وجه السنة لا البدعة المخترعة من جهال العلماء في هذا الزمان وقد مر غير مرة التنبيه على ذلك .

***

(١) سورة [مريم : ٥٩] .

الحديث الثالث

ص : (طب) . ش : يعني روى الطبراني [١] بإسناده . ص : (عن غضيف ابن الحارث رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «مَا مِن أُمَّةٍ ...») . ش : أي جماعة من المسلمين . ص : (ابتدعت) . ش : واستحدثت .

ص : (بعد) . ش : ذهاب . ص : (نبيها) . ش : عنها وتباعد عهد سنته حتى يمكنها ذلك ص : (في دينها) . ش : الذين تدين الله تعالى به أي تطيعه وهو شريعتها وملتها احترازًا عن الابتداع في أمور الدنيا كالبدع في العادة وهي التي لا يقصد بها صاحبها إذا فعلها أجرًا ولا ثوابًا من الله تعالى يوم القيامة وإنما مراده مجرد عملها لنفع دنيوي أو لدفع ضرر عنه في الدنيا أولا لنفع ولا لضرر كالأشياء المباحة في أنواع المأكل والمشارب والملابس والمساكن ونحو ذلك .

ص : (بدعة) . ش : أي فعلة ليست معروفة في السنة النبوية من أي نوع كانت في الاعتقاد أو العمل أو القول أو الأخلاق ولهذا نكرها والنكرة في الإثبات وإن لم تعم عندنا لكنها مطلقة دالة على فرد غير معين فلا يختص بها نوع دون نوع وعند الشافعي [٢] رحمه الله تعالى تعم كما هو مبسوط في الأصول وهذا الحكم في البدعة

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٩٩/١٨) ترجمة عفيف بن الحارث اليماني رقم (١٧٨) حدثنا أحمد بن عمر البزارثنا محمد بن عبد الرحيم أبو يحيى صاعقة ثنا سريج بن النعمان ثنا = المعافي بن عمران عن أبي بكر النسائي عن الحبيب بن عبيد عن عفيف بن الحارث اليماني أن النبي ﷺ قال .... الحديث ، وجاء بهامش الطبراني : رواه البزار ١٣١ كشف الأستار إلا أنه قال غضيف ، ورواه أحمد مطولاً قال في مجمع الزوائد (١٨٨/١) وفيه أبو بكر بن أبي مريم وهو منكر الحديث .

قال الحافظ في الإصابة (١٦٨/٣) وقع التصحيف عنده في المواضع في اسمه وإنما هو غضيف بمعجمتين الثاني : في نسبه وإنما هو الثمالي - بضم المثلثة .

الثالث : في السند وإنما هو أبو بكر الغساني وهو ابن أبي مريم . وقد أورده الطبراني في الكتاب : السنة على الصواب . قلت : والمصنف رواه من طريق البزار ، ولا يوجد عنده هذه التصحيفات .

(٢) الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هشام بن المطلب بن عبد مناف القرشي المطلبي المكي . نزيل مصر ، إمام الأئمة وقدوة الأمة . ولد بغزة سنة خمسين ومائة وحمل إلى مكة وهو ابن سنتين . مات في آخر رجب سنة أربع ومائتين . =

الواحدة وكذلك البدع الكثيرة وهي البدعة غير المكفرة إذ المكفرة تزيل الإسلام فضلاً عن إضاعة السنة . ص : (إلا أضاعت) . ش : تلك الأمة أي تركت وأهملت .

ص : (مثلها) . ش : أي مثل البدعة يعني من جنسها اعتقادًا أو قولاً أو عملاً أو تخلقًا .

ص : (من السنة) . ش : النبوية الاعتقادية أو العملية أو القولية أو الأخلاقية والمعنى أنَّ الناس كلما ابتدعوا بدعة في الدين تركوا من جنسها سنة نبوية مثل ابتداع الفرق الضالة في الاعتقاد كاعتقاد المعتزلة أنهم يخلقون أفعال أنفسهم مثلاً على أن لهم تأثيرًا في ذلك بخلق الله تعالى فيهم قدرة على ذلك فإن هذه بدعة في الدين اعتقادية لما ظهرت ذهبت سنة الاعتقاد بأن الله تعالى خالق أفعال العباد كلها من الخير والشر والنفع والضر منسوبة إلى الإنسان ولا تأثير للإنسان فيها أصلاً كما أنه تعالى خلق للإنسان يدين ورجلين منسوبات له ولا تأثير للإنسان في خلق ذلك له أبدًا ومع هذا فيقال يد الإنسان ورجل الإنسان مع أنه ليس بخالق لذلك ولا يقال يد الله ولا رجل الله مع أنه تعالى خالق ذلك فكذلك جميع أفعال الإنسان خالقها هو الله تعالى وحده ولا تنسب إليه تعالى ولكنها تنسب إلى الإنسان كلها والإنسان ليس بخالق لها وقد صنفت رسالة في هذه المسألة سميتها : «تحريك سلسلة الوداد في مسألة خلق أفعال العباد» [1] جعلتها مكتوبًا أرسلت بها إلى بعض علماء المدينة المنورة فهذه سنة في الاعتقاد ضاعت وتركت عند المعتزلة ومن تابعهم لما ابتدعوا ما ينافيها من بدعتهم المذكورة وكذلك إذا ابتدع الناس بدعة في العمل ولو كانت تلك البدعة في العادة لا في الدين حيث لا يرجون الثواب عليها من الله تعالى ولا هي عندهم معصية يخافون العقاب منها ولكن بسبب فعلها ضاعت سنة مثلها أيضًا في العمل كالصلاة مع الغفلة وعدم حضور القلب فيها بل يبقى القلب مشتغلاً بأمور الدنيا وهم في الصلاة ولا يمكنهم

= انظر ترجمته : طبقات الحفاظ ص (١٥٢) ت ٣٣٧ ، إرشاد الأريب (٣٦٧/٦) تهذيب التهذيب (٣٥/٩) ، الرسالة المستطرفة (١٧) ، شذرات الذهب (٩/٢) ، النجوم الزاهرة (١٧٦/٢) ، اللباب (٥/٢) مرآة الجنان (١٣/٢) ، وفيات الأعيان (٤٤٧/١) ترتيب المدارك (٣٨٢/٢) ، تذكرة الحافظ (٣٦١/١) .

(١) ذكره مؤلف إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (٢٣٥/٣) .

الخشوع فيها فإن هذه بدعة ابتدعها الناس في العادة لم تكن في الزمان الأول ولما ظهرت ذهبت سنة الخشوع في الصلاة والحضور فيها والمراقبة وترك البيع والشراء من فكر القلب أيضًا كما قال تعالى عن الصدر الأول : ﴿رِجَالٌ لاَ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلاَةِ ﴾ وقال تعالى : ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاَةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ (٢) وقال تعالى في أصحاب البدعة المذكورة في الصلاة ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاَتِهِمْ سَاهُونَ﴾ (٣) وقال تعالى : ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَقْرَبُوا الصَّلاَةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ (٤) وقال تعالى : ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاَةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللهَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ (٥) فهذه بدعة في العمل عادية لما ظهرت تركت مثلها سنة في العمل ونسيت ومثل ذلك إذا ابتدع الناس بدعة في القول مثل الكلام في وقت تشييع الجنازة فإنه لما فشي في الناس خصوصًا التحدث في أمر الدنيا وكثرة اللغط وإن كانت بدعة في العادة أيضًا فقد ذهبت بها سنة السكوت والصمت والاعتبار والتفكر في أمر الموت والقبر في تلك الحالة وكذلك البدعة في الأخلاق كما اعتادت الناس أن يتبعوا بعضهم بعضًا في كل أمر كانوا عليه كما سمعتهم يقولون يا أيها الناس كونوا مع الناس فإن هذه البدعة في العادة لما ظهرت ذهبت سنة اتباع النبي ﷺ والصحابة والتابعين وأئمة الهدى رضي الله عنهم فصار الناس يبحثون عن عادات بعضهم بعضًا في الدين والدنيا ليتابعوا ذلك ويعملوا عليه ولا يبحثون عن سنة النبي ﷺ وسيرة الصحابة والصالحين ليسيروا عليها وهكذا سائر البدع في العادة وفي العبادة إلا البعض من البدع في العادة لما ظهرت تركت ونسيت جميع السنن التي تماثلها وتقابلها وانمحت آثارها بالكلية واندرست حتى صار الجاهل إذا فعلت عنده يقطع بأنها بدع لا سنن كما نقل الشيخ المناوي في «شرح الجامع الصغير» عن بعض الحكماء أنه قال : معروف زماننا منكر زمان ماضي ،

---

(١) سورة [الجمعة : ٩] .
(٢) سورة [المؤمنون : ٢] .
(٣) سورة [الماعون : ٥] .
(٤) سورة [النساء : ٤٣] .
(٥) سورة [النساء : ١٤٢] .

ومنكر زماننا معروف زمان لم يأت انتهى ، وما من زمان إلا وما بعده شر منه ، وفي «روح القدس» للشيخ محيي الدين بن العربي قدس الله سره قال : روينا عن أبي حامد وغيره ، وعن أبي مغيث في كتاب «المنقطعين» [١] له من حديث ابن المهلب قال مررت بالساحل فرأيت شابا قد احتفر لنفسه حفرة في الرمال فسألته فتأوه ثم قال يذم أهل زمانه توعرت السبل وقل السالكون لها قد افترشوا الرخص وتمهدوا الزلل واغوا بزلل الماضين إلى مثل هذا الكلام ثم قام فمشى على الماء حتى غاب عني .

الحديث الرابع

ص : (طب) . ش : يعني روى الطبراني [٢] بإسناده . ص : **(عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : إن الله)** . ش : سبحانه وتعالى بمحض عدله . ص : **(حجب)** . ش : أي منع وستر . ص : **(التوبة)** . ش : مصدر تاب إلى الله توبا وتوبة ومتابًا وتتوبة رجع عن المعصية وهو تائب وتواب وتاب الله عليه وفقه للتوبة أو رجع به من التشديد إلى التخفيف أو رجع عليه بفضله وقبوله وهو تواب على عباده كذا في «القاموس» [٣] فالتوبة من العبد والتوبة من الرب أيضًا وحجب الرب توبته عدم التوفيق لها أو منع الرجوع بالفضل والقبول وحجب الرب توبة العبد عدم تيسيرها له كلما أرادها العبد وفي «رياض الصالحين» [٤] قال العلماء : التوبة واجبة من كل ذنب ، فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمي فلها ثلاث شروط أحدها أن يقلع عن المعصية والثاني أن يندم على فعلها والثالث أن يعزم على أن لا يعود إليها أبدًا فإن فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته وإن كانت المعصية تتعلق بأدمي فشروطها هذه الثلاثة وأن يتبرأ من حق صاحبها فإن كانت مالاً أو نحوه رده إليه

---

(١) كتاب أنس المنقطعين في الموعظة لأبي محمد معاف بن إسماعيل الشيباني الموصلي المتوفى سنة ثلاثين وستمائة ذكر فيه ثلثمائة حديث محذوفة الأسانيد وثلثمائة حكاية . [كشف الظنون (١٧٨/١)] .

(٢) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٢٨١/٤) رقم (٤٢٠٢) وقال الهيثمي : ورجاله رجال الصحيح غير هارون بن موسى القروي وهو ثقة مجمع الزوائد (١٨٩/١٠) كتاب : التوبة ١- باب : من يخاف من الذنوب .

(٣) القاموس المحيط (٤١/١ تاب) .

(٤) رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين (٢٦/١) ، باب : التوبة (طبع مكتبة نزار مصطفى الباز بمكة) .

وإن كان حد قذف أو نحوه مكنه منه أو طلب عفوه وإن كانت غيبة استحله منها .

ص : **(عن كل صاحب)** . ش : أي فاعل سواء كان هو الذي ابتدع تلك البدعة أو فعلها فقط ولم يبتدعها .

ص : **(بدعة)** . ش : في الدين اعتقادية أو فعلية أو قولية أو أخلاقية وهو في بدعة واحدة فما بالك بأكثر من ذلك لأنه يرجو الثواب عليها فكيف يتوب منها ولهذا كلما أراد المبتدع أن يتوب من بدعته منع منها مانع من نفسه فلا يتيسر له ما أراد لاحتجاب التوبة من تلك البدعة عنه ويحمل مطلق التوبة من تلك البدعة وغيرها من الذنوب ، أما التوبة من تلك البدعة فظاهر لأن شرط صحة التوبة ترك المعصية والإقلاع عنها في الحال كما قدمناه فالتوبة محجوبة عنه حتى يقلع عن بدعته وأما مطلق التوبة ويؤيدها الحديث الآتي بعده فلعله لزيادة قبح البدعة وشؤم ارتكابها أو كونها مكفرة فلا تأتي معها التوبة من ذنب غيرها وإلا فإن التوبة من ذنب مع الإصرار على ذنب آخر صحيحة قال النووي رحمه الله تعالى في «رياضه» [1] ويجب أن يتوب من جميع الذنوب فإن تاب من بعضها صحت توبته عند أهل الحق من ذلك الذنب وبقي عليه الباقي .

ص : **(حتى بدع)** . ش : أي يترك ذلك المبتدع . ص : **(بدعته)** . ش : ويقلع عنها لتصح توبته منها أو من غيرها من الذنوب أيضًا .

الحديث الخامس

ص : **(مج)** . ش : يعني روى ابن ماجة [2] بإسناده . ص : **(عن ابن عباس رضي الله عنهما)** . ش : أي عنه وعن أبيه العباس عم النبي ﷺ .

ص : **(أنه قال قال رسول الله ﷺ : أبى)** . ش : أي كره والإباءة الكراهة .

ص : **(الله)** . ش : تعالى بحكمه العدل من كثرة قبح البدعة لأنها شرع النفوس الأمارة بالسوء وحكم الشيطان المستولى على القلب الغافل .

ص : **(أن يقبل عمل صاحب بدعة)** . ش : في الدين أي مصر على فعل بدعة من البدع الاعتقادية أو العملية أو القولية أو التخلقية وهذا في بدعة واحدة غير

---

(١) رياض الصالحين (٢٦/١) للنووي ٢- باب : التوبة .

(٢) أخرجه ابن ماجه المقدمة ٧- باب : اجتناب البدع والجدل رقم (٥٠) .

مكفرة فكيف ببدع كثيرة غير مكفرة لاعتقاده أنها طاعة مثاب عليها وعمله الذي لا يقبله الله تعالى قد يكون اعتقادًا أو فعلاً أو قولاً أو تخلقًا وقد يكون صحيحًا من جهة استيفاء شروطه ولكنه غير مقبول عند الله تعالى لتدنسه بشؤم البدعة وقبح عملها وذلك مدة ارتكابه لتلك البدعة ما دام مصرًا على فعلها .

ص : (حتى يدع) . ش : أي يترك .

ص : (بدعته) . ش : لأجل الله تعالى إما خوفًا منه تعالى أو طمعًا في ثوابه أو ابتغاء وجهه الكريم لا خوفًا من الناس أو لعدم قدرته على ذلك أو المحافظة على صلاحه وتقواه أن يزول من أعين الغير فيزول احترامه عندهم وينقص من أعينهم فإن هذا تقوى الناس لا تقوى الله تعالى وهو غير مانع من الإصرار في الباطن على المعصية وصاحبه عابد للناس باطنًا ، وإن كان يزعم أنه عابد لله تعالى في الظاهر كما قال تعالى «فلا تخشوهم واخشوني» ، وقال تعالى : ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لاَ يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ﴾ .

الحديث السادس

ص : (مج) . ش : يعني روى ابن ماجة [(١)] بإسناده . ص : (عن حذيفة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ لا يقبل الله) . ش : سبحانه وتعالى وإن حكم بالصحة بمقتضى شرعه المحمدي إذ ليس كل عمل صحيح مقبول كما قال تعالى : ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [(٢)] وغير المتقين من المسلمين وإن صح عملهم فهو غير مقبول والقبول رفعة شأن العمل عنده وإن كان قليلاً وإعطاؤه عليه الجزاء الوافي ومباهاة الملائكة به ورفع الدرجات به في الدنيا بإحساس العبد بمقامات الكشف الإلهي والقرب الأقدس وفي الآخرة بمقامات الرؤية الربانية في دار النعيم الأبدي .

ص : (لصاحب البدعة) . ش : أي المصر عليها يعني بدعة في العبادة غير مكفرة إذ المكفرة تنافي صحة العمل فضلاً عن قبوله وهذا في بدعة واحدة فكيف بأكثر من ذلك . ص : (صومًا) . ش : فرضًا أو نفلاً لم يذكر الصلاة لأنها مفهومة بالأولى حيث إنها أعظم من الصوم وكذلك الزكاة تالية الصلاة وهما تاليتا الإيمان فهو

---

(١) أخرجه ابن ماجه المقدمة ٧- باب : اجتناب البدع والجدل رقم (٤٩) .

(٢) سورة [المائدة : ٢٧] .

كذلك .

ص : (ولا حجًا ولا عمرةً) . ش : وإن فعل ذلك على وجه السنة فهو صحيح تام لكنه غير مقبول . ص : (ولا جهادًا) . ش : في سبيل الله تعالى . ص : (ولا صرفًا) . ش : أي انصرافًا عن المعصية أي التوبة .

ص : (ولا عدلاً) . ش : أي استقامة في الأمر أو ضد الجور قال الجوهري [١]: الصرف التوبة يقال لا يقبل منه صرف ولا عدل قال يونس [٢] : فالصرف الحيلة ومنه قولهم أنه ليتصرف في الأمور وقوله تعالى : ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا﴾ [٣] وقال في «القاموس» [٤] : الصرف في الحديث التوبة ، والعدل الفدية أو هو النافلة ، والعدل الفريضة ، أو بالعكس ، أو هو الوزن والعدل الكيل أو هو الاكتساب والعدل الجزاء أو الحيلة انتهى وحاصل المعنى هنا أن الله تعالى لا يقبل لصاحب البدعة في الدين عملاً من أعمال الطاعات مطلقًا ، وإن صحت تلك الأفعال منه لاستيفاء شروطها الشرعية مادام مصرًا على فعل تلك البدعة حتى يتوب منها ، وإنما ورد التصريح هنا من الأعمال بالصوم والحج والعمرة والجهاد فقط ثم عمم بالصرف والعدل لأن هذه العبادات الأربعة المخصوصات بالذكر لها صعوبات على النفوس أكثر من غيرها فالصوم حبس النفس عن شهوتي البطن والفرج والحج والعمرة إتعاب النفس بإنفاق القوة والمال مع حبسها عن شهوات الجماع والطيب ولبس المخيط وقتل صيد البر ونحو ذلك والجهاد أبلغ من ذلك للمخاطرة بالنفس فيه والمال فوقع التصريح بذلك ليفهم ما عداه بالطريق الأولى فإنه حيث بذل نفسه في هذه الطاعات المشقة عليه ولم تقبل منه لإصراره على بدعته فكيف تقبل منه الأعمال التي مشقته فيها دون ذلك .

ص : (يخرج) . ش : يعني صاحب البدعة في الدين حيث بعدها طاعة بسبب دخوله تحت حكم نفسه وشيطانه وخروجه بظاهرة عن حكم نبيه ورحمانه . ص : (من الإسلام) . ش : الظاهر فقط الذي هو التسليم والانقياد لحكم الله تعالى وعدم

---

(١) الصحاح للجوهري (١٣٨٥/٤ صرف) .

(٢) يونس بن حبيب أبو عبد الرحمن الغبي النحوي مولى لهم . كان النحو أغلب عليه (إنباه الرواة على إنباه النحاة) (٧٤/٤) ت (٧٣٦) ، البداية والنهاية (١٨٤/١) .

(٣) سورة [الفرقان : ١٩] .

(٤) القاموس المحيط للفيروز آبادي (١٦٦/٣) .

المحاربة له كما تخرج العصاة من التسليم والانقياد لحكمهم الله تعالى عليهم إلى التسليم والانقياد لحكم النفس والشيطان مع التصديق بقبح ذلك الفعل والإيمان بكونه معصية وهو الفارق بين العاصي والمبتدع لاعتقاده بدعته طاعة ودليل صحة إطلاق الإسلام على ما ذكرنا قوله تعالى : ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (١) قال البيضاوي : «قل لم تؤمنوا» إذ الإيمان تصديق مع ثقة وطمأنينة قلب والإسلام انقياد ودخول في السلم وإظهار الشهادة وترك المحاربة ، وقال الخازن : فإن قلت : المؤمن والمسلم واحد عند أهل السنة فكيف يفهم ذلك مع هذا القول ؟ قلت : بين العام والخاص فرق فالإيمان ، لا يحصل إلا بالقلب ، والانقياد قد يحصل بالقلب ، وقد يحصل باللسان فالإسلام أعم والإيمان أخص لكن العام في صورة الخاص متحد مع الخاص ولا يكون أمرًا غيره فالعام والخاص مختلفان في العموم متحدان في الوجود فذلك المؤمن والمسلم انتهى وحاصله أن الإيمان وهو التصديق بالقلب لا يفارق صاحب البدعة غير المكفرة أبدًا كما قدمناه ، وأما الإسلام : فنوعان

إسلام بالقلب ؛ وهو التسليم والانقياد لحكم الله تعالى ، وهو لا يفارق صاحب البدعة المذكورة أيضًا فهو مؤمن مسلم والإيمان والإسلام واحد عند أهل السُنة ؛ وإسلام بظاهر اللسان والجوارح وهو الذي يفارق صاحب البدعة المذكورة مع وجود الإيمان والإسلام في قلبه .

ص : (كما يخرج الشعر) . ش : قال في «القاموس» (٢) . الشعر ويحرك بنية الجسم مما ليس بصوف ولا وبر والجمع أشعار وشعور وشعار الواحدة شعرة .

ص : (من العجين) . ش : مثال الكمال تخليص صاحب البدعة في الدين مما كان فيه قبل ذلك من إظهار التسليم والانقياد باللسان والجوارح أيضًا لحكم الله تعالى على طريقة الردع له والزجر فإن الشعرة إذا جذبت من العجين لا يعلق عليها من العجين شيء فتخرج وليس فيها أثر من ذلك أصلاً فإن منزلة صاحب البدعة من الدين فإن قلت : كيف خرج صاحب البدعة في الدين غير المكفرة من الإسلام الظاهر وله صوم وحج وعمرة وجهاد ؟ قلت : لما كان مصرًا على بدعته في الدين فاعلاً

---

(١) سورة [الحجرات : ١٤] .

(٢) القاموس المحيط (٢/٦١ شعر) .

لها لا محالة طالبًا الثواب عليها من الله تعالى خرج عن التسليم الظاهر لحكم الله الذي كلفه بالصوم والحج والعمرة والجهاد بالنسبة إلى فعله تلك البدعة حيث هو مداوم عليها داخل تحت حكم من حكم عليه بتلك البدعة من النفس والشيطان فإن قلت : جميع المعاصي والمخالفات بدع فالمرتكب لشيء منها مذنب عاص فهل هو مبتدع حتى لا يقبل عمله مدة إصراره على ذنبه ذلك ومعصيته ؟ قلت : ليس المذنب العاصي بمبتدع ولا المعاصي والمخالفات بدع في الدين بل البدع في الدين معاصي ومخالفات وشروط البدعة في الدين كما قدمناه أن تدين الله تعالى بها ويطيعه فيها فيقصد بفعلها الثواب والأجر من الله تعالى ، وأما المعاصي والمخالفات فلا يدين الله تعالى بها فاعلها ، ولا يطلب الثواب عليها والأجر من الله تعالى وإلا لكفر باستحلالها بل إنما يحمله على فعلها الشهوة والغرض النفساني فليست بدعًا في الدين ولا فاعلها بمبتدع لا يقبل عمله بل إذا خلا من فعل البدعة في الدين قبل عمله ولا يمنع من قبول عمله ارتكاب المعصية .

ص : (وقد سبق) . ش : في نوع الاعتصام بالسنة عند ذكر الأخبار النبوية .

ص : (حديث العرباض بن سارية) . ش : المشتمل على قوله ﷺ «فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار [1] وتقدم منا الكلام على ذلك» . ص : (و) . ش : سبق حديث . ص : (جابر) . ش : أيضًا . ص : (رضي الله عنهما) . ش : أي عن العرباض وجابر المشتمل على قوله ﷺ : «أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدى محمد عليه السلام ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة» [2] وتقدم منا الكلام أيضًا عليه بالتمام ثم لما كان هذان الحديثان يشتملان على قوله ﷺ «كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة» نشأ منهما إشكال أورده بقوله .

ص : (فإن قيل) . ش : أي قال لك قائل من الناس . ص : (كيف

---

(١) أخرجه ابن ماجه في المقدمة ٦- باب : اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين رقم (٤٣) ، أحمد (١٢٦/٤) ، البيهقي (١١٤/١٠) ، الطبراني (٢٤٧/١٨) .

(٢) أخرجه ابن ماجه المقدمة ٧- : اجتناب البدع والجدل رقم (٤٦) ابن أبي عاصم في السنة (١٦/١) رقم (٢٤ ، ٢٥) .

التطبيق) . ش : أي المطابقة والموافقة وزوال المنافاة والمناقضة . ص : **(بين قوله عليه الصلاة والسلام)** : ش : في هذين الحديثين المذكورين . ص : **(كل بدعة ضلالة** [١] **وبين قول الفقهاء)** . ش : أصحاب المذاهب الشرعية لما قسموا البدع إلى أقسام كما سيبينه قريبًا . ص : **(إن البدعة قد تكون)** . ش : بدعة .

ص : **(مباحة)** . ش : لا يثاب بفعلها ولا يعاقب على تركها .

ص : **(كاستعمال المنخُل)** . ش : بضم الخاء ويجوز أن تفتح خاؤها ما ينخل به كذا في «القاموس» وكان السلف لا يكثرون نخل الدقيق بل يأكلون الخبز غير منخول وإنما كثر النخل بعد ذلك في الخلف .

ص : **(والمواظبة على أكل لب الحنطة)** . ش : بعد إزالة قشرها وكدرها بالمنخل وإن كان في السلف أكل لب الحنطة أيضًا كما قدمناه عن «إحياء» الغزالي في خبر عثمان رضي الله عنه لكنه نادر من غير مواظبة عليه .

ص : **(والشبع منه)** . ش : أي من أكل لب الحنطة قال في «شرعة الإسلام» أول بدعة حدثت في الإسلام الشبع وهذه المناخل ولم ير نبينا عليه السلام نقيا أي ما نقي دقيقة من النخالة ولا منخلا وقال في «شرحها» وعن سهل بن سعد : «ما رأى رسول الله النقي ، ولا رأى منخلا حين بعثه الله تعالى حتى قبضه» [٢] كذا في «المصابيح» .

ص : **(وقد تكون)** . ش : يعني البدعة . ص : **(مستحبة)** . ش : يثاب بفعلها ولا يعاقب على تركها . ص : **(كبناء المنارة)** . ش : والأصل منورة موضع النور كالمنار والمسرجة والمأذنة والجمع مناور ومناير كذا في «القاموس» [٣] والمراد هنا

---

(١) قال الحافظ جلال الدين السيوطي في كتاب الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع ص (٨١) تحقيق مشهور حسن سلمان طبع دار ابن القيم بالدمام السعودية .
البدعة : عبارة عن فعلة تصادم الشريعة بالمخالفة أو توجب التعاطي عليها بزيادة أو نقصان .
وقد كان جمهور السلف يكرهون ذلك وينفرون من كل مبتدع ، وإن كان جائزًا حفظًا للأصل وهو الاتباع .

(٢) خرجه الترمذي ٣٧- كتاب : الزهد ٣٨- ما جاء في معيشة النبي ﷺ وأهله (٢٣٦٤) قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح . وقد رواه مالك بن أنس .

(٣) القاموس المحيط (١٥٥/٢ نور) .

المأذنة موضع الأذان وفي «القاموس» [1] المأذنة بالكسر موضع الآذان أو المنارة والصومعة انتهى ، وذكر والدي رحمه الله تعالى في كتابه : «الإحكام» أنه لم يكن في زمنه ﷺ مئذنة وروى أبو داود [2] من حديث عروة بن الزبير عن امرأة من بني النجار قالت : كان بيتي من أطول بيت حول المسجد ، وكان بلال يأتي بسحر فيجلس عليه ينظر إلى الفجر فإذا رآه أذن ذكره في «البحر شرح الكنز» ، وفي «وسائل» [3] السيوطي : إن أول من رقى منارة مصر للأذان شرحبيل بن عامر المرادي ، وقال ابن سعد بالسند إلى أم زيد بن ثابت : كان بيتي أطول بيت حول المسجد فكان بلال يؤذن فوقه من أول ما أذن إلى أن بنى رسول الله ﷺ مسجده فكان يؤذن بعد ذلك على ظهر المسجد ، وقد رفع له شيء فوق ظهره .

ص : **(و)** . ش : بناء . ص : **(المدارس)** . ش : جمع مدرسة موضع الدراسة وهي القراءة قال في «القاموس» [4] درس الكتاب يدرسه درسًا ودراسة قرأه كأدرسه والمدارس المواضع يقرأ فيها القرآن ، ومنه مدراس اليهود انتهى والمراد هنا الموضع الذي بني لدراسة العلم مع الطلبة أو دراسة القرآن .

ص : **(وتصنيف الكتب)** . ش : أي في جميع العلوم أي جعلها صنوفًا وأبوابًا وفصولاً لنشر العلم وبيانه . ص : **(بل قد تكون)** .ش : أي البدعة .

ص : **(واجبة)** . ش : يثاب بفعلها ويأثم على تركها للقادر عليها .

ص : **(كنظم)** . ش : أي جمع وترتيب . ص : **(الدلائل)** . ش : جمع دليل وهو ما يستدل به من المقدمات اليقينية أو الظنية . ص : **(لرد)** . ش : أي إبطال ص : **(شبه)** . ش : وهي ما يشبه الدليل في العقائد وليس بدليل . ص : **(الملاحدة)** . ش : جمع ملحد من الإلحاد وهو الميل والعدول عن طريقة أهل السنة والجماعة . ص : **(ونحوهم)** . ش : كالمعتزلة والفلاسفة وسائر فرق الضلال . ص :

---

(١) القاموس المحيط (١٩٧/٤ أزن) .

(٢) أخرجه أبو داود كتاب : الصلاة ٣٢- باب : الآذان فوق المنارة رقم (٥١٩) .

(٣) الوسائل إلى معرفة الأوائل للحافظ جلال الدين السيوطي (٨٩٤ - ٩١١ه) ص ٢٦ باب : الصلاة . طبع مكتبة الخانجي بالقاهرة .

(٤) القاموس المحيط (٢٢٢/٢ ، ٢٢٣ درس) .

(قلنا) . ش : في الجواب عن هذا الإشكال المذكور .

ص : **(للبدعة)** . ش : بالكسر من حيث هي فعلة حادثة بعد أن لم تكن .

ص : **(معنيان)** . ش : الأول . ص : **(معنى لغوي)** . ش : منسوب إلى اللغة وهي لغة العرب . ص : **(عام)** . ش : يشمل جميع أقسام البدعة وذلك .

ص : **(هو المحدث)** . ش : بصيغة اسم المفعول من حدث يحدث حدوثًا وحداثة تقيد قدم . ص : **(مطلقًا)** . ش : أي حدوثًا مطلقًا عن القيد بشيء ثم بينه فقال . ص : **(عادة كان)** . ش : ذلك المحدث . ص : **(أو عبادة)** . ش : والمراد بالعادة ما لا يطلب فاعله عليه ثوابًا من الله تعالى يوم القيامة بل مقصوده مجرد تحصيل غرضه الدنيوي والعبادة بخلاف ذلك وهي ما يطلب فاعله عليه من الله تعالى ثوابًا يوم القيامة . ص : **(لأنها)** . ش : أي البدعة . ص : **(اسم)** . ش : مشتق . ص : **(من الابتداع)** . ش : مصدر ابتدع . ص : **(بمعنى الإحداث)** . ش : والاختراع . ص : **(كالرفعة)** . ش : بالكسر الشرف والعلو اسم . ص : **(من الارتفاع والخلفة)** . ش : اسم . ص : **(من الاختلاف)** . ش : قال في «القاموس» [1] الخلفة بالكسر اسم من الأخلاف أي التردد جعل الليل والنهار وخلفة أي هذا خلف من هذا وهذا يأتي خلف هذا أو معناه من فاته أمر بالليل أدركه بالنهار وبالعكس يعني ومن فاته أمر بالنهار أدركه بالليل . ص : **(وهذه)** . ش : أي البدعة اللغوية العامة . ص : **(هي المقسم)** . ش : أي موضع القسمة إلى الأقسام الآتية . ص : **(في عبارة الفقهاء)** . ش : الحنفية وغيرهم . ص : **(يعنون)** . ش : أي يقصدون . ص : **(بها)** . ش : أي البدعة اللغوية العامة المذكورة .

ص : **(ما)** . ش : أي الأمر الذي أو أمرًا . ص : **(أحدث)** . ش : بالبناء للمفعول أي أحدثه محدث من أهل الإسلام وغيرهم . ص : **(بعد)** . ش : ذهاب . ص : **(الصدر)** . ش : وهو أعلى مقدم كل شيء وأوله . كذا في «القاموس» .

ص : **(الأول)**. ش : نعت للصدر وهم السلف المتقدمون في زمن رسول الله ﷺ والصحابة رضي الله عنهم أجمعين لقوله ﷺ : «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي وهم : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي» رضي الله عنهم

(١) القاموس المحيط (٣/١٤١ خلف) .

فما حدث منهم في زمنهم فليس ببدعة .

[*تعريف البدعة والسنة :*]

والبدعة : ما حدث بعد زمان التابعين وتابعيهم قال في : «شرعة الإسلام» في بيان السنة التي يجب التمسك بها هي : ما كان عليه القرن المشهود لهم ، وهم الخلفاء الراشدون ومن عاصر سيد الخلائق ثم الذين من بعدهم من التابعين ثم من بعدهم فما أحدث بعد ذلك من أمر على خلاف مناهجهم فهو من البدعة .

ص : (مطلقًا) . ش : يعني سواء كان في العبادة والدين وغير ذلك .

ص : (و) . ش : الثاني . ص : (معنى شرعي) . ش : أي منسوب إلى الشرع وهو شرع محمد ﷺ . ص : (خاص) . ش : بالعبادة والدين . ص : (هو الزيادة) . ش : على ما ورد . ص : (في الدين) . ش : زيادة مستقلة كابتداع طاعة ما لها أصل في دين الله تعالى أو غير مستقلة كزيادة في طاعة شرعية . ص : (أو نقصان منه) . ش : أي من الدين نقصانًا مستقلاً كترك طاعة شرعية اعتقد تاركها ذلك الترك طاعة أو غير مستقل كترك بعض الطاعة الشرعية ، اعتقد التارك ترك ذلك البعض طاعة . ص : (الحادثان) . ش : نعت للزيادة والنقصان .

ص : (بعد) . ش : انقراض زمان . ص : (الصحابة) . ش : وكذا زمان التابعين وتابعيهم رضي الله عنهم وهم الصدر الأول كما قدمنا . ص : (بغير إذن) . ش : في تلك الزيادة أو النقصان . ص : (من الشارع) . ش : أي المبين للشرع فينا ابتداء وهو محمد ﷺ . ص : (لا قولا) . ش : أي بالقول . ص : (ولا فعلا) . ش : أي بالفعل . ص : (ولا صريحًا) . ش : أي بالتصريح .

ص : (ولا إشارة) . ش : اي بالإشارة والمعنى أنه يكتفي في ورود الإذن بأحد هذه الطرق الأربعة لو وجد احتراز عما ورد الإذن فيه بالزيادة والنقصان كقوله ﷺ : «من قال في ركوعه سبحان ربي العظيم ثلاثًا فقد تم ركوعه» وذلك أدناه : «ومن قال في سجوده سبحان ربي الأعلى ثلاثًا فقد تم سجوده وذلك أدناه» وذكر في «شرح الدرر» وروى عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : «من صلى الضحى ركعتين لم يكتب من الغافلين ، ومن صلى أربعًا كتب من العابدين ، ومن صلى ستا كفي ذلك اليوم ، ومن صلى ثمانيًا كتب من القانتين ، ومن صلى اثنتى عشر

ركعة بنى الله تعالى له بيتًا في الجنة من ذهب» رواه البيهقي في السنن [(١)] الصغير فقد ورد تغيير في هذه الزيادة والنقصان فليس شيء من ذلك ببدعة .

ص : **(فلا تتناول)** . ش : البدعة من حيث معناه الشرعي شيئًا من أنواع .

ص : **(العادات أصلاً)** . ش : جمع عادة وهو كل أمر يقصد به حصول غرض دنيوي كالملابس المخترعة في هذا الزمان والمساكن والمآكل والمشارب مما اتخذه الناس أنواعًا منوعة فلا يسمى في الشرع بدعة لأنه ليس في الدين بل في الدنيا وشرط البدعة في الشرع : بأن تكون في الدين بأن يتخذها فاعلها طاعة يعبد الله تعالى بها .

ص : **(بل تقتصر)** . ش : أي البدعة في الشرع اليوم . ص : **(على بعض الاعتقادات)** . ش : كاعتقادات الفرق الضالة ومن تابعهم . ص : **(وبعض صور العبادات)** . ش : الواردة في الشرع بأن يزداد في صورتها أو ينقص منها مع اعتقاد أن تلك الزيادة والنقصان طاعة بمجرد الرأي لتخرج من البدع هذه الزيادة والنقصان الواقعة في العبادات على حسب اختلاف المذاهب الأربعة اليوم ، كتثنية الإقامة عند أبي حنيفة رضي الله عنه بالنظر إلى مذهب الإمام الشافعي رحمه الله تعالى ، وإفرادها عن الشافعي بالنظر إلى مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه ، وصلاة الكسوف بركوعين وسجودين وفاتحتين في كل ركعة عند الشافعي لا عند أبي حنيفة رضي الله عنهما فإن هذا أو ما أشبهه ليس ببدعة في الدين ؛ لأنه مأخوذ من الأدلة الشرعية لا من مجرد الرأي ؛ وإنما المأخوذ من مجرد الرأي الزيادة على الوضوء الشرعي ، والغسل الشرعي بكثرة صب الماء إذا اعتقده فاعله عبادة كان بدعة وإذا اعتقد أنها وسوسة مكروهة كما سيأتي إن شاء الله تعالى فهو معصية وليس ببدعة وكذلك تكرار التكبير في افتتاح الصلاة ، وتكرار النطق في الصلاة بكل كلمة من القراءة والتشهد وغسل الثياب الجدد لاحتمال النجاسة فيها وغسل الفم من أكل الخبز لاحتمال نجاسة الحنطة ببول الثيران

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الصغير (٣٠٠/١) ٩٩- باب : صلاة الضحى رقم (٨٢٥) طبع سلسلة منشورات جامعة الدراسات الإسلامية كراتشي باكستان توزيع دار الوفاء للطباعة والنشر ، وفي السنن الكبرى (٣/ ٤٨ ، ٤٩) .

وأخرجه الطبراني في المعجم الصغير (١٨٢/١) عن أنس مختصرًا والبزار كما عزى له الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٩٤/٢) كتاب : الصلاة باب : صلاة الضحى ، وقال الهيثمي : فيه حسين بن عطاء ضعفه أبو حاتم وغيره ، وذكره ابن حبان في الثقات وقال : يخطيء ويدلس .

عليها في وقت الدياس ونحو ذلك مما هو منصوص في كلام العلماء على كونه خارجًا عن قانون الشرع وهو محض الوسوسة فمتى فعل ذلك أحد قاصدًا بأنه طاعة كان بدعة وإن لم يقصد أنه طاعة كان معصية وليس ببدعة لاعتراف فاعله بقبحه وكونه يخالف الشرع وهكذا كل أمر يضارع ما ذكرنا .

ص : **(فهذه)** . ش : البدعة في الشرع دون العادة . ص : **(هي مراده عليه الصلاة والسلام)** . ش : حيث قال في الحديثين السابقين : «كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة» يعني : كل محدثة في الشرع بدعة وكل بدعة في الشرع ضلالة والمراد كل بدعة في الشرع ليس فيها إعانة على الطاعة الشرعية بأن كانت بدعة سيئة وأما البدعة في الشرع إذا كان فيها إعانة على طاعة شرعية فإنها تكون بإذن من الشارع ولو بطريق الإشارة كما تقدم فهي بدعة حسنة فلا تدخل تحت كل بدعة في الشرع ضلالة . ص : **(بدليل)** . ش : متعلق بقوله فلا تتناول العادات يعني أن البدعة في الشرع غير شاملة للبدع في العادات والدليل على ذلك مقتضى . ص : **(قوله عليه الصلاة والسلام)** . ش : في الحديث السابق .

ص : **(فعليكم)** . ش : يا معشر المكلفين يعني الزموا العمل . ص : **(بسنتي)** . ش : وهي ما شرعه ﷺ لهم في دينهم دون ما شرعوه هم لأنفسهم من الدين وهي البدع ولم يشرع لهم ﷺ شيئًا في العادات لأنه جاء ليعلمهم دينهم لا دنياهم فلا تدخل في ذلك البدع في العادات .

ص : **(وسنة الخلفاء)** . ش : جمع خليفة . ص : **(الراشدين)** . ش : أي أهل الرشد ضد الغي . ص : **(المهديين)** . ش : وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين يعني الزموا ما شرعه لكم خلفائي .

ص : **(من بعدي)** . ش : يعني في الدين إذا لم تشرع الخلفاء إلا في الدين فلا يشمل أمر العادة .

ص : **(وقوله عليه الصلاة والسلام)** . ش : في صدر الحديث المتقدم . ص : **(أنتم أعلم بأمر دنياكم)** . ش : يعني لا تحتاجون أن أشرعه لكم أي أبينه وإنما حاجتكم لأمر دينكم أن أشرعه لكم فلا تشرعوا أنتم أمر دينكم لأنكم لا تعلمون ماذا يريد الله تعالى من الحكم عليكم فلا تدخل العادات في ذلك .

ص : (وقوله عليه الصلاة والسلام [١] : من أحدث ...) . ش : أي اخترع .

ص : (في أمرنا) . ش : أي شرعنا وديننا . ص : (هذا ما ليس منه) . ش من الاعتقاد أو العمل أو القول أو التخلق واعتقد أن ذلك شرع ودين . ص : (فهو رد) . ش : منه علينا إذ الشارع نحن بوحي الله تعالى ونبوته لا غيرنا أورد منا علينا فلا يقبل ذلك كما سبق بيانه فهذا تصريح بأن البدعة الشرعية التي هي ضلالة هي ما ابتدعت في الشرع والدين دون العادات وكذلك ما تقدم من حديث غضيف بن الحارث أن النبي ﷺ قال : «ما من أمة ابتدعت بعد نبيها في دينها بدعة إلا أضاعت مثلها من السنة» فقد خص البدعة بكونها في الدين فخرجت البدعة في العادات فإنها ليست ببدعة في الشرع ولا هي ضلالة وفي «شرح الشرعة» وكل بدعة قبيحة ضلالة فلا يجوز التمسك بها قال النبي ﷺ : «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» [٢] أي ما أحدثه مردود جدًا والمراد أن كل بدعة في الدين كانت على خلاف مناهجهم وطرقهم يعني الصحابة والتابعين وتابعي التابعين رضي الله عنهم أجمعين بحيث لو اطلعوا عليها لأنكروها وكرهوها فهي ضلالة وإلا فقد حققوا أن من البدعة ما هي حسنة مقبولة كالاشتغال بالعلوم الشرعية وتدوينها وبناء المنارة وغيرها مما رأوا فيه مصلحة .

ص : (والبدعة) . ش : الشرعية . ص : (في الاعتقاد) . ش : كاعتقادات القدرية والجبرية وبقية الفرق الضالة واتباعهم . ص : (هي المتبادرة) . ش : في السبق إلى الذهن . ص : (من إطلاق) . ش : اسم . ص : (البدعة) . ش : الشرعية . ص : (و) . ش : إطلاق اسم . ص : (المبتدع) . ش : في الشرع على فاعلها . ص : (و) . ش : إطلاق اسم . ص : (الهوى) . ش : أي الميل النفساني

---

(١) أخرجه البخاري ٥٣- كتاب : الصلح (٥) باب : إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود (٢٦٩٧) عن عائشة ، مسلم ٣٠- كتاب : الأقضية (٨) باب : نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور ١٧- (١٧١٨) عن عائشة ، وأبو داود ٣٥- كتاب : السنة ٦- باب : في لزوم السنة رقم (٤٦٠٦) ، وابن ماجه المقدمة ٢- باب : تعظيم حديث رسول الله ﷺ والتغليظ على من عارضه (١٤) ، ابن حبان في صحيحه ١- كتاب : المقدمة ٢- باب : الاعتصام (٢٧) .

(٢) انظر التخريج المتقدم .

بمجرد العقل الحيواني . ص : **(و)** . ش : إطلاق اسم . ص : **(أهل الأهواء)** . ش : على فاعل ذلك كما هو مذكور في كتب علم الكلام وغيره فيقال أهل البدع والمبتدعة وأهل الهوى وأهل الأهواء والمراد بذلك البدعة الشرعية في الاعتقاد لا غير . ص : **(فبعضها)** . ش : أي بعض البدع الشرعية في الاعتقاد .

ص : **(كفر)** . ش : كجحود أي نكران حشر الأجساد ونفي الصفات الإلهية والحكم بقدم العالم . ص : **(وبعضها)** . ش : أي بعض تلك البدعة .

ص : **(ليست به)** . ش : أي بالكفر كجحود سؤال القبر وخبر المعراج . ص : **(ولكنها)** . ش : أي هذه البدعة التي ليست بكفر . ص : **(أكبر من كل كبير)** . ش : كأنه . ص : **(في العمــل)** . ش : أي مـن كبائر العمل فدونها كل كبيرة لتضمنها تكذيب الشارع فيما أخبر عنه دون صريح التكذيب لثبوت ذلك بالدليل الظني وهو خبر الآحاد لا بطريق التواتر ولا الشهرة ولهذا لم تكن كفرًا .

ص : **(حتى)** . ش : إنها أكبر من كبيرة . ص : **(القتل)** . ش : أي قتل المؤمن المعصوم الدم عمدًا . ص : **(و)** . ش : أكبر من كبيرة .

ص : **(الزنا)** . ش : أيضًا لأن صاحبها يعتقدها حقًّا ويدين الله تعالى بها وهي بدعة قبيحة وأما القتل والزنا فإذا صدرا من المؤمن لا يستحلهما ويعتقد حرمتهما فهما أخف من البدعة مع تساويهما معها في عدم المشروعية .

ص : **(وليس فوقها)** . ش : أي فوق البدعة المذكورة في الاعتقاد . ص : **(إلا الكفـر)** . ش : سيما وصاحبها تحجب عنه التوبة حتى يدعها كما سبق في لفظ الحديث ، ولا يقبل الله له عملاً مطلقًا مع أن صاحب الكبائر يقبل عمله وهو والكافر لا تحجب عنهما التوبة ؛ لأن صاحب الكبائر معترف بأنه صاحب معاصٍ ومخالفات ، والكافر غير ملتزم بشرائع الإسلام ولا مدعي الملة المحمدية بخلاف المبتدع في الدنيا فإنه يدعي الإسلام ويزعم أن بدعته طاعة من طاعات الله تعالى ، وقالوا في كتب علم الكلام : ولا نكفر أحدًا من أهل القبلة ، قال العلامة حسن جلبي في «حاشيته على شرح المواقف» [1] : معناه أن الذين اتفقوا على ما هو من

---

(١) المواقف في علم الكلام للعلامة عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي القاضي المتوفى سنة (٧٥٦) ألفه لغياث الدين وزير خدابنده ، وهو كتاب جليل القدر رفيع الشأن اعتنى به ....=

ضروريات الإسلام كحدوث العالم وحشر الأجساد وما أشبه ذلك واختلفوا في أصول سواه كمسألة الصفات وخلق الأعمال وعموم الإرادة وقدم الكلام وجواز الرؤية ونحو ذلك مما لا نزاع أن الحق فيه واحد لا يكفر المخالف للحق في ذلك وإلا فلا نزاع في كفر أهل القبلة المواظب طول العمر على الطاعات باعتقاد قدم العالم ونفي الحشر ونفي العلم بالجزئيات ونحو ذلك وكذا لصدور شيء من موجبات الكفر عنه كذا في شرح المقاصد [1] .

ولعله أراد أن اعتقاد قدمه مع نفي الحشر كفر وإلا فقد ذهب كثير من حكماء الإسلام إلى قدم بعض الأجسام ، والفحول من أرباب المكاشفة قدس الله أسرارهم ذهبوا إلى قدم العرش والكرسي دون سائر الأفلاك فلا وجه للتكفير إذ لا تكذيب فيه للنبي ﷺ . انتهى .

فلعل مرادهم بقدم العرش والكرسي قدمهما بالنسبة إلى إيجاد الله لهما فإنه تعالى موجدهما من الأزل حيث لا بداية للزمان الذي ابتدأ وجودهما فيه ؛ لأنه تعالى لا يمر عليه الزمان ولا على صفاته فقبل حضور الزمان الذي ابتدأ وجودهما فيه لا وجود

= الفضلاء فشرحه السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني المتوفى سنة ٨١٦ ست عشرة وثمانمائة وهو أدون شروحه فرغ منه في أوائل شوال سنة ٨٠٧ . سمرقند كذا نقل من خطه ، وكتب على شرح الشريف جماعة تعرض كل منهم لحل مغلقاته منهم المولى حسن جلبي بن محمد شاه الفناري علق عليه حاشية لطيفة مفيدة وتوفى سنة (٨٨٦) ذكر أنه استعار من المولى خواجه زاده كتاب شرح المواقف وحواشيه وكانت مملوءة بأبكار أفكاره فجزأه وفرقه بين طلبته فكتبوا النسخة كلها في ليلة واحدة ثم أرسلها له غدًا وضمها إلى حواشيه ، كذا ذكر عرب زاده في هوامش الشقائق النعمانية [كشف الظنون (١٨٩١/٢ ، ١٨٩٢)] .

(١) المقاصد في علم الكلام للعلامة سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني . أولها حمدًا لمن تفوح نفحات الإمكان ... إلخ رتبه على ستة مقاصد وفرغ من تأليفه سنة (٧٨٤) بسمرقند وله عليه شرح جامع وتوفى سنة ٧٩١ . وقد أورد في شرحه مغلطة سماها الجذر الأصم . وقد شرحها الفضلاء وعليه حاشية لمولانا على القاري في مجلد ، وعليه حاشية للمولى إلياس بن إبراهيم السيسنابى قال صاحب الشقائق النعمانية وهي حاشية لطيفة جدًا رأيتها بخطه ، وحاشية لخضر شاه المنتشاوي المتوفى سنة (٨٥٣) . وعليه تعليقة للمولى أحمد بن موسى الخيالي ذكره المجدي في ذيله . ومولانا مصلح الدين المعروف بحسام زاده كتب عليه حاشية أيضا كذا ذكره المجدي واختصره الشيخ محمد بن محمد الدلجي وسماه مقاصد المقاصد وتوفى سنة (٩٤٧) ، وقد نظمه بعضهم . [كشف الظنون (١٧٨٠/٢ ، ١٧٨١)] .

لهما بالنسبة إلينا ولهذا كانا حادثين عندنا ولا وجود لهما أيضًا بالنسبة إلى الله تعالى وأما في الزمان الذي ابتدأ وجودهما فيه فهما موجودان فيه عندنا بطريق الحدوث والابتداء لهما لتقييدنا بالزمان ، وموجودان فيه أيضًا عند الله تعالى لكن لا بطريق الحدوث والابتداء بل من الأزل والله تعالى ليس متقيدا بالزمان إذ هو من جملة محدثاته في مرتبته من الأزل ولا فعله تعالى حادث بل الحادث مفعوله بالنظر إلينا لا بالنظر إليه تعالى لحضور الأزمان كلها عنده تعالى من غير زمان يكون هو متقيدًا به وعدم حضور الأزمان كلها بالنظر إلينا لتقييدنا بزمان دون زمان ، وهذا القائل بالقدم في العرش والكرسي من فحول أرباب المكاشفة قدس الله أسرارهم يقول بحدوثهما من جهة التقييد بالزمان أيضًا كقول علماء الكلام ولهذا قال دون سائر الأفلاك فإن سائر الأفلاك فيها خصوصًا في عموم لوجود الزمان بالنظر إلى سائر الأفلاك دونهما والحدوث منشؤه الزمان ولكن ينفرد بالمعرفة الإلهية في صدور العالم عن الله تعالى ما لا يعرفه غيره ويريد بالعرش والكرسي العالمين الكليين وما اشتملا عليه من جميع النفوس والأجسام وذلك مجموع العالم كله وأما الحكم بقدم شيء من العالم بالنظر إلى التقييدين بالزمان كقول الفلاسفة ومن تابعهم فلا خلاف في أنه كفر .

ص : **(والخطأ في الاجتهاد)** . ش : وهو بذل المجهود لنيل المقصود ، يعني : بذل تمام الطاقة بحيث يحس من نفسه العجز عن المزيد عليه .

ص : **(فيه)** . ش : أي : في الاعتقاد . ص : **(ليس بعذر)** . ش : شرعي .

ص : **(بخلاف)** . ش : الخطأ في .

ص : **(الاجتهاد في الأعمال)** . ش : البدنية فإنه عذر بالاتفاق ، قال في «التلويح» [١] للسعد التفتازاني : فلا يجري الاجتهاد في القطعيات وفيما يجب فيه الاعتقاد الجازم من أصول الدين ، ثم قال بعد ذلك : والمخطىء في الاجتهاد يعني في

---

(١) (تنقيح الأصول) للفاضل العلامة صدر الشريعة عبيد الله بن مسعود المحبوبي البخاري الحنفي المتوفى سنة ٧٤٧ . قسمه قسمين الأول في الأدلة الشرعية وهي أربعة الكتاب والإجماع والسنة والقياس والثاني إلى آخر الكتاب ، ثم شرحه في شرح لطيف ممزوج وكتب فيه عبارة المتن وهذا الشرح هو (التوضيح في حل غوامض التنقيح) ولما كان هذا الشرح كالمتن علقوا عليه شروحًا وحواشٍ أعظمها وأولاها شرح العلامة سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني الشافعي المتوفى سنة ٧٩٢ وهو (التلويح على التوضيح) [كشف الظنون (٤٩٦/١)] .

فروع الدين لا يعاتب ولا ينسب إلى الضلال بل يكون معذورًا ومأجورًا إذ ليس عليه إلا بذل الوسع وقد فعل فلم ينل الحق لخفاء دليله إلا أن يكون الدليل الموصل إلى الصواب بينا فأخطأ المجتهد بتقصير منه وترك مبالغة في الاجتهاد فإنه يعاتب وما نقل من طعن السلف بعضهم على بعض في مسائلهم الاجتهادية كان مبنيًا على أن طريق الصواب بيّن في زعم الطاعن وإنما قال المخطىء في الاجتهاد لأن المخطىء في الأصول والعقائد يعاتب بل يضلل أو يكفر ؛ لأن الحق فيها واحد إجماعًا والمطلوب هو اليقين الحاصل بالأدلة القطعية إذ لا يعقل حدوث العالم وقدمه وجواز رؤية الصانع وعدمها فالمخطىء فيها مخطىء ابتداء وانتهاء وما نقل عن بعضهم من تصويب كل مجتهد في المسائل الكلامية إذا لم يوجب تكفير المخالف كمسألة خلق القرآن ومسألة الرؤية ومسألة خلق الأفعال فمعناه نفي الإثم وتحقق الخروج من عهدة التكليف لأحقية كل من القولين .

وفي مرقاة الوصول [١] : والاجتهاد في الشرعيات لا العقليات كمباحث تتعلق بالذات والصفات والأفعال من الإلهيات والنبوات فإن المليين أجمعوا على وحدة المصيب في العقليات إلا عند بعضهم أي بعض المعتزلة وهو أبو الحسن العنبري والجاحظ فإنهما قالا : إن كل مجتهد مصيب في مسائل الكلام وهو باطل لأن المطلوب فيها هو اليقين الحاصل بالأدلة القطعية ولا يعقل حدوث العالم وقدمه وجواز رؤية الصانع وامتناعها ونحو ذلك ، انتهى وسبق نظير هذا .

ص : **(وضد هذه البدعة)** . ش : التي في الاعتقاد أي ما يضادها فيمتنع وجوده معها . ص : **(اعتقاد أهل السنة)** . ش : (النبوية المحمدية) .

ص : **(والجماعة)** . ش : الإسلامية الإيمانية من الأشاعرة والماتريدية .

ص : **(والبدعة في العبادة)** . ش : أي الأعمال الظاهرة في مقابلة البدعة في الاعتقاد كالزيادة والنقصان في صورة بعض العبادات ، وأشار بقوله : «في العبادة» دون قوله : «في العمل» إلى أن صاحبها يطلب عليها الثواب من الله تعالى مثل سائر

---

(١) مرقاة الوصول في علم الأصول . متن لمولانا محمد بن خرامرز وسماه مرآة الأصول .
وهو شرح لطيف جامع للفوائد المنقولة عن المتقدمين مع زوائد أبدعها خاطره الشريف . (كشف الظنون (١٦٥٧/٢)] .

العبادات مع أنها مبتدعة لا أصل لها فلهذا كانت البدعة أقبح من جميع المعاصي .

ص : (وإن كانت) ش : هذه البدعة .

ص : (دونها) . ش : أي دون البدعة في الاعتقاد ، يعني : أقل منها قبحًا وشناعة وإثمًا وذلك لأن البدعة في الاعتقاد تنجيس موضع نظر الرب سبحانه وتعالى ، وهو القلب والبدعة في الأعمال تنجيس موضع نظر الخلق وهو ظاهر العبد كما ورد : «أن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم». ص : (لكنها) . ش : أي البدعة في العبادة أيضًا . ص : (منكر) . ش : في دين الله تعالى . ص (وضلالة) . ش : يجب تركها والاجتناب عنها أكثر من جميع المعاصي . ص : (لا سيما إذا صادمت) . ش : أي دافعت وزاحمت . ص : (سنة) . ش : من سنن النبي ﷺ . ص : (مؤكدة) . ش : أي كان فعل تلك البدعة مانعًا من فعل سنة مؤكدة مشغلاً للعبد عن الاشتغال بالسنة فإنه يشتد حينئذ قبح البدعة ويكثر الإثم على فعلها .

ص : (ومقابل هذه البدعة) . ش : التي في العبادة أي مضاد لها بحيث لو وجد هو امتنع وجودها . ص : (سنة الهُدى) . ش : بضم الهاء وفتح الدال : الرشاد والدلالة ، كذا في «القاموس» [1] يعني : التي فعلها رشاد لفاعلها ودلالة من فاعلها لغيره على الرشاد . ص : (وهي ما) . ش : أي فعل . ص : (واظب النبي ﷺ عليه من جنس العبادة) . ش : ليخرج ما واظب عليه من العبادات من غير أن يقصد عبادة الله تعالى به ، فإنه ليس بسنة هدى ، بل هو من الزوائد كالمشي والقعود .

ص : (مع الترك) . ش : لذلك الفعل . ص : (أحيانًا) . ش : جمع حين يعني أوقاتًا أو بلا ترك أصلاً ولا يفهم الوجوب من عدم الترك ما لم يقترن به النهي عن الترك والتوعد عليه ولهذا قال . ص : (و) . ش : مع . ص : (عدم الإنكار) . ش : من النبي عليه السلام . ص : (على تاركه) . ش : أي تارك ذلك الفعل ؛ لأنه لو اقترن بالمواظبة إنكار على الترك كان واجبًا لا سنة .

ص : (على الاعتكاف) . ش : وهو لغة : اللبث والدوام على الشيء . وشرعًا

---

(١) القاموس المحيط [(٤/٤٠٥) هدى] .

لبث رجل في مسجد جماعة أو امرأة بنية أي الاعتكاف وهو واجب في المنذور وسنة مؤكدة في العشر الأخير من رمضان ومستحب فيما سواه أي العشر الأخير .

أنواع السُّنة

كذا في شرح الدر . قال في "مرقاة الوصول" : والسنة نوعان : **الأول** : سنة الهدى مكملة للدين وتاركها مسيء مستحق للوم كصلاة العيد والآذان والإقامة والصلاة بالجماعة والسنن الرواتب ولذا لو تركها قوم عوقبوا أو أهل بلدة وأصروا قوتلوا . **والثاني** سنة الزوائد وتاركها لا يستحق اللوم كتطويل أركان الصلاة وسيرة النبي ﷺ في لباسه كالبيضاء وقيامه وتعوّده . انتهى .

وقال والدي رحمه الله تعالى في كتابه "الأحكام" : والحاصل أن الذي يظهر أن القول أو الفعل يعني قول النبي عليه السلام أو فعله إن قارنه إنكار على الترك فواجب وإلا فإن كان مع صيغة أمر أو نهي ولا مواظبة فمستحب وإلا فسنة مؤكدة والسنة نوعان سنة هدى وتاركها يستوجب إساءة كالجهاد والآذان . وزوائد تاركها لا يستوجب ذلك كالسنن في القيام والقعود واللباس كما في "المنار" [1] أي : كانت على سبيل العبادة فسنن الهدى وعلى سبيل العادة فسنن الزوائد كلبس الثياب والأكل باليمين وتقديم اليمين في الدخول .

ص : **(وأما البدعة في العادة)** . ش : أي من غير أن يقصد بها عبادة الله تعالى ولا يطلب عليها ثواب .

ص : **(كالمنخل)** . ش : للدقيق وكذلك الملعقة للأكل ونحو ذلك لعدم قصد مخترعها ومستعملها عبادة الله تعالى بها والثواب عليها .

ص : **(فليس فعلها ضلالة)** . ش : ولا وعيد البدعة شامل لها .

---

(١) (منار الأنوار) في أصول الفقه للشيخ الإمام أبي البركات عبد الله بن أحمد المعروف بحافظ الدين النسفي المتوفى سنة (٧١٠) . وهو متن متين جامع مختصر نافع ، وهو فيما بين كتبه المبسوطة ومختصراته المضبوطة أكثرها تداولاً وأقربها تناولاً ، وهو مع صغر حجمه ووجازة نظمه بحر محيط بدرر الحقائق ، وكنز أودع فيه نقود الدقائق ، ومع هذا لا يخلو من نوع التعقيد والحشو والتطويل ، فحرره الكافي الأقحصاري في مختصره الموسوم بسمت الوصول وأحسن تحريره ورتبه على أبلغ نظام ، وترتيب بزيادة التوضيح والتنقيح . [كشف الظنون (١٨٢٣/٢)] .

ص : (بل) . ش : فعلها .

ص : (ترك أولى) . ش : عند أهل الورع والاحتياط .

ص : (فتركها) . ش : أي البدعة في العادة . ص : (أولى) . ش : من فعلها لما تورث الطمأنينة على نعيم الدنيا وتوصل راحة القلب بالغفلة والغرور . قال في "الكشاف" وقد شدد العلماء من أهل التقوى في وجوب غض البصر عن أبنية الظلمة وعدد الفسقة في اللباس والمراكب وغير ذلك ؛ لأنهم إنما اتخذوا هذه الأشياء لعيون النظار فالناظر إليهم محصل لغرضهم وكالمغري لهم على اتخاذها . ذكره الشيخ المناوي في "شرح الجامع الصغير" فهي من البدع العادية . ومن ذلك البنيان زيادة على مقدار الحاجة كما روى الشيخ النووي في "رياض الصالحين" عن قيس بن أبي حازم قال : دخلنا على خباب رضي الله عنه نعوده وقد اكتوى سبع كيات فقال : إن أصحابنا الذين سلفوا مضوا ولم تنقصهم الدنيا وإنا أصابنا ما لا نجد له موضعًا إلا التراب ، ولولا أن النبي ﷺ نهانا أن ندعو بالموت لدعوت به ، ثم أتيناه مرة أخرى وهو يبني حائطًا له فقال : «إن المسلم ليؤجر في كل شيء ينفقه إلا في شيء يجعله في هذا التراب» متفق عليه ، وهذا لفظ رواية البخاري [١] . ومن ذلك ظهور السمن في الرجال كما قال رسول الله ﷺ : أكثر من أكلة كل يوم سرف وفي "شرح الجامع الصغير" للمناوي : ومن علامات الساعة ظهور السمن في الرجال . انتهى . ومن ذلك : استعمال التتن والقهوة الشائع ذكرها في هذا الزمان بين الأسافل والأعيان .

والصواب أنه لا وجه لحرمتهما ولا لكراهتها في الاستعمال بل هما من البدع في العادة ، ومن علل حرمتهما بشيء لزمه حرمة البدعة العادية ، وهو خلاف ما عليه جمهور العلماء .

وأمر السلطان ونهيه إنما يعتبران إذا كانا على طبق أمر الله تعالى ونهيه لا على مقتضى نفسه وطبعه كما أن أمر النبي ﷺ ونهيه على طبق أمر الله تعالى ونهيه لا هو من تلقاء نفسه ومقتضى رأيه وعقله وحاشاه ﷺ من ذلك لو فرضنا أن أمر النبي ﷺ ونهيه كانا من تلقاء نفسه لا من أمر الله تعالى ونهيه لما وجب علينا امتثال ذلك فكيف يجب علينا امتثال أمر السلطان ونهيه الصادر من مجرد رأيه وعقله ما لم يكن

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١٥٧/٧) ط الشعب .

موافقًا لحكم الله تعالى إلا إذا ظلم السلطان وجار وشدد على الناس وضيق عليهم في النهي عن استعمال هذين المباحين وخاف الناس على أنفسهم من شره خصوصًا إذا كان يستحل دماء المسلمين ويوجب تعذيرهم في رأيه بسبب ذلك فلا يجوز أن يلقي أحد بنفسه إلى التهلكة ويكف المؤمن عن استعمال ذلك بهذا السبب لا معتقدًا الحرمة أو الكراهة بل حاقنًا دمه وعرضه ، وقد روى عن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول في بيتي هذا : «اللهم من ولي من أمر أمتي شيئًا فشق عليهم فاشقق عليه ومن ولي من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم فارفق به» رواه مسلم ، كما ذكره النووي في رياض الصالحين .

وقال البيضاوي في تفسير قوله تعالى : ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [١] أي : وأن تحكموا بالإنصاف والسوية إذا قضيتم بين من ينفذ عليه أمركم أو يرضى بحكمكم ؛ ولأن الحكم وظيفة الولاة وقيل الخطاب لهم ﴿إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ﴾ أي نعم شيئًا يعظكم به أو نعم الشيء الذي يعظكم به من العدل في الحكومات ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ بأقوالكم وأحكامكم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [٢] يريد بهم أمراء المسلمين في عهد رسول الله ﷺ وبعده ويندرج فيهم الخلفاء والقضاة وأمراء السرية أمر الناس بطاعتهم بعد أن أمرهم بالعدل تنبيهًا على أن وجوب طاعتهم ما داموا على الحق ، وقيل : علماء الشرع ؛ لقوله تعالى : ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ [٣] الآية ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ﴾ أنتم وأولو الأمر منكم ﴿فِي شَيْءٍ﴾ من أمور الدين ، وهو يؤيد الوجه الأول يعني في أن أولي الأمر هم الخلفاء والأمراء لا العلماء إذ ليس للمقلد أن ينازع المجتهد في حكمه بخلاف المرءوس إلا أن يقال الخطاب لأولي الأمر يعني فقط على طريقة الالتفات ﴿فَرُدُّوهُ﴾ فراجعوا فيه ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ تعالى ، إلى كتابه ﴿وَالرَّسُولِ﴾ بالسؤال عنه في زمانه والمراجعة إلى سنته بعده ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ فإن الإيمان يوجب ذلك يعني الرد المذكور ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي الرد ﴿خَيْرٌ﴾ لكم ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ عاقبة أو أحسن تأويلا من تأويلكم ، انتهى كلام البيضاوي باختصار لعبارته ، وسبق ما

---

(١) سورة [النساء : ٥٨] .
(٢) سورة [النساء : ٥٩] .
(٣) سورة [النساء : ٨٣] .

يضارع هذا . ولنا في كتابنا "نهاية المراد شرح هدية ابن العماد" كلام في هذه المسألة أكثر من هذا وكذلك في كتابنا "المطالب الوفية" وغيره .

ص : (وضدها) . ش : أي ضد البدعة في العادة .

ص : **(السُّنة الزائدة)** . ش : المقابلة لسنة الهدى كما قدمناه ومعنى زيادتها كونها ليست لتكميل الدين بخلاف سنة الهدى كما ذكرنا فإن الدين يتكمل بها . ص : **(وهي ما)** . ش : أي فعل .

ص : **(واظب عليه النبي ﷺ)** . ش : وهو . ص : **(من جنس العادة)** . ش : حيث لم يقصد به العبادة ليكون تكميلاً للدين .

ص **(كالابتداء باليمين)**. ش : من اليد والرجل وغيرهما . ص : **(في الأفعال الشريفة)** . ش : يعني غير الخسيسة لما روي عن عائشة رضي الله تعالى عنها "كان النبي ﷺ يحب التَّيامُن في تنعله وترجله وطهوره وفي شأنه كله" [(١)] قال القرطبي في شرح مسلم : كان ذلك منه تبركًا باسم اليمين لإضافة الخير إليها كما قال : ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ [(٢)] ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ ولما فيه من اليمن والبركة ، وهو من باب التفاؤل .

ونقيضه الشمال ويؤخذ من هذا الحديث احترام اليمين وإكرامها فلا تستعمل في إزالة شيء من الأقذار ولا في شيء من خسيس الأعمال ، وقد نهى ﷺ عن الاستنجاء ومس الذكر باليمين [(٣)] .

وفي "رياض الصالحين" عن سلمة بن الأكوع - رضي الله عنه - أن رجلاً أكل عند رسول الله ﷺ بشماله فقال "كل بيمينك" [(٤)] فقال : لا أستطيع . قال :

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٦/١) ٢- كتاب الطهارة . ١٩- كتاب : التيمن في الطهور وغيره رقم ٦٦ - (٢٦٨) ، ٦٧ - (٥٠) (والتيامن) هو الابتداء في الأفعال باليد اليمنى والرجل اليمنى والجانب الأيمن .

(٢) سورة [الواقعة : ٢٧] .

(٣) أخرج ابن ماجة (٢٦٠/١) ١- كتاب : الطهارة وسننها ٦٣- باب : الوضوء من مس الذكر رقم (٤٨٠) عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ : "إذا مس أحدكم ذكره فعليه الوضوء" .

(٤) أخرجه أحمد (٤٥/٤ ، ٤٦ ، ٥٠) ، البيهقي (٢٧٧/٧) ، ابن أبي شيبة (١٠٥/٨) ،........=

«لا استطعت ، ما منعه إلا الكبر» فما رفعها إلى فيه . رواه مسلم [١] . وفي (شرح الشرعة) المسمى (بجامع الشروح) : وأن يأكل ويشرب بيمينه لما روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «ليأكل أحدكم بيمينه وليشرب بيمينه وليأخذ بيمينه وليعط بيمينه فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله ويأخذ بشماله ويعطي بشماله» [٢] ولا بأس بأن يستعين بيساره في الأكل وغيره عند الحاجة وإنما البأس في الأكل بها على الاستقلال بغير حاجة .

ص : (و) . ش : الابتداء . ص : (باليسار) . ش : من اليد والرجل وغيرهما . ص : (في) . ش : الأفعال . ص : (الخسيسة) . ش : كدخول الخلاء والاستنجاء ومس الذكر حتى نقل الإمام القرطبي في (شرح مسلم) أن من استنجى بيمينه فقد أساء وأجزاه ، وقال أهل الظاهر : لا يجزيه لاقتضاء النهي فساد المنهي عنه ، وعند الجمهور : لا يقتضيه ، وأيضًا فإن الجمهور صرفوا هذا النهي إلى عين ذات المنهي عنه ، وهو احترام اليمين والمطلوب الذي هو الإنقاء قد حصل فيجزي عنه ، ونهيه في حديث أبي قتادة رضي الله عنه «عن إمساك الذكر باليمين وعن التمسح في الخلاء باليمين» [٣] يلزم منهما تعذر ، اختلف في كيفية التخلص منه ، فقال

= البيهقي في دلائل النبوة (٢٣٨/٦) ، الحميدي (٥٧٠) ، ابن حبان (١٣٣٨ موارد) .

(١) أخرجه مسلم (١٥٩٩/٣) ٣٦- كتاب : الأشربة ١٣ - باب : آداب الطعام والشراب وأحكامهما رقم ١٠٧ - (٢٠٢١) ، أحمد في المسند (٤٦/٤) ، البيهقي (٢٧٧/٧) .

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٠/٤) ٢٩- كتاب : الأطعمة ٨ - باب : الأكل باليمين رقم (٣٢٦٦) وإسناده صحيح .
ورجاله ثقات وأصله في الصحيحين من حديث عمر بن أبي سلمة .

(٣) عن أبي قتادة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : «إذا بال أحدكم فلا يمس ذكره بيمينه ، ولا يستنج بيمينه» أخرجه : البخاري ٤ - كتاب : الوضوء ١٨ - باب : النهي عن الاستنجاء باليمين رقم (١٥٣) مسلم (٢٢٥/١) ٢ - كتاب : الطهارة ١٨ : باب النهي عن الاستنجاء باليمين رقم ٦٣ - (٢٦٧) ، أبو داود (٣١/١) ١ - كتاب : الطهارة ١٨ - باب : كراهية مس الذكر باليمين رقم (٣١) ، النسائي ١- كتاب : الطهارة ٢٣ - باب : النهي عن مس الذكر ، ٤٢- باب : النهي عن الاستنجاء باليمين رقمي (٢٥،٤٧) . الترمذي (٢٣/١) ١ - كتاب : الطهارة ١١ - باب : الاستنجاء باليمين رقم (١٥) ، وقال : حديث حسن صحيح ، أحمد بن حنبل في مسنده (٢٩٥/٥،٢٩٦،٣٠٠) ، ابن ماجة (١٨٢/١) ١ - كتاب الطهارة وسننها ١٥ - باب : كراهية مس الذكر باليمين والاستنجاء باليمين =

المازري : يأخذ ذكره بشماله ثم يمسح به حجرًا ليسلم على مقتضى الحديثين وتمامه هناك .

ص : (فهي) . ش : أي هذه السنة الزائدة . ص : (مستحبة) . ش : أي استحبها النبي ﷺ والسلف الماضون ، قال والدي رحمه الله تعالى في كتاب (الأحكام) ثم في (الحاوي القدسي) : والأدب والمستحب والنافلة ما فعله عليه الصلاة والسلام مرة وهي تسمى سنة أيضًا . وفي (شرح درر البحار) : اعلم أن المستحب أدون من السنة وأعلى من الأدب ولم يفرق بعض مشايخنا بين الأدب والمستحب وقد يطلق المستحب على السنة .

أقسام البدعة

ص : (فظهر) . ش : من هذا . ص : (أن البدعة بالمعنى الأعم) . ش : وهو ما تقدم من المعنى اللغوي العام الذي هو مطلق الابتداع والاختراع سواء كان في العادة أو في العبادة . ص : (ثلاثة أصناف مرتبة في القبح) . ش : أي أعظمها قبحًا الأول هو البدعة في الاعتقاد ثم أوسطها قبحًا الثاني وهو البدعة في العبادة ثم أدناها قبحًا الثالث وهو البدعة في العادة قال في (شرح الشرعة) : وذكر في «شرح المشارق» : أن العلماء قالوا : البدعة خمسة : واجبة كنظم الدلائل لرد شبه الملاحدة وغيرهم ، ومندوبة كتصنيف الكتب ، وبناء المدارس ونحوها ، ومباحة كالتبسيط بألوان الأطعمة عند ضيافة الإخوان وغيرها ، ومكروهة وحرام وهما ظاهران .

ص : (فإذا علمت هذا) . ش : التقسيم الذي تقدم بيانه .

ص : (فالمنارة) . ش : المذكورة في نوع البدعة المستحبة إنما كانت مستحبة مع أنها بدعة لأنها . ص : (عون) . ش : أي معينة للمؤذنين في قصدهم . ص : (لإعلام) . ش : الناس بدخول . ص : (وقت الصلاة) . ش : المفروضة كالصلوات الخمس والجمعة . ص : (المراد) . ش : نعت للإعلام .

ص : (من) . ش : معنى . ص : (الأذان) . ش : شرعًا إذ معناه لغة : مطلق الإعلام ، وفي الشرع : هو الإعلام بوقت الصلاة ، وفي المنارة إعانة في انتشار ذلك بين المسلمين ما ليس في غيرها . ص : (والمدارس) . ش : المبينة للعلم وقراءة

= رقم (٣١٠) ، والدارمي (١٧٢/١) كتاب : الطهارة باب : الاستنجاء باليمين ، وابن خزيمة في صحيحه (٣٨/١) ٥١ - باب : النهي عن مس الذكر باليمين رقم (٦٨) .

القرآن . ص : (و) . ش : كذا . ص : (تصنيف الكتب) . ش : الشرعية في علم التوحيد والعقائد والأحكام الفقهية والتفسير والحديث وآلة ذلك كالنحو والصرف واللغة ونحو هذا . ص : (عون) . ش : أي معينة . ص : (للتعليم) . ش : بسبب تقرير المسائل وإيضاحها وإيراد كل شيء في محله من الأبحاث المناسبة والإشكالات والأجوبة وتحرير الأدلة وبيان الخلاف حتى يسهل معرفة ذلك على المعلم والمتعلم . ص : (و) . ش : عون لحصول . ص : (التبليغ) . ش : أيضًا من العلماء الأولين إلى الفضلاء المتأخرين أي تبليغ الشرائع والأحكام على أكمل ما يكون من الكلام تسهيلاً على القرائح والأفهام . ص : (ورد) . ش : مبتدأ أي : صرف ومنع الفرق . ص : (المبتدعة) . ش : من المعتزلة وغيرهم .

ص : (بنظم) . ش : أي جمع وترتيب . ص : (الدلائل) . ش : العقلية والبراهين القطعية في تحقيق المسائل الاعتقادية الأصولية . ص : (نهي) . ش : خبر المبتدأ . ص : (عن المنكر) . ش : القبيح ممن تقدم لمن تأخر على وجه العموم كما هو الطريقة المسنونة في ذلك من غير تعيين فاعله على حسب ما قدمناه . ص : (وذب) . ش : أي طرد ومحاماة وردع وزجر . ص : (عن الدين) . ش : المحمدي ، والحاصل أن السادة الأئمة الأولين من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين لما حصلوا على سعادة الجهاد في أعداء الدين بظواهر العزائم ، وقارعوهم بالسماهر والصوارم حتى فتحت البلاد واطمأنت القلوب الإسلامية ، وبردت الأكباد ولم يبق للمتأخرين حظ من ذلك فجعل الله تعالى لهم مسلكًا بافتراق الأمة وتشتت الكلمة وظهور الزائغين وكثرة المخالفين في العقائد والمعاندين فانفتحت لهم أبواب جهاد آخر في النفوس الجاهلية فلم يفتهم حظهم من سعادة الجهاد في أهل الضلال فحاربوهم بعزائم البواطن وقارعوهم بسيوف الحجج والبراهين في جميع المواطن وبنوا حصون الكتب والمصنفات الكثيرة المتنوعة وأتقنوها جهدهم ونصبوا فيها مجانيق الأدلة لهدم حصون الضلال وهلاك وساوس أهل العناد والجدال ، وبنوا المدارس وشيدوها لنشر ذلك وإعلانه على حسب حال المعين على الخير من أهل التقوى في زمانه فجزاهم الله تعالى خير جزاء يوم القيامة وبلغهم غايات أمانيهم في دار الإقامة .

ص : (فكلٌّ) . ش : بالتنوين أي كل واحد مما ذكر من بناء المنارة والمدارس وتصنيف الكتب ونظم الدلائل . ص : (مأذون فيه) . ش : من قبل الشارع إذ

قصده بقاء ما شرعه وتقويته وإزالة ما يمانعه وهذا المعنى موجود فيما ذكر . ص : (بل مأمور به) . ش : من قبل الشارع ولو على طريق العموم كما قال تعالى : ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾ وقال تعالى ﴿وَلاَ تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلاَّ الْحَقَّ﴾ (١) فبناء المنارة والمدرسة من جملة المحافظة على الصلوات وتصنيف الكتب ونظم الدلائل من جملة قول الحق على الله وعدم قول الباطل وما أشبه ذلك . ص : (وعدم وقوعه) . ش : أي وقوع كل من ذلك . ص : (في الصدر الأول) . ش : زمان الصحابة والتابعين وتابعي التابعين رضي الله عنهم أجمعين . ص : (إما لعدم الاحتياج) . ش : إلى كل واحد من ذلك لاستغنائهم بكثرة الاجتهاد والمجتهدين عن تدوين العلوم وبسهولة مراجعة الثقات من أئمة الدين عن تصنيف الكتب ، وبقلة المخالفين عن نظم الدلائل . ص : (أو لعدم القدرة) . ش : فيه . ص : (بعدم المال) . ش : في الإنفاق على بناء المنارة والمدارس وجعل الأوقاف عليها والوظائف ص : (أو لعدم التفرغ له) أي لفعل ذلك . ص : (بالاشتغال) . ش : ليلاً ونهارًا ظاهرًا وباطنًا .

ص : (بالأهم) . ش : من ذلك على حسب ما يعلمون من قتال الكفار وفتح البلاد وتمهيد القواعد الإسلامية والقوانين الإيمانية بين العباد والمحافظة على فعل السنة النبوية والسيرة المحمدية والقيام بها في الأحوال كلها صونًا لها من الضياع والابتذال . ص : (ونحو ذلك) . ش : من الأعذار المانعة للأوائل عن عمل ذلك كعدم حدوث ما يقتضيه في زمانهم ووجود ما يغني عنه في ذلك الزمان دون غيره وعدم تنبههم لمثله . ص : (ولو تتبعت كل ما قيل فيه) . ش : بين العام والخاص .

ص : (بدعة حسنة) . ش : سواء كان اعتقادًا أو قولاً أو عملاً أو تخلقًا .

ص : (من جنس العبادة) . ش : إذ جنس العادة ليس ببدعة شرعًا كما مر .

ص : (وجدته مأذونًا فيه من) . ش : قبل. ص : (الشارع) . ش : لكل أحد .

ص : (إشارة) . ش : في آية أو حديث . ص : (أو دلالة) . ش : من آية أو حديث لا يكاد يخرج شيء من ذلك عما ذكر أصلاً والقصور في عدم الاطلاع ، والفرق بين الإشارة والدلالة أن الإشارة هي إيماء النص إلى غير ما سبق له كقوله تعالى

---

(١) [سورة النساء الآية ١٧١] .

﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ﴾ الآية سيق الكلام لإثبات النفقة وفيه إشارة إلى أن النسب من الأب . والدلالة إفهام النص لازم ومعناه كالنهي عن التأفيف يوجب حرمة الضرب بالأولى في قوله تعالى : ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾ (١) وقد سئل بعض العلماء عن هذه المقامات المنصوبة حول الكعبة التي يصلون فيها الآن بأربعة أئمة على مقتضى المذاهب الأربعة ما كانت السنة على ذلك ولا عصر التابعين ولا تابعيهم ولا عهد الأئمة الأربعة (٢) ولا أمروا بها ولا طلبوها فأجاب بأنها بدعة ولكنها بدعة حسنة لا سيئة ؛ لأنها تدخل بدليل السنة الصحيحة وتقريرها في السنة الحسنة ؛ لأنها لم يحدث منها ضرر ولا حرج في المسجد ولا في المصلين من المسلمين لعامة أهل السنة والجماعة ، بل فيها عميم النفع من المطر والحر الشديد والبرد وفيها وسيلة للتقرب من الإمام في الجمعة وغيرها فهي بدعة حسنة ، ويسمون بفعلهم للسنة الحسنة وإن كانت بدعة أهل السنة لا أهل البدعة لأن النبي ﷺ قال : «من سن سنة حسنة» فسمى المبتدع للحسن مستنًا فأدخله النبي ﷺ في السنة وقرن بذلك الابتداع وإن لم يرد في الفعل فقد ورد في القول فالسان سنى لا يدعي لدخوله بتسمية النبي ﷺ فيما قرره من السنة وضابط السنة ما قرره أو فعله النبي ﷺ وداوم عليه وأظهره ، ومن جملة فعله أيضًا قوله ﷺ وسكوته على الأمر ؛ لأنه تقرير وإذن في ابتداع السنة الحسنة إلى يوم الدين وأنه مأذون له بالشرع فيها ومأجور عليها مع العاملين لها بدوامها ، أخرج الامام أحمد بن حنبل (٣) ومسلم (٤) والترمذي (٥) والنسائي (٦) وابن ماجة (٧) عن جرير بن عبد الله عن رسول الله ﷺ قال «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجرهم شيئًا ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة

---

(١) [سورة الإسراء الآية ٢٣] .

(٢) الأئمة الأربعة هم : مالك ، أبو حنيفة ، أحمد بن حنبل ، والشافعي رضي الله تعالى عنهم .

(٣) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده (٣٦١/٤،٣٦٢) .

(٤) أخرجه مسلم (٧٠٤/٢،٧٠٥) ١٢ - كتاب الزكاة ٢ - باب : الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة ، وأنها حجاب من النار رقم ٧٠ - (١٠١٧) عن جرير بن عبد الله مطولا .

(٥) أخرجه الترمذي (٤٢/٥) ٤٢ - كتاب : العلم ١٥ - باب : ما جاء فيمن دعا إلى هدى فاتبع أو إلى ضلالة رقم (١٦٧٥) وقال : حديث حسن صحيح .

(٦) وأخرجه النسائي كتاب الزكاة باب : التحريض على الصدقة رقم (٢٥٥٣).

(٧) أخرجه ابن ماجة المقدمة ١٤ - باب : من سنّ سنة حسنة أو سيئة رقم (٢٠٣) .

فعليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء» ، وأخرج البيهقي [١] عن أبي جحيفة عن النبي ﷺ : «من سن سنة حسنة فعمل بها من بعده كان له أجره ومثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شيئًا ومن سن سنة سيئة فعمل بها بعده كان عليه وزرها ومثل أوزارهم من غير أن ينقص من أوزارهم شيئا ...» الحديث فيدخل في السنة تقريره ﷺ كل بدعة حسنة ومنها الربط والمدارس والمرافق والمصالح حيث كانت للمسلمين بالطرق وغيرها للمنافع ، وكل حدث مستحسن ، وقال الإمام النووي في «شرح صحيح مسلم» عند الكلام على حديث من سن سنة حسنة ومن سن سنة سيئة» [٢] : وحديث «من دعا إلى هدى ومن «دعا إلى ضلالة» [٣] هذان الحديثان صريحان في الحث على استحباب الأمور الحسنة، وتحريم سن الأمور السيئة وأن من سن حسنة كان له مثل أجور من يعمل بها إلى يوم القيامة ومن سن سيئة كان عليه مثل وزر من يعمل بها إلى يوم القيامة وأن من دعا إلى هدى كان له مثل أجور تابعيه أو إلى ضلالة كان عليه آثام تابعيه سواء كان ذلك الهدى أو الضلالة هو الذي ابتدأه أو كان منسوبًا إليه ، وسواء كان ذلك تعليم أو عبادة أو أدبًا أو غير ذلك . قوله ﷺ : «فعمل بها بعده» معناه بعد أن سنها سواء كان العمل في حياته أم بعد موته . ا هـ . والظاهر أن السنة الحسنة والسنة السيئة يترتب عليهما الجزاء لمن ابتدئهما مثل جزاء فاعلهما إلى يوم القيامة سواء نوى من ابتدأهما عند ابتدائهما أن يتبعه غيره فيهما أو لم ينو ذلك وفعلهما لنفسه فقط ابتداء كما روى عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «ليس من نفس تقتل ظلمًا إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها» [٤] لأنه كان أول من سن القتل . متفق

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٤/١٧٦) .

(٢) انظر التخريج المتقدم .

(٣) أخرجه مسلم (٤/٢٠٦٠) ٤٧ - كتاب : العلم ٦ - باب : من سنّ سنة حسنة أو سيئة ١٦ - (٢٦٧٤) عن أبي هريرة ، أبو داود (٥/١٦) ٣٤ - كتاب : السنة ٧ - باب : لزوم السنة رقم (٤٦٠٩) ، الترمذي (٥/٤٣) ٤٢ - كتاب : العلم باب (١٥) ما جاء فيمن دعا إلى هدى فاتبع (١٦٧٤) قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ، ابن ماجة (١/١٢٧) المقدمة ١٤ - باب : من سنّ سنّة حسنة أو سيئة رقم (٢٠٦) ، الدارمي (١/١٤١) المقدمة ٤٤ - باب : من سنّ سنّة حسنة أو سيئة رقم (٥١٣) ، أحمد (٢/٣٩٧) .

(٤) أخرجه البخاري (٩/١٢٧ ط الشعب) .

عليه .

وربما يقال : لا يترتب الجزاء لمن ابتدأهما مثل جزاء فاعلهما ما لم يكن نوى عند ابتدائهما أن يتبعه غيره فيهما وإن لم ينو فليس له إلا جزاؤه على فعلهما فقط لقوله عليه الصلاة والسلام : «إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى» (١) فإن الحصر في هذا الحديث مانع من ترتب ذلك على مجرد الفعل من غير نية الإمامة فيه ، نظيره ما صرح به الفقهاء بأن الإمام إذا لم ينو الإمامة في الصلاة بأن يتبعه غيره فلا ثواب له عليها ، وإن صح الاقتداء به وصحت متابعته وهو منفرد فيما يصلي فثوابه ثواب المنفرد لعدم النية ، ويؤيده حديث : «من دعا إلى الهدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا» (٢) رواه مسلم كما تقدم ، وحديث : «من دل على خير فله مثل أجر فاعله» (٣) رواه مسلم أيضًا ، وقد صدر الشيخ النووي رحمه الله تعالى باب : من سن سنة حسنة أو سيئة من كتابه (رياض الصالحين) بقوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (٤) وقوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ (٥) ومعلوم أن الإمام لا

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٥/١) ٢ - كتاب : الإيمان ٤١ - باب : ما جاء إنما الأعمال بالنية رقم (٥٤) ، مسلم (١٥١٥/٣) ٣٣ - كتاب : الإمارة ٤٥ - باب : قوله إنما الأعمال بالنيات ......إلخ رقم ١٥٥ - (١٩٠٧) ، وأبو داود (٦٥١/٢) ٧ - كتاب : الطلاق ١١ - باب : فيما عني به الطلاق والنيات (٢٢٠١) ، الترمذي (١٥٤/٤) ٢٣ - كتاب : فضل الجهاد ١٦ - باب : فيمن يقاتل رياء وللدنيا (١٦٤٧) وقال : حسن صحيح ، النسائي (٥٨/١) ٢٧ - كتاب : الطلاق ٢٤ - باب : الكلام إذا قصد به فيما يحتمل معناه ، ابن ماجة (٥٢٣/٤) ٣٧ - كتاب : الزهد ٢٦ - باب النية رقم (٤٢٢٧) .

(٢) تقدم تخريجه .

(٣) أخرجه مسلم (١٥٠٦/٣) ٣٣- كتاب : الإمارة ٣٨ - باب : فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب غيره وخلافه في أهل رقم ١٣٣ - (١٨٩٣) ، أبو داود (٣٤٦/٥) ٣٥ - كتاب : الأدب ١٢٤ - باب : في الدال على خير رقم (٥١٢٩) ، الترمذي (٤٠/٥) ٤٢ - كتاب العلم ١٤ - باب : ما جاء الدال على الخير كفاعله رقم (٢٦٧١) وقال : حسن صحيح .

(٤) [سورة الفرقان الآية ٧٤] .

(٥) [سورة الأنبياء الآية ٧٣] .

يصير إمامًا مثابًا على إمامته بعدد المقتدين حتى ينوي أن يتابعه غيره في عمله وإلا فليس بإمام ، إذ لو كان المراد مطلق الفعل لكان في الحديث : «من عمل عملاً حسنًا ، ومن عمل عملاً سيئًا» - فإن السنة مشعرة بما ذكرنا ، ويمكن أن يقال في حديث ابن آدم المذكور : إن النبي ﷺ كشف له عن حال ابن آدم أنه نوى بقتله لأخيه لتشفي نفسه منه وأن يتبعه غيره في ذلك ، ولهذا قال عنه : لأنه كان أول من سن القتل ، ولم يقل : أول من قتل ، فإن معنى السُنة الطريقة المسلوكة ولو لم يكن نوى أنها تسلك بعده ما قيل عنه إنه سنها كما كان النبي ﷺ يسن السنن بنية أن يتابعه فيها غيره فيكون إمامًا فيها فيترتب له ثواب من عمل بها إلى يوم القيامة .

ص : **(ثم أعلم)** . ش : يا أيها المكلف . ص : **(أن فعل البدعة)** . ش : السيئة في الدين . ص : **(أشد ضررًا)** . ش : على الفاعل وغيره . ص : **(من ترك السنة)** . ش : معتقدًا كراهة ذلك الترك وفيه إشارة إلى أن ترك السنة ليس بدعة إذا لم يعتقد الترك طاعة فإن اعتقده طاعة كان بدعة سيئة في الدين أيضًا فساوى البدعة الفعلية وإنما كان فعل البدعة أضر من ترك السنة لتعدي ضررها إلى عمل الغير واعتقاد ما ليس بشرع خصوصًا فيمن ظاهره الصلاح بخلاف ترك السنة فإنه وإن تعدى إلى الغير لم يكن متعديًا في الاعتقاد .

ص : **(بدليل)** . ش : متعلقًا بأشد .

ص : **(أن الفقهاء قالوا : إذا تردد)** . ش : أي المكلف . ص : **(في)** . ش : فعل . ص : **(شيء)** . ش : من الأعمال أو الأقوال أو العقائد أو الأحوال . ص : **(بين كونه)** . ش : أي ذلك الشيء . ص : **(سنة)** . ش : من سنن النبي ﷺ فيثاب على فعلها .

ص : **(وبدعة)** . ش : في الدين سيئة فيعاقب بفعلها وشك في ذلك ولم يظهر له دليل يرجح عنده أحد الطرفين .

ص : **(فتركه)** . ش : أي ذلك الشيء المتردد فيه .

ص : **(لازم)** . ش : عليه أي واجب ، قال في «محيط السرخسي» من كتاب السجدات : إن ما تردد فيه بين الواجب والبدعة يأتي به احتياطًا وما تردد بين البدعة والسنة تركه لأن ترك البدعة لازم وأداء السنة غير لازم . ا هـ .

وقال ابن نجيم الحنفي رحمه الله تعالى في كتابه (الأشباه والنظائر) في قاعدة درء المفاسد أولى من جلب المصالح : فإذا تعارضت مفسدة ومصلحة قدم دفع المفسدة غالبًا لأن اعتناء الشرع بالمنهيات أشد من اعتنائه بالمأمورات ، ولذا قال عليه الصلاة والسلام : «إذ أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه» (١) وروى في «الكشف» حديثًا : «لترك ذرة مما نهى الله عنه أفضل من عبادة الثقلين» (٢) ومن ثمة جاز ترك الواجب دفعًا للمشقة ولم يسامح في الإقدام على المنهيات خصوصًا الكبائر . ومن ذلك ما ذكره البزازي في (فتاواه) (٣) : ومن لم يجد سترة ترك الاستنجاء ولو على شط نهر ، لأن النهي راجح على الأمر حتى استوعب النهي الأزمان ولم يقتض الأمر التكرار .... اهـ .

والمرأة إذا وجب عليها الغسل ولم تجد سترة من الرجال تؤخره والرجل إذا لم يجد سترة من الرجال لا يؤخره ويغتسل وفي الاستنجاء إذا لم يجد سترة يتركه ، والفرق أن النجاسة الحكمية أقوى والمرأة بين النساء كالرجل بين الرجال كذا في (شرح النقاية) . ومن فروع ذلك - المبالغة في المضمضة والاستنشاق مسنونة وتكره للصائم وتخليل الشعر سنة في الطهارة ويكره للمحرم وقد تراعى المصلحة لغلبتها على المفسدة فمن ذلك الصلاة مع اختلال شرط من شروطها من الطهارة أو الستر أو الاستقبال فإن في ذلك مفسدة لما فيه من الإخلال بجلال الله تعالى بأن لا يناجى إلا على أكمل الأحوال ومتى تعذر شيء من ذلك جازت الصلاة بدونه ؛ تقديمًا لمصلحة الصلاة على هذه المفسدة .

---

(١) أخرجه البخاري (٩/١١٧ ط الشعب) ، كتاب الاعتصام باب : الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ مسلم (٢/٩٧٥) ١٥ - كتاب : الحج ٧٣ - باب : فرض الحج مرة في العمر رقم ٤١٢ - (١٣٣٧) ، النسائي كتاب المناسك باب : وجوب العمرة ، أحمد في المسند (٢/٢،٤٤٨،٥٠٨) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/٢٥٣،٣٢٦) ، الدارقطني (٢/٢٨١) .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) البزازية في الفتاوى للشيخ الإمام حافظ الدين محمد بن محمد بن شهاب المعروف بابن البزاز الكردي الحنفي المتوفى سنة ٣٢٧ .

وهو كتاب جامع لخص فيه زبدة مسائل الفتاوى والواقعات من الكتب المختلفة ورجّح ما ساعده الدليل ، وذكر الأئمة أن عليه التعويل وسماه الجامع الوجيز فرغ من جمعه وتأليفه كما ذكره في أواسط كتابه عام ٣١٢ .

ومنه : الكذب مفسدة محرمة ومتى تضمن جلب مصلحة تربو عليه جاز كالكذب للإصلاح بين الناس وعلى الزوجة لإصلاحها ، وهذا النوع راجع إلى ارتكاب أخف المفسدتين في الحقيقة .

ص : **(وأما ترك الواجب هل هو أشد)** . ش : قبحًا وإثمًا . ص : **(من فعل البدعة)** . ش : السيئة في الدين لفوات امتثال الأمر بالكلية في ترك الواجب وفواته من وجه في فعل البدعة . ص : **(أو)** . ش : القضية .

ص : **(على العكس)** . ش : من ذلك وهو أن فعل البدعة أشد من ترك الواجب لاعتقاد أنها طاعة ، بخلاف ترك الواجب فإنه معلوم عند تاركه بأنه معصية .

ص : **(ففيه)** . ش : أي في ترك الواجب المتردد بين الأمرين المذكورين . ص : **(اشتباه)** . ش : أي التباس عندنا لم يرتفع من ابتداء الأمر حتى يظهر وجه الصواب فيه ، وبيانه أن الفقهاء .

ص : **(حيث صرحوا فيمن يتردد في شيء)** . ش : مطلقًا . ص : **(بين كونه بدعة)** . ش : سيئة . ص : **(و)** . ش : كونه . ص : **(واجبًا)** . ش : ولم يدر ما حكم فعله بأن تعارض فيه ما يقتضي وجوبه وما يقتضي عدم مشروعيته أصلاً .

ص : **(أنه يفعله)** . ش : ترجيحًا لما يقتضي وجوبه احتياطًا في امتثال الأمر فقالوا : إذا ضاق الوقت عن الإتيان بالسنن في الصلاة يتركها ويأتي بالصلاة الواجبة عليه وإن لزمت البدعة من ترك السنن ، ولهذا قال في شرح (الدرر) : من أمن فوت الوقت يتطوع قبل الفرض إلا إذا ضاق الوقت ، وقال الوالد رحمه الله تعالى في «شرحه» : لأن صلاة التطوع عند ضيق الوقت حرام لتفويتها الفرض كما في «البحر» . اهـ وقال في (الأشباه والنظائر) : لو ضاق الوقت أو الماء عن سنن الطهارة حرم فعلها وذكر في "تنوير الأبصار" ما لو نذر ركعتين بغير طهارة أنهما يلزمانه بالطهارة عند أبي حنيفة رضي الله عنه وهو ترجيح لجانب فعل الواجب على ترك المنهي عنه وفي «الأشباه والنظائر» مسألة ما لو استشهد الجنب فإنه يغسل عند أبي حنيفة رضي الله عنه مع أن تغسيل الشهيد بدعة ترجيحًا لوجوب غسل الجنابة وهناك فروع كثيرة يعرفها من تتبعها في مواضعها .

ص : **(وفي)** . ش : كتاب . ص : **(الخلاصة)** . ش : في فقه الحنفية .

ص : (مسألة تدل على خلافه) . ش : أي خلاف ما ذكر من أن فعل الواجب مقدم على ترك البدعة فمقتضاها أن ترك البدعة مقدم على فعل الواجب .

ص : (حيث قال) . ش : في الكتاب المذكور في مسائل الشك في الصلاة .

ص : (إذا شك) . ش : المصلي . ص : (في صلاته) . ش : المفروضة عليه .

ص : (أنه) . ش : أي الشأن . ص : (هل صلاها أم لا) . ش : ولم يغلب على ظنه شيء منهما . ص : (إن كان) . ش : ذلك وقع منه . ص : (في الوقت فعليه) . ش : أي يلزمه . ص : (أن يعيدها) . ش : ليخرج من عهدتها بيقين كما وجبت عليه بيقين . ص : (وإن خرج الوقت ثم شك) . ش : هل أداها فيه أم لا . ص : (لا شيء فيه) . ش : أي في الشك المذكور والأصل براءة ذمته من بقائها عليه قال في (الأشباه والنظائر) : في قاعدة الأصل براءة الذمة : ولذا لم يقبل في شغلها شاهد واحد ولذا كان القول قول المدعى عليه لموافقته الأصل والبينة على المدعى لدعواه ما خالف الأصل فإذا اختلفا في قيمة المتلف والمغصوب فالقول قول الغارم ؛ لأن الأصل البراءة عما زاد ، ولو أقر بشيء أو حق قبل تفسيره بماله قيمة ، والقول للمقر مع حينه ، ومن شك هل فعل شيئًا أو لا فالأصل أنه لم يفعل ويدخل فيها قاعدة أخرى : من تيقن الفعل وشك في القليل والكثير حمل على القليل ؛ لأنه المتيقن إلا أن تشتغل الذمة بالأصل فلا تبرأ إلا باليقين وهذا الاستثناء راجع إلى قاعدة ثالثة وهي ما ثبت بيقين لا يرتفع إلا بيقين والمراد به غالب الظن . ولذا قال في (الملتقط) : ولو لم يفته من الصلاة شيء وأحب أن يقضي عمره منذ أدرك لا يستحب ذلك إلا إذا كان أكبر ظنه فسادها بسبب الطهارة أو ترك شرط فحينئذ يقتضي ما غلب على ظنه وما زاد عليه يكره لورود النهي عنه شك في صلاة هل صلاها أعاد في الوقت ، شك في ركوع أو سجود وهو فيها أعاد وإن كان بعدها فلا ، وإن شك أنه كم صلى فإن كان أول مرة استأنف ، وإن كثر تحرى وإلا أخذ بالأقل ، وهذا إذا شك فيها قبل الفراغ فإن كان بعده فلا شيء عليه إلا إذا تذكر بعد الفراغ أنه ترك فرضًا وشك في تعيينه قالوا يسجد سجدة واحدة ثم يقعد ثم يقوم فيصلي ركعة بسجدتين ثم يقعد ثم يسجد للسهو ، كذا في (فتح القدير) . ولو أخبره عدل بعد الصلاة والسلام أنك صليت الظهر ثلاثًا وشك في صدقه وكذبه فإنه يعيد احتياطيا ؛ لأن الشك في

صدقه شك في الصلاة ، ولو وقع الاختلاف بين الإمام والقوم فإن كان الإمام على يقين لا يعيد ، وإلا أعاد بقولهم .

وقال والدي رحمه الله تعالى نقلاً عن "الخلاصة" : لو أخبره رجل عدل بعد السلام إنك صليت الظهر ثلاث ركعات قالوا إن كان عند المصلى أنه صلى أربع ركعات لا يلتفت إلى قول المخبر وإن شك المصلى في الخبر أنه صادق أم كاذب عن محمد أنه يعيد صلاته احتياطًا ، وإن شك في قول عدلين يعيد صلاته ، وإن لم يكن المخبر عدلاً لا يقبل قوله ، وكذا لو وقع الاختلاف بين الإمام والقوم : إن كان الإمام على يقين لا يعيد وإلا أعاد بقولهم ، ولو اختلف القوم فقال بعضهم : صلى ثلاثًا وقال بعضهم : صلى أربعًا والإمام مع أحد الفريقين يؤخذ بقول الإمام ، وإن كان معه واحد فإن أعاد الإمام الصلاة وأعاد القوم معه مقتدين به صح اقتداؤهم ؛ لأنه إن كان صادقًا يكون هذا اقتداء المتنفل بالمتنفل ، وإن كان كاذبًا يكون اقتداء المفترض بالمفترض ، ولو استيقن واحد من القوم أنه صلى ثلاثًا وواحد أنه صلى أربعًا والإمام والقوم في شك ليس على الإمام والقوم شيء وعلى المستيقن بالنقصان الإعادة ، ولو أن الإمام استيقن أنه صلى ثلاثًا كان عليه أن يعيد بالقوم ولا إعادة على الذي يتيقن بالتمام ، ولو استيقن واحد من القوم بالنقصان وشك الإمام والقوم فإن كان ذلك في الوقت أعادوها احتياطًا وإن لم يعيدوا لا شيء عليهم إلاّ إذا استيقن عدلان بالنقصان وأخبرا بذلك .

وقيد في (الظهيرية) الإعادة بقول العدل بأن كان في الوقت ، والمسألة في (المحيط) مذكورة بنحو ما في (الخلاصة) ، وفي (الظهيرية) قال محمد بن الحسن : أما أنا فأعيد بقول عدل واحد بكل حال . ثم في (واقعات الناطفي) : إمام صلى بقوم وذهب فقال بعضهم : هي الظهر ، وقال بعضهم : هي العصر فإن كان في وقت الظهر فهي الظهر وإن كان في وقت العصر فهي العصر ؛ لأن الظاهر شاهد لمن يدعي ما يوافقه الوقت فإن كان مشكلاً قال في (العتابية) [1] : بأن كان غيمًا قال في (المحيط) جاز للفريقين ما يزعم في القياس بمنزلة قطرة الدم وقعت من خلف الإمام ولا يدري

---

(١) (العتابية) منسوبة إلى مصنفها الفقيه الأندلسي محمد بن أحمد بن عبد العزيز العتبي القرطبي المتوفى سنة ٢٥٤ وهي مسائل في مذهب الإمام مالك [كشف الظنون (١١٢٤/٢)] .

ممن هي لأن الشك في وجوب الإعادة والإعادة لا تجب بالشك . ا هـ . وتمام هذه الفروع في المطولات . ص : (ولو كان الشك) . ش : من المصلى .

ص : (في صلاة العصر) . ش : حيث يكره النفل بعدها فإنه يحترز أن تقع إعادته نفلاً صحيحًا تباعدًا من الكراهية بأن .

ص : (يقرأ في الركعة الأولى) . ش : من هذه الأربع المعادة فاتحة وسورة أو آية طويلة أو ثلاث آيات قصار . ص : (و) . ش : كذلك يقرأ في الركعة . ص : (الثالثة ولا يقرأ) . ش : شيئًا أصلاً . ص : (في) . ش : الركعة .

ص : (الثانية و) . ش : لا في الركعة . ص : (الرابعة) . ش : كيلا يصح النفل بعد العصر على احتمال صحة صلاة العصر فإن القراءة فرض في جميع ركعات النفل متى تركها في ركعة بطل ذلك الشفع منه وفي ركعتين غير معينتين من الفرض فقط ، وعلى احتمال عدم صحة صلاة العصر تقع هذه الأربع ركعات فرض صلاة العصر . ص : (انتهى) . ش : يعني فرغ كلام «الخلاصة» .

ثم قال المصنف رحمه الله تعالى : - . ص : (وتعيين) . ش : الركعتين .

ص : (الأوليين للقراءة في) . ش : صلاة . ص : (الفرض واجب) . ش : يعني دون الفرض فتركه سهوًا يوجب سجود السهو ، وعمدًا يقتضي نقصان الصلاة لا بطلانها فتجب إعادتها في الوقت ويستحب إعادتها إذا خرج الوقت كما هو مقرر في موضعه من كتب الفقه . ص : (وقد أمر) . ش : أي أمره الشارع على مقتضى اجتهاد المجتهد القائل بذلك . ص : (بتركه) . ش : أي بترك ذلك الواجب . ص : (حذرًا) . ش : أي لأجل الحذر والاحتراز .

ص : (عن احتمال وقوع النفل) . ش : من الصلاة . ص : (بعد) . ش : أداء صلاة . ص : (العصر) . ش : على تقدير كونه صلى العصر وأما على تقدير كونه ما صلى العصر يقع النفل قبل أداء صلاة العصر وهو جائز ولهذا يستحب تأخير صلاة العصر ما لم تصفر الشمس تكثيرًا للنوافل . ص : (وهو) . ش : أي وقوع النفل بعد العصر . ص : (بدعة مكروهة) . ش :لحديث الصحيحين «لا صلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس ولا صلاة بعد الفجر حتى تطلع الشمس» [1] وهذه

---

(١) أخرجه البخاري ٩ - كتاب : مواقيت الصلاة ٣١ - باب : لا يتحرى الصلاة قبل ....=

الكراهة باقية إلى أداء صلاة المغرب فدخل في النفل المكروه في هذين الوقتين الصلاة المنذورة وركعتا الطواف وما بدأ به فأفسده ، لا قضاء فائتة ولو وترًا وصلاة جنازة وسجدة تلاوة وفي (شرح الدرر) في مسألة : ما لو أتى بالعقود الأخير ثم قام فلم يتذكر حتى سجد في الخامسة ضم إليها سادسة وقد تم فرضه ، قال : ولو عصرًا إشارة إلى ضعف ما قيل لا يضم في العصر لكراهية النفل بعدها ، وقيل : يضم ؛ لأن هذا ليس بمقصود ، والنهي عن النفل بعد العصر يتناول المقصود فلا يكره بدونه وهو الأصح . كذا قال الزيلعي . وفي (غرر الأذكار) [1] : والأصح أنه إذا أتى بالفجر والعصر بعد القعود الأخير بركعة ساهيا يضم إليها ركعة أخرى ؛ لأن المنهي بعدهما هو التنفل قصدًا . وفي (شرح ابن ملك) قالوا : إذا صلى في الفجر والعصر بعد القعدة الأخيرة ركعة ساهيًا لا يضم إليها أخرى لكراهة النفل بعدها ، والأصح أنه يضم إليها ؛ لأن المنهي عنه هو النفل المقصود ، وهذا لم يشرع فيه بالقصد ا هـ .

وهو يقتضي أنه لاوجه إلى ما سبق ذكره في مسألة «الخلاصة» من ترك القراءة في صلاة العصر في الثانية ، والرابعة إذا شك في أدائها حذرًا من كراهة النفل بعد العصر حيث كان الأصح أنه لا يكره إلا إذا كان مقصودًا ، أو هنا في مسألة الشك غير مقصود فلا يكره ، ولكن لم يذكر المصنف رحمه الله تعالى هذه المسألة لخصوص بيان الحكم فيها بل لترجيحهم فيها ترك واجب القراءة حذرًا من الوقوع في بدعة التنفل بعد

= غروب الشمس ، ومسلم (٥٦٧/١) ٦ - كتاب : صلاة المسافرين وقصرها ٥١ - باب : الأوقات التي نهى عن الصلاة بعد العصر ، أحمد بن حنبل في المسند (٦٤/٣) ، عبد الرزاق في مصنفه (٤٢٧/٢) كتاب الصلاة باب : الساعة التي يكره فيها الصلاة رقم (٣٩٥٨) ، محمد بن الحسن الشيباني في [الآثار رقم (٩٩)] ، ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٤٨/٢) كتاب : الصلوات باب : من قال لا صلاة بعد الفجر ، تحفة الأشراف (٤٢٧٩) .

(١) غرر الأذكار للشيخ شمس الدين محمد بن محمد بن محمود البخاري . وأوله : الحمد لله الذي زين وشاح دين الإسلام بدرر الفروع وغرر الأحكام ......إلخ وهو شرح لكتاب (درر البحار في الفروع) للشيخ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن يوسف بن إلياس القونوي الدمشقي الحنفي المتوفى سنة (٧٨٨) وهو متن مشهور مختصر أوله الحمد لله الذي فقه قلوب المرسمين ....إلخ ذكر فيه أنه جمع بين مجمع البحرين وبين مذهب أحمد بن حنبل والشافعي ومالك ، وفرغ منه في أواخر جمادى الأولى سنة ٧٤٦ وقيل سنة ٧٤٩ وكان مدة تأليفه في شهر ونصف تقريبًا وله عدة شروح انظرها في [كشف الظنون (٧٤٦/١)] .

صلاة العصر حيث عارض هذا القول منهم لقولهم بترجيح فعل الواجب على ترك البدعة المكروهة إذا وقع التردد بينهما .

وقد أجاب عنه بقوله : ص : (فالتطبيق) . ش : أي المطابقة بين قول الفقهاء بترجيح فعل الواجب على ترك البدعة المكروهة وبين عبارة «الخلاصة» المقتضية ترجيح ترك البدعة المكروهة على فعل الواجب . ص : (**إما بحمل البدعة**) . ش : المكروهة في كلام الفقهاء حيث حكموا بترجيح فعل الواجب على تركها كما مر . ص : (**على ما**) . ش : أي فعل بدعة مكروهة . ص : (**لم ينه**) . ش : أي لم يرد عن النبي ﷺ أنه نهى . ص : (**عنه**) . ش : أي عن فعل تلك البدعة المكروهة .

ص : (**بخصوصه**) . ش : أي خصوص فعل ذلك بل كان داخلاً في عموم النهي ، ومسألة «الخلاصة» لا ترد حينئذ ؛ لأن البدعة فيها ورد النهي عنها بخصوصه وهو ما سبق من حديث الصحيحين . ص : (**أو بحمل الواجب**) . ش : الواقع في قول الفقهاء بترجيح فعله على ترك البدعة . ص : (**على معنى الفرض**) . ش : الاعتقادي أو العملي وهو مرجح على ترك البدعة المكروهة ولهذا قالوا : لم يكره قضاء الفوائت بعد العصر والفجر ؛ لأنها فرائض .

ص : (**أو**) . ش : بحمل . ص : (**الواجب**) . ش : في قولهم على الواجب الذي هو دون الفرض .

ص : (**المستقل**) . ش : كالوتر في رواية وصلاة العيدين . ص : (**لا**) . ش : الواجب . ص : (**الضمني**) . ش : الذي يكون في ضمن غيره كتعيين القراءة في الأوليين من الفرض إذ التابع لغيره أسهل من المستقل في نفسه حيث يجبر الأول بسجود السهو دون الثاني . ص : (**أو بالحمل على**) . ش : ورود .

ص : (**الروايتين**) . ش : عن المجتهد في مسألة «الخلاصة» ، والأصح منها ما ذكرناه مما يقتضي عدم كراهتها ؛ لأن النفل فيها بعد صلاة العصر غير مقصود فلا كراهة فيه .

ص : (**والله تعالى أعلم**) . ش : بما هو الحق والصواب في ذلك والمشاركة في العلم بيننا وبينه المستفادة من أفعل التفضيل باعتبار أن علمنا أثر صادر عنه سبحانه فهو من علمه كنسبة لا شيء إلى شيء لا يتناهى قال تعالى : ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى

غَيْبِهِ أَحَدًا ، إلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِـنْ رَسُولٍ﴾ الآية . ومقتضاها أنه يطلع من ارتضى من رسول ، والرسول يطلع أمته فيكون علم الأمة من علم الله تعالى ، فقد وجد أفعل التفضيل بالمشاركة والزيادة واستعمله بعضهم بالألف واللام ولا يفيد غير حصر الأعلمية فيه سبحانه ومعنى المشاركة باق .

ص : (فإن قيل) . ش : أي قال قائل . ص : (ما سبق) . ش : أي في فصل الاعتصام بالكتاب والسنة وفي أوائل هذا الفصل . ص : (قد دل) . ش : مجموع ذلك كله جملة وتفصيلاً . ص : (على أن الكتاب) . ش : العزيز القرآني .

ص : (والسنة) . ش : النبوية المحمدية . ص : (كافيان) . ش : لكل مكلف . ص : (في أمر الدين) . ش : الحق لا يحتاج من يريد القيام به في الظاهر والباطن إلى متابعة غيرهما والاستيضاء بغير أنوارهما . ص : (و) . ش : دل ذلك أيضًا على . ص : (أن ما) . ش : أي الذي أو أمر .

ص : (لم يثبت بأحدهما) . ش : أي الكتاب والسنة فهو .

ص : (بدعة) . ش : مكروهة . ص : (وضلالة فكيف يستقيم) . ش : مع هذا . ص : (قول الفقهاء) . ش : في أصول الفقه . ص : (الأدلة الشرعية أربعة) . ش : قال الإمام النسفي في «المنار» : أصول الشرع ثلاثة الكتاب والسنة وإجماع الأمة ، والأصل الرابع القياس ، وزاد في «أصول» فخر الإسلام : والأصل الرابع : القياس المستنبط من هذه الأصول ، وفي (شرح مرقاة الوصول) : الأدلة أربعة وهي : الكتاب ، والسنة ، والإجماع ، والقياس ، وجه الضبط : أن الدليل إما وحي أو غيره والوحي إما متلو ، فالكتاب أو لا فالسنة ، وغير الوحي إن كان قول كل مجتهد في عصر فالإجماع وإلا فالقياس .

ص : (قلنا) . ش : في الجواب عن ذلك ، نعم : أدلة الشرع أربعة ولكنها ترجع إلى اثنين الكتاب والسنة إذ .

ص : (لابد للإجماع من سند) . ش : أي دليل يستند قول أهل الإجماع إليه . قال في (شرح مرقاة الوصول) : ولابد له أي للإجماع من سند أي دليل أو أمارة يستند الإجماع إليه ، لاستحالة الاتفاق بلا داع عادة ، ولأن الحكم الذي ينعقد به الإجماع إن لم يكن عن دليل سمعي كان عن عقلي ، وقد ثبت أن لا حكم له عندنا

وفي «شرح المنار» لابن ملك : وقيل ينعقد الإجماع لا عن دليل ، بل بإلهام وتوفيق بأن يخلق الله تعالى فيهم علمًا ضروريًا ويوفقهم لاختيار الصواب ، كبيع التعاطي وأجرة الحمام . ولكن نقول : ذلك فاسد ؛ لأن العدول لا يتصور منهم الإجماع على حكم من أحكام الله تعالى جزافًا بل بناء على حديث أو معنى من النصوص رواه مؤثر وما ذكره من بيع التعاطي وأجرة الحمام فالإجماع فيهما واقع عن دليل ، إلا أنه لم ينقل إلينا اكتفاء بالإجماع . كذا في (جامع الأسرار) .

وقال التفتازاني في (التلويح) : والجمهور على أنه لا يجوز الإجماع إلا عن سند وأمارة ؛ لأن عدم السند يستلزم الخطأ إذ الحكم في الدين بلا دليل خطأ . ويمتنع إجماع الأمة على الخطأ وأيضًا اتفاق الكل من غير داع مستحيل عادة كالاجتماع على أكل طعام واحد . وفائدة الإجماع بعد وجود السند سقوط البحث ، وحرمة المخالفة وصيرورة الحكم قطعيًا .

ثم اختلفوا في السند : فذهب الجمهور إلى أنه يجوز أن يكون قياسًا وأنه واقع كالإجماع على خلافة أبي بكر رضي الله عنه قياسًا على إمامته في الصلاة حتى قيل : رضيه رسول الله ﷺ لأمر ديننا أفلا نرضاه لأمر دنيانا . وذهب الشيعة وداود الظاهري ومحمد بن جرير الطبري إلى المنع من ذلك . وأما جواز كون السند خبرًا واحدًا فمتفق عليه ، كذا في عامة الكتب ، وقد وقع في "الميزان" «وأصول» الإمام السرخسي أن المذكورين خالفوا في الظن قياسًا كان أو خبرًا واحدًا ، ولم يجوزوا الإجماع إلا عن قطعي ؛ لأنه قطعي فلا يبنى إلا على قطعي ؛ لأن الظن لا يفيد القطع ، وجوابه : أن كون الإجماع حجة ليس مبنيًا على دليله أي سنده بل هو حجة لذاته كرامة لهذه الأمة واستدامة لإحكام الشرع .

والدليل على بطلان مذهبهم : أنه لو اشترط كون السند قطعيًا لوقوع الإجماع لغوًا ضرورة ثبوت الحكم قطعيًا بالدليل القطعي . ص : **(من أحدهما)** . ش : أي من الكتاب أوالسنة . ص : **(حالا)** . ش : بأن كان صريح آية أو حديث ولو خبر واحد . ص : **(أو مآلا)** . ش : أي مرجعًا يرجع إلى كتاب أو سنة وهو القياس كما قدمناه . ص : **(على)** . ش : القول . ص : **(الصحيح)** . ش : إذ في اشتراط السند للإجماع خلاف ذكرناه وكذا في كون القياس وخبر الواحد سندًا

للخلاف الذي مر .

ص : (و) . ش : لابد . ص : (للقياس) . ش : أيضًا . ص : (من أصل ثابت بأحدهما) . ش : أي بالكتاب أو السنة .

ص : (فإنه) . ش : أي القياس . ص : (مظهر) . ش : للحكم الثابت به .

ص : (لا مثبت) . ش : له قال في "شرح مرقاة الوصول" : القياس مظهر لا مثبت ، والمثبت ظاهرًا دليل الأصل وحقيقة هو الله تعالى ، ثم قال في شروط القياس : وأن يكون المعدي حكمًا شرعيًا ثابتًا بأحد الأدلة الثلاثة الكتاب والسنة والإجماع إذ لو كان حسّيًا أو لغويًا لم يجز ؛ لأن المطلوب إثبات حكم شرعي للمساواة في علته ولا يتصور إلا بذلك ، وكتب التفتازاني في (التلويح) على القول بأن مثبت الحكم هو الله تعالى أنه غير واف بالمقصود ؛ لأنه ينبغي على هذا التقدير أن لا يجعل شيئًا من الأدلة مثبتًا للحكم بل لا يجعل مظهرًا على ما ذهب إليه المحققون من أن مرجع الكل إلى الكلام النفسي ، والأوجه أن حكم الفرع يثبت بالنص أو الإجماع الوارد في الأصل والقياس بيان لعموم الحكم في الفرع وعدم اختصاصه بالأصل ، وهذا واضح .

وفي (شرح المنار) لابن ملك : قدم الكتاب لأنه حجة من كل وجه وأعقبه بالسنة لأن حجيتها ثابتة بالكتاب وأخر الإجماع لتوقف حجيته عليهما ثم قال : والقياس أصل بالنسبة إلى حكمه فرع بالنسبة إلى الثلاثة ، انتهى .

وكون حجية السنة موقوفة على الكتاب لقوله تعالى : ﴿وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ وتوقف الإجماع عليهما بسبب اشتراط السند له وهو من أحدهما حالاً أو مآلاً كما مر ، فالكتاب أصل من وجه والسنة والإجماع والقياس أصول من وجه وفروع من وجه .

ص : (فمرجع) . ش : أي موضع رجوع . ص : (الأحكام) . ش : الشرعية كلها . ص : (ومثبتها) . ش : أي الحاكم بإثباتها وتحققها . ص : (اثنان) . ش : فقط . ص : (في الحقيقة) . ش : وهما الكتاب والسنة والأدلة الباقية راجعة إليهما كما مر ، قال في (شرح مرقاة الوصول) : وأما شرائع من قبلنا فملحقة بالكتاب والسنة والعرف ، والتعامل ملحق بالإجماع والاستصحاب والتحري عمل بأحد الأربعة ، والعمل بالظاهر والأظهر عمل بالاستصحاب والأخذ بالاحتياط عمل بقوله عليه

السلام : «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك» [(١)] . والقرعة لتطييب القلب بالسنة أو الإجماع وآثار الصحابة وكبار التابعين بشبهة الحديث أو بقوله عليه السلام : «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» [(٢)] وقوله عليه السلام : «خير القرون قرني الذين أنا فيهم ثم الذين يلونهم» الحديث [(٣)] .

وفي شرح ابن ملك على (المنار) : فإن قلت : قد ثبت الحكم بشرائع من قبلنا وبتعامل الناس بالأخذ بالاحتياط وبالتحري وبآثار الصحابة فكيف حصرت الأصول في الأربعة ؟ قلنا : هذه الأحكام غير خارجة عنها .

أما شرائع من قبلنا فقد صارت شريعة لنا ؛ لأن نبينا ﷺ قد قصها علينا ولم ينكرها والتعامل ملحق بالإجماع العملي والأخذ بالاحتياط عمل بأقوى الدلائل ، كما في الأصول الثلاثة ، والعمل بالتحري عمل بالسنة ؛ لأنها وردت في جوازه عند الحاجة والعمل بالآثار عمل بقوله ﷺ : «أصحابي كالنجوم» ، انتهى .

والحاصل أن كُلَّ ما ذكر راجع إلى الأصول الأربعة والأصول الأربعة راجعة إلى الكتاب والسنة والسنة شرح الكتاب وبيانه فهي راجعة إليه . قال البيهقي في أول (المدخل) : ووضع - يعني : الله تعالى - رسوله ﷺ في دينه موضع الإبانة عنه ما أراد بكتابه عامًّا وخاصًّا وفرضًا وندبًا وإباحة وإرشادًا ووقتًا وعددًا ، فقال جل ثناؤه : ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [(٤)] انتهى . فالأصل الحقيقي هو كتاب الله تعالى لا غير . ص : (فظهر) ش : لك أيها المنصف في الدين السالك طريق المتقين . ص : (من هذا) . ش : الكلام وكله الذي تقدم في بيان الاعتصام بالكتاب والسنة والاحتراز من البدعة وأن أصول الشريعة أربعة ترجع إلى اثنين هما الكتاب والسنة . ص : (أن ما) . ش : أي القول الذي . ص :

---

(١) أخرجه الترمذي : (٥/٥٧٦،٥٧٧) ٣٨ - كتاب صفة القيامة والرقائق والورع باب : (٦٠) رقم (٢٥١٨) عن الحسن بن على بن أبي طالب . وقال : هذا حديث حسن صحيح ، النسائي كتاب : الأشربة باب (٤٨) ، أحمد في المسند (١/١١٢،١٥٣،٢٠٠) .

(٢) عزاه العجلوني في كشف الخفاء (١/١٤٧) رقم (٣٨١) للبيهقي .

(٣) أخرجه الترمذي (٤/٤٧٥،٤٧٦) ٣٦ - كتاب الشهادات باب : (٤) رقم (٢٣٠٢) عن عمران ابن حصين قال أبو عيسى : هذا حديث غريب من حديث الأعمش عن على بن مدرك .

(٤) [سورة النحل الآية ٤٤] .

(يدعيه بعض المتصوفة) ـ ش : أي المتنسبين إلى التصوف وليسوا من أهله حيث لم يقل بعض الصوفية تطهيرا للسادة الصوفية خلاصة أهل السنة والجماعة أن ينسب إليهم مثل هذه المقالات الشنيعة . ص : (في زماننا) . ش : هذا الذي نحن فيه وهو عصر التسعمائة وذكر أمور الزمان وذم وقائعه شيء مشى عليه السلف والخلف من غير تعيين أحد بذم ولا تخصيص شخص بنقيصة لقصد تحذير الغير ونصيحته قال الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي قدس الله سره في كتابه (روح القدس) : لما قرأت بالحرم الشريف على الناس ما ذكرت في حق المنتسبين إلى الصوفية وذمي أحوالهم ثقل ذلك على شخص فقال ما دعاه إلى هذا والإعراض عن هذا كان أحسن وما أشبه هذا الكلام فزاد عندي اعتراضه تقوية أن هذا هو الحق لكونه ثقل عليه .

ولقد عمي هذا القائل عن الأصول التي استندت إليها في فعلي هذا وهو يسلمها وقد قرعت سمعه غير مرة ولم يعتب عليهم ، بل استحسن ذلك ، فلما وقع ذلك في أهل زمانه رأى أن ذلك فضول لكونه في ذلك الزمان فيخاف أن يتطرق إليه الذم في نفسه لحزن ، ولو أنصف لبحث عن نفسه .

أما الأصول التي استند إليها في ذلك فكثيرة جدًّا . وروينا عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال يوم فتح مكة في القرن الفاضل لما فقد عقدًا من عنق بعض أهله تأوه وقال : ارتفعت اليوم الأمانة من الناس ، وحكم بتلك النازلة الواحدة على الزمان . ذكره في (السير) في غزوة فتح مكة .

والأصل الآخر بنته رضي الله عنها لما نظرت إلى زمانها وأهله وما هم فيه من البخل والمذام تأوهت وقالت : يرحم الله لبيدًا حيث يقول :

ذهب الذين يعاش في أكنافهم * وبقيت في خلف كجلد الأجرب *

ثم قالت : كيف به لو أدرك زماننا هذا ، فذمت زمانها وأهله ، وروينا عن غير واحد عن ابن القشيري وعن الغانمي كلاهما عن القشيري أنه قال في (رسالته) يذم أهل زمانه وقد سمعها هذا المعترض عليّ واستحسن ذلك منه أنه قال : لم يبق في زماننا من أهل هذه الطريقة إلاَّ آثارهم ، أما الخيام فإنها كخيامهم ، وأرى نساء الحي غير نسائهم حصلت الفترة في الطريقة ، لا بل قد اندرست الطريقة بالحقيقة ، وذمهم بأشد الذم في أول الرسالة له ولتداولها بين أيدي الناس أضربنا عن حكاية قوله . وروينا عن

غير واحد من حديث عبد الرحمن بن الحسين عن هارون عن أبي معونة عن الأعمش عن أبي صالح قال : لما قدم أهل اليمن زمان أبي بكر وسمعوا القرآن جعلوا يبكون ، فقال أبو بكر : هكذا كنا ثم قست القلوب ، وتقريع النبي ﷺ المعذبين بمكة على إسلامهم ومنهم خباب وقاسى بلاء شديدًا من أجل إسلامه ، قال خباب : شكونا إلى النبي ﷺ ما نلقاه من البلاء وقلنا ألا تدعو الله ألا تستنصر الله لنا فجلس محمرًّا وجهه ثم قال : «والله إن من كان قبلكم ليؤخذ الرجل فيشق باثنين ما يصرفه عن دينه شيء أو يمشط بأمشاط الحديد ما بين عصب ولحم ما يصرفه عن دينه شيء»[(١)] ، اهـ . ثم بسط الكلام بأكثر من ذلك ، ولا زال كل زمان يشتمل على ما يذم وما يمدح في طبقات جميع الناس والخير والشر باق إلى يوم القيامة ومن ذم نوعًا من أنواع الناس مراده أهل الشر منهم ، وهم موجودون ، وكذلك من مدح نوعًا مراده أهل الخير من ذلك النوع وهم موجودون أيضًا وإن زاد كل فريق على ما يقابله أو نقص في كل زمان فالفريقان لا يزولان ألبتة ولا يجوز تعميم الذم في زمان من الأزمان لجميع أهل ذلك الزمان ؛ لما روى مسلم بإسناده في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال : «إذا قال الرجل هلك الناس فهو أهلكهم»[(٢)] قال النووي رحمه الله تعالى في شرحه : روى (أهلكهم) على وجهين مشهورين رفع الكاف وفتحها والرفع أشهر ومعناه : أشدهم هلاكًا ، وأما رواية «الفتح» فمعناها : هو جعلهم هالكين لا أنهم هلكوا في الحقيقة .

واتفق العلماء على أن الذم هذا إنما هو فيمن قاله على سبيل الإزراء على الناس واحتقارهم وتفضيل نفسه عليهم وتقبيح أحوالهم ؛ لأنه لا يعلم أسرار الله تعالى في خلقه . قالوا : فأما من قال ذلك تحزنًا لما يرى في نفسه وفي الناس من التقصير في أمر الدين فلا بأس عليه كما لا أعرف من أمة النبي ﷺ إلا أنهم يصلون جميعًا هكذا فسره الإمام مالك وتابعه الناس عليه . قال الخطابي : معناه : لا يزال الرجل يعيب الناس ويذكر مساويهم ويقول فسد الناس وهلكوا أو نحو ذلك فإذا فعل ذلك فهو أهلكهم أي أسوأ حالاً منهم لما يلحقه من الإثم في غيبتهم والوقيعة فيهم وربما أداه ذلك

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٥/٥٧ ط الشعب) ، أبو نعيم في الحلية (١/١٤٤) ، البيهقي (٩/٥) ، (١٠/٢٠٢) .

(٢) أخرجه مسلم (٤/٢٠٢٤) ٤٥ - كتاب : البر والصلة والآداب ٤١ - باب : النهي من قول : هلك الناس رقم ١٣٩ - (٢٦٢٣) .

إلى العجب بنفسه ورؤيته أنه خير منهم . ص : **(إذا أنكر)** . ش : بالبناء للمفعول أي أنكر . ص : **(عليهم)** . ش : أحد من الناس . ص : **(بعض أمورهم)** . ش التي هم موصوفون بها في ظواهرهم أو بواطنهم إذا أظهروها . ص : **(المخالفة)** . ش ذلك البعض من أمورهم . ص : **(للشرع الشريف)** . ش : والمراد لما هو المجمع عليه بين المجتهدين كالزنا وشرب الخمر والسرقة وترك الصلاة وما أشبه ذلك . وأما ما لم يكن كذلك فليس بمنكر ، قال الإمام الغزالي في «الإحياء» في **شروط المنكر** : أن يكون كونه منكرًا معلومًا بغير اجتهاد فكل ما هو في محل الاجتهاد فلا حسبة فيه فليس للحنفي أن ينكر على الشافعي أكله الضب والضبع ومتروك التسمية ولا للشافعي أن ينكر على الحنفي شربه للنبيذ الذي ليس بمسكر إلى آخر ما بسطه من الكلام في هذا المقام وقال الشيخ اللقاني في (شرح جوهرة التوحيد) : قال الكافة : للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثلاثة شروط ، **الشرط الأول** : أن يعلم ما يأمر به وينهى عنه فالجاهل بالحكم لا يحل له النهي عما يراه ولا الأمر به ، قال السعد : قال إمام الحرمين إن الحكم الشرعي إذا استوى في إدراكه الخاص والعام ففيه للعالم وغير العالم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإذا اختص مدركه بالاجتهاد فليس للعوام فيه أمر ولا نهي بل الأمر فيه موكول إلى أهل الاجتهاد ثم ليس لمجتهد أن يعترض بالردع والزجر على مجتهد آخر في موضع الاجتهاد إذ كل مجتهد مصيب في الفروع عندنا ، ومن قال : إن المصيب واحد فهو غير متعين عنده . **الشرط الثاني** : أن يأمن من أن يؤدي إنكاره إلى منكر أكبر منه . **والثالث** : أن يغلب على ظنه إنكاره المنكر مزيل كما سيأتي .

ص : **(أن حرمة ذلك)** . ش : الأمر المنكر المذكور ثابتة . ص : **(في العلم الظاهر)** . ش : فقط هو حرام على أهل الظاهر وحدهم . ص : **(وأنا)** . ش : معشر المتصوفة . ص : **(أصحاب العلم الباطن)** . ش : وهو علم القلب ومعرفة أحواله وجريان الأمور على مقتضاه .

ص : **(وأنه)** . ش : أي ذلك الأمر المنكر . ص : **(حلال فيه)** . ش : أي في علم الباطن فهو حلال لنا وليس بحرام علينا ، وهذا كفر صريح من قائله والراضي به ؛ إذ فيه إنكار ما علم حكمه من الدين بالضرورة وأجمعت عليه المجتهدون . قال في (شرح الدرر) : ومن اعتقد الحلال حرامًا أو بالعكس يكفر إذا كان حرامًا لعينه وإن كان حرامًا لغيره لا يكفر ، وإن اعتقده . وإنما يكفر إذا كانت حرمته ثابتة بدليل

قطعي ، وأما لو كان بأخبار الآحاد فلا يكفر . وقال في (جامع الفتاوى) : اتفق العلماء من المتكلمين والفقهاء أنه إذا أنكر الحكم الشرعي الثابت بالقرآن أو بالحديث المتواتر أو بالإجماع القطعي مثل الصلاة والصوم والزكاة والحج والغسل من الجنابة أو من الحيض أو الوضوء بعد الحدث يكفر ويقتل إن دام على ذلك ، ولا يقبل تأويله ولا يكون جهله عذرًا ؛ لأن فرض العين يكون شائعًا بين المسلمين فجهله لا يكون عذرًا إلا إذا دق بحيث لا يعلم إلا بنظر دقيق وتأمل صادق فجهله حينئذ يكون عذرًا وسيأتي بقية هذا .

ص : (وإنكم) . ش : معشر أهل العلم الظاهر .

ص : (تأخذون) . ش : جميع أحكامكم العملية والاعتقادية . ص : (من الكتاب) . ش : العزيز . ص : (وأنا) . ش : معشر أهل العلم الباطن .

ص : (نأخذ) . ش : جميع أحكامنا .

ص : (من صاحبه). ش : أي صاحب الكتاب الذي أنزله الله تعالى عليه .

ص : (محمد) . ش : بدل من صاحبه .

ص : (ﷺ فإذا أشكل علينا مسألة) . ش : في الاعتقاد أو في العمل . ص : (استفتيناها منه) . ش : أي طلبنا منه الفتيا فيها ، قال الجوهري : استفتيت الفقيه في مسألة فأفتاني والاسم الفتيا والفتوى وتفاتوا إلى الفقيه أي ارتفعوا إليه في الفتيا .

ص : (فإن حصل لنا) . ش : بفتوى رسول الله ﷺ .

ص : (قناعة) . ش : أي اكتفاء . ص : (فبها) . ش : أي فقد رضينا بها .

ص : (وإلا) . ش : أي وإن لم يحصل لنا قناعة بذلك .

ص : (رجعنا) . ش : في تلك المسألة .

ص : (إلى الله تعالى بالذات) . ش : تأكيد لاسم الجلالة والعوض عن المضاف إليه والباء زائدة يعني إلى الله تعالى ذاته دون غيره ؛ لأنا نعرفه تعالى فنعرف كيفية الرجوع إليه ؛ لأنه أقرب إلينا من حبل الوريد .

ص : (فنأخذ) . ش : حكم تلك المسألة التي أشكلت علينا .

ص : (منه) . ش : سبحانه بلا واسطة أحد ، وهذا القول كفر أيضًا لا محالة

بالإجماع من وجوه : الأول : التصريح بعدم الدخول تحت أحكام الكتاب والسنة مع وجود شروط التكليف بذلك من العقل والبلوغ ووصول الدعوة والكون في دار الإسلام ومنها التصريح بعدم قبول قول رسول الله ﷺ إذا أفتاه في حكم من الأحكام وأنه مخير فيه إن شاء رده ، ومنها دعوى تلقي الأحكام الشرعية من الله تعالى بلا واسطة نبي وذلك دعوى نبوة قال السعد التفتازاني في (شرح العقائد) عند قول النسفي : ولا يصل العبد ما دام عاقلاً بالغًا إلى حيث يسقط عنه الأمر والنهي لعموم الخطابات الواردة في التكاليف وإجماع المجتهدين على ذلك ، وذهب بعض الإباحيين إلى أن العبد إذا بلغ غاية المحبة وصفاء القلب واختار الإيمان على الكفر من غير نفاق سقط عنه الأمر والنهي ، ولا يدخله الله تعالى النار بارتكاب الكبائر وبعضهم إلى أنه تسقط عنه العبادات الظاهرة وتكون عبادته التفكر ، وهذا كفر وضلالة فإن أكمل الناس في المحبة والإيمان هم الأنبياء عليهم السلام خصوصًا حبيب الله تعالى مع أن التكاليف في حقهم أتم وأكمل . وأما قوله عليه السلام : «إذا أحب الله عبدًا لم يضره ذنب» [1] ، فمعناه : أنه عصمه من الذنوب فلم يلحقه ضررها ، اهـ . يعني : تتيسر التوبة له ظاهرًا وباطنًا في كل حال حتى يصير يستغفر الله ويتوب إليه من وجوده ومن هفوات خاطره فضلاً عن أفعاله الظاهرة بلا صعوبة عليه في ذلك ولا مشقة .

ص : **(وأنا)** . ش : معشر أهل العلم الباطن . ص : **(بالخلوة)** . ش : وهي الانفراد عن الخلق . ص : **(وهمة شيخنا)** . ش : وهو الذي عاهدوه على الدخول تحت أمره ونهيه يربيهم بأقواله وأفعاله على حسب حالته التي هو فيها ، وهمته خاطره المتوجه دائمًا من غير فتور إلى مراتب الكمال بمقتضى ما يظهره له على زعمه . ص : **(نصل إلى)** . ش : معرفة . ص : **(الله تعالى)** . ش : ونحظى بكمال قربه والفوز لديه . ص : **(فتنكشف لنا العلوم)** . ش : كلها فنأخذ منها ما نريد . ص : **(فلا نحتاج)** . ش : مع ذلك .

ص : **(إلى)** . ش : قراءة .

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٢٦١/١) للقشيري في الرسالة وابن النجار عن أنس سمعت رسول الله ﷺ يقول : «التائب من الذنب كن لا ذنب له...... الحديث .
وزاد فيه : ثم تلا : ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾ . قيل يا رسول الله وما علامة التوبة ؟ قال الندامة» .

ص : (الكتاب) . ش : أي القرآن أو كتاب العلم . ص : (ولا) . ش : نحتاج إلى. ص : (المطالعة). ش : في الكتب مطلقًا . ص : (و) . ش : لا إلى .
ص : (القراءة على الأستاذ) . ش : أي المعلم للقرآن وللعلم .

وهذا القول منهم كذب محض وافتراء على الله تعالى واجتراء عليه سبحانه حيث زعموا أنه يوصلهم إلى معرفته مع قولهم الأول الذي هو كفر صريح ، إن الله لا يهدي القوم الكافرين ، نعم الخلوة وهمة الشيخ الصادق العارف الكامل في مرتبتي العلم والعمل الجامع بين علمي الظاهر والباطن كافية للمريدين ومغنية لهم عن قراءة الكتاب والمطالعة والاشتغال في العلوم إذ همته وحدها وغيرته الإلهية لا تتركهم على جهل في حكم من الأحكام مطلقًا ، وحيث دخلوا تحت تربيته فهو كتاب لهم وزيادة ؛ لأن عنده جميع ما يحتاجون إليه مما في الكتاب ، وربما كانت قراءتهم ومطالعتهم ودراستهم على أستاذ غيره مانعة لهم من الدخول تحت أمره ونهيه فيما يعلمه من صلاح أحوالهم على مقتضى الشريعة المحمدية فهو ينهاهم عن طلب العلم ؛ لئلا تألف قلوبهم الإكثار من العلم مع ترك العمل به فيكون حجة عليهم ، ويعلمهم ما ينفعهم شيئًا فشيئًا ؛ لأنه أعرف بمصالحهم منهم . وأما إذا كان شيخهم قاصرًا جاهلاً لا يعلم حكم الله تعالى عليه ولا عليهم وقد أمرهم بذلك فهو ضال مضل . ص : (وإن الوصول إلى) . ش : معرفة .
ص : (الله تعالى) . ش : والتحقق بوجوده سبحانه . ص : (لا يكون) . ش أي لا يوجد في أحد . ص : (إلا برفض) . ش : أي ترك الالتفات إلى . ص : (العلم الظاهر) . ش : بالكلية وهو العلم المستفاد من معاني الكتاب والسنة فيما يتعلق بالاعتقاد وما يتعلق بالعمل . ص : (و) . ش : رفض أي ترك .

ص : (الشرع) . ش : وهو البيان الإلهي الوارد على ألسنة الوسائط من الملائكة والأنبياء عليهم السلام خطابًا لجميع المكلفين وهذا القائل إن أراد بترك العلم الظاهر وترك الشرع عدم تعلم ذلك وعدم الاعتناء به والالتفات إليه لأن العلم الظاهر والشرع لا حاجة إليه فقد سفه الخطاب الإلهي وسفه الأنبياء ونسب العبث والبطلان إلى إرسال الرسل وإنزال الكتب ، فلا شك في كفره أشد الكفر ، وإن أراد بترك العلم الظاهر وترك الشرع ترك الاشتغال بذلك عن شهود الله تعالى وحده ومراقبته سبحانه في جميع الأحوال فهو لعمري طريق الوصول إلى الله تعالى إن لم ينضم إليه ما تقدم من المقالات ؛ لأنه لا يصل إليه سبحانه من اشتغل عنه بسواه ، ولا شك أن العلم

الظاهر والشرع سواه تعالى ، فمن اشتغل بشيء من ذلك وظنه مقصودًا بالذات فقد انحجب عن الوصول إليه تعالى ، وغايته الوصول إلى الحرمان والغرور في جميع الأمور ، فإن من اشتغل بالطهارة ليلاً ونهارًا وانهمك فيها ظانًّا أنها مقصودة بالذات وأنه من طلب منه غيرها فقد انقلب فعلها عليه ضلالاً وخسرانًا ، كما نقل الشيخ تاج الدين بن عطاء الله الإسكندري رحمه الله تعالى في كتابه (لطائف المنن) عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي قدس الله سره أنه كان يقول : لن يصل الولي إلى الله حتى تنقطع عنه شهوة الوصول إلى الله ، وكان يقول : لن يصل الولي إلى الله ومعه شهوة من شهواته أو تدبير من تدبيراته أو اختيار من اختياراته.

قال : ومعنى كلام الشيخ رضي الله عنه لن يصل الولي إلى الله حتى تنقطع عنه شهوة الوصول إلى الله ، أي : انقطاع أدب لا انقطاع ملل يغلب عليه التفويض إلى الله وشهود حسن الاختيار منه فيلقي القياد إليه ويترك نفسه سلمًا بين يديه فلا يختار مع مولاه شيئًا لعلمه بما في الاختيار مع الله من الآفات .

ونقل عنه الشيخ أبي الحسن أيضًا أنه قال : كنت أنا وصاحب لي قد أوينا إلى مغارة نطلب الوصول إلى الله فكنا نقول : غدًا يفتح لنا ، بعد غد يفتح لنا فدخل علينا رجل له هيبة فقلنا له من أنت فقال عبد الملك فعلمنا أنه من أولياء الله فقلنا له كيف حالك ؟ فقال كيف حالك ؟ كيف حالك ؟ كيف حال من يقول غدًا يفتح لي بعد غد يفتح لي فلا ولاية ولا فلاح يا نفس لِمَ لم تعبدي الله لله قال فتفطنا من أين دخل علينا فتبنا واستغفرنا ففتح لنا .

ونقل عن الشيخ أبي الحسن أيضًا أنه قال : الورع نعم الطريق لمن عجل ميراثه وأحل ثوابه فقد انتهى به الورع إلى الأخذ من الله وعن الله والقول بالله والعمل لله وبالله على البينة الواضحة والبصيرة الفائقة فهم في عموم أوقاتهم وسائر أحوالهم لا يدبرون ولا يختارون ولا يريدون ولا يتفكرون ولا ينظرون ولا ينطقون ولا يبطشون ولا يمشون ولا يتحركون إلا بالله ولله من حيث يعلمون . هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فهم مجموعون في عين الجمع لا يتفرقون فيما هو أعلى ولا فيما هو أدنى وأما أدنى الأدنى فالله يورعهم عنه ثوابًا لورعهم مع الحفظ لمنازلات الشرع عليهم ومن لم يكن لعلمه وعمله ميراث فهو محجوب بدنيا أو مصروف بدعوى وميراثه التعزز لخلقه والاستكبار على مثله والدالة على الله بعلمه فهذا هو الخسران المبين والعياذ بالله العظيم من ذلك

والأكياس يتورعون عن هذا الورع ويستعيذون بالله منه ومن لم يزدد بعلمه وعمله افتقارًا لربه وتواضعًا لخلقه فهو هالك فسبحان من قطع كثيرًا من الصالحين بصلاحهم عن مصلحهم كما قطع كثيرًا من المفسدين بفسادهم عن موجدهم فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم .

ص : (وإنا لو كنا على الباطل) . ش : في اعتقاد أو عمل كما تزعمون أنتم .

ص : (لما حصل لنا) . ش : من الله تعالى . ص : (تلك الحالات) . ش : جمع حالة . ص : (السنية) . ش : أي المضيئة الرفيعة التي تقدم ذكرها وهي أن نأخذ من محمد ﷺ بلا واسطة فإذا أشكل علينا مسألة استفتيناه منه فإن حصل لنا قناعة بذلك وإلا رجعنا إلى الله تعالى بالذات فنأخذ منه سبحانه وإنا بالخلوة والشيخ نصل إلى الله تعالى فتنكشف لنا العلوم كلها فلا نحتاج إلى قراءة ولا مطالعة ولا أستاذ [١] . ص : (والكرامات) . ش : جمع كرامة هي ما يكرم الله تعالى به العبد في الدنيا من الأمور الخارقة للعادة من غير تحدٍ . ص : (العلية) . ش : أي المرتفعة عن قدرة الغير . ص : (من مشاهدة) . ش : بيان للكرامات . ص : (الأنوار) . ش : الملكوتية المتنزلة بالحضرات الرحمانية . ص : (ورؤية الأنبياء الكبار) . ش : بالبصائر والأبصار منامًا بالليل ويقظة بالنهار وقائل هذا الكلام مفترى على الله وعلى الأنبياء عليهم السلام وعلى نفسه إذ من كان قائلاً بهاتيك المقالات المتقدمة الباطلة فهو كافر بالله تعالى والكافر في الوساوس والأباطل فكيف يكرمه الله تعالى في الدنيا أو الآخرة كيف يهديه تعالى إلى شهود الأنوار ويتحفه سبحانه برؤية الأنبياء الأخيار إن الله لا يهدي القوم الكافرين وإنما يتركه يتخبط في بحار الغرور والمكر و الاستدراج يرتوي من الشراب بالسراب ويكتفي عن العذاب بالأجاج كما ذكره الإمام الغزالي في كتاب (ذم الغرور من إحياء علوم الدين) [٢] في بيان غرور المتصوفة وقسمهم إلى فرق قال وفرقة ادعت علم المعرفة ومشاهدة الحق ومجاوزة المقامات

---

(١) هذا العلم - دين الإسلام - أخذ بالعقل والنقل ومن أصول النقل الرواية . فالقراءة والمطالعة والأستاذ هي أسس التعلم والتحصيل والدراسة ولا يأخذ عن الله مباشرة إلا الرسول لأنه يوحى إليه - ونحن محتاجون إلى الرواية حتى تكون سندًا لنا في حجية ما نقول - وما قاله الشيخ فيه العجب العجاب والله بصير بالعباد .

(٢) إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي (٣/٣٦٨-٣٨٢) طبع دار إحياء الكتب العربية .

والأحوال والملازمة في عين الشهود والوصول إلى القرب ولا يعرف هذه الأمور إلا بالأسامي والألفاظ إلا أنه تلقف من الألفاظ الطامات كلمات فهو يرددها ويظن أن ذلك أعلى من علم الأولين والآخرين فهو ينظر إلى الفقهاء والمفسرين والمحدثين وأصناف العلماء بعين الإزراء فضلاً عن العوام حتى إن الفلاح ليترك فلاحته والحائك يترك حياكته ويلازمهم أيامًا معدودة ويتلقف منهم الكلمات المزيفة فهو يرددها كأنه يتكلم عن الوحي ويخبر عن سر الأسرار ويستحقر بذلك جميع العباد والعلماء فيقول في العباد إنهم أجراء متعبون ويقول في العلماء إنهم بالحديث عن الله محجبون ويدعي لنفسه أنه الواصل إلى الحق وأنه من المقربين وهو عند الله من الفجار المنافقين وعند أرباب القلوب من الحمقى الجاهلين لم يحكم قط علمًا ولم يهذب خلقًا ولم يرتب عملاً ولم يراقب قلبًا سوى اتباع الهوى وتلقف الهذيان وحفظه .

وفرقة منهم وقعت في الإباحة وطووا بساط الشرع ورفضوا الأحكام وسوا بين الحلال والحرام فبعضهم يزعم أن الله مستغني عن عملي فلم أتعب نفسي .

وبعضهم يقول : قد كلف الناس تطهير القلب عن الشهوات وعن حب الدنيا ذلك محال فقد كلفوا ما لا يمكن وإنما يغتر به من لم يجرب وأما نحن فقد جربنا فأدركنا أن ذلك محال ولا يعلم الأحمق أن الناس لم يكلفوا قلع الشهوة والأرب من أصلهما بل تأديبهما بحيث ينقاد كل واحد منهما لحكم العقل والشرع وبعضهم يقول الأعمال بالجوارح لا وزن لها وإنما النظر إلى القلوب وقلوبنا والهة بحب الله وواصلة إلى معرفة الله ويرفعون درجة أنفسهم عن درجة الأنبياء إذ كان يصدمهم عن طريق الله تعالى خطيئة واحدة حتى كانوا يبكون عليها وينوحون سنين متوالية وأصناف غرور وأهل العبادة من المتشبهين بالصوفية لا تحصى وكل ذلك بناء على أغاليط ووساوس خدعهم الشيطان بها لاشتغالهم بالمجاهدة قبل إحكام العلم ومن غير اقتداء بشيخ متقن في الدين والعلم صالح للاقتداء وذكر الإمام المحاسبي في كتاب الغرة من «الرعاية» قال : إن الغرة بالله عز وجل تكون من الكافرين ومن العاصين ، من المسلمين ومن الديانين النساك ومن العلماء وغيرهم ، فكل قد اغتر بشيء من الأشياء حتى ضيع أمر الله عز وجل وقد حذره منه وخوفه . فالغرة بالله عز وجل إنما هي خدعة من النفس بصنيع الله عز وجل بالعبد وباسم رجاء الله عز اسمه أو ببعض العبادة أو العلم فيغتر كثير من العباد ببعض ذلك ، حتى يعصي الله عز وجل ، وهو يرى أنه من المحسنبن أو يكفر

بالله تعالى أو يغتر فيعصي على علم ، وهو يرى أنه مغفور له ناج لا يعذب . فأما الغرة من الكافرين فهي خدعة من أنفسهم وعدوهم بظاهر الدنيا عن الآخرة ا هـ . وقد أكثر علماء أهل السنة في تصانيفهم من الكلام على أقسام هؤلاء المغرورين وبينوا زيفهم لئلا يغتر بهم أحد من المسلمين فيفسد عليه أمره كما فسدت أمورهم ولم يعين العلماء أحدًا منهم بعينه ولا طائفة مخصوصين فلا يجوز لأحد من الناس أن يأخذ هذا الكلام الذي ذكره المصنف رحمه الله تعالى وذكرناه نحن في حق أهل الزيغ والضلال على وجه العموم فيحمله على طائفة مخصوصين تفرس فيهم أنهم على هذا الوصف المذكور فيظن فيهم سوء ويؤذيهم بسبب ذلك بل كلها من أشكل عليه حاله من أمة محمد ﷺ يحسن الظن به ويصرف كل ما يلقيه الشيطان في قلبه من النقائص عن أخيه المسلم فإن الشيطان للإنسان عدو مبين ويحمل جميع ما يسمعه من ذلك على ما يعلمه الله تعالى من أحوال عباده ويحترز في نفسه من وجود شيء من ذلك فيها ويعظ به غيره على وجه العموم متقيًا وقوع قلبه في تهمة أحد معين ويجتنب التجسس والظن السوء ولا يفتري على هذا المصنف أو غيره بأنه يحكم على طائفة مخصوصين بما يذكره في كتابه فينكروا على أهل زمانه بسوء ظنه وتجسسه ويتعلل بكلام غيره من العلماء ، فان النهي عن المنكر في الدين من أصله وارد على العموم والتخصيص من فهم المتفقه القاصر لقبح نيته وخبث طويته والله على ما يقول وكيل . ص : (وإنا) . ش : معشر أهل العلم الباطن . ص : (إذا صدر منا) . ش : فعل .

ص : (مكروه أو حرام) . ش : في ظاهرنا أو باطننا .

ص : (نبهنا) . ش : بالبناء للمفعول أي نبهنا الله تعالى على ذلك الفعل المكروه أو الحرام .

ص : (بالنوم بالرؤيا) . ش : التي يرينا الله تعالى إياها اعتناء بنا وتسديدًا لأمرنا وتقوية لشأننا .

ص : (فنعرف بها) . ش : أي بالرؤيا التي نراها في المنام .

ص : (الحلال والحرام) . ش : من الأحكام الشرعية .

ص : (وإنما) . ش : أي الفعل الذي . ص : (فعلنا) . ش : مخالف للشرع . ص : (مما قلتم) . ش : أنتم يا معشر علماء الظاهر .

ص : (أنه حرام) . ش : علينا .

ص : (لم تنه) . ش : أي لم ينهنا الله تعالى . ص : (عنه في المنام) . ش : بالرؤيا كما عودنا ذلك .

ص : (فعلمنا) . ش : من عدم نهينا عنه في المنام . ص : (أنه حلال) .

ش : لنا فعله وهذا القول من غلبة الجهل عليهم وفساد عقلهم لأنهم في أحكام شريعتهم يتكلمون على ما يرونه في مناماتهم من الخيالات الشيطانية والوساوس النفسانية لعدم اعتنائهم بالحلال والحرام ورفضهم بالكلية لشرائع الإسلام نعم إن الله تعالى يجوز أن ينبه بعض أهل خصوصه ممن هو سالك على طريقة أهل السنة والجماعة فيريه في منامه ما يسوغ له فعله وما لا يسوغ في خصوص بعض القضايا حيث كان ذلك السالك مؤمنا كاملاً على يقظة وسنة فيزل ويهفو والله تعالى يأخذ بيده وينبهه عناية به لكونه من خاصة أهل الإسلام كما كان يعرض للحارث المحاسبي رضي الله عنه في اليقظة أنه إذا مد يده إلى طعام فيه شبهة تحرك فيه إصبعه وكان بعض مشايخنا يتنبه للمأكل الحرام برائحة كريهة كان يشمها منه ونحو هذا مما يقع للعلماء العاملين يقظة ومنامًا وبعيد من هذا أحوال الكفرة الطغاة أعداء الشرائع والأحكام المصرين على ما تقدم من قبيح الكلام .

ص : (ونحو هذا) . ش : من المقالات الشنيعة التي تهدم قواعد الشريعة وترفع أحكام الإسلام . ص : (من الترهات) . ش : المبنية على زخارف الأوهام وفي (القاموس) [١] الترهة كقبرة الباطل والجمع تراهات وتراريه وتره كسمع وقع فيها .

ص : (كله) . ش : أي كل ما ذكر . ص : (إلحاد) . ش : يقال ألحد مال وعدل وماري وحاول وفي الحرم ترك القصد فيما أمر به أو أشرك به أو ظلم كذا في (القاموس) [٢] وهذا معناه في اللغة وفي الشرع هو العدول عن ظواهر الكتاب والسنة لغير ضرورة دعت إلى ذلك . ص : (وضلال) . ش : وهو ضد الهدى ومعناه الحيرة في الدين والإعراض عن سبيل المؤمنين . ص : (إذ) . ش : تعليلية . ص : (فيه) . ش : أي في كل ما ذكر من المقالات القبيحة . ص : (ازدراء) . ش :

(١) القاموس المحيط [(٢٨٤/٤) ترهة] باب : الهاء فصل التاء .

(٢) القاموس المحيط (٢٩٦/١، ٢٩٧ حدد) باب : الدال فصل الحاء .

أي تحقير قال (الجوهري) [1] ازدريته أي حقرته .

ص : **(الشريعة الحنيفية)** . ش : أي المائلة عن الباطل إلى الحق قال عليه السلام (بعثت بالحنيفية السمحة) [2] قال في (شرح الكرماني) : الملة السمحة التي لا حرج فيها ولا ضيق على الناس وفي (المغرب) [3] الحنيف المائل من كل دين باطل إلى الدين الحق وفي (القاموس) [4] الحنف محركة الاستقامة والحنيف كأمير الصحيح الميل إلى الإسلام الثابت عليه واحتقارهم لذلك باعتبار قولهم أنهم لا يأخذون من الكتاب بل من صاحبه محمد عليه السلام وإذا أشكل عليهم أمر استفتوه منه وإن أرادوا من الحق تعالى فإن في هذا تحقيرًا للشريعة المحمدية . ص : **(و)** . ش : ازدراء أيضًا لكل من . ص : **(الكتاب)** . ش : العزيز . ص : **(والسنة النبوية)** . ش : المحمدية باعتبار قولهم إنا بالخلوة وهمة شيخنا نصل إلى الله تعالى فلا نحتاج إلى الكتاب والمطالعة والقراءة على الأستاذ فإن هذا احتقار للكتاب والسنة .

ص : **(وعدم)** . ش : معطوف على ازدراء . ص : **(الاعتماد عليهما)** . ش : أي على الكتاب والسنة باعتبار قولهم إن الوصول إلى الله تعالى لا يكون إلا برفض العلم الظاهر والشرع فإنه صريح في عدم الاعتماد المذكور .

ص : **(وتجويز الخطأ)** . ش : في الألفاظ . ص : **(والبطلان)** . ش : في المعاني أو بالعكس . ص : **(فيهما)** . ش : أي في الكتاب والسنة باعتبار قولهم وإنا لو كنا على الباطل إلى آخره والتقدير كما أنكم أنتم على الباطل .

ص : **(العياذ)** . ش : أي الالتجاء والاحتماء . ص : **(بالله)** . ش : تعالى من هذه المقالات الفاسدة والأباطيل الكاسدة . ص : **(فالواجب)** . ش : أي فرض العين . ص : **(على كل من سمع)** . ش : من المكلفين . ص : **(مثل هذه الأقاويل)** . ش : جمع أقوال . ص : **(الباطلة)** . ش : المضادة لقول الحق .

---

(١) الصحاح (٢٣٤٥/٦ ذرا) .

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٢٦٦/٥) ، الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٢٠٩/٧) ٣٦٧٨ - ترجمة جعفر بن أحمد العطار عن جابر .

(٣) المغرب في ترتيب المعرب ص ١٣٢ للإمام أبي الفتح ناصر بن عبد السيد بن علي المطرزي الفقيه الحنفي الخوارزمي ولد سنة ٥٣٨ وتوفي سنة ٦١٦ هـ طبع دار الكتاب العربي - بيروت لبنان .

(٤) القاموس المحيط (١٣٤/٣ حنف) باب : الفاء فصل الحاء .

ص : (الإنكار) . ش : أي الرد والردع . ص : (على قائله) . ش : أي قائل مثل ذلك لأن إنكار الباطل حق كما أن إنكار الحق باطل .

ص : (والجزم) . ش : أي القطع .

ص : (ببطلان مَقَالِهِ) . ش : أي قول مثل ذلك في (القاموس) [1] جمع القول أقوال وجمع الجمع أقاويل وقال قولاً وقيلاً وقولة ومقالةً ومقالاً .

ص : (بلا شك) . ش : في الحكم ببطلان ذلك . ص : (ولا تردد) . ش : فيه . ص : (ولا توقف ولا تلبث) . ش : أي تصبر عن الحكم بذلك فإن الباطل باطل قطعًا من غير شبهة . ص : (وإلا) . ش : أي وإن شك أو تردد أو توقف أو تلبث . ص : (فهو) . ش : محسوب . ص : (من جملتهم) . ش : أي جملة هؤلاء الكافرين القائلين بالمقالات المذكورة حيث تحقق من قائلها وتابعهم عليها وصدقهم فيها فهو منهم .

ص : (فيحكم) . ش : بالبناء للمفعول أي يحكم الشرع المحمدي .

ص : (بالزندقة عليهم) . ش: كلهم جملة القائلين بذلك والموافقين لهم فيه ولو بالشك والتردد والتوقف والتلبس في أمرهم بعد تحقق قولهم ذلك ومعاينته منهم لا إذا لم يتحققه ولم يعاينه بأن أخبره بذلك عنهم مخبر من الناس ولم يثبت الثبوت الشرعي وبعد الثبوت الشرعي أيضًا يحتمل كون الشهود زورًا فإن حكم الحاكم مستند إلى الشهادة إن صدقت وإن كذبت فلا قطع في ذلك باطنًا كما أشار إليه الشيخ عبد الوهاب الشعراني في خاتمة كتاب (ميزان الذرية في عقائد الطائفة العلية) وفي (شرح الشرعة) المسمى (بجامع الشروح) قال أبو الليث : الزنديق معروف وزندقته أنه لا يؤمن بالآخرة ووحدانية الخالق ، وعن ثعلب ليس زنديق من كلام العرب ومعناه على ما يقوله العامة ملحد ودهري ، وعن ابن دريد [2] أنه فارسي معرب وأصله زنده أي من يقول بدوام الدهر اهـ . وفي (القاموس) [3] الزنديق بالكسر من الثنوية أو القائل بالنور

---

(١) القاموس المحيط (٤٢/٤،٤٣ قول) باب : اللام فصل القاف .

(٢) جمهرة اللغة لابن دريد (٥٠٤/٣) باب : ومما تكلموا به وأعرب وزاد فقال : كأن أصله عنده (زنده كراي) .

(٣) القاموس المحيط [(٢٥٠/٣،٢٥١) زنديق] باب : القاف فصل الزاي .

والظلمة أو من لا يؤمن بالآخرة بالربوبية أو من يبطن الكفر ويظهر الإيمان أو هو معرب زندين أي دين المراءة وجمعه زنادقة أو زناديق وقد تزندق والاسم الزندقة .

ص : **(وقد صرح العلماء)** . ش : من الأصوليين وغيرهم . ص : **(بأن الإلهام)** . ش : يقال ألهمه الله خيرًا ألقنه إياه كذا في (القاموس) [١] ويكون في الخير والشر كما قال تعالى : ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ قال الواحدي جعل فيها ذلك بتوفيقه إياها للتقوى وخذلانه إياها للفجور واختار الزجاج [٢] هذا القول في حمل الإلهام على التوفيق والخذلان وهذا هو الوجه في تفسير الإلهام فإن التبيين والتعليم والتعريف دون الإلهام والإلهام أن يقع في قلبه ويجعل فيه إذا أوقع الله في قلب عبد شيئًا فقد ألزمه ذلك الشيء كما ذكر سعيد بن جبير وهذا صريح في أن الله تعالى خلق في المؤمن تقواه وفي الكافر فجوره [٣] .

ص : (ليس من أسباب المعرفة بالأحكام) . ش : الشرعية التكليفية فإن في (شرح مرقاة الوصول) : أن إلهام النبي وحي بأن يريه الله تعالى بنوره كما قال تعالى ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ [٤] وهو حجة منه لأمته يجب عليهم اتباعه بخلاف إلهام الأولياء فإنه لا يكون حجة على غيره .

وفي (شرح العقائد) للتفتازاني والإلهام المفسر بإلقاء معنى في القلب بطريق الفيض ليس من أسباب المعرفة بصحة الشيء عند أهل الحق وكان الأولى أن يقول ليس من أسباب العلم بالشيء إلا أنه حاول التنبيه على أن مرادنا بالعلم والمعرفة واحد لا كما اصطلح عليه البعض من تخصيص العلم بالمركبات أو بالكليات والمعرفة بالبسائط أو بالجزئيات إلا أن تخصيص الصحة بالذكر مما لا وجه له ثم الظاهر أنه أراد أن الإلهام

---

(١) القاموس المحيط [(١٨٠/٤ لهم) باب : الميم فصل اللام] .

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣٣٢/٥) ط عالم الكتب بيروت وعبارته : قيل علمها طريق الفجور وطريق الهدى . والكلام على أن ألهمها التقوى ، وفقها للتقوى ، وألهمها فجورها خذلها . والله أعلم .

(٣) ونقل ذلك عن قتاده كما في تفسير ابن جرير الطبري (٢١٠/٢٠) ط دار الفكر ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٤٣٧/١٠) رقم (١٩٣٤٤) عن سعيد بن جبير (فألهمها) قال ألزمها ﴿فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾

(٤) [سورة النساء الآية ١٠٥] .

ليس سببًا يحصل به العلم لعامة الخلق ويصلح للإلزام على الغير وإلا فلا شك أنه قد يحصل به العلم وقد ورد القول به في الخبر وقد حكى عن كثير من السلف ا هـ . وطائفة المحققين من أهل الله تعالى جميع علومهم التي يعتمدون عليها في دينهم إلهامية وهبية وأما العلوم الاكتسابية فهي آلة عندهم لتحصيل مقام الإلهام كما نقل المناوي في (شرح الجامع الصغير) قال الإمام مالك : علم الباطن لا يعرفه إلا من عرف علم الظاهر فمتى عَلِم علم الظاهر وعمل به فتح الله عليه علم الباطن ولا يكون ذلك إلا مع فتح قلبه وتنويره وقال ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم نور يقذفه الله في القلب يشير إلى علم الباطن ، وقال التونسي اجتمع العارف على وفا والإمام البلقيني فتكلم على معه بعلوم بهرت عقله فقال البلقيني من أين لك هذا يا على ؟ قال من قوله تعالى ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ (١) فأمسك وقال العارف سهل التستري : خرج العلماء والزهاد والعباد من الدنيا وقلوبهم مقفلة ولم تفتح إلا قلوب الصديقين والشهداء ، ولولا أن أدرك قلب من له قلب بالنور الباطني حاكم على علم الظاهر لما قال المصطفى ﷺ «استفت قلبك» (٢) فكم من معان دقيقة من أسرار القرآن تخطر على قلب المتجرد للذكر والفكر وتخلو عنها زبد التفاسير ولا يطلع عليها أفاضل المفسرين ولا محقق الفقهاء المعتبرين وفي (طبقات الشعراني) في ترجمة الشيخ على الخواص رضي الله عنه أنه كان يقول لا يسمى العالم عالمًا عندنا إلا إذا كان علمه غير مستفاد منه نقل أو صدر بأن يكون خضري المقام أما غير هذا فإنما هو حامل لعلم غيره فقط فله أجر من حمل العلم حتى أداه لا أجر العالم والله لا يضيع أجر المحسنين ، ثم قال : ومن أراد أن يعرف مرتبته في العلم يقينًا لا شك فيه فليرد كل قول حفظه إلى قائله وينظر بعد ذلك إلى علمه فما وجده معه فهو علمه وأظن لا يبقى معه إلا شيء يسير لا يسمى به عالمًا إذا علمت هذا فاعلم ان الإلهام ليس حجة عند علماء الظاهر والباطن بحيث تثبت به الأحكام الشرعية فيستغنون بذلك عن النقل من الكتاب والسنة بل هو طريق صحيح لفهم معاني الكتاب والسنة عند المحققين من علماء الباطن بعد تصحيح العمل على مقتضى ما فهم بالاجتهاد من معاني الكتاب والسنة وإلا كان وسوسة شيطانية لا يجوز

---

(١) [سورة البقرة الآية ٢٨٢] .

(٢) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (١٤٥/١) ، أبو نعيم في حلية الأولياء (٤٤/٩) ، وابن الشجري في أماليه الحديثية (٢٢٨/٢) .

العمل به كما قال الإمام القسطلاني في (مواهبه) لا يظهر على أحد شيء من نور الإيمان إلا باتباع السنة ومجانبة البدعة وأما من أعرض عن الكتاب والسنة ولم يتعلق بالعلم من مشكاة الرسول ﷺ بدعواه علمًا لدنيا أوتيه فهو من لدن النفس والشيطان وإنما يعرف كون العلم لدنيا روحانيا موافقته لما جاء به الرسول عن ربه تعالى فالعلم اللدني نوعان لدني روحاني ولدني شيطاني فالروحاني هو الوحي ولا وحي بعد الرسول ﷺ .

وأما قصة موسى مع الخضر فالتعلق بها في تجويز الاستغناء بالوحي عن العلم اللدني إلحاد وكفر مخرج عن الإسلام موجب لإراقة الدم والفرق أن موسى عليه السلام لم يكن مبعوثًا إلى الخضر ولم يكن الخضر مأمورًا بمتابعته ولو كان مأمورًا بها لوجب عليه أن يهاجر إلى موسى ويكون معه ولهذا قال له : «أنت موسى بنى إسرائيل قال نعم» ومحمد ﷺ مبعوث إلى جميع الثقلين فرسالته عامة للإنس والجن في كل زمان ولو كان موسى وعيسى حيين لكانا من أتباعه فمن ادعى أنه مع محمد ﷺ كالخضر مع موسى عليهما السلام أو جوز ذلك لأحد من الأمة فليجدد إسلامه وليشهد بشهادة الحق فإنه مفارق لدين الإسلام بالكلية فضلاً عن أن يكون من خاصة أولياء الله تعالى وإنما هو من أولياء الشيطان وخلفائه ونوابه .

والعلم اللدني الروحاني هو : ثمرة العبودية والمتابعة لهذا النبي الكريم عليه أزكى الصلاة وأتم التسليم وبه يحصل الفهم من الكتاب والسنة بأمر يختص به صاحبه كما قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وقد سئل هل خصكم رسول الله ﷺ بشيء دون الناس فقال : «لا إلا فهما يؤتيه الله عبدًا في كتابه» فهذا هو العلم اللدني الحقيقي واتباع هذا النبي الكريم حياة القلوب ونور البصائر وشفاء الصدور ورياض النفوس ولذة الأرواح وأنس المستوحشين ودليل المتحيرين

ص : (وكذلك) . ش : أي كالإلهام ليس من أسباب المعرفة بالأحكام الشرعية .

ص : (الرؤيا) . ش : التي يراها الإنسان .

ص : (في المنام) . ش : قال في (شرح المواقف) وأما الرؤيا فخيال باطل عند المتكلمين وفي «حاشية حسن جلبي» فيه بحث لأنه ثبت بالأحاديث الصحيحة أن

النبي ﷺ جعل «الرؤيا الصالحة جزءً من ستة وأربعين جزءً من النبوة» (١) وعمل بها قبل الوحي ستة أشهر فكيف تكون خيالاً باطلاً اللهم إلا أن يقال الباطل مطلقًا عند المعتزلة هو كون ما يتخيله النائم إدراكًا بالبصر رؤية وما يتخيله إدراكًا بالسمع سمعًا وهكذا أما كون العلم الحاصل في النوم خيالاً باطلاً وكون النوم مضادًّا للعلم فإنما هو بالنسبة إلى عامة الخلق وأما عند الأصحاب فالظاهرات الكل بالنسبة إلى عامة الخلق ويؤيده تعليلهم ذلك لعدم جريان العادة بخلق الإدراك في الشخص وهو نائم لدلالته على جواز ذلك بطريق خرق العادة كسائر المعجزات والكرامات وفي (شرح المناوي) على «الجامع الصغير» ذكر الحكيم الترمذي أن سبب الرؤيا أن الإنسان إذا نام سطع نور النفس حتى يجول في الدنيا ويصعد إلى الملكوت فيعاين الأشياء ثم يرجع إلى معدنه فإن وجد مهلة عرض على العقل والعقل يستودع لحفظ ذلك ، وقال بعضهم : الرؤيا الصالحة من أقسام الوحي فيطلع الله النائم على ما جهله من معرفة الله والكون في يقظته ولهذا كان المصطفى ﷺ إذا أصبح سأل «هل رأى أحدمنكم رؤيا هذه الليلة» (٢) وذلك لأنها أثار نبوة في الجملة فكان يحب أن يشهدها في أمته قال والناس في غاية من الجهل بهذه المرتبة التي كان المصطفى ﷺ يعتني بها ويسأل عنها كل يوم وأكثرهم يهزأ بالرأي إذا رآه يعتمد الرؤيا وفي «شرح مسلم» للإمام النووي عند قوله ﷺ «إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب» (٣) قال الخطابي وغيره قيل : المراد إذا قارب الزمان أن يعتدل ليله ونهاره ، وقيل : المراد إذا قارب القيامة والأول أشهر عند عبر الرؤيا وجاء في حديث ما يؤيد الثاني وقوله ﷺ : «أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثًا» (٤) ظاهره أنه على إطلاقه ، وحكى القاضي عن بعض العلماء أن هذا يكون في آخر الزمان عند انقطاع العلم وموت العلماء والصالحين ومن يستضاء بقوله وعمله

---

(١) أخرجه الطحاوي في مشكل الأثار (٤٦/٣) .

(٢) أخرجه البخاري (٥٦/٩ ط الشعب) ، مسلم كتاب : الرؤيا (٢٣) ، أبو داود ٣٥ - كتاب : الأدب باب : ما جاء في الرؤيا (٩٥) رقم (٥٠١٧) ، مالك في الموطأ (٩٥٦/٢) ، كتاب : الرؤيا باب : ما جاء في الرؤيا .

(٣) أخرجه مسلم كتاب الرؤيا رقم ٦ - (٢٢٦٣) ابن حبان (٤٠٤/١٣) ٥٣ - كتاب الرؤيا رقم (٦٠٤٠) .

(٤) أخرجه أحمد في المسند (٢٦٩/٢) .

فجعله الله تعالى جابرًا وعوضًا ومنبهًا لهم .

والأول أظهر لأن غير الصادق في حديثه يتطرق الخلل إلى روايته وحكايته إياها وقوله ﷺ : «ورؤيا المؤمن جزء من خمسة وأربعين جزءً من النبوة» وفي رواية : «رؤيا المؤمن جزءٌ من ستةٍ وأربعين جزءً من النبوة» وفي رواية : «الرؤيا الصالحة جزءٌ من ستةٍ وأربعين جزءًا من النبوة» وفي رواية : «رؤيا الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة» وفي رواية : «الرؤيا الصالحة جزء من سبعين جزء من النبوة» فحصل ثلاث روايات مشهورة (ستة وأربعين) والثانية (خمسة وأربعين) والثالثة (سبعين جزءاً) وفي غير مسلم من رواية ابن عباس : (أربعين جزءًا) وفي رواية : من (تسعة وأربعين) وفي رواية العباس : (من خمسين) وفي رواية ابن عمر : (من ستة وعشرين) وفي رواية عبادة : من (أربعة وأربعين) قال القاضي أشار الطبري [(١)] إلى أن هذا الاختلاف راجع إلى اختلاف حال الرأي فالمؤمن الصالح تكون رؤياه جزءًا من ستة وأربعين جزءًا ، والفاسق (جزءٌ من سبعين جزءًا) وقيل المراد أن الخفي منها جزء من سبعين جزءًا والجلي جزء من ستة وأربعين .

قال الخطابي وغيره قال بعض العلماء أقام ﷺ يوحى إليه ثلاثًا وعشرين سنة منها عشر سنين بالمدينة وثلاث عشرة بمكة وكان قبل ذلك ستة أشهر يرى في المنام الوحي وهي جزء من ستة وأربعين جزءًا قال المازري : وقيل : المراد أن للمنامات شبهًا مما حصل له ومزية من النبوة بجزء من ستة وأربعين .

قال : وقد قدح بعضهم في **الأول** بأنه لم يثبت أن أمد رؤياه ﷺ قبل النبوة ستة أشهر وبأنه رأى بعد النبوة منامات كثيرة فلتضم إلى الأشهر الستة وحينئذ تتغير النسبة

قال المازري : هذا الاعتراض الثاني باطل لأن المنامات الموجودة بعد الوحي بإرسال الملك منغمرة في الوحي فلم تحسب قال ويحتمل أن يكون المراد أن المنام فيه أخبار بالغيب وهو إحدى ثمرات النبوة وهو يسير في جنب النبوة لأنه يجوز أن يبعث الله نبيًا ليشرع الشرائع ويبين الأحكام ولا يخبر بغيب أبدًا ولا يقدح ذلك في نبوته ولا يؤثر في مقصودها وهذا الجزء من النبوة وهو الإخبار بالغيب إذا وقع لا يكون إلا

---

(١) انظر تعليق على هذه الروايات صحيفة همام بن منبه عن أبي هريرة ص ١٦٧ طبع مكتبة الخانجي بالقاهرة .

صدقًا .

قال الخطابي : هذا الحديث توكيد لأمر الرؤيا وتحقيق منزلتها قال : وإنما كانت جزءًا من أجزاء النبوة في حق الأنبياء دون غيرهم ، وكان الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم يوحى إليهم في منامهم كما يوحى إليهم في اليقظة قال الخطابي وقال بعض العلماء معنى الحديث أن الرؤيا تأتي على موافقة النبوة لا أنها جزء باق من النبوة . ا هـ .

والحاصل أن الرؤيا المنامية بمنزلة الإلهام الروحاني ليس من أسباب المعرفة بالأحكام الشرعية وإن كان كل واحد منهما جزءًا من أجزاء النبوة ووجها من وجوه الوحي النبوي في أهل الدين والصلاح يعتمد عليهما أصحاب التقوى فتنكشف بهما لهم ما خفي عنهم من دقائق المعارف والحكم الربانية ولطائف الأسرار والحقائق الرحمانية بعد اعتمادهم في إصلاح ظواهرهم وبواطنهم على طبق الكتاب والسنة وترك البدعة والمعصية دون تقليد شيء منهما في ثبوت حكم من الأحكام العملية أو الاعتقادية بخلاف ما يزعمه أهل الزندقة والإلحاد من الاكتفاء بهما عن الكتاب والسنة في استفادة أحكام الله تعالى منهما فإن ذلك دعوى نبوة إذ الإلهام والرؤيا المنامية قسمان من أقسام الوحي النبوي يأخذ النبي منهما أحكام الشرائع التي كلف الله تعالى بها نفسه وأمته فلو كان الولي كذلك لكان نبيًا وغاية ما للولي من الوراثة في ذلك إلهام الأحكام التي جاء بها إليه نبيه فقبلها منه في اليقظة وتعرض عليه في المنام أيضًا فيتقبلها فإلهامه ورؤياه مظهران له ما خفي عليه لا مثبتات عنده ما جحده والله الموفق للصواب .

ص : (خصوصًا إذا خالف) . ش : أي الإلهام والرؤيا في المنام مقتضى .

ص : (كتاب) . ش : الله . ص : (العليم العلام أو) . ش : مقتضى .

ص : (سنة محمد) . ش : نبي الله .

ص : (عليه الصلاة والسلام) . ش : فإنهما حينئذ ليسا من أسباب المعرفة بالأحكام بالطريق الأولى إذ لا يصلح ذلك في الولي مثبتًا لشرع جديد ولا ناسخًا لشيء من أحكام الشرع المحمدي لانقطاع الوحي وختم النبوة والشرع لا ينبته إلا النبوة ولا ينسخه إلا شرع مثله .

ص : (وقد قال سيد الطائفة الصوفية) . ش : من التصوف قال القشيري في

(رسالته) [١] هذه التسمية غلبت على هذه الطائفة فيقال رجل صوفي وللجماعة الصوفية ولمن يتوصل إلى ذلك يقال له : متصوف ، وللجماعة : المتصوفون [٢] وليس يشهد لهذا الاسم من حيث العربية قياس ولا اشتقاق والأظهر فيه أنه كاللقب فأما قول من قال إنه من الصوف وتصوف إذا لبس الصوف كما يقال : تقمص إذا لبس القميص ، فذلك وجه . ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف .

ومن قال : إنهم منسوبون إلى صفة مسجد النبي ﷺ فالنسبة إلى الصفة لا تجيء على نحو الصوفي ومن قال إنه من الصفاء فاشتقاق الصوف من الصفاء بعيد في مقتضى اللغة .

وقول من قال إنه مشتق من الصف فكأنهم في الصف الأول بقلوبهم من حيث المحاضرة من الله تعالى فالمعنى صحيح ولكن اللغة لا تقتضي هذه النسبة [٣] من الصف ثم هذه الطائفة أشهر من أن يحتاج في تعينهم إلى قياس لفظ واستبيان اشتقاق وتكلم الناس في التصوف ما معناه ، وفي الصوفي من هو وكل عبر بما وقع له ثم استقصى جملة من كلام القوم في التصوف والصوفي يطول ذكرها . ص : **(وإمام أرباب)** . ش : أي أصحاب . ص : **(الطريقة)** . ش : وهي معرفة أخلاق النفس وصفات القلب وكيفية قطع المنازل في السير إلى الله تعالى ودخل فيها الشريعة التي هي معرفة كيفية الاعتقاد الصحيح إجمالاً وكيفية العمل الصالح إجمالاً لأنها قبل الطريقة فلا طريقة لمن لا شريعة لها . ص : **(والحقيقة)** . ش : وهي مشاهدة الربوبية في حالة القيام بالعبودية والأنباء عن تصريف الحق فيما ورد من تكليف الخلق أبو القاسم .

ص : **(الجنيد)** [٤] . ش : ابن محمد .

---

(١) الرسالة القشيرية (ص ٢٧٩) تحقيق معروف زريق وعلي عبد الحميد بلطجي طبع دار الجيل بيروت طبعة ثانية سنة ١٤١٠هـ ، ١٩٩٠م ٣٩ - باب : التصوف .

(٢) في المطبوعة : (المتصوفة) .

(٣) في المطبوع (إلى) .

(٤) قال أبو عبد الرحمن السلمي عنه : وهو من أئمة القوم وسادتهم ، مقبول على جميع الألسنة . انظر ترجمته : طبقات الصوفية ص ١٥٥ ت (١) ، أبو نعيم في الحلية (١٠/٢٥٥-٢٨٧) ، صفة الصفوة (٢/٢٣٥،٢٤٠) الرسالة القشيرية ص ٢٤ ، وفيات الأعيان (١/١٤٦) مرآة الجنان (٢/٢٣١) ، تاريخ بغداد (٧/٢٤١) ، البداية والنهاية (١١/١١٣) .

ص : (البغدادي) . ش : نسبة إلى بغداد المدينة المعروفة أصله من نهاوند ومنشؤه ومولده العراق وأبوه كان يبيع الزجاج فلذلك يقال له القواريري وكان فقيهًا على مذهب أبي ثور السري السقطي [١] والحارث بن أسد المحاسبي [٢] ومحمد بن علي القصاب مات سنة سبع وتسعين ومائتين . ص : (عليه رحمة الهادي) . ش : لمن يشاء إلى صراط مستقيم . ص : (الطرق) . ش : جمع طريق وهو المسلك الموصل إلى الله تعالى . ص : (كلها) . ش : تأكيد للطرق . ص : (مسدودة) . ش : أي لا يمكن السلوك منها إلى الله تعالى لعدم إيصالها إليه بسبب رد المسالك فيها وصده عن بلوغ غايتها والمراد بها جميع الشرائع والأديان والمذاهب المخالفة فإن أهلها الآن ما سلكوا فيها إلا ليصلوا منها إلى الله تعالى فهي طرق إلى الله تعالى باعتبار زعم أهلها لا في حقيقة الأمر ولهذا أخبر عنها أنها مسدودة والمسدود ليس بطريق إلا بمجرد الزعم لمن لم يعرف ذلك فإن الجاهل إذا سلك طريقًا فانتهى فيه إلى حد ورآه مسدودًا تبين له حينئذ أنه ليس بطريق فيرجع من حيث سلك وقد زعم في الأول بأنه طريق ثم تبين له خلاف ذلك . ص : (الأعلى من) . ش : أي الذي أو رجل .

ص : (اقتفى) . ش : أي اتبع . ص : (أثر الرسول ﷺ) . ش : بأن سار كسيره في تلك الطرق المذكورة كلها فإنها حينئذ ليست بمسدودة عنه بل مفتوحة له ليدخل منها إلى حضرة الله تعالى بسبب سيره فيها السير المخصوص الذي لا تعرفه أهلها السالكون فيها وهم على الباطل منها وإلى هذا المعنى يشير شيخنا (الشيخ عبد القادر الكيلاني) رضي الله عنه من أبيات له مطلعها قوله * ما في المناهل منهل مستعذب *

---

(١) سري بن المغلس السقطي كنيته أبو الحسن يقال إنه خال الجنيد وأستاذه ، صحب معروفًا الكرخي وهو أول من تكلم - ببغداد في لسان التوحيد ، وحقائق الأحوال ، وهو إمام البغداديين وشيخهم في وقته وإليه ينتمي أكثر الطبقة الثانية ترجمته : طبقات الصوفية ص ٤٨ ت (٥) ، حلية الأولياء (١١٦/١٠) ، الرسالة ص ١٢ ، وفيات الأعيان (٢٥١/١) ، شذرات الذهب (١٢٧/٢) ، مرآة الجنان (١٩،١٥٨/٢) ، البداية والنهاية (١٣/١١) .

(٢) الحارث بن أسد المحاسبي كنيته : أبو عبد الله ، من علماء مشايخ القوم معلوم الظاهر ، وعلوم المعاملات والإشارات . له تصانيف منها : (كتاب الرعاية لحقوق الله) وغيره - وهو أستاذ أكثر البغداديين ، وهو من أهل البصرة . مات ببغداد سنة ثلاث وأربعين ومائتين انظر ترجمته : طبقات الحفاظ ص ٥٦ ت (٦) ، حلية الأولياء (٧٣/١٠) ، الرسالة القشيرية ص ١٥ ، وفيات الأعيان (١٥٧/١) ، شذرات الذهب (١٠٢/٢) ، تاريخ بغداد (٢١١/٨) ، مرآة الجنان (١٤٢/٢) .

الأولى فيه الألذ الأطيب * وقول (الشيخ محيي الدين بن العربي) قدس الله سره من أبيات له أيضًا * عقد الخلائق في الأدلة عقايدًا * وأنا أعتقد جميع ما اعتقدوه * فإن جميع العقائد الباطلة واقعة من معتقديها على مظاهر تجليات الحق تعالى من حيث حضرات أفعاله سبحانه وكفر أهلها باعتبار رد دعواهم أن بعض مظاهر تجليات تلك الحضرات الأفعالية هي ذات الحق سبحانه على ما هي عليه في الغيب المطلق وهو خطأ محض وجهل وكفر وهذا المعنى هو الذي سدت به تلك الطرق كلها وما انفتحت إلا للمحمديين من ورثة الأولياء فأخذوا منها الألذ الأطيب وهو شهود تجليات حضرات الأفعال الإلهية وتركوا ما أسندت به هذه الطرق من دعاوى ما فوق ذلك من تجليات الذات الإلهية المطلقة مع بقاء شهود آثار أفعالها الكونية فانظر قول الجنيد رضي الله عنه ذلك فإنه لولا اقتفاء أثر الرسول ﷺ لما انفتحت تلك الطرق للسالك في الوصول إلى الله تعالى وفيه إشارة إلى أن طريق الحق ليس طريقًا معينًا منفردًا عن تلك الطرق كلها ولا واحدًا منها بل هو طريق منفتح يوصل من سلك فيه إلى الله تعالى .

وجميع تلك الطرق إذا انفتح شيء منها كان هو طريق الحق وإذا انسد فهو طريق الباطل وانفتاحه بعدم الوقوف فيه عند شيء مطلقًا دون من ليس كمثله شيء وهو السميع البصير والوقوف عند شيء هو الانسداد .

ص : (وقال) . ش : الجنيد البغدادي أيضًا رضي الله عنه . ص : (من لم يحفظ القرآن) . ش : بكلماته ومعانيه وحدوده وأحكامه وظاهره وباطنه ومعارفه وحقائقه وأسراره .

ص : (ولم يكتب) . ش : أي يجمع في طرسه أو نفسه .

ص : (الحديث) . ش : النبوي بلفظه ومعناه وظاهره وباطنه وأسراره وأنواره .

ص : (لا يقتدي) . ش : بالبناء للمفعول أي لا يجوز لأحد من السالكين أن يقتدى .

ص : (به) . ش : أي بمن خلا عن ذلك وهو الجاهل المغرور بالغفلة والقصور .

ص : (في هذا الأمر) . ش : العظيم الذي هو السلوك والوصول إلى الله تعالى وفيه إشارة إلى أنه إذا لم يقتد به لا يلزم أن يكون هو على باطل في نفسه إذ يجوز أن

يفتح الله تعالى على قلب أحد من الناس وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب ولا يعرف قرآنًا ولا حديثًا فيصير عارفًا بالتجليات الإلهية والحقائق الربانية وإذا قرئ عليه القرآن أو الحديث تكلم في معاني ذلك بما يبهر العقول من الفتح لا من النقل وقد وجد كثير على هذه الصفة لكن لا يصلح للاقتداء به وجعله إمامًا في الإرشاد والتسليك وإن كان هو وليًا فإنه ليس بمرشد كما قال تعالى ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [1] إذ الإرشاد يحتاج إلى معرفة أحكام الكتاب والسنة وأساليبهما في المحاولة للأمور بالترغيب والترهيب والأمر والنهي وغير ذلك كمن شدت عيناه بخرقة وأدخل إلى دار فإنه لا يعرف من أين دخل إليها هو حتى يرشد غيره إلى طريق الدخول فيها بخلاف من دخلها مفتوح البصر فإنه يعرف طريقها الموصل إليها فيهتدي السالك بدلالته إلى الوصول إليها .

ص : (لأن علمنا) . ش : هذا الذي هو علم الحقائق الإلهية والمعارف الربانية .

ص : (ومذهبنا هذا) . ش : الذي هو مذهب السلف الصالحين والخلف المتقين .

ص : (مقيد بالكتاب والسنة) . ش : لا يخرج شيء من ذلك عن مقتضاها أصلاً وإن كان متلقى من الفيض والفتح لا من الكتب ولا من أفواه المشايخ لكنه مطابق لمقتضى ذلك إذا حققه العارف وجده كذلك ولم يجهله وينكره على أهله لعدم قدرته على المطابقة بينه وبين الحق النقلي إلا الشقي الهالك قال (الشيخ محيي الدين بن العربي) قدس الله سره في الباب الرابع عشر وثلاثمائة من (كتاب الفتوحات المكية) ثم لتعلم أنه إذا رقت الأولياء في معارج الهمم فغاية وصولها إلى الأسماء الإلهية التي تطلبها فإذا وصلت إليها في معارجها أفاضت عليها من العلوم وأنوارها على قدر الاستعداد الذي جاءت به فلا تقبل منها إلا على قدر استعدادها ولا يفتقر في ذلك إلى ملك ولا رسول فإنها ليست علوم تشريع وإنما هي أنوار فهو فيما أتى به هذا الرسول في وحيه أو في الكتاب الذي أنزل عليه أو الصحيفة لا غير سواء علم ذلك الكتاب أو لم يعلمه ولا سمع بما فيه من التفاصيل ولا يخرج علم هذا الولي عما جاء به ذلك الرسول من الوحي عن الله تعالى وكتابه وصحيفته لابد من ذلك لكل ولي صديق برسوله إلى هذه الأمة

---

(١) [سورة الكهف الآية ١٧] .

فإن لهم من حيث صديقيتهم بكل رسول ونبي العلم والفتح والفيض الإلهي بكل ما يقتضيه وحي كل نبي وصفته وكتابه وصحيفته وبهذا فضلت هذه الأمة على كل أمة من الأولياء فلا يتعدى كشف الولي في العلوم الإلهية فوق ما يعطيه كتاب نبيه ووحيه ، قال الجنيد رحمه الله تعالى في هذا المقام : علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة ، وقال الآخر : كل فتح لا يشهد له الكتاب والسنة فليس بشيء فلا يفتح لولي قط إلا في الفهم في الكتاب العزيز فلهذا قال تعالى : ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ (١) وقال سبحانه في ألواح موسى عليه السلام : ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ (٢) فلا يخرج علم الولي جملة واحدة عن الكتاب والسنة فإن خرج واحد عن ذلك فليس بعلم ولا علم ولاية معًا بل إذا حققته وجدته جهلاً والجهل عدم والعدم ماله وجود محقق وفي (الباب الثاني والتسعين ومائتين) قال رضي الله عنه في علم الإفصاح الإلهي عن درجات القرب الإلهي من حضرة اللسن اعلم أن ذلك معرفة علم الشارع المترجم عن الله تعالى الذي أمرنا بالإيمان بمحكمه ومتشابهه ولنقبل جميع ما جاء به فإن تأولنا شيئًا من ذلك أنه مراد المتكلم في نفس الأمر زال عنا درجة الإيمان فإن الدليل حكم على الخبر فتعطل حكم الإيمان وجاء العلم الصحيح من المؤمن يقول لصاحب هذا الدليل أما القطع منك بأن هذا أعطاك نظرك هو مقصود المفصح بما أفصح به فهو عين الجهل وفقد العلم الصحيح وقد أزال عنك الإيمان والسعادة مرتبطة بالإيمان وبالعلم الصحيح والعلم الصحيح هو الذي يبقى معه الإيمان فعلى العارف أن يبين طريق السعادة نيابة عن الله تعالى في خلقه كنيابة القمر عن الشمس في اتصال النور فالأنبياء عليهم السلام هم التراجمة عن الحق والورثة على مدرجتهم بما يعطيهم الله تعالى من الفهم فيما جاءت به الرسل من كتاب وسنة أ هـ وذكر الشيخ محيي الدين أيضًا في (شرح الوصية اليوسفية) قال : ومريد التربية ما عنده ميزان الشرع إنما ذلك الشيخ الذي يربيه فحقه أن يعرض عرضه أو خياله على الشيخ خاصة والشيخ ينظر في ذلك بما يعلمه من الله فيه والميزان هنا ما أراده الجنيد بقوله : علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة والمعنى في ذلك أن الذي وجدوه من العلم في بواطنهم

---

(١) [سورة الأنعام الآية ٣٨] .

(٢) [سورة الأعراف الآية ١٤٥] وبقيتها : ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ .

والعزم وغير ذلك إنما هو نتيجة عن العمل بالكتاب والسنة وسبب ذلك أن الأمور المفتوح بها على النفوس من جانب الأرواح العلية المسمين في الشرع ملائكة وعند القدماء عقولاً فعالة قد ترد بهذه الأمور على النفوس عند تركها شهوات الطبيعة وخلوصها من أسرها وصفائها برياضة ومجاهدة وصقالة مراتها ينتقش بها فيها جميع ما في العالم فينطق بالغيوب ويعلم ما هو الأمر عليه وسواء كانت هذه النفوس مقيدة بالشرع الخاص على طريق الإيمان به أو لم تكن فإن صفائها يعطي ذلك أي يعطي لحوقها بالأصل الذي صدرت منه فما أخبرت إلا عما أعطاه مقامها ومحلها فقال الجنيد : هذا الحاصل لنا ولأهل الله لم يكن طريقنا فيه طريق القدماء يعني بالنظر الفكري في أصل خلقة النفوس وما أهلت له وإنما سلكنا بما قال لنا الشارع وآمنا به وأخذنا عنه سلوكنا وإن وقعت المشاركة في الفتح والنتيجة فإن أصحاب الأذواق يجدون فرقًا بين الإدراكين بينا ذوقًا ثم إن أهل الله العاملين على الإيمان يكون لهم من الله إلقاءٌ خاص لا يناله أبدًا من لم يكن طريقه الإيمان وبهذا أيضًا يفترق الصفات وهذا قول الجنيد : علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة أي أنه لم يحصل لنا إلا على العمل بكتاب الله وسنة رسوله اهـ . فإذا علمت هذا ظهر لك أن علم الولي مأخوذ من الله تعالى بطريق الإلهام والفتح والفيض لا بطريق التعلم والقراءة والدراسة على المشايخ ومطالعة الكتب ولكن شرطه أن يكون مطابقًا لعلم الكتاب والسنة الذي عند المجتهدين فيما أجمعوا عليه من الحق وقد يخالف ما اختلفوا فيه لعدم تعين الحق عندهم في موضع الاختلاف وهو معنى قول الجنيد رضي الله عنه : علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة لا أن معناه أن الولاية مشروطة بقراءة الكتاب والسنة على المشايخ وتعلم العلوم الظاهرة التي هي مادة الفهم في ذلك عند المحجوبين من أهل الغفلة كما يظنه كثير ممن يطالع هذا الكتاب وغيره فينكر الكمال على أهل الفتح والفيض من الأميين الذين لا يقرأون ولا يكتبون ونحوهم ممن يقرأ ويكتب ولكن لم يشتغل في طلب العلم الظاهر وإن كان ذلك شرطًا في الإرشاد واقتداء المريدين به ليتيقن المطابقة ويصير على بصيرة من أمره فإنها حالة الداعي إلى الله كما قال تعالى : ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ (١) وأما بقية الأولياء ممن لم يقمهم الله تعالى في مقام الدعوة إليه إن اجتمعت عليهم الناس واتخذوهم مشايخًا لا بإذنهم بل للناس في ذلك أغراض ومقاصد

(١) [سورة يوسف الآية ١٠٨] .

فلا يشترط في كونهم أولياء حفظهم لكلمات القرآن ولا كتابتهم للحديث النبوي بل يكفي موافقة علومهم الكشفية لذلك عندهم وعند من يعرف الموافقة بينهما ولا يضر إنكار الجاهل والقاصر لأن المقصود من الكتاب والسنة العمل بمقتضى ما فيهما لا مجرد علمهما فإذا وجد المقصود بتعليم الله تعالى حصل المراد الإلهي ولهذا لما ظن المغرورون بعلم الكتاب والسنة على فرض اتقانهم معرفة ذلك أنهم ممتثلون أمر الله تعالى ونهيه بمجرد علمهم بذلك ومباشرتهم وعظ غيرهم به من غير عمل بشيء منه في أنفسهم وإن عملوا بالبعض ابتدعوا بالزيادة والنقصان ومهدوا لأنفسهم الرخص في تسليك أغراضهم عند الظلمة أنكروا على المستفيدين بالأعمال الصالحة بتوفيق الله تعالى لهم ذلك وإلهامه لهم وفتحه على قلوبهم ما هو الحق والصواب عنده من غير اشتغال بتلك العلوم القولية واستحلوا وجود ذلك إلا بتعلم علمهم وأخذه عنهم والسير على سيرتهم وعلموا لفظ التوفيق وأنكروا معناه في المكلفين الذي هو خلق الطاعة في العباد وجعل العباد موفقين لما هو الحق والصواب عناية من الله تعالى بهم كما وقع لسيد التابعين أويس القرني رضي الله عنه وغيره ممن لا يعرف القراءة ولا الكتابة اتّخذهم الله تعالى أولياء ووفقهم للأعمال الصالحة على طبق الكتاب والسنة من غير تعلم ولا أخذ عن شيخ أصلاً وهؤلاء المنكرون تجسسوا على عباد الله وقد ورد في علمهم حرمة التجسس وكشفوا عورات أهل الإسلام وفي علمهم حرمة ذلك ولم يأولوا ما ظهر لهم من احتمال الخطأ في أقوال المؤمنين وأفعالهم وهم مأمورون بذلك في علمهم الذي يتكبرون به على عباد الله ويقطعون بسببه لأنفسهم بالنجاة من الله يوم القيامة وهلاك غيرهم ممن لا يعلم علمهم المذكور ويسيئون الظنون بكلام المصنف رحمه الله تعالى هنا وكلام غيره من أهل التصانيف المصرحين بالإنكار على من خالف الشريعة ونابذ أحكامها على العموم في كل من خالف ونابذ فتراهم يخصصونهم في إنكارهم فيقذفون قومًا مخصوصين ويلعنونهم ويشتمونهم وينسبون ذلك الصنيع إلى الكتب فيقولون : قال فلان في كتابه كذا وقال فلان في كتابه كذا إنما قال : فيمن هو موصوف بذلك وجميع العالم بأعيانهم عنده بريئون مما قال وإن قال مما هو موجود في زماننا فإن لم يعلم بعينه لا إثم فيه والكتاب والسنة على إنكار المناكر بوجه العموم لا الخصوص لأن الخصوص فضيحة وهتك وسوء ظن وتجسس وكل هذا حرام في علمهم الذي هم يزعمون القيام به .

ص : (وقال) . ش : أبو الحسن . ص : (السري) . ش : ابن المغلس .

ص : (السقطي) . ش : خال الجنيد وأستاذه وكان تلميذ معروف الكرخي كان أوحد زمانه في الورع والأحوال السنية وعلوم التوحيد . ص : (التصوف) . ش : عند السادة الصوفية . ص : (اسم لثلاثة معان) . ش : هي أصول في طريق القوم رضي الله عنهم .

المعنى الأوّل :

ص : (وهو) . ش : أي الصوفي المفهوم من ذكر التصوف . ص : (الذي لا يطفئ نور معرفته) . ش : بالله تعالى . ص : (نور ورعه) . ش : أي امتثاله لأوامر الله تعالى واجتنابه عن نواهيه على أكمل الوجوه وقال القشيري في «رسالته» الورع ترك الشبهات وقال يحيى بن معاذ : الورع الوقوف على حد العلم من غير تأويل . ا هـ . وإنما كان الصوفي قائمًا بالنورين لأن نور المعرفة في القلب يكشف به عن حقائق الموجودات الجسمانية والعرضية ويطلع على حضرات الذات وتجليات الأسماء والصفات ونور الورع في الجسد يعمل به جميع ما أمره الله تعالى أن يعمله به على وجه الكمال ويكف به عن كل ما نهاه الله تعالى عنه بأتم ما يكون فمتى أشكل مراعاة النورين وأشغل عن الآخر الالتفات لأحد الشيئين يكون قد فقد معنى التصوف وزالت حقيقته من التعرف وقال الغزالي في (مشكاة الأنوار) : القلب بيت هو منزل الملائكة والصفات الردية كالغضب والشهوة والحسد والكبر كلاب نابحة فكيف تدخله الملائكة وهو مشحون بالكلاب قال عليه الصلاة والسلام : «إن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه كلب ولا صورة» قال : ولست أقول المراد بلفظ البيت القلب وبالكلب الغضب والصفات المذمومة بل أقول هو تنبيه عليه ودخول من الظواهر إلى البواطن مع تقرير الظواهر فبهذه القضية فارقنا الباطنية فإن هذا طريق الاعتبار ومسلك الأئمة الأبرار ، ومعنى الاعتبار : أن تعتبر مما ذكره إلى غيره فلا تقتصر على ما ذكر ولا تظن أن هذا إلا نموذج بطريق ضرب الأمثال رخصة مني في دفع الظواهر واعتقادي إبطالها حتى أقول مثلاً لم يكن مع موسى نعلان ولم يسمع الخطاب بقوله ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ [1] وحاشا لله فإن إبطال الظواهر رأي الباطنية كما أن إبطال الأسرار مذهب الحشوية فأن الذي يجرد الظاهر حشوي والذي يجرد الباطن باطني والذي يجمع بينهما كامل ولهذا .

---

(١) [سورة طه الآية ١٢].

فامتثل الأمر ظاهرًا بخلع نعليه وباطنًا بطرح العالمين فهذا هو الاعتبار أي العبور من الظاهر إلى السر وفرق بين من يسمع قول النبي ﷺ «إن الملائكة لاتدخل بيتًا فيه كلب» [١] فيقتني الكلب في البيت ويقول ليس الظاهر مرادًا بل المراد تخلية بيت القلب عن كلب الغضب لأنه يمنع المعرفة التي هي من أنوار الملائكة إذ الغضب غول العقل وبين من يمتثل الأمر في الظاهر ثم يقول الكلب ليس كلبًا لصورته بل لمعناه وهو السبعية والضراوة .

وإذا كان حفظ البيت الذي هو مقر الشخص والبدن واجبًا عن صورة الكلب فلئن يجب حفظ بيت القلب وهو مقر الجوهر الحقيقي الخاص عن سر الكلبية أولى فأنا أجمع بين الظاهر والسر فهذا هو الكمال وهو المعنى بقولهم : الكامل من لا يطفئ نور معرفته نور ورعه ، اهـ .

والحاصل أن الكمال هو الجمع بين ظاهر الشريعة وباطن الحقيقة وهو معنى التصوف في قول (السري) [٢] المذكور .

ص : **(و)** ش : المعنى الثاني الصوفي هو الذي .

ص : **(لا يتكلم بباطن)** . ش : أي بحقيقة .

ص : **(في علم)** . ش : من علومه النورانية .

ص : **(ينقضه)** . ش : أي ينقض ذلك الباطن بمعنى يبطله ويظهر فساده .

ص : **(عليه ظاهر الكتاب)** . ش : العزيز أي ما يظهر من معاني القرآن لكل مكلف فإذا لم ينقضه ظاهر الكتاب فهو تصوف صحيح وإن نقضه كان فاسدًا أو الذي

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٣٢٢٦) ، ومسلم رقم (٢١٠٦) ، وأبو داود ٢٦ - كتاب : اللباس (٤٨) - باب : في الصور رقم (٤١٥٣) .
- الترمذي كتاب : الأدب (٤٤) باب : الملائكة لا تدخل رقم (٢٨٠٦) .
- النسائي (١٨٧/٨) كتاب : الزينة باب : التصاوير رقم (٥٣٦٢) .
- أحمد في المسند (٣٠،٢٩،٢٨/٤) ، ابن ماجه (٣٢) - كتاب : اللباس ٤٤ - باب : الصور في البيت رقم (٣٦٤٩) .

(٢) السري السقطي - رحمه الله من كبار أئمة الزهد له ترجمة في طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمي ، سير أعلام النبلاء وتاريخ الإسلام وكلاهما للذهبي .

يأتي منه نقضه هو صاحب التحقيق في العلم الظاهر والعلم الباطن لا كل أحد من الناس فإن نقض القاصر في درجة الكمال لا يعتبر لعدم معرفته بالتطبيق بين بواطن الحقائق وظواهر الشرائع خصوصًا إذا كان لا يعرف إصطلاحات الصوفية في خطاباتهم ومواقع كلامهم فإن قول أبي يزيد البسطامي رضي الله عنه : (سبحاني ما أعظم شأني) (١) مثلاً عند من لم يعرف اصطلاح القوم ولم يكن صاحب تحقيق في علمي الظاهر والباطن منقوض بظاهر القرآن العظيم فإن ذلك دعوى ربوبية منه عند القاصر مع أن أبا يزيد رضي الله عنه عارف رباني وكامل صمداني فلا بد من عالم محقق في العلمين يعرف اصطلاح الفريقين يشرح معنى ذلك على وجه لا يخالف ظاهر القرآن ويكون معنى عظم الشأن والمفهوم من كلام الشيخ محيي الدين بن العربي رضي الله عنه في بعض كتبه أن معنى ذلك كمال التنزيه للحق تعالى وهو تنزيه التنزيه فإنه لما رأى تنزيهه لله تعالى وتسبيحه له عما لا يليق به مخلوق فيه لله تعالى ورآه ظاهرًا منه على حسب استعداده والحق تعالى أعظم وأجل تحقق أن الحق تعالى ظهر له على حسب استعداده بل استعداده ظهر له في حضرة تجلي الحق المطلق فعلم أن تسبيحه لله تعالى وتنزيهه راجع إلى غاية استعداده الظاهر له في مرآة التجلي المطلق فأرجعه إلى استعداده في نفسه وقنع بالعجز عن التنزيه والتسبيح في تنزيه الله تعالى وتسبيحه فقال «سبحاني» ثم لما رأى المنزهين والمسبحين متوجهين بالتنزيه والتسبيح إلى غاية استعداداتهم في التجلي المطلق واستعداده أتم الإستعدات فقال : «ما أعظم شأني» وهو موافق لما في القرآن لا مناقض له وهذا مقدار يليق بهذا الموضوع من معنى كلامه فإذا تكلم أحد من العارفين في هذا الزمان بكلام نظير هذا الكلام ينبغي أن يعرض كلامه على أهل المعرفة الجامعين بين علمي الظاهر والباطن فإنهم يعرفون معناه من غير أن ينقضه ظاهر الكتاب .

وأما القاصرون من علماء الرسوم الذين لا يعرفون إلا ظواهر العلوم فلا عبرة بكونه مناقضًا عندهم لظاهر القرآن لأنهم لا يعلمون إشارات الصوفية ولا مواجيد أهل الكمالات العرفانية فغايتهم أنهم يستنطقون الكلمات بحسب إعرابها ومعانيها اللغوية

---

(١) حاول السيوطي في كتابه (تأييد الحقيقة العلية في تشييد الطريقة الشاذلية) في تبرير هذه العبارة وقد حققته وطبع في دار الجبل ببيروت .ولكن قلنا بأن هذا القول لا يصح من مسلم أن يقول ذلك فهو مناقض لأبسط مبادئ العقيدة الإسلامية .

ويفوتهم الوضع الخاص المسمى بالإصطلاح فيقعوا في سب أهل الكمال وهم قاصرون ويحكموا بتخطئة المصيب وهم لا يشعرون فإن لكل ميدان مجالاً ولكل مجال رجالاً ونظير هذا ما وقع للشيخ أبي الغيث بن جميل قدس الله سره أنه جاء إليه جماعة من الفقهاء فقال لهم : مرحبًا بعبيد عبدي فاشتد إنكارهم عليه فذكروا ذلك للشيخ إسماعيل الحضرمي رضي الله عنه وكان من أهل العلم الظاهر والباطن فقال : صدق أنتم عبيد الهوى والهوى عبده .

ص . **(و)** . ش : المعنى الثالث الصوفي هو الذي . ص : **(لا تحمله الكرامات)** . ش : جمع كرامة وهي الأمور الخارقة للعادة بلا دعوة نبوة . ص : **(على هتك)** . ش : أي عدم احترام . ص : **(محارم الله تعالى)** . ش : أي محرماته التي حرمها تعالى على عباده المكلفين القطعية والظنية وهذا شرط لكونها كرامات فلو انتهك بها محرمًا من المحرمات الشرعية كان مكرًا من الله تعالى واستدراجًا لا كرامات وكونها تقتضي انتهاك محرم من المحرمات يحتاج إلى نظر دقيق من صاحب تحقيق ولا عبرة بنظر القاصرين عن مقاصد الواصلين فإن لله تعالى تلبيسات على الجاهلين بأفعال الكاملين ولا دخل للكاملين في قصد ذلك ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء .

ص : **(وقال أبو يزيد)** . ش : طيفور بن عيسى . ص : **(البسطامي)** . ش : كان جده مجوسيًا وأسلم وكانوا ثلاثة أخوة آدم وطيفور وعلي وكلهم كانوا زهادًا وأبو يزيد كان أجلهم حالاً قيل مات سنة إحدى وستين ومائتين وقيل أربع وستين ومائتين .

ص : **(رحمه الله تعالى لبعض أصحابه)** . ش : من أهل بسطام . ص : **(قم بنا حتى ننظر إلى هذا الرجل الذي قد شهر نفسه بالولاية)** . ش : وشهرة النفس بها كناية عن الدعوة إلى الله بتربية قلوب المريدين فإن كانت بحق كانت محمودة وإن كانت بباطل كانت مذمومة ولما احتملت الأمرين لم يكن هذا الكلام ذمًّا من أبي يزيد لذلك الرجل لعدم قصده الذم ولكن لما غلب عليه حب الخفا كان ذلك عنده على خلاف مشربه فخرج كلامه كذلك وليس فيه تجسس أيضًا منهي عنه لأنه في قصد ظهور لكمال له من ذلك الرجل لينتفع بصحبته ولقياه لا بقصد الاستكشاف عن معايبه .

ص : **(وكان)** . ش : ذلك . ص : **(رجلاً مقصودًا)** . ش : أي تقصده

الناس من كل جهة من جهات الأرض يتبركون به . ص : (**مشهورًا بالزهد**) . ش : والتقوى والدين بين الخاص والعام . ص : (**فمضينا إليه**) . ش : بقصد زيارته والتماس بركته . ص : (**فلما خرج من بيته ودخل المسجد**) . ش : ونحن ننظر إليه قبل أن نكلمه . ص : (**رمى ببزاقه**) . ش : من فمه .

ص : (**تجاه القبلة**) . ش : أي جهتها . ص : (**فانصرف أبو يزيد**) . ش : في الحال حيث رآه فعل كذلك . ص : (**ولم يسلم عليه**) . ش : ولم يكلمه . ص : (**قال**) . ش : لمن كان معه . ص : (**هذا رجل غير مأمون**). ش : أي لم يؤمنه الله تعالى .

ص : (**على أدب**) . ش : واحد .

ص : (**من آداب رسول الله ﷺ**) . ش : وذلك لأنه استهان بالقبلة التي جعل الله تعالى استقبالها شرطًا في صحة الصلاة [1] ، وورد النهي عن استقبالها ببول وغائط ، وكره العلماء مد الرجلين إليها في نوم وغيره وأوجب الله تعالى الطواف بها والطهارة لذلك الطواف وحكم بأنها بيته تعالى تعظيمًا لها وتشريفًا وآداب رسول الله ﷺ مع الله تعالى احترام ما احترمه الله تعالى وانتقاص ما أنقصه واستهان به سبحانه كالكفر والكافرين ومواضع عبادتهم الباطلة ونحو ذلك .

وفي (شرح اليوسفية) للشيخ محيي الدين بن العربي رضي الله عنه إذا رأينا من يدعي في هذه الأمة مقام الدعاء إلى الله على بصيرة ويخل بأدب من آداب الشريعة ولو ظهر عليه من خرق العوايد ما يبهر العقول أن ذلك أدب يخصه لا يلتفت إليه وليس بشيخ ولا بحق فإنه لا يؤمن على أسرار الله تعالى إلا من يحفظ عليه آداب الشريعة ولكن شرطه أن يبقى عليه عقل التكليف فإن طرأ عليه ما يخرجه من عقل التكليف فيسلم إليه حاله ولا يقتدي به ، وهو سعيد وهو في الوقت الذي سلب عنه عقل التكليف بمنزلة الشيخ عندما يموت فكما تقبض روحه على ما كان عليه كذلك يؤخذ عن هذا الموله عقله على ما كان عليه فتبقى سعادته سعادة الميت ولا تدبير لنفسه الناطقة في هيكله لفقد آلاتها فيبقى مثل سائر الحيوانات يدبره روحه الحيواني

---

(١) وقد ورد في الحديث الصحيح نهى رسول الله ﷺ عن البصاق قبل القبلة أخرجه مسلم كتاب : المساجد ومواضع الصلاة باب : النهي عن البصاق في المساجد ٥٢ - (٥٤٨) .

ولا يعترض عليه فإن الله ما كلفه كما أنه لم يكلف الموتى وإن كانوا سعداء فافهم ما ذكرناه لك تسعد ، فإن هذه الحال جهلها أكثر أهل الطريق فكيف عامة الفقهاء فإذا عرفوا ما قلناه لم يقدروا على إنكاره إنما يحجبهم عن ذلك ما يرونه منه من حركاته الطبيعية في أكل وشرب نكاح وشبه ذلك فيقولون كما أنه ينكح ويأكل ويشرب فليصل وتحجبهم الصورة الإنسانية الظاهرة وما يعلمون أنه حيوان في صورة إنسان وأن نفسه الناطقة انتقلت إلى البرزخ انتقال الموتى وإن كان لها التفات إلى هذا الهيكل فمن أجل بلوغ الأجل المسمى الذي للروح الحيواني في كل حيوان يموت فإن الموت إنما هو للحيوان لا للإنسان إلا من كونه حيوانًا فافهم فيعتقدون في مجانين أهل الله ولا يقتدي بهم بخلاف عقلائهم .

ص : **(فكيف يكون)** . ش : ذلك الرجل . ص : **(مأمونًا)** . ش : من قبل الله تعالى . ص : **(على ما)** . ش : أي الذي أو شيء . ص : **(يدعيه)** . ش : من الولاية والزهد فإن الله تعالى لا يؤمن على أسراره وأنواره إلا من آمنه أولاً على الأخلاق المرضية والآداب المحمدية الله أعلم حيث يجعل رسالته والحكمة وضع الشيء في موضعه وهي ملازمة لأفعال الله تعالى لا ينفك عنها فعل من أفعاله تعالى ألبتة وليس من الحكمة وضع الولاية والكمال في المنتهك للحرمة والتارك للآداب بل الحكمة تقتضي عقابه لا ثوابه أو العفو عنه لا المدح منه .

فإن قلت : يمكن أن يكون ذلك الرجل رمى ببزاقه تجاه القبلة خطأ وغفلة من غير تعمد فكيف أنكر عليه أبو يزيد رضي الله عنه حاله ، ولم يحمله على محمل حسن والخطأ مرفوع الإثم كما تقرر في الشرع قلت : وقد فعل أبو يزيد رضي الله عنه كذلك فإنه ما حكم بإثمه ولا نسب إليه فسقًا ولا قال عنه إنه فعل مكروه لاحتمال أن يكون فعل ذلك خطأ منه ، والخطأ لا مؤاخذة فيه ، والمسلم محمول على الكمال في كل حال ولكنه نفى عنه ما يدعيه بلسان حاله حيث دعى الناس إلى الله من الولاية ومقام القرب فإن ذلك قدر زائد مجرد الصلاح والتقوى والديانة ولا يثبت الزائد إلا بعلامة تدل عليه ولم توجد العلامة عند أبي يزيد فلم ينسب إليه ما اشتهر عنه من الولاية من غير طعن فيه ولا انتقاص له وقوله : «غير مأمون على أدب من آداب رسول الله ﷺ» إخبار عن الواقع لا احتقار واستنقاص له ، وحاشا مثل أبي يزيد رضي الله عنه من احتقار أحد من أهل الإسلام .

ص : (وقال) . ش : أبو يزيد البسطامي أيضًا رحمه الله تعالى في غير واقعته المذكورة كما يشير إليه كلام القشيري في (رسالته) . ص : (لو نظرتم) . ش : أيها الناس وهو أبلغ من سمعتم أو ظننتم لكمال الانكشاف . ص : (إلى رجل) . ش : يدعى الولاية وقد . ص : (أعطى) . ش : أي أعطاه الله تعالى .

ص : (من الكرامات) . ش : أي الخوارق للعادة من المشي على الماء وإحياء الموتى وطي المسافات البعيدة في الزمان القليل ونحو ذلك . ص : (حتى تربع في الهوى) . ش : بين السماء والأرض أبلغ من مشى على الهواء لما في المشي من وضع القدمين الموهمين احتمال التمسك بهما . ص : (فلا تغتروا به) . ش : أي لا تستدلوا على ولايته ورفيع جاهه عند الله تعالى بما رأيتموه من ذلك ؛ لاحتمال أن يكون مكرًا من الله تعالى به من حيث لا يعلم هو ولا تعلمون أنتم أيضًا ؛ واستدراجًا له من الله تعالى كما قال تعالى : ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ (١) واستهزاء به من الحق تعالى وسخرية كما قال تعالى : ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ (٢) وقال : ﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ .

ص : (حتى تنظروا) . ش : بتحقق أيضًا وكمال معرفة ولو تمسكًا بالأصل وهو الصلاح ، لأنه يقين وحق مبين من دون تشكيك ولا وسوسة فإن المؤمن مؤمن حقًّا والكافر كافر حقًّا وكذلك الفاسق فاسق حقًّا والصالح صالح حقًّا ولا شك ولا تردد إلا عند أهل القلوب الضعيفة والبصائر المطموسة والزيغ المبين والقصور المهين فإن من لم تظهر مخالفته الموجبة لفسقه ظهورًا تامًّا لا يحتمل التأويل أصلاً من غير تجسس عليه فليس بفاسق وهو ملتحق بأهل العافية . ص : (كيف تجدونه) . ش : بنفوسكم وأنتم تاركون التجسس عنه والوساوس الشيطانية التي يلقيها الشيطان إليكم في حقه ومن غير سماعكم ذلك من الغير إلا إذا حضرتم ثبوته على الوجه الشرعي عند حاكم شرعي فتكونوا وجدتموه ظاهرًا لا حقيقة الوجدان فأنكروه حينئذ ظاهرًا لا حقيقة الإنكار . ص : (عند الأمر) . ش : الإلهي القطعي والظني . ص : (والنهي) . ش : الإلهي كذلك . ص : (وحفظ الحدود) . ش : التي حدها الله تعالى لعباده

(١) [سورة الأعراف الآية ١٨٢] ، [سورة القلم الآية ٤٤] .
(٢) [سورة البقرة الآية ١٥] .

المكلفين في مقدار ماء الطهارة وأعضائها ، وأعداد حركات الصلوات ، وأوقاتها ومقادير جميع العبادات وأوقاتها ومقادير المعاملات وما يجوز منها وما لا يجوز وكيفيات العقائد والقصص الواردة والمواعظ من غير زيادة في شيء من ذلك ولا نقصان منه .

ص : (وأداء) . ش : أي تسليم جميع ما هو المطلوب منه في . ص : (الشريعة) . ش : المحمدية علمًا وعملاً أمرًا ونهيًا وتخييرًا على وجه العدل فيه ، والمراد أن يجد ذلك من يعلمه على حسب ما أجمعت عليه الأمة أو اختلفت فيه فيعلم المجمع عليه والمختلف فيه كله من المذاهب الأربعة الموجودة الآن في الأرض وغيرها أيضًا من مذاهب جميع الصحابة والتابعين ومن بعدهم إذ يحتمل أن ذلك الولي قلد في عمله ذلك مذهبًا ثبتت عنده تلك المسألة فيه بشروطها فعمل بها فلا يجوز إنكارها عليه .

قال الشيخ عبد الرءوف المناوي في (شرح الجامع الصغير) [1] وقد نقل الإمام الرازي إجماع المحققين على منع العوام من تقليد أعيان الصحابة وأكابرهم ، نعم يجوز لغير عامي من الفقهاء تقليد غير الأربعة في العمل لنفسه إن علم نسبته لمن يجوز تقليده وجمع شروطه عنه اهـ. ويحتمل أيضًا أن يكون ذلك الولي مجتهدًا علم من الأدلة ما لم يعلمه غيره والاجتهاد باق إلى يوم القيامة فمن اجتمعت فيه شرائطه ولا يلزمه بيانها . وشروط الاجتهاد عند العارفين من أهل الله تعالى غير شروطه عند أهل الأصول من علماء الظاهر كما نقلته في كتابي : (لمعات البرق النجدي شرح تجليات محمود أفندي) فلا يكاد أحد يجد المخالفة من الولي على وجه اليقين وإنما ينكر الجاهل بجهله ما لم يفعله الولي فيأثم الجاهل لدخوله فيما لا يعرفه ولإنكاره حكم المجتهد الذي أقرّه عليه الله ورسوله ويثاب الولي وترفع درجته .

قال الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي رضي الله عنه في كتابه (شرح الوصية اليوسفية) التي تكلم بها الشيخ علي الكردي على لسان يوسف بن إبراهيم الشافعي

---

(١) «الجامع الصغير» للحافظ جلال الدين السيوطي وشرحه الشيخ عبد الرءوف المناوي في «فيض القدير» ولا خلاف في ذلك بين السلف جميعًا ، فإن الصحابة والتابعين الذين هم أهدى القرون لم يقولوا بمثل هذا الكلام الفاسد ، ولو كان خيرًا لسبقونا إليه ، فإنه لا يجوز القول بحكم شرعي إلا بدليله الثابت من الكتاب والسنة ، فتنبه إلى هذه المخالفات التي وقع فيها المصنف من جراء اتباعه المذهب الصوفية ، وتركه لاتباع السلف الصالح في كل صغير وكبير ، والله الموفق للصواب .

وَيَقْصِدُ جُهْدَهُ أن يدفع عن نفسه الخيالات الردية - يعني في حق شيخه - كيلا يحرم المنفعة به فإن الشيطان لا يزال يلقي إلى نفس المريد في شيخه ما يكرهه إليه ولهذا بعض المريدين المحرومين يعترضون على شيوخهم بما يرونه من حركاتهم ولا سيما إن كان لظاهر الشريعة التي عليها فقهاء الزمان على تلك الحركة حكم مقرر عندهم ولا سيما عند صاحب المذاهب الأربعة وما علم أن الشيخ من المحال أن يحلل ما حرم الله أو يحرم ما أحل الله أو يحكم بما لم يحكم الله به فيما يفتى فيه أو يدل عليه مريده أو يفعله الشيخ على طريقة الحل وهو محرم في حكم الله تعالى على لسان النبي ﷺ الواصل إلينا بشرع الله فإنهم رضي الله عنهم قد يصح عندهم من طريق الكشف عن رسول الله ﷺ مشافهة منه إليهم أو إلهامًا من الله عز وجل أو إلقاء في قلوبهم على الطريقة المعهودة التي لأولياء الله مع الله في تلقياتهم أن حكم الرسول عن الله في ذلك الأمر هو هكذا لا ما حكمت به المذاهب الأربعة أو مذهب ما وإن كان الله قد قرر ذلك الحكم بالنظر إلى ذلك المجتهد ومن قلده ، وقد رأيت رسول الله ﷺ فسألته في المطلقة بالثلاث في المجلس الواحد كيف حكمه عندك يا رسول الله فقال : «هي ثلاث» كما قال : «فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجًا غيره» فقلت له : فإن جماعة من أهل الظاهر حكموا أنها واحدة ، فقال : «هؤلاء حكموا بما وصل إليهم وأصابوا ، وحكمي أنا في المسألة ما ذكرته لك ....» في رؤيا طويلة [1] فمن ذلك الوقت صرت أقول بهذا الحكم عن رسول الله ﷺ ولا يلزم الشيخ مع هذا الكشف تقليد إمام في اجتهاده كما لا يلزم المجتهد تقليد مجتهد آخر في مسألة مع اجتهاده ولا يحل لمجتهد أن يحكم في نازلة باجتهاده على طريق فرض الوقوع حتى تنزل فإذا نزلت تعين الحكم منه فيها بما يؤيده إليه اجتهاد فإن نزلت مرة ثانية ويسأل فيها استأنف الاجتهاد أيضًا في الحكم فإن وافق الأول كان ، وأفتى به عن هذا الاجتهاد وإن لم يوافق وحكم بأمر آخر في تلك النازلة حرم عليه أن يحكم فيها إلا بما ظهر له الآن مع صحة الأول في وقته لا في هذا الوقت ؛ ولذلك كان يقول مالك بن أنس إذا سئل في مسألة : هل نزلت ؟ فإن قيل له نعم نظر وأفتى وإن قيل له لم تنزل ولكن فرضنا نزولها كان لا يفتى فيها بشيء إلا أن ، تنزل فانظر إلى تحري هذا الإمام رضي الله عنه فمتى رأيت المريد يزن الشيخ وحركاته بميزان الشرع المقرر عنده من اجتهاده أو من تقليده لإمام فاعلم أن المريد في إدبار لا يفلح أبدًا

(١) لا تؤخذ الأحكام الشرعية من المنامات . وهذا ما ثبت عند علماء أصول الفقه .

فلذلك قال الشيخ - يعني : علي الكردي ، على لسان يوسف بن إبراهيم الشافعي في وصيته هذه المقالة في الخواطر الردية :- هذا في تحليل محرم أو تحريم محلل وأما أن لا يعصى الشيخ فذلك لا يمكن أن يقطع به في حق أحد لا شيخ ولا غيره فإن أبا يزيد قيل له : أيعصى العارف ؟ قال : «وكان أمر الله قدرًا مقدورًا» . فينبغي للمريد أن لا يصحب شيخًا على طريق العصمة وإنما يصحبه على طريق العلم بطريق الله ولينظر في أقواله وفتياه لا في أفعاله ولذلك قال الله تعالى : ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ [(١)] وما أمرنا أن نتأسى بأفعالهم لعدم فرض العصمة فيهم ، وقال في حق الأنبياء لما عصمهم الله تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ وقال تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [(٢)] فإنا نتبع الرسول في جميع أفعاله إلا ما نص علينا من أفعاله التي يختص بها ولا يجوز لنا فعلها . واعلم أن هذا من أعظم الأدوية لهذه العلة التي نظر أعلى المريد من الشيطان ولا شك أن النفس الخبيثة تقبل على الفور مثل هذا الإلقاء بما تراه من حكم الشيخ عليها وهي بالطبع لا تريد أن تكون محكومة لأحد فإذا أخطر لها إبليس في الشيخ خاطرًا رديًا قبلته من حينها إلا أن يوفقها الله ولقد خدم صادق شيخًا فرآه قد زنى بإمراة وعلم الشيخ أن المريد قد رآه ثم رأى المريد يبالغ في خدمته كما كان وما تغير عليه من حاله شيء فقال له الشيخ يا فلان أنت قد رأيتني قد وقع مني ما وقع وثبت على طريقك في خدمتي فقال يا سيدي ما صحبتك على أنك معصوم عن المعاصي وإنما صحبتك أنك عالم بطريق الله الذي فيه رشدي وأنت مع نفسك بحسب ما قدر الله عليك فقال الشيخ : مثلك من يدعى أنه يخدم .

قلت : ذكر شيخنا أن بعض من روى هذه الحكاية قال : إنّ ما وقع من الشيخ المذكور كان اختبارًا للمريد ولم يكن ما وقع منه زنا في نفس الأمر ، وقد جرى لنا مثل هذا مع بعض شيوخنا وكنا معه مثل هذا المريد ووالله ما تغير لي باطن ولا قلب على شيخ من أجل حركته وسكونه وإني ما صحبته إلا أنه ينصحني فيما يلقي إلي وأن أقتدى بكلامه لا بفعله وكل مريد خرج عن هذه القضية فإنه لا يجيء منه رجل أبدًا . ثم لتعلم أن لله عبادًا قد قيل لهم افعلوا ما شئتم فقد غفرت لكم فما يدريك أن هذا الشيخ

---

(١) [سورة النحل الآية ٤٣ ، وسورة الأنبياء الآية ٧] .

(٢) [سورة الأحزاب الآية ٢١] .

منهم [١] وباب المريد حسن الظن لا سوء الظن وأعلم أن الله عز وجل إذا فتح على عبد في باطنه بسوء ظن بأحد من خلق الله فإن ذلك من مقت الله به ومن عمى بصيرته ومن فرض العصمة لأحد فذلك غاية الجهل بالله ، والمعاصي لا تغير مسلمًا ولا يتغير لها وإن كره فيكره الفعل لا الفاعل فإن سلطان الإيمان أقوى فإنه يكفيه في المعصية من الطاعة اعتقاده أنها معصية فالناصح نفسه ينبغي له أن يحمي باطنه من الخواطر الردية في حق المؤمنين والكافرين في الوقت لأنه لا يدري بماذا يختم لهذا الكافر المعين بالكفر في الوقت وإنما يكره الكفر من حيث هو كفر لا هذا الكافر فكيف المؤمن وكل من أساء الظن بأحد من خلق الله بلا خلاف أنه ممقوت من الله وذلك بدء والحرمان وطريق الخسران وقد قال ﷺ (طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس) [٢] وأي عيب أعظم من سوء الظن بالناس وهل يكون ذلك إلا من مراقبة هذا المحروم لحركات الناس فلو اشتغل بنفسه ما تفرغ إلى النظر في غيره كما قال بعض شيوخنا :

وفي النفس لي شغل ... عن الغير شاغل

فرحم الله هذا الشيخ بما أوصى به ولقد وصى بخير كثير .

ص : **(وقال أبو سليمان)** . ش : عبد الرحمن بن عطية . ص : **(الداراني)** . ش : نسبة إلى داريا قرية من قرى دمشق مات بها سنة خمس عشرة ومائتين رحمه الله تعالى ورضي عنه . ص : **(ربما)** . ش : لإفادة التقليل إشارة إلى أن الغالب أنه يجد في الوقت شاهدين من الكتاب والسنة على ما يقع في قلبه أو في ثاني الوقت دون المدة المذكورة . ص : **(تقع في قلبي)** . ش : بطريق الفيض من حضرة ربي . ص : **(النكتة)** . ش : مشتقة من النكت بالتاء المثناة الفوقية وهو أن ينكت في الأرض بقضيب أي يضرب فيؤثر فيها والنكتة كالنقطة قاله الجوهري وفي (القاموس) [٣] :

---

(١) قلت : وإنما قيل ذلك في أهل بدر ، لما علم الله أنهم يستقيمون على الطريقة الصحيحة ويختم لهم بالخير .

(٢) أخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/٣٤٤) رقم (١٣٨٥) عن أنس بن مالك . مطولاً وقال هذا ليس من كلام رسول الله ﷺ قال ابن حبان : سمعه أبان من الحسن فجعله عن أنس وهو يعلم وقال يحيى : أبان ليس بشيء . وقال شعبة : يكذب على رسول الله ﷺ... لأن أزني أحب إلي من أن أحدث عنه.

(٣) القاموس المحيط (١/١٦٥ نكت) باب التاء فصل النون .

النكتة بالضم النقطة والجمع نكات كبرامٍ ، اهـ. وكأنها سميت بذلك لأنها تنكت في القلب أي تؤثر فيه بلطف بلاغتها . ص : (من نكت) . ش : جمع نكتة . ص : (القوم) . ش : وهم أهل التحقيق من السادة الصوفية والمراد مما يفتح الله تعالى على قلوبهم بطريق الفيض والإلهام من المعارف والأسرار الإلهية . ص : (أيامًا) . ش : أقلها ثلاثة فيتردد في قبول ذلك الواقع في قلبه أو عدم قبوله والمبادرة إلى رده حرصًا على المحافظة على الاتباع واحترازًا من الوقوع في الابتداع . ص : (فلا أقبل) . ش ذلك الواقع في قلبي . ص : (منه) . ش : أي من قلبي . ص : (إلا بشاهدين) ش : أي دليلين مثبتين معنى النكتة . ص : (عدلين) . ش : أي موثقين ليس مطعونًا فيهما الأول : . ص : (من الكتاب) . ش : أي القرآن العظيم وهو متواتر لا ضعف في سنده إلا من القراءات الشاذة والتفسير الغريب . ص : (و) . ش : الثاني من . ص : (السنة) . ش : النبوية المحمدية ومنها الصحيح وغير الصحيح وفي (العقد النضيد في تحقيق كلمة التوحيد) لابن الهايم رحمه الله تعالى قال العلماء من المحدثين والفقهاء وغيرهم : يجوز ويستحب العمل في الفضائل والترغيب والترهيب بالحديث الضعيف ما لم يكن موضوعًا ، اهـ.

ومعنى كونه لا يقبل ذلك إلا بشاهدين عدلين من الكتاب والسنة على حسب ما يفتح له في معاني الكتاب والسنة ولا يلزم أن يذكر ذلك الدليل الذي فتح عليه فيه حتى يعلمه غيره ولا أن يفتح لغيره ما فتح له فيعلمه به والمقصود بيان أن عمله مقيد بالكتاب والسنة كما سبق عن الجنيد البغدادي رضي الله عنه ، وأهل الفتح والإلهام يجدون في الكتاب والسنة من المعاني الصحيحة والأحكام الرجحية ما لا يجده غيرهم من علماء الرسوم المتحكمين فيما يجدونه بالمفهوم فإن صفاء البصائر وسلامة السرائر يكشف الأسرار الخفية ويورد على القلب المعارف الإلهية فلا يتأتى نقد أحوالهم إلاّ لأمثالهم باعتبار نظرهم في الوقائع بالله واتكالهم في الاطلاع على الله كما قال عليه السلام : (احذروا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله) [١] ونظر علماء الغفلة والحجاب بأنفسهم المغموسة وبصائرهم المطموسة فإن إيمانهم قاصر وعقلهم حاضر فكشفهم أنوار الشمس والقمر والنجوم من أعظم المنن عليهم فلا يطمعون مع نقصانهم الذي هم فيه

---

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (١٠/٢٨١) وانظر : الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٤/١٠٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/٤٦١) .

في كشف حقائق العلوم وهو من عدل الحي القيوم وحيث تسلطوا بسوء الظن وبذاءة اللسان على من يعلمهم الله تعالى من أهل ولايته الذين لحومهم سموم والله يفصل بين الظالم والمظلوم .

ص : **(وقال)** . ش : أبو الفيض . ص : **(ذو النون المصري)** . ش : واسمه ثوبان بن إبراهيم وقيل : الفيض بن إبراهيم ، وكان أبوه نوبيًا توفى سنة خمس وأربعين ومائتين [١] . ص : **(رحمه الله تعالى ومن علامات المحبة)** . ش : من الإنسان . ص : **(لله تعالى متابعة حبيب الله محمد عليه الصلاة والسلام)** . ش : ظاهرًا وباطنًا . ص : **(في أخلاقه)** . ش : أي طبائعه وعاداته ﷺ فإنها من أعظم الأخلاق كما قال الله تعالى : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [٢] . ص : **(وأفعاله)** . ش : التي كان يفعلها من القيام بحقوق الله تعالى عليه وحقوق الخلق والنصرة لدين الله تعالى . ص : **(وأوامره)** . ش : من قبل الله تعالى بالفعل قطعًا أو ظنًا وبالكف كذلك فتدخل الفروض والواجبات والمحرمات والمكروهات . ص : **(وسننه)** . ش جمع سنة وهي طريقته وسيرته ﷺ التي كان عليها من تلقاء نفسه فيما لم يأمره الله تعالى به وأوحى به تعالى إليه باطنًا قال الإمام القسطلاني في (المواهب اللدنية) : اعلم أن محبة الله تعالى على قسمين : فرض وندب .

فالفرض : المحبة التي تبعث على امتثال الأوامر والانتهاء عن المعاصي والرضا بما يقدره فمن وقع في معصية من فعل محرم أو ترك واجب فلتقصيره في محبه الله تعالى حيث قدم هوى نفسه والتقصير يكون مع الاسترسال في المباحات والاستكثار منها فيورث الغفلة المقتضية للتوسع في الرجاء فيقدم على المعصية .

والندب : أن يواظب على النوافل ويتجنب الوقوع في الشبهات والمتصف بذلك في عموم الأوقات والأحوال نادر . وفي البخاري من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه قال : «ما تقرب إليَّ عبدي بمثل أداء ما افترضته عليه» ، وفي رواية «بشيء أحب إليَّ من أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى

---

(١) قال القشيري عنه في الرسالة القشيرية ص ١٠.
أوحد وقته علماء وورعًا وحالاً وأدبا . سعوا به إلى المتوكل فاستحضر من مصر فلما دخل عليه وعظه فبكى المتوكل وردّه إلى مصر مكرمًا ....وكان رجلاً نحيفًا تعلوه حمرة ليس بأبيض اللحية .

(٢) [سورة القلم الآية ٤] .

أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءلته» واستفيد من قوله (وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي من أداء الفرائض) [١] أحب الأعمال إلى الله تعالى وعلى هذا فقد استشكل كون النوافل تنتج المحبة ولا تنتجها الفرائض وأجيب بأن المراد من النوافل إذا كانت مع الفرائض مشتملة عليها ومكملة لها ويؤيده أن في رواية أبي أمامة : «يا ابن آدم إنك لن تدرك ما عندي إلا بأداء ما افترضته عليك» [٢] أو يجاب بأن الإتيان بالنوافل لمحض المحبة لا لخوف العقاب على الترك بخلاف الفرائض وقال الفاكهاني : معنى الحديث أنه إذا أدى الفرائض وداوم على إتيان النوافل من صلاة وصيام وغيرهما أفضى به ذلك إلى محبة الله تعالى .

وقد استشكل أيضا كيف يكون البارئ جل وعلا سمع العبد وبصره إلى آخره وأجيب بأجوبة . ١ - منها : أنه ورد على سبيل التمثيل والمعنى كنت سمعه وبصره في إتيان أمري فهو يحب طاعتي ويؤثر خدمتي كما يحب هذه الجوارح .

- ومنها : أن المعنى أن كليته مشغولة بي فلا يصغى بسمعه إلا إلى ما يرضيني ولا يرى ببصره إلا ما أمرته به . ٣ - ومنها : أن المعنى كنت له في النصرة كسمعه وبصره ويده ورجله في المعاونة على عدوه . ٤ - ومنها : أنه على حذف مضاف كنت حافظ سمعه الذي يسمع به فلا يسمع إلا ما يحل سماعه وحافظ بصره كذلك إلى آخره . قاله الفاكهاني . ٥ - قال : ويحتمل معنى آخر أرق من الذي قبله وهو أن يكون بمعنى مسموعه لأن المصدر قد جاء بمعنى المفعول مثل فلان أملي بمعنى مأمولي والمعنى أنه لا يسمع إلا ذكرى ولا يلتذ إلا بتلاوة كتابي ولا يأتمن إلا بمناجاتي ولا ينظر إلا في عجائب ملكوتي ولا يمد يده إلا بما فيه رضائي ورجله كذلك ، وقال غيره : اتفق العلماء ممن يقتدى بقوله على أن هذا مجاز وكناية عن نصرة العبد وتأييده وإعانته حتى كأنه سبحانه تنزل عنده منزلة الآلات التي يستعين بها ولهذا وقع في رواية : (فبي

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب : الرقائق (٣٨) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب : الرقائق (٣٨) .

يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي) وقال الخطابي : عبر بذلك عن سرعة إجابة الدعاء والنجح في الطلب وذلك أن مساعي الإنسان كلها إنما تكون بهذه الجوارح المذكورة وعن أبي عثمان الحيري أحد أئمة الطريق قال : معناه كنت أسرع إلى قضاء حوائجه من سمعه في الاستماع وعينه في النظر ويده في اللمس ورجله في المشي كذا أسنده عنه البيهقي في الزهد ، اهـ . وأحسن ما رأيت في قريب من معنى ذلك ما قرأته بخط أبي الطيب الغزي رحمه الله تعالى وهو : فإن قيل : كيف يجوز أن يتصف المخلوق بصفات الخالق ولا حلول بينهما ولا اتصال ؟ الجواب : انظر كيف تكس النار صفتها بالماء بواسطة الحجاب فيعود الماء في صورة ماء وفي المعنى نارًا فيفعل فعل النار في إحراقها من غير أن تتحيز النار في ذات الماء ولا اتصلت به ولا مازجته ولا جانسته فهي متصلة بالصفات منفصلة بالذات وما ذلك إلا أنه بواسطة الماء من النار كسته صفتها فصار محرقًا فكذلك لطف الله سبحانه وتعالى بواسطة قرب عبده منه وإقباله عليه كساه الله تعالى صفته الباقية من غير تحيز ولا اتصال «ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون» وأنشد في المعنى :

سلم إذا ذكر اتحادا عاشق ... وأفطن فطون المرء ليس يزيد
فالنار يدخلها الحديد فيغتدي ... نارًا وذاك معاين مشهود
فإذا تخلى عن مقام وصالها ... فالنار نارٌ والحديد حديد

وفي (المواهب اللدنية) : تضمن هذا الحديث الشريف الإلهي الذي حرام على غليظ الطبع كثيف القلب فهم معناه . والمراد به حصر أسباب محبته تعالى في أمرين : أداء فرائضه والتقرب إليه بالنوافل وأن المحب لا يزال يكثر من النوافل حتى يصير محبوبًا لله تعالى فإذا صار محبوبًا لله تعالى أوجبت محبة الله له محبة أخرى فيه لله فوق المحبة الأولى فشغلت هذه المحبة قلبه عن الفكر والاهتمام لغير محبوبه وملكت علية روحه ولم يبق فيه سعة لغير محبوبه البتة فصار ذكر محبوبه وحبه ومثله الأعلى مالكًا لزمام قلبه مستوليًا على روحه استيلاء المحبوب على محبه الصادق في محبته الذي قد اجتمعت قوى حبه كلها له ولا ريب أن هذا المحب إن سمع سمع بمحبوبه وإن أبصر أبصر به وإن نظر نظر به وإن مشى مشى به فهو قلبه ونفسه وأنيسه وصاحبه والباء هنا للمصاحبة وهي مصاحبة لا نظير لها ولا تدرك بمجرد الإخبار عنها بها فالمسألة حالية لا

علمية محضة . قال : ولما حصلت الموافقة من العبد لربه في محابه حصلت موافقة الرب لعبده في حوائجه ومطالبه فقال «ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه» أي كما وافقني في مرادي في امتثال أوامري والتقرب إلى محابي فأنا أوافقه في رغبته ، ورغبته فيما يسألني أن أفعله به ويستعيذني أن يناله وقوى أمر هذه الموافقة من الجانبين حتى اقتضى تردد الرب سبحانه في إماتته عبده ؛ لأنه يكره الموت والرب تعالى يكره ما يكره عبده ويكره مساءلته فمن هذه الجهة يقتضي أن لا يميته ولكن مصلحته في إماتته فإنه ما أماته إلا ليحييه ولا أمرضه إلا ليصحه ولا أفقره إلا ليغنيه ولا منعه إلا ليعطيه ولم يخرجه من الجنة في صلب أبيه إلا ليعيده إليها على أحسن أحواله فهذا هو الحبيب في الحقيقة لا سواه .

وقال الخطابي : **التردد في حق الله تعالى غير جائز والبدأ عليه في الأمور غير سائغ ولكن له تأويلان :**

أحدهما : أن العبد قد يشرف على الهلاك في أيام عمره من داء يصيبه وفاقة تنزل به فيدعو الله فيشفيه منها ويدفع عنه مكروها فيكون ذلك من فعله كتردد من يريد أمرًا ثم يبدو له فيه فيتركه ويعرض عنه ولابد له من لقائه إذا بلغ الكتاب أجله ولأن الله تعالى قد كتب الفناء على خلقه واستأثر بالبقاء لنفسه .

والثاني : أن يكون معناه ما رددت رسلي في شيء أنا فاعله كترددي إياهم في نفس المؤمن ، كما روى في قصة موسى عليه السلام (وما كان من لطمه عين ملك الموت) [1] وتردده إليه مرة بعد أخرى ، قال : وحقيقة المعنى على الوجهين عطف الله على العبد ولطفه به وشفقته عليه . وقال الكلاباذي ما حاصله : إنه عبّر عن صفة الفعل بصفة الذات يعني باعتبار متعلقها أي عن الترديد بالتردد وجعل متعلق الترديد اختلاف أحوال العبد من ضعف ونصب إلى أن تنتقل محبته في الحياة إلى محبته للموت فيقبض على ذلك ، قال : وقد يحدث الله في قلب عبده من الرغبة فيما عنده والشوق إليه والمحبة للقائه ما يشتاق معه إلى الموت فضلاً عن إزالة الكراهة عنه وبالجملة فلا حياة للقلب إلا بمحبة الله ومحبة رسوله ولا عيش إلا عيش المحبين الذين

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٤٢/٤) ٤٣ - كتاب : الفضائل ٤٢ - باب : من فضائل موسى ﷺ رقم ١٥٧ - (٢٣٧٢) عن أبي هريرة .

قرت أعينهم بمحبوبهم وسكنت نفوسهم إليه واطمأنت قلوبهم واستأنسوا لقربه وتنعموا بمحبته ففي القلب طاقة لا يسدها إلا محبة الله ورسوله ومن لم يظفر بذلك فحياته كلها هموم وغموم وآلام وحسرات . قال صاحب (المدارج) : ولن يصل العبد إلى هذه المنزلة العلية والمرتبة السنية حتى يعرف الله ويهتدي إليه بطريق توصله إليه ويخرق ظلمات الطبع بأشعة البصيرة فيقوم بقلبه شاهد من شواهد الآخرة فينجذب إليها بكليته ويزهد في التعلقات الفانية ويرغب في تصحيح التوبة والقيام بالمأمورات الظاهرة والباطنة وترك المنهيات الظاهرة والباطنة ثم يقوم حارسًا على قلبه فلا يسامحه بخطرة يكرهها الله تعالى ولا بخطرة فضول لا تنفعه فيصفو لذلك قلبه وخواطره وحديث نفسه على إرادة ربه وطلبه الشوق إليه فإذا صدق في ذلك رزق محبة الرسول واستولت روحانيته على قلبه فجعله إمامه وأستاذه ومعلمه وشيخه وقدوته كما جعله الله نبيه ورسوله ، وهاديه فيطالع سيرته ، ومبادئ أموره ، وكيفية نزول الوحي إليه ، ويعرف صفاته وأخلاقه وآدابه وحركاته وسكونه ويقظته ومنامه وعبادته ومعاشرته لأهله وأصحابه إلى غير ذلك مما منحه الله تعالى حتى يصير كأنه معه من بعض أصحابه فإذا رسخ في قلبه ذلك فتح عليه بفهم الوحي المنزل عليه من ربه بحيث إذا قرأ السورة شاهد قلبه ماذا نزلت فيه ، وماذا أريد بها وحظه المختص بها منها من الصفاء في الأخلاق والأفعال المذمومة فيجتهد في التخلص منها كما يجتهد في الشفاء من المرض المخوف .

ولمحبة الرسول ﷺ علامات كثيرة من اتصف بها فهو كامل المحبة لله ورسوله ومن خالف بعضها فهو ناقص المحبة ولا يخرج عن اسمها بدليل قوله عليه السلام للذي حده في الخمر لما لعنه بعضهم وقال : ما أكثر ما يؤتى به فقال ﷺ : (لا تلعنوه فإنه يحب الله ورسوله) [1] فأخبر أنه يحب الله ورسوله نفى وجود ما صدر منه ، وفيه الرد على من زعم أن مرتكب الكبيرة كافر لثبوت النهي عن لعنه وثبوت الأمر بالدعاء له ، وفيه أنه لا تنافي بين ارتكاب النهي وثبوت محبة الله ورسوله في قلب المرتكب وأن من تكررت منه المعصية لا تنزع منه محبة الله ورسوله ، اهـ .

وذكر في (فتح الصفا شرح الشفا) لابن أقبرس ، في لزوم محبة الله تعالى ورسوله والاقتداء بالسنة النبوية والاتباع لجميع الأحكام الشرعية قال : والمراد باللزوم هنا :

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٨/٨ ط الشعب) البغوي في شرح السنة (٣٣٧/١٠) .

اللزوم عند أهل المحبة التي ينتهي الحال فيها عندهم إلى مقام الفناء فيها وسلب الاختيار مع المحبوب فهذه هي المحبة التي يلزمها ذلك وهذه محبة الخواص وأما محبة العوام فهي : الواقع فيها التفاوت بالشدة والضعف إلى أن ينتهي الحال فيها إلى الذرة المشار إليه بقوله عليه السلام : (يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان) (١) وقد دل عليه حديث الرجل الذي حده النبي ﷺ في الخمر حيث : (نهى عن لعنه وأخبر بكونه يحب الله ورسوله) (٢) فأثبت له المحبة مع المعصية ، فإن قلت : فما معنى قوله عليه الصلاة والسلام : (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن) (٣) .

قلت : هو محمول على كمال الإيمان لا سيما على مذهب من يطلق الإيمان على الأعمال .

ص : (وقال) . ش : أبو نصر . ص : (بشر) . ش : ابن الحارث . ص : (الحافي) . ش : أصله من مرو فسكن بغداد ومات بها سنة سبع وعشرين ومائتين . ص : **(رحمه الله تعالى رأيت النبي ﷺ في المنام فقال لي : يا بشر هل تدري بما**

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٢/٤٠٣) .

(٢) أخرجه البخاري (٨/١٩٨ ط الشعب) ، عبد الرزاق في مصنفه (١٣٥٥٢) ، البغوي في شرح السنة (١٠/٣٣٧) .

(٣) أخرجه البخاري (٥/١١٩ فتح) ٤٦ - كتاب : المظالم ٣٠ - باب : النهي بغير إذن صاحبه رقم (٢٤٧٥) .

مسلم (١/٧٦) ١ - كتاب الإيمان ٢٤ - باب : نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفي كماله رقم ١٠٠ - (٧٥) .

- أبو داود (٢/٦٥) ٣٤ - كتاب السنة ١٦ - باب : الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه رقم (٤٦٨٩)

- الترمذي (٥/١٨) ٤١ - كتاب : الإيمان ١٢ - باب : ما جاء في أن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده رقم (٢٦٢٧) قال : وفي الباب : عن جابر ، وأبي موسى ، وعبد الله بن عمرو .

- النسائي (الصغرى) كتاب : الإيمان باب : صفة المؤمن

الكبرى (٤/٢٦٨) باب : تعظيم الزنا رقم (٧١٣١) تحفة الأشراف رقم (١٤٨٦٣) .

- ابن ماجة (٤/٣٦٠) ٣٦ - كتاب : الفتن ٣ - باب : النهي عن النهبة رقم (٣٩٣٦) قال السندي في شرحه على ابن ماجة «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» هذا وأمثاله ، حَمَل العلماء على التغليظ أو على كمال الإيمان ....إلخ .

رفعك الله تعالى) . ش : في الدنيا والآخرة . ص : **(من بين أقرانك)** . ش : أي المماثلين لك في زمانك . ص : **(قلت لا يا رسول الله)** . ش : يعني لا أعرف السبب في ذلك . ص : **(قال)** . ش : رسول الله ﷺ رفعك الله . ص : **(باتباعك لسنتي)** . ش : ظاهرًا وباطنًا على وجه اليقين والإخلاص . ص : **(وخدمتك)** . ش : باعتقاد قلبك وعمل جوارحك وثناء لسانك ومحاماته وتأويل ما يحتمل الخطأ . ص : **(للصالحين)** . ش : من أهل الخصوص والعموم والصالح كل من لم يتحقق فسقه وعصيانه ولا عبرة بالشك والظن السوء من أول وهلة فاسق وكذا المتجسس والقاصد فضيحة أخيه والذي يحب أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا فلا عبرة بأقوالهم وشهاداتهم شرعًا ، وقال الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي قدس الله سره في كتابه (روح القدس) ولم أزل أبدًا والحمد لله أجاهد الفقهاء في حق الفقراء السادة حق الجهاد وأذب عنهم وأحمى وبهذا فتح لي ومن تعرض لذمهم والأخذ فيهم على التعيين فإنه لا خفاء بجهله ولا يفلح أبدًا ، اهـ .

وقد احترز بقوله على التعيين من الأخذ فيهم على طريقة العموم من غير تخصيص أحد منهم بعينه تنبيهًا على النوع الفاسد منهم من غير خصوصية ليعلم المكلف أن فيهم الدخيل فيتحذر ويكون على يقظة كما هو عادة غالب الفقهاء المتقدمين ومنهم المصنف لهذا الكتاب رحمه الله تعالى بخلاف فقهاء زماننا الذين يأخذون الكلام العام الصادر من الأولين ويخصصون به فقراء زمانهم ويتحكمون فيهم بظنونهم السيئة ولهذا قال فيمن يفعل كذلك : (فإنه لا خفاء بجهله ولا يفلح أبدًا) ، اهـ .

ص : **(ونصيحتك لإخوانك)** . ش : المسلمين بتبيين ما يصلح عقائدهم وأقوالهم وأفعالهم وأحوالهم على طبق السنة من غير تخصيص أحد بعينه مخافة احتمال فهمه أنه بخلاف ذلك فيتأذى واختفاء لأثر الكتاب والسنة في كيفية ذلك البيان . ص : **(ومحبتك لأصحابي)** . ش : كلهم من غير طعن في أحد منهم مع السكوت عما وقع بينهم من الحروب والمخاصمات والقطع بأن ذلك كله اجتهاد منهم في الدين مثابون عليه وإن أخطأ بعضهم فيه . ص : **(و)** . ش : محبتك . ص : **(لأهل بيتي)** . ش : أي ذريتي وأقربائي من أولاد فاطمة وعلي وجعفر وعقيل وأولاد العباس وحمزة رضي الله عنهم وقد سبق بيانهم . ص : **(هو)** . ش : أي مجموع ما ذكر من الأمور الأربعة اتباع السنة وخدمة الصالحين ونصيحة الإخوان ومحبة الأصحاب وأهل البيت . ص :

(الذي بلغك) . ش : أي أوصلك . ص : (منازل) . ش : جمع منزل وهو موضع النزول وهي الأحوال والمقامات التي تنزلها في القرب الإلهي جملة . ص : (الأبرار) . ش : جمع بر وهو الصادق في معاملة الحق والخلق . ص : (وقال أبو سعيد). ش: أحمد بن عيسى . ص : (الخراز) . ش : من أهل بغداد مات سنة سبع وسبعين ومائتين رحمه الله تعالى . ص : (كل) . ش : أمر . ص : (باطن) . ش : أي من علم الباطن وهو علم الحقائق الإلهية والمعارف الربانية . ص : (يخالفه) . ش : أمر . ص : (ظاهر) . ش : أي من الظاهر وهو علم الشرائع النبوية والأحكام المحمدية . ص : (فهو) . ش : أي ذلك الأمر الباطن شيء . ص : (باطل). ش: لا اعتبار له ؛ لأنه وسوسة شيطانية وزخرفة نفسانية حيث خالف الظاهر وهذه المخالفة لا يعرفها غير أهل التحقيق في علمي الظاهر والباطن ولا اعتبار بعلم القاصرين لها فإنهم ربما ينكرون المعروف زعمًا منهم بأنه مخالفة خصوصًا من لم يعرف اصطلاح الصوفية في مواجيدهم وأذواقهم .

ذهاب الإسلام من أربعة أمور

ص : (وقال) . ش : أبو عبد الله . ص : (محمد بن الفضل البلخي) . ش : ساكن سمرقند ، بلخي الأصل أخرج منها فسكن سمرقند ومات بها سنة تسع عشرة وثلاثمائة . ص : (ذهاب الإسلام) . ش : أي اضمحلال رسومه واستتار أنواره عن قلوب العاملين بحيث يبقى له اسم بلا رسم ويصير طبيعة بعد أن كان شريعة فلا يحكم الرجل إلا بما يستحسنه برأيه وعقله ويترك ما عمله من الشرع قانعًا بجهله وذلك عند تقهقر الزمان وإنكار العلم النافع عند أهل الإيمان . ص : (من أربعة أمور) . ش : الأول أنهم . ص : (لا يعملون بما يعلمون) . ش : لأنهم تعلموا العلم ليتميزوا به عن العوام ويجمعوا به الدنيا من حلال وحرام لا ليعملوا به فهم جادون على مقتضى قصدهم في ذلك والاسم علماء وأفعالهم أفعال الجهلاء بل أفعال المستهزئين بربهم كأنهم علموا دينهم ليحتجوا به عليه فتراهم يقعون في الكبائر عمدًا وهم معتقدون أنه غفور رحيم وأنه يسامحهم قطعًا بسبب ما علموه من دينه فيزدادون مقتًا على مقت وغضبًا على غضب وهم لا يشعرون إلا بأنهم محسنون .

ص : (و) . ش : الثاني أنهم . ص : (يعملون) . ش : في اعتقادهم وعباداتهم ومعاملاتهم أو في بعضها . ص : (بما لا يعلمون) . ش : من أحكام الله

تعالى فيها فيتبعون عقولهم وما أدى إليه رأيهم واستحسنته نفوسهم ويأمرون بذلك غيرهم ويحاربون عليه من خالفهم وهم يعتقدون أن ما فيه هو الصواب ويرتجون من الله تعالى عليه غاية الثواب . ص : **(و)** . ش : الثالث أنهم . ص : **(لا يتعلمون)** . ش : من المشايخ أو الكتب . ص : **(ما يعملون)** . ش : به من الاعتقادات والأقوال والأفعال والأحوال وليس لهم خلوص سريرة ولا صفاء بصيرة حتى يتولى الله تعالى تعليمهم ويوفقهم لما يحبه منهم ويرضاه لهم ولا يحوجهم إلى الشيخ ولا الكتاب كما قال تعالى ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَّمَ الْقُرْءَانَ﴾ (١) وقال : ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (٢) وقال : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ (٣) ولكن بواطنهم مملوءة من الأخباث والأدناس وظواهرهم مزخرفة بأنواع اللباس لا يقدر المؤمن أن ينظر في وجوههم من قبح نياتهم وسوء طوياتهم يتقلب الواحد منهم في اليوم والليلة ألف مرة ليس لأحدهم صديق يثق به لاغتيابه له في غيابه ولا عدو يحذر منه لمداهنته له في حضوره . ص : **(و)** . ش : الرابع أن . ص : **(الناس)** . ش : المضمر ذكرهم في الثلاثة الأول . ص : **(من التعلم)** . ش : للعلم النافع في الدنيا بمعرفة كيفية العمل الصالح الخالي من البدعة وفي الآخرة بالنجاة من النيران والخلود في دار الجنان ورؤية الرب تعالى بالمشاهدة والعيان مع الذين أنعم الله عليهم من أهل الإيمان . ص : **(يمنعون)** . ش : كل من قدروا على منعه بتخويفه من العلم النافع أو ممن يعلمه ذلك أو يتزين بالعلم المضر في الدنيا والآخرة ترويجًا لسلعتهم الكاسدة في الدنيا وتلبيسًا لطريق المتقين حبًا للعاجلة ورغبة في الحاضرة الحاصلة فيحتقرون العلوم الشرعية ويعظمون الغشاوات العقلية وهم غالب أهل زماننا هذا من غير تعيين والله أعلم بالظالمين . ثم قال المصنف رحمه الله تعالى .

ص : **(كل ما ذكر)** . ش : أي ذكره هو . ص : **(من)** . ش : ابتداء . ص : **(كلام سيد الطائفة)** . ش : الصوفية الجنيد البغدادي رضي الله عنه على حسب ما تقدم . ص : **(إلى هنا منقول)** . ش : كله بحروفه . ص : **(من رسالة)** . ش : الشيخ الإمام العارف بالله تعالى عبد الكريم بن هوازن . ص :

---

(١) [سورة الرحمن الآية ١] .
(٢) [سورة العلق الآية ٤،٥] .
(٣) [سورة البقرة الآية ٢٨٢] .

(القشيري) . ش : رحمه الله تعالى وهي رسالة كتبها إلى جماعة الصوفية ببلدان الإسلام في سنة سبع وثلاثين وأربعمائة . ص : (انظر) . ش : بعين الإنصاف واترك التعصب والاعتساف يا . ص : (أيها العاقل الطالب للحق) . ش : ليعرفه ويعمل به . ص : (أن هؤلاء) . ش : السادة المذكورين وهم الجنيد والسري وأبو يزيد وأبو سليمان الداراني [١] ، وذو النون المصري ، وبشر الحافي وأبو سعيد الخراز [٢] ومحمد بن الفضل كلهم . ص : (عظماء) . ش : جمع عظيم مضاف إلى . ص : (مشايخ) . ش : جمع شيخ مضاف إلى . ص : (علماء) . ش : جمع عالم مضاف إلى . ص : (الطريقة) . ش : وهي طريقة السادة الصوفية أهل العلم والعمل المؤسسة على الكتاب والسنة . ص : (كبراء) . ش : جمع كبير مضاف إلى . ص : (أرباب) . ش : جمع رب بمعنى صاحب . ص : (السلوك إلى الله تعالى) . ش : على الكشف والعيان في مقام الإحسان . ص : (و) . ش : أرباب . ص : (الحقيقة) . ش : وهي مشاهدة الربوبية في أفعال العبودية وارتفاع الحجاب مع القيام في الأسباب .

ص : (وكلهم يعظمون الشريعة المحمدية) . ش : والطريقة المصطفوية بظاهرهم وبواطنهم وكيف وهم ما وصلوا إلى مقاماتهم العالية ودرجاتهم السامية إلا بذلك التعظيم والسلوك على هذا المسلك المستقيم ولم ينقل عن أحد منهم ولا عن غيرهم من السادة الصوفية الكاملين أنه احتقر شيئًا من أحكام الشريعة المطهرة ولا امتنع من

---

(١) سليمان بن هلال بن شبل بن فلاح ، القاضي صلاح الدين أبو الفضل الداراني خطيب داريا . كان رجلاً صالحًا . تفقه على الشيخ تاج الدين بن الفركاح ، والشيخ محيي الدين النووي ، وناب في القضاء عن ابن صصري وكان يذكر نسبه إلى جعفر الطيّار حدّث عن ابن أبي اليسر ، والمقداد القيسي مولده سنة اثنتين وأربعين وستمائة ، وتوفي سنة خمس وعشرين وسبعمائة بدمشق . انظر ترجمته : طبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي [(١٠/٤٠) ت ١٣٦١] البداية والنهاية (١٤/١٢٠،١٢١) ، الدارسي (١/٤٦٥،٤٦٦) ، الدرر الكامنة لابن حجر (٢/٢٦٠،٢٦١) ، دول الإسلام (٢/٢٣٤) ، ذيول العبر (١٤٢ ، ٢٤٣) ، شذرات الذهب (٦/٦٧) مرآة الجنان (٤/٢٧٤) .

(٢) أبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز من أهل بغداد ، صحب ذا النون المصري والنباجي وأبا عبيد البسري ، والسري وبشرًا وغيرهم . مات سنة ٢٧٧ .

قال أبو سعيد الخراز : كل باطن يخالفه ظاهر فهو باطل . انظر الرسالة القشيرية ص ٢٩ ط المطبعة الأميرية ببولاق سنة ١٢٨٤ هـ .

قبوله بل كلهم مسلمون له مؤمنون به عالمون له عاملون به ومن طعن في أحد منهم فإنما طعن لقصور باعه في العلم عن معرفة مقام القوم والقاصر معذور بالجهل والقصور والله عليم بذات الصدور . ص : (ويبنون علومهم الباطنة) . ش : المفاضة عليهم بالفتح الرباني والإلهام الرحماني في معاني القرآن العظيم والسنة النبوية مما هو مذكور في كتبهم النافعة ومصنفاتهم الرافعة . ص : (على السيرة) . ش : أي الطريقة . ص (الأحمدية) . ش : المنسوبة إلى نبينا أحمد ﷺ . ص : (والملة الحنيفية) . ش أي المائلة عن الباطل إلى الحق وهي ملة الإسلام وحاشاهم أن تخالف علومهم المذكورة لشيء من ذلك عند كل عارف وسالك بخلاف ما يدعيه الجاهل المغرور فيقتحم به المهالك من المخالفة لعدم العلم والذوق والسلوك على هذه المسالك . ص : (فلا يغرنك) . ش : حيث علمت تمسك القوم بالشرائع وتقربهم إلى الله تعالى بأقرب الذرائع . ص : (طامات) . ش : جمع طامة من طم الماء طمًّا وطمومًا غمر ، والإناء : ملأه والشيء كثر حتى علا وغلب ، والطامة : الداهية تغلب ما سواها كذا في (القاموس) .

والمراد هنا الأمور المضرة في الدين من أفعال. ص: (الجهال المتنسكين) . ش : أي المتعبدين بلا علم ولا معرفة . ص : (وشطحهم) . ش : أي مجاوزتهم الحدود الشرعية عن قصد منهم . ص : (الفاسدين) . ش : نعت للجهال وفسادهم باعتبار اعتقادهم ما ليس بحق من أمور الدين جهلاً منهم بعقائد أهل السنة وقولهم ما يخالف الشريعة وعملهم الأعمال الباطلة من جهلهم المركب وتخيلهم في أنفسهم أنهم على هدى ورشاد . ص : (المفسدين) . ش : لمن تابعهم من العوام على غير بصيرة . ص : (الضالين) . ش : أي المتحيرين في معرفة الحق المبين . ص : (المضلين) . ش : المحيرين في معرفة ذلك . ص : (لغيرهم) . ش : من الناس . ص : (بعد) . ش : متعلق بالمضلين . ص : (أن كانوا) . ش : قبل أن يضلوا غيرهم . ص : (زائغين) . ش : أي مائلين . ص : (عن الشرع القويم) . ش : إلى الدين الباطل والمذهب العاطل . ص : (ومائلين عن الصراط) . ش : أي الطريق الواضح . ص : (المستقيم) . ش : إلى صراط الجحيم . ص : (خارجين) . ش : بظواهرهم وبواطنهم . ص : (عن مناهج) . ش : جمع منهج وهو الطريق الواضح . ص : (علماء الشريعة) . ش : المحمدية لتمسكهم بأحكام عقولهم الضعيفة وآرائهم

السخيفة وعلماء الشريعة يتمسكون بأحكام كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وإجماع الأئمة المهديين وتعميم الدليل بحكم القياس في الثابت باليقين . ص : (ومارقين) . ش : أي متجاوزين . ص : (عن مسالك) . ش : أي طرق . ص : (مشايخ الطريقة) . ش : النبوية والسيرة الأحمدية لإعراضهم عن التأدب بآداب الشريعة وتركهم الدخول في حصونها المنيعة فهم كافرون بإنكارهم مدعون الاستنارة بأنوارها ومشايخ الطريقة قائمون بالآداب الشرعية معتقدون تعظيم أحكام الله تعالى على كافة البرية ولهذا أتحفهم الله تعالى بالكمالات القدسية في المقامات الأنسية وهؤلاء المغرورون بالفشار اللابسون حلة العار الذين هم مسلمون في الظاهر وإذا حققتهم فهم كفار لم يزالوا معتكفين على أصنام الأوهام مفتونين بما يلقى لهم الشيطان من الوساوس في الأفهام .

ص : (فالويل) . ش : وهو حلول الشر ، وكلمة عذاب ، وواد في جهنم . كذا في (القاموس) . ص : (كل الويل لهم) . ش : حيث كانوا في هذه المثابة مصرين على هذه الحالة لا يعلمون أنها سوء ليرجعوا عنها ولا يخطر لهم أنهم جاهلون ليقبلوا تعليم الغير لهم ما ينفرهم منها . ص : (و) . ش : الويل كل الويل أيضًا . ص : (لمن تبعهم) . ش : في حالتهم القبيحة وسيرتهم التي هي في الدنيا والآخرة فضيحة . ص : (أو حسن) . ش : بالتشديد أي حكم بأنه حسن اغترارًا وافتتانًا بحالهم. ص: (أمرهم) . ش : أي شأنهم الذي هم عليـــه مما تقدم بيانه . ص : (فهم) . ش : أي هؤلاء المذكورون وأتباعهم والذين حسنوا أمرهم كلهم . ص : (قطاع طريق الله تعالى على العابدين) . ش : لله تعالى بحيث يمنعون من أراد سلوك طريق العبادة والطاعة والإخلاص والورع بأقوالهم المزخرفة وأعمالهم المتعجرفة وأحوالهم المنكوسة وآرائهم المعكوسة . ص : (يلبسون) . ش : أي يخلطون من لبس عليه الأمر يلبسه خلطه كذا في «القاموس» . ص : (الحق) . ش : في كل أمر من أمور الإسلام . ص : (بالباطل) . ش : لإنكارهم شرائع الأحكام وجحودهم ما اشتمل عليه الدين من الحلال والحرام . ص : (ويكتمون الحق) . ش : الذي جاء به محمد ﷺ من عند الله تعالى إلى كافة المكلفين . ص : (وهم يعلمون) . ش : أنه الحق المبين غير أنهم قصدوا تسهيل الأمر عليهم وألفوا نسبة الكمال إليهم مع ما هم فيه من سخافة العقول وإضاعة الفروع والأصول .

واعلم أن هؤلاء المذكورين هنا لا يعنيهم المصنف رحمه الله تعالى في طائفة مخصوصين بأعيانهم وإنما شبه على من هذا ، وصفهم فلا يلزم أن يكونوا موجودين بالنسبة إلى زماننا هذا وبلادنا هذه ، ولا يلزم عدم وجودهم أيضًا فالواجب علينا أن لا نسيء الظن بأحد من الناس بعينه ونؤول الأقوال والأعمال لإخواننا المسلمين سترًا عليهم ولا نتجسس على عوراتهم وننصحهم على العموم من غير أن نظن فيهم ما نذكره لهم فضلاً عن التصريح لهم بأنه فيهم ، ونتبع في ذلك طريقة الله ورسوله في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والله يعلم المفسد من المصلح ونخالف ما اصطلح عليه علماء هذا الزمان ووعاظهم من تخصيص الناس بالمقاصد في الكلام وتقريعهم ، وتوبيخهم وفضيحتهم على رءوس الأنام مع التجسس ، والظنون السيئة في الخاص والعام ، واعتقادهم كل ذلك طاعة وهو من أقبح الآثام ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو بكل شيء عليم .

وفي (شرح اليوسفية) للشيخ محيي الدين بن العربي رضي الله عنه قال : ولقد رأيت والله أعلم رسول الله ﷺ في النوم أو بعض المعصومين فقال لي : «أتدري بما نلت ما نلت من الله ؟ قلت له : لا قال : «باحترامك لمن يدعي أنه من أهل الله» وسواء كان ذلك في نفس الأمر كما ادعاه أم لا فراعى، الله لك ذلك وشكره منك فأعطاك ما قد علمت .

وذكر أيضًا قال : ولله رجال ونساء حباهم الله على الخير المحض فلا يرون أحدًا إلا ويحسنون الظن به بل ما يخطر لهم فيه خاطر رديء ، وهذه قلوب قد خبأها الله للخير المحض فهم ينتفعون بكل أحد فمن وجد ذلك من نفسه فليشكر الله على ما منحه جعلنا الله وإخواننا ممن سلم من الوقوع في أوليائه بل من الوقوع في عامة المسلمين بمنه وكرمه .

* * *

الفصل الثالث

في الاقتصاد في العمل

ص : (الفصل الثالث) . ش : تمام الفصول الثلاثة التي اشتمل عليها الباب الأول من أبواب الكتاب الثلاثة . ص : (في) . ش : بيان . ص : (الاقتصاد) . ش : وهو ضد الإفراط ومعناه التوسط من غير تكثير ولا تقصير . ص : (في العمل) . ش : بالجوارح والأعضاء لأنواع العبادات وعليه أدلة من الكتاب والسنة .

أدلته من الكتاب

أما من الكتاب فهو . ص : (الآيات) . ش : جمع آية المذكور منها هنا سبع آيات : **الآية الأولى :** من سورة البقرة وهي قوله تعالى : . ص :(﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ﴾) . ش : يا معشر المكلفين . ص : (﴿الْيُسْرَ﴾) . ش : وهو السهولة يقال تيسر هذا الأمر إذا سهل ولان ، ذكره الواحدي .

وقال الخازن : أي التسهيل في العبادة وهي إباحة الفطر للمسافر والمريض ، وفي تفسير البغوي قال الشعبي : (ما خير رجل بين أمرين فأختار أيسرهما إلا كان ذلك أحبهما إلى الله عز وجل) . ص : (﴿وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾) . ش : أي يريد أن ييسر عليكم ولا يعسر ، قاله البيضاوي .

وقال الواحدي : لأنه لم يشدد ولم يضيق عليكم قال الشعبي : إذا اختلف عليك أمران فإن أيسرهما أقربهما إلى الحق لأن الله تعالى يقول : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (١) .

روى أن رسول الله ﷺ بلغه أن رجلاً في المسجد يطيل الصلاة فأتاه فأخذ بمنكبيه ثم قال : (إن الله رضي لهذه الأمة اليسر، وكره لهم العسر) قالها ثلاثة مرات . (وإن هذا أخذ بالعسر وترك اليسر) (٢) .

* * *

(١) [سورة البقرة الآية ١٨٥]

(٢) عزاه السيوطي للطبراني في المعجم الكبير عن محجن بن الأدرع كنز العمال [(٣٥/٣) رقم (٥٣٣١)] وانظر : جمع الجوامع (٤٨٤٧) ، المطالب العالية (٥٤٣١) ، سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٦٣٥) ، والدر المنثور للسيوطي (١٥/٤) .

الآية الثانية : من سورة النساء وهي قوله تعالى :

ص : (﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾) [١] . ش : فلذلك شرع لكم الشريعة الحنيفية السمحة السهلة ورخص لكم في المضايق ، قاله البيضاوي .

وقال البغوي : يسهل عليكم في أحكام الشرع وقد سهل وقد قال جل ذكره : ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ [٢] وقال النبي ﷺ (بعثت بالحنيفية السهلة) [٣] . وقال الواحدي : يخفف عنكم في أحكام الشرع وفي جميع ما يسره لنا وسهله علينا ولم يثقل التكليف كما ثقل على بني إسرائيل . وقال الخازن : يعني يسهل عليكم أحكام الشرائع فهو عام في كل أحكام الشرع وجميع ما يسره لنا وسهله علينا إحسانًا منه إلينا وتفضلاً ولطفًا علينا . وقال أبو عبد الرحمن السلمي : (يخفف عنكم أثقال العبودية لعلمه بضعفكم وجهلكم) وقيل : يريد الله أن يخفف عنكم ما حملتموه بجهلكم من عظيم الأمانة .

ص : (وخلق الإنسان) . ش : أي جنسه من ذكر وأنثى . ص : (ضعيفًا) [٤] . ش : قال ابن عباس والأكثرون : يضعف عن الصبر عن الجماع ولا يصبر عن النساء ولا يكون الإنسان في شيء أضعف منه في أمر النساء لا يصبر عنهن [٥] ؛ فلذلك أباح له نكاح الأمة .

أي : يستميله هواه وشهوته فهو ضعيف في ذلك ، قاله الواحدي . وقال الحسن : هو أنه خلقه من ماء مهين ، بيانه قوله تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾ [٦] ذكره البغوي . وقال البيضاوي : لا يصبر عن الشهوات ولا يتحمل مشاق الطاعات .

---

(١) [سورة النساء الآية ٢٨]

(٢) [سورة الأعراف الآية ١٥٧] .

(٣) عزاه السبكي للنبرسي في الغرائب ، وابن عساكر ، وأبي موسى المديني في المعرفة من حديث أسعد ابن عبد الله بن مالك الخزاعي [تخريج أحاديث إحياء علوم الدين (٢٢٠٧/٥)] رقم (٣٤٨٥) طبع دار العاصمة بالرياض] .

(٤) [سورة النساء الآية ٢٨] .

(٥) وعزى هذا القول ابن جرير الطبري في تفسيره (٢١٦/٨) ط دار المعارف بتحقيق أحمد شاكر رقم (٩١٣٦،٩١٣٧،٩١٣٨) لطاوس ، وكذا أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩٢٦/٣) رقمي (٥١٧٦، ٥١٧٧) .

(٦) [سورة الروم الآية ٥٤] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما : ثمان آيات في سورة النساء خير لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس وغربت هذه الثماني يعني قوله تعالى قبل هذا الآية : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ ، وقوله : ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ (١) ، وقوله : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ﴾ (٢) ، ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ (٣) ، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾ (٤) ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ (٥) ، ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا﴾ (٦) ، ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ﴾ (٧) وقال أبو عبيد الرحمن السلمي : قيل ضعيف الرأي ضعيف العقل إلا من أيد بنور اليقين فقوته باليقين لا بنفسه .

الآية الثالثة : من سورة المائدة

وهي قوله تعالى : ص : (﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾) . ش : يعني من ضيق في الدين ولكنه جعله واسعًا ، قاله الواحدي .

الآية الرابعة : من سورة المائدة أيضًا وهي قوله تعالى :

ص : (﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾) . ش : الطيبات أي اللذيذات التي تشتهيها النفوس وتميل إليها القلوب ، قال المفسرون : هم قوم من أصحاب النبي ﷺ عزموا أن يرفضوا الدنيا ويحرموا على أنفسهم المطاعم الطيبة والمشارب اللذيذة وأن يصوموا النهار ويقوموا الليل لخصوا أنفسهم فأنزل الله تعالى هذه الآية ، واعلم أن الطيبات لا ينبغي أن تجتنب ، قاله الواحدي . ص : (﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾) . ش : يعني لا تجاوزوا الحلال إلى الحرام ، وقيل معناه : ولا تعتدوا بالإسراف في الطيبات ، قاله الخازن .

وقال الواحدي : وسمى الخصاء اعتداء فقال ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ أي : لا تجبوا أنفسكم ، قال ابن عباس : (كنا نغزو مع رسول الله ﷺ ليس لنا نساء فقلنا له ألا

---

(١) [سورة النساء الآية ٢٧] .

(٢) [سورة النساء الآية ٢٨] .

(٣) [سورة النساء الآية ٣١] .

(٤) [سورة النساء الآيتان ١١٦،٤٨] .

(٥) [سورة النساء الآية ٤] .

(٦) [سورة النساء الآيتان (١٢٣،١١٠)] .

(٧) [سورة النساء الآية ١٤٧] .

نستخصي فنهانا عن ذلك) [١] ثم قرأ هذه الآية . ص : (﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾) . ش : يعني المجاوزين الحلال إلى الحرام ، ذكره الخازن . وقاله البيضاوي . كأنه لما تضمن ما قبله يعني من آية طمعهم في الدخول مع القوم الصالحين وغير ذلك من مدح النصارى على ترهبهم والحث على كسر النفس ورفض الشهوات عقبه بالنهي عن الإفراط في ذلك والاعتداء عما حد الله بجعل الحلال حرامًا فقال : ﴿وَلاَ تَعْتَدُوا﴾ ويجوز أن يراد به ولا تعتدوا ما أحل الله لكم إلى ما حرم عليكم فتكون الآية ناهية عن تحريم ما أحل وتحليل ما حرم وداعية إلى القصد بينهما .

الآية الخامسة من سورة الأعراف وهي قوله تعالى

ص : (﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾) [٢] . ش : يعني قل يا محمد لهؤلاء الجهلة من العرب الذين يطوفون بالبيت عراة من حرم عليكم زينة الله التي خلقها لعباده أن تتزينوا بها وتلبسوها في الطواف وغيره .

ثم في تفسير الآية قولان : أحدهما - وهو قول جمهور المفسرين : - أن المراد من الزينة هنا اللباس الذي يستر العورة .

والقول الثاني ذكره الرازي [٣] : أنه يتناول جميع أنواع الزينة فيدخل تحته جميع أنواع الملبوس والحلي ولولا أن النص ورد بتحريم استعمال الذهب والحرير على الرجال لدخل في هذا العموم ولكن ورد النص بالتحريم على الرجال دون النساء . ص : (﴿وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾) . ش : يعني ومن حرم الطيبات من الرزق التي أخرجها الله لعباده وخلقها لهم .

ثم ذكروا في معنى الطيبات في هذه الآية أقوالاً :

---

(١) أخرجه البخاري (١١٧/٩ فتح) كتاب : النكاح ٨ - باب : ما يكره من التبتل والخصاء رقمي (٥٠٧٣،٥٠٧٤) ، مسلم كتاب : النكاح ١ - باب : استحباب النكاح ، رقم (١٤٠٢) ، الترمذي ، كتاب : النكاح ٢- باب : ما جاء في النهي عن التبتل - النسائي (٥٨/٦) كتاب : النكاح ٤ - باب : النهي عن التبتل - ابن ماجه (٥٩٣/١) كتاب : النكاح ٢ - باب : النهي عن التبتل رقم (١٨٤٨) ، والدارمي (١٧٨/٢) كتاب : النكاح ٣ - باب : النهي عن التبتل رقم (٢١٦٧،٢١٦٨) .

(٢) [سورة الأعراف الآية ٣٢] .

(٣) التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي (٦٣/١٤) طبع دار إحياء التراث العربي ببيروت الطبعة الثالثة .

أحدها : أن المراد بالطيبات اللحم والدسم الذي كانوا يحرمونه على أنفسهم أيام الحج يعظمون بذلك حجهم فرد الله عليهم .

والقول الثاني : هو قول ابن عباس وقتادة أن المراد بذلك ما كان أهل الجاهلية يحرمونه من البحائر والسوائب قال ابن عباس : إن أهل الجاهلية كانوا يحرمون أشياء أحلها الله من الرزق وغيره وهو قول الله سبحانه : ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ﴾ [1] فأنزل الله : ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ﴾ الآية .

والقول الثالث : إن الآية على العموم فيدخل تحته كل ما يستلذ ويشتهى من سائر المطعومات إلا ما ورد نص بتحريمه ، كذا قاله الخازن . وفي هذا دلالة واضحة على إباحة نحو القهوة والبن مما تستلذه بعض الطباع وتجد له نفعًا وليس هو من المسكرات لها وليس في حرمته نص آية ولا حديث ولا قياس على ثابت بأحدهما وقد أشرنا إلى ذلك فيما تقدم .

وقال البيضاوي : ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ﴾ من الثياب وسائر ما يتجمل به : ﴿الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾ من النبات كالقطن والكتاب والحيوان والحرير والصوف والمعادن كالدروع ﴿وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ المستلذات من المآكل والمشارب وفيه دليل على أن الأصل في المطاعم والملابس وأنواع التجملات الإباحة لأن الاستفهام في من للإنكار . ص : (﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾) . ش : بالأصالة والكفرة وإن شاركوهم فيها فتبع . ص : (﴿خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾) . ش : لا يشاركهم فيها غيرهم

وقال الواحدي : المعنى ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [2] مشتركة وهي لهم في الآخرة خالصة وهذا قول ابن عباس والمفسرين شارك المسلمين المشركون في الطيبات في الحياة الدنيا فأكلوا من طيبات طعامها ولبسوا من خيار ثيابها ونكحوا من صالح نسائها ثم يخلص الله الطيبات في الآخرة للذين آمنوا وليس للمشركين فيها شيء وقرأ نافع خالصة والمعنى قل هي ثابتة للمؤمنين في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة وقال الخازن : وقيل معناه خالصة لهم يوم القيامة من التكدير والتنغيص والغم ،

(١) [سورة يونس الآية ٥٩] .

(٢) [سورة الأعراف الآية ٣٢] .

لأنه قد يقع لهم في الحياة الدنيا في تناول الطيبات من الرزق كدر وتنغيص فأعلمهم أنها خالصة لهم في الآخرة من ذلك كله . ص : (﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾) [١] . ش : أي كتفصيلنا هذا الحكم نفصل سائر الأحكام لهم قاله البيضاوي . وقال الخازن : يعني كذلك نبين الحلال مما أحللت والحرام مما حرمت لقوم علموا أني أنا الله وحدي لا شريك لي فأحلوا حلالي وحرموا حرامي .

الآية السادسة من أول سورة طه وهي قوله تعالى

ص : (﴿طه﴾) . ش : اختلف في تفسيرها فقال أهل اللغة هي من فواتح السور نحو : حم والم ، وروى أن النبي ﷺ كان إذا صلى رفع رجلاً ووضع أخرى فأنزل الله تعالى ﴿طه﴾ أي طأ الأرض بقدميك جميعًا [٢] . وقوله : ص : (﴿مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰ﴾) . ش : أي لتصلي على إحدى رجليك فيشتد عليك . وقيل : طه لغة بالعجمية معناه يا رجل ، قاله الزجاج [٣] . وقال الخازن : قيل : «طه» قسم أقسم الله بطوله وهدايته ، وقيل : هو اسم من أسماء الله تعالى ، فالطاء افتتاح اسمه طاهر والهاء افتتاح اسمه الهادي .

وقيل : معناه يا رجل ، والمراد به النبي ﷺ ، وكذلك يا إنسان ، وقيل : هو بالسريانية ، وقيل : بالقبطية فعلى هذا تكون قد وافقت لغة العرب هذه اللغات في هذه الكلمة ، وقيل : هو يا إنسان بلغة علص ، وعك قبيلة من قبائل العرب .

وقيل : معناه طأ الأرض بقدميك يريد به في التهجد ، وذلك لما نزل الوحي على رسول الله ﷺ بمكة اجتهد في العبادة حتى كان يراوح بين قدميه في الصلاة لطول قيامه وكان يصلي الليل كله فأنزل الله هذه الآية وأمره أن يخفف على نفسه فقال : ﴿طه مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰ﴾ [٤] وقيل : لما رأى المشركون اجتهاده في العبادة

---

(١) [سورة الأعراف الآية ٣٢] .

(٢) وروى ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٤١٥/٧) عن ابن عباس أن (طه) بالنبطية أي : (طا) يا رجل ، وعنه رقم (١٣٣٧٧) أنه قال (طه) هو كقولك يا رجل ، (١٣٣٧٨) عن عكرمة في قوله (طه) قال : كقولك يا رجل بلسان الحبشة .
وهذا الأثر أخرجه الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٣٤٩/٣) .

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣٤٩/٣) .

(٤) [سورة طه الآيتان ١،٢] .

قالوا : ما أنزل عليك القرآن يا محمد إلا لشقائك فنزلت : ﴿مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰ﴾ أي لتتعنى وتتعب وقال الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي في (حقائق القرآن) طه طَإِ الأرضَ هديت لبساط القربة والأنس .

وقال الواسطي : هو مستخرج من الطاهر الهادي أي أنت طاهر بنا هادي إلينا وقال محمد بن عيسى الهاشمي : طوى عن سر محمد ﷺ الأكوان كلها بما فيها وهدى إلى الاشتغال بمكونها ، قال محمد بن علي الترمذي : أي طوبى لمن اهتدى بك وجعلك السبيل إلينا وقال الواسطي : سمى القرآن قرآنًا ، لأنه مقارن للمتكلم به لا يفارقه تعظيمًا لشأن القرآن كما وصل إلينا شعاع الشمس وحرارتها ولم تباين القرص .

وقال ابن عطاء : ﴿مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰ﴾ أي لتتعب في خدمتنا فكان جوابه من النبي ﷺ زيادة تعبد واجتهاد حتى تورمت قدماه كأنه يقول وهل يشقى أحد في ويتعب أحد وهي محل استرواح العارفين فأما هذه الحركات فهي القيام بشكر ما نالني من لذيذ قربك ومناجاتك وخدمتك والدنو منك ألا تراه عليه السلام لما قيل له أتفعل هذا وقد غفر الله كل ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال : (أفلا أكون عبدًا شكورًا) [1] .

الآية السابعة من سورة الحج وهي قوله تعالى

ص : (﴿وَمَا جَعَلَ﴾) . ش : أي الله تعالى .

ص : (﴿عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾) . ش : أي من ضيق جعل الله تعالى على من لم يستطع الشيء الذي يثقل في وقت ما هو أخف منه فجعل للصائم الإفطار في السفر وتقصير الصلاة وللمصلى إذا لم يطق القيام أن يصلي قاعدًا وإن لم يطق القعود أن يومي وجعل للرجل أن يتزوج أربعًا وجميع ما ملكته يمينه فوسع الله تعالى ذلك قاله

---

(١) أخرجه البخاري : كتاب التفسير باب : قوله تعالى ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾ ، ومسلم ٥٠ - كتاب : صفات المنافقين وأحكامهم باب : إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة ، النسائي (٢١٩/٣) كتاب : قيام الليل باب : الاختلاف على عائشة في إحياء الليل ، ابن ماجة ٥ - كتاب : إقامة الصلاة والسنة فيها . باب : ما جاء في طول القيام في الصلوات رقم (١٤١٩) - الترمذي ٢ - كتاب : الصلاة باب : ما جاء في الاجتهاد في الصلاة ، البيهقي (١٦/٣) ، البغوي في شرح السنة (٩٣١) أبو نعيم في الحلية (٢٨٩/٨) ، أحمد في المسند (١٥٥/٦) .

الزجاج [١] وقال الواحدي : من حرج قال : جميعًا من ضيق واختلفوا في وجه رفع الحرج فروى عن ابن عباس أنه قال : جعل الكفارات مخرجًا يعني من أذنب ذنبًا جعل له منه مخرجًا إما بالتوبة أو بالقصاص أو برد المظلمة أو بنوع كفارة فلم يبتلي المؤمن بشيء من الذنوب إلا جعل له منه مخرج وهذه رواية الزهري .

وروى عنه قول آخر قال : هذا في هلال شهر رمضان إذا شك فيه الناس وفي الحج إذا شكوا في الهلال وفي الفطر وأشباهه حتى يتيقنوا وعلى هذا رفع الحرج يعود إلى أمرنا بالأخذ باليقين عند الاشتباه [٢] .

وروى عن أبي هريرة أنه قال لابن عباس أما علينا في الدين من حرج أن نسرق أو نزني ؟ قال : بلى قوله : ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [٣] . قال ذلك الأمر الذي كان على بني إسرائيل وضعه الله عنكم .

وقال مقاتل بن حيان : يعني إباحة الرخص عند الضرورات كالقصر في الصلاة والتيمم وأكل الميتة والإفطار عند المرض والسفر وهو قول الكلبي .

وقال الخازن : ﴿مِنْ حَرَجٍ﴾ أي ضيق وشدة وهو أن المؤمن لا يبتلى بشيء من الذنوب إلا جعل الله له منه مخرجًا بعضها بالتوبة وبعضها بأنواع الكفارات من الأمراض والمصائب وغير ذلك فليس في دين الإسلام ما لا يجد العبد سبيلاً إلى الخلاص منه من الذنوب ومن العقاب لمن وقف ، وقيل : أعطى الله هذه الأمة خصلتين لم يعطهما أحدًا غيرهم جعلهم شهداء على الناس وما جعل عليهم في الدين من حرج . وقال البيضاوي : من حرج أي ضيق بتكليف ما يشتد القيام به عليكم إشارة إلى أنه لا مانع لهم عنه ، ولا عذر لهم في تركه أو إلى الرخصة في إغفال ما أمرهم به حيث شق عليهم لقوله عليه السلام : (إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم) [٤] .

---

(١) معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج (٣/٤٤٠) طبع عالم الكتب بيروت ط أولى سنة ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/٢٥٠٦ ، ٢٥٠٧) رقم (١٤٠٣٦) والحديث أخرجه ابن حاتم في تفسيره (٨/٢٥٠٦) رقم (١٤٠٣٣) وزاد فيه : قال : الإصر الذي كان على بني إسرائيل وضع عنكم .

(٣) [سورة الحج الآية ٧٨] .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/٢٥٠٦) رقم (١٤٠٣٥) .

وأما الأدلة من السنة فهي :

ص : **(الأخبار)** . ش : جمع خبر وهي عشرة أحاديث الأول . ص : **(خ م)** ش : يعني روى البخاري ومسلم في صحيحيهما [١] بإسناديهما . ص : **(عن أنس رضي الله عنه أنه قال : جاء رهط)** . ش : هم من ثلاثة أو سبعة إلى عشرة أو ما دون العشرة وما فيهم امرأة ولا واحد له من لفظه وجمعه أرهط وأراهط وأرهاط وأراهيط كذا في (القاموس) [٢] .

ص : **(إلى بيوت أزواج النبي ﷺ)** . ش : يعني زوجاته فالزوج اسم للمرأة والرجل قال في (القاموس) [٣] : الزوج البعل والزوجة . ص : **(يسألون)** . ش : من أزواجه ﷺ . ص : **(عن)** . ش : كيفية . ص : **(عبادة النبي ﷺ)** . ش : الزائـدة على ما يعلمونه منه عليه السلام مما يفعله في بيته ليلاً أو نهارًا إذ لا يطلع على سر الرجل في الغالب إلا زوجته . ص : **(فلما أخبروا)** . ش : بالبناء للمفعول أي أخبرتهم زوجاته عليه السلام عما سألوا . ص : **(كأنهم تقالوها)** . ش : أي : أشبهت حالتهم حالة من رآها قليلة وقللها بعضهم لبعض وكانوا يعهدون أنها كثيرة مبالغ فيها على حسب ما تدعو إليه عقولهم وتستحسنه نفوسهم من اعتقاد الكمال في الإكثار وحسن التشديد على النفوس في رأيهم ثم بعد ذلك اعتذروا عن قلتها من رسول الله ﷺ حيث . ص : **(قالوا)** . ش : بأن قال بعضهم إلى بعض . ص **(فأين نحن من رسول الله ﷺ)** . ش : أي لا تقاس نفوسنا الغير معصومة على نفسه المعصومة ولا نعامل ربنا في عباداته مع قصورنا مقدار ما يعامل هو ربه مع كماله وكيف نفعل ذلك . ص : **(و)** . ش : الحال أنه . ص : **(قد غفر)** . ش : بالبناء للمفعول أي غفر الله تعالى بمعنى ستر وتجاوز . ص : **(له)** . ش : أي لرسول الله ﷺ. ص:

---

(١) أخرجه البخاري كتاب : النكاح باب : الترغيب في النكاح رقم (٥٠٦٣) ، مسلم كتاب النكاح باب : استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد المؤنة ، النسائي (٦٠/٦) كتاب : النكاح ، باب النهي عن التبتل ، البيهقي في السنن الكبرى (٧٧/٧) ، البغوي في شرح السنة رقم (٩٦) ، ابن حبان [(١٩٠/١،١٩١) الإحسان] المقدمة ٢ - باب : الاعتصام بالسنة رقم (١٤) ذكر الزجر عن الرغبة عن سنة المصطفى ﷺ في أقواله وأفعاله جميعًا من طريق حماد بن سلمة ، عن ثابت عن أنس بن مالك .

(٢) القاموس المحيط (٣٧٥/٣ رهط) باب : الطاء فصل الراء .

(٣) القاموس المحيط (١٩٩/١ زوج) باب : الجيم فصل الزاي .

(أما) . ش : أي جميع الذي . ص : (تقدم) . ش : في ابتداء عمره ﷺ . ص : (من ذنبه وما) . ش : أي الذي . ص : (تأخر) . ش : منــه أي جنس ذنبه الذي صدر منه بالنظر إلى رفعة مقامه ﷺ وانكشاف عظمة الله تعالى له وهو قولهم (حسنات الأبرار سيئات المقربين) [١] وإلا فالأنبياء كلهم عليهم السلام معصومون من الذنوب قبل النبوة وبعدها كما سيأتي تحقيقه . ص : (قال أحدهم) . ش : أي واحد منهم . ص : (أما أنا فأصلي). ش : النوافل . ص : (الليل) . ش : كله . ص : (أبدًا) . ش : أي مدة عمري . ص : (وقال الآخر). ش : منهم . ص : (وأنا أصوم) . ش : الصوم النفل . ص : (الدهر كله) . ش : أي مدة عمري . ص : (ولا أفطر) . ش : ولا يومًا . ص : (وقال الآخر وأنا أعتزل النساء) . ش : فلا أبيت معهن وأحفظ نفسي من اشتهائهن والميل إليهن . ص : (ولا أتزوج). ش : شيئًا منهن حرائر وإماء . ص : (أبدًا). ش : أي مدة عمري . ص : (فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال) . ش : لهم معاتبًا على ما صدر منهم. ص : (أنتم الذين قلتم كذا وكذا) . ش : كنايـــة عما سبق من قولهم ثم لم ينتظر جوابهم مسارعة لبيان الحق فقال مؤكدًا بالقسم . ص : (أما) . ش : بفتح الهمزة وتخفيف الميم . ص : (والله إني لأخشاكم) . ش : أي أكثركم خشية . ص : (لله تعالى) . ش : والخشية تبع للعلم كما قال تعالى : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [٢] يعني العلماء به . والنبي ﷺ أعلم الخلق بالله فهو أخشاهم له تعالى . ص : (وأتقاكم) . ش : أي أكثركم تقوى . ص : (له) . ش : سبحانه وتعالى يعني فكيف تقولون مع ذلك بأني أقل أعمالاً وأدنى طاعات وتعتذرون عن ذلك بأن الله تعالى غفر لي ما

---

(١) الحديث باطل لا أصل له : أورده الغزالي في الإحياء (٤/٤٤) بلفظ قال القائل الصادق وقال : أشار الغزالي أنه من قول أبي سعيد الخراز الصوفي ، وقد أخرجه عنه ابن الجوزي في صفوة الصفوة (٢/١٣٠) وكذا ابن عساكر في ترجمته كما في الكشف (١/٣٥٧) قال : وعده بعضهم حديثًا وليس كذلك قال الألباني : وممن عده حديثًا الشيخ أبو الفضل محمد بن محمد الشافعي فإنه قال في كتاب الظل المورود (ق ١٢/١) فقد روى أنه ﷺ قال ... فذكره .

ولا يشفع له أنه صدره بصيغة التمريض إن كانت مقصودة منه لأن ذلك إنما يفيد فيما كان له أصل ولو ضعيف . وأما فيما لا أصل لـه هكذا فلا [سلسلة الأحاديث الضعيفـة رقـم (١٠٠)] وانظر : الفوائد المجموعة للشوكاني (٢٥٠) ، أحاديث القصاص (٥٨) ، كشف الخفاء (١/٤٢٨) .

(٢) [سورة فاطر الآية ٢٨] .

تقدم من ذنبي وما تأخر فلم أحتج إلى كثرة ذلك وأنتم لم يغفر الله تعالى لكم فتحتاجون إلى الكثرة . ص : (ولكني). ش : في مقابلة ما فهمتم من حالي وأخطأتم فيه . ص : (أصوم) . ش : مرة ما بــدا لي أن أصوم من غير تكلف كما كان عليه السلام يدخل على بعض أهله فيقول : «هل عندكن اليوم غذاء فإذا قالوا : لا ، قال : «إني صائم» وأمره الله تعالى أن يقول : «وما أنا من المتكلفين» . ص : (وأفطر). ش: ما بدا لي أن أفطــر أيضًا كما ورد عن أسامة (أن رسول الله ﷺ كان يسرد الصوم فيقال لا يفطر ويفطر فيقال لا يصوم) [١] رواه النسائي . وعن أنس قال (كان رسول الله ﷺ يفطر من الشهر حتى نظن أن لا يصوم منه ثم يصوم حتى نظن أن لا يفطر منه شيئًا) [٢] . ولمسلم : (كان يصوم حتى يقال : قد صام ، وقد صام ويفطر حتى يقال : قد أفطر ، قد أفطر) . وعن ابن عباس : (كان يصوم حتى يقول القائل لا والله لا يفطر ويفطر حتى يقول القائل لا والله لا يصوم) رواه البخاري [٣] ومسلم [٤] والنسائي [٥] .

ص : (وأصلي) . ش : في ليلة . ص : (وأرقد) . ش : أي أنام عند التهجد في ليلة أخرى أو أصلي بعضًا من الليل وأرقد البعض الآخر ولا أصلي الليل كله يدل عليه قول عائشة رضي الله عنها : (كان عليه السلام ينام أول الليل ، ويقوم آخره فيصلي ثم يرجع إلى فراشه فإذا أذن وثب فإن كانت به حاجة اغتسل وإلا توضأ وخرج) رواه الشيخان [٦] .

---

(١) حديث أسامة أخرجه النسائي كتاب: الصوم - باب : صوم النبي ﷺ بأبي هو وأمي (٢٣٥٩) .
(٢) حديث أنس أخرجه البخاري كتاب : الصوم - باب : ما يذكر من صوم النبي ﷺ (١٩٧٢) .
(٣) أخرجه البخاري باب : ما يذكر من صوم النبي ﷺ (١٩٧١) .
(٤) أخرجه مسلم كتاب الصوم باب : صيام النبي في غير رمضان ١٧٨ (١١٥٧) .
(٥) أخرجه النسائي كتاب الصيام باب : صوم النبي بأبي هو وأمي (٢٣٤٦) .
(٦) أخرجه البخاري كتاب : التهجد باب : من نام أول الليل وأحيى آخره رقم (١١٤٦) ، مسلم (٥١٠/١) ٦ - كتاب صلاة المسافرين وقصرها رقم ١٢٩ - (٧٣٩) ، النسائي كتاب : قيام الليل وتطوع النهار باب : وقت الوتر رقم (١٦٨٠) ، والشمائل (ص ٢٢٢) ٤١ - باب : ما جاء في عبادة رسول الله ﷺ رقم (٢٦٣) ، ابن حبان (٢٦٤/١، ٢٦٥ الإحسان) رقم (٣١١) ، البغوي في شرح السنة رقم (٩٣١) ، ابن عبد البر في التمهيد (٢٢٣/٦، ٢٢٤) ، البيهقي (٢٦/٣) ، (٣٩/٧) ، الخطيب في تاريخ بغداد (٣٠٦/١٤) .

وقالت أيضًا : كان عليه السلام ربما اغتسل في أول الليل ، وربما اغتسل في آخره وربما أوتر في أول الليل وربما أوتر في آخره وربما جهر بالقراءة وربما خفض) وقالت أم سلمة : (كان يصلي وينام قدر ما صلى حتى يصبح) رواه أبو داود [١] والترمذي [٢] والنسائي [٣] . ص : (وأتزوج) . ش : أي أعقد وربما يراد الوطء فيشمل الأمة . ص : (النســاء) . ش : وهي النسوة بالكسر والضم والنساءُ والنسوان والنسون بكسرهن جموع المرأة من غير لفظها كذا في (القاموس) [٤] .

وكانت نساؤه ﷺ اللواتي تزوج بهن إحدى عشرة امرأة ، وستًّا من قريش : خديجة بنت خويلد وعائشة بنت أبي بكر وحفصة بنت عمر بن الخطاب وأم حبيبة بنت أبي سفيان وأم سلمة بنت أبي أمية وسودة بنت زعمة وأربع عربيات : زينب بنت جحش وميمونة بنت الحارث الهلالية وزينب بنت خزيمة الهلالية أم المساكين وجويرية بنت الحارث الخزاعية وواحدة غير عربية من بني إسرائيل هي صفية بنت حُيي من بني النضير ومات عنده اثنتان منهن خديجة وزينب أم المساكين ، ومات هو ﷺ عن تسع .

وأما سراريه ﷺ فأربعة : مارية القبطية وريحانة بنت شمعون ، وأخرى وهبتها له زينب بنت جحش ، وأخرى أصابها في بعض السبي . وتمامه مبسوط في (المواهب اللدنية) [٥] للقسطلاني .

---

(١) أخرجه أبو داود (١٥٤/٢) ٢ - كتاب : الصلاة ٣٥٥ - باب استحباب الترتيل في القراءة رقم (١٤٦٦) وانظر رقم (٤٠٠١) .

(٢) أخرجه الترمذي كتاب : ثواب القرآن باب : كيف كانت قراءة النبي ﷺ رقم (٢٩٢٤) وقال : حسن صحيح غريب .

(٣) أخرجه النسائي كتاب : الافتتاح باب : تزيين القرآن بالصوت رقم (١٠٢٣) .

(٤) القاموس المحيط [(٣٩٧/٤) النسوة] باب : الواو فصل : النون .

(٥) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية - في السيرة النبوية في مجلد للشيخ الإمام شهاب الدين أبي العباس أحمد ابن محمد القسطلاني المصري المتوفى سنة ٩٢٣ ثلاث وعشرين وتسعمائة وهو كتاب جليل القدر كثير النفع ليس له نظير في بابه ، رتبه على عشرة مقاصد :

الأول : في تشريف الله تعالى نبيه بسبق نبوته وطهارة نسبه وولادته ورضاعه ومغازيه وسراياه مرتبًا على السنين إلى وفاته عليه الصلاة والسلام .

الثاني : في أسمائه وأولاده وأزواجه وأعمامه وخدمه . =

ص : (فمن رغب) . ش : أي أعرض . ص : (عن سنتي) . ش : يقال رغب عنه إذا أعرض عنه ولم يرده ، والسنة : السيرة والطريقة . ص : (فليس) . ش : محسوبًا . ص : (مني) . ش : يعني أنا بريء منه . ص : (وزاد) . ش : الراوي لهذا الحديث . ص : (وفي رواية) . ش : أخرى عند . ص : (النسائي وقال بعضهم) . ش : أي بعض الرهط الذين جاءوا إلى أزواج النبي ﷺ يسألون عن كيفية عبادته عليه السلام أخذا من فم رسول الله ﷺ .

ص : (لا آكل اللحم) . ش : أي لحم الحيوانات مطلقًا ، قال المناوي في (شرح الجامع الصغير) : وقال الغزالي : وينبغي أن لا يواظب على أكل اللحم ، قال علي كرم الله وجهه : من ترك اللحم أربعين يومًا ساء خلقه ، ومن داوم عليه أربعين يومًا قسا قلبه ، وفي التفسير للبغوي عند قوله تعالى : ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ﴾ (١) قال أهل التفسير : ذكر النبي ﷺ الناس ووصف القيامة فرق له الناس وبكوا فاجتمع عشرة من الصحابة في بيت عثمان بن مظعون الجمحي وهم أبو بكر الصديق ، وعلي بن أبي طالب ، وعبد الله بن مسعود وعبد الله ابن عمر ، وأبو ذر الغفاري ، وسالم مولى أبي حذيفة ، والمقداد بن الأسود ، وسلمان الفارسي ، ومعقل بن مقرن وتشاوروا ، واتفقوا على أن يترهبوا ، ويلبسوا المسوح ويجبوا مذاكيرهم ، ويصوموا الدهر ويقوموا الليل ، ولا يناموا على الفراش ولا يأكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويسيحوا في الأرض فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأتى دار عثمان بن مظعون فلم يصادفه فقال لامرأته أم حكيم بنت أبي أمية وأسمها الحولاء وكانت عطارة أحق ما بلغني عن زوجك وأصحابه فكرهت أن تكذب وكرهت أن تبدي على زوجها ، فقالت يا رسول الله : إن كان أخبرك عثمان فقد صدقك فانصرف رسول الله ﷺ فلما دخل عثمان أخبرته بذلك ، فأتى رسول الله ﷺ هو وأصحابه فقال لهم رسول الله ﷺ : (ألم أنبأ أنكم اتفقتم على كذا وكذا) قالوا : بلى يا رسول الله وما

= الثالث : فيما منحه الله تعالى به من كمال خلقته وفيه ثلاثة فصول

الرابع : في معجزاته وخصائصه

الخامس : في خصائص المعراج السادس فيما ورد من آي التنزيل في رفعه ....إلخ . [كشف الظنون (١٨٩٦/٢)] .

(١) [سورة المائدة الآية ٨٧] .

أردنا إلا الخير ، فقال عليه السلام : «إني لم أومر بذلك» ، ثم قال : «إن لأنفسكم عليكم حقًّا فصوموا وأفطروا ، قوموا وناموا فإني أقوم وأنام وأصوم وأفطر وآكل اللحم والدسم وآتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني» ثم جمع الناس وخطبهم ثم قال : «ما بال أقوام حرّموا النساء والطعام والطيب ، والنوم وشهوات الدنيا أما إني لست آمركم أن تكونوا قسيسين ، ورهبانًا فإنه ليس في ديني ترك اللحم والنساء ولا اتخاذ الصوامع ، وإن سياحة أمتي الصوم * ورهبانيتهم الجهاد اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وحجوا واعتمروا وأقيموا الصلاة وآتو الزكاة وصوموا رمضان واستقيموا يستقم لكم فإنما هلك من كان من قبلكم بالتشديد شدّدوا على أنفسهم فشدّد الله عليهم فأولئك بقاياهم في الديارات والصوامع» فأنزل الله عز وجل هذه الآية [1] .

وعن سعد بن مسعود أن عثمان بن مظعون أتى النبي ﷺ فقال له ائذن لنا في الاختصاء فقال رسول الله ﷺ : (ليس منا من خصى ولا من اختصى [2] إن خصاء أمتي الصيام) فقال يا رسول الله! ائذن لنا في السياحة ؟ فقال : «إن سياحة أمتي في الجهاد في سبيل الله» قال : يا رسول الله ائذن لنا في الترهب ؟ فقال : «إن ترهب أمتي الجلوس في المساجد انتظار الصلاة» .

وروى عن عكرمة عن ابن عباس أن رجلاً قال يا رسول الله إني أصبت من اللحم فانتشرت للنساء فأخذتني شهوة فحرمت اللحم فأنزل الله : ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [3] يعني اللذات التي تشتهيها النفوس مما أحل الله لكم من المطاعم الطيبة والمشارب اللذيذة . وقال أبو محمد الخازن : فأعلم الله عز وجل بهذه الآية أن شريعة نبيه ﷺ غير ما عزموا عليه من ترك الطيبات أنه لا ينبغي أن تجتنب الطيبات المباحات .

ومعنى : ولا ﴿تُحَرِّمُوا﴾ لا تعتقدوا بتحريم الطيبات المباحات فإن من اعتقد تحريم شيء أحله الله فقد كفر . أما ترك لذات الدنيا وشهواتها والانقطاع إلى الله تعالى

---

(١) الحديث بطوله أخرجه ابن كثير (١٦٢/٣) ، والدر المنثور (٣٠٨/٢) وتفسير الطبري (٧/٧) عزاه السيوطي لابن جرير الطبري وعبد بن حميد عن قتادة بطوله عند قوله تعالى : ﴿لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم﴾ .

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٤٤/١١) رقم ١١٣٠٤ .

(٣) [سورة المائدة الآية ٨٧] .

والتفرغ لعبادته من غير إضرار بالنفس ولا تفويت حق الغير : ففضيلة لا منع منها بل مأمور بها .

الحديث الثاني :

ص : (خ م) . ش : يعني روى البخاري ومسلم في صحيحيهما بإسنادهما . ص (عن عائشة رضي الله عنها أنـــه) . ش : أي الشأن . ص : (صنع رسول الله ﷺ شيئًا) . ش : لعله من المآكل اللذيذة صنع له بإذنه ، أو غير ذلك من أنواع المباحات ولم ينص عليه لعدم تعلق حكم بخصوصه أو لقصد التعميم في كل مباح . ص : (فرخص فيه) . ش : أي حكم بالرخصة وعدم الحرج على أحد بتعاطيه . ص : (فتنزه) . ش : أي تباعد وامتنع . ص : (عنه) . ش : فلم يرغب فيه . ص : (قوم) . ش : من الصحابة رضي الله عنهم إيثارًا للزهد في الدنيا وكفا لأنفسهم عن تناول شهواتها مخافة أن تبغي عليهم نفوسهم في الاسترسال مع المباحات فلا يقدرون على منعها فتوقعهم في المحرمات وعلمهم أن رسول الله ﷺ معصوم محفوظ مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فلا يضره فعل شيء من ذلك فلا تقاس أنفسهم على نفسه .

ص : (فبلغ ذلك) . ش : التنزه الذي صدر منهم . ص : (النبي ﷺ) . ش : فغضب غضبًا شديدًا لجمع الصحابة . ص : (فخطب) . ش : لهم في ذلك . ص : (فحمد الله تعالى) . ش : كما هو عادته ﷺ في الخطبه . ص : (ثم قال) . ش : بعد ذلك . ص : (ما بال أقوام) . ش : استفهام إنكار والبال الحال يعني أي شيء حال أقوام نكرهم سترا عليهم حتى لا يفتضحوا عند غيرهم فيصيروا مذمومين بذواتهم والمقصود ذم صفاتهم لا ذواتهم . ص : (يتنزهون) . ش : أي يتباعدون ويمتنعون . ص : (عن) . ش : معاطاة . ص : (الشيء الذي أصنعه) . ش : ولا يقبلون على سنتي ويرغبون في اتباعي .

ص : (فوالله إني لأعلمهم) . ش : أي أكثر علما منهم . ص : (بالله) . ش : سبحانه وتعالى لكماله في مقام النبوة والرسالة وفقد النبوة منهم أصلاً . ص : (وأشدهم) . ش : أي أكثرهم . ص : (له) . ش : تعالى . ص : (خشية). ش : إذ العلم بالله سبب الخشية له فكلما كثر العلم به كثرت الخشية له كما قال تعالى :

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [1] .

فوائد الحديث

وقال النووي في (شرح مسلم) عند قوله ﷺ : فغضب حتى بان الغضب في وجهه ثم قال : (ما بال أقوام يرغبون عما رخص لي فيه فوالله لأنا أعلمهم بالله وأشدهم له خشية) ١ - فيه الحث على الاقتداء به ﷺ والنهي عن التعمق في العبادة وذم التنزه عن المباح شكا في إباحته .

٢ - وفيه الغضب عند انتهاك حرمات الشرع وإن كان المنتهك متأولاً تأويلاً باطلاً

٣ - وفيه حسن المعاشرة بإرسال التعزير والإنكار في الجمع ولا يعين فاعله فيقال (ما بال أقوام) ونحوه .

٤ - وفيه أن القرب إلى الله تعالى سبب لزيادة العلم به وشدة خشيته . وأما قوله ﷺ (فوالله لأنا أعلمهم بالله وأشدهم له خشية) فمعناه أنهم يتوهمون أن رغبتهم عما فعلت أقرب لهم عندي وأن فعلي خلاف ذلك وليس كما توهموا بل أنا أعلمهم بالله وأشدهم له خشية وإنما يكون القرب إليه سبحانه وتعالى والخشية على حسب ما أمر لا بخيالات النفوس وتكلف أعمال لم يؤمر بها .

الحديث الثالث :

ص: (خ د). ش : يعني روى البخاري وأبو داود في صحيحيهما [2] بإسنادهما . ص : (عن أبي جحيفة أنه) . ش : أي النبي . ص : (ﷺ آخى) . ش : فعل ماض من الإخاء قال في (القاموس) [3] لقد آخوت أخوة وآخيت وتآخيت وآخاة

---

(١) [سورة فاطر الآية ٢٨] .

(٢) أخرجه البخاري كتاب : الصوم باب : من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع ولم ير عليه قضاء إذا كان أوفق له ، كتاب : الأدب باب : صنع الطعام والتكليف للضيف . أبو داود ١٤ - كتاب : الصوم ٥٧ - باب : في صوم شوال رقم (٢٤٣٢) ، كتاب : الأدب (٦٧) ، (٨٦) والترمذي (١٢٣/٣) ٦ - كتاب : الصوم ٤٥ - باب : ما جاء في صوم يوم الأربعاء والخميس رقم (٧٤٨) عن مسلم القرشي قال : وفي الباب : عن عائشة قال أبو عيسى : حديث مسلم القرشي حديث غريب . الترمذي (٥٢٦/٤) ٣٧ - كتاب : الزهد باب : ٦٣ رقم (٢٤١٣) قال أبو عيسى : هذا حديث صحيح .

(٣) القاموس المحيط (٣٠٠/٤ أخو) باب : الواو فصل الهمزة .

مواخاة وآخاة إخاوة ووخاء اتخذته أودعته أخا . ص : **(بين سلمان)** . ش : الفارسي . ص : **(و)** . ش : بين . ص : **(أبي الدرداء رضي الله عنهما فزار سلمان أبا الدرداء فرأى)** . ش : سلمان . ص : **(أم الدرداء)** . ش : زوجة أبي الدرداء . ص : **(مبتذلة)**. ش : أي لابسة الثياب الخلقة قال في (القاموس) [1] : مبذلة كمكنسة ما لا يصان من الثياب كالبذلة بالكسر والثوب الخلق والمبتذل لابسه ومن يعمل عمل نفسه كالمبتذل . ص : **(فقال لها : ما شأنك)** . ش : أي لماذا أنت لابسة الثياب العتيقة الخلقة ولم تلبسي الثياب الحسنة وتتزيني لأبي الدرداء .

ص : **(فقالت)** . ش : له . ص : **(أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا)** . ش : يعني فلا يرغب في شيء من الشهوات والزينة الظاهرة . ص : **(فجاء أبو الدرداء)** . ش : فوجد أخاه سلمان في داره . ص : **(فصنع له طعامًا)** . ش : ليضيفه به وقدمه إليه . ص : **(فقال)** . ش : أبو الدرداء . ص : **(له)** . ش : أي لسلمان . ص : **(كل)** . ش : يعني من هذا الطعام وحدك . ص : **(فإني صائم قال)** . ش : سلمان . ص : **(ما أنا بآكل)** . ش : يعني وحدي . ص : **(حتى تأكل)** . ش : معي . ص : **(فأكل)** . ش : أبو الدرداء معه مواساة لضيفه ومراعاة لحقوق الإكرام . ص : **(فلما كان الليل)** . ش : وقد بات سلمان في دار أبي الدرداء رضي الله عنهما . ص : **(ذهب أبو الدرداء يقوم)** . ش : يصلي بالليل متهجدًا . ص : **(فقال)** . ش : له سلمان . ص : **(نم فنام)** . ش : وامتثل قوله ولم يخالفه محافظة على حقوق الأخوة معه . ص : **(ثم ذهب)** . ش : أبو الدرداء . ص : **(يقوم)** . ش : من الليل أيضًا . ص : **(فقال)** . ش : له سلمان . ص : **(نم فلما كان من آخر الليل)** . ش : عند ثلث الليل الأخير . ص : **(قال سلمان)** . ش : لأبي الدرداء . ص : **(قم الآن)** . ش : للصلاة. ص : **(فقاما)** . ش : يعني سلمان وأبا الدرداء رضي الله عنهما . ص : **(فصليا)** . ش : ما أقدرهما الله تعالى عليه من الصلاة ، ولعل اختيار هذا الوقت للقيام لما قال القرطبي في (شرح مسلم) : الساعة التي في الليل وهي الساعة التي ينادي فيها المنادي : من يسألني فأعطيه الحديث ، وهي في الثلث الأخير من الليل إلى أن يطلع الفجر وفيها : (ينزل

---

(١) القاموس المحيط (٣٤٤/٤ بذل) باب : اللام فصل الباء .

ربنا إلى السماء الدنيا) [١] كذا صحت الرواية هنا وهي ظاهرة في النزول المعنوي وتمامه هناك يعني نزول العطف والإحسان والإنعام والإكرام [٢] .

ص : **(فقال له)** . ش : أي لأبي الدرداء . ص : **(سلمان : إن لربك)** . ش : الذي خلقك . ص : **(عليك حقًا)** . ش : لازم الأداء وهو أن تعبده لا تشرك به شيئًا على حسب ما أمرك به وتكف عما نهاك عنه وقدم حق الله للاهتمام به . ص : **(وإن لنفسك)** . ش : التي قيامك بسببها وهي مطيتك الحاملة لك إلى الآخرة . ص : **(عليك حقًا)** . ش : يلزمك أداؤه إذ من حق الراكب أن يتحفظ على مطيته التي تبلغه أمانيه وحوائجه في الدنيا والآخرة وقدمها على بعدها لأنها أهم منه إذ هي الأصل بالنسبة إليه وما قبلها أصلها . ص : **(وإن لأهلك)** . ش : يعني زوجاتك وأولادك وأقربائك اللواتي حسن معيشتك في الدنيا بهن وانتظام حالك دائر عليهن وتسهيل سيرك إلى آخرتك منوط بهن قال في (القاموس) [٣] : أهل الرجل عشيرته وذوو قرباه وللبيت سكانه وللرجل زوجته كاهلته . ص : **(عليك حقًا)** . ش: بالمبيت معهن وحسن القيام عليهن بالإنفاق والحماية والرعاية وصلة الرحم والشفقة والرأفة . ص : **(فأعط)** . ش : وجوبًا عليك شرعيًا وعرفيًا . ص : **(كل ذي حق)** . ش : من هذه الثلاثة . ص : **(حقه)** . ش : الذي تعين في ذمتك ولا تظلمه بمنعه حقه فيعاقبك الله تعالى يوم القيامة . ص : **(فأتى)**. ش : أبو الدرداء . ص : **(النبي ﷺ فذكر ذلك)** . ش : أي الذي صنع سلمان وقوله الصادر منه . ص : **(له)** . ش : أي النبي عليه السلام .

ص : **(فقال النبي ﷺ صدق سلمان)** . ش : يعني في جميع ما صدر منه في حقك **وفي هذا الحديث** ١ - حث الإخوان في الدين على نصح بعضهم بعضا ٢ - ووجوب إطاعة بعضهم بعضا في الخير والهدى ٣ - والانقياد إلى الحق حيث كان

---

(١) الحديث أخرجه مسلم كتاب : صلاة المسافرين وقصرها ٢٤ - باب : الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل ١٦٨ - (٧٥٨) .

(٢) قلت : بل مذهب السلف الصالح وإجماعهم على أنه ينزل نزولا حقيقيًا يليق بجلاله وعظمته ليس كنزولنا ، وقال الإمام مالك : الاستواء (النزول) معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عن كيفيته بدعة . بمعناه .

(٣) القاموس المحيط (٣٤٢/٤ أهل) باب : اللام فصل الهمزة .

٤ - وإن الرجل الكبير إذا عرض عليه كلام من هو دونه وكان حقا في نفسه يصدقه فيه ويصوبه ولا يأبى قبوله ممن هو دونه ٥ - وفيه الحث على مؤاخاة الإخوان الصالحين ومخالطتهم وجواز الدخول إلى بيوتهم من غير إذنهم مع المحافظة على حرماتهم وأموالهم وزوجاتهم واستحقاقهم الضيافة منهم إذا حضروا واجتمعوا بهم .

الحديث الرابع :

ص : (خ س) . ش : يعني روى البخاري [1] والنسائي [2] في صحيحيهما بإسنادهما . ص : (عن أنس رضي الله عنه) . ش : أنه قال . ص : (دخل رسول الله ﷺ المسجد) . ش : يعني مسجد المدينة . ص : (فإذا حبل ممدود بين الساريتين) . ش : أي الأسطوانتين المعهودتين هناك فكأنهما معروفتان للمخاطب . ص : (فقال) . ش : النبي ﷺ لمن حضر . ص : (ما هذا الحبل ؟ قالوا :) . ش : أي الحاضرون . ص : (حبل زينب) . ش : بنت جحش زوجة النبي ﷺ يعني ربطته بين الساريتين في المسجد لتستعين به على دفع النعاس عنها . ص : (فإذا فترت) . ش : أي ضعفت عن قيام الليل وتراخت أعضاؤها من هجوم النوم عليها . ص : (تعلقت به) . ش : ساعة ليذهب عنها النعاس فتنشط للصلاة . ص : (فقال) . ش : النبي . ص : (ﷺ لا) . ش : أي لا تفعل زينب هكذا . ص : (حُلُّوه) . ش : أي ذلك الحبل بمعنى فكوا ربطه واطرحوه . ص : (ليصل أحدكم) . ش : يعني في الليل . ص : (نشاطه) . ش : أي مقدار نشاطه ولا يكلف نفسه العبادة بالمشقة في التهجد وغيره .

ص : (فإذا فتر) . ش : أي ضعف ووجد من نفسه ضد النشاط من العي

---

(١) أخرجه البخاري ١٩ كتاب : التهجد ١٨ - باب : ما يكره من التشديد في العبادة رقم (١١٥٠) . مسلم ٦ - كتاب : صلاة المسافرين وقصرها ٣١ - باب : أمر من نعس في صلاته أو استعجم عليه القرآن رقم ٢١٩ - (٧٨٤) .

(٢) النسائي ٢٠ - كتاب : قيام الليلة ١٧ - باب : الاختلاف على عائشة في إحياء الليل رقم (١٦٤٢) ، ابن ماجة (١٦٤/٢) ٥ - كتاب : إقامة الصلاة والسنة فيها ١٨٤ - باب : ما جاء في المصلي إذا نعس رقم (١٣٧١) ، تحفة الأشراف رقم (١٠٣٣) ، وأخرجه أحمد في المسند (٢٥٦/٣) ، البيهقي (١٩/٣) ، الحاكم في المستدرك (٦١/٤) ، البغوي في شرح السنة (٥٩/٤) ، الطحاوى في مشكل الآثار (٣٥٦/٤) .

والكسل . ص : (فليقعد) . ش : عن العبادة أي يتركها ، ومنه ذو القعدة - ويكسر - شهر كانوا يقعدون فيه عن الأسفار ، أي : يتركون ، وفي (رياض الصالحين) للنووي رحمه الله تعالى وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال (إذا نعس أحدكم وهو يصلي فليرقد حتى يذهب عنه النوم فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس لا يدري لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه) [١] متفق عليه ، وعن أبي عبد الله جابر بن سمرة رضي الله عنهما قال : (كنت أصلي مع النبي ﷺ الصلوات فكانت صلاته قصدًا وخطبته قصدًا) رواه مسلم ، قوله : (قصدًا) أي : بين الطول والقصر ، اهـ .

ويناسب الأول ما قاله فقهاء الحنفية من أنه إذا غلب عليه النوم تكره له التراويح كذا في «جامع الفتاوى» و«المجتبى» و«الخانية» بل ينصرف حتى يستيقظ ؛ لأن في الصلاة مع النوم تهاونًا وغفلة وترك التدبر ذكره والدي رحمه الله تعالى في «شرحه على شرح الدرر»

الحديث الخامس :

ص : (د) . ش : يعني روى أبو داود [٢] بإسناده . ص : (عن أنس) . ش : ابن مالك . ص : (رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : لا تشددوا) . ش : أي تضيقوا الأمر يا معشر المكلفين . ص : (على أنفسكم) .

---

(١) أخرجه البخاري ٤ - كتاب : الوضوء باب : الوضوء من النوم رقم (٧٨٦) .
- مسلم (٥٤٣،٥٤٢/١) ٦ - كتاب : صلاة المسافرين وقصرها ٣١ - باب : أمر من نعس في صلاته بأن يرقد رقم (٧٨٦) .
- أبو داود ٢ - كتاب الصلاة ٣٨ - باب : النعاس في الصلاة رقم (٣٥٥) .
- الترمذي (١٨٦/٢) ٢ - كتاب : الصلاة باب : ما جاء في الصلاة عند النعاس رقم (٣٥٥)
- النسائي (٩٩/١) ١ - كتاب : الطهارة باب : النعاس ، الدارمي (٣٧٢/١) ٢ - كتاب : الصلاة ١٠٧ - باب : كراهية الصلاة للناعس رقم (١٣٨٣) .
- مالك في الموطأ (١١٨/١) كتاب : صلاة الليل باب : ما جاء في صلاة الليل رقم (٣) .
- أحمد في المسند (٥٦/٦ ، ٢٠٢ ، ٢٠٥ ، ٢٥٩) .
- ابن ماجه (١٦٣/٢) ٥ - كتاب : إقامة الصلاة والسنة فيها ١٨٤ - باب : ما جاء في المصلي إذا نعس رقم (١٣٧٠) تحفة الأشراف رقم (١٧٠٢٩) .
(٢) أخرجه أبو داود رقم (٤٩٠٤) .

ش : بارتكابكم العبادات المشقة المتعبة لكم بحيث توصلكم إلى الملالة والكسل . ص : (فيشدد) . ش : أي يضيق الأمر الذي ارتكبتموه والتزمتموه بشروعكم فيه . ص : (الله) . ش : تعالى . ص : (عليكم) . ش : لأن الشروع في النوافل ملزم بها وموجب لإتمامها كما قال تعالى : ﴿وَلاَ تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ والتشديد على النفوس موصل للملالة والكسل وفي ذلك تشبه بالمنافقين كما قال تعالى : ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاَةِ قَامُوا كُسَالَى﴾ . ص : (فإن قومًا) . ش : من أمة عيسى عليه السلام كانوا قبلكم . ص : (شددوا) . ش : أي ضيقوا أمر العبادة . ص : (على أنفسهم) . ش : بتكليفها المشقات والمتاعب . ص : (فشدد) . ش : بالبناء للمفعول أي شدد الله تعالى . ص : (عليهم) . ش : فألزمهم بما تكلفوه من ذلك بحيث صار النقصان منه بينهم تهاونًا بطاعة الله تعالى وتكاسلاً عنها . ص : (فتلك) . ش : يعني الطائفة الموجودة الآن من النصارى . ص : (بقاياهم) . ش : أي بقايا الأولين . ص : (في الصوامع) . ش : جمع صومعة قال في (القاموس) : صومعة كجوهرة بيت النصارى ص : (والديار) . ش : جمع دار وهي المحل يجمع البناء والعرصة كذا في القاموس ص : (رهبانية) . ش : وهي المبالغة في العبادة والرياضة والانقطاع عن الناس منسوبة إلى الرهبان وهو المبالغ في الخوف من رهب كالخشيان من خشي وقرئت بالضم كأنها منسوبة إلى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان ، قاله البيضاوي .

ص : (ابتدعوها) . ش : أي : اخترعوها قال الخازن : والمعنى أنهم جاءوا بها من قبل أنفسهم وهي ترهبهم في الجبال والكهوف والغيران والديرة فارين من الفتنة وحملوا أنفسهم المشاق في العبادة الزائدة وترك النكاح واستعمال الخشن في المطعم والمشرب والملبس بالتقليل من ذلك . ص : (ما كتبناها) . ش : أي ما فرضناها . ص : (عليهم) . ش : روى البغوي [١] بإسناد الثعلبي عن ابن مسعود قال : دخلت على رسول الله ﷺ فقال : (يا ابن مسعود اختلف من كان قبلكم على اثنتين وسبعين فرقة نجا منها ثلاث وهلك سائرهن فرقة وازت الملوك وقاتلوهم على دين عيسى فأخذوهم

---

(١) أخرجه البغوي (٣٨/٧) ، الحاكم (٤٨٠/٢) كتاب : التفسير . وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . لكن الذهبي استدرك عليه في التلخيص فقال : ليس بصحيح فإن الضعيف وإن كان موثقًا فإن شيخه منكر الحديث قاله البخاري ، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٣٨/٢٧) والطبراني في الصغير (٢٢٤/١) .

وقتلوهم وفرقة لم يكن لهم طاقة بموازاة الملوك ولا أن يقيموا بين ظهرانيهم يدعوهم إلى دين الله ودين عيسى فساحوا في البلاد ورهبوا وهم الذين قال الله عز وجل : ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ فقال النبي ﷺ : (من آمن بي وصدقني واتبعني فقد رعاها حق رعايتها ، ومن لم يؤمن بي فأولئك هم الهالكون) .

وعن ابن مسعود قال : كنت رديف رسول الله ﷺ على حمار فقال لي : (يا ابن أم عبد هل تدري من أين أخذت بنو إسرائيل الرهبانية ؟) فقلت : الله ورسوله أعلم قال : (ظهرت عليهم الجبابرة بعد عيسى يعملون بالمعاصي فغضب أهل الإيمان فقاتلوهم فهزم أهل الإيمان ثلاث مرات فلم يبق منهم إلا القليل ، فقالوا : إنْ ظهرنا لهؤلاء أفنونا ولم يبق أحد للذي ندعو إليه فقالوا : نتفرق في الأرض إلى أن يبعث الله النبي الذي وعدنا به عيسى يعني محمدًا ﷺ ، فتفرقوا في غيران الجبال وأحدثوا الرهبانية فمنهم من تمسك بدينه ومنهم من كفر ثم تلى هذه الآية : ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ ﴿فَآتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ﴾ يعني : من ثبتوا عليها ﴿أَجْرَهُمْ﴾ ثم قال النبي ﷺ : (يا ابن أم عبد أتدري ما رهبانية أمتي ؟) قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : (الهجرة ، والجهاد ، والصلاة ، والصوم ، والحج ، والعمرة ، والتكبير على القلاع) [1] .

وروى أنس عن النبي ﷺ قال (لكل أمة رهبانية ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كانت ملوك بعد عيسى عليه السلام بدلوا التوراة والإنجيل وكان فيهم مؤمنون يقرءون التوراة والإنجيل ويدعونهم إلى دين الله ، فقيل لملوكهم : لو سمعتم هؤلاء الذين شقوا عليكم فقتلتموهم أو دخلوا فيما نحن فيه فجمعهم ملكهم وعرض عليهم القتل أو يتركوا قراءة التوراة والإنجيل إلا ما بدلوا منها فقالوا : ما تريدون إلى ذلك دعونا نحن نكفيكم أنفسهم .

فقالت طائفة منهم : ابنوا لنا أسطوانا ثم ارفعونا ثم أعطونا شيئًا نرفع به طعامنا وشرابنا فلا نرد عليكم .

وقالت طائفة : دعونا نسيح في الأرض ونهيم ونسرب كما تسرب الوحش فإن

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٥/٢٩٦) ، ابن عدي في الكامل (٣/١٠٥٦) ، ابن أبي حاتم في علل الحديث (٩٥٢) .

قدرتم علينا في أرضنا فاقتلونا ، وقالت طائفة منهم : ابنوا لنا دورًا في الفيافي ونحتفر الآبار ونجتذب البقول ولا نرد عليكم ولا نمر عليكم ، وليس أحد من القبائل إلا وله حميم فيهم ، قال : ففعلوا ذلك فمضى أولئك على منهاج عيسى وخلف قوم من بعدهم ممن قد غيروا الكتاب فجعل الرجل يقول : نكون في مكان فلان ، فيتعبد كما تعبد ويسيح كما ساح فلان ويتحدون كما اتحد فلان ، وهم على شركهم لا علم لهم بإيمان الذين اقتدوا بهم ، كذا نقله أبو محمد الخازن .

وذكر الواحدي في تفسير هذه الآية بسنده عن الزهري عن عروة قال : دخلت امرأة عثمان بن مظعون على عائشة وهي باذة الهيئة فسألتها ما شأنك ، قالت : زوجي يقوم الليل ويصوم النهار فدخل رسول الله ﷺ فذكرت عائشة ذلك له ، فلقي رسول الله ﷺ عثمان فقال : (يا عثمان إن الرهبانية لم تكتب علينا فما لك في أسوة فوالله إني أخشاكم لله وأحفظكم لحدوده) (١) .

الحديث السادس :

ص : (خ م) ش : يعني روى البخاري ومسلم (٢) في صحيحيهما بإسنادهما .
ص : **(عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال رسول الله ﷺ : إن هذا الدين يسر)** . ش : ضد العسر وهو السهولة يعني سهلاً لا صعوبة فيه ، ولهذا ورد عن رسول الله ﷺ فيما ذكره أبو بكر بن إسحاق الكلاباذى في كتابه (بحر الفوائد وشرح الآثار) (٣) عن أبي التياح قال : سمعت أنس بن مالك رضي الله عنه يحدث عن النبي ﷺ أنه قال : (يسروا ولا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا) (٤) فمعنى (يسروا) أي :

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢٢٦/٦) ، ابن حبان (١٢٨٨ ، ٢١٩٦ موارد) ، عبد الرزاق في مصنفه (١٠٣٧٥/١٢٥٩١) وانظر : إرواء الغليل للألباني (٧٩/٧) ، الدر المنثور للسيوطي (٣١٠/٢) ، كنز العمال (٤٩/٣) رقم (٥٤١٩-٥٤٢٢)

(٢) أخرجه البخاري كتاب : الإيمان (٢٩) - النسائي كتاب : الإيمان (٢٨) ، أحمد في المسند (٦٩/٥) .

(٣) بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار للشيخ أبي بكر محمد بن إبراهيم الكلاباذى البخاري المتوفى سنة ثمانين وثلاثمائة . [كشاف اصطلاحات الفنون (٢٢٥/١)]

(٤) أخرجه البغوي في شرح السنة (٦٦/١٠) ، أحمد (٢٣٩/١ ، ٢٨٣ ، ٣٦٥) (١٣١/٣ ، ٢٠٩) ، (٤١٢/٤) ، عبد الرزاق (١٦٥٩ ، ١٦٦٢) ، أبو نعيم في الحلية (٨٤/٣) ، ابن أبي شيبة (٣٤٤/٨).

اصرفوا بوجوه الناس إلى الله عز وجل في الرغبة إليه وردوهم في طلب الحوائج إلى الله ودلوهم في جميع أحوالهم على الله فإن اليسر كله عند الله ، قال تعالى : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ ، وقال : ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ .

(ولا تعسروا) أي : لا تردوهم إلى المخلوقين في طلب الحوائج منهم وقضائها من عندهم فإنهم محتاجون إلى مثل ما يحتاج إليهم فكأنهم يتجاذبون شيئًا بينهم كل يريده لنفسه فيعسر عليكم الوصول إلى ما تتجاذبونه بينكم .

وقوله : (سكنوا) تصديق لما قلنا ؛ لأن السكون هو الطمأنينة وقد قال تعالى : ﴿أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ فلا يزال قلب المؤمن في اضطراب في سبيل ما يرجوه ودرك ما يريده حتى يرده إلى الله فهنالك يسكن اضطرابه ضرورة واختيارًا ، وكذلك قوله : (ولا تنفروا) أي : لا تفرقوهم في دلالتهم على غير الله وردهم إلى سواه فتتفرق بهم المذاهب وتختلف عليهم المسالك والطرق في طلب ما يريدونه فالتنافر فُرْقَة ، والسكون جمع ، فكأن معنى قوله (يسّروا) أي ردوهم إلى اليسر ، (ولا تعسّروا) لا تردوهم إلى العسر ، (وسكنوا) أي : اجمعوهم ولا تنفروهم أي لا تفرقوهم . قال النبي ﷺ : (من أصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه أمره ومن أصبح وهمه الآخرة جمع الله له شمله) [1] هذا فيمن أراد الدنيا والآخرة فما ظنك فيمن أراد ربهما ، يَدُلُّ على صحة هذا التأويل ما روى عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : (ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار الذي هو أيسر) [2] .

ويجوز أن يكون معناه اختار الذي هو لله فإنه إذا اختار ما أراد الله فقد اختار اليسر ؛ لأن الله عز وجل يريد اليسر .

ص : (ولن يشاد) . ش : من المشادة وهي التشدد أي المغالبة والمخاصمة . ص :

---

(١) عزاه الحافظ العراقي في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين الموسوم بالمغني عن حمل الأسفار بهامش الإحياء (٢١٤/٤) لابن ماجة من حديث زيد بن ثابت بسند جيد ، والترمذي من حديث أنس بسند ضعيف نحوه ولم أقف عليه في سنن ابن ماجة .

(٢) الحديث : متفق عليه أخرجه البخاري كتاب : المناقب باب : صفة النبي ﷺ ، كتاب : الأدب باب : يسروا ولا تعسروا ، كتاب : الحدود باب : إقامة الحدود والانتقام لحرمات الله ، مسلم كتاب : الفضائل باب : مباعدته ﷺ للآثام رقم (٢٣٢٧) ، أبو داود (١٤٢/٥) ٣٥ - كتاب : الأدب ٥ - باب : في التجاوز في الأمر (٤٧٨٥) ، مالك في حسن الخلق (٢) .

(الدين) . ش : المعهـــود ذكرًا . ص : (أحدٌ) . ش : من الأمة . ص : (إلا غلبه) . ش : أي قهره فمن شدد على نفسه فيه ليأخذ منه بحظ وافر طال عليه المدى فرجع إلى السهولة فغلبه الدين ولم يقدر هو أن يغلب الدين أصلاً . ص : (فسددوا) . ش : سدده تسديدا قومه وسد الثلمة : أصلحها ووثقها ، واستد : استقام ، كذا في «القاموس»[1] ، فالمعنى قوّموا أموركم ، وأصلحوها ووثقوها .ص : (وقاربوا) . ش : من قارب الـخطـو داني يعني اجعلوا سيركم في طريق الله تعالى ، وسبيل عبادته مقاربة ومداناة ، فلا تبالغوا في ذلك ولا تغلوا فيه .

ص : (وأبشروا) . ش : يعني بالقبول من الله تعالى ، وبالمنازل العالية عنده ، ولا تظنـوا أن ذلـك يحصـل لـكم بالمبالغـة والغـلو دون التـوسط في الأمـور . ص : (واستعينوا) . ش : على أعمال دينكم ودنياكم . ص : (بالغـدوة) . ش : بالضم البكرة أو ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس ، كالغـداة والغدية والجمع غدوات وغديات وغدايا وغدوا ولا يقال : غَدايا إلا مع عشايا ، وغدا عليه غدوا وغدوة بـالضم ، واغتـد : أبكـر ، وغـاداه : بـاكره ، كـذا في (القـاموس) [2] . ص : (والروحة) . ش : من الرواح وهو العشى ، أو من الزوال إلى الليـل ، ورحنا رواحًا سرنا فيه أو عملنا ، كذا في (القاموس) [3] .

وفي «شرح المناوي على الجامع الصغير» : الغدوة بالفتح المرة من الغدو وهو الخروج أول النهار إلى انتصافه ، والروحة المرة من الرواح وهو من الزوال إلى الغروب ص : (و) . ش : استعينوا أيضًا . ص : (بشيء من الدلجـة) . ش : بالضم والفتح السير من أول الليل ، وقد أدلجوا ، فإن ساروا من آخره فادّلجوا بالتشديد كذا في (القـاموس) [4] والمعنى في الاستعانـة بذلـك المبادرة إلى الأعمـال والمسارعة إليها والمسابقة عليها من غير تأخر عنها في أعمال النهار ودون ذلك في أعمال الليل ولهذا قال: بشيء من الدلجة ولم يقل بالدلجة . ص : (وزاد) . ش : الراوى لهذا الحديث . ص : (في روايـة) . ش : أخـرى . ص : (والقصـد القصـد) . ش : وهو ضد

(١) القاموس المحيط (١٧٠/٤ قوم) باب : الميم فصل القاف .

(٢) القاموس المحيط (٣٧١/٤ غدو) باب : الواو فصل الغين .

(٣) القاموس المحيط (٢٣٢/١، ٢٣٣ روح) باب : الحاء فصل : الراء .

(٤) القاموس المحيط (١٩٥/١، ١٩٦ دلج) باب : الجيم فصل : الدال .

الإفراط كالاقتصاد ، كما في «القاموس» ، ومعناه : التوسط في الأمور بين الإفراط والتفريط . ص : (تبلغوا) . ش : أي تصلوا إلى مقصدكم أو مقصود الله تعالى منكم في قبوله ورضوانه والحلول في فراديس جنانه . وذكر الكلاباذي في (بحر الفوائد) : قال حدثنا محمد بن أحمد القاضي ، عن عيسى عن جابر بن عبد الله قال : مَرَّ النبي ﷺ على رجل يصلي على صخرة بمكة فأتى ناحية مكة فمكث مليًا ، ثم انصرف فوجد الرجل يصلي على حاله ، فجمع يده ، ثم قال : (يا أيها الناس عليكم بالقصد - ثلاث مرات - فإن الله تعالى لا يمل حتى تملوا) [١] الملال تكره يعرض للإنسان من عمل يعمله وأذى يلحقه منه وتعب يصيبه فيصبر عليه ويتحمل التعب فيه حتى يضجر ويسأم فيترك ذلك العمل استثقالا ويرفضه تضجرًا منه ، وسآمة له وهو شيء يعرض للطبع بعد إيثاره للشيء ورغبته فيه ، وهذه صفة الإنسان المطبوع على طبائع مختلفة ، وأوصاف متباينة وأخلاق متغايرة : والله عز وجل يجل عن هذه الأوصاف ، ويتعالى عنها علوًّا كبيرًا ، فالملال ليس بصفة له ولا يجوز معناه المفهوم عندنا من أوصاف من يلحقه الملال من المحدثين عليه . وهو صفة للإنسان المطبوع الذي يضعف عن تحمل ما يعرض له ، ويثقل عليه ، ويؤذيه .

فمعنى قول النبي ﷺ : (إن الله لا يمل حتى تملوا) [٢] ليس على الغاية والتوقيت فيوصف تعالى بهذه الصفة في وقت أو عند أمر بل هو على النفي عنه والتبرئة له منه فيجوز أن يكون معنى قوله «حتى تملوا» ، وتملوا بل تملوا . أي لا يمل فتمل ، ولا يمل

---

(١) صحيح أخرجه ابن ماجة (٥٣٠/٤) ٣٧ - كتاب : الزهد ٢٨ - باب : المداومة على العمل (٤٢٤١) بإسناد حسن ، وشطره الأخير أخرجه البخاري عن عائشة كتاب : الإيمان ٣٢ - باب : أحب الدين إلى الله أدومه ، مسلم (٥٤٢/١) ٦ - كتاب صلاة المسافرين وقصرهم ٣٠ - باب : فضل العمل الدائم من قيام الليل وغيره رقم ٢٢٠ - (٧٨٥) ، مالك في الموطأ (١١٨/١) ٧ - كتاب : صلاة الليل ١ - باب : ما جاء في صلاة الليل رقم (٤) قال السندي (القصد) هو الوسط المعتدل الذي لا يميل إلى أحد طرفي التفريط والإفراط .

(٢) أخرجه البخاري ٢ - كتاب الإيمان ٣٢ - باب : أحب الدين إلى الله أدومه .

- مسلم ٦ - كتاب : صلاة المسافرين وقصرها ٣٠ - باب : فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره رقم (٢٢٠) .

- مالك في الموطأ (١١٨/١) ٧ - كتاب : صلاة الليل ١ - باب : ما جاء في صلاة الليل رقم (٤) بلاغًا .

بل تملون ، كأنه يقول : الملال لكم صفة . وهذه صفة لاحقة بكم إذا تكلفتم الأعمال فأكرهتم عليها نفوسكم وتحملتم ما يلحقكم من التعب فيه ، وصبرتم عليه ، فيوشك أن تضعف عنها قواكم ، فتستثقلوها ، وتضجروا منها فترفضوها استثقالاً لها واستعراضًا منها وزهدًا فيها ورغبة عنها وبغضًا لها فلا تعودوا إليها .

والله - تعالى جدّه - لا تصيبه هذه الآفات ، ولا تعرض له العوارض فلا يصرفكم عما تكلفون ولا ينهاكم عما تعملون ولا يحول بينكم وبينها كراهة لها واستثقالاً منه إياها وبغضًا لها بل يصيبكم ذلك . فتتركون عبادة ربكم وتستثقلون خدمة مولاكم وتبغضون طاعة ربكم ، كما قال النبي ﷺ : (إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله فإن المنبت لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى) [(١)] أي : المركب المنبت ، بمعنى المنقطع من كثرة العدو عليه . لا قطع الأرض المقصود قطعها لبعد مسافتها ولا أبقى ظهره مستريحًا قابلاً للسير عليه بعد ذلك . وهو مثلٌ مضروبٌ للمبالغ في العبادة لا يصل بكثرة عبادته إلى غاية مقصوده . ولا يقدر أن يدوم على السير كذلك . بل مآله أن يعجز ويترك من التعب والملل .

وقول النبي ﷺ : (عليكم بالقصد) [(٢)] كره التعمق والغلو في الدين لما علم من جبلة الخلق على الضعف . وما في طباعهم من الملالة والسآمة خوفًا عليهم أن يبغضوا عبادة الله ويستثقلوا طاعته ويملوا خدمته فأمرهم بالاستجمام والاستراحة لاسترجاع القوى وزوال الضجر ، وسيكون ذلك أدعى لهم إلى حسن الطاعة لله ومحبة الخدمة له وإلف عبادته ، كما قال : (لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وآتي النساء ألا فمن رغب عن سنتي فليس مني ، ألا وكل قليل في سُنَّة خير من كثير في بدعة) [(٣)] .

وقال عليه السلام لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما : (إن لله عليك حقًّا ولبدنك

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٩/١) ، (١٨/٣) ، الخطيب في الفقيه والمتفقه (١٠١/٢) وعزاه السيوطي في الدرّ المنثور (١٩٢/١) للبزار عن جابر .

(٢) أخرجه ابن ماجة (٥٣١،٥٣٠/٤) ٣٧ - كتاب : الزهد ٢٨ - باب : المداومة على العمل رقم (٤٢٤١) وإسناده حسن ، انفرد به . تحفة الأشراف (٢٥٧٠) . ورواه ابن حبان (٦٥١ موارد) ، الخطيب في تاريخ بغداد (٣٢٣/١١) ، الطحاوي في شرح معاني الآثار (٤٧٩/١) .

(٣) لم أقف عليه كاملاً .

عليك حقًّا ولأهلك عليك حقًّا) [١] .

وكتب سلمان إلى أبي الدرداء رضي الله عنهما : إني أنام وأقوم فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي فعد واحتسب نومه طاعة لله وخدمة له كما احتسب قيامه وصلاته لأن النوم حق البدن . وقد أوجب الله تعالى هذا الحق فإيفاؤه إياه طاعة لله ، ولأن في نومته استجلاب القوة لقومته وتشحيذًا لطباعه ، وحثًّا منه لنفسه على طاعة ربه ، وتحبيب عبادة الله إلى نفسه ؛ لأن الله عز وجل أحب من عباده أن يحبّوه ويؤثروه ويقبلوا عليه ، ولذلك كلفهم الأعمال ليشتغلوا بها عما دونه ويقبلوا بها عليه ويتوجهوا بأدائها إليه فإذا تحملوا منها فوق طاقتهم ملوا فتركوها . وفي تركها ترك الإقبال عليه . والتوجه إليه جل وعز وهو غني عن أفعال عباده لا تزيده طاعتهم ولا تنقصه معصيتهم ، وإنما أراد منهم إظهار فقرهم إليه . ورؤية اضطرارهم وعجزهم ليعينهم ويقويهم ويجعلهم ملوكًا خالدين وأغنياء لا يفتقرون ، وأقوياء لا يضعفون سبحان اللطيف بعباده الرءوف بهم .

ويجوز أن يكون معنى قوله (إن الله لا يمل حتى تملوا) أي لا يترك ثوابكم والإقبال عليكم وقبولا لأعمالكم المدخولين فيها ما لم تملوا طاعته وتستثقلوا خدمته وتبغضوا عبادته كأنه يقول الله عز وجل يقبل عليكم وإن قصرتم في عبادته ويقبل يسير أعمالكم ويثيبكم عليها الجزيل ما دمتم فيها راغبين ولها مريدين وبنياتكم إليها قاصدين وإن لم تبلغوا إرادتكم فيها ومقاصدكم منها ، وإنما يترك ثوابكم والإقبال عليكم والقبول لكم إذا أعرضتم عنها ومللتموها .

الحديث السابع :

ص : (ز طب حب). ش : يعني روى البزار والطبراني وابن حبان بإسانيدهم [٢] ص : (عن ابن عباس رضي الله عنهما) . ش : أي عنه وعن أبيه العباس عم النبي عليه السلام . ص : (إنه) . ش : أي ابن عباس . ص : (قال

---

(١) أخرجه مسلم (٨١٣/٢) ١٣ - كتاب : الصيام ٣٥ - باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوّت به حقًّا أو لم يفطر العيدين والتشريق وبيان تفضيل صوم يوم وإفطار يوم رقم (١٨٢) .

(٢) أخرجه أحمد في المسند (١٠٨/٢) ، الترمذي (١٤٠/٣) ، ابن حبان (٥٤٥ ، ٩١٣ ، ٩١٤ موارد) ابن خزيمة في صحيحه (٩٥٠) ، أبو نعيم في الحلية (١٠١/٢) ، (٢٧٦/٦) ، الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٣٤٧/١٠) ، القضاعي في مسند الشهاب (١٠٧٨،١٠٧٩) .

قال رسول الله ﷺ : إن الله) . ش : سبحانه وتعالى . ص : (يحب أن تؤتى رخصه) . ش : جمع رخصة بضمة وبضمتين ما رخص الله للعبد فيما يخففه عليه كذا في (القاموس) [١] . وفي (التلويح) : الرخصة اسم لما بنى على أعذار العباد وهو ما يستباح مع قيام المحرم .

وذكر أبو اليسر أن الرخصة ترك المؤاخذة بالفعل مع قيام المحرم ، وحرمة الفعل وترك المؤاخذة بترك الفعل مع وجود الموجب والوجوب . وفي (الميزان) : أن الرخصة اسم لما يغير عن الأمر الأصلي إلى تخفيف وتيسير ترفيها وتوسعة على أصحاب الأعذار . وفي (مرآة الأصول شرح مرقاة الوصول) قال في الرخصة : هي أنواع أربعة : نوعان من الحقيقة أي رخصة حقيقة لكن أحدهما أحق بكونه رخصة من الآخر ، ونوعان من المجاز أي يطلق عليهما اسم الرخصة مجازًا . لكن أحدهما أتم في المجازية من الآخر أي أبعد من حقيقة الرخصة .

قال في (المنار) (وشرحه) لابن ملك . أما أحق نوعي الحقيقة فما استبيح مع قيام السبب المحرم وقيام الحرمة ، والمراد من الاستباحة أن يعامل معاملة المباح في سقوط المؤاخذة لا أنه يصير مباحًا فلا يلزم من سقوط المؤاخذة ثبوت الإباحة ، فإن الكبيرة إذا عفي عن مرتكبها لا تصير مباحة مع عدم المؤاخذة عليها . وذلك كترخص من أكره بما يخاف على نفسه أو على عضو منه على إجراء كلمة الكفر ،فإنه رخص له الإجراء على اللسان وقلبه مطمئن بالإيمان ، لأن حقه في نفسه يفوت عند الامتناع صورة ومعنى أما صورة فبتخريب البنية . وأما معنى فبزهوق الروح والإقدام عليها ، ألا يفوت حق الله تعالى معنى كذا لأن الركن الأصلي هو التصديق وكذلك إذا أكره الصائم على الإفطار يباح له الإفطار لأنه إذا امتنع ، وقيل : يفوت حقه صورة ومعنى وإذا أقدم على الفطر يفوت حق الله تعالى صورة لأنه يفوت إلى بدل وهو القضاء فكأن له رخصة في الفطر لرجحان حقه وكذلك إذا أكره على إتلاف مال الغير رخص له ذلك لرجحان حق نفسه وحق الغير لا يفوت لانجباره بالضمان وكذلك إذا خاف على نفسه رخص له ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ؛ لأنه لو أقدم يفوت حقه صورة ومعنى ولو ترك يفوت حق الله تعالى صورة لا معنى ؛ لأن اعتقاد حرمة الترك

---

(١) القاموس المحيط (٣١٦/٢ رخص) باب : الصاد فصل الراء .

باق ، وكذلك جناية المكره المحرم على إحرامه وتناول المضطر طعام الغير بأن أصابته مخمصة حيث يرخص له ذلك بالضمان وحكم هذا النوع من الرخصة أن الأخذ بالعزيمة أولى لبقاء المحرم ، والمحرمة حتى لو صبر واحتمل ما أكره به وامتنع عما هو الرخصة وقتل كان شهيدًا لكونه باذلاً نفسه لإقامة حق الله تعالى .

والنوع الثاني من الرخصة : ما استبيح مع قيام السبب المحرم . لكن الحكم وهو الحرمة متراخ عنه أي عن السبب إلى زمان زوال العذر فمن حيث إن السبب قائم كانت الرخصة حقيقة ، ومن حيث إن الحكم متراخ غير ثابت في الحال كان هذا القسم دون الأول وذلك كإفطار المسافر مع قيام السبب وهو قوله تعالى : ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [1] وحكم هذا النوع أن الأخذ بالعزيمة أولى لكمال سببه ، وهو شهود الشهر حتى كان الصوم في السفر أفضل من الإفطار إلا أن يضعفه الصوم يعني إذا أضعفه الصوم كان الفطر أولى ولو صبر حتى مات كان آثمًا ؛ لأنه لو بذل نفسه لإقامة الصوم كان قاتلاً لنفسه من غير تحصيل المقصود بالصوم وهو الارتياض بخدمة المولى وأما إثم نوعي المجاز فهو ما سقط عنا ولم يشرع في حقنا من الإصر ، وهو الأعمال الشاقة ، كقتل النفس في التوبة ، وقطع الأعضاء الخاطئة ، وعدم جواز صلاتهم في غير مساجدهم ، وعدم التطهير بغير الماء وحرمة أكل الصائم بعد النوم ، ومنع الطيبات عنهم بالذنوب ، وكون الزكاة ربع مالهم ، وكتابة ذنب أحدهم على الباب بالصبح ، والأغلال وهي المواثيق اللازمة لزوم الغل ، كما روى أن بني إسرائيل كانوا إذا قاموا يصلون المسوح وغلوا أيديهم إلى أعناقهم وربما ثقب الرجل ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة لبسوا وأوثقها إلى السارية يحبس نفسه على العبادة فهذه الأمور رفعت عن هذه الأمة تكريمًا للنبي ﷺ فسمى ما حط عنا من الإصر والأغلال التي وجبت على من قبلنا رخصة مجازًا لأن الأصل وهو العزيمة وهي الإصر والأغلال لم يبق مشروعًا أي لم يجب علينا وسقط عنا تخفيفًا بالنظر إلى غيرنا .

والنوع الرابع من أنواع الرخص : ما سقط عن العباد بإخراج سببه من أن يكون موجبًا للحكم في محل الرخصة مع كون ذلك الساقط مشروعًا في بعض الأوقات فمن حيث إنه سقط في محل الرخصة كان نظير القسم الثالث وكان مجازًا إذ ليس في

---

(١) [سورة البقرة الآية ١٨٥] .

مقابلته عزيمة ومن حيث أنه بقي السبب والحكم مشروعًا في بعض الأوقات أخذ شبهًا بالحقيقة ولكن جهة المجاز غالبة لأن جهة المجاز بالنظر إلى محل الرخصة وشبه الحقيقة بالنظر إلى غير محلها فكانت جهة المجاز أقوى .

قال في (شرح مرقاة الوصول) : كالخمر والميتة للمضطر والمكره فإن حرمة تناولها ساقطة في حقهما بخوف الهلاك على النفس حتى لم تبق مشروعة عندنا . وتبدلت بالإباحة حتى إذا صبر ومات أثم إن علم بالإباحة ، في هذه الحالة لأن في انكشاف الحرمة خفاء فيعذر بالجهل ، كذا ذكره الإمام الأسبيجابي ، وقال في «التلويح» : في أكل الميتة وشرب الخمر حال الاضطرار فإن المختار عند الجمهور أنه مباح والحرمة ساقطة لا أنه حرام رخص فيه بمعنى ترك المؤاخذة . إبقاء للمهجة كما في إجراء كلمة الكفر وأكل مال الغير على ما ذهب إليه البعض ، أما في أكل الميتة فلأن النص المحرم لم يتناولها حالة الاضطرار لكونها مستثناة فبقيت مباحة بحكم الأصل ، وبمثل قوله تعالى ﴿خَلَقَ لَكُم مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [1] بل عند القائلين بأن الاستثناء من الإثبات نفي يكون النص دالاً على عدم حرمتها حالة الاضطرار ثم بسط الكلام في ذلك .

وقال في (شرح مرقاة الوصول) : وكقصر المسافر فإنه رخصة إسقاط عندنا فإتمام المسافر بنية الظهر لا يجوز كإتمام الفجر بنية الظهر والنفل إساءة ، وترك القعدة الأولى مفسد ، وكذلك مسح المتخفف فإن غسل الرجل الذي هو عزيمة سقط في مدة المسح رخصة ، لأن استتار القدم بالخف يمنع سراية الحدث إلى القدم فثبت أن الغسل ساقط وأن المسح شرع لليسر ابتداء لا على معنى أن الواجب من غسل الرجل يتأدى بالمسح إذ لو كان كذلك لما اشترط كون الرجل طاهرة وقت اللبس ولا كون أول الحدث بعد اللبس ولا كون الحدث بعد اللبس طارئا على طهارة كاملة كما في المسح على الجبيرة ، لأن المسح يصلح رافعًا للحدث الساري إلى القدم وأن الشرع أخرج السبب الموجب للحدث من أن يكون عاملاً في الرجل ما دامت مستترة بالخف وجعله مانعًا من سراية الحدث إلى القدم . وحكم هذا القسم من الرخصة أن العزيمة لا تبقى مشروعة فيه ، ما دام متخففًا ، فإن رأى المسح ولم يمسح أخذًا بالعزيمة يثاب باعتبار النزع والغسل .

---

(١) [سورة البقرة الآية ١٢٩] .

ص : (كما تؤتى عزائمه) . ش : جمع عزيمة من عزم على الأمر أراد فعله وقطع عليه أو جدّ فيه ، وعزمة من عزمات الله حق من حقوقه أي واجب مما أوجبه وعزائم الله فرائضه التي أوجبها كذا في (القاموس) [1] وفي (شرح مرقاة الوصول) : والعزيمة : ما شرع ابتداء غير مبني على أعذار العباد وهي فرض وواجب وسنة ونفل وحرام ومكروه ومباح ، وتمامه مفصل في كتب الأصول وذكره يطول .

والحاصل أن الرخص أحكام الله تعالى كما أن العزائم أحكام أيضًا وهو تعالى يحب طاعته بالعمل بأحكامه على كل حال ويلزم من هذا أن يبغض مخالفته سبحانه بالعمل بأحكام النفس والهوى والشيطان وليست الرخص من أحكام النفس ولا الهوى ولا الشيطان حتى يبغضها سبحانه وإن كان فيها تسهيل على النفوس وتوسيع عليها فإنه تسهيل وتوسيع من قبل الحق تعالى لا هو من قبل النفوس حتى يكون مذمومًا ، كما قال تعالى : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [2] لكن نقل الشيخ عبد الرءوف المناوي في (شرح الجامع الصغير) أنه لا يجوز تتبع الرخصة بأن يأخذ من كل مذهب الأهون بحيث تنحل ربقة التكليف من عنقه خلافًا لابن عبد السلام حيث أطلق جواز تتبعها ، وقد يحمل كلامه على ما إذا تتبعها على وجه لا يصل إلى الانحلال المذكور ونقل عن السبكي في المنتقل من مذهب إلى آخر إن قصد الرخصة فيما يحتاجه لحاجة لحقته أو ضرورة أرهقته يجوز وإن قصد مجرد الترخص فيمتنع ، لأنه متتبع لهوى لا لدين وان كثر ذلك وجعل اتباع الرخصة ديدنه يمتنع لما ذكر ولزيادة فحشه . انتهى ولنا رسالة مستقلة في مسئلة التقليد سميناها (خلاصة التحقيق) بينا فيها حكم مذهبنا في جواز التقليد وما يمتنع منه وليس من الرخص التي يجوز فعلها لحيلة إذا وردت على تحليل حرام أو تحريم حلال كما ذكر ذلك العلامة ابن العز الحنفي في رسالة له صنفها في (بيان الاقتداء بالإمام المخالف للمذهب) قال فيها : ومما يجب الاحتراز منه لقصور الفهم عن الأئمة وعدم فهم الأدلة الشرعية فيتساهلون في الحيل في التحليل وغيره ، أما القصور في فهم الأدلة فظاهر ، وأما المقصور في الفهم عن الأئمة فإنهم يسمعون عمن يقول بجواز الحيل فيسترسلون في الإكثار منها ومجاوزة الحد فيها .

---

(١) القاموس المحيط (٤/١٥١ عزم) باب : الميم فصل العين .

(٢) [سورة البقرة الآية ١٨٥] .

وقد قال أبو حنيفة رضي الله عنه : إنه يحجر على المفتي الذي يعلم الناس الحيل لكن قد يشكل على من يسمع هذا عن أبي حنيفة رضي الله عنه ويقول : كيف يقال بالحجر على من يعلم الناس الحيل ؟ مع القول بجوازها ولا إشكال بحمد الله وإن كان قد وقع في الحيل كثير ممن ينسب إلى أبي حنيفة لظنهم أنه يقول بجواز تعاطي أسبابها وليس الأمر كذلك ، فإن أبا حنيفة إنما يقول : لو فعل مثل هذا الفعل المحرم لترتب عليه حكمه لا أنه يقول بجواز فعله ابتداء ، كما يقول في البيع الفاسد : لو فعل لترتيب عليه حكمه بخلاف البيع الباطل ، لا أنه يقول بجواز الإقدام على البيع الفاسد ، وكما قالوا في البيع عند أذان الجمعة : إنه لا يجوز فعله ولو فعل لترتب عليه حكمه ونفذ ، وأصل أبي حنيفة في ذلك معروف وهو أنه يفرق بين النهي عن الشيء لمعنى في عينه . والنهي عنه لمعنى في غيره ومن ذلك العينة وأمثالها فإن العينة مذمومة .

قال الشيخ حسام الدين في (النهاية شرح الهداية) (١) في كتاب الكفالة : وهذا النوع من البيع ذميم ، اخترعه أكلة الربا وقد ذمهم رسول الله ﷺ بذلك فقال : (إذا تبايعتم بالعينة واتبعتم أذناب البقر ذللتم وظهر عليكم عدوكم) . (٢) وقيل : إياك والعينة فإنها لعينة ومصداق هذا الحديث ما دهانا من البلاء ودهمنا من اللأواء وإذا الناس في زماننا اشتغلوا بالعينة فابتلوا بهذا اللعين وبعضهم أقبلوا على الجد على الزراعة فقرعوا بقارعة ذات بأس وفظاعة وعلماؤهم أخذوا في اقتراب أبواب السلطان فأخذوا بأنواع الافتتان : ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٣) ، ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ (٤) كذا ذكره الإمام

---

(١) «الهداية في الفروع» لشيخ الإسلام برهان الدين على بن أبي بكر المرغيناني الحنفي المتوفى سنة ٥٩٣ هـ وله عدة شروح ومن هذه الشروح شرح الشيخ الإمام تاج الشريعة عمر بن صدر الشريعة الأول عبيد الله المحبوبي الحنفي المتوفى سنة ٦٧٢ هـ وسماه (نهاية الكفاية في دراية الهداية) أوله : نصر من الله وفتح قريب هو المحمود جل شأنه ..... إلخ كشف الظنون (٢٠٣٣/٢) .

(٢) أخرجه أبو داود (٧٤٠/٣ ، ٧٤١) ١٧ - كتاب : البيوع والإجارات ٦ - باب : في النهي عن العينة رقم (٣٤٦٢) عن ابن عمر ، البيهقي في السنن الكبرى (٣١٦/٥) والحلية لأبي نعيم (٢٠٩/٥) ، الدولابي في الكنى والأسماء (٦٥/٢) .

(٣) [سورة الأعراف الآية ٢٣] .

(٤) [سورة الدخان الآية ١٢] .

المرغيناني في (الفوائد) [١] خصوصًا في هذا الوقت الذي نحن فيه حيث نزل بيع العينة منزلة البياعات الصحيحة بالنسبة إلى بياعات هذا الزمان فلا جرم ابتلوا ببلايا أشد مما كان البلاء فيمن قبلهم ، هذه عبارة المرغياني رحمه الله تعالى ، فالحيلة إذا كانت على تحريم حلال أو تحليل حرام أو إبطال حق أو تحقيق باطل فهي حرام بلا خلاف وإنما الخلاف في الحيلة إذا فعلت مع كونها حرامًا هل يترتب عليها الحكم أم لا ، فعند أبي حنيفة والشافعي رضي الله عنهما يترتب عليها الحكم خلافًا لمالك وأحمد رضي الله عنهما .

وأما قول من قال من الأصحاب إن الحيلة على إسقاط الزكاة لا تكره ؛ لأنه امتناع عن الوجوب لا إسقاط بعد الوجوب ، يعني : إذا ملك المال قبل حولان الحول لمن يثق به ثم استرده بعد الحول ، فالظاهر أن هذا لم يقله أبو حنيفة ، فإن قولهم : إنه امتناع من الوجوب إنما يكون الامتناع عن الوجوب إذا ترك الاكتساب أما إذا ملك النصاب ثم ملكه حولان الحول لمن يثق به فقد سعى في إسقاط الوجوب بعد انعقاد سببه ، فإن السبب ملك النصاب النامي ، ولهذا جاز تعجيل الزكاة قبل الحول والمصلحة التي شرعت لأجلها الزكاة تفوت بفتح باب الحيل على إسقاطها ، وكذلك المفسدة التي حرم لأجلها الربا لم ترتفع بالحيل على تحصيله . وكذلك المصلحة التي شرع لأجلها الاستبراء وهي خوف اختلاط المياه واشتباه الأنساب تفوت بالحيلة على إسقاطه وكذا قال أبو حنيفة : إن القضاء بشهادة الزور في العقود والفسوخ ينفذ ظاهرًا أو باطنًا حتى لو أقام رجل شاهدي زور أنه تزوج امرأة حل له وطؤها مع حرمة تعاطي ذلك السبب الباطل ، فالإثم في تعاطي السبب الباطل لكن إذا وجد السبب وجد المسبب ، وأما ما يفعله بعض قضاة زماننا من الحكم بصحة المعاملة-وإن قصد بها المداينة مع علمه بالخلاف فشيء محدث لا أصل له ولا ينبغي أن يرفع الخلاف بل من أراد إبطال تلك المعاملة أبطلها فإن قوله : «وإن قصد المداينة» معناه وإن قصد بها الربا ولا اعتبار للألفاظ بل العبرة بالمعاني ، وأي حكم أقبح من الإعانة على فعل المحرم ؛ فإنه إذا قال : حكمت بصحة هذا الفعل إن قصد به تحليل ما حرم الله وتحقيق ما أبطله الله يكون حكمه على خلاف حكم الله في هذه القضية وأحل الله البيع

---

(١) فوائد برهان الدين المرغيناني ولبرهان الدين محمد بن محمد النسفي المتوفى سنة ٦٨٨ هـ [كشف الظنون (١٢٩٦/٢)] .

وحرّم الربا .

فالحاصل أن الحيلة إذا تضمنت تحليل حرام لا تحريم حلال أو إبطال حق أو تحقيق باطل لا يفتي بها المفتي وإن كان يترتب عليها حكمها لو فعلت فإنه لا يسوغ له الإعانة على فعل المحرم قال الله تعالى : ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [١] ويحجر على من يفتي بها من المفتين ، كما قال أبو حنيفة : فإذا رفعت إليه قضية وهو لا يعلم أنها حيلة على إبطال حق أو تحقيق باطل حكم بها ، لأنه معذور حكم بالظاهر والله يتولى السرائر ، فمن أفتى أو حكم وهو يعلم بالحال فليعلم أنه موقوف بين يدي الله تعالى ومسئول فليعد للسؤال جوابًا وللجواب صوابًا ، انتهى كلام العز رحمه الله تعالى ، وهو كلام حسن عند من تأمله بالإنصاف موافق للمذهب بل لأصل الدين من غير خلاف فإن الحيلة على استباحة المحرم وانتهاك حرمة الله تعالى فيه أمر قبيح جدًا عند من لم يسكر بحب الدنيا والإكثار من الأموال .

قال خاتمة المحدثين الشيخ نجم الدين الغزي الدمشقي في كتابه (حسن التنبيه في التشبيه) : ومن أعمال بني إسرائيل يعني اليهود الحيلة في أكل ما حرم عليهم . قال الله تعالى : ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لاَ يَسْبِتُونَ لاَ تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [٢] روى الحاكم [٣] بإسناد صحيح ، عن عكرمة قال : دخلت على ابن عباس وهو يقرأ في المصحف قبل أن يذهب بصره وهو يبكي فقلت ما يبكيك جعلني الله فداك . قال فقال : هل تعرف أيلة ؟ قلت : وما أيلة ؟ قال : قرية بها ناس من اليهود فحرم الله عليهم الحيتان يوم السبت - زاد في رواية لغير الحاكم - وذلك أن اليهود أمروا باليوم الذي أمرتم فيه يوم الجمعة فتركوه ، واختاروا السبت فابتلوا فيه وحرم عليهم فيه الصيد وأمروا بتعظيمه إن أطاعوا لم يؤجروا وإن عصوا عذبوا . قال الحاكم : في رواية فكانت حيتانهم تأتيهم يوم سبتهم شرعًا بيض سمان كأمثال المخاض فإذا كان في غير يوم السبت

---

(١) [سورة المائدة الآية ٢] .

(٢) [سورة الأعراف الآية ١٦٣] .

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/٣٢٢) كتاب : التفسير باب : تفسير سورة الأعراف مطولاً ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في التلخيص .

لم يجدوها ولم يدركوها إلا في مشقة ومؤنة شديدة فقال بعضهم لبعض أو من قال ذلك منهم : لعلنا لو أخذناها يوم السبت وأكلناها في غير يوم السبت ففعل ذلك أهل بيت منهم فأخذوا وشووا فوجد جيرانهم ريح الشواء فقالوا ما نرى أصحاب بني فلان بشيء فأخذها آخرون حتى فشى ذلك فيهم وكثر فافترقوا ثلاثًا . فرقة أكلت ، وفرقة نهت ، وفرقة قالت : ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ فقالت : الفرقة التي نهت : إنا نحذركم غضب الله ، وعقابه أن يصيبكم بخسف أو قذف أو ببعض ما عنده من العذاب والله ولا نبايتكم في مكان وأنتم فيه فخرجوا فغدوا عليه من الغد فضربوا باب السور فلم يجبهم أحد فأتوا بسبب فأسندوه إلى السور ثم رقى راقٍ منهم إلى السور فقال : يا عباد الله قردة والله لها أذناب تعاوى ثلاث مرات ، ثم نزل من السور ففتح السور فدخل الناس عليهم فعرف القردة أنسابهم من الإنس ولم تعرف الإنس أنسابها من القردة ، قال : فيأتي القرد إلى نسيبه وقريبه من الإنس فيحك به ويلصق به ويقول الإنسان : أنت فلان فيشم برأسه أي شم ويبكي وتأتي القردة إلى نسيبتها فتقول لها أنت فلانة فتشير برأسها أي نعم وتبكي فتقول لهم الأنس : أما إنا حذرناكم غضب الله وعقابه أن يصيبكم بخسف أو مسخ أو ببعض ما عنده من العذاب ، قال ابن عباس : فما سمع الله تعالى يقول : ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ (١) فلا أدري ما فعلت الفرقة الثالثة قال ابن عباس : وكم قد رأينا من منكر فلم ننه عنه قال عكرمة : فقلت ما ترى جعلني الله فداك إنهم قد أنكروا وكرهوا حين قالوا : ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ فأعجبه قولي ذلك وأمر لي ببردين غليظين فكسانيهما .

* * *

---

(١) [سورة الأعراف الآية ١٦٥] .

الحديث الثامن :

ص : (حـد ز طط خـز) . ش : يعني روى الإمام أحمد [١] والبزار والطبراني [٢] في المعجم الأوسط [٣] وابن خزيمة [٤] بأسانيدهم . ص : (عن ابن عمر) . ش : ابن الخطاب . ص : (رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : إن الله تبارك) . ش : أي تقدس وتنزه صفة خاصة بالله تعالى ، كذا في (القاموس) [٥] . ص : (وتعالى) . ش : أي ارتفـع عن إدراك العقول . ص : (يحبُّ) . ش : من أحب والمحبة في حق الله تعالى لبعض الأعمال والأشخاص كناية عن كمال الرضا بذلك والإقبال عليه . ص : (أن تؤتى) . ش : بالبناء للمفعول . ص : (رخصه) ش : جمع رخصة وتقدم معناها والمراد أنه تعالى يرضى من عبده المكلف أن يفعل ما رخصه له من الأحكام الشرعية أي سهله عليه . ص : (كما) . ش : أي مثل ما ص : (يكره) . ش : سبحانه وتعالى أي لا يحب ولا يرضى . ص : (أن تؤتى) . ش : أي تفعل يعني يفعلها عبده المكلف . ص : (معصيته) . ش : التي نهى عنها نهي تحريم أو كراهة ، وفيه إشارة إلى أنه تعالى يحب عبده إذا فعل الأفعال التي يحبها سبحانه ويكره عبده إذا فعل الأفعال التي يكرهها سبحانه وأنه تعالى يحب ما رخص في فعله كما يحب ما أمر بفعله ويكره ما نهى عن فعله فأوجب ترك معصيته من الصغائر والكبائر .

ص : (زاد). ش : الراوي على قوله : «إن الله يحب أن تؤتى رخصه» . ص :

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (١٠٨/٢) .

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٤٠/٣) ، ابن حبان (٥٤٥، ٩١٣، ٩١٤ موارد)، أبو نعيم في حلية الأولياء (١٠١/٢) ، الخطيب في تاريخ بغداد (٣٤٧/١٠) ، القضاعي في مسند الشهاب (١٠٧٨، ١٠٧٩) .

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٢٧٥/٥) رقم (٥٣٠٢) عن ابن عمر ، وقال : لم يدخل في هذا الحديث بين موسى بن عقبة وبين نافع حرب بن قيس إلا الدراوردي .
قلت وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٢٣٦/٦) رقم (٩٢٨٢) عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : (إن الله يحب أن يؤخذ برخصه كما يحب أن يؤخذ بعزائمه) قلت : وما عزائمه ؟ قال : فرائضه .

(٤) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (٩٥٠) .

(٥) القاموس المحيط (٣٠٣/٣ برك) باب : الكاف فصل الباء .

(في رواية ابن خزيمة) [١] . ش : أي روى ابن خزيمة في مسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما . ص : (كما يحب أن تترك) . ش : بالبناء للمفعول . ص : (معصيته) . ش : بدل كما يكره أن تؤتى معصيته ، والحاصل أن الرخص التي سهل الله تعالى على المكلفين في فعلها لا يجد الحرج في نفسه بفعلها إلا الذي ترك الدين الحق وتبع العقل والهوى ، قال النجم الغزي في كتابه (حسن التنبيه في التشبيه) : ومن أخلاق الشيطان اللعين كراهية الرخصة والمنع منها وهو خلاف ما يحبه الله من العبد ثم أورد نحو ما هنا من الأحاديث ثم قال : وروى ابن أبي شيبة عن إبراهيم النخعي قال : (مسح أصحاب النبي ﷺ على الخفين فمن ترك ذلك رغبة عنه فإنما هو من الشيطان) [٢] ومن هنا قال العلماء : من وجد في نفسه كراهة الترخص فأخذه بالرخصة أفضل من أخذه بالعزيمة ومهما أخذ بالرخصة فلابد ألا يفضى به الأخذ بها إلى تتبع الرخص بأن يأخذ بالأهون من كل مذهب فإن هذا حرام وهو من خطوات الشيطان . وقدمنا ما فيه من الكلام .

الحديث التاسع :

ص : (ط طك) . ش : يعني روى مالك في الموطأ والطبراني في المعجم الكبير بإسناديهما [٣] . ص : (عن أبي الدرداء و) . ش : عن . ص : (واثلة بن الأسقع و) . ش : عن . ص : (أبي أمامة) . ش : الباهلي . ص : (و) . ش عن . ص : (أنس) . ش : ابن مالك . ص : (رضي الله عنهم أن رسول الله ﷺ قال : إن الله يحبُّ) . ش : أي يرضى كمال الرضا . ص : (أن تقبل) . ش : بالبناء للمفعول . ص : (رخصه) . ش : أي يقبلها عبده فيعمل بها ولا ينفر منها العبد فيتساهل بها ولا يعمل إلا بما يشق عليه . ص : (كما يحب العبد) . ش:

---

(١) صحيح ابن خزيمة رقم (٩٥٠) .

(٢) أخرجه مسلم من طريق ابن أبي شيبة كتاب : الطهارة باب : المسح على الخفين ٧٢ - (٢٧٢) .

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٢/١٠٨) .

- الطبراني في المعجم الكبير (٨/١٨٠) رقم (٧٦٦١) .

- ورواه في الأوسط (١٣٦) ، مجمع البحرين وهو باطل بهذا اللفظ والآفة من عمرو بن عبد الجبار ، قال ابن عدي : روى عن عمه المناكير وقال في المجمع (٣/١٦٣) : وعبد الله بن يزيد ضعفه أحمد وغيره وقال (٧/٢٠٢) وفيه عبد الله بن يزيد بن آدم قال أحمد : أحاديثه موضوعة .

المذنب . ص : (مغفرة ربه) . ش : لذنبه حتى لا يؤاخذه يوم القيامة .

الحديث العاشر

ص : (خ م) . ش : يعني روى البخاري ومسلم في صحيحيهما [١] بإسنادهما . ص : (عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه قال : أُخبِرَ) . ش: بالبناء للمفعول .

ص : (رسول الله ﷺ) . ش : أي أخبره بخبر من الناس . ص : (أني أقول : والله لأصومن النهار) . ش : حسبة لوجه الله تعالى . ص : (ولأقومَنَّ الليل) . ش : كله ابتغاء القرب إليه سبحانه والنجاة منه في الآخرة . ص : (ما عشت) . ش : أي مدة عيشي أي بقائي في الحياة الدنيا ، وذكر القرطبي في (شرح مسلم) قال : حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما اشتهر وكثر رواته فكثر اختلافه حتى يرى من لا بصيرة عنده أنه مضطرب وليس كذلك فإنه إذا تتبع اختلافه وضم بعضه إلى بعض انتظمت صورته وتناسب مساقه إذ ليس فيه اختلاف تناقض ولا تهاتر بل يرجع اختلافه إلى أن ذكر بعضهم ما سكت عنه غيره وفصل بعض ما أجمله غيره ثم ذكر رواية مسلم [٢] (ألم أخبر أنك تصوم ولا تفطر وتصلي) ثم قال : هذا إنما فعله عبد الله رضي الله عنه بعد أن التزمه بقوله : لأصومن النهار ولأقومن الليل ما عشت كما جاء في الرواية الأُخرى فبلغ ذلك النبي ﷺ فحكى بعض الرواة العقل وحكى بعضهم القول .

ص : (فقال رسول الله ﷺ) . ش : لعبد الله بن عمرو المذكور . ص : (أنت الذي تقول ذلك ؟) . ش : يعني ما تقدم من قوله لأصومن النهار ولأقومن الليل . ص : (فقلت له : بأبي وأمي) . ش : أي أفديك بهما . ص : (قد قلته). ش : أي ذلك الذي أخبرت به .

ص : (يا رسول الله قال :) . ش : ﷺ . ص : (فإنك لا تستطيع ذلك) . ش : أي لا تقدر على فعله لأن النفوس تمل بسبب نقصانها خلقة عن كمال الطاعة

---

(١) أخرجه البخاري (٥١/٣ ، ١٩٥/٤ ط الشعب) .

(٢) أخرجه مسلم كتاب : الصيام ، باب : النهي عن صيام الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقًا أو لم يفطر العيدين والتشريق ١٨١ - (١١٥٩) .

فلابد من تعهدها بنوع من حظوظها لتستروح إليه ثم ترجع إلى الطاعة بنشاط فيها ولهذا شرعت صلاة التراويح وسميت بذلك لاستراحة فيها بين كل أربع وأربع بقدرها حتى أنه يكره إن لم يفعل ذلك لعدم القيام في ذلك بالنشاط ، وفي رواية مسلم : (لا تفعل) .

قال القرطبي : نهى عن الاستمرار في فعل ما التزمه لأجل ما يؤدي إليه من المفاسد التي نبه عليها بقوله : فإنك إذا فعلت ذلك (هجمت عيناك) قال المفسرون : أي غارتا ، وتحقيقه هجمت على الشيء دفعة واحدة فإن الهجم هو أخذ الشيء بسرعة بغتة ويحتمل أن يكون معناه هجمت العين عليه بغلبة النوم لكثرة السهر السابق فينقطع عما التزم فيدخل في ذم من ابتدع رهبانية ، ولم يذمها . وكما قال له : (يا عبد الله لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل) [1] وفي رواية : (ونقهت نفسك) أي أعيت وضعفت عن القيام بذلك كما قال في لفظ آخر : «نهكت نفسك» .

ص : (فصم) . ش : أي ما عسى أن تصوم من غير تقدير عدد في نفسك عند شروعك في الصيام حتى لا تكون داخلاً تحت طاعة نفسك ، بل صُم على حسب ما يقدره الله تعالى لك لتكون داخلاً في طاعة ربك على كل حال .

ص : (وأفطر) . ش : كذلك على حسب ما يتيسر لك من غير تقدير عدد بنفسك لتكون ربانيا لا نفسانيا وليسهل عليك أمر الطاعة لربك . فيكثر الخشوع فيها وتوافق السنة كما ذكر القرطبي في (شرح مسلم) قال في سؤال شقيق لعائشة رضي الله عنها : عن زمن صوم رسول الله ﷺ ، وعن مقداره فأجابت عنهما فقالت : (كان يصوم حتى نقول قد صام قد صام ، ويفطر حتى نقول قد أفطر قد أفطر) [2] .

ومعنى هذا أنه كان يصوم متطوعًا فيكثر ويوالي حتى تتحدث نساؤه وخاصته بصومه ويفطر كذلك .

ومثل هذا حديث ابن عباس رضي الله عنهما (كان يصوم حتى يقول القائل :

---

(١) الحديث متفق عليه أخرجه البخاري (٦٨/٢ ط الشعب) ، مسلم كتاب : الصيام رقم (١٨٥) ، ابن خزيمة في صحيحه رقم (١١٢٩) .

(٢) أخرجه البخاري كتاب : الصوم باب : ما يذكر في صوم النبي (١٩٧١) ، مسلم كتاب : الصيام باب : صيام النبي في غير رمضان ١٧٨ - (١١٥٧) .

- النسائي كتاب : الصوم باب : صوم النبي بأبي هو وأمي (٢٣٤٦) .

لا يفطر ويفطر حتى يقول القائل : لا يصوم) [١] وبمثل هذا أخبر رسول الله ﷺ به عن نفسه فقال : (بل أصوم وأفطر وأقوم وأنام فمن رغب عن سنتي فليس مني). ص: **(ونم)** . ش : ما عسى أن تنام ولو في الليل كله . ص : **(وقم)** . ش : كذلك ما عسى أن تقوم ولو في الليل كله ولا تواظب على كثرة النوم في جميع الليالي ولا كثرة القيام في جميع الليالي بل كن مع تيسير ربك لك ما يريد ولا تدخل تحت اختيار نفسك لك ما تريد ولا تثقل على نفسك بالكلية ولا تخفف عنها بالكلية واسلك الحالة الوسطى يستقيم أمرك وتدوم لك الطاعة ، وقال النووي في (شرح مسلم) : قال أصحابنا - يعني الشافعية - : تكره صلاة الليل كله دائمًا لكل واحد وفرقوا بينه وبين صوم الدهر في حق من لا يتضرر به ولا يفوت حقًّا بأن صلاة الليل كله الضرر فيها متعين ، اهـ . وذلك لأن هذا الدين يسر لا عسر فيه كما قال الكرماني في (شرح البخاري) عند ذكر الحديث السابق : (لن يشاد الدين أحد إلا غلبه) [٢] معناه لا يتعمق في الدين ويترك الرفق إلا غلب الدين عليه وعجز ذلك المتعمق وانقطع عن عمله كله أو بعضه ومعنى هذا الحديث أن الدين اسم يقع على الأعمال التي توصف باليسر والعسر وهي العمل ، والدين والإيمان والإسلام بمعنى واحد المراد منه التحضيض على ملازمة الرفق والاقتصاد على ما يطيقه العامل ويمكنه الدوام عليه ، وإن من شاد الدين وتعمق انقطع ، وغلبه الدين وقهره ويصير الدين غالبًا وهو مغلوبًا .

ص : **(وصم من الشهر)** . ش : أي من كل شهر أردت أن تصوم فيه . ص : **(ثلاثة أيام)** . ش : وفي رواية لمسلم (من سرة الشهر) ، قال النووي في شرحه : سرة الشيء : وسطه ، واستحبوا أن تكون الأيام الثلاثة هي أيام البيض الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر وقيل : ابتداؤها الثاني عشر ولعله ﷺ لم يواظب على ثلاثة بعينها لئلا يظن تعينها ونبه بسرة الشهر وبحديث الترمذي في أيام البيض على فضيلتها ، وقال القرطبي : لم يكن ﷺ يعين لصوم الثلاثة زمانًا مخصوصًا من الشهر يداوم عليه ، وإنما

---

(١) أخرجه البخاري كتاب : الصوم باب : ما يذكر في صوم النبي (١٩٧١) ، مسلم كتاب : الصيام باب : صيام النبي في غير رمضان ١٧٨ - (١١٥٧) .
- النسائي كتاب : الصوم باب : صوم النبي بأبي هو وأمي (٢٣٤٦) .
(٢) الحديث صحيح أخرجه البخاري (١/١٦ ط الشعب) ، النسائي كتاب الإيمان باب (٢٨) ، البيهقي (١٨/٣) الطحاوي في مشكل الآثار (٨٦/٢) .

كان يصومها مرة في أوله ومرة في آخره ومرة في وسطه ، ثم بسط الكلام في ذلك .
ص : (فإن الحسنة بعشر أمثالها) . ش : يعني كل يوم صمته من الأيام الثلاثة بعشرة أيام فهذه تمام الشهر . ص : (وذلك) . ش : أي صوم ثلاثة أيام من كل شهر . ص : (مثل صيام الدهر) . ش : حيث كانت المواظبة على ذلك باعتبار التضعيف المذكور ، وفي رواية لمسلم : صم من كل عشرة أيام يومًا . قال القرطبي : وهذا موافق للرواية التي قال فيها : «صُم من كل شهر ثلاثة أيام» . وكذلك قوله في الرواية الأخرى : (صُم يومًا ولك أجر ما بقي) [(١)] وهذا الاختلاف وشبهه من باب النقل بالمعنى ، وقال بعضهم : أجر ما بقي من العشر وهو تسعة وكذلك قال في قوله : (صم يومين ، ولك أجر ما بقي من العشرين) وكذلك : (صم ثلاثة أيام ، ولك أجر ما بقي) أي : من الشهر وهذا الاعتبار حسن جار على قياس تضعيف الحسنة بعشر أمثالها . ص : (قلت) . ش : يعني قال عبد الله بن عمرو المذكور . ص : (إني أطيق) . ش : من الإطاقة وهي القدرة على الشيء . ص : (أفضل) . ش : أي أكثر . ص : (من ذلك) . ش : الذي ذكره له النبي ﷺ . ص : (قال) . ش : له النبي ﷺ . ص : (فصم يومًا) . ش : واحدًا . ص : (وأفطر) . ش : بعده ص : (يومين) . ش : وفي رواية لمسلم [(٢)] (صم يومين وأفطر يومين) قال القرطبي : إنه نقله من صيام ثلاثة أيام في الشهر إلى أربعة فيه ، ومنها إلى صوم يومين وإفطار يومين ، ثم منها إلى صوم يوم وإفطار يوم ، وهذا محمول على أن النبي ﷺ درّجه في هذه المراتب هكذا ، لكن بعض الرواة سكت عن ذكر بعض المراتب إما نسيانًا أو اقتصارًا على قدر ما يحتاج إليه في ذلك الوقت ثم في وقت آخر ذكر الحديث بكماله .
ص : (قلت :) . ش : أي قال عبد الله .

ص : (فإني أطيق أفضل من ذلك) . ش : أي أقدر على صوم أكثر من هذا .
ص : (قال) . ش : ﷺ . ص : (فصم يومًا وأفطر يومًا) . ش : وذلك لتأخذ

---

(١) أخرجه مسلم (٢/٨١٧) ١٣ - كتاب : الصيام ٣٥ - باب : النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوّت به حقًا ، أو لم يفطر العيدين والتشريق ، وبيان تفضيل صوم يوم وإفطار يوم رقم (١٩٢) ، والنسائي كتاب : الصيام باب : (٦٧) ، أحمد في المسند (٢/٢٢٥) ، البيهقي (٤/٢٩٦) .

(٢) أخرجه مسلم (٢/٨١٢-٨١٩) ١٣ - كتاب : الصيام ٣٥ - باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوّت به حقًا أو لم يفطر العيدين والتشريق وبيان تفضيل صوم يوم وإفطار يوم .

قوتك الفائتة منك يوم صومك بيوم فطرك فتنشط بالفطر للصوم . ص : (فذلك) . ش : أي صوم يوم وإفطار يوم . ص : (صيـام داود) . ش : النبي عليه الصلاة والسلام ، وفي رواية لمسلم [١] : (فإنه كان أعبد الناس) قال القرطبي : إنما أحاله على صوم داود ووصفه بأنه كان أعبد الناس لقوله تعالى فيه : ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [٢] قال ابن عباس : (الأيد هنا القوة على العبادة) [٣] (والأواب : الرجاع إلى الله تعالى وإلى عبادته وتسبيحه) [٤] .

وفي (الشرعة) و(شرحها) : والمتطوع في الصوم يختار أفضل الصيام وهو صوم داود عليه السلام كان يصوم يومًا ويفطر يومًا وإنما كان ذلك أفضل لكونه أبلغ في تأثير النفس لعدم الاعتياد لأن الاعتياد على الدواء يبطل أثره إذا مرض لم ينتفع به ، ولأن العبد فيه بين صبر يوم وشكر يوم ، فقال رسول الله ﷺ : (عُرضت علي مفاتيح خزائن الدنيا وكنوز الأرض فرددتها ، وقلت : أجوع يومًا ، وأشبع يومًا أحمدك إذا شبعت وأتضرع إليك إذا جعت) [٥] وفي «الإحياء» : ومن لا يقدر على صوم نصف الدهر بلا بأس بثلثه ، وذلك بأن يصوم يومًا ويفطر يومين ، وإذا صام ثلاثة من أول الشهر وثلاثة من الأوسط وثلاثة من الأخير فهو ثلث ، وواقع في الأوقات الفاضلة ، وإن صام الاثنين والخميس والجمعة فهو قريب من الثلث .

ص : (وهو) . ش : أي صوم يوم وإفطار يوم ، الذي هو صوم داود عليه السلام . ص : (أعدل الصيام) . ش : من العدل خلاف الجور أى : أكثر عدلاً في معاملة النفوس من غيره لعدم الجور عليها فيه ، وقال القرطبي : هو أعدل الصيام

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٨١٢/٢) ١٣ - كتاب : الصيام ٣٥ - باب : النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقًا أو لم يفطر العيدبن والتشريق وبيان تفضيل صوم يوم وإفطار يوم رقم ١٨٢ - (١١٥٩).

(٢) [سورة ص الآية ١٧] .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٢٩٧/٥) لابن جرير الطبري .

(٤) وروى ذلك عن مجاهد وعزاه السيوطي لعبد بن حميد [الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٢٩٨/٥)]

(٥) ذكره أبو حامد الغزالي (٢٣٩/١) الفصل الثاني في أسرار الصوم وشروطه الباطنة ، ولم يعزه العراقي في المغني عن حمل الأسفار بتخريج أحاديث إحياء علوم الدين ، وذكره أبو حامد في الإحياء (٢٨٤/٤) ونفس الحال لم يعزه العراقي في المرجع المذكور .

من حيث حفظ القوة ووجدان مشقة العبادة وإذا كان أعدل في نفسه فعند الله أفضل وأحب ولا صوم فوقه في الفضل كما جاءت هذه الألفاظ وهي كلها متقاربة في مدلولها وهو بلا شك نقل بالمعنى ومضمون هذه الألفاظ أن هذا الصوم أعدل في نفسه وأكثر في ثوابه . ص : **(وفي رواية)** . ش : أخرى . ص : **(أفضل الصيام)** ش : يعني أكثر أفضلية من المراتب المتقدمة . ص : **(قلت)** . ش : أي قال عبد الله . ص : **(فإني أطيق أفضل من ذلك)** . ش : لثقته بنفسه في الرغبة في الطاعات والإكثار منها . ص : **(فقال)** . ش : له . ص : **(رسول الله ﷺ : لا أفضل من ذلك)** [١] . ش : قال النووي في «شرح مسلم» : اختلف العلماء فيه فقال المتولي : من أصحابنا يعني الشافعية وغيره هو أفضل من السرد لظاهر الحديث ، وغيرهم فضل السرد وحملوا الحديث على أن ذلك في حق عبد الله بن عمرو ومن في معناه ، قالوا : لم ينه حمزة عن السرد ولا أرشده إلى يوم ويوم ولو كان أفضل في حق الكافة لأرشده إليه فإن تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز . ص : **(وزاد في رواية)** . ش : أخرى من روايات هذا الحديث .

ص : **(فإن لجسدك عليك حقًّا)** [٢] . ش : يعني في تقويته وتنميته لتقوم به في أعمال الدنيا والآخرة فإنه يضعف من كثرة الصوم . ص : **(وإن لزوجك)** . ش : أي امرأتك قال في (الصحاح) : زوج المرأة بعلها ، وزوج الرجل امرأته قال تعالى : ﴿اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [٣] . ص : **(عليك حقًّا)** . ش : في جماعك لها إعفافًا لنفسك ونفسها ورجاء حصول ولد صالح بينكما يعينك ويعينها في المهمات . ص : **(وإن لزوارك)** . ش : أي زائرك وهو الضيف الذي يزورك . ص : **(عليك حقًّا)** . ش : وذلك بخدمته وإكرامه وتأنيسه ... وفي رواية لمسلم : فإن لعينك عليك حقًّا ولنفسك عليك حقًّا وفي رواية : (حظا) .

قال القرطبي : أي من الرفق بهما ومراعاة حقهما وقد سمى في الرواية الأخرى

---

(١) أخرجه مسلم (٨١٢/٢) ١٣ - كتاب : الصيام ٣٥ - باب : النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقًّا أو لم يفطر العيدين والتشريق وبيان تفضيل صوم يوم وإفطار يوم رقم ١٨١ - (١١٥٩) .

(٢) أخرجه مسلم (٨١٣/٢) ١٣ - كتاب الصيام ٣٥ - باب : النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقًّا أو لم يفطر العيدين والتشريق وبيان تفضيل صوم يوم وإفطار يوم رقم ١٨٢ .

(٣) [سورة البقرة الآية ٣٥] ، [سورة الأعراف الآية ١٩] .

الحظ (حقًا) إذ هو بمعناه وزاد : فإن لزوجك عليك حقًا ولزوارك عليك حقًا . وفي لفظ آخر : (ولأهلك) مكان (ولزوجك) .

أما حق **الزوجة** فهو في : الوطء ، وذلك أنه إذا أسرد الصوم ، وإلى القيام بالليل منعها بذلك حقها منه ، وأما حق الزوار وهو الزائر ، والضيف فهو القيام بإكرامه ، وخدمته وتأنيسه بالأكل معه ، **وأما الأهل** فيعني به هنا : الأولاد ، والقرابة وحقهم هو في الرفق بهم والإنفاق عليهم ومواكلتهم وتأنيسهم ، وملازمة ما التزم من سرد الصوم ، وقيام الليل يؤدي إلى امتناع تلك الحقوق كلها ويفيد أن الحقوق إذا تعارضت قدم الأولى .

ص : **(وفي)** . ش : رواية . ص : **(أخرى)** . ش : قال له النبي ﷺ . ص : **(ألم أخبر)** . ش : بالبناء للمفعول أي يخبرني مخبر . ص : **(أنك تصوم الدهر)** . ش : يعني كله فلا تفطر إلا أيام الكراهة والمعنى أنك عازم على ذلك . من قوله في الرواية السابقة : (والله لأصومن النهار ، ولأقومن الليل ما عشت) . ص : **(وتقرأ القرآن)** . ش : يعني كله في . ص : **(كل ليلة)** . ش : من جميع الليالي بأن يختمه في الصلاة وغيرها . ص : **(فقلت)** . ش : أي قال عبد الله . ص : **(بلى يا نبي الله)** . ش : والمعنى قلت ذلك وعزمت على فعله . ص : **(وإني لم أرد)** . ش : أي أقصد . ص : **(بذلك)** . ش : المذكور من صيام الدهر وقراءة القرآن كل ليلة . ص : **(إلا خيرًا)** . ش : وهو التقرب إلى الله تعالى ورجاء الثواب في الآخرة لا الرياء ولا السمعة ولا الإعجاب وحب المحمدة . ص : **(وفيها)** . ش : أي في هذه الرواية . ص : **(قال)** . ش : له ﷺ : . ص : **(واقرأ القرآن)** . ش : من أوله إلى آخره . ص : **(في كل شهر)** . ش : مرة وقال في (شرح الشرعة) وفي (القنية) أقوال والأحسن الختم في كل شهر مرة . وفي (زين العرب) عن النبي ﷺ قال لعبد الله بن عمرو بن العاص : (اقرأ القرآن في كل شهر) ا هـ .

ولعل هذا وجه ما في (القنية) وهو المذكور هنا . ص : **(قال)** . ش : يعني عبد الله . ص : **(قلت : يا نبي الله ، أنا أطيق أفضل من ذلك)** . ش : أي أقدر على أكثر من ذلك فضيلة . ص : **(قال)** . ش : ﷺ له . ص : **(فاقرأه)** . ش : أي القرآن كله . ص : **(في سبع)** . ش : أي سبع ليال والمراد أيام مع لياليهن قال القرطبي : قوله : (اقرأ القرآن في كل شهر) . ثم قال بعد ذلك : (فاقرأه في كل

عشرين) ثم قال : (اقرأه في كل سبع) هكذا في أكثر روايات مسلم ، ووقع في كتاب ابن جعفر وابن عيسى زيادة . قال : (فاقرأه في عشر) [١] وبعد ذلك قال له : (اقرأه في سبع) ومقصود هذه الرواية بيان تجزئة القرآن على ليالي الشهر بالنسبة إلى التخفيف والتثقيل فالمخفف يقرأه في كل شهر لا أقل من ذلك والمثقل لا يزيد على سبع كما قد نهاه عنه . ص : **(لا تزد على ذلك)** . ش : أي على السبع قال القرطبي : ذهب إلى منع الزيادة على سبع كثير من العلماء واختار بعضهم قراءته في ثمان ، وكان بعضهم يختم في خمس وآخر في ست وبعضهم يختم في كل ليلة وكأن من لم يصنع الزيادة على السبع حمل قوله : لا تزد على أنه من باب الرفق وخوف الانقطاع فإن أمن بذلك جاز بناء على أن ما كثر من العبادة والخير فهو أحب إلى الله تعالى والأولى ترك الزيادة أخذًا بظاهر المنع ، واقتداء برسول الله ﷺ فلم يرو عنه أنه ختم القرآن كله في ليلة ولا في أقل من السبع ، وهو أعلم بالمصالح والأجر . فضل الله يؤتيه من يشاء فقد يعطي على القليل ما لا يعطي على الكثير لا سيما وقد بينت مصلحة القلة والمداومة وآفة الكثرة والانقطاع .

وقال السيوطي في (الإتقان) [٢] : وقد كان للسلف في قدر القراءة عادات ، فأكثر ما ورد في كثرة القراءة من كان يختم في اليوم والليلة ثماني ختمات : أربعًا في الليل وأربعًا في النهار ، ويليه من كان يختم في اليوم والليلة أربعًا ويليه ثلاثًا ويليه ختمتين ويليه ختمة ، وقد روت عائشة ذلك وأخرج ابن أبي داود عن مسلم بن مخراق قال قلت لعائشة : إن رجلاً ليقرأ أحدهم القرآن في ليلة مرتين أو ثلاثًا فقالت : (قرأ ولم يقرأ كنت أقوم مع رسول الله ﷺ ليلة التمام فيقرأ بالبقرة وآل عمران والنساء فلا يمر

---

(١) أخرج الترمذي (١٨٠/٥) ٤٧ - كتاب : القراءات باب (١٣) رقم (٢٩٤٦) عن عبد الله بن عمرو قال : قلت : يا رسول الله في كم أقرأ القرآن ؟ قال : اختمه في شهر ، قلت : إني أطيق أفضل من ذلك . قال : اختمه في عشرين . قلت : إني أطيق أفضل من ذلك قال : اختمه في خمسة عشر ، قلت : إني أطيق أفضل من ذلك قال : اختمه في عشر قلت : إني أطيق أفضل من ذلك قال : اختمه في خمس قلت : إني أطيق أفضل من ذلك قال : فما رخص لي .
قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه يستغرب من حديث أبي بردة عن عبد الله بن عمرو وقد روى هذا الحديث من غير وجه عن عبد الله بن عمرو .
(٢) الإتقان في علوم القرآن للحافظ جلال الدين السيوطي (٢٩٣/١) طبع مكتبة دار التراث ط ثالثة سنة ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م . النوع الخامس والثلاثون في آداب تلاوته وتاليه .

بآية فيها استبشار إلا دعا ورغب ، ولا بآية فيها تخويف إلا دعا واستعاذ ، ويلي ذلك من كان يختم في ليلتين ويليه من كان يختم في كل ثلاث) [١] وهو حسن وكره جماعات الختم في أقل من ذلك لما روى أبو داود والترمذي وصححه في حديث عبد الله بن عمرو مرفوعًا : (لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث) [٢] وأخرج ابن أبي داود وسعيد بن منصور عن ابن مسعود موقوفًا قال : (لا تقرأ القرآن في أقل من ثلاث) وأخرج أبو عبيدة عن معاذ بن جبل أنه كان يكره أن يقرأ القرآن في أقل من ثلاث ويليه من ختم في أربع ثم في خمس ثم في ست ثم في سبع وهذا أوسط الأمور وأحسنها وهو فعل الأكثر من الصحابة وغيرهم .

أخرج أبو عبيدة [٣] وغيره من طريق واسع بن حبان عن قيس بن أبي صعصعة وليس له غيره أنه قال : يا رسول الله في كم أقرأ القرآن؟ قال : في خمس عشرة قلت: إني أجدني أقوى من ذلك ؟ قال : اقرأه في جمعة ، ويلي ذلك من ختم في ثمان ثم في عشر ثم في شهر ثم في شهرين .

وأخرج ابن أبي داود عن مكحول قال : كان أقوياء أصحاب رسول الله ﷺ يقرأون القرآن في سبع وبعضهم في شهر وبعضهم في شهرين وبعضهم في أكثر من ذلك ، وقال أبو الليث في (البستان) [٤] : ينبغي للقارئ أن يختم في السنة مرتين إن لم يقدر على الزيادة ، وقد روى الحسن بن زياد عن أبي حنيفة رضي الله عنه أنه قال : (من قرأ القرآن في كل سنة مرتين فقد أدى حقه) لأن النبي ﷺ عرض على جبريل في

---

(١) هذا الحديث والأحاديث التالية بعده ذكرها المؤلف نقلاً عن السيوطي في الإتقان (١/٢٩٣،٢٩٤) النوع الخامس والثلاثون في آداب تلاونه وتاليه .

(٢) أخرجه أبو داود (٢/١١٦) ٢ - كتاب : الصلاة ٣٢٦ - باب : تحزيب القرآن (١٣٩٤) ، الترمذي كتاب : القراءات باب : في كم يختم (٢٩٤٩) وقال : حسن صحيح .
- ابن ماجة ٥ - كتاب : إقامة الصلاة والسنة فيها باب : في كم يستحب ختم القرآن (١٣٤٧) ، النسائي الكبرى كتاب : فضائل القرآن باب : في كم يقرأ القرآن .

(٣) وانظر سنن أبي عيسى الترمذي حديث رقم (٢٩٤٩) .

(٤) كتاب : بستان العارفين للشيخ الإمام الفقيه أبي الليث نصر بن محمد السمرقندي الحنفي المتوفى سنة خمس وسبعين وثلاثمائة وهو كتاب مختصر مفيد على مائة وخمسين بابًا في الأحاديث والآثار الواردة في الآداب الشرعية والخصال والأخلاق وبعض الأحكام الفرعية ، يروى أنه ثلاث نسخ الكبرى والوسطى والصغرى ، والموجود في بلاد العرب والروم هو الصغرى . [كشف الظنون (١/٢٤٣)] .

السنة التي قبض فيها مرتين ، وقال غيره : يكره تأخير ختمه أكثر من أربعين يومًا بلا عذر نص عليه أحمد لأن عبد الله بن عمر سأل النبي ﷺ في كم يختم القرآن قال : (في أربعين يومًا) رواه أبو داود (١) . وقال النووي في «الأذكار» : المختار أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص فمن كان يظهر له بدقيق الفكر لطائف ومعارف فليقتصر على قدر يحصل له معه كمال فهم ما يقرأ وكذلك من كان مشغولاً بنشر العلم أو فصل الحكومات أو غير ذلك من مهمات الدين والمصالح العامة فليقتصر على قدر لا يحصل بسببه إخلال بما هو مرصد له ولا فوات كمال وإن لم يكن من هؤلاء المذكورين فليستكثر ما أمكنه من غير خروج إلى حد الملل أو الهذرمة به في القراءة .

وقال في (شرح الشرعة) : وفي «قاضي خان» قالوا : ينبغي لحامل القرآن أن يختم القرآن في كل أربعين يومًا مرة وأما سبب الاستحباب في خصوصية الأربعين فقد قيل لأن فيه من خاصية الاستكمال ما ليس في غيره من الأعداد ألا ترى أن النبي ﷺ قال حكاية عن الله تعالى : (خمرت طينة آدم أربعين صباحًا) ، وقال عليه السلام : (إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يومًا نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك....) (٢) . الحديث ، وقال الله تعالى : ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى

---

(١) أخرجه أبو داود ٢ - كتاب : الصلاة ٣٢٢ - باب : تحزيب القرآن رقم (١٣٩٥) .

(٢) رواه عن ابن مسعود مع زيد بن وهب ، أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود عند أحمد (٣٧٤/١) السنة له (١٢٥) . ومخارق بن سليم وطارق بن شهاب كلاهما عند الفريابي في كتاب : القدر (لوحة ١٢، ١٣) وأبو الأحوص الجشمي عند ابن أبي عاصم [السنة (٧٩/١)] ، والفريابي القدر (لوحة ١٢-١٣) . وعبد الله بن ربيعة السلمي عند الفريابي كتاب : القدر (لوحة ١٢، ١٣) ، وأبو وائل عند تمام فتح الباري (٤٧٨/١١) ، وعلقمة عند أبي يعلى [٤٧٨/١١ (فتح الباري)] ، والطبراني (١١٧/١٧) وناجية بن كعب في فوائد العيسوي (٤٧٨/١١ فتح الباري) . وخيثمة بن عبد الرحمن عند ابن أبي حاتم والخطابي (٤٧٨/١١ فتح الباري) ، ومرة الطيب الهمداني عند الطبري (١٦٩/٣) . ورواه عن زيد بن وهب مع الأعمش وسلمة بن كهيل : حبيب بن حسان عند أبي نعيم [حلية الأولياء (١٧٠/١)] ترجمة عبد الله بن ضيف ورواه عن الأعمش : مع جرير بن حازم وجرير بن عبد الحميد وأبي شهاب الحناط وشعبة والثوري وعمر بن رزيق ، وحفص بن غياث عند البخاري كتاب أحاديث الأنبياء باب : واحد (٣٦٣/٦ فتح) ، وأبو الأحوص سلام بن سليم عنده كتاب : بدء الخلق باب (٦) . (٣٠٢/٦ فتح) ووكيع عند مسلم (٢٠٣٦/٤ ، ٢٠٣٧) كتاب : القدر باب (١) ، والترمذي (١٩٧/٣ تحفة) كتاب القدر باب (٤) ، ابن ماجة (٢٩/١) المقدمة باب (١٠) ....=

ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ ﴾ [١] .

وقال عليه السلام : (من أخلص لله أربعين صباحًا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه) [٢] .

= وأحمد (٤٣٠/١) وابن أبي عاصم في السنة (٧٧/١ ، ٧٨) . والفريابي كتاب : القدر (لوحة ١٢ . ١٣) والأجري من طريق الفريابي [الشريعة (١٨٢)] . وابن حزم من طريق مسلم (٤٧/١ المحلى) . وأبو معاوية محمد بن خازم عند مسلم (٢٠٣٦/٤ ، ٢٠٣٧) . الترمذي كتاب : القدر باب (٤) . وابن ماجة المقدمة باب (١٠) ، أحمد (٣٨٢/١) . وابن أبي عاصم السنة (٧٧/١ ، ٧٨) . الصيداوي (معجم الشيوخ ٦٠-٦١) . البيهقي (٥٨/١ شعب الإيمان) . (٨٧ الاعتقاد) . عيسى بن موسى عند مسلم (٢٠٣٦/٤ ، ٢٠٣٧) . يحيى بن سعيد القطان عند الترمذي كتاب : القدر باب (٤) . الصيداوي معجم الشيوخ (٦٠-٦١) . أبو نعيم (٣٨٧/٨ ترجمة يحيى بن سعيد) . ومحمد بن فضيل عند ابن ماجة المقدمة باب (١٠) . وأحمد (٤٢٠/١) . وابن أبي عاصم السنة (٧٨،٧٧/١) . ومحمد بن عبيد عند ابن ماجة المقدمة باب (١٠) . والحيدي (٦٩/١) . والصيداوي في معجم الشيوخ (٦١،٦٠) . وداود الطائي عند أبي نعيم (٣٦٩/٧ ترجمة داود) . وعبد الواحد عند الفريابي القدر [لوحة (١٢-١٣)] وفضيل بن عياض عند أبي نعيم (١١٥/٨ ترجمة فضيل) . وعلى بن مسهر عند الفريابي القدر [لوحة (١٢-١٣)] . وعبد الله بن نمير عند مسلم (٢٠٣٧،٢٠٣٦/٤) . وابن أبي عاصم [السنة (٧٧/١ ، ٧٨) . وابن حزم من طريق مسلم [المحلي (٤٧/١)] . وزهير بن معاوية عند اللالكائي (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٥٩٠) . البغوي شرح السنة (١٢٨/١) . وإسماعيل ابن زكريا عند الآجري الشريعة (١٨٢) . وشجاع بن الوليد وعمرو بن زامل كلاهما عند الصيداوي معجم الشيوخ (٦٠-٦١) . وأبو عوانة وعبد العزيز بن مسلم كلاهما عنده معجم الشيوخ (٣٥٦) . ورواه عن شعبة مع يزيد بن زريع ، هشام بن عبد الملك أبو الوليد عند البخاري (٧٧/١١ فتح) كتاب : القدر باب (١) . وآدم عنده كتاب : الوحيد باب (٢٨) (٤٤٠/١٣ فتح) . ومعاذ عند مسلم (٢٠٣٧،٢٠٣٦/٤) . وحفص بن عمر النمري عند أبي داود (٣٦٤/٤ عون المعبود) كتاب : السنة باب (١٧) . والطيالسي في مسنده (٣١/١ منحة) . ومؤمل بن إسماعيل عند الصيداوي معجم الشيوخ (٣٥٦) .

(١) [سورة الأعراف الآية ١٤٢] .

(٢) أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات (١٤٥/٣) باب : من أخلص أربعين صباحًا عن ابن عباس وقال : هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ وقال : حديث ابن عباس فيه سوار بن مصعب قال أحمد ويحيى والنسائي : مصعب متروك الحديث ، وقال : يحيى ليس بثقة ولا يكتب حديثه .

وقال ابن الجوزي : وقد عمل جماعة من المتصوفة والمتزهدين على هذا الحديث الذي لا يثبت وانفردوا في بيت الخلوة أربعين يومًا ، وامتنعوا عن أكل الخبز وكان بعضهم يأكل الفواكه ويتناول ....=

ولما كان القرآن منبع جميع الحكم ينبغي للقارئ أن يخلص في كل أربعين بترتيل بعض منه في كل يوم من تلك الأربعين لينبع من ينابيع الحكمة قلبه وإلى لسانه .

وأما الأحسنية في كل شهر فلسهولة القراءة وحساب كل يوم بجزء ، كل شهر بختم فعلى هذا لا يستحب الختم في أقل من شهر وإن جاز وكان النبي ﷺ يختم القرآن في كل عام مرة وختم في العام الذي قبض فيه مرتين . وعن المرغيناني من ختم القرآن في السنة مرة لا يكون هاجرًا ، فالختم في السنة سُنة مؤكدة . فاكتفاؤه عليه السلام بمرة ومرتين في السنة مع كمال رسُوخه في القرآن . وكمال تدبره لا ينافي استحباب الأكثر على أن قوله عليه السلام : (تعاهدوا القرآن) [1] وقوله : (استذكروا القرآن) وغيرهما يدل على استحباب التكثير .

ص : **(قال)** . ش : يعني عبد الله بن عمرو بن العاص . ص : **(فشددت)** . ش : أي ضيقت على نفسي في كثرة الأعمال . ص : **(فشدد)** . ش : بالبناء للمفعول أي شدد الله تعالى . ص : **(على)** . ش : بخلقه تعالى الضعف والعجز لي عن دوام ما قصدت من تلك الأعمال الكثيرة ، وفي رواية : (لأن أكون قبلت الثلاثة الأيام التي قال رسول الله ﷺ أحب إلى من أهلي ومالي) . ص : **(و)** . ش : قد كان . ص : **(قال لي النبي ﷺ : إنك لا تدري لعله يطول بك عمرك)** . ش : يعني فتعجز عن القيام بهذه الأعمال الكثيرة فربما نقص رجاؤك لنقصان عملك فينقص قدرك عند الله تعالى وتسفل منزلتك لديه أو تصير الأعمال الكثيرة لسهولتها عندك عادة

= الأشياء التي تتضاعف قيمتها على قيمة الخبز ثم يخرج بعد الأربعين فيهذي ويخيل إليه أنه يتكلم بالحكمة ، ولو كان الحديث صحيحًا فإن الإخلاص يتعلق بقصد القلب لا بفعل البدن فلله در العلم .

- وأخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (١٨٩/٥) من طريق محمد بن إسماعيل ثنا أبو خالد يزيد الواسطي أنبأنا الحجاج عن مكحول عن أبي أيوب الأنصاري مرفوعًا .

وقال أبو نعيم : كذا رواه يزيد الواسطي متصلاً ، ورواه أبو معاوية عن الحجاج فأرسله .

قال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة رقم (٣٨) : ثم ساقه - أبو نعيم في الحلية - من طريق هنّاد بن السري ثنا أبو معاوية عن حجاج عن مكحول مرسلاً . وكذلك رواه الحسين المروزي في زوائد الزهد (١/٢٠٤ من الكواكب ٥٧٥) وابن أبي شيبة في (المصنف) وهنّاد في (الزهد) عن طريقه من حجاج به .

(١) أخرجه البخاري (٧٩/٩،٢٣٨/٦ فتح) ، مسلم (٥٤٥) ، الخطيب في تاريخ بغداد (٤٢٤/١٠) ، ابن أبي شيبة (٥٠/٢) .

فلا تثاب عليها ثواب الطاعات لألفتك لها وقلة حضورك فيها . ص : (قال) . ش : يعني عبد الله . ص : (فصرت) . ش : أي وصلت . ص : (إلى) . ش : الحال. ص : (الذي قال لي النبي ﷺ) . ش : بأن طال به عمره . ص : (فلما كبرت). ش : يقال كبر كفرح طعن في السن وكبر ككرم نقيض صغر كذا في (القاموس) [١] . ص : (وددت) . ش : أي أحببت . ص : (أني كنت قبلت رخصة النبي ﷺ). ش : التي رخص لي في ابتداء عمري لأعتاد عليها ، فلا يتغير على حالي في انتهاء العمر .

قال القرطبي : وهذا يدل من عبد الله - رضي الله عنه - على أنه كان قد التزم الأفضل مما نقله إليه النبي ﷺ والأكثر إما بحكم التزامه الأول إذ قال : (لأصومن من الدهر ، ولأقومن من الليل ما عشت) [٢] وأما بحكم أنه هو الحال الذي فارق النبي ﷺ عليه فكره أن ينقص من عمل فارق النبي ﷺ عليه فلم ير أن يرجع عنه وإن كان قد ضعف عنه . ص : (وزاد في رواية : لا صام) . ش : أي لا يسمى صائمًا من جهة أنه لا ثواب له لفعله المنهي عنه أو دعاء بعدم تيسير الصوم . ص : (من صام الأبد) . ش : أي طول عمره ولم يفطر أصلاً أو سوى يوم العيدين وأيام التشريق ، وفي المرأة سوى أيام حيضها ونفاسها . ص : (ثلاثًا) . ش : أي ثلاث مرات ليتأكد حكم النهي عن المخاطب ويتبين على أتم الوجوه .

وقال القرطبي في حديث صوم الأبد : وقد سئل ﷺ عن صيام الأبد فقال : (لا صام ولا أفطر) [٣] يحتمل أن يكون دعاء عليه ، لا أنه أخبر عنه ، ويحتمل أن يكون خبرًا عن أنه لم يأت بشيء ، ووجه ذلك أن من سرد الصوم صار له عادة ، ولم يجد له

---

(١) القاموس المحيط (١٢٨/٢، ١٢٩ كبر) باب : الراء فصل الكاف .

(٢) أخرجه البخاري كتاب الأنبياء (٣٧) ، كتاب الصوم (٥٦) ، النسائي كتاب : الصيام (٧٦) .

(٣) أخرجه مسلم ١٣ - كتاب : الصيام ٣٦ - باب : استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر ، وصوم يوم عرفة وعاشوراء والاثنين والخميس (١٩٦) .

- أبو داود ١٤ - كتاب : الصيام ٥٣ - باب : في صوم الدهر طوعًا رقم (٢٤٢٥) .

- النسائي ٢٢ - كتاب : الصيام ٧٣ - باب : ذكر الاختلاف على غيلان بن جرير فيه .

- الترمذي (١٣٨/٣) ٦ - كتاب الصوم ٥٦ - باب : ما جاء في صوم الدهر رقم (٧٦٧) عن أبي قتادة وفي الباب : عن عبد الله بن عمرو ، وعبد الله بن الشخير وعمران بن حصين وأبي موسى .

مشقة فيعود النهار في حقه كالليل في حق غيره فكأنه ما صام إذ لم يجد ما يجده الصائم ولا أفطر لصورة الصوم ، وتكون (لا) بمعنى (ما) ، كما قال الله تعالى : ﴿فَلاَ صَدَّقَ وَلاَ صَلَّى﴾ وحمل كثير من العلماء هذا على ما إذا صام الأيام المحرمة فأما لو أفطرها فكرهه قوم وأجازه آخرون وقال أبو الطاهر بن بشير : هو مستحب وهذا بعدها .

وقال النووي في (شرح مسلم) في أحاديث النهي عن صوم الدهر : وقد اختلف العلماء فيه فذهب الظاهرية إلى منع صيامه ، وذهب الجمهور إلى جوازه إذا لم يصم الأيام المنهي عنها وهي العيدان وأيام التشريق وقالوا : (بل هو مستحب بشرط أن لا يلحقه به ضرر ولا يفوت حقًا ، فإن تضرر أو فوت حقًا فمكروه) . واستدلوا بحديث حمزة بن عمرو في الصحيحين ، أنه قال : يا رسول الله إني أسرد الصوم فأصوم في السفر فقال : (إن شئت فصم) [1] ولو كان مكروهًا لم يقره لا سيا في السفر وكان عمر يسرد الصوم وكذلك أبو طلحة وعائشة وخلائق من المسلمين وأجابوا عن حديث (لا صام من صام الأبد) [2] بأجوبة :

١ - منها : أنه محمول على حقيقته بأن يصوم معه العيد والتشريق وبه أجابت عائشة رضي الله عنها .

٢ - ومنها : أنه في حق من تضرر به أو فوت حقًا .

٣ - ومنها : أنه لم يجد مشقة فهو خبر لا دعاء وفي (شرح الشرعة) : ولا يصوم أحد الدهر كله فإنه مكروه لما روى أن عمر الفاروق رضي الله عنه قال : يا رسول الله

---

(١) أخرجه البخاري ٣٠ : كتاب : الصوم ٣٣ - باب : الصوم في السفر والإفطار رقم (١٩٤٣) .
- مسلم ١٣ - كتاب : الصيام ١٧ باب : التخيير في الصوم والفطر في السفر رقم ١٠٦ - (١١٢١) .
- ابن ماجة (٢/٣١٧) ٧ - كتاب : الصيام ١٠ - باب : ما جاء في الصوم في السفر رقم (١٦٦٢) ، تحفة الأشراف (١٦٩٨٦) ، مالك في الموطأ (١/٢٩٥) ١٨ - كتاب : الصيام ٧ - باب : ما جاء في الصيام في السفر رقم (٢٤) .
- الترمذي (٣/٩١) ٦ - كتاب : الصوم ١٩ - باب : ما جاء في الرخصة في السفر رقم (٧١١) وقال حديث عائشة حديث حسن صحيح .
- الدارقطني في سننه (٢/١٨٩) كتاب : الصيام رقم (٤٧) .
- أحمد في المسند (٦/٧ ، ٤٦ ، ١٩٣ ، ٢٠٢ ، ٢٠٧ ، ٣٩٨ ، ٤٤٤) .
(٢) تقدم تخريجه .

كيف من يصوم الدهر كله قال : (لا صام ولا أفطر) [١] يعني كأنه لم يصم لأنه لم يكن بإذن الشارع فلا يثاب ولم يفطر أيضًا وهو ظاهر وأما من يفطر الأيام المنهية فلا بأس عليه لأن بعض الصحابة رضي الله عنهم كان يصومه ولم ينكر عليه النبي ﷺ .

وذكر الشيخ الوالد رحمه الله تعالى في شرحه على (شرح الدرر) قال : ويكره صوم الدهر ؛ لأنه يضعفه أو يصير طبعًا له . ومبنى العبادة على مخالفة العادة كذا في (فتح القدير) . ص : **(وزاد في رواية)** : . ش : أخرى . ص : **(وكان)** . ش : يعني عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه . ص : **(يقرأ على بعض أهله)** . ش : أي زوجته . ص : **(السبع من القرآن)** . ش : وهو جزء من سبعة أجزاء منه . ص : **(بالنهار)** . ش : يكرره عليها ليحفظه . ص : **(والذي يقرأه)** . ش : عليها من السبع المذكور . ص : **(يعرضه)** . ش : أي يأتي به . ص : **(من الليل)** . ش : يعني في صلاة الليل . ص : **(ليكون)** . ش : ذلك الذي يقرأه على أهله بالنهار . ص : **(أخف عليه بالليل)** . ش : في الصلاة فتسهل قراءته ولا يثقل عليه شيء من ذلك ، وفي (رياض الصالحين) للنووي : وفي رواية : «قال - يعني عبد الله المذكور - أنكحني أبي امرأة ذات حسب فكان يتعاهد كنته - أي امرأة ولده - فيسألها عن بعلها فتقول نعم الرجل من رجل لم يطأ لنا فراشًا ولم يفتش لنا كنفًا منذ أتيناه فلما طال ذلك عليه ذكر ذلك للنبي ﷺ فقال : «كيف تصوم» ؟ قلت : كل

---

(١) أخرجه مسلم ١٣ - كتاب : الصيام ٣٦ - باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عرفة وعاشوراء والاثنين والخميس رقم (١٩٦) .

- وأبو داود ١٤ - كتاب : الصوم ٥٣ - باب : في صوم الدهر تطوعًا (٢٤٢٥) .

- النسائي ٢٢ - كتاب : الصيام ٧٣ - باب ذكر الاختلاف على غيلان بن جرير فيه .

- الترمذي (١٣٨/٣) ٦ - كتاب : الصوم ٥٦ - باب : ما جاء في صوم الدهر رقم (٧٦٧) قال : وفي الباب : عن عبد الله بن عمرو ، وعبد الله بن الشخير ، وعمران بن حصين وأبي موسى . قال أبو عيسى : حديث أبي قتادة حديث حسن وقد كره قوم من أهل العلم صيام الدهر ، وأجازه قوم آخرون وقالوا ، إنما يكون صيام الدهر إذا لم يفطر يوم الفطر ، ويوم الأضحى ، وأيام التشريق ، فمن أفطر هذه الأيام فقد خرج من حد الكراهية ولا يكون قد صام الدهر كله هكذا روى عن مالك بن أنس وهو قول الشافعي .

- وقال أحمد وإسحاق نحوًا من هذا وقالا : لا يجب أن يفطر أيامًا غير هذه الخمسة الأيام التي نهى رسول الله ﷺ عنها : يوم الفطر ، ويوم الأضحى ، وأيام التشريق .

يوم ، قال : «وكيف تختم ؟» قلت : (كل ليلة) [١] وذكر نحو ما سبق . وكان يقرأ على بعض أهله السبع الذي يقرأه يعرضه من النهار ليكون أخف عليه بالليل . ص : **(وإذا أراد)** . ش : يعني عبد الله المذكور . ص : **(أن يتقوى)** . ش : لضعفه بكثرة الصيام والقيام . ص : **(أفطر أيامًا)** . ش : تزيد على يومين . ص : **(وأحصى)** . ش : أي ضبط مقدار ما أفطر من الأيام . ص : **(وصام مثلهن)** . ش : في باقي ما يصوم حتى لا يكون أفطر فيما مضى له من الأيام شيئًا لصيامه بدل ذلك فتكون أيام صيامه القضاء مشغولة بصيام عما مضى وإن لم يكن له فيها صوم حاضر . ص : **(كراهة)** . ش : أي إنما كان يفعل ذلك لأنه كره . ص : **(أن يترك شيئًا)** . ش : من العبادة التي . ص : **(فارق عليه النبي ﷺ)** . ش : يعني عهد نفسه تفعله ولا تفتر عنه في زمان النبي ﷺ لأنه كان يقوى عليه . ص : **(وفي)** . ش : رواية . ص : **(أخرى أن رسول الله ﷺ قال)** . ش : لعبد الله [٢] المذكور . ص : **(إن أحب الصيام)** . ش : يعني إلى الله تعالى على إرادة كثرة الثواب منه تعالى ورفع درجة من يأتي به لديه .

ص : **(صيام داود عليه السلام)** . ش : وهو صوم يوم وفطر يوم كما قدمنا . ص : **(وأحب الصلاة)** . ش : إلى الله تعالى أيضًا . ص : **(صلاة داود عليه السلام)** . ش : وذلك أن داود عليه السلام . ص : **(كان ينام نصف الليل)** . ش : الأول أو الثاني .

ص : **(ويقوم ثلثه)** . ش : من بعد النصف الأول أو قبله . ص : **(وينام سدسه)** . ش : بقية النصف الأخير من آخر الليل أو من أوله فيكون جملة نومه الثلثين من الليل وقيامه الثلث ويحتمل تقديم القيام أو تأخيره أو تارة وتارة .

ص : **(وكان يصوم يومًا ويفطر يومًا)** . ش : وهو بيان لصيام داود عليه السلام المذكور في هذه الرواية ويضارع حديث عبد الله هذا المذكور هنا ما نقله الإمام

---

(١) أخرجه البخاري ٦٦ - كتاب : فضائل القرآن ٣٤ - باب : في كم يقرأ القرآن وقول الله تعالى : ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ رقم (٥٠٥٢) .

(٢) عبد الله بن عمرو ، أخرجه مسلم (٨١٦/٢) ١٣ - كتاب الصيام ٣٥ - باب : النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوّت به حقًا أو لم يفطر العيدين والتشريق وبيان تفضيل صوم يوم وإفطار يوم رقم ١٨٩ .

النووي في (رياض الصالحين) [1] قال : وعن أبي ربعى حنظلة بن الربيع الأسيدي الكاتب أحد كتاب رسول الله ﷺ قال : لقيني أبو بكر رضي الله عنه فقال : كيف أنت يا حنظلة ؟ قلت : نافق حنظلة قال : سبحان الله ما تقول ؟ قلت : نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالجنة والنار حتى كأنا رأى عين فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيرًا قال أبو بكر رضي الله عنه : فوالله إنا لنلقى مثل هذا . فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ قلت : نافق حنظلة يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : (وما ذاك ؟) قلت : يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالجنة والنار كأنا رأي عين فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيرًا فقال رسول الله ﷺ : «والذي نفسي بيده إن لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة» ثلاث مرات . رواه مسلم [2] وأما . ص : **(أقوال الفقهاء)** . ش : جمع فقيه وهو العالم بمذهب المجتهد في الفروع العملية والمراد فقهاء الحنفية فيما يشيرون إليه من الاقتصاد في العمل فهو كثير . ص : **(قال : في)** . ش : كتاب . ص : **(الاختيار شرح المختار)** . ش : لا تجوز الرياضة . ش : أي تعليم النفس مكارم الأخلاق . ص : **(بتقليل الأكل)** . ش : والشرب ص :

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/٢١٠٦ ، ٢١٠٧) ٤٩ - كتاب : التوبة ٣ - باب : فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة والمراقبة ، وجواز ترك ذلك في بعض الأوقات والاشتغال بالدنيا رقم ١٢ - (٢٧٥٠) ، أحمد في المسند (٤/ ١٧٨، ٣٤٦) ومعنى قوله : (عافسنا) حاولنا ذلك ومارسناه واشتغلنا به أي عالجنا معايشنا وحظوظنا . (الضيعات) جمع ضيعة ، وهي معاش الرجل من مال أو حرفة أو صناعة .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/٢١٠٦ ، ٢١٠٧) ٤٩- كتاب : التوبة ٣- باب : فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة ، والمراقبة ، وجواز ترك ذلك في بعض الأوقات ، والاشتغال بالدنيا رقم ١٢- (٢٧٥٠) .

معاني المفردات (حتى كأنا رأى عين) قال القاضي عياض : ضبطناه رأي عين ، بالرفع ، أي كأنا بحال من يراها بعينه ، قال : ويصح النصب على المصدر أي نراها رأى عين .

(عافسنا) : قال الهروي وغيره : معناه حاولنا ذلك ومارسناه واشتغلنا به . أي عالجنا معايشنا وحظوظنا .

(والضيعات) : جمع ضيعة ، وهي معاش الرجل من مال أو حرفة أو صناعة .

(حتى) . ش : يصل إلى حالة . ص : (يضعف) . ش : معها جسده فتقل قواه الظاهرة والباطنة . ص : (عن أداء الفرائض) . ش : بحيث لا يقدر يؤديها قائمًا مع السهولة وربما لا يقدر على ضبط ركعاتها وسجداتها وتسبيحاتها لفساد خياله ، وفي بعض الكتب ولا تجوز الرياضة بتقليل الأكل حتى يضعف عن أداء العبادة وهي أعم من الفرائض فتشمل النوافل .

ص : (قال) . ش : رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه . ص : (يا معاذ إن نفسك) . ش : التي أنت قائم بسببها في الحياة الدنيا وهي التي تعبر عنها بقولك أنا وهي المكلفة المخاطبة بالأمر والنهي الحالة في الجسد حلول ماء الورد في الورد وبالموت تفارق الجسد فتشرق عليه وعلى أجزائه إذا تفرقت كإشراق الشمس على الأرض وهي في عالمها في نعيم أو عذاب أليم . ص : (مطيتك) . ش : والمطية الدابة تمطو في سيرها أي تسرع وإنما كانت نفسه مطيته لقيامه بسببها وبقاء وجوده في الدنيا ما دام جسده محمولاً وكونها مطيته مع أنه ليس غيرها باعتبار انقسامها إلى عالم ومعلوم فهي من حيث هي معلومة مطية لها من حيث هي عالمة .

ص : (فارفق بها) . ش : أي تعاهدها بما يحفظ عليها بقاءها من الشهوات المباحة مقدار الحاجة . ص : (وليس من الرفق) . ش : بها . ص : (أن تجيعها وتذيبها) . ش : حتى تضعف بقلة الإمداد فإنها مخلوقة على تركيب يقتضي المادة الطبيعية وما هي ملك يقتات بالغذاء المعنوي من التسبيح والخشوع والحضور غاية الأمر أنك لا تكثر عليها المادة الطبيعية حتى يرجع بهيته وتوسط في رعايتها لأنك محتاج إليها مدة بقائك في عالم التكليف وقد أوصاك الله تعالى بحفظها والحذر عليها حيث قال تعالى : ﴿وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [1] . وقال تعالى : ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [2] . الآية ومتى تركت رعايتها وحفظها ضعفت فانقطعت عن عبادة الله تعالى بسبب ضعفها ولا يمكنك العبادة إلا بها فيلزمك مراعاة حقوقها كما تقدم في حديث سلمان رضي الله عنه : (وإن لنفسك عليك حقا) .

ص : (ولأن ترك العبادة) . ش : (المفروضة والواجبة) . ص : (لا يجوز) .

---

(١) سورة [البقرة : ١٩٥] .

(٢) سورة [التحريم : ٦] .

ش : مع القدرة عليها . ص : (فكذا) . ش : لا يجوز فعل ما . ص : (يفضي) . ش : بالفاء أي يوصل . ص : (إليه) . ش : أي إلى ترك العبادة من عدم مراعاة الحقوق النفسانية قال في (الشرعة) وشرحها : فرض الأكل من أعظم الفرائض لأنه قوام الخير كله لأن تحصيل الخير إنما يكون بسلامة البدن وذلك لا يتيسر إلا بالأكل وعلم الأكل والشرب مقدم على علم العبادة لأن العبادة مهما تقوم كقيام الصلاة بالطهارة في امتناعها بدونها ولكن فيه تنبيهًا على أن قيام العبادة بهما بحسب جري عادة الله تعالى لا أنها تمتنع بدونهما عقلاً وعدم تقديم فصل الأكل والشرب على فصول العبادة مع تقدم علمها عليها لما أنها مقصورة بالذات وهما من الوسائط ، وحكي أن رجلاً قال لابن سيرين : علمني العبادة وآدابها ؟ قال : كيف تأكل الطعام ؟ قال آكل حتى أشبع . قال : لا تأكل أكل البهائم بعد اذهب فتعلم الأكل والشرب أولاً ثم تعلم العبادة وآدابها كذا في «الخالصة» . وذكر الشيخ الوالد رحمه الله تعالى في (شرحه على شرح الدرر) معزيًا إلى «الاختيار» قال بعد ذكر نحو ما تقدم : فأما تجويع النفس على وجه لا يفضي إلى العجز عن أداء العبادات فهو مباح وفيه رياضة النفس وبه يصير الطعام مشتهى بخلاف الأول فإنه إهلاك للنفس وكذا الشاب الذي يخاف الشبق لا بأس بأن يمتنع عن الأكل ليكسر شهوته على وجه يعجز عن أداء العبادات على ما قال ﷺ : (فإنه له وجاء) [1] .

ص : (وقال فيه أيضًا) . ش : أي في «الاختيار شرح المختار» . ص :

---

(١) أخرجه البخاري ٣٠- كتاب : الصوم ١- باب : الصوم لمن خاف على نفسه العزوبة رقم (٩٦٧) ، ٦٧- كتاب : النكاح ، باب : من لم يستطع الباءة فليصم رقم (٥٠٦٦) ، مسلم (١٠١٩/٢) ١٦- كتاب : النكاح ١- باب : استحباب النكاح رقم ١- (١٤٠٠) ، أبو داود (٥٣٨/٢ ، ٥٣٩) ١- كتاب : النكاح ١- باب : ما جاء في فضل التزويج والحث عليه رقم (١٠٨١) . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح . وقال : قد روى غير واحد عن الأعمش بهذا الإسناد مثل هذا ، وروى أبو معاوية والمحاربي عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة ، عن عبد الله ، عن النبي ﷺ ونحوه قال أبو عيسى : كلاهما صحيح .
- النسائي ٢٢- كتاب : الصيام ٤٣- باب : ذكر الاختلاف على محمد بن أبي يعقوب في حديث أبي أمامة في فضل الصائم رقمي (٢٢٣٩ - ٢٢٤٠) ، أحمد في المسند رقم (٣٥٩٣ ، ٤٠٢٣ ، ٤١١٢) ، تحفة الأشراف رقم (٩٤١٧) ، ابن ماجة (٤١٤/٢ ، ٤١٥) ٩- كتاب : النكاح ١- باب : ما جاء في فضل النكاح رقم (١٨٤٥) .

(الكسب) . ش : أي تحصيل أمور المعيشة على الوجه المشروع . ص : (أنواع) . ش : أربعة : الأول . ص : (فرض) . ش : بحيث يثاب على فعله بالنية الصالحة ويعاقب على تركه متى أمكنه تركه . ص : (وهو الكسب) . ش : أي التحصيل . ص : (بقدر الكفاية) . ش : أي مقدار ما يكفيه ويسد حاجته . ص : (لنفسه وسيلة) . ص : (وقضاء ديونه) . ش : فإنه فرض عليه لأصحابها إذا كان قادرًا على أدائها ومن عجز فات وكان من جُنَّة لو قدر لأدائها لا يأثم كما ذكر في (البزازية) أوائل كتاب الزكاة . قال : مات وعليه ديون إن كان من قصده الأداء لا يؤخذ به يوم القيامة لأنه لم يتحقق المطل . ص : (ثم قال) . ش : يعني في «الاختيار» . ص : (فإن ترك الاكتساب) . ش : مع قدرته عليه . ص : (بعد ذلك) . ش : أي بعد تحصيل مقدار كفايته منه . ص : (وسعه) . ش : ذلك أي جاز له الترك .

قال الشيخ الوالد رحمه الله تعالى في (شرحه على شرح الدرر) : قال محمد بن سماعة : سمعت محمد بن الحسن يقول : «طلب الكسب فريضة» كما أن طلب العلم فريضة ، وهذا صحيح لما روى ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : (طلب الكسب فريضة على كل مسلم) [١] .

وقال عليه الصلاة والسلام : (طلب الكسب بعد الصلاة المفروضة) [٢] أي الفريضة بعد الفريضة ولأنه لا يتوصل إلى إقامة الفرض إلا به فكان فرضًا لأنه لا يمكن من أداء العبادات إلا بقوة بدنه وقوة بدنه بالقوت عادة وخلقة . قال الله تعالى : ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لاَ يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ [٣] .

وتحصيل القوت بالكسب ولأنه يحتاج في الطهارة إلى آلة الاستقاء والآنية ويحتاج

---

(١) أخرجه البيهقي من حديث ابن مسعود وضعفه ، والطبراني من حديث أنس رضي الله عنه [الدرر المنتشرة في الأحاديث المشتهرة ص (١٣١) للحافظ جلال الدين السيوطي] وبهامشه : الجامع (٥٢٧١) ، ضعيف الجامع (٣٦٢٢) ، المشكاة (٢٧٨١) ، المقاصد الحسنة (٦٦١) ، (١٦٧١) ، أسنى المطالب (٨٥٧) .

(٢) أخرجه البيهقي من حديث ابن مسعود وضعفه ، والطبراني من حديث أنس رضي الله عنه [الدرر المنتشرة في الأحاديث المشتهرة ص (١٣١) للحافظ جلال الدين السيوطي] وبهامشه : الجامع (٥٢٧١) ، ضعيف الجامع (٣٦٢٢) ، المشكاة (٢٧٨١) ، المقاصد الحسنة (٦٦١) ، (١٦٧١) .

(٣) سورة [الأنبياء : ٨] .

في الصلاة إلى ما يستر عورته وكل ذلك إنما يحصل بالكسب والرسل عليهم الصلاة والسلام كانوا يكتسبون فآدم زرع الحنطة وسقاها وحصدها وداسها وطحنها وعجنها وخبزها ونوح كان نجارًا ، وإبراهيم كان بزازًا ، وداود كان يصنع الدروع ، وسليمان يصنع المكاتل من الخوص . ونبينا ﷺ رعى الغنم وكانوا يأكلون من كسبهم ، وكان الصديق رضي الله عنه بزازًا ، وعمر رضي الله عنه يعمل في الأديم ، وعثمان رضي الله عنه كان تاجرًا يجلب الطعام فيبيعه . وعليّ رضي الله عنه كان يكتسب فقد صح أنه كان يؤاجر نفسه ، ولا يلتفت إلى جماعة أنكروا ذلك وقعدوا في المساجد أعينهم طامحة وأيديهم مادة إلى ما في أيدي الناس يسمون أنفسهم المتوكلة وليسوا كذلك متمسكون بقوله تعالى : ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ (١) . وهم بمعناه وتأويله جاهلون فإن المراد به المطر الذي هو سبب إنبات الرزق . ولو كان الرزق ينزل من السماء لما أمرنا بالاكتساب والسعي في الأسباب . قال تعالى : ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِزْقِهِ﴾ (٢) . وقال تعالى : ﴿أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ (٣) . وفي الحديث : **(إن الله تعالى يقول يا عبدي حرك يدك أنزل عليك الرزق)** . وقال تعالى : ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ (٤) .

وكان تعالى قادرًا أن يرزقها من غير هز منها ، لكن أمرها ليُعلم العباد ألا يتركوا الأسباب فإن الله تعالى هو الرزاق . ونظير هذا ﴿وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ فإن الله تعالى قادر على خلقه لا من سبب ولا في سبب كآدم عليه السلام ويخلق من سبب لا في سبب كحواء ، وقد يخلق في سبب لا من سبب كعيسى عليه السلام ، وقد يخلق من سبب في سبب كسائر بني آدم فطلب العبد الولد بالنكاح لا ينفي كون الله تعالى هو الخالق . فكذلك طلبه الرزق بأسبابه لا ينفي كون الرازق هو الله تعالى والدلائل على ذلك كثيرة والأحاديث الواردة فيه متواترة وكتابنا هذا يضيق عن استيعابها وفي هذا بلاغ النفع . كذا في (الاختيار) ونحوه في (جامع الفتاوى) ا هـ .

---

(١) سورة [الذاريات : ٢٢] .

(٢) سورة [الملك : ١٥] .

(٣) سورة [البقرة : ٢٦٧] .

(٤) سورة [مريم : ٢٥] .

قلت : وهذا كلام في غاية الحسن وهو متوجه على البطالين الفارغين من الاشتغال بالخالق المشتغلين ببواطنهم بالناس وبمراقبة شهواتهم .

وأما من اشتغلت قلوبهم بالله تعالى وتفرغت بواطنهم لمراقبته في جميع أحوالهم العادية بحيث استسلمت قلوبهم له وانطرحت أسرارهم بين يديه فلم يطلبوا نعيماً في الآخرة ولا تخوفوا عذابًا وإنما يرجونه هو ويخافونه لا ما سواه فضلاً عن الرغبة في الشهوات العاجلة : فليس هذا الكلام في شأنهم وهم موجودون في الناس إن شاء الله تعالى إلى يوم القيامة ولا يجوز لأحد أن يظن في أحد يراه متوكلاً بلا اشتغال بكسب في مسجد أو غيره إنه هو بعينه من القسم الذي أراده الفقهاء في أنه آثم تارك لفرض الاكتساب خصوصًا إذا كان له عائلة فقراء محتاجون وهو مشتغل بالعبادة على الاكتساب فإن مثل هذا يحتمل أن يكون من القسم الثاني الذي ذكرناه شغله الله تعالى به عما سواه وسوء الظن حرام والتجسس حرام أيضًا بل كلام الفقهاء باق على حاله في حق من كان موصوفًا بما ذكروه فيما يعلمه الله تعالى وكلامنا أيضًا باق في حق من كان موصوفًا بما ذكرنا فيما يعلمه الله تعالى . ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ .

والنوع الثاني من أنواع الاكتساب المباح بلا إثم فيه ولا ثواب عليه ، وقد أشار إليه بقوله :

ص : (وقال فيه) . ش : أي في كتاب (الاختيار شرح المختار) . ص : (وإن اكتسب ما يدخره) . ش : أي يبقيه إلى وقت الحاجة إليه من المأكل والمشرب والملبس ونحو ذلك . ص : (لنفسه وعياله) . ش : ولو إلى سنين مستقبلة .

ص : (وهو) . ش : يومئذ . ص : (في سعة) . ش : أي وسعة من العيش . ص : (فقد صحّ) . ش : في الحديث . ص : (أن النبي ﷺ ادخر قوت عياله سنة) [1] . ش : أي حولاً فلو كان ذلك مكروهًا لما فعله النبي ﷺ وذكر

---

(١) أخرج أبو داود في سننه (٣/٣٦٧) ١٤- كتاب : الخراج والإمارة والفيء ١٩- باب : في صفايا رسول الله ﷺ من الأموال رقم (٢٩٦٣) عن مالك بن أوس بن الحدثان مطولاً . وفيه : (... فكان رسول الله ﷺ يأخذ منها نفقة سنة أو نفقته ونفقة أهله سنة ، ويجعل ما بقي أسوة المال) .
- النسائي كتاب : قسم الفيء رقم (٤١٤٠) ، أحمد في المسند (١/٢٥) ، [١/١٧١ ط الشيخ أحمد =

المناوي في (شرح الجامع الصغير) أن من مذهب أبي ذر الغفاري رضي الله عنه ، أنه يحرم على الإنسان ادخار ما زاد على حاجته من المال ا هـ . ويرد على مذهبه فعله عليه السلام . وعن سفيان بن عيينة أنه قال : ليس شيء في الحيوان يخبأ قوته إلا الإنسان ، والنملة ، والفأرة ، والعقعق .

ومن الكسب المباح اكتساب الزيادة على حاجته لأجل التجمل . قال في (المبتغى) بالغين المعجمة : من الكسب ما هو مباح للتجمل والتنعم حتى يبني البنيان وينقش الحيطان ويشتري السراري والغلمان لقوله عليه السلام : (نعم المال الصالح للرجل الصالح) [1] انتهى .

ومحل ذلك كله إذا لم يكن للتكبر والتفاخر والتكاثر وإلا فهو من قسم الحرام والأعمال بالنيات والناس في ذلك محمولون على المحامل الحسنة ما أمكن بلا ظن سوء بهم ولا تجسس عليهم . ص : **(و)** . ش : النوع الثالث من الكسب . ص : **(مستحب)** . ش : يعني يثاب بفعله ولا يأثم بتركه . ص : **(وهو)** . ش : كسب . ص : **(الزيادة على ذلك)** . ش : أي على قدر الكفاية . ص : **(ليواسى به)** . ش : أي بالزائد مما اكتسبه . يقال واساه بماله مواساة إناله منه وجعله فيه أسوة ، ولا يكون ذلك إلا من كفاف فإن كان من فضله فليس بمواساة . كذا في «القاموس» والكفاف ما كف عن الناس وأغنى . وهو قدر الكفاية والمراد هنا أعلامًا يكفي حتى يواسي بالزايد على الأدنى . ص : **(فقيرًا)** . ش : أي محتاجًا إلى ذلك من ذكر أو أنثى أو خنثى قريب منه أو بعيد .

ص : **(أو ليجازى)** . ش : على قرابته أي يقابل . ص : **(به قريبًا)** . ش : من أقاربه الأدنى أو الأباعد وهي صلة الرحم فإنها تكون بالهدية ونحوها وفي عبارة (ملتقى الأبحر) [2] ويصل به قريبًا . ص : **(فإنه)** . ش : أي كسب الزيادة بقصد

= شاكر رقم (١٧١) .

(١) أخرجه أحمد في المسند (١٩٧/٤) ، البخاري في الأدب المفرد (٢٩٩) ، زاد العراقي في المغني عن حمل الأسفار بهامش إحياء علوم الدين (١٠١/٤) في عزوه لأبي يعلى والطبراني من حديث عمرو بن العاص بسند جيد .

(٢) (ملتقى الأبحر) في فروع الحنفية للشيخ الإمام إبراهيم بن محمد الحلبي المتوفى سنة (٩٥٦) =

ما ذكر . ص : (**أفضل من التخلي**) . ش : أي التفرغ . ص : (**لنفل العبادة**) . ش : من صلاة تطوع أو قراءة قرآن ونحو ذلك مما لم يفترض عليه .

ص : (**إلا أن منفعة النفل**) . ش : من العبادة . ص : (**تخصه**) . ش : فلا يثاب بها غير الفاعل لها . ص : (**ومنفعة الكسب**) . ش : على الوجه المذكور عامة . ص : (**له**) . ش : أي للكاسب . ص : (**ولغيره**) . ش : ولا شك أن النفع المتعدي أفضل من القاصر . ص : (**قال ﷺ : خير الناس من ينفع الناس**) [١] . ش : بصدقة بمال ، أو بكلمة حق ، أو بمعونة على فعل خير أو ترك شرٍ وبتعليم علم نافع أو بدعاء واستغفار . ص : (**انتهى**) . ش : كلام صاحب «الاختيار» .

والنوع الرابع من الكسب مكروه وهو الجمع للتفاخر والبطر وإن كان من حل فقد قال ﷺ : (**من طلب الدنيا متفاخرًا متكاثرًا لقي الله وهو عليه غضبان**) [٢] كذا في (الاختيار) وسماه في (ملتقى الأبحر) [٣] حرامًا لأنه مكروه كراهة تحريم والمكروه تحريمًا يسمى حرامًا عند محمد . وقال في (شرح الشرعة) : ومما يجب أن يعتقد أن الكسب غير مؤثر في الرزق كما أن الشبع لا يحصل بالطعام بل بخلق الله تعالى ورب أكلة لا تشبع الآكل إذا لم يقدر الله تعالى الشبع فيها .

= جعله مشتملاً على مسائل القدوري والمختار والكنز والوقاية بعبارة سهلة وأضاف إليه بعض ما يحتاج إليه من مسائل المجمع ونبذة من الهداية . وقدم من أقاويلهم ما هو الأرجح وأخر غيره واجتهد في التنبيه على الأصح والأقوى وفي عدم ترك شيء من مسائل الكتب الأربعة ولهذا بلغ حينه في الآفاق ووقع على قبوله بين الحنفية الاتفاق قال : وقد تم تبييضه بين الصلاتين من يوم الثلاثاء ثالث عشر رجب سنة ٩٢٣ وله عدة شروح انظرها [كشف الظنون (١٨١٤/٢)] .

(١) عزاه السيوطي للقضاعي في مسند الشهاب عن جابر ، كنز العمال (٧٧٧/١٥) رقم (٤٣٠٦٥) . وكذلك عزاه العجلوني في كشف الخفاء (٤٧٢/١) رقم (١٢٥٤) .

(٢) تذكرة الموضوعات للفتني ص (١٧٤) .

(٣) (ملتقى الأبحر) في فروع الحنفية للشيخ الإمام إبراهيم بن محمد الحلبي المتوفى سنة (٩٥٦) جعله مشتملاً على مسائل القدوري والمختار والكنز والوقاية . بعبارة سهلة . وأضاف إليه بعض ما يحتاج إليه من مسائل المجمع ونبذة من الهداية . وقدم من أقاويلهم ما هو الأرجح وأخر غيره واجتهد في التنبيه على الأصح والأقوى [كشف الظنون (١٨١٤/٢)] .

[مراتب الناس في الكسب]

ويقال الناس في الكسب على خمس مراتب :

١-منهم من يرى الرزق من الكسب فهو كافر .

٢-ومنهم من يرى الرزق من الله تعالى ويرى الكسب سببًا ولا يعصى الله تعالى لأجل الكسب فهو مؤمن مخلص .

٣-ومنهم من يرى الرزق من الله تعالى . ويعصى الله تعالى من أجل الكسب ولا يؤدي حقه فهو فاسق .

٤-ومنهم من يرى الرزق من الله ومن الكسب فهو مشرك .

٥-ومنهم من يرى الرزق من الله تعالى ولا يدري أيعطيه أم لا فهو منافق شاك ذكره في (مشكاة الأنوار) [١] و (تنبيه الغافلين) ، وفي (الخلاصة) المذهب عند جمهور العلماء والفقهاء أنَّ جميع أنواع الكسب في الإباحة على السواء واختلف المشايخ في أن الزراعة أفضل أو التجارة فقال بعضهم : التجارة أفضل وأكثر مشايخنا على أن الزراعة أفضل .

ص : (وقال في) . ش : (كتاب الفتاوى) . ص : (التاتارخانية) . ش : في (فقه الحنفية) . ص : (يكره) . ش : كراهة تحريم إذ هي المجمل عند الإطلاق .

ص : (أن يجتمع قوم) . ش : من الناس . ص : (فيعتزلون في موضع) . ش : كمسجد ونحوه . ص : (ويمتنعون عن) . ش : استعمال . ص : (الطيبات) . ش : أي الملذوذات في المأكل والمشارب والملابس والمساكن والمناكح والمراكب من الخيل ونحوها . ص : (يعبدون الله) . ش : تعالى بأنواع العبادات . ص : (فيه) . ش : أي في ذلك الموضوع . ص : (ويفرغون أنفسهم لذلك) . ش أي للعبادة فقط ليلاً ونهارًا دون الاشتغال بشيء من المباحات في بعض الأوقات فيتركون الاكتساب من الحلال والجمعة والجماعات مع إخوانهم المسلمين . فإن هذا أمر منهى عنه كما سبق في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص [٢] وغيره . ص :

---

(١) انظر كشف الظنون (٢/١٦٩٣ ، ١٦٩٤) .

(٢) تقدم تخريجه .

(وكسب) ش : المال ص : (الحلال) . ش : لينفق منه على نفسه وعياله ويتصدق من فضله . ص : (و) . ش : كذلك . ص : (لزوم) . ش : صلاة . ص : (الجمعة و) . ش : الصلوات الخمس مع . ص : (الجماعات) . ش : الراتبة في المساجد التي . ص : (في الأمصار) . ش : جمع مصر وهي البلاد . ص : (أحب) . ش : من ترك ذلك . ص : (والزم) . ش : أي أسند لزومًا لافتراضه عليه في الجملة .ص : (انتهى) . ش : «أي فرغ كلام التاتارخانية» .

وفي (شرح الشرعة) قال عمر الفاروق رضي الله عنه : لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق . ويقول : اللهم ارزقني فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة . وروى أن عيسى عليه السلام رأى رجلاً فقال : ما تصنع ؟ قال : أتعبدُ فقال : ومن يقوتك . قال : أخي . قال : أخوك أعبد منك ذكره في «الإحياء» (١) .

ص : (فإن قلت) . ش : هذا سؤال نشأ من جملة ما تقدم . ص : (يعارض ما ذكرت) . ش : هنا من الأحاديث ونقلته عن الفقهاء من منعهم من الرياضة وكثرة المجاهدات وترك الاكتساب . ص : (ما) . ش : أي الذي . ص : (نقل) . ش بالبناء للمفعول أي نقله العلماء في كتبهم في علم الطريقة . ص : (عن السلف) . ش : الصالحين . ص : (من شدة الرياضات) . ش : بتقليل الأكل والشرب .

قال في (شرح الشرعة) ومن المريدين من ردّ الرياضة إلى طي الأيام حتى انتهى بعضهم إلى ثلاثين يومًا وأربعين يومًا . وانتهى إليه جماعة من العلماء أيضًا وقالوا : من طوى أربعين يومًا عن الطعام ظهر له قدرة من الملكوت أي كوشف له بعض الأسرار الإلهية ، وقد وقف بعض من هذه الطائفة على راهب فذكراه بحاله وطمع في إسلامه فكلمه بكلام كثير إلى أن قال له الراهب : إن المسيح كان يطوي أربعين يومًا ، وإنه معجزة لا تكون إلا لنبي صادق فقال الصوفي : فإن طويت أنا خمسين يومًا ، تترك ما أنت عليه وتدخل في دين الإسلام ؟ . قال : نعم . فقعد لا يبرح إلا حيث يراه حتى طوى خمسين يومًا . فقال : أزيدك أيضًا فطوى ستين فتعجب منه الراهب وقال ما كنت أظن أحدًا يجاوز المسيح . وكان ذلك سبب إسلامه .

---

(١) إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي .

وذكر القشيري في (الرسالة) [١] أن سهل بن عبد الله كان لا يأكل الطعام إلا أكلة كل خمسة عشر يومًا . فإذا دخل رمضان كان لا يأكل حتى يرى الهلال وكان يفطر كل ليلة على الماء القُراح ، ودخل أبو تراب النخشبي من بادية البصرة مكة فسأله أحمد بن يحيى بن الجلاء [٢] عن أكله . فقال : خرجت من البصرة فأكلت بتباح ثم بذات عرق ، ومن ذات عرق إليكم فقطع البادية بأكلتين ، وكان أبو عثمان المغربي يقول : الرباني يأكل مرة في أربعين يومًا ، والصمداني في ثمانين يومًا ، وذكر النجم الغزى في كتابه (حسن التنبه فيما ورد في التشبه) . قال : ومن هذا القبيل ما ذكره أبو طالب المكي في «القوت» [٣] ، وأبو حامد الغزالي في «الإحياء» [٤] عن أبي بكر رضي الله عنه أنه كان يطوي ستة أيام وعن عبد الله بن الزبير أنه كان يطوي سبعة أيام . وعن الثوري وابن أدهم أنهما كان يطويان ثلاثة أيام . وعن محمد بن عمر العرنى ، وعبد الرحمن بن إبراهيم ودحيم وإبراهيم التيمي [٥] وحجاج بن فرافصة ، وحفص العابد المصيصي والمستلم بن سعيد [٦] وزهير الباني ، وسليمان الخواص ، وسهل بن عبد الله ، وإبراهيم بن أحمد الخواص أن طيهم وصل إلى ثلاثين يومًا .

ومن أعجب ما في هذا الباب ما روى عن سهل بن عبد الله أنه اقتات بثلث درهم في ثلاث سنوات . وعن الشيخ محيي الدين بن العربي أنه اقتات من أول المحرم إلى عيد الفطر بلوزة واحدة رضي الله عنه . ص : (و) . ش : من . ص : (كثرة

---

(١) أبو محمد سهل بن عبد الله التستري . أحد أئمة القوم ولم يكن له في وقته نظير في المعاملات والورع ، لقى ذا النون المصري بمكة سنة خروجه إلى الحج توفى كما قيل سنة ٢٨٣ وقيل سنة ٢٧٣ ، والحكاية في ترجمته بالرسالة للقشيري ص (١٩) .

(٢) أبو عبد الله أحمد بن يحيي الجلاء بغدادي الأصل . أقام بالرملة ودمشق من أكابر مشايخ الشام . صحب أبا تراب وذا النون وأبا عبيد البسرى [الرسالة القشيرية ص ٢٦ ط بولاق سنة ١٢٨٦ هـ] .

(٣) قوت القلوب لأبي طالب المكي .

(٤) إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي .

(٥) إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمي ، يكنى أبا أسماء الكوفي العابد ، ثقة إلا أنه يرسل ويدلس من الخامسة ، مات سنة اثنتين وتسعين ، وله أربعون سنة أخرج له الجماعة تقريب التهذيب رقم (٢٦٩) .

(٦) المستلم بن سعد ، الثقفي ، الواسطي ، صدوق ، عابد ، ربما وهم من التاسعة أخرج له الأربعة [التقريب رقم (٦٥٩)] .

المجاهدات) . ش : في منع نفوسهم من الشهوات في المأكل وغيره قال القشيري في (رسالته) : حكى عن إبراهيم بن سنان أنه قال : ما بت تحت سقف ولا في موضع علو أربعين سنة وكنت أشتهي في أوقات أن أتناول شبعة عدس فلم يتفق ، وعن السرى السقطي [١] أنه كان يقول : إن نفسي تطالبني منذ ثلاثين سنة أو أربعين سنة أن أغمس جزرة في دبس فما أطعمتها . وقيل : إن عصام بن يوسف البلخي وجه شيئًا إلى حاتم الأصم فقبله ، فقيل له : لم قبلته؟ . فقال : وجدت في أخذه ذلي وعزه ، وفي رده عزي وذله ، فاخترت عزه على عزي ، وذلي على ذله ، وقيل لبعضهم : إني أريد أن أحج على التجريد ؟ فقال : فجرد أولاً قلبك عن السهو ، ونفسك عن اللهو ، ولسانك عن اللغو ثم اسلك حيث شئت .

وقال جعفر بن نصير : دفع إليَّ الجنيد درهمًا وقال : اشتر به التين الوزني ، فلما أفطر أخذ واحدة ووضعها في فمه ثم ألقاها وبكى وقال : ما أحمله ، فقلت له : في ذلك فقال : هتف في قلبي هاتف أما تستحيي تركتها من أجله ثم تعود إليها .

ص : (و) . ش : من . ص : (الاجتهاد في) . ش : أنواع . ص : (العبادات) . ش : كما روى أن أويس القرني رضي الله عنه قال : والله لأعبدن الله عبادة الملائكة ، فكان ليلة يقطعها قائمًا ، وليلة يقطعها ساجدًا ، وليلة راكعًا . وفي ذلك إشارة إلى أن أولياء الله تعالى من بني آدم تربأ هممهم إلى التشبه بالملائكة والاقتداء بهم والتساوي معهم في الطاعات .

كذا ذكره النجم الغزي في كتابه (حسن التنبه في التشبه) وذكر القشيري [٢] أنه قيل للجنيد رضي الله عنه : ممن استفدت هذا العلم ؟ فقال : من جلوسي بين يدي الله ثلاثين سنة تحت تلك الدرجة ، وأومأ إلى درجة في داره ، ومعلوم أن ذلك كان بكثرة عبادته لله تعالى . وقد كان رضي الله عنه يدخل كل يوم حانوته ويسبل الستر ويصلي أربعمائة ركعة ثم يعود إلى بيته ، ونقل عن أبي الحسين النوري رضي الله عنه أنه كان يخرج كل يوم من داره ويحمل الخبز معه ثم يتصدق به في الطريق ويدخل

---

(١) أبو الحسن سرى بن المغلس (السرى السقطي) خال الجنيد وأستاذه وكان تلميذ معروف الكرخي كان أوحد زمانه في الورع وأحوال السنة وعلوم التوحيد .

(٢) الرسالة للقشيري ص (٢٥) في ترجمة أبي القاسم الجنيد .

مسجدًا يصلي إلى قريب من الظهر ثم يفتح باب حانوته ويصوم ، فكان أهله يتوهمون أنه يأكل في السوق ، وأهل السوق يتوهمون أنه يأكل في بيته وبقي على هذا في ابتدائه عشرين سنة . وقال يوسف بن الحسين : إذا رأيت المريد يشتغل بالرخص . فاعلم أنه لا يجيء منه شيء وكان أبو حمزة الخرساني يقول : كنت قد بقيت محرمًا في عباءة أسافر في كل سنة ألف فرسخ تطلع علي الشمس ، وتغرب كلما أحللت وأحرمت ، وعن أبي علي الثقفي إمام الوقت أنه كان يقول : لو أن رجلاً جمع العلوم كلها وصحب طوايف الناس لا يبلغ مبلغ الرجال إلا بالرياضة من شيخ أو إمام أو مؤدب ناصح ومن لم يأخذ أدبه من أستاذ يريه عيوب أعماله ورعونات نفسه لا يجوز الاقتداء به في تصحيح المعاملات وعن أبي عبد الله بن خفيف أنه كان يقول : ربما كنت أقرأ في ابتداء أمري في ركعة واحدة عشرة آلاف مرة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ، وربما كنت أقرأ في كل ركعة واحدة القرآن كله ، وربما كنت أصلي من الغداة إلى العصر ألف ركعة .

ص : (كصيام الدهر) . ش : أي العمر كله . ص : (و) . ش : صيام . ص : (الوصال) . ش : أي المتابعة وإيصال اليوم باليوم من غير فطر بينهما . ص : (والقيام) . ش : بالصلاة . ص : (في كل الليالي) . ش : كما نقل عن سهل بن عبد الله التستري [١] رضي الله عنه أنه كان يقول : حفظت القرآن وأنا ابن ست سنين أو سبع سنين وكنت أصوم الدهر . وقوتي خبز الشعير اثنى عشر سنة ، ثم عزمت على أن أطوي ثلاث ليال ثم أفطر ليلة ثم خمسًا ثم سبعًا ثم خمسًا وعشرين ليلة ومكثت عليه عشرين سنة ثم خرجت أسيح في الأرض سنين ثم رجعت إلى تستر وكنت أقوم الليل كله ذكره القشيري في (رسالته) .

وذكر أيضًا عن أبي يزيد [٢] . قال : كنت اثنتي عشر سنة حداد نفسي وكنت خمس سنين مرآة قلبي وسنة أنظر فيا بينهما فإذا في وسطي زنار ظاهر فعملت في قطعه ثنتي عشر سنة ثم نظرت فإذا في باطني زنار فعملت في قطعه خمس سنين ، انظر كيف أقطع ! فكشف لي فنظرت إلى الخلق فرأيتهم موتى فكبرت عليهم أربع تكبيرات ، وكان

---

(١) الرسالة للقشيري ص (١٩) .

(٢) أبو يزيد طيفور بن يحي البسطامي مات سنة ٢٦١ هـ وقيل (٢٣٤) الرسالة للقشيري ص (١٧ ، ١٨) .

بعض المشايخ يصلي في مسجده في الصف الأول سنين كثيرة فعاقه يومًا عن الابتكار إلى المسجد عائق فصلى في الصف الأخير فلم ير بعد ذلك مدة فسئل عن السبب . فقال : كنت أقضي صلاة كذا وكذا سنة صليتها وعندي إني مخلص فيها لله فداخلني يوم تأخري عن المسجد من شهود الناس إياي في الصف الأخير نوع خجل فعلمت أن نشاطي طول عمري إنما كان على رؤيتهم ، فقضيت صلواتي . ص : (والاجتناب) . ش : أي التباعد . ص : (عن) . ش : أنواع . ص : (المشتهيات) . ش : أي ما تشتهيه النفوس . ص : (والطيبات) . ش : أي اللذائذ في المأكل والمشارب والملابس والمراكب والمناكح والمساكن ونحو ذلك على حسب ما قدمناه عن بعض السادة رضي الله تعالى عنهم .

ص : (و) . ش : كذلك . ص : (الختم) . ش : للقرآن العظيم من أوله إلى آخره . ص : (في كل يوم مرة أو مرتين) . ش : كما قدمناه . ص : (بل مرات) . ش : كثيرة كما نقل المناوي في (شرح الجامع الصغير) قال القسطلاني : وأخبرني شيخ الإسلام البرهان ابن أبي شريف أنه كان يقرأ خمسة عشر ختمة في اليوم والليلة وفي (الإرشاد) أن النجم الأصبهاني رأى رجلاً من اليمن ختم في شوط أو أسبوع وهذا لا يتسهل إلا بفيض رباني ومدد رحماني وأخبرني بعض الثقات أن شيخنا العارف عبد الوهاب الشعراني [١] ختم بين المغرب والعشاء ختمتين وأخبرنا الشيخ على المرصفي أنه قرأ في أيام سلوكه في يوم وليلة ثلاثمائة ألف ختم وستين ألف ختم كل درجة ألف ختم اهـ . ولا يستبعد هذا على أولياء الله تعالى الذين غلبت روحانياتهم على جسمانياتهم (والروح من أمر الله) [٢] وأمر الله كلمح بالبصر [٣] ، كما أخبر تعالى وعرض كلمات القرآن كلها مع معانيها في لسان الولي كلمح بالبصر ما هو ببعيد . والله على كل شيء قدير .

---

(١) عبد الوهاب بن أحمد بن علي بن أحمد بن محمد بن زرقا بن موسى بن السلطان أحمد التلمساني الفقيه المحدث الشعراني المصري الصوفي توفي في جمادى الأولى من سنة (٩٧٣) وله : الأجوبة المرضية عن أئمة الفقهاء والصوفية ، والأخلاق الزكية والعلوم اللدنية ، والأخلاق المبتولية . انظر ترجمته : هدية العارفين (٥/٦٤١) ، الكواكب السائرة (٣/١٧٦) .

(٢) اقتباس من قوله تعالى : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء : ٨٥]

(٣) في قوله تعالى : ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ [القمر : ٥٠] .

ص : (قلنا) . ش : (يعني في الجواب عن هذا السؤال المذكور من جهة المصنف رحمه الله تعالى ثلاثة أجوبة . ص : (أولاً) . ش : أي جوابًا أولاً . ص : (لا معارضة بين الوحي) . ش : القرآني والنبوي المتقدم بيانه في الآيات والأحاديث المقتضية لطلب الاقتصاد والتوسط من المكلف في الأعمال) .

ص : (وغيره) . ش : مما نقل عن السلف الصالحين مما ذكرنا من شدة الرياضات وكثرة المجاهدات إذ الوحي أقوى من كل وجه ولا مناسبة بين الأقوى والأضعف ، وبين قول المعصوم وغير المعصوم فلا معارضة إذ المعارضة تقتضي التسوية ولا تسوية بينهما . ص : (حتى نحتاج إلى الجواب) . ش : عن صنيع السلف فإن ما ورد عن الشارع لا يعارضه ما ورد عن غير الشارع ، وإنما نحن مكلفون باتباع الشارع فيما ورد عنه لا باتباع غيره . ص : (فعليك) . ش : يا أيها المكلف أن الزم ص : (الأخذ) . ش : أي التمسك . ص : (بما ثبت) . ش : عندك من الدين المحمدي . ص : (بالكتاب والسنة) . ش : يعني بالوحي القرآني والنبوي فابحث عن ذلك واحفظه واعمل به على حسب ما كلفك الله تعالى لتخرج بذلك من عهدة الخطاب واترك عنك النظر والتفحص عما ورد عن السلف الماضين من الرياضات والمجاهدات فإنهم أعلم منك بأعمالهم ، وأنت جاهل بما هم مطلعون عليه من أحوالهم فلا تقتد بما لا تعلم أرجحيته من الأعمال واسكت عن البحث عنه طاويًا عنهم بساط المقال ، كما قال تعالى : ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١) .

واحذر من الطعن على أحد منهم واعتقاد مخالفته لما علمت من الكتاب والسنة فإنهم أعلم منك بهما وأكثر فهما منك ومن أمثالك لمعانيها لقرب عهدهم بزمن النبوة وتنوير عقولهم بمعرفة الله تعالى وزيادة الاتباع للسنة والإخلاص واليقين والتوحيد والزهد ما لا يخطر لك ولا لأمثالك ببال . ولله در ابن الوردي حيث قال في وصيته لابنه رحمهما الله تعالى :

لا تخض في حق سادات مضوا إنهم ليسوا بأهل للزلل

وإنما أنت يا أيها الفقيه المسكين تعرف حصة من كيفية الأعمال الشرعية

---

(١) سورة [البقرة : ١٤١] .

استخلصت معرفتها من بين يدي أشغالك بشهوات بطنك وفرجك ليلاً ونهارًا . فأنت فرحان بما تظن أنك بسببها صرت من العلماء الكبار وساويت المتقدمين من أهل العلوم الإلهامية الوهبية والأعمال الصالحة المرضية المكتسبة بالأرواح الأمرية والنفوس الطيبة الزكية والأجسام المتغذية بالحلال المطهرة عن الشبهات وعن الحرام محمية ، فاعمل بما ظهر لك إن أردت النصيحة ولا تدخل في أعمال من هو أعلى منك من أولي الهمم الصحيحة ، (ومن أين للعصفور أن يأكل من مأكل النسور ؟) فإن حوصلته المعتادة على الحبات الصغار لا تشابه حوصلة النسر التي لا يقيها غير اللقم الكبار ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ﴾ [١] يعني عذوبة وأجاجا ، ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [٢] .

ص : **(وثانيًا)** . ش : أي جوابًا ثانيًا . ص : **(إنا نمنع صحة الرواية عنهم)** . ش : أي عن السلف الماضين فيما ذكر من التشديدات في الرياضات والمجاهدات حيث كانت تخالف عندنا ظواهر الكتاب والسنة على حسب ما تقدم . ص : **(إذا لم يقع عنها)** . ش : أي عن تلك الأمور الواردة عنهم بين العلماء الناقلين لها في كتبهم . ص **(بحث وتفتيش بل أكثرها)** . ش : أي أكثر تلك الأمور . ص : **(خال عن سند)** . ش : إلى من نقلت عنه وإن اشتمل بعضها على السند الصحيح . ص : **(بخلاف الكتاب العزيز)** . ص : **(فإنه ثابت الآن بالتواتر)** . ص : **(والأخبار النبوية)** . ش : فإنه وقع فيها من أهل الحديث البحث والتفتيش الكثير حتى صححوا إسنادهم فيها . ص : **(فلا مساواة في النقل)** . ش : بين ما لم يبحث عنه مما لم يتصل سند أكثره وبين ما بحث عنه حتى اتصل سنده وعدلت رواته . ص : **(فكيف يتصور التعارض ؟)** ش : بين ما هذا شأنه حتى يحتج به أحد ويترك الاحتجاج بما هو ظاهر الكتاب والسنة ، وليس هذان الجوابان بأقوى من الثالث لأن جميع ما ورد عن السلف الماضين رضي الله عنهم من التشديدات المذكورة والرياضات والمجاهدات لا تخالف شيئًا من الدين المحمدي أصلاً بل هي واردة فيه أيضًا في الكتاب والسنة في حق من يقدر عليها ويتفرغ لها من غير أن تكون واجبة عليه لأنها نفل زائد على ما كلف به متاب عليها كما ورد الاقتصاد والتوسط في الأعمال أيضًا في

---

(١) سورة [البقرة : ٦٠] .
(٢) سورة [المائدة : ٤٨] .

الكتاب والسنة في حق من لا قدرة له ممن يخاف عليه الملل وفي الدين تسهيل وتصعيب . قال الله تعالى : ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ (١) . وقال : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ (٢) . وأنزل تعالى في حق وحشي قاتل حمزة قوله : ﴿إِلاَّ مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (٣) فلما قرئت على وحشي (٤) قال : إن في هذه الآية شروطًا وأخشى أن لا أفي بها ، ولا أطيق أن أعمل عملاً صالحًا . فهل عندك شيء لين من هذا يا محمد فأنزل الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ (٥) .

فقال وحشي : وأنا لا أدري لعلي أن لا أكون في مشيئته ولو كانت الآية ويغفر ما دون ذلك ولم يقل لمن يشاء كان ذلك فهل عندك شيء أوسع من ذلك يا محمد فنزل قوله تعالى : ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٦) .

فقال وحشي : أما هذه فنعم وأسلم رضي الله عنه . ولا شك أن الآية الأولى والثانية أصعب من الثالثة لوجود الشروط فيهما دون الثالثة والآيات الثلاثة مما السبب فيها خاص والحكم عام في حق وحشي وغيره من الأمة إلى يوم القيامة ، وقال تعالى في آية التيمم : ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ (٧) . فصعب سبحانه باشتراط أخذ جزء من الصعيد ووضعه على الوجه واليدين .

---

(١) سورة [آل عمران : ١٠٢] .

(٢) سورة [التغابن : ١٦] .

(٣) سورة [الفرقان : ٧٠] .

(٤) وحشي بن حرب الحبشي مولى بني نوفل . قيل : كان مولى طعيمة بن عدي ، وقيل : مولى أخيه مطعم ، وهو قاتل حمزة قتله يوم أحد . وقصة قتله له ساقها له البخاري في صحيحه مطولة ، وفيها قصة إسلامه وأمره النبي ﷺ أن يغيب وجهه عنه ... عاش وحشي إلى خلافة عثمان . الإصابة (٣١٥/٨ ت ٩١١٠) طبع دار الكتب العلمية بيروت .

(٥) سورة [النساء : ٤٨ ، ١١٦] .

(٦) سورة [الزمر : ٥٣] .

(٧) سورة [المائدة : ٦] .

وقال تعالى في آية أخرى : ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ (١) ولم يقل : (منه) فسهل سبحانه حيث لم يشترط أخذ جزء من الصعيد كما قرره الفقهاء في التيمم حيث لم يحملوا فيه المطلق على المقيد كما هو من أصول مذهب الحنفية

وصنف الشعراني رحمه الله تعالى (كتاب الميزان) فيما شدد فيه الشارع وما سهل بحسب الأحكام في اختلاف المذاهب . وقد ورد عن النبي ﷺ أنه **(عرضت عليه بطحاء مكة ذهبًا فأباها)** (٢) . فشدد على نفسه ولم يأخذ من ذلك ليستعين به في نصرة الحق ودفع شر الكافرين ، مع أنه كان ذلك الغرض في ابتداء الإسلام وقد خطب ﷺ في يوم عزمه لغزوة تبوك فقال : **(من جهز جيش العسرة أضمن له الجنة)** (٣) حتى جهزه عثمان رضي الله عنه بماله فسهل على نفسه ﷺ طلب الدنيا لترتفع بذلك درجة أصحابه وورد عنه ﷺ **(صوم الوصال)** (٤) وكثرة الجوع حتى كان يربط الحجر على بطنه عليه السلام وورد أيضًا أنه عليه السلام (قام الليل حتى تورمت قدماه) فقيل له في ذلك فقال : (أفلا أكون عبدًا شكورا) (٥) .

كما ورد في صحيح مسلم وشرحه للنووي في باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة أن النبي ﷺ صلى حتى انتفخت قدماه فقيل له : أتكلف هذا وقد غفر الله لك ما

---

(١) سورة [النساء : ٤٣] .

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (٤/٤٩٦ ، ٤٩٧) ، ٣- كتاب : الزهد ٣٥- باب : ما جاء في الكفاف والصبر عليه رقم (٢٣٤٧) مطولاً . وقال : هذا حديث حسن ، وأحمد في المسند (٥/٢٥٤) .

(٣) أخرجه البخاري (٤/١٥ ط الشعب) ، (٥/١٧) البيهقي (٦/١٦٧) ، الدارقطني (٤/٢٠٠) .

(٤) أخرجه أحمد (٢/١١٢ ، ٢٦١ ، ٣٧٧) ، ابن أبي شيبة (٣/٨٢) ، البيهقي (٤/٢٨٢) .

(٥) أخرجه : البخاري ١٩- كتاب : التهجد ٦- باب : قيام النبي ﷺ الليل رقم (١١٣٠) ، ٦٥ - كتاب: التفسير باب: (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطًا مستقيما) رقم (٤٨٣٦) ، مسلم (٤/٢١٧١) ٥- كتاب : صفات ١٨- إكثار الأعمار والاجتهاد في العبادة رقم (٧٩- (٢٨١٩) .

- الترمذي (٢/٢٦٨) ٢- كتاب : الصلاة (٣٠٤) ، باب ما جاء في الاجتهاد في العبادة رقم (٤١٢) وقال : حسن صحيح ، النسائي ٢٠- كتاب : قيام الليل وتطوع النهار ١٧- باب : الاختلاف على عائشة في إحياء الليل رقم (١٦٤٤) ، ابن حبان (١/٢٦٤ ، ٢٦٥ الإحسان) ، ابن ماجة (٢/١٩٤) كتاب : إقامة الصلاة والسنة فيها ٢٠٠- باب : ما جاء في طول القيام في الصلاة رقم (١٤١٩) .

تقدم من ذنبك وما تأخر ؟! فقال : أفلا أكون عبدًا شكورا . وفي رواية (حتى تفطرت رجلاه) ، ومعنى تفطرت تشققت . ا هـ .

وكذلك ورد كثرة الصيام والقيام عن أزواجه أمهات المؤمنين . كما تقدم في الحبل المربوط بين الساريتين وأنه لزينب رضي الله عنها إذا افترت من قيام الليل تعلقت به . ولو كان ذلك معصية لما فعلته . وأمر النبي ﷺ بحله للشفقة عليها رضي الله عنها لأنه كان بالمؤمنين رءوفًا رحيمًا [(١)] . ولهذا عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه الذي سبق ذكره لما نهاه النبي ﷺ عن كثرة العبادة لم يفهم انقلاب ذلك معصية . بل قال لما كبر : وودت أني كنت قبلت رخصة النبي ﷺ فسمي ما أمره به النبي ﷺ رخصة وما فعله هو عزيمة ولم يسمّ ما أمره به عليه السلام هو الدين فقط ، ومن تأمل ما سبق من الآيات والأحاديث كلها علم أن ذلك كله رحمة من الله تعالى بالأمة . ومن النبي ﷺ ترخيص للمؤمنين لا يكون عليهم حرج في الدين فإن قوله تعالى : ﴿لاَ تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [(٢)] . أي لا تعتقدوا حرمتها بإنكار الرخصة لكم فيها فلو لم يحرموها وتركوا تناولها زهدًا في الشيء الفاني لا معصية في فعلهم ، وكذلك قوله : ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ﴾ [(٣)] . وقوله عليه السلام في آخر الحديث السابق (فمن رغب عن سنتي فليس مني) [(٤)] أي من لم يعتقد جواز ما فعلته ورخصت فيه . وفعل أشد منه في مقابلة قولهم : فأين نحن من رسول الله ﷺ ؟! وقد غفر له ما

---

(١) أخرجه البخاري ١٩- كتاب : التهجد ١٨- باب : ما يكره من التشديد في العبادة رقم (١١٥٠) مسلم ٦- كتاب : صلاة المسافرين وقصرها ٣١- باب : أمر من نعس في صلاته أو استعجم عليه القرآن رقم ٢١٩- (٧٨٤) ، والنسائي ٢- كتاب : قيام الليل ١٧- باب : الاختلاف على عائشة في إحياء الليل رقم (١٦٤٢) ، تحفة الأشراف (١٠٣٣) .

- وابن ماجة (١٦٤/٢) ٥- كتاب : إقامة الصلاة والسنة فيها ١٨٤- باب : ما جاء في المصلي إذا نعس رقم (١٣٧١) .

(٢) سورة [المائدة : ٨٧] .

(٣) سورة [الأعراف : ٣٢] .

(٤) أخرجه البخاري (١٤/٩ فتح) كتاب : النكاح باب : الترغيب في النكاح رقم (٥٠٦٣) ، مسلم (١٠٢٠/٢) كتاب النكاح (٥) باب : استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنة رقم (١٠٤١) ، النسائي كتاب : النكاح باب (٤) ، أحمد (١٥٨/٢) ، (٢٤١/٣ ، ٢٥٩ ، ٢٨٥) . اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٩٧/١) .

تقدم من ذنبه وما تأخر . يريدون بذلك يبطلون الترخيص الشرعي .

فقال لهم عليه السلام ما قال وقوله عليه السلام في الحديث الذي سبق ذكره : (إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما تؤتى عزائمه) [١] . صريح فيما قلنا فالحاصل أن السلف الماضين رضي الله عنهم اختاروا أن يفعلوا العزائم في أنفسهم لأنهم أهل الهمم والعزائم وكانوا معترفين بصحة الرخص الشرعية يفتون بها للعامة ويحرضونهم على فعلها كما كان النبي عليه السلام يفعل أحيانًا يأمر بالرخص ويعمل هو العزائم لنفسه كما أخبر في قضية صوم الوصال لما واصلوا مثله فنهاهم شفقة عليهم ورحمة بهم ثم قال : (لست كأحدكم ، إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني) [٢] وكان في عادة السلف الماضين والعلماء العاملين رضي الله عنهم أنهم يشددون على أنفسهم ويسهلون على غيرهم من عباد الله تعالى شفقة على الناس وخوفًا على أنفسهم من التقصير حتى نقل (القشيري) في (رسالته) [٣] عن رويم بن أحمد رضي الله عنه أنه كان يقول : من حكمة الحكيم أن يوسع على إخوانه في الأحكام ويضيق على نفسه فيها . فإن التوسعة عليهم اتباع العلم والتضييق على نفسه من حكم الورع وذكر أيضًا عن النضرا باذي رضي الله عنه أنه كان يقول : أصل التصوف ملازمة الكتاب والسنة وترك الأهواء والبدع وتعظيم حرمات المشايخ ورؤية أعذار الخلق والمداومة على الأوراد وترك ارتكاب الرخص والتأويلات .

وقد ورد عن السلف رضي الله عنهم أنهم كانوا يتركون من ورعهم سبعين بابًا من الحلال مخافة الوقوع في باب من الحرام وليس ذلك معصية في حقهم بل أخذًا بالعزيمة . وذكر القشيري [٤] في باب الورع أنه قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه :

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١١/٣٢٣) رقم (١١٨٨٠) عن ابن عباس ، وبهامشه : رواه البزار ١/٨٣ زوائد البزار عن الحسين بن محمد الذارع به ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/١٦٢) : ورجال البزار ثقات ، وكذلك رجال الطبراني . يقصد إسناده هذا .

(٢) تقدم تخريجه .

(٣) أبو محمد رويم بن أحمد بغدادي من أجل المشايخ ، مات سنة ثلاث وثلاثمائة . وكان مقرئًا فقيهًا على مذهب داود وذكر قوله القشيري في ترجمته في الرسالة ص (٢٧) طبع المطبعة الأميرية ببولاق سنة (١٢٨٤ هـ) .

(٤) الرسالة القشيرية ص (٧٠) طبعة المطبعة الأميرية سنة ١٢٨٤ هـ .

(كنا ندع سبعين بابًا من الحلال مخافة أن نقع في باب من الحرام) وقالﷺ لأبي هريرة (كن ورعًا تكن أعبد الناس) [١] وللصالحين رضي الله عنهم في الورع أمور كثيرة سلفًا وخلفًا لا تكاد تحصى وليس شيء منها معصية وما هي اقتصادًا ولا توسطًا في العمل ، فليس الدين محصورًا في ذلك حتى لا يكون التعارض ، بل قال تعالى : ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ [٢] . الآية فجعل تعالى الاقتصاد نوعًا من الدين وأهله بعضًا ممن اصطفى سبحانه وكلام فقهاء الحنفية وغيرهم في كراهة الرياضة بتقليل الأكل فيمن يوصله ذلك إلى الهلاك والسلف رضي الله عنهم عالمون بحرمة إلقاء النفس إلى التهلكة وقوتهم الروحانية التي كانوا يخرقون بها العادات تقدر على أكثر من ذلك . وكذلك من كان مثلهم والله يخلق ما يشاء وأيضًا مذهب الحنفية لا يقضي على مذاهب السلف . وبالله التوفيق .

ص : (وثالثًا) . ش : أي جوابًا ثالثًا . ص : (إن المنع) . ش : الوارد في ظواهر الآيات والأحاديث المتقدم ذكرها وفي قول الفقهاء أيضًا . ص : (عن التشديد في العبادة) . ش : على حسب ما قدمناه . ص : (معلل) . ش : في الشرع المحمدي . ص : (بعلتين) . ش : موجبتين لذلك المنع عند العلماء العلة الأولى علة ص : (لمية) . ش : أي نازلة حاصلة للمكلف فيخاف منها على المكلف أن تقتضي منع ما هو مطلوب منه ولو في حق البعض دون البعض . ص : (هي) . ش : أي تلك العلة اللمية . ص : (الإفضاء) . ش : بالفاء والضاد المعجمة أي الإيصال . ص : (إلى إهلاك النفس) . ش : وقد نهى الله تعالى عنه بقوله : ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [٣] . وذلك في حق من لم يحتمل مقاساة تلك التشديدات لعدم المتابعة لشيخ مرشد عالم بمزاج المريد وحاله . كمن عمل بنفسه الرياضة المفرطة حتى وصل إلى حالة لم يمكنه معها الدوام على تلك الرياضة ولا العود إلى حالته الأولى

---

(١) أخرجه ابن ماجة (٥١٨/٤ بتحقيقي) ٣٧- كتاب : الزهد ٢٤- باب : الورع والتقوى رقم (٤٢١٧) وقلت بهامشه : الحديث صحيح . إسناده حسن . انفرد به تحفة الأشراف (١٤٠٨٥) .

(٢) سورة [فاطر : ٣٢] .

(٣) سورة [البقرة : ١٩٥] .

لفساد معدته واحتراق أمعائه بثوران الحرارة وكثرة الجفاف ، وربما جفت رطوبة دماغه ففسد خياله وقلت قواه العاقلة . وهذه تهلكة ألقى بيده إليها فهي منهي عنها بحكم الآية المذكورة والشيخ المرشد الكامل لا يوصل المريد إلى شيء من هذه المضار لأنه عارف بالعلاج الشرعي والطبيعي فهو طبيب الأديان والأبدان . وهو الوارث المحمدي وليس يخلو عنه زمان من الأزمان . فإذا أسلم المريد نفسه إليه وتأدب معه في الظاهر والباطن أوقفه على ضرورة نفسه وسلك به في طريق الرياضة الشرعية منزلة منزلة حتى يتحقق بنفسه ويتخلص من وساوس ظنّه وحدسه فلا تفضى به تلك التشديدات حينئذ إلى إهلاك النفس لأنه لم يدخل فيها بنفسه بل بالمرشد الكامل فيكون كصنيع السلف الماضين رضي الله عنهم أجمعين حيث سلكوا فيها على أيدي المرشدين ، ولهذا لم ينقل عن أحد منهم التضرر بشيء من ذلك بل انتفعوا بها في معالم الدين . ولم يزل الأمر كذلك عند السالكين على أيدي الكاملين ، ولكن مراد الفقهاء التحذير في العموم كما هو رأيهم في جميع القضايا نفعًا لكافة المكلفين .

ص : **(أو)** . ش : الإفضاء أي الإيصال إلى . ص : **(إضاعة)** . ش : أي تفويت . ص : **(الحق الواجب)** . ش : على ذلك العبد . ص : **(للغير)** . ش : أي لنفسه فيما يرجع إلى بقائها وبقاء حواسها الظاهرة والباطنة ولعياله وأولاده وأهله في القيام عليهم وتربيتهم وخدمتهم وحفظهم والنظر في مصالحهم فإذا كان له من يقوم بمؤنة ذلك أو استغنى عنه لعدم العيال والأهل ساغ له ذلك على يد المرشد الكامل كما ذكرنا وإلا امتنع في حقه وأثم به .

ص : **(أو)** . ش : الإفضاء إلى . ص : **(ترك العبادة)** ش : لضعفه عنها وفساد بنيته التي هو قائم بها فيها وما أدى إلى ترك الفرض فهو حرام ص : **(أو)** ش الإفضاء إلى ص : **(ترك مداومتها)** ش : أي العبادة لضعفه في المستقبل وفساد بنيته فيه إن لم يكن في الحال ، وهذا كله يبعد في السلوك على يد المرشد الكامل . وإنما معه السلامة في البدن والدين إنْ مَنَّ الله تعالى على العبد بمعرفته والوصول إليه وتمييزه من بين أمثاله في الخلقة الآدمية والطبيعة الإنسانية . ص : **(و)** . ش : **العلة الثانية** علة . ص : **(آنية)** . ش : بالتشديد أي حقيقية محققة منسوبة إلى آنّ المشددة النون المفيدة للتحقيق والتوكيد . ص : **(هي)** . ش : أي تلك العلة الآنية

ص : (أن نبينـا) . ش : محمدًا . ص : (ﷺ أُرسـل) . ش : أي أرسلـه الله تعالى . ص : (رحمة للعالمين) . ش : كما قال تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (١) . وقـال تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (٢) .

ومن رحمته ﷺ بالعالمين الشفقة عليهم والملاطفة بهم والتخفيف في كل ما أمرهم به ونهاهم عنه ولهذا سأل ربّه التخفيف عنهم في ليلة المعراج وراجع ربه حتى كانت خمسين صلاة فرجعت إلى خمس صلوات . وكان يغضب من سؤال الصحابة له عن الأحكام التي لم تشرع مخافة أن ينزل الله تعالى فيها حكمًا يشق عليهم . وكان يقول : (اتركوني ما تركتكم) (٣) حتى أنزل الله تعالى في ذلك : ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ (٤) . الآية . وقال : (لولا أن أشق على أمتي لأمـرتهم بالسواك عند كل صلاة) (٥) . إلى غير ذلك فكان نهيه عليه السلام عن التشديدات في الدين لكمال شفقته على الأمة حتى لا يكون عليهم حرج في شيء من ذلك .

ص : (و) . ش : هو . ص : (مؤيـد) . ش : أي مسـدد مقـوي . ص :

---

(١) سورة [الأنبياء : ١٠٧] .

(٢) سورة [التوبة : ١٢٨] .

(٣) أخرجه مسلم كتاب : فضائل النبي ﷺ باب : توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه أو لا يتعلق به تكليف وما لا يقع ونحو ذلك ، الترمذي (٤٥/٥) ٤٢- كتاب : العلم ١٧- باب : في الانتهاء عما نهى عنه رسول الله ﷺ رقم (٢٦٧٩) عن أبي هريرة وقال : هذا حديث حسن صحيح ، تحفة الأشراف (١٢٥١٨) .

(٤) سورة [المائدة : ١٠١] .

(٥) أخرجه البخاري كتاب : الجمعة وكتاب الصيام وكتاب التمني ٨- باب : السواك يوم الجمعة باب : السواك للصائم ، مسلم (٢٢٠/١) ٢- كتاب : الطهارة ١٥- باب : السواك رقم ٤٢- (٢٥٢) ، أبو داود (٤٠/١) ١- كتاب : الطهارة ٢٥- باب السواك رقم (٢٢) .

- النسائي ١- كتاب الطهارة ٧- باب : الرخصة في السواك بالعشي للصائم رقم (٧) . ابن ماجة (١٧٠/١) ١- كتاب : الطهارة وسننها ٧- باب : السواك رقم (٢٨٦) ، أحمد في المسند (٨٠/١) ، (٢٤٥/٢) ، (٣٢٥/٦) مالك في الموطأ (٦٦/١) ٢- كتاب : الطهارة ٣٢- باب : ما جاء في السواك رقم (١١٥) - الدارمي (١٨٤/١) ١- كتاب : الصلاة ١٨- باب : السواك رقم (٦٨٣) ، تحفة الأشراف (١٢٩٨٩)

(من عند الله) . ش : تعالى بالعناية والحفظ من التقصير في الحقوق ومن لحوق الملل والسأمة في العبادة . ص : (فيقوى على ما) . ش : أي أمر من العبادة والطاعة . ص : (لا يقوى عليه) . ش : أي ذلك الأمر . ص : (أحاد الأمة) . ش : حتى أنه ﷺ في قضية صوم الوصال بين أنه أقوى منهم عليه حين نهاهم عنه فقال : (لست كأحدكم ، إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني) [1] ، كما ورد في الحديث ، وله خصوصيات أفردت بالتصنيف تدل على قوته عليه السلام الحسية والروحانية ما لا توجد في غيره .

ص : (وأنه) . ش : عليه السلام . ص : (أخشى) . ش : أي أكثر خشية من . ص : (الناس) . ش : كلهم . ص : (من الله) . ش : تعالى . ص : (وأتقاهم) . ش : أي أكثرهم تقوى لربه . ص : (وأعلمهم بالله) . ش : كما ورد ذلك في الأحاديث عنه ﷺ. وقد مر بيانه . ص : (فلا يتصور) . ش : عند المؤمنين به ﷺ وبأنه ناصح الأمة . ص : (منه) . ش : عليه السلام . ص : (البخل) . ش : بعدم بيان ما هو الأكمل من العبادات والطاعات وكتمان شيء مما أمره الله تعالى ببيانه للأمة فيما هو الكمال في حقهم ص : (وترك النصح) . ش : لهم في تقرير ما ينفعهم عند الله تعالى ص : (ولا التواني) ش : أي التضاعف والتقاعس في بيان الأنفع ص : (ولا التكاسل) ش : في ذلك ص : (ولا الجهل) ش : بالأنفع لهم ص : (في أمر الدين) ش : من حيث العلم والعمل ص : (فلو كان) ش : أي وجد ص : (في) ش : أمر ص : (العبادة والقرب من الله) ش : تعالى ص : (طريق) ش : يوصل إلى شيء من ذلك ص : (أفضل) ش : لهم ص (وأنفع) ش : عند الله تعالى ص : (غير ما) . ش : أي طريق .

ص : (هو) . ش : ﷺ . ص : (فيه) . ش : أي في ذلك الطريق . ص :

---

(١) أخرجه : البخاري (٢٠٦/٤) ٣٠- كتاب : الصوم ٤٩- باب : الوصال رقم (١٩٦٦) مسلم (٧٧٤/٢) ١٣- كتاب : الصيام . ١١- باب : النهي عن الوصال في الصوم ٦٠- (١١٠٣) . مالك في الموطأ (٣٠١/١) كتاب : الصيام . باب : النهي عن الوصال (٣٩) . الترمذي (١٤٨/٢) ٦- كتاب الصوم . ٦٢- باب : ما جاء في كراهية الوصال للصائم رقم (٧٧٨) قال أبو عيسى : حديث أنس حديث حسن صحيح . أحمد في المسند (٦٩/٣ ، ١٢٤ ، ١٧٠ ، ١٧٣ ، ١٩٧ ، ٢٠٢ ، ٢١٨ ، ٢٣٥ ، ٢٥٣ ، ٢٧٦ ، ٢٨٩) .

(لفعله) . ش : ﷺ . ص : (أو بينه) . ش : وأوضحه للأمة . ص : (وحث) . ش : أي حرض وحض . ص : (عليه) . ش : عباد الله الذين أرسله الله تعالى إليهم ليهديهم إليه صراطًا مستقيمًا لأنه إنما أرسل لذلك ولهذا قال تعالى له : ﴿يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ . ص : (فنجزم) . ش : حينئذ . ص : (قطعًا) . ش : من غير شك ولا شبهة . ص : (إن) . ش : جميع . ص : (ما) . ش : أي الذي . ص : (هو عليه) . ش : النبي . ص : (ﷺ) . ش : أقوالاً وأفعالاً وأحوالاً . ص : (أفضل) . ش : عند الله تعالى . ص : (وأنفع) . ش : للناس . ص : (وأقرب إلى) . ش : تحصيل . ص : (معرفة الله) . ش : تعالى . ص : (و) . ش : تحصيل .

ص : (رضاه) . ش : سبحانه . ص : (من كل ما عداه) . ش : مما عليه جميع الناس في جميع الأزمان من عصره ﷺ إلى يوم القيامة ، والذي عليه ﷺ هو ما تقدم بيانه من أمره عليه السلام للأمة بالاقتصاد في الأعمال والتوسط في الأحوال بين الإفراط والتفريط كما هو سيرته في الملأ ﷺ لتقتدي به الأمة وتنقل عنه أخبار دينها كما قال ﷺ لما طاف راكبًا على ناقته : (خذوا عني مناسككم) [١] . وقال : (صلوا كما رأيتموني أصلي) [٢] وهذا مقدار ما اطلع عليه علماء الظاهر أهل النقل والرواية من سيرته ﷺ العامة وأما سيرته الخاصة وباطنية شريعته ﷺ مما لم يكن عليه المنافقون في زمنه عليه السلام وبعده مما لم يعرفوه ليشاركوا فيه المؤمنين في الظاهر فهي أمور سرها ﷺ لخواص أصحابه وهم أسروها لخواصهم لأنها إنما تأخذ وتتلقى بالأحوال الصادقة والأعمال المصحوبة بالإخلاص والتقوى والخضوع والحضور كما قال الله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [٣] . وهي العلوم المخزونة والمعارف الإلهية اللدنية المكتوبة التي أشار إليها ﷺ بقوله : إن من العلم كهيئة المكنون لا يعرفه إلا العلماء بالله ، فإذا قالوه لا ينكره إلا أهل العزة بالله والمراد بأهل العزة الذين ينكرونه علماء العلم الظاهر

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٢٥/٥) ، ابن عبد البر في التمهيد (٦٩/٢ ، ٩١ ، ٩٨) ، (٣٣٣/٤) ، (١١٧/٥) ، (٢٧٢/٧) .

(٢) أخرجه البخاري (١٦٢/١ الشعب) ، (١١/٨) ، (١٠٧/٩) ، البيهقي (٣٤٥/٢) ، ابن عبد البر في التمهيد (١١٧/٥) ، البغوي في شرح السنة (٢٩٦/٢) .

(٣) سورة البقرة [٢٨٢] .

من شريعته ﷺ مما كان يعرفه المؤمنون والمنافقون في زمنه ﷺ . وبعد فيساوي الفريقان في العمل به ظاهرًا . ولنا رسالة صنفناها في إثبات أن العلم الباطن كالعلم الظاهر وعلم الأذواق كعلم الكراريس والأوراق مأخوذ جميع ذلك من الكتاب والسنة سميناها (التنبيه من النوم في حكم مواجيد القوم) . وقد قال ﷺ في حديث المعراج كما ذكره القسطلاني في مواهبه وغيره : وسألني ربي فلم أستطع أن أجيبه فوضع يده بين كتفي بلا تكييف ولا تحديد فوجدت بردها فأورثني علم الأولين والآخرين وعلمني علومًا شتى فعلم أخذ علي كتمانه إذ علم أنه لا يقدر على حمله أحد غيري وعلم خيرني فيه وعلمني القرآن فكان جبريل يذكرني به ، وعلم أمرني بتبليغه إلى العام والخاص من أمتي . ا . هـ .

فانظر فإنه لم يحصر ﷺ العلم الحق في العلم الذي أمره الله بتبليغه إلى العام والخاص الذي هو علم الشرائع والأحكام على وجه الاقتصاد والتوسط في العلم الذي يعلمه علماء الظاهر ، كما فعل أهل الظاهر القاصرون وإنما أخبر الصادق ﷺ أن هناك علمين آخرين هما حق أيضًا بل علومًا شتى . كما قال عليه السلام .

وأما العلم الذي أخذ عليه كتمانه ﷺ فهو علم النبوة مما لا يعلمه إلا نبي ولهذا قال فيه عليه السلام إذ علم أنه لا يقدر على حمله أحد غيري فبين بذلك وجه أخذه عليه كتمانه فإنه لا فائدة في بيانه حيث لا يقدر أحدٌ على حمله . أي العلم به فإنَّه لا يقدر إلا نبي ولا نبي بعده ﷺ .

وأما العلم الذي خيره فيه فهو علم الولاية وهو علم باطن الشريعة وحقيقتها وأسرارها مما لا يؤخذ إلا بالتقوى وصفاء المعاملة مع الله تعالى المشار إليه بقوله تعالى في الخضر ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ وقوله تعالى ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ . وقول النبي ﷺ (من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين) ويلهمه رشده وهو العلم الموروث للعلماء بالله من باطنية محمد ﷺ بأسانيد الإلهام ونقله الكشف التام إلى قلبه ﷺ وباطن حاله كما أن العلم الذي أمره الله تعالى بتبليغه موروث عنه أيضًا ﷺ بأسانيد الرواة ونقله المشايخ الموثقون إلى فمه ﷺ وعائدين من العلم . أما أحدهم فبثثته وأما الآخر فلو بثثته لقطع مني هذا البلعوم أي الحلقوم ومراده لقتلوني لحكمهم بكفري حيث لم يفهموا ما أشير إليه في كلامي من حقائق المعاني وأسرار الشريعة المطهرة فالوعاء من العلم الذي

بثه هو علم الظاهر الذي تعرفه الفقهاء من أحكام الشريعة المحمدية والوعاء من العلم الذي لم يبثه هو علم الباطن من حقائق الشريعة وما لا يعلمه إلا المقربون من الأولياء والصديقين.

والحاصل أن علم التقوى : هو العلم المأخوذ عن الرياضيات والمجاهدات وحبس النفوس عن شهواتها بملازمة المراقبة والحضور علم صحيح مأخوذ عن رسول الله ﷺ وهو مدلول عليه عند أهله العلماء به بالأدلة من الكتاب والسنة وأعمال النبي ﷺ وإشارات أقواله وأحوال الصحابة والتابعين والسلف الصالحين كما أن العلم الظاهر المأخوذ بالقراءة على المشايخ والرواية عنهم والحفظ من الكتب علم صحيح أيضًا مدلول عليه عند العلماء به بالأدلة من الكتاب والسنة وأقوال النبي ﷺ وأعماله وأقوال الصحابة والتابعين والسلف الماضين وأعمالهم والله تعالى لم يقطع من الأرض ولا يقطع إن شاء الله تعالى علماء كلا العلمين القائمين بهما نيابة عن محمد ﷺ حجة على المكلفين غير أن كل طائفة من أهل العلمين فيهم القائمون بعلمهم على الوجه المرضي لله تعالى ولعباده وفيهم الفاسدون المفسدون الضالون المضلون المتشبهون بالقسم الصالح وليسوا منهم اللابسون ثوب الزور فكما أن في الصوفية فاسقين ملحدين جاهلين ، في الفقهاء أيضًا كذلك فاسقون كافرون خبيثون ولكن لا يفسد بفسادهم ذلك النوع كله وتفسد تلك الطريقة التي يزعمون أنهم قائمون بها وإذا علمنا هذا فلا يجوز لنا التجسس على أهل السوء من كلا الفريقين ولا الظن السيئ بأحد معين منهم ولكن نحذر على العموم من غير تقبيح معين في أحد ظاهرًا ولا باطنًا والله يعلم المفسد من المصلح .

ص : **(فنحمل)** . ش : أي الذي . ص : **(روى عنهم)** . ش : أي عن السلف الماضين رضي الله عنهم أجمعين من التشديدات والمجاهدات . ص : **(على أنهم إنما فعلوا ذلك التشديد)** . ش والتضييق على نفوسهم وغيرهم من أهل طريقهم مما يخالف ظاهر الحال الذي كان عليه ﷺ وأمر به وبلغه الخاص والعام من الاقتصاد والتوسط في الأعمال كما ذكرنا . ص : **(أما مداوة)** . ش : أي طبيبًا . ص : **(لأمراض القلوب)**. ش : السقيمة بالغفلات والغرور ليردوها بذلك إلى الصحة والعافية فإن القلوب تمرض كما تمرض الأجسام قال تعالى : ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ [1] .

(١) سورة [البقرة : ١٠ ، المائدة : ٥٢ ، الأنفال : ٤٩] وغيرها .

ومن هؤلاء المرضى قلوبهم المحتاجون إلى مداواة تلك الأمراض هم طائفة من أهل العلم الظاهري غرتهم الحياة الدنيا وتلاعبت بهم الأغراض النفسانية فأعمتهم عن سواء السبيل فلا بد لهم من حمية تلك التشديدات حتى تصح أرواحهم وتنتعش نفوسهم بروايح نسمات القبول في رياض الرضا بين أشجار الوصول كما ذكر الشيخ عبد الرءوف المناوي في شرح الجامع الصغير عن أبي طالب المكي صاحب (قوت القلوب) . قال : علم الباطن وعلم الظاهر أصلان لا يستغنى أحدهما عن صاحبه بمنزلة الإسلام والإيمان مرتبط كل منهما بالآخر كالجسم والقلب لا ينفك أحدهما عن صاحبه وقيل : علم الباطن يخرج من القلب وعلم الظاهر يخرج من اللسان فلا يجاوز الآذان . وهذا لا ينصرف إليه اسم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء إذ هم العلماء العاملون الأبرار المتقون الذين آل إليهم العلم الموروث بالصفة التي كان عليها عند المورث لا من علمه حجة عليه وقد منعه سوء ما لديه من خبث نيته وسوء طويته واتباع شهوته أن يلج نور العلم قلبه ويخالط لبه . فأورده النار وبئس الورد المورود .

قال بعضهم : وهذه صفة علماء زماننا تجدهم يجتهدون في تحسين الهيئة والثياب الفاخرة والمراكب السنية فإذا نظر إلى باطن أحدهم ، وجد خوف الرزق على قلبه كالجبال يكاد يموت من همه وخوف الخلق وخوف سقوط المنزلة من قلوبهم والفرح بمدحهم والثناء عليه وحب الرياسة وطلب العلو والتبصيص للظلمة والأغنياء واحتقار الفقراء والأنفة من الفقر والاستكبار في موضع الحق والحقد على أخيه المسلم والعداوة والبغضاء وترك الحق مخافة الذل والقول بالهوى والحمية والرغبة في الدنيا والحرص عليها والشح والبخل وطول الأمل والأشر والبطر والغل والغش والمباهاة والرياء والسمعة والاشتغال بعيوب الخلق والمداهنة والإعجاب بالنفس والتزين للمخلوق والصلف والتجبر وغرة النفس والقسوة والفظاظة والغلظة وسوء الخلق وضيق الصدر والفرح بالدنيا والحزن على قوتها وترك القنع والمراء والجفاء [1] والطيش والعجلة والحدة وقلة الرحمة والاتكال على الطاعة وأمن سلب ما أعطي وفضول الكلام والشهوة الخفية وطلب العز والجاه واتخاذ الإخوان في العلانية على عداوة في السر والغضب إذا رد عليه قوله والتماس المغالبة لغير الله والانتصار للنفس والأنس بالخلق والوحشة من الحق

(١) والنبي ﷺ يقول فيما رواه البخاري : (إن الجفاء والقسوة في الفدادين) .

والغيبة والحسد والنميمة والجور والعدوان . فهذه كلها مزابل قد انضمت عليها طوية صدورهم وظاهرهم صوم وصلاة وزهد وأنواع أعمال البر فإذا انكشف الغطاء بين يدي الله تعالى عن هذه الأمور كان كمزبلة فيها أنواع الأقذار غشيت بالذبايح فأنتنت فهذا عالم مراءٍ مداهن يتصنع عند شهواته فلم يقدر أن يخلص عمله ، ونفسه مفيدة بنار الشهوة وقلبه مشحون بهوى نفسه وهذه كلها عيوب والعبد إذا كثرت عيوبه انحطت قيمته .

ص : **(أو لكون العبادة)** . ش : من كثرة تمرين نفوسهم بها صارت . ص : **(عادة لهم)** . ش : اعتادوها . ص : **(وطبعًا)** . ش : انطبعوا عليه فصاروا لا يتكلفون لها . ص : **(كالغذاء للصحيح)** . ش : البدن من الناس فإنه ينتفع به في بدنه لبقاء صحته ويأخذ منه حظه بنفس مقبلة مشتهية . ص : **(فيتلذذون بها)** . ش : أي بالعبادة كما يتلذذ الصحيح البدن بغذائه كما ذكر الأسيوطي في كتابه : **(بشرى الكئيب بلقاء الحبيب)** . عن ثابت البناني رضي الله عنه أنه كان يقول : اللهم إن كنت أعطيت أحدًا من خلقك الصلاة في قبره فأعطنيها وإنما قال ذلك من كمال لذته بعبادة الله تعالى حتى أخرج أبو نعيم في الحلية عن سعيد بن جبير قال : أنا والله الذي لا إله إلا هو أدخلت ثابت البناني لحده ومعه حميد الطويل فلما ساوينا عليه اللبن سقطت لبنة فإذا أنا به يصلي في قبره .

ص : **(بلا إضاعة حق)** . ش : واجب عليهم لأحد من خلق الله تعالى . ص **(ولا ترك مداومة)** . ش : بل كانوا يبقون على ذلك إلى الموت . ص : **(ولا اعتقاد)** . ش : من أحد منهم . ص : **(إنه)** . ش : أي ما يفعله من التشديدات على نفسه والمجاهدات فيها . ص : **(أفضل مما)** . ش : أي من الذي .ص : **(كان عليه أفضل البشر)** . ش : ﷺ فعمل به من الاقتصاد والتوسط . ص : **(أو)** . ش : أفضل من الذي . ص : **(قاله)** . ش : من ذلك وبينه للناس ولا شك أن من اعتقد رجحان عمله على عمل النبي ﷺ فهو كافر وحاشا السادة الأئمة العارفين من شيء من ذلك بل دائمًا لا يرون أعمالهم إلا مدخولة قاصرة ، وإن بالغوا فيها ما عسى أن يبالغوا ولا يرون أنفسهم مع ذلك كله إلا مذنبة عاصية كما نقل الشيخ ابن علان الصديق رحمه الله تعالى في شرحه على حكم أبي مدين رضي الله عنه أن الخاجة بهاء

الدين نقشبند قدس الله سره لما سئل عن الكرامات قال : أي كرامة أعظم من أني مع هذه الذنوب الكثيرة أمشي على وجه الأرض .

ص : (وأما نبينا) . ش : محمد . ص : (ﷺ فقد بلغ الدرجة العليا من الكمال) . ش : يعني فلا يحتاج مع ذلك إلى أمثال هذه التشديدات والمجاهدات في النفوس مع أنه فعلها ﷺ قبل موته وبعدها وكان يتحنث في غار حراء ويتبتل إلى الله تبتيلا ويواصل في صيامه ويتابع في قيامه ، ولم يسبقه أحد من الأمة بكثرة عبادة أصلاً فإنه ﷺ هو السابق في كل خصلة جميلة حميدة ، وإنما السابقون مقتدون به على كل حال .

ص : (وهي) . ش : أي تلك الدرجة العليا من الكمال . ص : (أن لا يمنع عن توجه القلب) . ش : إلى جناب الرب شيء . ش : مطلقًا . ص : (لا التكلم مع الخلق ولا الأكل ولا الشرب ولا النوم ولا ملامسة النساء) . ش : أي جماعهن

ص : (وتكون الخلطة) . ش : مع الناس . ص : (والعزلة) . ش : عنهم .

ص : (سواء) . ش : في عدم اشتغال القلب بسوى حضرة القرب كما ورد عنه ﷺ أنه كان يدبر الجيش وهو في الصلاة من غير أن يشتغل عنها وورد في حديث الجامع الصغير [1] عن عقبة بن الحارث قال : قال رسول الله ﷺ : (ذكرت وأنا في الصلاة تبرًا عندنا فكرهت أن يبيت عندنا فأمرت بقسمته) ومعلوم أنه مع ذلك لم يضيع الخشوع والحضور في صلاته . ص : (فاقتصاره عليه الصلاة والسلام على بعض العبادات الظاهرة) . ش : في بعض الأحيان بحسب ظاهر الحال . ص : (لكونها أفضل له) ش : ﷺ . ص : (ولأمته) . ش : باعتبار كمال إتقانها بالتوجه بالكلية إلى حضرة ذي الجلال باعتبارات العبادة الباطنية إذا كثرت قلَّت العبادة بالظاهر وإذا كثرت بالظاهر قلت بالباطن ولا شك أن العبادة بالباطن أفضل من العبادة بالظاهر لأن الظاهر تابع والباطن متبوع والأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فالسالكون

---

(١) أخرجه البخاري : (٨٤/٢ ط الشعب) باب : يفكر الرجل الشيء في الصلاة عن عقبة بن الحارث رضي الله عنه ، أحمد في المسند (٨/٤) ، البيهقي (٣٤٩/٢) كتاب : الصلاة ، باب : من فكر في صلاته أو حدث نفسه بشيء لم يسجد سجدتي السهو وقال : ورويناه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : إني لأحسب جزية البحرين وأنا قائم في الصلاة .

تكثر عباداتهم أولاً بالظاهر حتى يصلوا إلى معرفة الله تعالى فتقل عباداتهم بالظاهر ويصيرون يقتصرون على الفرائض والسنن وتكثر عباداتهم بالباطن فيواجهون حضرة ذي الجلال والإكرام والنبي ﷺ من أعظم الواصلين إلى معرفة الله تعالى فالغالب في أعماله الاقتصاد بقوله ويعمل به .

ص : **(وتلذذه ﷺ دائم)** . ش : مستمر . ص : **(لا يختص بالعبادات الظاهرة)** . ش : كتلذذ أهل البداية من السالكين بأعمالهم البدنية ومجاهداتهم النفسانية بل كان له تلذذ بشهود المتجلي الحق سبحانه في جميع الأمور العادية وسائر الأحوال الكونية وقوله ﷺ : (إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم سبعين مرة) [1] . وفي رواية مائة مرة باعتبار ترقيه ﷺ في مراتب الشهود فالمرتبة العليا إذا كان فيها ﷺ يجد ما دونها غينا أي حجابًا وهكذا . ص : **(وقد بلغ)** . ش : أي وصل . ص : **(بعض المشايخ)** . ش : من الكاملين . ص : **(إلى حيث كان له حظ)** . ش : أي نصيب . ص : **(من هذه الدرجة التي هي للنبي ﷺ بطريق الإرث عنه . فإن العلماء ورثة الأنبياء)** .

ص : **(حتى قال)** . ش : ذلك الشيخ المذكور . ص : **(من رآني الآن)** . ش يعني وأنا واصل إلى معرفة الله تعالى ومشغول بلذيذ شهوده في كل شيء . ص : **(صار زنديقًا)** . ش : أي اقتدى به في حالتي التي يفهمها مني وأنا غير مقبل على العمل الظاهر ولا منهمك فيه لاشتغال الباطن بما هو أكمل من ذلك وهو شهود الله تعالى ولذيذ مناجاته والاطلاع على لطائف حقائقه وأسراره في صفحات مصنوعاته فيظن أني كذلك بباطني أيضًا غير معتن بالعمل الظاهر فلا يعتني هو أيضًا بالظاهر بظاهره وباطنه فيستخف بدين الله تعالى وشرائعه فيصل إلى رتبة الزندقة وهو عدم

---

(١) أخرجه : مسلم كتاب : الذكر والدعاء ، باب : استحباب الاستغفار والاستكثار منه رقم ٤١- (٢٧٠٢) .

- أبو داود كتاب : الصلاة باب : في الاستغفار رقم (١٥١٥) .

- ابن حبان (٢١١/٣ الإحسان) ٧- كتاب : الرقائق ٩- باب : الأدعية رقم (٩٣١) وإسناده صحيح على شرط مسلم ، النسائي في عمل اليوم والليلة (٤٤٢) ، الطبراني رقم (٨٨٨) من طريق حماد بن سلمة عن ثابت البناني . وأخرجه الطبراني رقم (٨٨٩) من طريق هشام بن حسان عن ثابت البناني به .

التدين بدين أصلاً . وذلك من أكفر الكفر .

ص : (ومن رآني قبل) . ش : أي قبل الآن وأنا منهمك في العمل الظاهر مشتغل به مكثر منه لاحتجاب الله تعالى عني بالأغيار وخلو باطني من لمعات البوارق الإلهية والأنوار . ص : (صار صِدِّيقًا) . ش : لأنه يقتدي بي في هذه الحالة فيجاهد في نفسه ويكثر من العبادات والطاعات حتى يصل إلى مقام الصديقية وهي خلاصة الولاية . ص : (حيث كان) . ش : ذلك الشيخ المذكور . ص : (في) . ش : حال وصوله إلى مقام . ص : (نهايته) . ش : يقطعه مسافة نفسه وحصوله في حضرة ربه . ص : (يقتصر من العبادات الظاهرة على الفرائض) . ش : من كل نوع من أنواع العبادات . ص : (والواجبات والسنن) . ش : ويترك ما عدا ذلك من النوافل المستحبات من كل نوع . ص : (ويأكل) . ش : المشتهيات وغيرها

ص : (ويشرب) . ش : كذلك . ص : (وينام كالعوام) . ش : من حيث ظاهره . قال النجم الغزى [1] في كتابه (حسن التنبه في التشبه) كاد أن يكون مجمعًا عليه عند المحققين . من الصوفية رضي الله عنهم أن العارف لا يضره قلة العمل إذ لا يكون سيره قلبيًا وإلا لم يكن متحققًا بالمعرفة وقد ظفرت لذلك بدليل من الحديث وهو ما رواه الطبراني [2] عن عبد الله بن مسعود قال : دخلت على النبي ﷺ فقال : يا ابن مسعود أي عرى الإيمان أوثق . قلت : الله ورسوله أعلم . قال : أوثق عرى الإيمان الولاية في الله والحب في الله والبغض في الله ثم قال : يا ابن مسعود . قلت :

---

(١) محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن مفرج الغزي العامري الدمشقي ، الشافعي ، نجم الدين أبو المكارم ، أبو السعود . محدث مسند مؤرخ أديب ناظم نحوي ، مشارك في بعض العلوم ولد بدمشق ٩٧٧ - ١٥٧٠ م) في ٢١ من شعبان وتوفي بها في ١٨ من جمادي الآخرة (١٠١٦ هـ - ١٦٥١ م) من تصانيفه : الكواكب السائرة بمناقب أعيان العاشرة ، نظم الآجرومية في النحو وسماه الحلة البهية ، منبر التوحيد . انظر ترجمنه : نزهة الخاطر وبهجة الناظر (٣٣٣) نفحة الريحانة (٢/٩٥) ، (١/٩٦) ، معجم المؤلفين (٢٨٨/١١ ، ٢٨٩) .

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢١١/١٠ ، ٢١٢) رقم (١٠٣٥٧) . قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٦٠/٧ ، ٢٦١) وقال : رواه الطبراني بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح غير بكير ابن معروف ، وثقه أحمد وغيره ، وفيه ضعيف . قلت : ورواه ابن أبي حاتم في تفسير ابن كثير (٣١٥/٤) .

لبيك يا رسول الله . قال : أتدري أي الناس أفضل ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : أفضل الناس أفضلهم عملاً إذا فقهوا في دينهم . ثم قال : يا بن مسعود . قلت : لبيك يا رسول الله . قال : أتدري أي الناس أعلم ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : إن أعلم الناس أبصرهم بالحق إذا اختلف الناس وإن كان مقتصرًا في عمله . وإن كان يزحف على أسته زحفًا . الحديث .

ص : (و) . ش : كان . ص : (في) . ش : حال . ش : بدايته يجتهد . ش : في العبادات والطاعات . ص : (ويرتاض) . ش : بأنواع الرياضات . ص : (فمن رأى اجتهاده) . ش : في العبادة ليلاً ونهارًا . ص : (يجتهد كاجتهاده حتى يصير) . ش : بسبب ذلك . ص : (صديقًا ومن رآه في) . ش : حال . ص : (نهايته) . ش : كما تقدم . ص : (ينكر الاجتهاد و) . ش : أحوال . ص : (الطريقة أصلاً) . ش : أي من الأصل . ص : (فيخاف) . ش : بالبناء للمجهول. ص : (عليه الكفر) . ش : بل يكفر إن لم ير الأعمال الظاهرة حقًّا واستخف بها أو بأهلها بسببها كما ذكر الشيخ الوالد رحمه الله تعالى في شرحه على (شرح الدرر) نقلاً عن (التتمة) . قال : من أهان الشريعة أو المسائل التي لا بد منها كفر .

وفي (المحيط) من قال لفقيه يذكر شيئًا من العلم أو يروي حديثًا صحيحًا : هذا ليس بشيء ردًّا أو قال : لأي أمر يصلح هذا الكلام ؟! ينبغي أن يكون الدرهم لأن العز والحرمة اليوم للدرهم لا للعلم كفر أي لأنه معارضة لقوله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (١) . وقوله سبحانه : ﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾ (٢) . اهـ . وسيأتي نحو هذا إن شاء الله تعالى .

ص : (ولو تأملت) . ش : يا أيها المذعن للحق إذا ظهر . ص : (فيما كتبنا) . ش : لك . ص : (سابقًا) . ش : في أوائل فصل الاقتصاد في العمل من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، وأقوال الفقهاء الحنفية . ص : (و) . ش : تأملت أيضًا . ص : (ما) . ش : أي الذي . ص : (نقل عنهم) . ش : أي عن السلف الماضين من التشديدات في العبادات وأنواع المجاهدات . ص : (حق التأمل). ش :

---

(١) سورة [المنافقون : ٨] .

(٢) سورة [التوبة : ٤٠] .

بإنصاف وإذعان . ص : (وجدت في أكثرها) . ش : أي أكثر كل مما في هذا الكتاب وما ورد عن السلف وإن لم يكن في جميع ذلك . ص : (إشارة إلى هذا) . ش : المعنى المذكور هنا في هذا الجواب الثالث المعلل بالعلتين المذكورتين فإن تأملت ما سبق في أول هذا الفصل وجدت الإشارة إلى العلة الأولى وإذا تأملت ما نقل عن السلف وجدت الإشارة إلى العلة الثانية . وإذا علمت هذا وتحققته .

ص : (فلا يخلو) . ش : أي لا ينفك جميع . ص : (ما) . ش : أي الذي . ص : (نقل عن السلف) . ش : الماضين رضي الله عنهم أجمعين . ص : (من التشديد) . ش : في العبادات والتضييق على النفوس في المجاهدات . ص : (عن العلتين المذكورتين) . ش : أصلا بل لا بد أن يكون سببه إحداهما أو كلتيهما معًا . ص : (وهذا) . ش : التحقيق في هذه المسألة . ص : (هو المحمل) . ش : لما نقل عن السلف . ص : (الصحيح) . ش : لذوي الأفهام من سقم الأوهام . ص (والحق الصريح) . ش : الواضح الذي هو لكل شبهة فاضح والذي أجاب به النجم الغزى رحمه الله تعالى في كتابه (حُسن التَّنَبُّه في التشبه) عن مثل هذا الإشكال الذي أشار إليه المصنف رحمه الله تعالى هنا وإلى جوابه غير ما أجيب به هنا . فقال في بحث التخلق بأخلاق الملائكة في الاقتيات بالذكر وهو أبلغ من الصيام وهو حال الصمدانين الذين كانوا يطوون الأربعينيات فأكثر منها ودونها بحيث يكون خارق للعادة فيكتفون بالذكر والفكر عن الطعام والشراب وذلك كله من باب خرق العادة والالتحاق بالملائكة عليهم السلام في هذا الخلق الشريف . وعن بعض العلماء العاملين أنه قال : إني لأقتات بوردي من الذكر كما أقتات بالطعام والشراب . وقال الشيخ العارف بالله شهاب الدين السهروردي في (عوارف المعارف) : قيل لسهل بن عبد الله رضي الله عنه : هذا الذي يأكل في كل أربعين وأكثر أكلة أين يذهب لهب الجوع عنه ؟ قال : يطفئه النور .

قال : وقد سألت بعض الصالحين عن ذلك فذكر لي كلامًا بعبارة دلت على أنه يجد فرحًا بربه ينطفئ معه لهب الجوع . قال : وهذا واقع في الخلق أن الشخص يطرقه فرح وقد كان جائعًا فيذهب عنه الجوع وهكذا في طرق الخوف يقع ذلك فإن قيل :

قد صح عن النبي ﷺ [١] أنه (نهى عن الوصال في الصوم فقيل له : فإنك تواصل . فقال : لست كأحدكم إن الله يطعمني ويسقيني) فهذا يخالفه ما تقدم فالجواب أن هذا النهي إنما هو في مقام الدعوة العامة والتشريع لكافة الناس ولئلا يتخذ الوصال سنة جارية يتعاطاه القادر والضعيف عنه فيحتاج إلى التكليف فأما من كان يقتات بالذكر بحيث يستغني عن الطعام والشراب فقد يقال في حقه بإباحة الوصال له خاصة وعلى ذلك يخرج أحوال من أسلفنا ذكرهم من السلف رضوان الله عليهم أجمعين . وقد حكى القاضي عياض [٢] رحمه الله تعالى عن ابن وهب وإسحاق بن راهويه وأحمد بن حنبل رحمهم الله تعالى أنهم أجازوا الوصال . وحكى ابن حزم أن ابن وضاح من المالكية كان يواصل أربعة أيام . وأطلق أكثر الشافعية العبارة بكراهية الوصال واختلفوا هل هو كراهة تنزيه أو تحريم على وجهين ؟ أصحهما : الثاني وهو ظاهر كلام الشافعي رضي الله عنه فإنه قال بعد أن ذكر حديث النهي عن الوصال :

وفرق الله بين رسوله وبين خلقه في أمور أباحها وحظرها عليهم وكذلك مذهب أبي حنيفة ومالك رضي الله عنهما . وقال الحافظ العراقي في شرح الترمذي : وأصح ما يستدل به عن عدم تحريم الوصال ما رواه أبو داود [٣] بإسناده الصحيح عن عبد الرحمن بن أبي ليلى . قال : حدثني رجل من أصحاب النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ نهى عن الحجامة والمواصلة ولم يحرمهما إبقاء على أصحابه فقيل : له يا رسول الله

---

(١) أخرجه البخاري كتاب : الاعتصام باب : ما يكره من التعمق والتنازع والغلو في الدين والبدع رقم (٧٢٩٩) ، مسلم كتاب : الصيام باب : النهي عن الوصال في الصوم رقم (٥٧- (١١٠٣)) ....
وابن خزيمة (٢٠٧١ ، ٢٠٧٢) ، ابن حبان (٣٢٤/١٤ الإحسان) (٦٤١٣) .

(٢) عبارة القاضي عياض في كتاب إكمال المعلم بفوائد مسلم (٣٨/٤) طبع دار الوفاء بالقاهرة ط أولى سنة (١٤١٩ هـ / ١٩٩٨م) . قال القاضي : اختلف العلماء في أحاديث الوصال . فقيل : النهي عنه رحمة وتخفيفًا ، فمن قدر فلا حرج ، وقد واصل جماعة من السلف الأيام وأجازه ابن وهب وإسحاق وابن حنبل من سحر إلى سحر ، وحكى عمر بن عبد البر عن مالك والثوري وأبي حنيفة والشافعي وجماعة من أهل الفقه والأثر كراهة الوصال للجميع لنهي النبي ﷺ عنه ، ولم يجيزوه لأحد . قال الخطابي : الوصال من خصائص ما أبيح للنبي عليه السلام وهو محظور على أمته [معالم السنن (٢٣٩/٣)] .

(٣) أخرجه أبو داود (٧٧٤/٢) ٨- كتاب : الصوم . باب : في الرخصة في ذلك (أي الصائم يحتجم) رقم (٢٣٧٤) أحمد في المسند (٣١٤/٤ ، ٣١٥) .

إنك تواصل إلى السحر فقال : إني أواصل إلى السحر وربي يطعمني ويسقيني . قلت : وهنا أصل أصيل وهو أن إدخال الطعام والشراب إلى الجوف . إنما هو في الأصل مباح وإنما يندب تعاطيه أو يلزم إذا احتاج إليه الإنسان من حيث أن يتقوت به ويتحفظ على حياته . فإذا أخذ الإنسان منه حاجته وكفايته لم يحسن في حقه أن يتناول زيادة عليها بل إذا شبع منه حرم الزيادة عليه حذرًا من الهلاك الذي من حذره ألجئ إلى استعمال الطعام والشراب إذا احتاج إليه فإذا كان في عباد الله من رزقه الله تعالى حالة شريفة كحالة الشبع بحيث لا يحصل له معها وهن في بدنه ولا ضعف في قواه ولا توقان إلى الطعام يشغله عن الذكر والطاعة .

فظاهر هذا القياس أنه ما دام غنيًا عن الطعام والشراب بهذه الحالة لا تكلفه تناول شيء من المطعومات ولا من المشروبات حتى يحتاج إليه كما أنا لا نطالب الشبعان ولا الريان بشيء من ذلك حتى يحتاج إليه بل الدنيا وإن كان الأصل في مطعوماتها ومشروباتها الإباحة فإن اشتغال المقبل على الله تعالى بها اشتغال بما لا يعنيه فتقضي طريقه أن لا يتناول منها شيئًا إلا أن يحتاج إليه ويضطر إلى الأخذ منه فمهما أغناه الله عنه فلا يتناول أصلاً . فمن رزقه الله تعالى حالة تغنيه عن الطعام والشراب وتدفع عنه المحذر المدفوع بهما كما يدفعانه وزيادة ينبغي أن لا نكلفه بهما ويواصل الصيام عمره ثم كان بعد الطاوين من أهل الله تعالى إذا طوى يتناول عند الغروب مفطرًا ما ولو قطرة ماء عملاً بالسنة وخروجًا عن الخلاف وعلى ذلك فينبغي أن يتناول عند السحر شيئًا ما بنية السحور عملاً بالسنة أيضًا واغتنامًا لصلاة الله وملائكته كما في الحديث : إن الله وملائكته يصلون على المتسحرين .

وروى الحاكم في المستدرك [1] عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : (طعام المؤمنين في زمن الدجال طعام الملائكة التسبيح والتقديس فمن كان

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٥١١/٤) ، كتاب : الفتن والملاحم . وإسناده فيه : سعيد بن سنان الشامي أبو مهدي الحنفي ويقال الكندي الحمصي . قال البخاري عنه : منكر الحديث وقال النسائي : متروك الحديث . روى له ابن ماجة قال يحيى بن صالح الوحاظي : مات سنة ١٦٣ هـ . وشيخه حُدير بن كريب الحضرمي ، أبو الزاهرية الحمصي ، صدوق من الثالثة ، مات على رأس المائة .
سبحان الله : بعد هذه المعرفة عن الرجل يقول الحاكم : حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه قلت : ليس كما قال .

منطقه يومئذ التسبيح والتقديس أذهب الله عنه الجوع) وفي هذا الحديث دليل لما ذكرناه من أن الله تعالى قد يهب حالة شريفة لبعض عباده تغنيه عن الطعام والشراب . وأن هذه الحالة تكون في فتنة الدجال لكافة المؤمنين وإنما كانت حينئذ لعموم أهل الإيمان لأن زمن فتنة الدجال أن يمر على البلدة فيقول لأهلها : اعبدوني أو اتبعوني فإن اتبعوه أمر السماء فأمطرت والأرض فأنبتت فكانوا في أرغد عيش وإلا أمر السماء أن لا تمطر والأرض أن لا تنبت وكانوا في أضيق عيش فأخبر النبي ﷺ أن هذه الفتنة لا تضر المؤمنين إذا نطقوا بالتسبيح والتقديس لأنهم يستغنون عما تمطره السماء وتنبته الأرض انتهى .

والحاصل أن عمل الرياضة على وجه التشديد والتضييق لأهل التقوى والورع والزهد والصبر والمراقبة لا يعترض عليهم فيها ولا يقال إنها مخالفة للشرع فإن غرض الشرع ترك المؤذيات والمضرات وليس فيما يفعلونه مؤذ ولا مضر في حقهم . وإن كان ذلك مؤذيًا ومضرًا في حق غيرهم ممن ليس على قدمهم في الأخلاق الفاضلة والأحوال الصادقة .

ص : (فلا تُفرِط) . ش : يا أيها العبد المكلف من أفرط إذا زاد .

ص : (في حقهم) . ش : أي في حق أهل الرياضات والمجاهدات يعني في مدحهم بالثناء عليهم حتى توصلهم إلى الرفعة على الأنبياء في كثرة عباداتهم وسمو مقاماتهم فإنه لا يصل إلى درجة نبي أصلاً كما سيأتي تحقيقه في محله من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

ص : (ولا تفرِّط) . ش : بالتشديد من التفريط وهو التقصير في حقهم باحتقارهم واستنقاص أحد منهم كان حيًا أو ميتًا علمت حاله أو لم تعلم واتهم نفسك في القصور عن معرفة أولياء الله تعالى ولا تسيء الظنون في أحد منهم .

وقال الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي قدس الله سره في كتابه (شرح الوصية اليوسفية) :

«واحذر أن يخطر له خاطر رديء في أحد من خلق الله تعالى كان ذلك الخلق من كان ممن أحسن أو أساء فإن النبي ﷺ يقول : (طوبى لمن شغله عيبه عن

عيوب الناس) [١] والعاقل لا يتفرغ إلى غيره حتى يتفرغ عن نفسه ولا يتفرغ عن نفسه أبدًا فإنه مراقب لنفسه ما يحدث الله فيها في كل نفس مستقبل مشتغل بما ألقى الله إليه في وقته فيها من الخير هذا حظ المؤمن فكيف حظ المختص في الإيمان !؟ بالاتباع كان الشيخ إبراهيم بن طريف رحمه الله تعالى يقول لي : يا ولدي ما أرى في العالم إلاَّ وليًا لله تعالى بالنظر فإنه لا يخلو من يعرفني أن يكون حامدًا لما أنا عليه أو ذامًا فإن حمدني فأقول هذا أولى ما رآني إلا بصورته مما هو عليه والحمد لله الذي أراني وليا من أوليائه . وإن ذمني أقول هذا رجل قد كشف الله له عن عيبي ولا يكاشف إلا ولي . وهذا رجل يسمني بما ينسب إلي ومذكر لي حتى لتحفظ من هذه الصفة . فما ينصح عباد الله إلاّ ولي الله هذا كان اعتقاده في الخلق كلهم . رحمه الله تعالى . فهكذا فليكن المريد مع الناس فكيف مع شيخه !؟

ونقل صاحب كتاب (تحفة الأكياس) [٢] في تحسين الظن بالناس . ومن كلام سهل بن عبد الله التستري رضي الله عنه : أسوأ المعاصي سوء الظن وغالب الناس لا يعده ذنبًا ولا يستغفر منه . وقال سيدي أفضل الذين لو أن إنسانًا أحسن الظن بجميع أولياء الله تعالى إلا واحدًا منهم بغير عذر مقبول في الشرع لم ينفعه حسن الظن عند الله تعالى . ولذلك لا تجد وليًا حقًا له قدم الولاية إلا ومر مصدق بجميع قرانه من الأولياء لم يختلف في ذلك اثنان كما أنه لم يختلف وذكر الشيخ محيي الدين بن العربي رضي الله عنه أن معاداة الأولياء والعلماء العاملين كفر عند الجمهور [٣] .

وقال : من عادى أحدًا من الأولياء والعلماء العاملين أو الشرفاء فقد عادى إيمانه

وقال سيدي على الخواص رضي الله عنه : من عادى أحدًا من الأولياء أو العلماء

---

(١) أخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية (٣٤٤/٢) رقم (١٣٨٥) ثم قال : هذا ليس من كلام رسول الله ﷺ قال ابن حبان : سمعه أبان من الحسن فجعله عن أنس وهو يعلم ، قال يحيى : أبان ليس بشيء . وقال شعبة : يكذب على رسول الله ﷺ لأن أزني أحب إلي من أن أحدث عنه .

(٢) (تحفة الأكياس في حسن الظن بالناس) .

(٣) أخرج ابن ماجه (٣٩١/٤ ، ٣٩٢) ٣٦- كتاب : الفتن ١٦- باب : من ترجى له السلامة من الفتن رقم (٣٩٨٩) عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله ﷺ : (... من عادى لله وليًا فقد بارز الله بالمحاربة ...) والحاكم في المستدرك (٣٢٨/٤) كتاب : الرقاق وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي في التلخيص .

خالفه ضرورة وفي مخالفة الولي والعالم الضلال والهلاك لهم وقد أطلنا الكلام في هذا المقام في كتابنا (المطالب الوفية) بما يفي بالمرام والحاصل أن الإنكار بالقلب أو اللسان على أحد من أولياء الله تعالى الذين هم العلماء العاملون وسواء كانوا أحياء أو كانوا موتى وكلهم أحياء عند من يعرفهم بحياة الله تعالى لا بأنفسهم وكلهم موتى من حياتهم بأنفسهم سواء عرفهم من ينكر عليهم أو لم يعرفهم وأنكر ما لم يعرف من أحوالهم الصحيحة وأفعالهم المستقيمة عند الله تعالى - فهو كفر صريح والمنكر كافر بإجماع المسلمين على مقتضى جميع مذاهب أهل الإسلام لأنه أنكر دين الإسلام والشريعة المحمدية وهو لا يعرف أنه أنكر ذلك لجهله وغباوته بل يظن أنه إنما أنكر أمرًا باطلاً وفعلاً قبيحًا تصوره في نفسه وحكم بأنه فعل ذلك الولي أو قوله . فحكم بسببه على ذلك الولي بأنه ليس بولي وأنه فاسق أو كافر أو ملحد وزنديق .

والولي في حقيقة أمره من حيث ما يعلمه الله تعالى منه بريء من جميع ما اعتقده فيه ذلك المنكر وعمله ذلك الذي أنكره عليه وقوله ذلك الذي أنكره عليه أيضًا . ليس شيء منها باطلاً في الشريعة ولا كفرًا و لا إلحادًا و لا زندقة بل ذلك بالفعل طاعة وقربة إلى الله تعالى وذلك القول قول حق وصواب وهو محض إيمان وحقيقة معرفة وإيقان ولكن سماه ذلك المنكر كفرًا أو إلحادًا وزندقة لمحض جهله وعناده وعدم اعترافه بالقصور من علوم الأولياء ومعارف الصديقين وعدم إحساسه بطمس بصيرته وعمى قلبه عن إدراك مداركهم والكشف عن حقائق أسرارهم ولمحات أنوارهم فالمنكر يتقلب في أودية الكفر والضلال والإلحاد والزندقة وهو معتقد أنه يتقلب في أودية الإيمان والطاعة وإرشاد الناس إلى الاحتراز عن الخطأ والضلال والنصيحة والهدى . وهو لا يشعر فكفره عند الله تعالى سيظهر له ولأمثاله ممن يوافقه على الإنكار المذكور يوم القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين . فإنه الحاكم العادل الذي يعلم المظلوم من الظالم ويعلم المحق من المبطل . ولكن الآن في الدنيا لا يحكم المنكر هو بنفسه على نفسه بالكفر ولا أمثاله يحكمون عليه بذلك لإصرار المنكرين كلهم على عقيدة واحدة هي الإنكار فالحكم عليهم بالإسلام مبني على مجرد زعمهم ذلك كما أن الحكم عليهم بالكفر مبني على اعتقاد أهل الإسلام العارفين بكلام الأولياء المطلعين على أحوالهم الصحيحة المستقيمة ولا يعذرون المنكرين بالجهل لأن لهم مندوحة عن الإنكار بإيكال الأمر إلى الله تعالى

والتسليم فيما لا يعرفه . والاعتراف بأن الله تعالى يعلم من أحوال الناس ما لا يعلم هو والجهل في الشريعة ليس بعذر في مثل هذا إذ هو مثل جهل اليهود والنصارى والمجوس وعُباد الأصنام بما جاءه محمد ﷺ من الحق والدين الصحيح فإنه ليس بعذر عند أهل التصديق بذلك كما أنه ليس بعذر عند الله تعالى أيضًا وإن كان عذرًا عند أهل هذه الملل الباطلة بل في زعمهم أن ما أنكروه هو الباطل وما أنكروا به هو الحق . وحيث كان حكم المنكر على أولياء الله من الكفر فيترتب على الكفر من أحكام الشريعة كفسخ النكاح والاستتابة وإهراق الدم عناصر وكذلك بقية أحكام المرتد وهذا كله إن تحققنا منه ذلك وقدرنا عليه فإن لم نتحقق وغاب عنا نحكم برجوعه عنه نظير ما قال العلماء في المرتد وقالوا بأن إنكار الردة توبة ولا نحكم بالظن في أحد ولا بالتجسس عليه أنه منكر على ولي من أولياء الله تعالى أصلاً كما إنا لا نسيء الظن في أحد أنه ينكر فرضًا من الفروض ولا تجس عليه في ذلك ولكنا نحكم بما نتحققه فيه . فإن الظن السوء [1] والتجسس [2] حرمهما الله تعالى وحرمهما رسول الله ﷺ فلا يترتب عليهما إذا فعلا حكم من أحكام الله تعالى كما أن النمام إذا نقل القذف فهو فاسق بنقله ذلك لفعله الحرام فلا يترتب على قوله حكم إقامة الحد على المنقول عنه لعدم عدالة الناقل بفسقه بنفس النقل أو عدم وجود نصاب الشهادة . فكذا في التجسس وسوء الظن يفسق فاعلهما فلا يقبل قوله في الشريعة . ولو قبله من لم يعلم حاله فإن العدالة شرط في الإيمان .

ص : (وابتغ) . ش : أي اطلب . ص : (بين ذلك) . ش : أي بين الإفراط في مدح الأولياء والتفريط في ذمهم . ص : (سبيلاً) . ش : أي طريقًا تسلكه في ظاهرك وباطنك يكون وسطًا بحيث لا تذمهم أصلاً ولا تخرجهم عن كونهم عباد الله تعالى مخلوقين لا تأثير لهم في خرق عادة ولا في عادة مطلقًا بل هم كغيرهم من خلق الله تعالى في عدم التأثير في شيء من الأشياء ولكن الله تعالى فضلهم على غيرهم من خلقه بما يخلقه سبحانه وينسبه إليهم من خوارق العادات ومن العادات وهم أدنى من الأنبياء لأن ولايتهم أدنى من النبوة . كما أن الإيمان أدنى من الولاية فالأنبياء ثم الأولياء ثم المؤمنين .

---

(١) قال تعالى : ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ .

(٢) وقال تعالى : ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات : ١٢] .

ص : (وقـل) . ش : يا أيها المكـلف . ص : (الحمـد لله) . ش : بقلبـك ولسانك . ص : (الذي هدانا) . ش : أي دلنا وأرشدنا . ص : (لهذا) . ش : الحق المبين والكلام المتين الذي تقرر في هذا الفصل كله بل في هذا الكتاب جميعه . ص : (وما كنا لنهتدي) . ش : بأنفسنا إلى ذلك . ص : (لولا أن هدانا الله) . ش : سبحانـه بمحض فضله وإحسانه بـل كنـا نضـل كما ضـل غيرنـا ممن يساوينا في الإدراك والتكليف من كل خسيس في الناس وشريف . والحمد لله الخبير اللطيف .

* * *

الباب الثاني
في الأمور المهمة في الشريعة

ص : (الباب الثاني) ش : من الأبواب الثلاثة التي اشتمل عليها هذا الكتاب . ص : (في الأمور) . ش : جمع أمر وهو الشأن والحال الذي يخص أو يعم . ص : (المهمة) . ش : التي توقع في الهم والحزن على فواتها أو التي تفعل بالهمة والعزيمة . ص : (في الشريعة) . ش : الإسلامية وهي ما شرع الله لعباده والظاهر المستقيم من المذاهب كالشرعة بالكسر فيهما . كذا في القاموس . ص : (المحمدية) . ش : أي المنسوبة إلى محمد ﷺ . ص : (وهي) . ش : أي تلك الأمور المهمة . ص : (ثلاثة) ش : أمور . ص : (نبين) . ش : أي نشرح ونوضح . ص : (كلا) . ش : أي كل واحد . ص : (منها) . ش : أي من تلك الأمور الثلاثة . ص : (بتوفيق) . ش : أي بسبب ذلك والتوفيق خلق قدرة الطاعة في العبد . ص : (الله) . ش : تعالى لنا يعني لا بحولنا ولا بقوتنا . ص : (في فصل) . ش : مستقل . ص : (على حدة) . ش : غير تابع في بيانه لما قبله ولا لما بعده فتكون الفصول ثلاثة .

ص : (الفصل الأول) . ش : من تلك الفصول الثلاثة . ص : (في تصحيح الاعتقاد) . ش : أي ذكر الاعتقاد الصحيح ولا يكون إلا بالقلب وأما ما يقال باللسان فهو حكاية الاعتقاد لا هو الاعتقاد بنفسه فمن حفظه بلسانه وذكره ولم يكن صحيحًا في القلب فليس هو بصاحب اعتقاد صحيح بل حكى الاعتقاد الصحيح فنافق فيه فهو من المنافقين الذين يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم سواء عرف أنه كذلك . أو لم يعرف ولهذا قال ﷺ : «إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب فاسئلوا الله تعالى أن يجدد الإيمان في قلوبكم» .

أخرجه الطبراني في المعجم الكبير [1] والحاكم [2] عن ابن عمر رضي الله عنهما

---

(١) عزاه الهيثمي للطبراني في المعجم الكبير وقال : إسناده حسن . مجمع الزوائد (٥٢/١) كتاب : الإيمان باب : تجديد الإيمان .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/١) كتاب : الإيمان عن عبد الله بن عمرو بن العاص . وقال : هذا حديث لم يخرج في الصحيحين ورواته مصريون ثقات .

ذكره السيوطي في (الجامع الصغير) [١] .

وقد نقل السنوسي في نقل في (شرح الجزايرية) عن ابن دهاق شارح الإرشاد لإمام الحرمين أن النفاق على قسمين نفاق يعلمه صاحبه ونفاق لا يعلمه صاحبه كنفاق من جهل العقائد الصحيحة وبين ذلك بيانًا شافيًا .

ص : (وتطبيقه) . ش : أي الاعتقاد بمعنى موافقته ومساواته . ص : (لمذهب) . ش : أي لما ذهب إليه . ص : (أهل السنة) . ش : أي الطريقة والسيرة المحمدية وهي عامة شاملة للأقوال والأفعال والأحوال . ص : (و) . ش : أهل . ص : (الجماعة) . ش : من الاجتماع والجماعة جماعة الصحابة والتابعين وتابعي التابعين ومن بعدهم من المتبعين للنبي ﷺ .

قال النجم الغزي في (حُسن التنبه في التشبه) والمراد بطريق أهل السنة والجماعة ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه الكرام . وهو ما عليه السواد الأعظم من المسلمين في كل زمان وهم الجماعة والطائفة الظاهرون على الحق والفرقة الناجية من ثلاث وسبعين فرقة . روى أصحاب السنن وصححه الترمذي [٢] عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وتفرقت النصارى على اثنين وسبعين فرقة ، وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين فرقة) . وروى هذا الحديث من طرق أخرى كثيرة منها رواية عبد الله بن عمرو [٣] . وقال فيها : كلهم في النار إلا ملة واحدة . قالوا : من هي يا رسول الله ؟ قال : ما أنا عليه وأصحابي حسنه الترمذي ومنها رواية معاوية رضي الله عنه . وقال فيها اثنتان وسبعون في النار

---

(١) عزاه السيوطي لهما كنز العمال (٢٦٢/١) رقم (١٣١٣) الفصل السادس في المتفرقات .

(٢) أخرجه أبو داود (٤/٥) كتاب : السنة باب : شرح السنة رقم (٤٥٩٦) .

- الترمذي (٢٥/٥، ٢٦) كتاب : الإيمان ١٨ - باب : ما جاء في أشراف هذه الأمة رقم (٣٦٤٠) وفي الباب : عن سعد وعبد الله بن عمرو وعوف بن مالك قال : أبو عيسى : حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح .

- ابن ماجه (٣٩٢/٤ ، ٣٩٣) ٣٦- كتاب : الفتن ١٧- باب : افتراق الأمم (٣٩٩١) .

(٣) أخرجه الترمذي (٢٦/٥) ٤١- كتاب : الإيمان ١٨- باب : ما جاء في افتراق رقم (٢٦٤١) ، انفرد به تحفة الأشراف (٨٨٦٤) قال أبو عيسى : هذا حديث مفسر غريب لا نعرف مثل هذا إلا من هذا الوجه .

وواحدة في الجنة وهي الجماعة . رواه أبو داود [١] وغيره ومنها رواية ابن عباس رضي الله عنهما وقال فيها : (كلها في النار إلا واحدة) [٢] . فقيل : وما هذه الواحدة ؟ فقبض على يده وقال : الجماعة ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا﴾ [٣] رواه ابن ماجه [٤] وغيره . وقوله في الآية والحديث : (ولا تفرقوا) أي في أصول الديانات والاعتقاد . كما روى عن ابن مسعود وغيره وقيل : المعنى ولا تفرقوا متابعين للهوى والأغراض المختلفة وعليهما فليس في الآية نهي عن الاختلاف في الفروع والأحكام إذ المنهي عنه إنما هو اختلاف يؤدي إلى الفساد والتقاطع . وليس ذلك إلا في الاختلاف في العقائد والأصول .

وأما الاختلاف في مسائل الاجتهاد فإنه سبب لاستخراج الحقوق والفرائض وظهور دقائق الشريعة . ولم تزل الصحابة مختلفين في أحكام الحوادث . وهم مع ذلك متواصلون . وفي الحديث (اختلاف أمتي رحمة) [٥] . كما نقل خلائق من العلماء منهم الشيخ نصر المقدسي والحليمي والبيهقي وإمام الحرمين . ومن هذا القبيل اختلاف

---

(١) أخرجه أبو داود (٥/٥) ٣٤- كتاب : السنة ١- باب : شرح السنة رقم (٤٥٩٧) . أخرجه الحاكم في المستدرك (١٢٨/١) وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم .

(٢) أحمد في المسند (٣٣٢/٢) ، ابن أبي عاصم في السنة (٣٣/١ ، ٦٦) ، البيهقي في السنن الكبرى (٢٠٨/١٠) .

(٣) سورة [آل عمران : ١٠٢] .

(٤) أخرجه ابن ماجة (٣٩٣/٤) ٣١- كتاب : الفتن ١٧- باب : افتراق الأمم رقم (٣٩٩٢) .

(٥) لا أصل له . قال الألباني رحمه الله في سلسلة الأحاديث الضعيفة رقم (٥٧) : لا أصل له ، ولقد جهد المحدثون في أن يقفوا على مسند فلم يوفقوا حتى قال السيوطي في (الجامع الصغير) : (ولعله خرج في بعض كتب الحفاظ والتي لم تصل إلينا) وهذا بعيد عندي ، إذ يلزم منه أنه ضاع على الأمة بعض أحاديثه ﷺ ، وهذا مما لا يليق بمسلم اعتقاده ونقل المناوي عن السبكي أنه قال : وليس بمعروف عند المحدثين ، ولم أقف له على سند صحيح ، ولا ضعيف ولا موضوع ، وأقره الشيخ زكريا الأنصاري في تعليقه على (تفسير البيضاوي ق ٢/٩٢) .

ثم إن معنى هذا الحديث مستنكر عند المحققين من العلماء ، فقال العلامة ابن حزم في (الإحكام في أصول الأحكام) (٦٤/٥) بعد ما أشار إلى أنه ليس بحديث : (وهذا من أفسد قول يكون ، لأنه لو كان الاختلاف رحمة لكان الاتفاق سخطًا ، وهذا ما لا يقوله مسلم ، لأنه ليس إلا اتفاق أو اختلاف ، وليس إلا رحمة أو سخط) . وقال في مكان آخر : باطل مكذوب .

الأئمة الأربعة رضي الله عنهم . وكلهم على هدى من ربهم ورحمة وهم مثابون مأجورون لهم أجورهم . ومثل أجور أتباعهم رضي الله تعالى عنهم . ومن هذا القبيل أيضًا اختلاف العلماء في العلوم الشرعية وما يحتاج إليه فيها حيث منهم من مال إلى الحديث ومنهم من مال إلى التفسير ومنهم من مال إلى الفقه . ومنهم من مال إلى العربية . وكذلك اختلاف الصوفية رضي الله عنهم في رياضات النفوس وتربية المريدين كل واحد منهم سلك هو ومريدوه طريقة فمنهم من سلك طريقة المجاهدات . ومنهم من سلك طريقة المعاملات .

وقد قال الشيخ نجم الدين البكري رحمه الله تعالى : الطرق إلى الله عدد أنفاس الخلائق . أي من حيث السلوك لا من حيث الاعتقاد . فإن عقائد أولياء الله تعالى متواردة على عقيدة واحدة وهي عقيدة أهل السنة والجماعة . وكذلك اختلاف أهل الصنائع والحرف في صنائعهم وحرفهم كل ذلك داخل في قوله ﷺ : (اختلاف أمتي رحمة) ، وأما اختلافهم في الأصول فإنه عذاب . كما قال رسول الله ﷺ : (الجماعة رحمة والفرقة عذاب) [١] .

وذكر الشيخ الإمام العارف بالله تعالى أحمد بن محمد المدني المعروف بالقشاشي رحمه الله تعالى في (الجواب الشافي من السؤال الموافي) في معنى المراد من أهل السنة والجماعة أن المخصوص بالهداية الجماعة المجتمعون على الكتاب والسنة المنتهون عن الاختلاف والفرقة الآخذون بالوارد لا بالعقل المثير للمراء والخصومات في دين الله فالقائم على ذلك بشهادة من الكتاب والسنة وهو متابعة ما عليه النبي ﷺ وأصحابه وتابعوهم قولاً وفعلاً بصريح الوارد محكمًا له ومسلمًا له تسليمًا عازلاً لهواه وعقله عند ذلك هو من أهل السنة والجماعة ومسمى بذلك بالنص المذكور وإن فرط منه شيء من القصور والمخالفة تداركه بالرجوع إلى الله تعالى والحكم للغالب من حاله . فإذا كان

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢٧٨/٤ ، ٣٧٥) ، ابن أبي عاصم في السنة (٤٤/١ ، ٤٣٥/٢) وعزاه الهيثمي في مجمع الزوائد (٢١٧/٥ ، ٢١٨) كتاب : الخلافة باب : لزوم الجماعة وطاعة الأئمة والنهي عن قتالهم . لأحمد والبزار والطبراني ورجالهم ثقات . عن النعمان بن بشير وفي موضع ثان (١٨٢/٨) كتاب : البر والصلة باب : شكر القليل عن النعمان بن بشير . عزاه لعبد الله بن أحمد بن حنبل وقال : أبو عبد الرحمن روايه عن الشعبي ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات .

الغالب المحافظة على ذلك فالحكم للغالب ثم بسط الكلام في بيان أن المراد من أهل السنة والجماعة من تابعوا الوارد في الكتاب والسنة واعتقدوه إيمانًا وإذعانًا ولم يعتقدوا أمرًا مستفادًا من تحكمات العقول والآراء وأن المراد بالفرق الضالة والطوائف المبتدعة من تابعوا عقولهم وآراءهم في معاني الوارد في الكتاب والسنة . ولم يبقوا ذلك على مراد الله تعالى ورسوله ويعتقدوه كذلك . وذكر أمثلة لذلك من كلام الفريقين على مقتضى المذهبين .

ص : (وجملته) . ش : أي جملة مذهب أهل السنة والجماعة في العقائد يعني محصلته وملخصه إذ لا يمكن استقصاء ذلك مبسوطًا في هذا الكتاب للخروج عن مقتضى الاختصار . ص : (أن الله تعالى واحد) . ش : أي موصوف بالوحدانية وهي تقال على خمسة أنواع : **النوع الأول الوحدانية في الذات** والمراد بها انتفاء الكثرة عن ذاته تعالى بمعنى عدم قبولها الانقسام .

وفي (الإرشاد) لإمام الحرمين الرب تعالى واحد ، والواحد في اصطلاح الموحدين الشيء الذي لا ينقسم . ولو قيل الواحد هو الشيء لوقع الاكتفاء بذلك والرب تعالى موجود فرد متقدس عن قبول التبعيض والانقسام . وفي (بحر الكلام) [1] للإمام النسفي ومعنى الواحد الموجود الذي لا بعض له ولا انقسام لذاته ، فإن الله تعالى واحد لا من جهة العدد يدل عليه أنه تعالى لو كان واحدًا من جهة العدد لكان أبعاضًا . فامتنع أن يكون إلهًا واحدًا **والنوع الثاني الوحدانية في الصفات** والمراد بها انتفاء النظير له تعالى والشبيه والمثيل في كل صفة من صفاته فيمتنع أن يكون له تعالى علوم وقدرات وإرادات متعددة متكثرة بحسب المعلومات والمقدورات والمرادات . بل علمه تعالى واحد ومعلوماته كثيرة وقدرته واحدة ومقدوراته كثيرة وإرادته واحدة ومراداته كثيرة . وعلى هذا جميع صفاته وكذلك يمتنع أن يكون لغيره تعالى صفة من صفاته تعالى أو مثل صفة من صفاته تعالى أو يتصف تعالى بصفة من صفات خلقه سبحانه أو مثل صفة من صفات خلقه سبحانه .

والنوع الثالث الوحدانية في الأسماء . والمراد بذلك امتناع المشابه به والمماثل له

---

(١) (بحر الكلام) للشيخ الإمام أبي المعين ميمون بن محمد النسفي الحنفي المتوفى سنة ثمان وخمسمائة [كشف الظنون (٢٢٥/١)] .

تعالى في كل اسم شيء به سبحانه من حيث هو مسمى به وإن جاز إطلاق بعض أسمائه تعالى على غيره من خلقه والفرق بين الاسم والصفة . أن الصفة تتقدم على الاسم . فالصفة اسم غير ظاهر . فإذا ظهر أطلق عليه الاسم . فإن الرحمة كانت سابقة على الاسم الرحمن فلما رحم تسمى رحمانا .

والنوع الرابع في الأفعال : وذلك وجوب انفراده تعالى باختراع جميع الكائنات عمومًا وامتناع استناد التأثير لغيره تعالى في شيء من الممكنات أصلاً . فكل ذات من ذوات المخلوقات وكل صفة وكل اسم وكل فعل وكل حكم حادث جميع ذلك مخلوق لله تعالى وحده لا يشاركه في شيء من ذلك مشارك أصلاً لا طبيعة ولا كوكب ولا قوة ولا سبب مطلقًا .

والنوع الخامس الوحدانية في الأحكام : كما قال تعالى : ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾ [١] والحكم هو الأمر والنهي وهو واحد ولكنه كثير بالمتعلقات من أحوال المكلفين وحكمه قديم . ولكنه تبين في الخلق لأحدث . وهو الذي أنزل الكتب وشرع الشرائع وبعث النبيين يبلغون عنه قوله ويحكمون بحكمه . فالأحكام كلها راجعة إلى قوله الحق ومستنده إلى خبره الصدق . وهو الذي ينفذها على يدي من شاء من خلقه في الدنيا وينفذها في الآخرة من غير واسطة . وهو الذي حكم بسعادة من يسره لطاعته وحكم بشقاوة من يسره لعداوته ومخالفته وهو الذي حكم بترتيب الأسباب وتوجيهها إلى المسببات وبترتيب العادة . وهو الذي حكم بالكفر على الكفار وبالإيمان على المؤمنين وبالفسق على الفاسقين وبالنفاق على المنافقين وبالطاعة على المطيعين وبالإخلاص على المخلصين والمتقين ﴿وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [٢] . ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ [٣] . ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ [٤] . ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا﴾ [٥] . ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ﴾ [٦] . ومن هنا قلنا بوحدانية الحكم

(١) سورة [الرعد : ٤١] .
(٢) سورة [القصص : ٧٠] .
(٣) سورة [الأنعام : ٥٧] .
(٤) سورة [التين : ٨] .
(٥) سورة [المائدة : ٥٠] .
(٦) سورة [النمل : ٧٨] .

لوروده كذلك في هذه الآيات وإن جاز إطلاق تعدده لكثرة أنواعه بكثرة متعلقاته وتمام هذه الأبحاث في كتابنا (المطالب الوفية) .

ص : (لا يشبهه) . ش : سبحانه وتعالى . ص : (شيء) . ش : أصلاً وهو توكيد لصفة الوحدانية كما ذكرنا ثم أكد ذلك بقوله . ص : (ليس) . ش : سبحانه وتعالى . ص : (بجسم) . ش : وهو المركب من الجزء الذي لا يتجزأ وأدنى التركيب من جزئين فصاعدًا وعند البعض لا بد من ثلاثة أجزاء لتحقيق الأبعاد الثلاثة أعني الطول والعرض والعمق .

وفي (شرح الصحايف) [1] . قال أهل السنة : الجسم هو متحيز قابل للقسمة فعلى هذا يكون المركب من جوهرين فردين جسمًا عندهم . اهـ . ومعلوم أن كل مركب حادث والله يستحيل في حقه الحدوث . فليس بجسم سبحانه .

ص : (ولا عرض) . ش : أيضًا بالعين المهملة والراء محركة وهو ما لا قيام له بذاته . والمراد ليس هو تعالى عرضًا ولا صفة من صفاته تعالى أيضًا عرضًا ولا اسم من أسمائه ولا فعل من أفعاله ولا حكم من أحكامه لأن العرض لا يقوم بذاته بل يفتقر إلى محل وهو الجسم يقومه أي يجعله قائمًا فوجود العرض في نفسه هو وجوده في الجسم فلو كان الله تعالى عرضًا لاحتاج إلى محل يقومه . فكان ممكنًا لا واجبًا وهو محال . ولأن العرض يمتنع بقاؤه وإلا لكان البقاء معنى قائمًا به . فيلزم قيام المعنى بالمعنى وهو محال . لأن قيام العرض بالشيء معناه أن تحيزه تابع لتحيزه والعرض لا تحيز له بذاته حتى يتحيز غيره بتبعيته . وذلك محال على الله تعالى الذي يجب بقاؤه سبحانه .

ص : (ولا جوهر) . ش : وهو الجزء الذي لا يتجزأ عند أهل السنة والجماعة وعند الحكماء الجواهر إما جرماني مادي أو روحاني مجرد عن المادة . فالجرماني هو الجسم وأجزاؤه الهيولي والصورة . والروحاني العقول والنفوس المجردة . والله تعالى يستحيل عليه شيء من ذلك كله . أما عندنا فلأن الجوهر جزء من الجسم والله تعالى

---

(١) الصحائف في الكلام . أوله الحمد لله الذي استحق الوجود والوحدة ... إلخ وهو مقدمة وست صحائف وخاتمة . ومن شروحه : (المعارف في شرح الصحائف) أوله : الحمد لله الذي ليس لوجوده بداية ... إلخ السمرقندي شمس الدين محمد . وشرحه البهشتي أيضًا بشرحين [كشف الظنون (١٠٧٥/٢)] .

متعال أن يكون جزءًا وأما عندهم فلأن الجوهر من أقسام الممكن وهو الماهية الممكنة التي إذا وجدت كانت لا في موضوع . وليس الله تعالى بممكن . بل هو واجب وأيضًا لم يرد في الشرع إطلاق الجوهر على الله تعالى مع تبادر الفهم إلا إطلاقه عند النصارى بالمعنى الذي يجب تنزيه الله تعالى عنه .

ص : (ولا مصور) . ش : أي ذو صورة لأن ذلك من خواص الأجسام يحصل لها بواسطة الكميات والكيفيات وإحاطة الحدود والنهايات والصورة المنفية عنه تعالى سواء كانت في الظاهر أو في الذهن . وكان الشيخ (١) أبو إسحاق الإسفرائيني رحمه الله تعالى يقول : جميع ما قاله المتكلمون في التوحيد قد جمعه أهل الحق في كلمتين الأولى اعتقاد أن كل ما تصور في الأوهام فالله تعالى بخلافه . والثانية اعتقادان ذاته سبحانه ليست كالذوات ولا معطلة عن الصفات .

ص : (ولا منتاه) . ش : أي لا نهاية في زمان أو مكان . لأن ذلك من صفات المقادير والأعداد المستحيلة عليه تعالى . ص : (ولا متجزء) . ش : أي أجزاء يسمى باعتبار تأليفه منها متركبا وباعتبار انحلاله إليها متبعضا ومتجزيا لما في كل ذلك من الاحتياج المنافي للوجوب . ص : (ولا يطعم) . ش : أي يأكل من طعمه كسمعه طعمًا وطعامًا . ص : (ولا يشرب) . ش : لما في ذلك من الاستمداد بغيره وهو من مقتضيات الأجسام . قال تعالى : ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ﴾ (٢) . وقالوا

---

(١) إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران الأستاذ أحد أئمة الدين ، كلاما ، وأصولاً ، وفروعًا جمع أشتات العلوم ، واتفقت الأئمة على تبجيله وتعظيمه وجمعه شرائط الإمامة . قال الحاكم : انصرف من العراق بعد المقام بها ، وقد أقر له أهل العلم بالعراق وخراسان بالتقدم والفضل . وله التصانيف منها كتاب : الجامع في أصول الدين ، والرد على الملحدين ، ومسائل الدور و (تعليقه) في أصول الفقه ... وغير ذلك قال عبد الغافر : كان أبو إسحاق طراز ناحية المشرق فضلاً عن نيسابور ونواحيها ثم كان من المجتهدين في العبادة ، المبالغين في الورع ، انتخب عليه أبو عبد الله الحاكم عشرة أجزاء ، وذكره في تاريخه لجلالته . قال : وكان ثقة ثبتًا في الحديث .

انظر ترجمته :

- طبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي (٢٥٦/٤ ت ٣٥٧) .
- البداية والنهاية (٢٤/١٢) . - تبيين كذب المفترى (٢٤٣) .
- اللباب (٤٣/١) . - وفيات الأعيان (٨/١) .

(٢) سورة [الأنعام : ١٤] .

في قوله تعالى : (الله الصمـد) [١] إنه الذي لا يحتاج إلى الطعام والشراب . وقال البيضاوي : إنه السيد المصمود إليه في الحوائج من صمد إذا قصد وهو الموصوف به على الإطلاق . فإنه يستغنى عن غيره مطلقًا . وكل ما عداه محتاج إليه في جميع جهاته .

ص : (لم يلد) . ش : لأنه لم يجانس ولـم يفتقر إلى ما يعينـه أو يخلف عنه لامتناع الحاجة والفناء عليه . ولعل الاقتصار على لفظ الماضي لوروده . ردًا على من قال : الملائكة بنات الله أو المسيح ابن الله . أو ليطابق قوله ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ وذلك لأنه لم يفتقر إلى شيء ولا يسبقه عدم ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ . أي ولم يكن له أحد يكافيه أو يماثله من صاحبة وغيرها .

قال البيضاوي : وفي (حقائق) السلمى قال ابن عطاء ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [٢] . ظهر لك منه التوحيد ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ ظهر لك منه المعرفة . ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ ظهر له منه الإيمان ، ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ ظهر لك منه الإسلام . ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ ظهر لك منه اليقين . وقال بعضهم : الذي ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [٣] . الذي لا نظير له في ذات أو فعل .

وقال أبو بكر الرازي : سمعت أبا علي الروذبادي يقول : وجدنا الشرك على ثمانيـة أنـواع : عـلى التنقص والتقلب والكـثرة والعـدد والعلة والمعـلول والأشكـال والأضداد . فنفى عز وجل عن صفته وذاته نوع الكثرة والعدد بقوله : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [٤] . ونفى التنقص بقولـه : ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ ونفى العلة والمعلول بقولـه : ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ ونفى الأشكال والأضداد بقوله ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ .

وقال ابن عطـاء : ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ دليـل الفردانيـة ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ دليـل الربوبية . وقال جعفر : جلَّ ربنا أن تدركه الأوهام والعقول بل هو كما وصف نفسه والكيفية عن وصفه غير معقول فسبحانه أن تصل الفهوم والعقول إلى كيفيته ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ . والبقاء والأبدية والسرمدية والوحدانية والمشيئة والقدرة له تبارك وتعالى .

---

(١) سورة [الإخلاص : ٢] .
(٢) سورة [الإخلاص : ١] .
(٣) سورة [الإخلاص : ٣ ، ٤] .
(٤) سورة [الإخلاص : ١] .

قال الواسطي : نفى الحقائق والإحاطة ثم أكده بقوله ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [(١)] . فلا يشار إلى ما لا كفوا له بوجه كيف يطلق اللسان بما لا كقوله ولا مثل إلا إثبات دون المباينة وكيفية الصفات .

ص : **(ولا يتمكن)** . ش : سبحانه وتعالى أي لا يحل ولا يسكن . ص : **(بمكان)** . ش : أي في مكان وهو ما استقر عليه الجسم والحيز هو ملأه الجسم . فالمكان والحيز أمران نسبيان من لواحق الأجسام وتوابعها حتى لو فرض أن الأجسام لم تخلق لم يخلق المكان ولا الحيز فالمكان تستقر عليه الأجسام . لا فيه فإذا كانت فيه فتلك الأحياز والله تعالى يستحيل عليه أن يكون في مكان . أي مكان كان في السماء أو الأرض . لأن المكان لا يفتقر إليه إلا جسم . والله تعالى لو افتقر إلى مكان لكان جسمًا ويستحيل عليه تعالى أن يكون جسمًا . فالاستواء في قوله تعالى : ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [(٢)] . ليس معناه أن استواء الله تعالى كاستواء الأجسام لأنه تعالى ليس بجسم كما تقدم بل استواء يليق به تعالى وبكمال تنزيهه عن مشابهة كل شيء قال النسفي في (بحر الكلام) : لأن الله تعالى كان قبل أن يخلق العرش فلا يجوز أن يقال بأنه انتقل إلى العرش لأن الانتقال من صفات المخلوقين وأمارات المحدثين والله تعالى منزه عن ذلك. ولأن من قال بالاستقرار على العرش فلا يخلو إما أن يقول إنه مثل العرش أو العرش مثله . أو العرش أكبر منه أو هو أكبر من العرش . وأي كان فقائله كافر لأنه جعل الله تعالى محدودًا .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه سُئل أين كان ربنا قبل أن يخلق العرش ؟ فقال : أين السائل عن المكان وكان الله تعالى ولا مكان ولا زمان . وهو الآن كما كان . وقالت الجهمية : إن الله تعالى في كل مكان . وفي **(شرح العمدة)** . وقول المعتزلة وجمهور النجادية أنه تعالى في كل مكان بالعلم والقدرة والتدبير دون الذات باطل لأن من يعلم مكانًا لا يقال إنه في ذلك المكان بالعلم .

ص : **(ولا يجري)** . ش : أي يمر . ص : **(عليه)** . ش : سبحانه وتعالى . ص : **(زمان)** . ش : ومعنى الزمان عندنا اقتران متجدد بمتجدد آخر فالزمان نسبة

(١) سورة [الإخلاص : ١] .
(٢) سورة [طه : ٥] .

بين الشيئين المتجددين متأخرة عنهما والله تعالى ليس بمتجدد بل هو قديم أزلي . فليس الموجود الأول المتجدد الحادث اقتران به . فلا زمان بينه وبينه . وكذلك الموجود الثاني وما بعده إلى ما لا نهاية له من الحوادث المتجددة . بل هو تعالى سابق على كل شيء من الأشياء الماضية والحالية والمستقبلية سبقًا واحدًا لا تفاوت فيه . ص

(وليس له) . ش : تعالى . ص : (جهة من الجهات الست) . ش : التي هي فوق وتحت ويمين ويسار وقدام وخلف لأنه تعالى ليس بجسم حتى تكون له جهة كما للأجسام والجهة عند المتكلمين هي نفس المكان باعتبار إضافة جسم آخر إليه ومعنى كون الجسم في جهة كونه مضافًا إلى جسم آخر حتى لو انعدمت الأجسام كلها . لزم من ذلك انعدام الجهات كلها لأن الجهات من توابع الأجسام وإضافاتها . وحيث انتفى عن الله تعالى المكان والزمان انتفت الجهات كلها عنه تعالى أيضًا ؛ لأن جميع ذلك من لوازم الجسمية وهي مستحيلة في حقه تعالى وإلا كان تعالى مشابهًا للحوادث .

ص : (ولا هو) . ش : أي الله تعالى . ص : (في جهة منها) . ش : أي من تلك الجهات الست لأنه تعالى ليس بجسم ولا يحتاج للجهات إلا الجسم . وذكر بعضهم أن جملة العالم ليس في مكان ولا جهة ولا تسلسل . وإذا كان هذا في جملة العالم الذي هو حادث مخلوق . فكيف في الرب الخالق سبحانه وتعالى ؟! يكون له مكان أو جهة تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا . وفي (شرح العقائد للسعد) : واعلم أن ما ذكره في التنزيهات بعضها يغني عن بعض إلا أنه حاول التفصيل والتوضيح في ذلك ، قضاء لحق الواجب في باب التنزيه وردًا على المشبهة والمجسمة وسائر فرق الضلال والطغيان بأبلغ وجه وأوكده فلم يبال بتكرير الألفاظ المترادفة والتصريح بما علم بطريق الالتزام . ص : (ولا يجب) . ش : أي لا يلزم . ص : (عليه) . ش : تعالى .

ص : (شيء) . ش : لغيره سبحانه من ثواب أو عقاب أو فعل صلاح أو أصلح أو فساد أو أفسد بل هو الفاعل العدل المختار ويخلق الله ما يشاء ويختار .

وفي (شرح الطوالع) للأصفهاني : وأما أصحابنا فقالوا الثواب على الطاعة فضل من الله تعالى والعقاب على المعصية عدل منه تعالى وعمل الطاعة دليل على حصول الثواب وفعل المعصية علامة العقاب ولا يكون الثواب على الطاعة واجبًا على الله

تعالى . ولا العقاب على المعصية لأنه لا يجب على الله شيء . (وكل ميسر لما خلق له) [١] فالمطيع موفق ميسر لما خلق له وهو الطاعة والعاصي ميسر لما خلق له وهو المعصية . وليس العبد في ذلك تأثير .

وقال السعد في (شرح المقاصد) : طاعة للعبد وإن كثرت لا تفي بشكر بعض ما أنعم الله تعالى به عليه . فكيف يتصور استحقاق عوض عليها ؟ ولو استحق العبد بشكره الواجب عوضًا لاستحق الرب على ما يوليه من الثواب عوضًا . وكذا العبد على خدمته لسيده الذي يقوم بمؤنته وإزاحة علله . والولد على خدمته لأبيه الذي يربيه وعلى مراعاته وتوخي مرضاته . وأيضًا لو وجب الثواب والعقاب بطريق الاستحقاق لزم أن يثاب من واظب طول عمره على الطاعات وارتد والعياذ بالله في آخر الحياة وأن يعاقب من أصر دهرًا على كفره وأخلص الإيمان في آخر عمره ضرورة تحقق الوجوب ، والاستحقاق . واللازم باطل بالاتفاق .

وقال الأصفهاني : ولا يجب عليه تعالى شيء لأن الوجوب حكم والحكم لا يثبت إلا

---

(١) أخرجه البخاري ٢٣- كتاب : الجنائز ٨٢- باب : موعظة المحدث عند القبر وقعود أصحابه حوله (١٣٦٢) عن علي بن أبي طالب ، البخاري ٨٢- كتاب : القدر ٤- باب : وكان أمر الله قدرًا مقدورا رقم (٦٦٠٥) عن علي بن أبي طالب ، وأخرجه مسلم ٤٦- كتاب : القدر باب : كيفية خلق الآدمي في بطن أمه ، وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته رقم ٧- (٢٦٤٧) عن علي بن أبي طالب .

- وأبو داود ٣٥- كتاب : السنة ٩- باب : في القدر رقم (٤٦٩٤) عن علي بن أبي طالب .

- والترمذي ٣٣- كتاب : القدر ٣- باب : ما جاء في الشقاء والسعادة رقم (٢١٣٦) عن علي بن أبي طالب .

- والترمذي أيضًا ٤٨- كتاب : تفسير القرآن ٨٠- باب ومن سورة : ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ الحديث رقم (٣٣٤٤) عن علي .

- وابن ماجه المقدمة ١٠- باب : في القدر رقم (٧٨) مطولاً ، والإمام أحمد في مسنده حديث رقم (١١١٠) ج١ ط دار الفكر من مسند علي بن أبي طالب .

والآجرى في الشريعة رقم (١٧١) ، الدولابي في الكنى والأسماء (١٠٢/٢) ، الطبراني (١٢٩/١٨ ، ١٣٠ ، ١٣١) ، ابن أبي عاصم في السنة (٧٢/١ ، ٧٤) ، الطبري في تفسيره (٧٠/١٢ ، ٣٦ ، ١٤٤) ، البخاري في التاريخ الكبير (٢٦٦/٣) ، ابن عبد البر في التمهيد (٩/٦ ، ١٠) ، أبو نعيم في الحلية (٢٩٤/٦) .

بالشرع . ولا حاكم على الشارع . فلا يجب عليه شيء . ولأنه لو وجب عليه شيء فإن لم يستوجب الذم بتركه لم يتحقق الوجوب . لأن الوجوب هو كون الفعل بحيث يستحق تاركه للذم . وإن استوعب بتركه الذم كان الباري تعالى ناقصًا لذاته مستكملاً بفعله . فإنه حينئذ يخلص بفعله من المذمة . وهو محال والمعتزلة أوجبوا على الله تعالى أمورًا منها اللطف ومنها الثواب على الطاعات ومنها العقاب على الكبائر قبل التوبة ومنها أن يفعل الأصلح لعباده في الدنيا . ومنها أن لا يفعل القبيح عقلاً وقد عرفت فساد ذلك فإنه قبيح بالنسبة إلى الله تعالى .

وفي (شرح العقائد) للسعد : ثم ليت شعري ! ما معنى وجوب الشيء على الله تعالى ؟ إذ ليس معناه استحقاق تاركه الذم والعقاب وهو ظاهر ولا لزوم صدوره عنه بحيث لا يتمكن من الترك بناء على استلزامه محالاً من سفه أو جهل أو عبث أو بخل أو نحو ذلك لأنه رفض لقاعدة الاختيار وميل إلى الفلسفة الظاهرة العوار .

وقال السنوسي رحمه الله تعالى في (شرح الجزايرية) : إن الذي أوقع المعتزلة في الضلالات كإيجاب الثواب وفعل الصلاح والأصلح على الله تعالى اعتمادهم في عقائدهم على التحسين والتقبيح العقليين وقياسهم أفعال الله تعالى وأحكامه على أفعال المخلوقين وأحكامهم من غير أن يكون في ذلك جامع يقتضي التسوية في الأحكام والذي أجمع عليه أهل الحق أن الأفعال كلها مستوية بالنسبة إلى تعلق قدرة الله تعالى وإرادته بها وكذا هي أيضًا مستوية بالنسبة إلى تعلق أحكامه تعالى الشرعية بها فلا يتصف شيء منها بالحسن لذاته أو صفته كما لا يتصف شيء منها بالقبح لذاته أو صفته فلا يجب إذن شيء منها عقلاً على الله تعالى ، ولا يستحيل . وكذا لا مجال للعقول في إدراك حكم شرعي لها . فليس الحسن شرعًا عند أهل الحق إلا ما قيل فيه من جهة مولانا عز وجل : افعلوه ولا القبح شرعًا إلا المقول فيه من جهته : لا تفعلوه وتخصيص كل واحد من الأفعال بما اختص به من الأحكام ، لا علة له ولا غرض يبعث عليه . وللشرع حكم أن يقله نتبعه في ذلك . وإن سكت فلا مجال لعقولنا في ذلك أصلاً .

ص : (ولا يحل) . ش : أي يسكن . ص : (فيه) . ش : سبحانه وتعالى أي في حضرة ذاته العلية أو في صفة من صفاته أو في اسم من أسمائه أو في فعل من

أفعاله ، أو في حكم من أحكامه . ص : (حادث) . ش : من الحوادث أصلاً لأن جميع الحوادث كائنة به تعالى لا بنفسها ولا بغيره سبحانه . إذا كانت به كان هو فاعلاً لها فلا يتصور أن يكون الفاعل محلا للمفعول وإلا لما كان فاعلاً وهو محال . والحاصل أنه يستحيل أن يكون الله تعالى محلاً للحوادث أو الحوادث محلاً له أو متحدة معه أو متحدًا معها . وإذا بطل الحلول فالاتحاد يبطل بالطريق الأولى لأنه إذا استحال قيامه تعالى شيء وحلوله فيه استحال اتحاده بذلك الشيء بحيث يصيران شيئًا واحدًا .

والاتحاد محال مطلقًا في القديم والحادث كما ذكره المقري رحمه الله تعالى في **(حاشيته على شرح السنوسية) والحلول على ثلاثة أنواع : حلول النصارى** ، وحلول اليهود ، وحلول الباطنية . ومن الباطنية الدروز والتيامنة والنصيرية وأمثالهم خذلهم الله تعالى . فحلول النصارى اعتقادهم بأن الإله سبحانه حلّ في عيسى عليه السلام حلول الصفة في الموصوف على تفصيل [1] ذكرناه مع رده في كتابنا (المطالب الوفية) . وحلول اليهود اعتقادهم أن الإله تعالى مستقر على العرش . وقد تعب وأعيا من خلق السموات والأرض وقريب منه اعتقاد المجسمة والمشبهة الذين يعتقدون أن الله تعالى جسم . ويقولون : إنه في السماء . وأما حلول الباطنية فهو كما قال المقري رحمه الله تعالى بأن الباطنية هم القائلون بأن الحق سبحانه يحل في الإنسان فتنكشف له الحقائق ولا يحل في الذات إلا المعاني وهم كفار انتسبوا لأهل التصوف وأخذوا ذلك من شطحات لهم . ص : (حكيم) . ش : هو الذي يعلم المناسبة بين الأشياء فيضع كل شيء في موضعه . ذكره النجم الغزى في **(حسن التنبه في التشبه)** .

وفي **(شرح الأسماء)** [2] لليافعي رحمه الله تعالى : الحكيم وصف مبالغة من

---

(١) وارجع إلى كتاب شيخ الإسلام ابن تيمية (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) .

(٢) عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي ، عفيف الدين ، مؤرخ باحث ، متصوف ، من فقهاء الشافعية ، من أهل عدن ، ونسبته إلى يافع من حمير حج سنة ٧١٢ هـ ، وعاد إلى اليمن ثم رجع إلى مكة سنة ٧١٨ هـ وجاور إلى أن توفى . وقال صاحب العقد الثمين الفاسي (١١٠/٥) طبع مؤسسة الرسالة : ذكر أنه توفى ليلة الأحد المسفر صباحها عن العشرين من جمادى الآخرة سنة ثمان وستين وسبعمائة بمكة ودفن بالمعلاة جوار الفضيل بن عياض ، وبيعت حوائجه الحقيرة - أستغفر الله - بأغلى الأثمان ، بيع له مئزر عتيق بثلاثمائة درهم وطاقية بمائة وقس على ذلك . انتهى .

انظر ترجمته : البدر الطالع (٣٧٨/١) ، طبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي (١٠٣/٦) =

الحكمة التي هي العلم . فمعناه العليم أو بمعنى المحكم فهو مشتق من الإحكام وهو الإتقان أو بمعنى الحاكم فهو مشتق من الحكم الذي هو المنع . ص : **(لا يفعل شيئًا)** . ش : في الحس أو في العقل في الدنيا أو في الآخرة . ص : **(إلا بحكمة)** . ش : وهي كما قال اليافعي : ترجع إلى العلم بالأسرار والأحكام وإلى الإتقان للصنع والإحكام إلى الحكم الحق النافذ على الأنام . وفي (القاموس) [1] الحكمة بالكسر العدل والعلم والحلم والقرآن وأحكمه أتقنه ومنعه عن الفساد . ص : **(وفائدة)** . ش : أي عاقبة حميدة ترجع إلى عباده لأنه الغني عن العالمين . ص : **(فعال)** . ش : صيغة مبالغة أي كثير الفعل . ص : **(لما يشاء)** . ش : سبحانه بعباده من خيرٍ أو شر أو نفع أو ضر .

وقال البيضاوي في قوله تعالى : ﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ [2] . ما يمتنع عليه مراد من أفعاله وأفعال غيره . ص : **(بلا إيجاب)** . ش : لشيء من الأفعال عليه تعالى بل كل ذلك جائز في حقه إذ لا معنى للإيجاب كما قدمناه . ص : **(منزه)** . ش : سبحانه وتعالى أزلا وأبدًا من التنزه وهو التباعد والاسم النزهة بالضم ونزه الرجل ككرم وضرب تباعد عن كل مكروه فهو نزيه واستعمال التنزه في الخروج إلى البساتين والخضر والرياض غلط قبيح . كذا في (القاموس) ويمكن أن يكون له وجه بأنهم كنوا به عن ذلك . ومرادهم التباعد عن الهموم والأحزان بسبب رؤية ذلك وتفريج الضيق عنهم أو باعتبار قصدهم المكان البعيد ، فإنه أنزه عند النفوس من القريب فسمى تنزهًا لأنه يبعد عن الوطن .

ص : **(عن صفات النقصان)** . ش : التي توجب انحطاطًا في مراتب الألوهية كالجهل والعجز والصمم والعمى ونحو ذلك . ص : **(كلما)** . ش : ما علم منها وما لم يعلم . ص : **(متصف)** . ش : جل وعلا أزلا وأبدًا . ص : **(بصفات الكمال)** .

= مفتاح السعادة (٢١٧/١) ، الفوائد البهية (٣٣) ، والنجوم الزاهرة (٩٣/١١) هدية العارفين (٤٦٥/١) ، معجم المطبوعات (١٩٥٢) روضات الجنات (٤٥٧) ، الدرر الكامنة (٤٥٢/٢) ، شذرات الذهب (٢١٠/٦) ، الأعلام (١٩٨/٤) .

(١) القاموس المحيط (١٠٠/٤) باب : الميم فصل الحاء .

(٢) سورة [هود ١٠٧ ، البروج : ١٦] .

ش : الواجبة له تعالى كالعلم والقدرة والسمع والبصر ونحوها . ص : (كلها) . ش : على حسب ما ورد في الكتاب والسنة . ص : (وليس له) . ش : سبحانه وتعالى . ص : (كمال متوقع) . ش : بصيغة اسم المفعول أي منتظر وقوعه وحصوله يعني كمالاً حادثًا لأنه تعالى قديم ولا يوصف القديم بحادث وإلا كان تعالى حادثًا لماثل ما اتصف به وهو محال : ص : (قديم) . ش : واختلفوا في معنى القدم . فقيل : هو صفة سلبية معناه سلب العدم السابق على الوجود . يعني لم يسبق وجوده تعالى عدم أصلاً . وهذا هو القدم المخصوص بالألوهية .

وأما القدم الزماني فهو مرور الأزمنة على الشيء مع بقائه فيها كالعرجون القديم . وقيل : هو من الصفات النفسية . ورد بأنه لو كان كذلك لما عرى عنه موجود إذ الصفة النفسية ما لا تعقل الذات بدونها فيلزم أن لا تعقل ذات شيء أصلاً بدونها . واللازم باطل فكذا الملزوم لأن ذوات الحوادث معقولة وليست بقديمة . وقيل : هو صفة معنى ثبوتي موجود زائد على الذات كالقدرة ، والإرادة . ورد بأنه يلزم عليه التسلسل باتصاف القدم بقدم . وهلم جرا . وقيام المعنى بالمعنى . والراجح الأول .

ص : (أزلي) . ش : منسوب إلى الأزل وهو بالتحريك القدم وهو أزلي أو أصله يزلي منسوب إلى لم يزل ثم أبدلت الياء ألفا للخفة كما قالوا في الرمح المنسوب إلى ذي يزن : أزنى كذا في (القاموس) [١] . ومعنى الأزل عند المحققين حضرة الله تعالى التي هو موجود فيها حيث لا ماضي ولا مستقبل ولا حال بالنسبة إليها ولا مكان ولا جهة . فكما أن شيئًا من الحوادث لا يمكن أن يوجد فيها . لا يمكن أن يوجد هو سبحانه وتعالى في الزمان أو المكان أو الجهة . فالزمان والمكان والجهة حضرة المخلوق وحده . والأزل حضرة الله تعالى وحده . فليس الله تعالى موجودًا في حضرتنا بل في حضرته الخاصة به وهي الأزل . وليس شيء منا موجودًا في حضرته تعالى التي هي الأزل . بل جميع الحوادث موجودة في حضرتها الخاصة بها التي هي الزمان والمكان والجهة . وفي (زبدة الحقائق) لعين القضاة الهمداني قدس الله سره : من ظن أن الأزلية شيء ماض فقد أخطأ خطأ فاحشًا . فحيث الأزلية فلا ماضي ولا مستقبل وهي

---

(١) في القاموس المحيط (٢٨٠/٤ يزن) باب : النون فصل الياء . وذو يزن ملك لحمير لأنه حمى ذلك الوادي ، (٣٣٨/٣ أزل) باب : اللام فصل الهمزة .

محيطة بالزمن المستقبل كإحاطتها بالزمن الماضي من غير فرق . فليس زمن آدم عليه السلام أقرب بالأزلية من زماننا هذا . بل نسبة الأزمنة كلها إلى الأزلية واحدة ولعل نسبة الأزلية إلى الأزمنة كنسبة العلوم مثلاً إلى الأمكنة إذ لا توصف العلوم بكونها قريبة من مكان أو بعيدة من مكان . بل نسبتها واحدة إلى كل مكان فهي مع كل مكان . ومع ذلك فقد خلا عنها كل مكان . وكذلك ينبغي أن يعتقد نسبة الأزلية إلى كل زمان فإنها مع كل زمان . وفي كل زمن ومع ذلك فإنها محيطة بكل زمن وسابقة الوجود على كل زمان ولا يسعها زمن كما لا يسع العلم مكان . فإذا فهمت هذه المعاني فاعلم أنه لا مغايرة بين الأزلية والأبدية في المعنى أصلاً بل إذا اعتبر وجود ذلك المعنى مع نسبته إلى الماضي من الأزمنة استعير له لفظة الأزلية وإن اعتبر وجوده مع نسبته إلى المستقبل من الأزمنة استعير له لفظة الأبدية ا هـ . وهذا الكلام في أعلى طبقات التحقيق ولا يشعر به إلا أهل العناية والتوفيق .

ص : (أبدي) . ش : أي منسوب إلى الأبد محركة وهو الدهر وجمعه آبادٌ وأبود والدائم والقديم الأزلي كذا في (القاموس) [1] . ويرادف ذلك الباقي من البقاء واختلف فيه كالقدم أيضًا . فقيل : صفة سلبية ومعناه امتناع لحوق العدم لوجوده تعالى . وقيل : صفة نفسية . وقيل : صفة معنى ثبوتية وهما مردودان بما مر في القدم . ص : (له) . ش : سبحانه وتعالى . ص : (صفات) . ش : جمع صفة أصلها وصف فحذفت الواو وعوض عنها التاء . ثم جمعت هذا الجمع والوصف يجمع على أوصاف وصفاته تعالى على أقسام صفات ذات وصفات أفعال وصفات نفسية وصفات سلبية وصفات معاني وصفات معنوية وكلها . ص : (قديمة) . ش : أزلية يستحيل حدوث شيء منها مع قيامه بذات الله تعالى ولا انفكاك لها عن ذاته تعالى أصلاً فيستحيل حدوثها . وزعمت الكرامية أنه له تعالى صفات حادثة وهو محال . ص : (قائمة) . ش : أي موجودة ثابتة . ص : (بذاته) . ش : سبحانه ضرورة أنه لا معنى لصفة الشيء إلا ما يقوم به لا كما زعمت المعتزلة [2] أنه تعالى متكلم بكلام

---

(١) القاموس المحيط (٢٨٢/١ ، ٢٨٣ أبد) باب : الدال فصل الهمزة .

(٢) انظر مقالات المعتزلة ولا سيما في أن الله متكلم . كتاب : مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين (٢٥٨/١ ، ٢٦٢) . لأبي الحسن الأشعري .

قائم بغيره تعالى وله إرادات حادثة لا في محل . ص : (لا) . ش : تلك الصفات . ص : (هو) . ش : سبحانه وتعالى يعني عين ذاته . ص : (ولا غيره) . ش : أي غير ذاته تعالى فلا يلزم قدم الغير ولا تكثر القدماء ورفع النقيضين في الحقيقة جمع بينهما فهي عين الذات وغير الذات ومعناه كما قال عين القضاة الهمداني في (زبد الحقائق) [١] : الصفات عين الذات . إذا نظر إليها من الوجه الذي يلي الذات وعلى هذا لا يكون فيها تغاير ألبتة وأصلاً وهي غير الذات إذا نظر إليها من الوجه الذي يلي انقسام الوجود إلى الأقسام المتعددة وعلى هذا الوجه تكون الصفات متغايرة ومتعددة . ولهذا مثال واضح فإن العشرة لها في ذاتها معنى مفهوم . وذلك المعنى واحد لا ينقسم . ويدل عليه لفظ العشرة . فأما إذا اعتبر منها نسبة إلى الخمسة دل عليها بلفظ الضعف وإذا اعتبر نسبتها إلى العشرين . دل عليها بلفظ النصف . وإذا اعتبر نسبتها إلى الثلاثين دل عليها بلفظ الثلث . وهكذا يمكن أن يدل عليها بألفاظ أخرى عند اختلاف نسبتها إلى أعداد أخرى .

وهذه الصفات التي وصفت بها العشرة عند اختلاف تلك النسبة واحدة من وجه وكثيرة من وجه . فإذا اعتبر الوجه الذي يلي ذات العشرة لم يوجد فيها تعدد . وإذا اعتبر منها الوجه الذي يلي أقسام الأعداد التي نسبت العشرة إليها تعددت باعتبار تلك النسب لتعدد أعداد نسبت إليها . فكذلك ذات واجب الوجود الحق يلزمها الوحدة ، وكيف لا يلزمها الوحدة والأحدية !؟ التي هي أخص من الوحدة لازمة لها إذ لا يمكن أن يوجد لغيرها من الذوات خاصيتها الموجودة لها . فإذا نظرت عين الذات الواجبة إلى نفسها صادفتها متحدة غير متكثرة بوجه من الوجوه . ولكن لكثرة نسب تلك الذات إلى الموجودات الأخرى التي استحقت الوجود . من تلك الذات احتيج إلى تغيير العبارات عنها حتى تتأدى حقائق تلك النسب بواسطتها إلى الأفهام . واعلم بأن الصفات التي هي لا عين الذات ولا غيرها إنما هي الصفات الذاتية الثبوتية والصفات

---

(١) (زبدة الحقائق) فارسي وعربي لعين القضاة ... الهمداني المتوفى سنة ٥٢٥ . أوله : أحمد الله سبحانه وتعالى على نعم متواصلة ... إلخ وهو مختصر في مائة فصل مشتمل على تحقيقات شريفة ومباحث لطيفة دقيقة ، كشف فيها الغطاء عن الأصول الثلاثة التي تعبد الله تعالى باعتقادها كافة الخلائق . ولعزيز بن محمد النسفي لخصه من رسالته المبدأ والمعاد [كشف الظنون (٩٥١/٢ ، ٩٥٢)] .

المعنوية وصفات الأفعال عندنا . وأما الصفات السلبية كليس بمركب فإنها غير الذات قطعًا . وأما الصفات النفسية كالوجود فهي عين الذات قطعًا . كما أوضحنا في (المطالب الوفية) .

ص : (هي) . ش : أي الصفات يعني صفات المعاني المذكورة أنها لا هو ولا غيره ثمانية الأولى .

الصفة الأولى

ص : (الحياة) (١) . ش : وهي صفة لله تعالى أزلية توجب صحة العلم . قاله السعد . وهو معنى قول السنوسي : الحياة ، صفة تصحح لمن قامت به أن يتصف بالإدراك والحياة . لا تعلق بشيء أي لا تقتضي أمرًا زائدًا على قيامها بذات الحق تعالى . ص : (و) .

الثانية العلم (٢)

ش : الثانية . ص : (العلم) . ش : وهي صفة تنكشف بها المعلومات عند تعلقها بها سواء كانت المعلومات موجودة أو معدومة محالة كانت أو ممكنة قديمة كانت أو حادثة متناهية كانت أو غير متناهية جزئية كانت أو كلية . وبالجملة جميع ما يمكن أن يتعلق به العلم فهو معلوم لله تعالى . لا يقال : يلزم على هذا التعريف الدور لأن المعلومات مشتقة من العلم وقد أخذت في تعريفه فيتوقف كل منهما على الآخر . لأنا نقول : يمكن دفعه بأن المراد بالمعلوم ما يمكن أن يتعلق به العلم الأزلي القديم أو بأن المراد بالمعلومات المدركات وهي إنما تتوقف على العلم بمعنى الإدراك لا بمعنى الأزلية القائمة بالذات العلية كما هنا أو هو تعريف لفظي . فإن قلت : ذكر الانكشاف مشعر بسبب الخفاء . وهو محال عليه تعالى ، قلت : غايته أنه تسامح مع ظهور المراد فهو كناية عن إحاطة الذات القائمة بها تلك الصفة بسائر المدركات . كما تسامح في توقيت التعلق بقوله عند إلى آخره ذكره اللقاني في (شرح جوهرته) . وليس علم الله تعالى مستفادًا بالاكتساب ولا بالضرورة . قال المقري في (حاشيته على شرح السنوسية) : ويمتنع كون علم الله تعالى بالاعتقاد أو النظر أو كونه كسبيا أو ضروريًا أو بديهيًا أو

---

(١) انظر مقالات الإسلاميين واختلاف المُصلين (٢٥٦/١) .

(٢) المرجع السابق (٢٦١/١) .

يقينيًا لأن اليقيني كما قال البيضاوي : افتقار العلم لما ينفي عنه الشبهة نظرًا أو استدلالاً ولذا لا يوصف به العلم القديم اهـ .

وكذلك يمتنع في علمه تعالى أن يكون تصورًا أو تصديقًا لأنه قديم والتصور والتصديق عرضان حادثان ينقسم إليهما علمنا الحادث فيستحيل أن ينقسم أيضًا إليهما أو إلى أحدهما علمه القديم وهو يتعلق بجميع الموجودات والمعدومات الواجبة والممكنة والمستحيلة . ومع ذلك لا تعدد فيه ولا تكثر . وتمام هذا مبسوط في كتابنا (المطالب الوفية) . ص : (و) .

الثالثة : القدرة

ش : الثالثة . ص : **(القدرة)** . ش : وهي صفة تؤثر في المقدورات عند تعلقها بها يعني أن الذات الأزلية القائمة بها صفة القدرة القديمة تؤثر في الممكنات إيجادًا وإعدامًا على وفق ما تعلقت به إرادتها . واعلم أن تعلق الإرادة على وفق تعلق العلم وتعلق القدرة على وفق تعلق الإرادة . ذكره اللقاني ونقل المقري عن القرافي في (شرح الأربعين) . أن معنى إيجاد القدرة . أنها بمنزلة القلم للكاتب والموجد في الحقيقة هو الذات . وهذا على سبيل التمثيل والتقريب ولله المثل الأعلى . ا هـ .

والقدرة [1] إنما تتعلق بالممكن الذي يقبل الوجود والعدم قبولاً على السواء بحيث لا يلزم من وجوده نقصان صانعه ولا كماله . ولا يلزم من عدمه أيضًا نقصان صانعه ولا كماله . وهذا معنى الممكن ويسمى الجائز ولا تتعلق القدرة بالواجب . وهو ما يلزم من وجوده كمال الحق تعالى ولا بالمستحيل . وهو ما يلزم من وجوده نقصان الحق سبحانه . وفصلنا هذا البحث . وغالب مباحث هذا الفصل في (المطالب الوفية) . ص : (و) .

الرابعة : السمع

ش : الرابعة . ص : **(وهو صفة أزلية قائمة بذاته تعالى تتعلق بالمسموعات أو بالموجودات فتدرك إدراكًا تامًا على سبيل التخيل والتوهم ولا على طريق تأثر**

---

(١) انظر : مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين (٣٠٢/١) لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري المتوفى سنة ٣٣٠ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (ط ثانية) طبعة مكتبة النهضة المصرية .

حاسة ووصول هواء ذكره اللقاني) . ص : (و) .

الخامسة : البصر (١)

ش : الخامس . ص : (البصر) . ش : وعرفه اللقاني أيضًا بأنه صفة أزلية تتعلق بالمبصرات أو بالموجودات فتدرك إدراكًا تامًا لا على سبيل التخيل والتوهم ولا على طريق تأثير حاسة . ووصول شعاع وقال السنوسي في (شرح الجزايرية) : والجمهور من أهل الحق يقولون بأن السمع والبصر صفتان زائدتان على العلم مباينتان له بالحقيقة . وإن كان متشاركين في أنهما صفتان كاشفتان يتعلقان بالشيء على ما هو به . وهذا أحد قولي الشيخ أبي الحسن الأشعري . والقول الثاني على ما نقله عنه ابن التلمساني في (شرح المعالم) (٢) أنهما من جنس العلم إلا أنهما لا يتعلقان إلا بالموجود . والعلم يتعلق بالموجود والمعدوم والمطلق والمقيد .

وقال اللقاني : ليس سمعه تعالى خاصًا بالأصوات ، بل يعم سائر الموجودات ذوات كانت أو صفات فيسمع ذاته العلية وجميع صفاته الأزلية كما يسمع ذواتنا وما قام بنا من صفاتنا كعلومنا وألواننا . وهكذا بصره سبحانه لا يختص بالألوان ولا بالأشكال والأكوان فحكمه حكم السمع سواء بسواء . فتعلقهما واحد . ا هـ . يعني متعلقهما الموجودات فقط سواء كانت قديمة أو حادثة ولا يتعلقان بالمعدومات وكل موجود من الممكنات مقدر بزمان يوجد فيه سواء كان الزمان ماضيًا أو مستقبلاً أو

---

(١) انظر : مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين (٢/٢٨٧) لأبي الحسن الأشعري .

(٢) (المعالم في أصول الفقه) للإمام فخر الدين الرازي . شرحه :

١- أبو الحسين على بن الحسين الأرموي المتوفى سنة (٧٥٧) .

٢- اختصره نجم الدين اللبودي المذكور في الإشارات المعالمين في الأصلين . كذا في (عيون الأنباء) .

أول : لعله يريد المعالمين المذكورين . والله أعلم .

٣- وشرحه شريف الدين إبراهيم بن إسحاق المناوي المتوفى سنة (٧٥٧) .

٤- وشرف الدين أبو محمد عبد الله بن محمد بن علي الفهري المعروف بابن التلمساني المتوفى سنة (٦٤٤) .

٥- وشرح المعالم لنجم الدين مجلدًا أوله :

الحمد لله الذي خلق النفس فسواها ... إلخ شرح فيه أصول الدين بالمتن والشرح ولم يكتب المتن تمامًا ، وكان توفى سنة ٦٦٣ هـ .

[كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (٢/١٧٢٦ ، ١٧٢٧)]

حالاً ذلك الممكن موجود في زمانه ووجوده فيه بالنسبة إلى الله تعالى المنزه عن التقيد بالزمان . وإن كان ذلك الممكن معدومًا بالنظر إلينا . إما لمضيه أو لاستقباله بسبب تقيدنا نحن بالزمان الذي وجدنا فيه . فيكون المراد بتعلق السمع والبصر بجميع الموجودات . تعلقهما بالموجودات التي هي موجودات بالنظر إلى صاحب السمع والبصر لا بالموجودات بالنظر إلينا ولا يشترط في سمعه وبصره سبحانه أن تكون الأشياء موجودة بالنظر إلينا . وأما المعدومات التي ما أرادها الله تعالى ولا تعلقت القدرة بإيجادها في أزمنتها المقدرة لها ولا كشف عنها العلم موجودة في تلك الأزمنة فلا يتعلق بها السمع والبصر . وكذلك المستحيلات بخلاف العلم فإنه يتعلق بالموجود والمعدوم وقد حققنا هذا المبحث في (**المطالب الوفية**) بما يفي بالأمنية .

السادسة : الإرادة

ص : (و) . ش : السادسة . ص : (**الإرادة**) . ش : وهي صفة قديمة تقتضي تخصيص المكونات بوجه دون وجه في وقت دون وقت . وقال السنوسي : هي صفة تؤثر في اختصاص أحد طرفي الممكن من وجود وعدم ، وطول وقصر ونحوهما بالوقوع بدلاً عن مقابلة . فصار تأثير القدرة فرع تأثير الإرادة إذ لا يوجد مولانا عز وجل من الممكنات أو يعدم بقدرته إلا ما أراد تعالى وجوده أو عدمه وتأثير الإرادة عند أهل الحق على وفق العلم . فكل ما علم تعالى أنه يكون من الممكنات . أو لا يكون فذلك مراده عز وجل . ا هـ .

والإرادة تتعلق بما تتعلق به القدرة من الممكنات فقط دون الواجبات والمستحيلات كما مر .

السابعة : التكوين

ص : (و) . ش : السابعة . ص : (**التكوين**) . ش : وهو المعنى الذي يعبر عنه بالفعل والخلق والتخليق والإيجاد والإحداث والاختراع ونحو ذلك . ويفسر بإخراج المعدوم من العدم إلى الوجود . قاله السعد في (**شرح العقائد**) . وفي (**شرحه للمقاصد**) أسند القول بالتكوين إلى الشيخ أبي منصور الماتريدي وأتباعه وهم ينسبونه إلى قدمائهم الذين كانوا قبل الشيخ أبي الحسن الأشعري ، حتى قالوا : إن قول أبي

حنيفة والطحاوي [١] له الربوبية ولا مربوب والخالقية ولا مخلوق إشارة إلى هذا ثم أطبقوا على إثبات أزلية التكوين ومغايرته للقدرة . وكونه غير المكون وأن أزليته لا تستلزم أزلية الكونات . ا هـ . وقد حققناه في (المطالب الوفية) .

الثامنة : الكلام

ص : (و) . ش : الثامنة . ص : (الكلام) . ش : وهو صفة أزلية قائمة بذاته تعالى منافية للسكوت الذي هو ترك التكلم مع القدرة عليه والآفة التي هي عدم مطاوعة الآلة . أما بحسب الفطرة كما في الخرس أو بحسب ضعفها وعدم بلوغها حد القوة كما في الطفولية ولا خلاف لأرباب الملل والمذاهب في كون الباري تعالى متكلمًا . وإنما الخلاف في معنى كلامه [٢] وقدمه وحدوثه فعندما كلامه ما مر وخالفنا في ذلك جميع الفرق . وزعموا أنه لا معنى للكلام إلا المنتظم من الحروف المسموعة الدالة على المعنى المقصود . وأن الكلام النفسي غير معقول لهم . ذكره اللقاني

وقال السعد في (شرح العقائد) : كلام الله صفة واحدة متكثرة إلى الأمور والنهي والخبر باختلاف التعلقات كالعلم والقدرة وسائر الصفات فإن كلا منها واحدة قديمة والتكثر والحدوث إنما هو في التعلقات والإضافات ، لما أن ذلك أليق بكمال التوحيد ولأنه لا دليل على تكثر كل منها في نفسها .

ص : (الذي ليس) . ش : هو . ص : (من جنس الحروف) . ش : اللفظية والرقمية . ص : (الأصوات) . ش : لأنها أعراض حادثة وكلامه تعالى قديم

---

(١) الإمام الحافظ ، صاحب التصانيف البديعة ، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي الحجري ، المصري ، الحنفي ، ابن أخت المزني كان ثقة ، ثبتًا فقيهًا لم يخلف مثله ، انتهت إليه رياسة أصحاب أبي حنيفة . ولد سنة سبع وثلاثين ومائتين .

- انظر : طبقات الحفاظ ص (٣٣٧) ت ٧٦٩ ، البداية والنهاية (١١/١٧٤) ، تذكرة الحفاظ (٣/٨٠٨) ، حسن المحاضرة (١/٣٥٠) ، مفتاح السعادة (٢/٢٧٥) ، لسان الميزان (١/٢٧٤) ، مرآة الجنان (٢/٢٨١) ، وفيات الأعيان (١/١٩) .

(٢) انظر : مقالات الإسلاميين (٢/١١٩ ، ٢٠٠) لأبي الحسن الأشعري . تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد طبعة ثانية سنة (١٣٨٩ هـ ، ١٩٦٩ م) مكتبة النهضة المصرية .

فهو منزه عنها . ونقل المقري عن ابن مرزوق [١] أنه قال في بعض أجوبته : القرآن يطلق ويراد به القراءة وهي الحروف والأصوات ويطلق ويراد به المقروء وهو كلام الله الذي هو معنى قائم بذاته تعالى . وهذا قديم والأول حادث . وقال إمام الحرمين في الإرشاد : القراءة عند أهل الحق أصوات القراء ونغماتهم وهي أكسابهم التي يؤمرون بها في حال القراءة إيجابًا في بعض العبارات وندبًا في كثير من الأوقات ويزجرون عنها إذا اجتنبوا ويثابون عليها ، ويعاقبون على تركها . وهذا مما أجمع عليه المسلمون ونطقت به الآثار ودل عليه المستفيض من الأخبار ولا يتعلق الثواب والعقاب إلا بما هو من إكساب العباد ويستحيل ارتباط التكليف والترغيب والتعنيف بصفة أزلية خارجة عن الممكنات . وقيل المقدورات والقراة هي التي تستطاب من قارئ وتستبشع من آخر وهي الملحوظة والقويمة المستقيمة وتتنزه على كل ما ذكرناه الصفة القديمة . ولا يخطر لمن لازم الإنصاف أن الأصوات التي يبح لها حلقة وتنتفخ على مستقر العادة منها أوداجه وتقع على حسب الإيثار والاختيار محرفًا وقويمًا وجهوريًا ورخياً . ليس كلام الله تعالى فهذا القول في القراءة . وأما المقروء بالقراءة فهو المفهوم منها المعلوم وهو الكلام القديم الذي تدل عليه العبارات . وليس منها ثم المقروء لا يحل القارئ ولا يقوم به . وسبيل القراءة والمقروء كسبيل الذاكر والمذكور . فالذكر [٢] يرجع إلى أقوال الذاكر والرب المذكور والمسبح الممجد غير الذكر والتسبيح والتمجيد والعرب صنفت أنواع الدلالات على المدلولات بالعبارات فسمت أنباء الشعر إنشاد والأنباء عن الغائبات التي ليست من قبيل الكلام ذكرا وسمت الدلالة على كلام الله تعالى بالأصوات قراءة وكلام الله تعالى مكتوب في المصاحف محفوظ في الصدور . وليس حالاً بمصحف ولا قائمًا بقلب والكتابة قد يعبر بها عن حركات الكاتب . وقد يعبر بها عن الأحرف المرسومة

---

(١) ابن مرزوق هو الحافظ المتقن أبو الخير عبد الله بن مرزوق الهروي ، مولى شيخ الإسلام أبي إسماعيل . ولد سنة (٤٤١ هـ) وسمع مولاه ، وأبا نصر الزينبي ، وابن البسرى والطبقة . وكان موصوفًا بالحفظ والمعرفة ، والإتقان للحديث ، وحسن السيرة وبه صمم . مات في جمادي الآخرة سنة ثمان وخمسمائة . طبقات الحفاظ ص (٤٥٣) ت (١٠٢) ، تذكرة الحفاظ (١٢٤٦/٤) ، شذرات الذهب (١٦/٤) .

(٢) والذكر هو : (استحضار عظمة الله في القلب) وفي سورة العنكبوت الآية (٤٥) (ولذكر الله أكبر) .

والأسطر المرقومة وكلها حوادث ومدلول الخطوط والمفهوم ومنها كلام الله تعالى وهذا بمثابة إطلاق القول بأن الله تعالى مكتوب في المصاحف . وليس المعنى بذلك اتصاله بالأجسام وقيامه بالأجرام .

ص : **(والقرآن)** . ش : العظيم . ص : **(كلام الله)** . ش : تعالى . ص : **(غير مخلوق)** . ش : ولم يقل القرآن غير مخلوق بلا قوله كلام الله لئلا يسبق إلى الفهم أن المؤلف من الحروف والأصوات قديم . كما ذهبت إليه الحنابلة . وقرأت بخط بعض المتأخرين نقلاً من (كتاب السنة) للإمام أبي عبد الرحمن عبد الله بن الإمام أحمد بن محمد بن حنبل رضي الله عنه قال عبد الله : سمعت أبي يقول : **(من قال القرآن مخلوق فهو عندنا كافر)** [1] . لأن القرآن من صفة الله . وفيه أسماء الله . وحدثني أبي حدثنا شريح بن النعمان أخبرني عبد الله بن نافع قال : كان مالك بن أنس يقول : من قال القرآن مخلوق يوجع ضربًا ويحبس حتى يتوب . وأخرج عن عبد الله بن المبارك من قال : القرآن مخلوق فهو زنديق . وأخرج عن سفيان بن عيينة القرآن كلام الله من قال : مخلوق فهو كافر ومن شك في كفره فهو كافر . اهـ .

وحدثني محمد بن إبراهيم الدورقي ، حدثني يحيى بن يوسف قال : حضرت عبد الله بن إدريس فقال له رجل : يا أبا محمد إن قبلنا أناسًا يقولون القرآن مخلوق . فقال : من اليهود ؟ قال : لا . قال : فمن النصارى ؟ قال : لا . قال : فمن المجوس؟ قال : لا . قال : فممن؟ . قال : من الموحدين . قال : كذبوا ليس هؤلاء بموحدين . هؤلاء زنادقة . من زعم أن القرآن مخلوق فقد زعم أن الله مخلوق . ومن زعم أن الله مخلوق فقد كفر ، هؤلاء زنادقة . وأخرج عن وكيع بن الجراح : من زعم أن القرآن مخلوق ، فقد زعم أنه محدث فيستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه ، وعنه من قال القرآن مخلوق فهو كافر وعن يزيد بن هارون أنه حلف والله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم عالم الغيب والشهادة . من قال : القرآن مخلوق فهو زنديق .

وأخرج عن معاذ بن معاذ من قال : القرآن مخلوق فهو كافر . وعن شبابة بن

---

(١) أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات (١٠٧/١) كتاب : التوحيد باب : في أن الله عز وجل قديم عن جابر وقال : هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ . وقال الدارقطني : محمد بن عبيد يكذب ويضع الحديث .

سوار وعبد العزيز بن أبان القرشي قال : القرآن كلام الله . ومن زعم أنه مخلوق فهو كافر . وعن ابن أبي مريم من زعم أن القرآن مخلوق فهو كافر . وعن يحيى بن معين من قال القرآن مخلوق فهو كافر اهـ [١] . وذكر ابن الكمال في بعض رسائله أن أبا حنيفة وأبا يوسف رضي الله عنهما تناظرا ستة أشهر ، ثم استقر رأيهما على أن من قال بخلق القرآن فهو كافر .

وقد ذُكر في (الأصول) أن قول أبي حنيفة أن القائل بخلق القرآن كافر محمول على الشتم لا على الحقيقة فهو دليل على أن القائل به مبتدع ضال لا كافر .

ص : **(ورؤية الله تعالى)** . ص : **في اليقظة** . ص : **(بالأبصار)** . ش : جمع بصر وهو حس العين ومن القلب نظره وخاطره . كذا في (القاموس) [٢] والمراد الأول لأنه موضع الخلاف بين أهل السنة وغيرهم . ص : **(جائزة في العقل)** . ش : على معنى أن العقل إذا خلا ونفسه لم يحكم بامتناع أن تتعلق به تعالى رؤية الرائي إذ لم يرده برهان عن ذلك . وهذا لا ينافي وجوب الرؤية سمعًا لورود الكتاب والسنة بها وانعقاد الإجماع قبل ظهور المخالفين عليها . قاله اللقاني .

وفي (شرح المقاصد) للسعد ذهب أهل السنة إلى أن الله تعالى يجوز أن يرى وأن المؤمنين في الجنة يرونه منزهًا عن المقابلة والجهة والمكان . وخالفهم في ذلك جميع الفرق . فإن المشبهة والكرامية إنما يقولون برؤيته في الجهة والمكان لكونه عندهم جسمًا تعالى عن ذلك . ولا نزاع للمخالف في جواز الانكشاف التام العلمي . ولا لنا في امتناع ارتسام صورة من المريء في العين . واتصال الشعاع الخارجي من العين بالمريء أو حالة إدراكية تستلزم لذلك . وإنما محل النزاع أنا إذا عرفنا الشمس مثلاً بحد أو رسم كان نوعًا من المعرفة . ثم إذا أبصرناها وأغمضنا العين كان نوعًا آخر فوق الأول . ثم إذا فتحنا العين حصل نوع آخر من الإدراك فوق الأولين نسميه الرؤية . ولا يتعلق في الدنيا إلا بما هو في جهة ومكان . فمثل هذه الحالة الإدراكية هل تصح أن تقع بدون المقابلة والجهة وأن تتعلق بذات الله تعالى منزهًا عن الجهة والمكان ؟!

ولم يقتصر الأصحاب على أدلة الوقوع مع أنها تفيد الإمكان أيضًا لأنها سمعيات ربما

---

(١) انظر : الموضوعات لابن الجوزي (١/١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨) .

(٢) القاموس المحيط (١/٣٨٧ بصر) باب : الراء فصل الباء .

يدفعها الخصم . بمنع إمكان المطلوب فاحتاجوا إلى بيان الإمكان أولاً . والوقوع ثانيًا ولم يكتفوا بما يقال . الأصل في الشيء سيما فيما ورد به الشرع هو الإمكان . ما لم تدفع عنه الضرورة أو البرهان . فمن ادعى الامتناع فعليه البيان لأن هذا إنما يحسن في مقام النظر والاستدلال دون المناظرة والاحتجاج .

وفي (شرح الصحائف) اتفق أهل السنة على جواز رؤية الله تعالى منزهًا عن المسامتة والمحاذاة والجهة والمكان خلافًا لجميع الفرق والمشبهة والكرامية [1] . وإن جوزوا رؤية الله تعالى لكنهم إنما جوزوا الاعتقاد وكونه تعالى جسمًا حاصلاً في الجهة . وأما بتقدير كونه تعالى منزهًا عن الجسمية والجهة فيحيلون رؤيته . فالرؤية المجردة عن الجسمية والمكان إنما ذهب إليها أهل السنة فقط . والمسامتة هي أن يكون المرئي مقابلاً للعين بحيث لو خرج خط مستقيم من الحدقة قائمًا على سطحها بالمر على المرئي والمحاذاة أعم من ذلك . وهذا البحث مما ليس للعقل استقلال في إثباته والغاية فيه بيان الجواز وتقرير قول الصادق وبيان الجواز يبطل قول المنكرين لأنهم يحيلونها وبيان جواز الرؤية على الوجه المعقول أن المشاهدة هي إدراك عين الحاضر وأن الله تعالى كامل العلم لا يعز به عنه شيء ويدرك عين الأشياء . لأن عدم هذا النوع من الإدراك نقص محال . فحينئذ يدرك عين ذاته الموجودة في الخارج ، فتكون عين ذاته الموجودة مثل مشاهدة له . فجاز على ذاته الموجودة المعينة أن تكون مشاهدة . فعلم أن ذاته الموجودة المتنزهة عن الجسمية ، والجهة قابلة للمشاهدة ، والقابلية لا تختلف بالقياس إلى الأشياء لأنها ذاتية . ونسبة الذات في اقتضاء القابلية إلى جميع الأبصار واحدة فتكون قابلة بالنسبة إلى أبصارنا والتفاوت لو كان فإنما يكون من جهة الرأي بأن لا يكون قويًا على مشاهدته وأعيننا ذاتية للأشياء الممكنة ، الرؤية فتكون قوية على ذلك ، أو بعد خلق تلك القوة في أعيننا . والمؤمنون في الخلد روحانيون كالملائكة فعلم إنما جاز أن نرى الله تعالى إذا تجلى من غير أين وجهته ومسامته وهذا هو الوجه

---

(١) الكرامية : أصحاب أبي عبد الله محمد بن كرام توفى سنة ٢٥٥ هـ قال الشهرستاني في الملل والنحل (١٠٨/١) ط مصطفى البابي الحلبي سنة (١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦م) : وإنما عددناه من الصفاتية لأنه كان ممن يثبت الصفات إلا أنه ينتهي فيها إلى التجسيم والتشبيه ... وهم طوائف بلغ عددهم إلى اثنتي عشر فرقة وأصولها ستة : العابدية ، والترنية ، والرزينية ، والإسحاقية ، والواحدية ، وأقربهم الهيصمية ، ولكل واحد منهم رأي .

المعقول في بيان جواز رؤية الله تعالى . وههنا وجه آخر منقول عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وأولاده عليهم الرضوان : إن لأرواحنا إدراكًا آخر تدرك به الأشياء بأعيانها بدون توسط الحاسة إذا تجردت الروح بالارتياض والإعراض عن الأغراض البدنية الحيوانية واللذات الشهوانية . وكذا هذا تواتر من مرتاض الملل المختلفة في الأوقات المتغايرة أنا قد ندرك بعد التصفية والتجريد الأشياء البعيدة مع حيلولة الجبال الشاهقة والتلال العائقة ونسمع كلامهم .

وقد امتحن ما أخبروا فقد أصابوا ومثل هذا التواتر يفيد اليقين . وإنما الارتياب في التواتر الذي صدر من أمة واحدة أو وقت واحد . وهذا مما اتفق عليه العقلاء . وأيده قوله عليه السلام حكاية عن المعراج : (رأيت ربي بقلبي مرتين) [1] . نص على الرؤية وخص مرتين فخرج الكشف والعرفان . فلعل هذا هو الوجه في هذا المطلوب . وفي طريق سماع الكلام بالوحي والإلهام .

وهذا الإدراك لا يمنع أن تكون العين مع ذلك طامحة وإن لم يكن لها مدخل في هذه الرؤية . فيصدق أنا نراه بأعيننا على أن الباء بمعنى مع وحينئذ سقطت شبهة المعتزلة واستعجابهم من رؤية ما لم يكون في جهة . لأن هذا إما يستبعد في الرؤية التي بسبب العين إذ لا بد حينئذ من المقابلة وغيرها من الشرائط . وأما إذا سقطت العين عن درجة الاعتبار في السببية . وكان السبب شيئًا آخر غير محتاج إليها والعين مصاحبة له فمعلوم أن أمثال هذه الشرائط في حيز الإسقاط . وهذا سر هذا الموضع .

وأما رؤية الله تعالى في المنام . فقد حكى القول بها عن كثير من السلف . وفي (شرح الشيبانية) لابن قاضي عجلون : وقد وقع الخلاف في رؤية الله تعالى في المنام . فمنهم من منعه ، لكن معظم المثبتين للرؤية على جوازه من غير كيفية وجهة ، وحكى كثير من السلف أنهم رأوه عز وجل كذلك .

---

(١) بلفظه لم أقف عليه وفي مجمع الزوائد (٧٩/١) كتاب : الإيمان باب : في الرؤية عن ابن عباس أنه كان يقول : إن محمدًا ﷺ رأى ربه مرتين : مرة ببصره ومرة بفؤاده . وعزاه للطبراني في المعجم الأوسط وقال : ورجاله رجال الصحيح خلا جهور بن منصور الكوفي وجهور بن منصور ذكره ابن حبان في الثقات .

ص : (واجبة بالنقل) . ش : وهو الكتاب والسنة وإجماع الأمة من السلف الصالحين والخلف المتقين إلى يوم الدين . ص : (في الدار الآخرة) . ش : وهي غير الدار الدنيا فيشمل ذلك ما بعد الموت إلى ما لا نهاية له ، ومواطن الآخرة ثلاثة عالم القبر وعالم الحشر وعالم القرار في جنة أو نار والثلاثة بعد الموت . وقد ورد في الحديث . قال : (إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا) [1] .

فالموت غاية لنفي الرؤية في الدنيا فإذا وجد الموت انتهى نفي الرؤية الممنوعة في الدنيا ومضى حكم الدنيا وأتى حكم الآخرة. فمن الموتى من ينعم الله عليه بالرؤية عند موته ومنهم في عالم البرزخ ومنهم من لا يرى ربه إلى يوم القيامة في المواقف ومنهم من يراه بعد دخول الجنة ومنهم من لا يراه أبدًا كأهل الكفر على ما سنذكره .

ص : (فيرى). ش : بالبناء للمفعول أي يراه المؤمنون. ص : (لا في مكان) . ش : لأنه تعالى ليس له مكان . ص : (ولا) . ش : على اعتبار .

ص : (جهة) . ش : من الجهات الست لعدم وجود الجهة في حقه تعالى كما قدمناه . ص : (من مقابلة) . ش : بينه تعالى وبين الرآي وهو بيان لا اعتبار الجهة . ص : (واتصال شعاع) . ش : يخرج من بصر الرآى فيقع عليه تعالى .

ص : (وثبوت مسافة) . ش : بينه وبين الرآى لأن هذا كله في رؤية الأجسام والله تعالى ليس بجسم . فليست رؤيته كرؤية الأجسام فإن الرؤية تابعة للشيء على ما هو عليه . فمن كان في مكان وجهة لا يرى إلا في مكان وجهة كما هوكذلك ويرى بمقابلة واتصال شعاع وثبوت مسافة . ومن لم يكن في مكان ولا جهة وليس بجسم فرؤيته كذلك ليس في مكان ولا جهة ولا مقابلة واتصال شعاع وثبوت مسافة وإلا لم تكن رؤية له بل لغيره .

وقال اللقاني في شرح جوهرته : والمراد أنه ينكشف سبحانه انكشافًا تامًّا بحاسة البصر لكل فرد من المؤمنين . وهذا مجمع عليه في الجملة . وإن اختلف العلماء في

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣٢٤/٥) ، ابن أبي عاصم في السنة . وعزاه السيوطي للطبراني في السنة عن أبي أمامة كنز العمال (٤٤٨/١٤) رقم (٣٩٢٠٨) .

بعض جزئياته وأفراده وزمانه ومكانه . فقد قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام [(١)] إن الملائكة لا ترى ربها في الآخرة متمسكًا بعموم قوله تعالى : ﴿لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾ فإنه عام خُصَّ منه مؤمنو البشر بالنص فبقي على عمومه فيمن عداهم .

والحق أنهم يرونه سبحانه كما نص عليه الأشعري ووافقه البيهقي والبلقيني وجزم الجلال السيوطي أن الجن تحصل لهم الرؤية في الموقف مع سائر الخلق قطعًا وتحصل لهم في الجنة وفي وقت ما من غير قطع بذلك . وأما أنهم يساوون الأنس في الرؤية في كل جمعة . فالظاهر خلافه . وقد اختلف العلماء في رؤية النساء لله تعالى في الآخرة على ثلاثة مذاهب :

أحدها : لا يرينه لقصرهن في القيام ولعدم تصريح الأحاديث برؤيتهن .

والثاني : يرينه أخذًا من عموم النصوص الواردة في الرؤية .

والثالث : يرينه في الأعياد . فإن الله يتجلى فيها تجليًا عامًا فيرينه في مثل هذه الحالة دون غيرها . وبه جزم السيوطي . وفي المؤمنين من الأمم السابقة احتمالان لابن أبي جمرة أظهرهما عنده مساواتهم في الرؤية لمؤمني هذه الأمة واحترز بالمؤمنين عن الكفار والمنافقين فإنهم لا يرون ربهم يوم القيامة لقوله تعالى : ﴿كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [(٢)] وقيل : إنهم يرونه ثم يحجبون . فيكون عليهم حسرة والدليل على حصول الرؤية لأهل الجنة من القرآن قوله تعالى : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [(٣)] قال في شرح الصحائف : النظر إما الرؤية أو تقليب الحدقة هو المريء طلبًا لرؤيته . فإن كان الأول فقد حصل المطلوب . وإن كان الثاني تعذر ههنا حمله على

---

(١) العز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن حسن بن محمد بن مهذب السلمي . شيخ الإسلام والمسلمين ، وأحد أئمة الأعلام ، سلطان العلماء ، إمام عصره بلا مدافعة ، القائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في زمانه . ولد سنة سبع أو ستة وثمان وسبعين وخمسمائة .

انظر ترجمته : طبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي (٢٠٩/٨) ت (١١٨٣) ، البداية والنهاية (٢٣٥/١٣ ، ٢٣٦) ، حسن المحاضرة (٣١٤/١ ، ٣١٦) . ذيل الروضتين (٢١٦) ، ذيل مرآة الزمان (٥٠٥/١) شذرات الذهب (٣٠١/٥) ، طبقات ابن هداية الله (٨٥) ، العيد (٢٦٠/٥) ، فوات الوفيات (٥٩٤/١ ، ٥٩٦) ، المختصر لأبي الفدا (٢١٥/٣) ، ، مرآة الجنان (١٥٣/٤ ، ١٥٨) .

(٢) سورة [المطففين : ١٥] .

(٣) سورة [القيامة : ٢٢] .

ظاهره ؛ لأن تقليب الحدقة إنما يكون نحو المرئي الذي يكون في الجهة . فلا بد من حمله على الرؤية ؛ لأن النظر بسبب الرؤية . وإطلاق لفظ السبب وإرادة المسبب من أقوى وجوه المجاز ، فحينئذ يكون المراد بالنظر الرؤية ولزوم المطلوب . وقوله تعالى : ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ . فسر جمهور أئمة التفسير الحسنى بالجنة والزيادة بالرؤية . وقوله تعالى : ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ (١) فأخبر تعالى أنه حقر شأن الكفار وخصهم بكونهم محجوبين . فكان المؤمنون غير محجوبين . وهو معنى الرؤية . قاله اللقاني . وفي (شرح المقاصد) : والنص من السنة قوله ﷺ (٢) : (إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر ، لا تضامون في رؤيته) . وقوله ﷺ : (إن أدنى أهل الجنة منزلة ، لمن ينظر إلى جنانه وأزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة) (٣) . وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية . وفي حديث مسلم ، قال رسول الله ﷺ : (ما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن) (٤) .

---

(١) سورة [المطففين : ١٥] .

(٢) أخرجه البخاري ٩- كتاب : مواقيت الصلاة ١٦- باب : فضل صلاة العصر رقم (٥٥٤) ، مسلم (١٦٣/١) ١- كتاب : الإيمان (٨١) - باب : معرفة طريق الرؤية ، أبو داود (٩٧/٥ ، ٩٨) ٣٤- كتاب : السنة ٢٠- باب : في الرؤية رقم (٤٧٢٩) ، الترمذي (٥٩٢/٤ ، ٥٩٣) ٣٩- كتاب : صفة الجنة ١٦- باب : ما جاء في رؤية الرب تبارك وتعالى رقم (٢٥٥١) قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ، ابن ماجة (١١٣/١) المقدمة ١٣- باب : فيما أنكرت الجهمية رقم (١٧٧) ، النسائي (الكبرى) كتاب : النعوت باب : المعافاة والعقوبة ، الدارقطني في كتاب : (رؤية الله) ص (١٠٢) رقم (١٠٦ ، ١٣٧ ، ١٤٩ ، ١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٥٥) ، أحمد (٣٦٠/٤) ، البيهقي (٣٥٩/١) ، الحميدي في مسنده (٧٩٩) أبو عوانة في مسنده (٣٧٦/١) .

(٣) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٨٧/٥) عن ابن عمر في ٢٩٤- ترجمة عبد الملك بن أبجر ؛ الترمذي كتاب : صفة الجنة باب : أقل رجل رقم (٢٥٥٦) .

(٤) أخرجه البخاري (١٨١/٦ ، ١٨٢ ، ١٦٢/٩ ط الشعب) ، مسلم (١٦٣/١) ١- كتاب : الإيمان ٨- باب : إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى رقم ٢٩٦ (١٨٠) ، أبو عوانة في مسنده (١٥٧/١) ، ابن أبي عاصم في السنة (٢٧٢/١) . الترمذي (٥٨١/٤) ٣٩- كتاب : صفة الجنة ٣- باب : ما جاء في صفة غرف الجنة رقم (٢٥٢٧) ، قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ، الإمام أحمد في المسند (٤١٦/٤) . - أبو داود الطيالسي في مسنده (٣٤٣/٢) رقم (٢٨٣٩) .

وقال القرطبي في شرح هذا الحديث : ومذهب أهل السنة بأجمعهم أن الله تعالى ينظر إليه المؤمنون في الآخرة بأبصارهم كما نطق بذلك الكتاب وأجمع عليه سلف الأمة . ورواه بضعة عشر من الصحابة رضي الله عنهم عن النبي ﷺ . ومنع ذلك فرق من المبتدعة منهم المعتزلة ، والخوارج ، وبعض المرجئة .

* * *

فهرس المحتويات

الحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية